

د. أحمد ايراهيم الثريف

أستاذ التأريخ الإسلامى پجامعة عين شمس وجامعة الكويت د. هسن أهمد معمود

استاذ التاريخ الإسلامي يكلية الآداب جامعة القاهرة وجامعة الرياض

الطبعة الخامسة

ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي



فىالعضرالعباسين

دکتورا حمد ابراهدالشریف استاذالتاریخ الاسلامی جاحهٔ حدیث تثمیت مجاحهٔ انگویت دکستودسی کمارنجود استا زالتاریخ الاصلامی بکلیده الادار جامعه المناحرة وجامعه الردامت

الطبعة الخابسة

منزدانطيع دانشر دارالفرك كالعسري

تصلير

لم تحد الكتابة في التاريخ الاسلامي مجرد سرد لسير الطلقاء ، ووصف لمجالس طربهم ولهوهم والعياة في قصورهم ، أو ذكر لحروبهم ووقائمهم و وانما أضحت نظرة واسمعة للحياة الاسلامية كأرحب ما تكون النظرات ، وهدف النظرة الواسعة ليست مجسرد معلومات مضوة بعضها في اثر بعض ، وانما لابد أن تعطى لهذا المتاريخ مفهوما يعبر عنه ، ودينامية تسير حركاته وتسبر غور أعماقه .

ولمل ذلك ما دفعنا الى أن ننظر فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى هذه النظرة الواسعة ، غعرضنا لتطوراته السياسية ، ولم نهمل قضاياه الاقتصادية وتطوراته الاجتماعية والثقافية .

ولمل البحث عن مفهوم التاريخ الاسلامي في العصر المباسى ، هو الذي دغمنا الى البحث عن جذور الدعوة المباسية به وكيف تحولت الى ثورة شاملة ، كان العصر العباسي الأول تطبيقا لمبادئها ، وكيف تركت هـده الثورة انطباعا عميقا في جميع نواحى المصر السياسية والاجتماعية والثقافية ، ثم كيف غتحت هذه الثورة أمام المسلمين من غير الحرب باب الظهور في تلك المجالات جميعا ،

ثم كيف فقدت الخلافة العباسية فعاليتها فى العصر العباسى الثانى نتيجة لضعف الحسرب العباسى فلسفة وتنظيما • ولكن المبادى • التي نادت بها الثورة ظلت تؤتى ثمارها على الرغم من ضعف المغلافة • ولم يصبح التاريخ لذلك ، تاريخ الخلافة وانما أصبحت الشعوب الاسلامية هى التي تصنع هذا التاريخ وتوجهه ، فقد برزت القوميات الاسلامية تحت ظل شعار الباواة بروزا واضحا ، واستجابت الخلافة للمصالح الاقليمية فى مرونة سياسية كبيرة الأمر الذى ادى الى سيادة النظام الفدرالي والحكم اللامركزى • ولم تعد نظرة المؤرخ نتجه الى شخصية الخلفاء قوة وضعفا وانما نتجه الى العالم الاسلامو ككل . والى الشعوب الاسلامية كجماعات تسعى الى ننمية شخصياته ومسالحها فى نطاق هـذا الكل ، ومن ثم برزت على مسرح الساريخ شعوب لم يسمع التاريخ لها ذكرا من قبل ، وحققت لنفسها مجدا كبيرا ، كما أعادت للعالم الاسلامي حيوية دافقة ، وهي وان أثرت في مركز الخلفاء انفسهم فأضعفت من شخصياتهم ، الا أنها مدت ناوذ العالم الاسلامي ودافعت عنه وأمدته بحيوية متجددة ،

وقد أدى هذا كله الى امتراج حضارى كبير ، والى تعدد المراكز الثقافية بظهور المدارس الاقليمية المستقلة ، مع اكتمال حركة الترجمة ودخول الموالى ميدان الفكر الفربى بميراتهم الثقاف وتراثهم الحضارى ، الأمر الذى أدى الى نهضة شاملة فى كل المجالات المضارية أينعت فى القرن الثالث وآتت أكلها فى القرنين الرابع والخامس •

وقد تعاونا في اعطاء العصر العباسي تلك الأهمية التي اليها أشرنا ، كما بذلنا الجهد في محاولة اكتشاف المفاهيم التي أوضحنا ، والكشف عن التطورات التي اليها ألمنا .

فاختص أحدنا (حسن أحمد محمود) بالقسم الأول من الكتاب ، وحرض فيه لقيام الدولة العباسية ، وتحدث عن الثورة وتنظيماتها وفلسفتها وشماراتها ، والموامل التي مكنت لها من النجاح ، وأحداث هذه الثورة منذ اندلاع شرارتها الأولى ، حتى تمت البيعة للخليفة الأولى ، فتحدث عن تقدم المناصر الايرانية سياسيا وفكريا ، ثم عرض للخلافة ونظم الدولة في ضدو، مبادىء الثورة وفلسفتها ، وتحدث عن العباسيين والموقف الدولى ، وكيف حققوا السلم الاسلامي ، ثم تابع نتائج الثورة في النواحي النواحي الانتصادية والاجتماعية والثقافية ،

واختص الآخر (أحمد ابراهيم الشريف) بالقسم الثاني هن الكتاب ، وهو القسم الذي أهرد للعصر العباسي الثاني ، وقد بدأ بالقاء

نظرة عامة على هذا العصر تعيط بالدولة الاسلامية في خطوط عريضة ، أبرز غيها آثار الشحارات التي نادت بها الثورة العباسية وألم الى أممية النظرة الشاملة للعالم الاسلامي ، وتعرض لمناقشة الآراء المختلفة غيما يتعلق بقوة العالم الاسلامي ومصلحته من خلال النظرة الى تاريخ المخلفة وتاريخ الأمم الاسلامية ، ثم عرض لظهور الشموب المديدة ودخولها في مجال الحياة الاسلامية ، ثم عرض لظهور الشموب الإمراء ، ثم تحدث عن ظهور الدول المستقلة بالاشارة الى تطور المحكم الفرالي وظهور المتعلبين في المغرب والمشرق ، ومقدار عمالية هدف الدول واثرها في قرة المالم الاسلامي ونموه ماديا وحضاريا ، وفرق بين نوعين من الدول : الدول الثغرية والدول الداخلية ، ثم عرض آخر والملام للعدمين البويهي والسلجوقي وبين أوجه الشبه والخلاف بينهما، ووادمل الحدين البويهي والسلجوقي وبين أوجه الشبه والخلاف بينهما، ووادمل الحديث الى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، وتلقى دول الشرى مسئوانة الدالم الاسلامي في ظروف آخرى ،

ولال كانت دراسة العالم الاسلامي ، وبخاصة في العصر الثاني، من كل جوانبها لا يتسع لها سفر واحد ، فقد رأينا أن نقصر هذا الكتاب على الناحية السياسية ، ونلحقه بجزء كفر نفصصه للناحية الحضارية فهي قمينة أن يفرد لها بحث خاص نامل أن نفرجه قريبا بعون الله ،

«ذا وقد بذلنا فى اخراج هذا الكتاب بهذه الصورة الجهد المضنى ، وأملنا أن نكون قد أغلطنا فى اعطاء العصر العباسى الأهمية التى يستحقها ، وأن نكون قد وفقنا فى عرض وجهسات النظر والتعبير عن الأهكار فى صورة واضحة مفهومة ، وعسى أن نكون قد أهرزنا بعض المنجاح ، ولا ندعى الكمسال غلينفر لنا القارىء الكريم ما نكون قد وقمنا غيه من زلل ، وكل رجائنا أن نكون قد فتصنا الطريق الى مزيد من المراسات في هذا العصر الهام من حياة الأمة الاسلامية ،

البائب الأول قيام اللولة العباسية

القسّم الأول العصر العباسي الأول

الثورة العباسية

لم يكن قيام الدولة العباسية مجسرد بيعسة خليفة دون آخر ، أو انتقال الحسكم من الأمويين الى العباسيين ، يقول المؤرخ برنارد لويس ، « كان حاول العباسيين محل الأمويين في حسكم المحسساعة الاسلامية أكثر من مجرد تغيير الأسرة الحاكمة ، لقسد كانت ثورة في تاريخ الاسلام تعين نقطة لهاصلة لهيه ، ولها من الأهمية ما للثورتين الفرنسية والروسية من الأهمية في تاريخ المغرب » (() ،

وذلك ليس بالقياس الى أحمدات الثورة نفسها ، انما لقهاليتها وقدرتها على التغيير الجمدرى فى المجتمع الاسلامى ، فقد ظلت آثار هذه الأحداث تحدث التغير الجذرى فى المجتمع الاسلامى طوال المصر المباسى الأوله بل تجاوزت أصداؤها حدود ذلك المصر ، ونعتقد أن أمورا ثلاثة قد اجتمعت لتحدث هذا التطور العميق ، وأن تتم النقلة فى تاريخ الاسلام ، وهسده الأهور الثلاثة هى :

 ١ - أنها قامت على أساس دعوة دينية نظمت تنظيما دقيقا كتب للثورة النجاح ومكن لجذورها في الأرض .

٢ - أن الدعوة العباسية أغادت من انتشار الاسلام في ايران الذي زاد شدة وسرعة عن غيرها من الأهمار الاسلامية ، ومكن الدعاة العباسيين من أن يستغلوا هذه الطاقة الجديدة ويتموا تعالما بين الدعوة العباسية وبين هذه الجماهير الماضية صعدا .

٣ ــ أن الدعدوة أغادت من طاقات عظيمــة من السخط تجربت في ايران وعلى الخصوص في الفترة من عام ١٠٥ ه الى ١٣٣ ه ، وذلك المساب اقتصادية واجتماعية ، وأسباب أخسري تعزى الى سيامــة

⁽۱) العرب في التاريخ ، ص ۱۱۳ .

المنافاء الأمويين الأواخر ، ولابد أن نناقش هذه الموضوعات بالتفصيل لنلقى أخسوا على هذه الأحداث الهامة التي غيرت وجه التاريخ الاسلامي ه

الثورة والتنظيم العقائدي

وقد ثبت أن التنظيم المقائدى فى هترة التحضير للثورة ينم عن عقرية هذة فالترتيب والتنظيم ، وقد وضع هؤلاء المنظمون العباسيون نهجا تكرر كثيرا عبر التاريخ هيما بعد ، هقد نسج القرامطة والفلطميون على منوالهم وتعلموا دروسهم وترسسموا خطواتهم ، وأهادوا من نجاربهم ، وكان هدذ التنظيم المقائدى يقوم على السرية المللةة ، اعنى أن الدعوة توفر لها عنصر السرية الى أبعد الصدود ، خموصا بعد الكوارث التى نزلت بآل البيت منذ مصرع الصين ، وما عمسدت بعد الكوارث التى نزلت بآل البيت منذ مصرع الصين ، وما عمسدت بنك وسيلة مستطاعة متى تضعة المركات العلوية ، والقضاء على زعمائهم بنك وسيلة مستطاعة متى تخعد أنفاسهم ولا تقوم لهم قائمة بعد ذلك ، وقد ظلت الدعوة سرية تقوم على اساس الدعوة لامام مستور عن أعين الامويين الى أن قسدر لها أن تظهر على السطح بعد نجاح الثورة مباشرة ،

زعامة المسورة:

وكانت هذه الدعوة السرية تقوم حول امام من آل الهيت يدير: دغة هــذه الحركات السرية ، ويرعى هذه التنظيمات ، ويوجه الدعاة ويقودهم ، وقد آلت الامامة في هذا التنظيم السرى الى بنى العباس، في غنرة مرحلية عظيمة ، وقدر لهم أن يقودوا الكفاح هتى النسر. •

وكان بنو العباس خارجين عن نطاق هذا النزاع ، وأنها تأخره إ لتآخر سابقة العباس ، ثم تقدموا بفضل ما جرح عبد الله بن المباس من العلم ، وبفضل عكرمة الذي نشر علم ابن عباس ف المشرق ، وعندنذ ظهر نمضل هذا البيت وعرفه الناس واحترموه لقرابته القربية من بيت الامام على ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

الى أن اتفق حسول رأس القرن الثانى للهجرة أن عقد البيت الملوى رياسته فى حياة على بن عبد الله بن العباس ، وقد أسن ، فأصبحت الظروف تقفى بالتطلع اليه كشيخ كبير وقور من شيوخ آل البيت الكريم ، ولهذا تذكر المراجع الدعوة العباسية عام ١٠٠ هجرية على يد على بن عبد الله بن العباس ، ولا تذكر هذه المراجع قبله أحدا ،

والواقع أن الوت أذهب جيسلا من المسلومين: المن الأمام طى السجاد زين العابدين توفى فى المدينة المنورة قبل هسذا التساريخ بست سنين ، وكذلك توفى أبو هاشم بن محمد بن الحنفية قبل هسذا التاريخ بسنتين تقريبا ، وكان ابنا السجاد وهما محمد الباقر وزيد لا يزالان فى أول شبابهما غير ظاهرين ، على حين لم يعقب أبو هاشم من بعده من يخلفه ،

ونرجح أن الناس لم يحتاجهوا الى أن يفرقوا يومسد بين آل البيت ، وكل القرائن تدل على أنهم نظروا الى آل البيت جملة ، على أنهم كل متضامن لا ينازع أحد منهم أحدا • وأن كانوا بيوتا مختلفة لكل بيت دوره ووجاهته •

ونرجح كذلك أن محمد بن الحنفية انما ظهر عتب استشهاد المسبن ، لأن الشهامة كانت تقضى بالتضامن دون أن يكون فى خاطره أن يستأثر لنفسمه بشىء • والراجح أن آل البيت أنفسهم بعدوا آم قربوا لم يكونوا ليتنازعوا على أمر لا يزال فى تنبضة غيرهم ، غأيهم تام بالدعوة قام عن الجميع ، ولهذا كانت الصلة بين أبى هاشم وبين بلقى درية على صلة قوية ودية •

وبهذا الروح صار على بن عبد الله بن الساس حول عام ١٠٠ ه وهو شيخ آل محمد تادرا على أن يتكلم باسمهم دون أن ينازعه أهد أو يشك فى نواياه • وكان من الطبيعى أن ينظر آل البيت بعين الرضا لكل تنظيم يدعو الى آل محمد •

واغتنم هذه الفرصة على بن عبد الله بن العباس ، وكانت هرصة ذهبية ، غلما نجح بيته استأثر بالأمر ، مع أنه لم يدخل فيه الا منذ وقت قريب ، وكان نجاح هذا البيت بسبب فرصة ثانية مماثلة سنحت معد استشهاد زيد وابنه يحيى ،

وانتهى الأمر بنجاح المباسيين فى الجيل الثالث (جيل على المؤسس ثم جيل ابنه محمد ثم جيل حقيده ابراهيم) ، وولى الخلافة من مؤلاء الحقدة اثنان هما أبو المباس عبد الله بن محمد ثم أبو جعفر المنصور بن محمد ه

ونلاحظ عندما نستعرض تاريخ الدعوة الساسية بين عام ١٠٠ ه الى أن ظهرت عام ١٢٥ ه أن الدعوة الساسية كانت تنشط اذا خلا المو من رؤساء علويين ، وتضعف اذا ظهر منهم أهد ، كما نشطت بعد وهاة زين العابدين مرة ، وكما نشطت بعد استشعاد زيد مرة آخرى ، ومن هنا كان من الضرورى أن نقف قليلا أمام علاقة الدعوة المباسية بالدعوات الملوية ،

كانت الدعوة اذن تقوم على أكتاف الأثمة المباسيين المستورين الذين يقيمون في مدينة الحميمة ، ويديرون خيوط الدعوة في المسالم الاسلامي كله ٥٠٠

وقد كانت الفترة من عام ١٠٠ ه الى ١٣٠ ه • حافلة بطائفة من الأثمة والأغذاذ الذين أظهروا قدرات ادارية هذة ، وكانوا بحق سلفا كبيرا لخلف أكبر ، تجلى في صورة أبى العباس السفاح أو المنمور أو المتمم ، وهم من أعظم أغراد البساس قدرة على التنظيم •

وقد نظم الدعوة من البيت العباسي ثلاثة لم يقدر لهم أن ينالوا ثمرة غرسهم و وأولهم على بن عبد الله بن عباس وكان يكني بابنه محمد كما يكنى بأبي الحسن ، وقد رأس الدعوة أكثر من عشد مد سنة حتى مات عام ١١٧ ه ، وقد قارب الثمانين ، وهو الذي نظم الدعاة بوالنقباء في تل من العراق وخراسان و

وولى أمر الدعوة بعد ذلك ابنه معمد (١١٧ – ١٢٥ ه) () والراجح أنه كان أكثر مسالمة وايثارا للعالمية • ثم ولمي أمر الدعوة ابراهيم وهو الذى وصل بها الى الذروة • وكان هؤلاء الأئمة الثلاثة كما تلف يتيمون بالحميمة ويتصلون بخراسان عن طريق دعاة العسراق (٢) •

الدعاة والتقبساء:

وهؤلاء الائمة الذين يقعدون على القمة في هذا التنظيم السرى كان يساعدهم طائفة من الدعاة ، هم وحدهم الذين يعرفون سر امام الوقت ويحتفظون بهذا السر الأنفسهم ، وكان الدعاة في الحقيقة جميمهم من طراز واحد : قدرات عسكرية خلاتة ، واخلاص المدعوة وفلساف غيها ، وقسدرة بارعة على الدبلوماسية والدها، ومداراة الأحوال أو اجتذاب الأنصار ، ومنطق في المخاطبة غيه أدب وبلاغة وفن ومراعاة مقتضى الحال ،

وقد لبست الدعوة لبوسا ثقافيا ، وأغلب الدعاة تعمقوا فى العلوم الاسلامية وبرعوا فى الحديث أو الفقه أو اللغسة ، وتولوا التعليم، وأخسد الناس عنهم •

 ⁽۱) المقدسي : احسن التقاسيم ٤ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ،
 (۲) الطبري ٤ ج ٨ ، ص ١٣٦ .

النتباء الذين اختارهم أبو عكرمة السراج هم:

التقدية الدين اعتدائم بود المستخدة التبدى وقحطية بن تشبيب السليدان بن كثير الخزاعي والاعز بن قريبا التبدى وقحطية بن تشبيب الطلباتي وحالت بن إبراهيم أبو داود والقاسمية الن محاشد التبدى وعدران بن اسماعيل أبو النجم ومالك بن الهيثم الخزاعي وعبرو بن أعين وشبل بن طهمان وعيدى بن أعين .

ونعتقد أن ثمة مدرسة للدعوة العباسية برزت في هدذه الفترة تدرب هؤلاء وتعدهم نفسيا وثقافيا وعسكريا ، وتعدهم لليوم الرتقب، هدذا النشاط الأدبى والنفساني الذي قام به الدعاة في هدذه الفترة في حاجة الى دراسة واستقصاء أدبى وتاريخي ، للكشف عن هدذه الجهود التي تتابعت نحوا من ٣٣ سنة حافلة بالنضال ، ونسوق كلمة عن دعاة المصراق والكوفة وخراسان مستخلصة من الحوليات القديمة ليتبين قدر هؤلاء الدعاة وقدرتهم :

دعاة العسران:

وأمر الدعاة بالعراق واضح ، غقد نظم الدعوة هناك ثلاثة هم : ميسرة العبدى ، ثم بكير بن ماهان ، ثم سلمة الخلال الذي عرف شما بعد باسم وزير آل تمحمد ،

أما ميسرة فقد كان مولى لملى بن عبد الله بن المباس ، وهنا نلاحظ أن الدعدوة قامت بالمسراق على يد مولى من موألى البيت المباسى ، وأنها قامت بخراسان على يد مولى نفس البيت المباسى ، ونلمس بذلك كيف كان المسوالى يحرصدون على رفع البيوتات التى ينتمون اليها ، غير أن ميسرة المبدى عوجل بالموت فلم يرأس الدعوة بالمراق الابضم سنين (١٠٢ ــ ١٠٥ هـ) .

وتولى بعده رياسة الدعوة بكير بن ماهان (١) ، وهو الذي تمركز في يده أمر الدعوة نصو ٢٣ سنة ، غهو من هدفه الناحية أهم دعاة العراق ، وكان صاحب جهاد واخلاص لا يدخر في سبيل الدعوة جهدا ولا مالا ، غانه كان في أول أمره مرابطا بثغر السند ، واقتنى هناك مالا قدره أربع لبنات من غضة ولبنة من ذهب ، غأنفق كل ذلك في سبيل الدعوة ، ويرجع الفضل في ضمه الى الدعوة الى عكرمة السراح دولي

 ⁽۱) الخشرى: الدولة العباسية ، ص ۲۲ ، تدم من السند وكان بها مع الجنيسد بن عبد الرحين .

ابن عباس ، ویروی کذلك آنه هسو الذی أرسل الی خراسان بعض دعانهسا ه

أما ثالث دعاة العراق وآخرهم نهو أبو سلمة الفلال وهو الذي قاد الدعوة في العراق في السنين الخمس الأخيرة قبل ظهور بني العباس•

دعاة خراسان :

أما عن الدعوة بخراسان فقد قام بها جماعة كثيرة يبلغ عددهم سبمة ، وأولهم أبو عكرمة السراج (١) مولى ابن عباس ، وقسد تجمع حوله أربعة أو حمسة نقباء ، وكانوا جميمسا نواة الدعوة ، منهم محمد بن خنيس وحيان المطار (١) وعمار العبادى ،

وكان أبو عكرمة يلقب بأبى محمد الصادق ، وهذا تلقيب بشعور ماهمية حساحية وان كان من الموالى ، وكان أبو عكرمة متصلا بالبيت المباسى ، اما بحكم الولاء واما بحكم مكانته فى الدعوة ، ويروى أنه زار بنى العباس فى الحميمة وحضر ولادة على بن عبد الله بن عباس به وقد هاجر عكرمة الى خراسان بعد ابن عباس ونشر: فيها علمه ألكثير ، مكان أهل المشرق بجلون ابن عباس عن طريق تلميذه ومولاه أبى عكرمة والراجح أن أبا عكرمة لم يكن داعيا بل كان مجرد وجوده عنوانا لفضله الساسى ،

وأساس الترجيح أنه أمضى معظم حياته قبل أن تبدأ الدعوة الا السنين الممس الأخيرة ، وينسب اليه مع ذلك أنه هو الذي اختار النقباء وأنه الذي اختار بكير بن ماهان ، ومن الطبيعي أن يجتمع حيله جماعة وأن تناير منهم مقالات في حسق بنى الحياس ، ووقعته بسبب ذلك أزمة ، نقد سمع بهم والى خراسان يومئذ وهو أسد بن عبد الله القسرى غاخذ جماعة منهم وغر جماعة منهم زيادة الناجي »

⁽١) ويسمى أحياتا أبا محمد الصادق .

⁽٢) عَلْهُوزُن : الدولة العربية ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

⁽م ٢ ... العالم الاسلامي في العصر العباسي)

أما الداعى الثانى ، فهو من أهل بلغ الذين اشتر وا بالحماسة للدعوة وهو حرب بن عثمان مولى بني قيس بن شلية م

والداعى الثانى كان مركزه فى بلخ أيضًا ، وفى مرو ، وانتهى أمره بأن قتله والى مخراسان كما قتل زياد الناجى .

أما الداعى الثالث ، فقد قدم من الكوفة ونزل فى بلغ مركز الدموة بالمشرق ونزل فى بيت أبى النجم ، وهو كثير ألكونى (١١٠ ساله ١١٠) وكان رجلا أميا متحمسا لبقسا ذا نشاط ، وقد رهم أمرهم الى أسد فحيس جماعة منهم ثم أطلقهم ،

ثم قدم على هدده الجماعة البلغية داع آخر اسمه خددائل ، ولا يعرف عنه غير هذا الاسم (١) وأظهر خداش مقالات تفرقت بسببها الجماعة الى غرقتين ، غريق معه وغريق عليه ، ويدل ما يروى عنه أنه كان يبيح ترك العبادات ويقول بتأويل القسرآن : غكان يتأول الآية « ليس على الذين آخسوا وعملوا الصالحات عنساح غيسا طعوا الأمام ما اتقوا وآخسوا وعملوا التسلطات وكان يقسول الصوم هو التستر على الامام ، والحج قصده ، والصلاة الدعاء له ، وكان أيضا يطعن على ألبي بكر وعمر ،

وقد اتهم بسبب هده المقالات بالزيغ وباهياء دين الخرمية بما أحل من الاباهات ، وقيل أيضا انه لم يكن مظما في اسلامه ، لأنه كان نصرانيا ثم أسلم ، وانتهى أمر خداش بأن اخذه أسد وقتله بأن قطع لسانه ثم سمل عينيه في آمد ، كما قتل أسد بعض أصحابه ،

والراجح أن هذه الفتنة أدت الى حذر الأثمة العباسيين لهتركوا مكانبة دعاة خراسان ولم يبعثوا اليهم بكتب ولا رسل • وقسد تمامت

 ⁽۱) یتال کان اسبه عبارة وسمی خداشا لائه خدش الدین •
 ویقال آن اسبه کان عمار بن یزید . انظر غلهوزن ۶ می ۱۸۲ .

هـده الفتنة في أول رياسة محمد بن على بن عبد الله بن المباس الدعوة ، وكان محمد صاحب علم وميل الى السلم ، وكان هو الذي ترك مكاتبة الدعاة بخراسان ،

ومن القرائن على ميله الى السلم أنه التقى بزيد بن على في الكوفة ونصحه بعدم الخروج ، فأرجف الناس بسبب موقفه هذا من زيد بأنه يطمع في الأمر لنفسه ، ثم ان محمدا عامر الفترة التي أزداد غيها نشاط الزيدية ، ومثل هذا النشاط كان من شأنه أن يصرف الأنظار عن العباسين (١) .

واستمرت الجماعة البلخية قائمة برغم ترك الامام محمد لهم() ، وظهر غيهم زعيم جديد عالم هو سليمان بن كثير ، ولمله ولد كثير داعى الكوغة الذى اشرنا اليه ، غان صح غانه غخر الأبيه غقد أشاد المنصور: غيما بعد باثره فى الدعوة واغتخر له غقال : « هو أحد فتياننا » ، وقد اختاره أبو مسلم غيما بعد إماما للصلاة عند اعلان الثورة ، وهو الذى أعاد طقوس صلاة العيد على نحو ما نصليها الآن ،

ويظهر أنه كان صلحب استقامة ورأى ، وأنه اختلف فى النهاية مع أبى مسلم حين لجأ أبو مسلم الى العنف الظالم فى خراسان ، خاتهمه أبو مسلم وقتله ، ونحن نسمح به لأول مرة وهو يقدم مولادا الى الامام محمد والى الامام ابراهيم من قبل شيعة خراسان ، فأعرض عنه الامام ثم أعطاه كتابا وأمره ألا يفضه اللا فى خراسان أمام أحسابه ، فلما فضوا الكتاب لم يجدوا فيه الا البسملة ، ومعناها النضب بسبب ما هم فيه من فتنة () ،

ثم أوغد الامام الى شيعة الفراسانية كبير دعاة العراق ، وهو بكير بن ماهان (٢) وأمره أن يعلم صحابة آل البيت بكذب خداش ،

⁽١) الأخيسار الطسوال ، ص ٣٣٧ .

⁽۲) نلهوزن ، ص ۸۱} . (۳) انظر الطبری ، چـ ۹ ، ص ۱۷ .

فلما قدم بكير عليهم طلبوا منه علامة ليصدقوه ، فعاد وجاءهم بعلامة الى النقباء هي عبارة عن عدى مضببة ، وأعطى كل واحمد عصا ، ولا نكاد نفهم ما ترمز اليه هذه العلامة ، وتاريخ الخبر عام ١٣٠ ه(١) و ودن نستبعد هذا الخبر ونرى أن استثناف العلاقات على هذا النحو جاء بعد خروج زيد وابنه يحيى وفي آيام الامام ابراهيم .

ثم يتولى رياسة الدعوة المباسية أبو مسلم الخراساني ويبقى سلبمان بن كثير على حاله ، وكان قدوم أبى مسلم من جهة الامام أبر امبم ، غنزل فى بلخ عند أبى النجم ، ولم يلبث أن صاهره وأن رزق ببنت اسمها غادامة ، وكان عقبه منها ومن زوجها محرز بن ابراهيم ، وكان من وجوه أصحابهم فى بلخ أيضا أبو منصور طلحة بن زريق وكان "« عالما بحجج الهاشمية ومعليب الأموية » ،

ونان أبو مسلم رجل علم ، أخذ العلم عن جماعة ، منهم أبو عكرمة مولى بن عباس ، ومنهم الامام محمد نفسه ، ومنهم ثابت البناني ، ومن هنا تأتى الحلة بفرقة البنانية ، وممن أخذ عنهم العلم أيضا أبو الزبير المنبى و نيره ، وقد روى عبد الله بن المبارك عن أبى مسلم (٢) .

النقياء :

والمرتبة التالية في كادر الدعوة العباسية هم التُقباء ، وكانوا ياتمرون بأمر الدعاة ولهم قدراتهم الدعائية والمسكرية ، ولم يكونوا يقلون عن الدعاء قيمة أنما كانوا يجهلون أمام الوقت ، فقد كان العلم به صرا لا يعرفه الا الدعاة غصب ، ومن هؤلاء النقياء من برزوا

⁽۱) الدليري عج ۹ عص ۱۷ ،

⁽۲) نسده عن أبى مسلم : الحسر أبى مسلم غليض والروايات عيه مختلفة ، أما الذي لا شك غبه غبر أنه لم يكن عربيسا بل كان أعجيبا ، كان مهلوكا أو مولى في الكوفة. وتسمد مسترعى وهو ما يزال في سن الصغر انتباه شبعة بنى العبلس هناك مها دعا إلى أرس اله إلى أبر الهيم بن محمد فأخذه أبر أهيم وضمه إلى أسرته وحلمه لنفسه وجعله بن خاصته » .

فى أحدداث الثورة العباسية وصنعوا الأعلجيب ، وكان لكل داعية اننا عشر نقيبا ، وكان النفياء بدورهم تتبعهم طبقات أقل فى مراتب الدعوة وهى طبقة الممسال ، وكان لكل نقيب سبعون عاملا يديرون الجهاز السرى ويساعدون النقياء ، ثم يعضى التشكيل فى عمقه الى أن ينتمى بالخلايا السرية التى كانت تندس فى جميع الأمصار الاسلامية ،

وفى استطاعتنا الآن أن نتصرف على منطبق هؤلاء الدعاة ، رائسمارات التى كانوا يرددونها ، والآمال التى كانوا يطلقونها لاجتذاب الجماهير والإنصار • وهذه الشعارات مهمة جدا فى دراسة التفكير العباسى كله فى فترة التحضير للثورة ، وهي أشد أهمية فى فترة نجاح الثورة لأنها ستحكم على العباسيين وهل أطلقوا الشعارات رغبة فى كسب الأنصار أم صدقوا ما وعدوا • وفى الاحكان أن نعرف شعارات الدعوة بدراسة مفصلة لسير الدعاة وما نسب اليهم من أقوال أو أهمال كما رواها الطبرى مثلا ، أو بتصفح كتاب الملل والنحل للشهرستانى ، أو قراءة الرسائل العباسية خصوصا رسائل الخميس •

شعارات الدعاية للثورة:

لكل دعرة أو مذهب شمارات خاصة تنادى بها وتجملها رمزا يؤمن بضرورة تحقيقه و واذا قسنا الدولة العباسية بشماراتها وبالفوائد التي مقتقها هذه الشمارات ، لاعتبرنا الدعوة العباسية من آكبر الثورات في التاريخ العالمي و ولفظ ثورة ولفظ دعاية من الألفاظ المولدة المستحدثة في أيامنا ، ولا بأس من استعمالها جدلا من لفظ الدعوة و

المساواة:

وأول هـذه الشعارات هو شعار المساواة بين الشعوب ، وهو شـعار ساهم في انجاح الشـورة العاسية ، وأنصف الشعوب التي أسامت واستعربت واندمجت في ظل دولة عربيـة اسلامية ومسارت بتغللم الى المساواة • وهذا الشعار في ذاته مبدأ انساني جليل لا تزال الأجيال تتعلق به مند القدم وتتخذه مثلا أعلى و وهو شعار له معنى خاص في حضارتنا العربية الاسلامية ، وهو عدم التقرقة بين الناس بحسب ألوانهم أو دمائهم أو تاريخهم ، والغاء هذا التقسيم المتعارف الى شعوب ، على أساس أن تعدد الشعوب ليس الا ضرورة من ضرورات التعارفيين الناس : وعلى أسساس أن الشعوب قد عمها الاستعراب واندمجت في الحضارة العربية في ظل دولة اسلامية واحدة عزيزة الجانب ،

والواقع أن أساس الاستعراب كان أساسا طبيعيا في دولة ذات حضارة عربية اللغة يعتر أهلها بلغتها المقدسة التي هي لغة القرآن قبل أن تطرأ عليهم بوادر الاستعجام ومقتضياته ، غلا غرق بين غارسي أو تركى أو عربي ما داموا أهل تقوى واعتزاز بأمتهم.

ومبدأ الساواة مبدأ أصيل فى شريعتنا الاسلامية ، لأنه مستند الى القرآن والسنة واجماع الفقها، ، حتى اننا لنعتبر أى خروج عن خط المساواة لابد أن يكون استثناء اقتضته مصالح مؤقتة أو ضرورات مازمة ،

وقد كان من الضرورى أن تسارع الشعوب المستعربة الى طلب المساواة بين الشعوب على المستوى الجماعى قبل المستوى الفردى • ومن البديهى أن يقف الفقهاء الى جانبهم باسم المبادىء الاسلامية الإساسية ، وبقف الى جانب الفقهاء أهل التقوى والصلاح والفروسية من فرسان الثغر ، انتصارا المحدل والسنة وانكارا المجور •

بل ان المطالبة بالمساواة قد تنصرف الى المسساواة بين العرب أنفسهم • مثال ذلك شاعر غارس من عبد القيس في خراسان يسوؤه أن تتمتع قريش بالخيرات دون القيائل الأخرى ويتمنى لقريش الزوال•

ومن الفرس من كانوا يدعون الى المساواة بروح شعوبية ، مثل

القائد الفارسي قدملية حين يقول لحند من خراسان « با أهل خراسان : هدده البادد كانت الآبائدم » •

ومن الدعاة الذين يدعون الى الاسلام من كانوا ينتصرون لبادئه دون أخبار اسياسيه الدولة ، رمن هؤلاء تعرف بعض أسيماء مثل (أبه الدبداء وأبو فاطمة الايادي ، وحسالح بن طريق مولى بني صديمة ، والهيثم الشبياني والربيع بن عمران التميمي ، ونعرف بعض أسماء مشهورة منل يابت شانة الساعر ومثل الحارث بن سربح) (١) . وأبو السيداء وأبسحابه هم الذين كانوا قد حملوا عمر بن عبد العزيز على تة ير المبادى، التي قررت ، وكانوا من الداعين الي الاصلاح والمساواة بين العرب والموالمي . ومن قبيل ذلك معاولة المرى في طريق الاسلاح وتحفيق مبدأ الساواة ، ومساعدة مسلمي الأعاجم على الم. او أه الناملة بالمرب في الحقوق والواجبات ، كان بطلها الحارث بن مديج . وذان من المحاربين الأشداء الأقوياء • يقال أنه كان في مستهل أمره أحدد ثوار الخوارج الغلاة ، ولكنه لم يدع الخلالمة لنفسه ولا بايم غيره عليها ، ثم أخذ برأى المرجئة وكان كانبه الجهم بنصفوان أسهر متكلمي هذه الفرقة ، وكان الحارث نفسه يناظر على مبادئها ، ودعا المرجئة الى التوفيق بين المتحالفين وطرح مسائل الخلاف خسوسا مسألة الامام الحق ليحكم الله فيها ، ونادت الحماعة الثائرة بمبدأ تتنفق عليه كلمة الطوائف المختلفة وهو الدفاع عن حق المساواة • ومعارضة الاستبداد ، ونصرة الحق الذي قدمه الاسلام ، ومحاربة ` الدام والمدف وقد بدأ الحارث وجماعته محاولتهم في تأكيد الاسلاح بالشورة مستفيدا من التذمر الذي شاع في البلاد بسبب ، السنة الأمويين نسم الموالي ومناداتهم باسقاط الجزية-وأشراكهم في المملاء ، وأيده الدهاتينة وأهل القرى ، وكانه نترسم خطـــا أبيي السيداء . واذاك أيسده أسياع أبي الصيداء مثل أبي لماطمة الايادي وبُت بن جرمود الشبي ، غنانت في الحق ثورة عربية تولاها العرب

⁽١) وابوزن ــ الدولة العربيسة ، من ١٤٤ .

لانصاف الأعاجم الذين أسلموا ، واشترك في هذه الثورة عرب من تعيم والأرد ، ولم تكن الثورة الا بزعامة المرجئة فحسب وكانوا يقبلون كل من يؤيدهم في الرأى ، وكانت هده الثورة ارهاصا لنجاح الدعوة العباسية وتأصيلا لجادئها في نفوس الناس ، فقد رقم الراية السوداء في بلاد ما وراء النهر في السنوات الأخيرة من ولاية الجنبد ، وفي ولاية عاصم بن عبد اللبه امتدت الثورة الى مظارستان ثم بلخ ، وضمست التصارات للحسارث بلخارستان كلها ، وتضغم جيش الحارث بعدد انتصاراته تنضغما كبيرا ، فتقدم الى مرو ، وتصدى لهذه الدعوة الى الاصلاح الوالى الأموى أسد بن عبد الله القسرى ، ولم يتخل المحارث عن الوال الأمرى في خدمة قضية الأعاجم فكتب لهم كتبا بسيرته وسياسته وأغراضه في خدمة قضية الأعاجم فكتب لهم كتبا بسيرته وسياسته وأغراضه في احتاق الحق والمحدد والمحدد المحدد الله يقرأون ذلك في الطرق والمساجد،

وعلى هـذا نجد نزعات مختلفة تتستر خلف مبدأ الدعوة الى المساواة ويؤيده المرب بما عرف فيهم من تقديس للمـدل ، ويؤيده الفرس وجميع الموالى لما يتحقق لهم من الكسب و ويؤيدونه أيضا بداغم من العصبية الشعوبية ، ويؤيده بنو المباس تشنيما على بنى امية وطلبا لنفعة البيت المباسي هون اهتمام بنزعات الناس و

الامامة للرضا من آل محمسد:

وكان هذا الشعار غير محدد بتحديد آخر بالنسبة لمامة الناس أما الخاصة غهم يعرفون رياساتهم ولن يدعبون من آل البيت و والعامة والخاصة معا يريدون ألا تبقى الامامة فى بنى أمية ، والشمار ينادى بضرورة نقل الخلافة عنهم واعتبارهم مفتصبين و

ونستطيع أن نجد صدورة لآراء الثوار المعارضين فى رسائل الجاحظ ، ويرى فى رسائله انكارا للاساس الذى أقام عليه بنو أمية خلافتهم وهدو أساس تحقيق الجماعة والفروج بالناس من الفتنة ، والمقيقة فى نظرهم أن الجماعة التى يفخر بها بنو أمية «قهر وجبر وغلبة » وأن بنى أمية وقعوا فى « الضلال والمست » حين حولوا الخالفة الى ملك ، وأنهم حين حادوا عن السس المنصوبة وقعوا فى الكفر ، وأن أول كفرة كانت من الأمة رد معاويه قضية رسول الله فى ولد الفراش واستلحاقه زيادا ، وأن أهل عصر معاوية كفروا بترك اكفاره •

ويشير الجاحظ في رسائله الى طائفة أخرى تقول أن سب ولاة السوء فنتة (أ) وهذه الطائفة لا تستحل سب السلطان الجائر ولا خلمه ولا نفيه ولا عيه حتى لا تكون فتنة •

ويضاف الى أقوال الجاحظ ما أشيع عن يزيد بن معاوية وعن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الشاعر من طعن فى سلوكهما وحبهما للهدو واستهتارهما بالدين والحادهما وزندقتهما وشربهما للخمر (٢) ٠

ويضاف كذلك ما أشبع عن مروان آخر خلفاء بنى أمية من أنه جعدى معطل •

وكذلك وجمه الشيعة عامة (من عباسيين وطالبيين) الطعن الى ولاة بنى أمية وسموهم ولاة الجور ، واشتهر بين النساس استتكار عمر بن عبد العزيز لأغمال عمال السوء ، ومن ذلك كتاب لعمر يذكر ما أصاب أهل الكوفة « من جاور في أحكام الله ، وسنة خبيئة سنها عمال السسوء » •

وعلى أساس تكفير بنى أمية أو على الأقل معاوية ويزيد والوليد ابن يزيد ، واستنكار جور عمالهم ، يجب أن نفسر ما جساء في خطية داود بن على عند البيعة لابن أخيه أبى العباس الملقب تحطأ بالسفاح :
« أذا والله ما خرجنا في هسذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا ولا نعفر،

⁽۱) رسائل الجاحظ : رسمالة في بيسان مذاهب النسيعة ، ص ۱۷۸ - ۱۸۲ · (۲) نفس المسدر ،

نهرا ولا نبنى قصرا ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والتعصب لبنى عمنا وما كرثنا من أموركم وبهظنا من شئونكم ، ولقسد كانت أموركم ترمضنا ونحن على غرشنا ، ويشتد علينا سوء سيرة بنى أهية غيكم وخرقهم بكم واستذلالهم لكم واستئثارهم بقيئكم وصدقاتكم ومفائمكم ، لكم ذما الله وذمة رسوله وذمة المساس رحمه الله أن نحكم غيكم بما أنزل الله ونعمل غيكم بكتاب الله ، ونسير في المامة منكم والخاصة بشيرة رسول الله على الله عليه وسلم » وقال في آخر خطبته : «الا وأنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله على على بن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد » (١) ،

والهم فى هذا العرض هو أن نلمس كيف صار أمر الامامة أمرا نتحمس له الفرق سعيا وراء هدف ، وهدو جمل الاهامة فى أهلها المستحقين لها ، أملا فى أن يكون صلاح الأمة على يد هذا البيت الذي هدو أصلحها ، ونحن نلمس أيضا كيف أن هذه الفرق توزعت الناسل وصرغتهم عن بنى أمية ومهدت الطريق أمام آل محمد ، ولم يكن أعد يتوقع أن يكون الفائز من آل محمد هم العباسيون ،

الدعوة الى الإصلاح:

من شمارات الدعوة المباسية الامسلاح أو الدعوة الى الكتاب والسنة وهو شمار عام ، وهو أشمل من الشمارات الأخرى ، غالمساواة مثلا من مطالب رجال المقت ومن مطالب الشعوبيين ، والامامة كذلك من مطالب آل البيت وشيعتهم ، أما الاعسلاح لهو صبحة الأجيال على المتلاف مذاهيم وأجناسهم ،

وأهم من صاغ هذا المبدأ فىالمشرق المحارث بن سريج التميمي(")،

⁽۱) الطبرى ج ۹ ، ص ۱۲۳ .

⁽۲) كان المرجنة اتجر شانا من الخوارج في خراسان ، و اسد تتخلوا بتبادة الحارث بن سريج في تاريخ المصر الأموى الآخير تدخلا تجسيرا ، وقسد استنكروا كل تمييز للعرب على الموالي المسلمين ،

وجهم بن صفوان (ا) مولى راسب وأولهما تسمى باسم صلحب الفاتة المادلة ، وثانيهما عرف أثباعه باسم الجهمية ، وقد بررت الى جانبهما بعض الأسسماء مقترنة بتفاصيل هامة خاصة بالدعسوة الى الاسلام وبالتمسك ببعض الأصول الاسلامية الخاصة بالجزية ، وبسيرة الولاة والخلفاء ، وباقرار المدالة المثالية ، وقسد أشرنا الى هسذه الأسماء تحت باب شمار المساواة ،

والواقع أن أحداثا كثيرة تركت في النفوس آثارا مريرة ، مثل حصار الكمبة وانتهاك حرمة المدينة المنورة يوم الحرة ، وسفك دماه أهل البيت . وسياسة الجبر والقهـ والاستبداد واضطهاد المعارضـة ، والابتعـاد عن سيرة السلف المسالح ، وحب الترق واللهو وكثرة مذاهره ، وكثرة المذاهب وتصارعها ، وظهور أقوال كثيرة غير مألوفة من قبل ، والاعتماد على المصبية في الحكم مع أن المصبية لم تمنع مثل الحارث بن مريج من أن يدافم عما يراه حقا ،

ويبدو أن جهود هؤلاء الدعاة والأثمة قد تضافرت لنشر هدفه الدعوة ، ومصداق ذلك دراسة ما رواه صاحب الأخبار الطوال (٢) عن الذين انضووا تحت لواء أبى مسلم وبايموه ، وقد جاعته الوقود بن مدن خراسان كلها ، ومن القرى الصغرى ، ومن أهل الشغور من كرمان وكابل وخوارزم وجرجان والديلم وأهل ما وراء النهر وأهل مخارسان ، بل آمن العرب بهده الدعوة ودخلت غيها تبائل عربية مثل خزاعة وطبىء وبكر وتفلب وتديم ، وبالطبع اتشرت الدعوة في المالم الاسلامي كله ولكنها تركزت في اليران بعامه وفي خراسان بخاصة ،

⁽۱) الشهرستانى: الملل والنحسل ، من ٦٦ - ٧) في حديثه من الجهميسة .

⁽۲) الدينوري ، ص ۳۹۰ . «

انتشار الاسلام في إيران

حاول الدعاة العباسيون اسستغلال التيار الاسسلامى فى ايران وايجاد نوع من التحالف الوثيق بين الدعسوة العباسية وبين هسده القوى الاسلامية فى ايران •

وهو موضوع يتطلب الزيد من الاهتمام والمناية ، لأنه يفسر القوى الايرانية الصاعدة نحو القوة والتي أيدت الدعوة المباسية ، ليمضى النفوذ الايراني صاعدا في حركة مطردة نحو القوة السياسية والاحياء النقافي ،

ولا شك أن الثورة العباسية ثورة ايرانية انبعثت من خراسان ووجدت صدى ومنطلقا فى مدن ايران وريفها ، وخرج المسد الثورى منها الى كاغة الجهات الاسلامية ، وأن العباسيين بعد نجاح ثورتهم كانوا من أحرص ما يكونون على ايران وعلى ولاء أهلها ،

وأنهم كانوا يلجأون الى الخراسانية كلما احتاجوا الى سند من القرة ، فقد لجأ المأمون مثلا الى الخراسانية فى نزاعة مع الأمين ، ولجسأ المعتصم الى الأتراك حين أجس بحاجة الدولة المباسية الى دم جديد ، وموضوع انتشار الاسلام فى ايران اذن موضوع مهم يفسر أحداث الثورة المباسية وأسباب نجاهها •

فلابد من أن نعرض لهذا التيار الاسلامي الدافق الذي استغله الدعاة ، ونلاحظ أن هنالك صلة قوية جدا بين المورات الايرائية وبين انتشار الاسسلام ، ولم تكن الثورة العباسية بداية الثورات الايرانية أنما كانت أكثرها تنظيما ونجاحا ، واستفادت الى حسد بعيد عن الثورات السابقة ،

على كل حال نستطيع أن نقــول ان من مظاهر هــذه الـــــركة الاسلامية زيادة أعداد السلمين وبداية اشتراكهم في الــــياة الاسلامية المامة . ففى عدر الراشدين بدأ الايرانيون يدخلونالاسلام وخموصا تصمد من هذه الطبقات وتنتشر بين الطبقات الأخرى وخصوصا الطبقة تتسعد من هذه الطبقات وتنتشر بـ بنالطبقات الأخرى وخصوصا الطبقة الأرستقراطية .

وما ذاله العصر الأموى بيسداً حتى كانت الصركة الإسلامية في ايران قبد قطعت شوطا والمصاعا نحو الظهور ، لهني مدينة الكوفة عام المواني المسلمون بأول ثورة اسلامية سنة ٣٤ هر (١) في عهد الوالى المفيرة بن شعبة ، واضطر معلوية بن أبي سفيان الى أن يواجه هذه الحرثة الاسلامية الآخذة في الظهور ، غممل على تهجير طبقات من الجالى وحملهم على الاقامة في بلاد الشام (١) .

وفى نفس هذا العصر وضحت الحركة الاسلامية أيضا فى ناهية أخرى . هى اشتراك طبقات من المسلمين فى الجيش الاسلامى وخصوصا فى عبسد زياد بن أبى سفيان الذى اتنصد من الموالى جيشا . سماه « المحاربة » وعدته اثنا عشر ألما (أ) .

ونعتقد أن الحركة الاسلامية مضت قدما بعد معاوية ، وأنها بدأت تزداد ونوحا فى عهد يزيد بن معاوية وبعد وغاة يزيد بقليل ، والدايا على هدذا صنتمد من حوادث المجتمع الايرانى فى عهد يزيد وفى عبد خاطئه ، ذاك أن المسلمين من الايرانيين زادت اعدادهم زيادة واضحة ، فى الوقت الذى رأوا غيه الطبقات العربية تتضاعف امتيازاتها

١١١ ةلهوزن -- الدولة العربية ، من ٧٧٦ ، يقول غلهورن :

[&]quot; أن أستالط الدولة المربية لم يات من أهل ما وراء النهر الذين بقسوا على موراء النهر الذين بقسوا على عجمتهم وعلى عدائهم للمسرب ، بل جاء من قبل من أسلم من أهسل عرب أمر السيادة المربية مستندين الى الاسلام ، والاسلام هو الذي جهسم كلمتهم وكلمة أولئك العرب الذين كاتوا يعارضون حكومة إلى أياة بهذا مين بالمسادى ، التي يجب أن تقسسوم عليها الدولة الأدوة رادايسة في ناسر الاسلام » .

⁽٢) البحقويي ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

⁽٣) ابن تنببة : الإمامة والسياسة ، خ ٢ ، ص ٢٠ - ٢٢ .

بمضى الوتث فى جميع النواحى العسكرية والادارية والاجتماعية ، بل حتى فى الناحية الاقتصادية .

وقسد بدأ الايرانيون في هذا الوقت أيضا يصبحون قوة مرجعة ذات وزن كبير في العياة الاسلامية ، والدليل على هذا موقف الايرانيين المسلمين من ثورتين عارمتين حدثتا في هذا المهد : هما ثورة الزبيريين ، ثم ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي و ولا تعنينا تفاصيل هسده الثورات ، انما الذي يعنينا هو مدى اشتراك عنصر الوالي فيها تعبيرا عن سخطهم والتماسا لمتهم الطبيعي في المساواة ، وقسد اعتقد الايرانيون المسلمون أن الفرصة مواتية والصف العربي منقسم على نفسه ، غيدوا يستعلون الثورة الأولى وهي ثورة الزبيريين ،

ونكاد نامح من مصادر المصر شعور الايرانيين المقيقى ووزنهم المشيقى في ترجيح كفّة الطرفين المتنازعين • فواضح أن الايرانيين المسلمين بعثوا الى عبد الله بن الزبير يطابون الدخصول في دعوته ، وهم يعتقدون أن الدخول في هذه الدعوة ربما يعطيهم معض المحقوق التي لم يستطيعوا المصول عليها في ظل الحكم الأموى •

وكان عبد اللسه بن الزبير وأنصاره من قصر النظر بحيث لم يستطيعوا الاستفادة من هسده الثورة الجسديدة النامية ، ثورة الايرانيين المسلمين ، التي بدأت تظهر على مسرح الموادث في ايران المي جلنب القوة العربية صاحبة السلطان ، ونعتقد أن غشل الزبيريين في الاستفادة من هذه التطورات يرجع اليه ما أصابهم من الحفاق ومن استطاعة الأمويين القضاء على حركتهم ،

غير أن هـذه القوة الاسلامية النامية ظهرت بصورة واضحة فى ثورة المختار بن أبى عبيد الثقفى • فقد كانت هذه الثورة تهدف الى المطالبة بشار الحسين الذى قتل على يد يزيد بن معاوية ، فكانت فى المقيقة ثورة شيعية ، ويدأت تلقى تأييدا من عنصر الموالى ، وكان

هذا التأبيد بداية التحالف المعروف بين الفرس وبين الشيعة ، همذا التحالف الذى سوف يؤدى الى نجاح الثورة العباسية والى قيام الخالاغة الماسعة ،

المهم أن المختار هذا استطاع أن يستفيد من هذه القوة النامية وأن يعتمد عليها ، وقسد اشترك في ثورته نمو ٢٠٠٠٠ من الفرس المسلمين (١) ، ورغم أن هذه الثورة لم تحقق أغراض الايرانيين كاملة ، الا أنها كانت بمثابة التعبير الأول عن أهداههم الثورية ، وعن رغباتهم المتزايدة في التعدر والمحسول على خقهم الشورع في المساواة ، والمؤرخون يجدون شبها بين هذه الثورة الفارسية الأولى وبين ثورة أبى مسلم غيما بعد ، غكلتاهما تعبير عن وجهة النظر الفارسية .

وييدو أن هدذه الحركة الاسلامية قطعت شوطا آخر في طريق التقدم ، وظهرت ظهورا أوضح خصوصا في عصر عبد الملك بن مروان ، وفي عصر الحجاج بن يوسف الثقفي ، وسنتخذ حوادث عصر عبد الملك وعصر الحجاج مقياسا لهذا التطور الاسلامي العظيم .

ونمتقد أيضا أن الأمويين فى هـذا المهد بدأوا بواجهون حركة اسلامية كبرى وتيارا اسلاميا دافقا و ودليلنا على هـذا مستعد من السياسة الأموية فى عهد عبد الملك وخصوصا السياسة الاقتصادية التي بدأ المجاج بن يوسف الثقفى يطبقها فى ايران ، همثلا تبين أن المركة الاسلامية النامية تهدد الاقتصاد الأموى تهديدا خطيرا ، بعدأت الجزية يتناقص مقـدارها بالتدريج ، بل بدأت تختفى باعتبارها موردا من موارد بيت المال ، ولمل هذه العقيقة هى التى دفعت الأمويين ودفعت الحجاج بن يوسف الى ابقاء الجزية على من أسلم ، لأن المركة الحجاج بن يوسف الى ابقاء الجزية على من أسام ، لأن المركة الاسلامية المغليمة كانت تبدد هذا المصدر تبديدا خطيرا (٢) ،

الطبرى ، ج٠٧ ، ص ١٥٩ .

۲۵ الطبرى، ج۸، مس ۲۵ ،

وكان موقف الشعب الايرانى المسلم من هدف السياسة بدل في وضوح على مدى زيادة التيار الاسسلامى ، اذ المروف أن الرأى العام الاسلامى في ايران لم يرض عن هذه السياسة ، وبدأ عدم رضائه عنها يتخذ شكل ثورات أو حركات سياسية أشد وضوحا من الحركات السابقة ، وأشسد قوة منها وأوضح نتيجة من الحركات السابقة ، وغصوصا الثورة المنسوبة الى عبد الرحمن بن الأشعث ، فكانت ثورة ابنالأشعث ثورة غارسية حقيقية تتناسب ممزيادة التيار الاسلامي()،

والدليل على هذا أن الذين اشتركوا في حوادث هذه الثورة بلغ عددهم نحو ٢٠٠٠٠٠ من المقساتلين الايرانيين ، وانضم اليهم بعض الحريصين على مبادىء الاسلام من العرب وخصوصا غقهاء المسلمين()،

⁽١) أبن عبد ربه: المقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ٢١٦ .

⁽٢) عن ثورة ابن الاشمعث: اتظر : الميعترسي ، جـ ٣ ، ص ٢٢ .

 ⁽٣) يذكر الديبورى أن ابن الأشعث انضم آليه الشيعة والفوارج والقسراء والعباد والسيحيون بل انضم البهم الاساورة والزط.

أو طبقة حفاظ القرآن الكريم ، فهم الذين اشتركوا في هذه الثورة مم أهل البلاد على قسدم المساواة .

وكان من الطبيعى أن هدده الحركة الاسلامية سترداد وضوها وشدة بعد عهد المعالج وعهد الوليد ، ولدينا أيضا أدلة مستمدة من حوادث المصر الأموى أو من سياسة المصر الأموى بعد عصر الوليد ابن عبد الملك ، فمثلا نلاحظ أن السياسة الأموية في ايران بعد عصر الوليد تتسم بظاهرتين : الظاهرة الأولى يمكن أن نسميها ظاهرة المتراجع عن السياسة السابقة ، والثانية سياسة الاعتراف بالأمر الواقم والتمثي مم الحركة الاسلامية المطردة ،

أما المظهر الأول وهو مظهر التراجم فقد وضح في عهد سليمان ابن عبد الملك ، وبدأت الدولة الأموية تغير من سياسسة المجاج (") ليس كرها في المجاج بقدر ما كان محاولة لاسترضاء طبقات المسلمين ، فمشد لا عزلت الدولة الولاة الذين عينهم المجاج ، وأطلقت آلافه الايرانيين من سجون البصرة والكوفة ، وأشركت الايرانيين المسلمين في الجيش الاسلامي ، وضوعف المطاء حتى بلغ نصيب الفرد كل شهر نموا من ٢٥ درهما (٢) ، كما بدأت في نفس الوقت تعدل عن مقاومة الهجرة بالأساليب المنيفة التي ظهرت في عصر الحجاج ، كما بدأت من ناحية أخرى تطفف من وطأة الظاهرة الاقتصادية ،

حتى اذا جاء عهد عمر بن عبد المزيز وضح المظهر الآخر « وهو سياسة المسالمة » أو الترضية ، وأهم ما يلاحظ أن هده السياسة لم نكن من وحى أخلاق عمر وتقواه خصب ، انما كانت مواجهة لتيار أسسلامي كبير ، اما أن تترضاه الدولة واما أن تسقط تحت وطأته »

۱۰ ابن الأثير: الكابل ، جه ، س ۱۰ .

⁽٢) ابن عبد ربه: العند القريد ، ج ٤ ، ص ٠ ؟ ·

⁽م ٣ - المالم الاسلامي في العصر العباسي)

فامتازت سياسة عمر بن عبد المسزيز (١) بأبها سياسة التوقيق بين التيار الاسلامى وبين المسالح الأموية الرئيسية ، واندليل على هسذا سياسة عمر بن عبد العزيز الاقتصادية التي يمكن أن نمسميها « سياسة أنصاف الحلول » ومظاهرها أن الجزية لا تغرض على المسلمين انمسا تضاعف على من بقى على دينه الأول ، والخراج يقل على المسلمين ، وتقسوم الدولة بمضاعفة الخراج على أهل الذمة ، وأغرب من هسذا أبي عمر بن عبد العزيز بييح الماكية للمسلمين ، وهسو في نفس الوقت يصدر قانوثا بتحريم بيع الأرض للمسلمين ، فاذن هي سياسة التوقيق يمتاز بين التيار الاسسلامي وبين المسالم الأموية ، وان كان عهد عمر يمتاز في منطقة آسيا الوسطى ،

ومضت الحركة الاسلامية فى طريقها بعد عمر بن عبد العزيز (٣) وبدأت تتخذ صورة جديدة أو شكلا جديدا ، هو التحالف بين الحركة الاسلامية وبين الدعوة الهاشمية سواء للعلويين أو للعباسيين ، ومضى التطور حتى اكتملت الصورة سنة ١٣٧ م بنجاح الحركة الاسلامية ، ومعها نجاح الدعوة العباسية ، وبداية ظهور الايرانيين المسلمين على مصرح الحوادث ،

ونحن نريد بعد هذا وبعد أن عرفنا كيف انتهى التطور الى هـذه الماتمة ، أن نعرض للنتائج الهـامة التى ترتبت على هـذه الحقيقة التاريخية الكبرى •

⁽۱) عن سياسة عبر بن عبد المزيز في العراقي وايران . اتظـر الطبرى > ج لا > ص ١٣٦ ، وابن للحكم ، مسيرة عبسر أبن عبد العـزيز ، ص ٩٦ ، وغلهوزن ، ص ٢٥٩ ــ ٣٠٢ ، وابن الجوزى . ماتب عبر بن عبد العـزيز ، ص ٥٤ ، ع

⁽٣) فكـر يحيى بن آدم ٤ ص. ٤٤ « أن عصـر بن عبد العزيز تمفض تحويل الضـزاج على قوم دخلوا في الإسلام إلى همر وأته فوق فلك اعلن أن من بتى عنهم على جدوله يدنع ما كان يدفعه من قبل وأن من يهاجر الى المدن قرد أرضه أنى أهن القـرية » .

اذن كانت الحركة الاسلامية في ايران أسرع منها في أي قطر: آخر ، لمقد كانت سنة ١٢٣ ه هي سنة هدذا التحول المخليم في تاريخ ليران ، على حين تم هدذا التحول في مصر في سنة ٢٥٤ ه مع ظهور، الدولة الطولونية (١) .

وفي حديثنا عن أهم الموامل التي ساعدت على انتشار الاسلام في ايران وأتاهت له غرصا كثيرة للنجاح ، نستقد أن أهم هذه الموامل هــو ما يمكن أن نسميه بالسياسة العامة للدولة الاسلامية في ايران بعد المفتح ، هــذه السياسة التي وضعت أصواعا زمن الفتح أو بعده بخلسل ه

وهـذه السياسة تتألف من أركان كثيرة ، وأهم ما هيها مسألة مماملة أهل الذمة من جميع الوجوه ، لأن هذه الماملة سنكون من أهم الأسباب التى تعيى، الذهبين نفسيا لتقبل الدعوة الى الاسلام والاقبال على المضارة العربية ، والمروف أن الدولة العربية كانت سياستها تنبع من الماهدات وعقود الصلح التى عقدت مع المدن المقتومة ، غمثلا الماهدة التى عقدت مع الميرة ومع الرى ومع مدينة طبرستان واذربيجان وغيرها من المسدن الايرانية ، ونصوص هـذه الماهدات موجودة فى كل من البلاذرى : « فتوح البلدان » (٣) ومحمد بن جريو المبرى: « تاريخ الأمم والملوك » .

هدد المماهدات كلها تكاد تتجه اتجاها واحدا وتنبع من مصدر راحد ، وكلها تتضمن منح أهل الذمة من الايرانيين حرياتهم الدينية ذلك أن المجوس اعتبروا أهل ذمة على قدم المساواة مع الديانات الأخرى ، وغوق هذا منحوا أيضا الحريات المدنية ، وتكفل المسلمون بعماية هؤلاء الناس وتوغير أسباب الطمانينة لهم ، وذلك في مقابل

 ⁽۱) ارتولد: الدعوة الى الاسلام ، مس ۱۲۳ - ۱۲۸ .
 (۲) البلاذرى : متوح البلدان ، مس ۲۲۲ ، ۲۵۲ ، ۲۹۲ ، ۲۹۹ .

واحد هو دفع الجزية (') ، وهذه الجزية كانت نتراوح كثرة وقلة بين الغنى والمقير ، وتعفى منها طبقات كبيرة من الناس •

وهذه المقود غوق هذا أعلت أهل الذمة حقوقا لم تكن متوفرة لهم من قبل • والى جانب ذلك كله تضمنت هدذه السياسة استخدام الايرانيين من غير المسلمين فيوظائف الدولة الادارية وخصوصا الوظائف المالية ، لأن ايران كانت بها طبقة تسمى «طبقة الدهاقين » عرفت بمهارتها المسالية وبقبوغها في أعمال الخراج واطلاعها على الأسرار الادارية والمسياسية (٢) هؤلاء الناس استخدموا في عهدد الراشدين واشتد استخدامهم في عهد الأمويين •

وغوق هذا أبقى العرب على التنظيمات الادارية ، غمثلا سجلات الضرائب ظلت في ايران تكتب باللغة الفارسية نحوا من خمسين سنة ، وخلات في منطقسة خراسان تكتب باللغة الفارسية بعد الفتح بنحسو ١٠٠ سنة ، وغوق هــذا أيضا استخدم العرب نفس العملة الفارسية المنديمة ، غبقى الدرهم الفارسي بنفس المسورة القــديمة أساسا للمعاملات المانة والاقتصادية (٢) ،

هذه هى روح السياسة العربية واتجاهاتها ، ومما تجب الاشارة اليه أن هذه السياسة طبقت قصا وروحا في عصر الراشدين ، وجميع الونائق العربية المتملقة بايران في المصر الاسلامي كلها تجمع على ذلك ، وهذا لم يكن غربيا ، فقد كان عهد الراشدين هو عهد المثالية الاسلامية وعهد الدعوة الى الاسلام ، بل هناك من الشواه، ما يجمئنا نخالف اجماع المؤرخين من أن العصر الأموى كان خروجا على هدد المبادى ، مقد ثبت أن الأمويين حافظوا على روح هدده السياسة . وظل التسامح المديني مستمرا وقتا طويلا ، وبقيت عقدود الصلحكم هي دون أن تتمير ،

⁽۱) البلاذري: متسوح البلدان ، ص ۲۱۵ .

⁽٣) البلاذري : متسوح البلدان ، من ٣٦٥ وغلهوزن ، من ٢٦٩ .

⁽٣) . الكرملي : النقسود العربية ، من ١٦ .

بل توسع الأمويون في استخدام أهل الذمة في وظائف الدولة . وكل ما يؤخف عليهم هو أنهم نحوا نحوا ماليا في مضاعفة بمض المضرائب لاعتبارات تطلبتها حياة المصر ومشاكله ، ويكفى أن يقال ان عهد عمر بن عبد العزيز كان عهدا اسلاميا مثاليا ، وسنرى أنه سيكون له شأن في تطور المركة الاسلامية .

واذا كان الأمويون قد حافظوا على هذه الروح فبالتالى حافظ عليه المباسيون ، فقد كان العصر العباسي هو عصر النفوذ الفارسي على نطساق واسع ، وأصبح الفرس أو الايرانيون هم العامل الموجه للحياة الاسلامية كلها ،

وقد كان هذا التسامح الاسلامى ذا أثر كبير في الاستعداد النفسى لأهل ايران ، لأن الاضطهاد دائما هو الذي يبيح للديانات البقاء ، وما من دين اضطهد الا وانتصر ، أما العرب هانهم تركوا للاسلام القرصة لأن يلتقى سلميا مع الديانات الأخرى ، وأتاح لهدف الديانات ولغيرها الفرصة للمقابلة بين ما عند الاسلام وبين ما عندهم و ونمن نمتقد أيضا أن أغلب الاستجابة للاسلام كانت عن اعتقاد ، والدليل على هذا أن طبقات المسلمين من أهل ايران هم إلذين تولوا الدلهاع عن الاسلام بعد أن تسلموا زمامه وقد دافعوا عنه كما دافع عنه المصرب ،

وكذلك كان للاعفاء من الجزية الذى قررته التقاليد الاسلامية أثر، عظيم ، لأن الجرزية فى البران كان لها مفهوم غير الجزية فى البلاد الأخرى ، هكانت الجزية فى مصر البيزنطية يفرضها شمع غالب على شمع مفلوب ، أما الجزية فى ايران الساسانية هقد كانت نظاما يفرض على الساسانيين انفسهم ، هكانت غرص الاعفاء تجمل طبقات ككيرة من الفقراء تستجيب للحركة الاسلامية ،

ونلاحظ مثلا في عهسد عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسخة سخطا عظيما من المسلمين على محاولات الدولة الأموية ابقاء المجزية على من أسلم ، وشارك في هذا السخط العرب ورجال الدين ، وانتهى الأمر بأن أعفوا من الجزية في عهد عمر بن عبد العزيز ، على كل حالا كان عامل الجزية هذا من العوامل التي كان لها أثر كبير في تقرير موقفة الفلامين والعمال من المحكم الاسلامي ، ومن المقيدة الاسلامية .

ويمكننا أن نضيف الى هـذا كله موقف الدولة الاســــلامية من موضوع الخراج وموضوع ملكية الأرض ، فقد كان موقف الدولة من هـده المناحية يمثل في نظر الايرانيين المامرين تطورا بعيد المدى ، لأنه تضمن القفـــاء على الاقطاعية الساسانية ، وتحرير الملايين من الناس الذين كانوا بعيشون عبيدا المارض وليس لهم من المقــوق الا الممل الشاق المتواصل ،

غجاء موقف الاسلام أو موقف المكومة الاسلامية من تقرير مبدأ الصيازة والملكية لكاغة الفلامين الذين كانوا محرومين منها ، تطورا بحيد الحدى ، وصحب هذا التطور غرض ضريبة الخراج وهى بالقياس الى الضرائب القدمة كانت خفية العب (') غاذا كانت المكومة الاسلامية تمنح أهل الذمة هذه المقوق خالأولي تتضاعف هذه المحقوق باللدخول فى الاسلام ، والايرانى اذا أسلم كان يستبدل بنظام الجيازة نظام، التملك ، ويستطيع أن يملك الأرض ويتصرف غيها بالبيح أو الشراء أو بالهبة أو الوصية ، وذلك كله فى مقابل دغم ضريبة العشر غقط ه

وقد كانت هذه السياسة بعيدة الأثر في تطور الحركة الاسلامية ما في ذلك شك وقد حاولت الدولة أيضا في عهد الحجاج بن يوسف وعهد عبد الملك أن توقف هذا التطور ، ولكنها لم تستطع أن تغالب التيار الاسلامي الذي كان يشتد سنة بعد سنة ه

والى جانب موضوع الفـراج وملكية الأرض ، هنالك موضوع فرض العطاء من بيت المـال ، اذ أنه كان من المفروض أن الايرانيين

⁽۱) انظر البلاذري : أمر البطائح ، ص ۲۹۰ - ۲۹۲ .

اذا أسلموا من حقهم أن يشتركوا فى الجهاد وقد اشتركوا لهيه ، فالجيش الأموى كان به غرق من المسلمين من أهل الذمة ، وهذه الفرق شاركت المسلمين العرب فى حركة الجهاد واستطاعت أن تدافع عن الحدود الايرانية ، وأن تدافع عن حدود الاسلام ، وغرض لهم المطاء من بيت المسال ، فكان هذا المطاء فى عهد معاوية نحو ٢٥ درهما للفرد فى الشهر (١) الى جانب النفتات الأخرى ، وكان هذا المطاء يتضاعف بمضى الوقت ، وكان همذا الجهاد وما يترتب عليه من عطاء من أهم العوامل التى كانت تساعد على نمو الحركة الاسلامية وكثرة الدلخلين فى الامسلام •

وفى جتام هذه النتائج يجب ألا ننسى موضوع المحافظة على النظم الادارية والابقاء على الموظفين من أهل البلاد ، وهذه السياسة كان لها أثر عظيم جدا وخدودا فى موقف طبقة البيروتراحلية أو حلبقة الموظفين ، هذه الطبقة تاثرت الى حد كبير بهذه السياسة الاسلامية ، واذا كانت قد استطاعت أن تحتفظ بوظائفها مع احتفاظها بدينها القديم عانها اعتقدت أن دخولها فى الاسلام سيضاعف من هذه الحقوق ، وهذا ما حدث فملا (٢) • ذلك أن اسلام أهراد هذه الطبقة كان يضاعف من حقوقها ويزيد من تمكنها من النواحى الادارية ، ويرى المستشرقون أن هؤلاء الناس لم يكونوا يدخلون فى الاسلام فحسب ، انما بدأوا المحافظة على أوضاعهم ولزيادة حقوقهم يتخذون أسماء والقابأ عربية وللمحافظة على أوضاعهم ولزيادة حقوقهم يتخذون أسماء والقابأ عربية و

والبلاذرى على وجه الخصوص يضرب أمثلة للإسماء التى التخذوها مثل (أبو مسلم وأبو عون وغيرها من الألقامية الأسلامية) ، وقد ظنوا أن استعرابهم على ههذا النحو ربما يزيد من اتصالهم بالمحكومة العربية () ، ويزيد بالتالي من امتيازاتهم ، بل نستطيع أن نؤكد أن هذه السياسة تسللت الى نفوس الطبقة العليا من المجتمع ،

⁽۱) ابن مبد ربه : المتد النسريد ، ج) ، ص ،) ،

⁽۲) البلاذري : نقسل ديوان الفارسية ، ص ۲۹۸ .

Browne, Literary History of Persia, pp. 127-135. (7)

طبقة الأرستقراطية ، ولدينا من الشواهد والأدلة ما يثبت أن الكثيرين من الأستقراطية المارسية دخلوا فى الاسلام ، واتخذوا أيضا أسما، عربية تمهيدا لاشتراكهم فى الحياة الاسلامية ،

ولا ننسى الفسرق الواضح بين تشريمين : التشريع الايرانى الرسمى الذي يتمثل في الزرداشتية ، فهى لم تكن دينا هحسب ، انما كانت تنظيما للحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ثم التشريع الاسلامي وهـو بدوره لم يكن تشريعا دينيا هحسب ، انما كان تشريعا اجتماعيا واقتصاديا ، ويكفي أن نبين ببساطة الفسرق الواضح بين اتجاهى التشريمين ، وأثر هـذا المفرق في نفسية الشعب الايراني ، وأهم ما نلاحظه أن التشريع الايراني كان تشريعا طبقيا بمعنى أنه يعطى نظام الطبقات طابع القداسة ، ويفرض على غالبية الناس أن تعيش عيشة اجتماعية في حدود مرسومة لا يمكن أن تتخطاها ، فقد كان من المستميل أن يتم الانتقال الطبقي من فئة لأخرى (ا) ،

والاسلام نزعة نحو المساواة والقضاء على الطبقية • وهي نزعة كانت أشد وضوحا على الإقل في زمن الفتح وفي زمن الراشدين ، واتجاه الشريعة الاسلامية الى هذه التسوية بين الطبقات كان له أثر نفسي بعيد المدى. في الطبقة الثالثة ، طبقة العمال المدنيين وطبقة الفلامين ، فهي أسرع الطبقات دخولا في الاسلام واستجابة له •

وهنالك فرق واضح أيضا بين التشريعين فى موقف كل منهما من تظام الأسرة ، باعتباره نواة للتشكيل الاجتماعى ، غالمروف أن التشريع الايرانى القديم كان ينزل المرأة الى مستوى العبيد ، ويكاد يحرمها من جقوقها الدنية وحقوقها الاجتماعية ،

وكان هذا التشريع يجيز نسب المولود لغير أبيه ، ويجيز أشياء الخرى لا تعمل على تقوية روابط الأسرة انما تساعد على انحلالها ونفندها • أما التشريع الاسلامي نهو يعطى الأسرة مكانا وانسحا في الحيساة الاجتماعية ويعطى المرأة حقها الكامل في النواحي المدنيسة والاجتماعية و ولا يعترف بالأبوة الا على أساس الدم وأساس النسب.

وهناك فرق آخر فى التنظيم الاقتصادى فى التشريعين الابرانى والدرائمي مدا المرق هو أن التشريع الايراني فى الناحية الاقتصادية يفوم على نظربة الإحتدار ، واعطاء على الحقوق الاقتصادية لطبقات معينة من الجتمع ، ثم حرمان غالبية الناس من حقها الطبيعى فى الحياء الاقتصادية ، هذا فى الوقت الذى تتجه هيه الشريعه الاسلاميه اتجاها اشترائيا وأضحا ، قوامه التكافل الاجتماعى والاقتصادى ، والمساواة ، والمهاواة ،

أما أهم هذه الموامل وآخرها أبه الهجرات العربية الى ايران واستقرار العرب في هذا الوران واقامتهم لهيه ه

والمؤرخون الذين عرضوا لمخسوع انتشار الاسلام فى ايران و يمتقدون أن عامل الهجرة العربية كان من أهم العوامل وأقواها (١) و وهذا العامل يرجم اليه الفضل فى نشر الاسلام ليس فى ايران فجسب الما فى جميع البلاد الاسلامية . ذلك أنه من المعرف أن الفتح المربى لايران ولفيرها من البلاد الم يكن فتحا عسكريا فحسب : انما كان لايران ولفيرها نه بمعنى أنه كان يمثل هجرة بشرية كبرى ، وردل على هذا منظرة فاحصة الى الجيش المدربي الذي قام بفتح ابران في عهد عمر بن الخطاب ، فقد كان هذا الجيش يتألف من جميع القبائل المربية المستركة فى الجهاد على قدم المساواة ، وأهم من هذا أن المقاتلة العرب كانوا يحسحبون معهم أسرائهم وذويهم ، وكان الفتح عادة يعقبسه استقرار للمنصر المربي في البلاد المفتوحة ،

وقد استمرت الهجرة العربية بعد عمر بن الخطاب، ووضحت

⁽۱) البلانري : ۲۷۲ ، ۲۲۴ ، ۲۲۰ ، ۳۰۰ .

في عهد عثمان ، ويكهى أن نذكر أن الثورة الكبرى الني أطاحت بعثمان جاحت من طبقة المقاتلة أو طبقـة المهاجرين التي زادت زيادة كبرى في عهد عثمان ، ولم يتوقف تيار الهجرة بعد عثمان ، انما استمر طوال العصر الأموى ، غفي عهد معاوية مثلا حدثت هجرة الأزد الكبرى ، فقد هاجر الأزد واستقروا بمنطقة خراسان ، وأصبحوا عاملا هاما في تشكيل المعياة السياسية والاجتماعية في هدذه المنطقية ، ويرى الدارسون أن منطقة خراسان وحدها تجمع غيها من العرب نحوا من وحدما تجمع غيها من العرب نحوا من وحدما تجمع غيها من العرب نحوا من وحدما تجمع غيها من العرب نحوا من وتوطين العنمر العربي ، واسكان هذا المنصر في مختلف أنحاء ايران ، وكانت سياسة مرسومة وضحت الى أبعد الجدود وخصوصا في عصر عبد الملك بن مروان ، وما كاد القرن الأول المجاج بن يوسف وعصر عبد الملك بن مروان ، وما كاد القرن الأول المجاج بن يوسف وعصر عبد الملك بن مروان ، وما كاد القرن الأول المجسرة ينتهي حتى انتشر العنصر العربي في ايران كلها من أقصى الشرق الى أقصى الغرب (١) ،

على أن المهم فى موضوعنا هذا ليس هو انتشار المنصر العربى على هذه الضورة من الاتساع ، انما المهم هو التقارب التدريجي بين المنصرين : بين المنصر العربي والمنصر الايراني ، ولا نستقطيع أن ننكر أن المسرب فى عصر الراشدين كانوا طبقة استقراطية تتفرغ للحرب والجهاد ، انما بدأت المطوات نحو الاقتراب بين المنصر العربي والمنصر الايراني طوال المصر الأموى .

ونستطيع أن نعدد ملامح هذا الاقتراب ووسائله والمنتائج التي المتحت اليه م فقد تم هذا الاقتراب في الدينة والريف على هد سواء ، فقى المدن القديمة ، مثلا الرى وأصفهان ، كان المسرب الوافدون ينزلون في المواقع الاستراتيجية في هسذه المدن ، ويتعاونون مع أهل البلاد ويختلطون بهم بمضى الزمن : أما في المدن الجديدة التي أنشاها العرب في العراق وايران مثل المحرة والكوفة ، فبرغم أن سكانها كلهم

 ⁽۱) البلاذری: غراسان ، ص ۳۹۹ ــ ۹۰۹ .
 اتظر ایضا غلهوزن : الدولة العربیة ، مس ۳۸۰ ــ ۲۲۷ .

كانوا من العرب الا أنها شهدت ظهور احياء جديدة هاجر الميها المسلمون من الفرس ، يعملون فى خسدمة الطبقة العربية خصوصا فى الأعمال اليدوية والمشروعات الصناعية (ا) .

وكانت طبقة المهاجرين الى الدن الجديدة يزيد عددها باستمرار ، وكان موضوع الهجرة مدذا من أهم المساكل الاجتماعية التى عمل الأمويون على حلها ، والى جانب هدذه المدن الجديدة والقديمة ، الأملاط بين العرب وبين الايرانيين فى الاقطاعات الكبرى المنتشرة فى المناطق الريفية ، وكانت وسيلة هذا الاختلاط بين طبقة العرب من ناحية وأهل البلاد الأصليين من ناحية أخرى ، هى الزواج وخصوصا ذاهرة الزواج بالكتابيات ، وترتب على هذا الزواج نشأة طبقة جديدة من المولدين آباؤهم عرب وأمهاتهم من غير العسرب ، وكانت طبقسة المولدين هذه يزداد عددها باستمرار وستصبح عماد الحركة الاسلامية فى الران ، بل هى عماد التعاور الاسلامى فى الوطن الايرانى كله ،

وما لبئت الطبقة العربية الواغدة أن قلدت مظاهر الحياة الاجتماعية ، وبدأوا يستخدمون نفس الأساليب فى الحياة ، وفى اللبس ، وفى طريقة المبشة ، وفى الاحتفال بنفس الأعياد المفارسية القديمة ، وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول أن المهجرة العربية هى المتى ساعدت على التقرب الطبيعى بين العرب والفرس ، بل هى التى ساعدت على تطور الحركة الاسلامية واشتدادها ٥٠

مساوىء الحكم الأموى

أما الأمر الثالث الذي أغاد منه الدعاة العباسيون أتم غائدة ، غهو تجمع طاقات عظيمة من السخط في نفوس الايرانيين على المحكم الأموى ومساوئه ، وقدر لهذه الطاقات أن تبلغ أقصاها في المفترة الأخيرة من المدسر الأموى ، أي منذ عام ١٠٠ ه حتى قيام الثورة

⁽¹⁾ البسلاذري : فتسوح البسلدان : تبصير الكوفة ، ص ٢٧٤ .

العباسية ، ومن الفريب أن تنشط الدعوة العباسية المنظمة مند عام ١٠٠ م على وجه التحديد ، فى الوقت الذى وضحت غيه سياسة التراجم الأموى أمام التيار الاسلامي الصاعد .

استطاع الدعاة الساسيون غمالا أن يفيدوا من التطاورات الاقتصادية في ايران ، حتى أن الثورة الساسية يمكننا أن نبحث لها عن أسجاب اقتصادي ، ويخيل الينا أن المظاهر الاقتصادي ، ويخيل الينا أن المظاهر الاقتصادية لم تكن أقل أهمية من المظاهر السياسية ، ان لم تكن تفوقها أثرا ، ونعتقد أن الطواهر الاقتصادية هي التي أدت الى القضاء على الملك الأموى ومكنت الثورة الساسية من أن تنجح ، وهذه الأسباب تتمثل في :

 سياسة اقتصادية معينة سار عليها الأمويون حققت لهم بعض الكاسب الوقتية ، ولكنها أدت في النهاية الى اضطرابات اقتصادية كانت سببا في نهاية عهدهم وزوال ملكهم .

- تطورات اقتصادية بين طبقات الموالى من غير العرب فى جميع البلاد الاسلامية ، وخاصة منطقة أيران قلب الثورة العباسية ، والتى مكنت العباسيين من أن يحققوا أغراضهم السياسية ، ومكنتهم من نقل الخلافة اليهم ،

وقد حدثت تطورات اقتصادية داخل طبقة الموالى أنفسهم ، ذلك أن الموالى كانوا مضطرين الى الهجرة جمساعات من الريف لأسباب اقتصادية أو غير اقتصادية وكانت هذه الهجرة مشكلة المشاكل وخاصة في ملاد العراق وفي منطقة أيران ، وكان هؤلاء المهاجرون يذهبون الى المدن الكبرى ، وينشئون أحياء جديدة حولها ، لخدمة الأرستقراطية العربية في النواهى المفنية والصناعية (١) ،

⁽۱) البسلاذري : متسوح البسلدان ، من ۲۷۹ .

وقد اكتسب هؤلاء الماجرون أرباها ضغمة عن هذا الطريق ، لأن العرب دائما كانوا يأنفون من الحرف والصناعات ، ولكن الذي حدث أن هذه المجرات منذ النصف الثاني من العصر الأموى اشتدت وظهرت في هذه المدن طبقات من الموالي اكتسبت الأموالي تبل اشتداد المجرة وتزاحمها ، وأصبحت المدن العراقية والايرانية بها طبقات كبيرة من الماطلين الساخطين على أوضاعهم ، وكان هؤلاء الساخطون وقوادا هشا للتطورات الثورية ، وخصوصا لحركة الشيعة وحركة العباسيين ه

المتطورات الاجتماعية:

ويمكننا أن نضيف الى المظاهر الاقتصادية مظهرا اجتماعيا أو تطورا اجتماعيا مبينا ، وهذا التطور سنراه واضحا في جميع البلدان الاسلامية ، لكنه سيكون أشسد وضوحا في مركز الثورة العباسية ، ونقصد منطقة العراق وايران ، لقد كان الموالي يمرون بتطور اجتماعي ممين ، ذلك أن المقتح المسربي للمراق وايران والمكم العربي لهدذه البلاد ، قضى على النظام الطبقي القديم ، وكانت نتيجة هدذا تحرير ملايين من البشر من طبقات العمال والصناع والفلامين ، وهم أغراد الطبقة التي كانت تسمى طبقة العمال الدنيين ،

وكانت هذه الطبقة قبل المفتح الصربى تعيش في الأغلال الاجتماعية والاقتصادية ، فكان تصررها ثم اعتناقها الاسلام مقدمة لظهور طبقة وسطى من بينهم تسكن المدن ، وتحرز الثروات ، ونجمع الى جانب الثروة المغبرة وتضم لجيلها عنصر الثقافة ، ولذلك كان الموالى أسرع من العرب تقبلا للحضارة وللتطورات الثقافية ، وسرعان ما ظهروا في ميدان الفقه والأدب ، وبداوا ينتجون في مختلف العلوم الاسلامية ، واذا بهم بعد عصولهم على هذه الامتيازات الاقتصادية واللقافية يشعرون أنهم ليسوا أقل من العرب ، وأنهم أحق بالعصول

على المساواة والحرية ، مـذه الطبقـة الجديدة كانت عمود الثورة المباسية ، وهي التي ستوجه الحياة المباسية كلها وتلعب الدور الأول ف التاريخ العباسي (١) .

كما أنه بعد غتح العراق وايران أخذت الهجرات العربية تتجه الى هذه البلاد ، وسكن العرب المدن الجديدة وبعضهم نزل في الريف ، وتبين لنا المراجع أن المهاجرين العرب انتشروا في ايران كلها ووصلوا ألى حدودها الشرقية • وهـذه الهجرات العربية لم تكن قاصره على عصر الراشدين انما استمرت طول العصر الأموى • والعرب في ايران والعراق خضعوا لتطورين عظيمين ، كان لهما أثرهما العظيم في مستقبل العرب كجنس ومستقبلهم كأمة (١) •

تركوا البداوة الى الاستقرار ، واشتغلوا بالزراعة . وتأثروا بالتقاليد الاجتماعية في البلاد التي هاجروا اليها • كانوا يرتدون نفس الأزياء ويأكلون نفس الأطعمة ويعيشون نفس الحياة (٢) ، وأهم من هذا أنهم بدأوا يتزوجون من أهل البلاد ، وبعد جيل أو جيلين انتشر عنصر المولدين ، وبدأت الدماء العربية النقيسة تذوب في الشعوب المغلوبة ، كما أن العرب كجنس بدأوا يفقدون مقومات وجودهم ، ووضعت هذه الظاهرة في العصر الأموى الأخير ٠

وفى أماكنهم أو أوطانهم الجديدة ، حملوا معهم نفس بذور الانقسام التي كانت موجودة في الجزيرة العربية ، نفس النزاع التقليدي بين الجنوبيين والشماليين أي بين القحطانية والعدنانية ، فقد انتقل هذا النزاع الى كل بلد دخله العرب ، غنجده واضد ف منطقة خراسان مركز الثورة العباسية ، غلا نعجب اذا وجدنا العرب وقد ضعفوا كجنس ، انقسموا وحاربوا بعضهم بعضا ، واستطاع الموالي

⁽١) أنظر ألقسل المبتع عن الموالي في :

Levy : The Social Structure of Islam pp. 64.

⁽٢) المهاوزن : الدولة العربية ، ص ٧٧٤ .

 ⁽٣) تفس المسدر ٤ من ٤٦٨ . .

عندما نهضوا أن يجدوا عنصرا عربيا ضعيفا ، ولعل هذا الضعف هو الذى مهد لنجاح الثورة العباسية ، حتى ليرى المؤرضون أن الثورة العباسية كانت أسبابها الاقتصادية والاجتماعية أوضح من أسبابها السياسية والعقيدية ،

أحداث الثورة العباسية (١٢٩ – ١٣٢ ﻫ)

هذه السنوات الأربع غترة قصيرة زمنا عميقة تطورا وأهدانا ،
الدعوف العباسية نشاطها ، وخرجت من الستر الى الملائية ، ووضحت
الدعوف العباسية نشاطها ، وخرجت من الستر الى الملائية ، ووضحت
غماليتها وحان أوان الحكم لها أو عليها ، وبدأت شعارات الدعاة التى
أشرنا اليها تمتحن صلابتها وأهميتها وقوتها ، بل وضحت فى هـذه
السنوات القليلة جذور التطور التى شكلت الحياة العباسية كلها ، وقد
تجلت غيها مظاهرها : فى سـيرة
تجلت غيها مظاهرها : فى سـيرة
المنيف والاشتباكات الدموية العنيفة ، وشهدت عملية تصفية للامويين
ونفوذهم لم ير لها مثيل من قبل ، فى هذه الفترة ظهرت التوى الجديدة
من خلال غبار الحروب فى مرو ونيسابور والزاب ، هذه القوى التى
ستطفو على سطح الحياة الاسلامية كلها ، وغيها تجلى ضعف العنصر
المربى وانقسامه وتخاذله لينقد نفوذه كله غيما بعد ، وغيها تحولت
الإمامة الى خلانة ، وظهر زيف شعار الدعوة الرضا من آل محمد
اليحل محله الرضا من آل عباس ه

أبو مسلم يتزعم الدعوة العباسية فى الشرق

كانت سنة ١٢٧ ه سنة حرجة فى تاريخ الدعسوة العباسية فى الشرق ، فقد تكون للشيعة بخراسان تنظيم استقل عنهم (أ) وتفاقم خطره برئاسة. خداش ، وكانت رئاسة الدعسوة المطية التي تكونت

⁽۱) انظر: المسمودي « مروج الذهب » ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

فى مرو طيلة السنوات السابقة لا تريد أن تخصص لرئاسسة الكوفة أو تأتمر بأمرها ، وان كان هذا لم ينتقس من ولائها لامام الوقت محمد بن على • وقد خشى العباسيون أن يقلت من ابديهم زمام أهل خراسان أو أن تكتسحهم دعوة الشيعة الملوية • وقد حاول محمد بن على أن يميد طاعة جماعة خراسان لرئاسة الدعوة في الكوفة ، واستطاع بنفوذه الشخصي أن يستميل زعيمهم سليمان بن كثير اليه ، واستطاع سليمان بن كثير أن يوجد التلاحم المنشود بين الجمساعة الخراسانية وبين الرئاسة في الكوفة ، غلما دخل وزير الكوفة الى مرو سنة ٢٦٦ و ١٩٧٠ هر حب به أهل خراسان وساموه ما اجتمع عندهم من نفقات وخمس أموال ، وكانت هذه الأموال قبل ذلك تحمل الى الامام نفسه عندما كانوا يلقونه في مكة المكرمة •

ثم استطاع ابراهيم بن محمد بن على أن يتخذ الخطوة الحاسمة للسيطرة على الموقف في خلافسان سيطرة تامة ، غوضع اللبنة الأولى في صرح الدولة المباسية ، وذلك عن طريق أبى مسلم الخراساني (') ، وقسد سبق أن ذكرنا أنه لم يكن عربيا بل كان أعجميا وكان مملوكا أو مولى في الكوفة ، وقد استرعى انتباه شيعة بنى المباس ، فأرسلوه الى ابراهيم الامام ، غضمه الى أسرته وعلمه لنفسه وجعله من خاصته،

ويبدو أن أمور الدعوة في المشرق قسد استقامت لبنى المباس سنة ١٢٨ ه وحلت المساكل التي واجهها محمد بن على من قبل في سنة ١٢٨ ه ، بعد أن أصبح أبو مسلم داعي العباسيين في خراسان وأصبح رئيسا للدعوة • وكان قسد أصبح معروفا في خراسان بعد زيار اته المتكررة لها رسولا المرائمة ، ووجدت غيه الجماعة الخراسانية ، الخراساني المتى الذي يرضى طموحها ويحقق أحلامها ، وقد كان اختياره موفقا ، غان مولى يرأس الدعوة في خراسان أليق وأجد بالمثقة في خراسان من عربى حر • ولم يقصد أن يتنحى سليمان بن كثير، غقد ورصاه ابراهيم الامام بألا يخالفه أو بعصيه وأن يرجم اليه •

⁽۱) الطبرى : ج ٩ ، ص ١٢٠ .

واستطاع أبو مسلم بمــا أوتى من كفايات أن يكون الداعية العباسى المتحكم فى الشرق كله .

عمليات أبي مسلم في خراسان وطخارستان وما وراء النهر:

ويمكننا اعتمادا على ما رواه الطبرى وأبو المطالب أن نتتبع الخطوات التي خطاها أبو مسلم ، هنذ زعامته للحركة المباسية في خراسان حتى انتبى به الأهر الى النجاح ،

فقسد عاد أبو مسلم الى مرو منصرها من قومس يوم النائاء ٩ شعبان سنة ١٢٩ ه غنزل أول الأمر قرية تدعى قنين ، والثانى من رمضان خرج الى قرية سفيذنج ، وجمل يوم ٢٥ رمضان موعدا للجهر بالثورة ، وأخبر بذلك أتباعه فى مرو الروذ وطفارستان وخوارزم ، وتم فى هـذا اليوم رغم أعلام العباسيين ، وأوقدت النيران للانصار من سكان القرى المجاورة ، غاجتمعوا فى قرية سفادم فى ٢٧ رمضان ، حتى بلغ عددهم ألفين ومائتين من الرجالة وستة وخمسين من القرسان.

وفي يوم عيد الفطر سنة ١٦٩ ه أهيمت في سفيدنج (١) أول صلاة لأنصار بني العباس ، غلم يكن هنالك بد من الصدام المتمى بين جند الثورة وبين توات نصر بين سيار عامل بني أمية ، غقد أرسل نصر حملة يقودها مولى له يسمى زيد ، ولكن رجال أبي مسلم هزموا خيل نضر عند قرية آلين ، و في أول ذى القعدة كان خازم بن خزيمة التعبيعي قد قرية آلين ، و في أول ذى القدة كان خازم بن خزيمة التعبيعي في سفيذنج أربعين يوما ، وفي يوم الأربعا، به ذى القعدة نقل عسكره الى المالحوان ، ومنها بعث حمالة الى جيرنج لينضاوا على نفوذ نصر بن سايار في مرو الروذ وكور بلخ وطخارستان ، ثم انتقل الى نصر بن ساير في مول أبي مسلم المسكوين في آلين ،

⁽۱) الطبرى : ج ۹ ، ص ۸۳ . (۲) الدابرى : ج ۹ ، ص ۸۲ .

⁽۲) الدابرى: ج ۹ ، ص ۸٦ ،

⁽م). -- المالم الاسلامي في العصر العباسي)

تم جاءت الظروف مواتية لأبي مسلم ولثورته الناشئة ، غنسد رغض الحلف الذي جمعه نصر بن سيار لواد الثورة في مهدها ، فقسد وقع الانقسام بين القبائل العربية (١) هناك • ولعل هسذا التطور هو الذي دعا أبا مسلم الى أن يعود الى الماخوان مرة أخرى ، وأن يأمر أصحابه بابتناء المساكن والاستعداد الشتاء (١) • وقد أقام أبو مسلم في المماخوان ثلاثة أشهر ثم دخل مرو يوم الخميس ٩ جمادي الأولى. وقسد هاجم مرو من ناحيتين ، فقد قام على بن جديم أحسد رجال أبى مسلم بالهجوم من جهة ، كما قام قائد آخر بالهجوم من جهـة ألهرى ، فانتصر لدعوة بنى العباس ، ودخل أبو مسلم المدينة وهسر نصر بن سيار لا يلوى على شيء .

وبعمد أن أدرك أبو مسلم ذلك النجاح ، وجمه أبا داود خالد بن ابراهيم البكرى أحد أنصاره المخلصين الى طخارستان ، ومن الغريب أن كلمـة العرب جميعهم فى تلك الناحية مضريهم ويمانيهم وربعهم قد اجتمعت على مقاومة أبى مسلم وشيعة بنى العباس وانضم اليهم الأعاجم هناك ، ثم وقعت بينهم معركة على نهر السرجنان ، غترك العرب المتحالفون مدينة بلخ وتراجعوا الى مدينة ترمذ .

وصارت في يد أبي مسلم في أرض خراسان الحقيقية الولايات الشرقية الثلاث ، وهي مرو ، ومرو الروذ ، وهراة • أما في القسم الغربي وأعنى ولاية نيسابور لهلم يكن في يده ســـوى مدينتي نســـا وأبيورد • وقد كان نصر بن سيار ، العامل الأموى ما زال يقيم في مدينة نيسابور ، على حين كانت سرخس يسيطر عليها شيبان بن سلمة الحرورى ، وقد بدأ أبو مسلم يتمدى لقتال شيبان الذي اجتمعت له قبائل بكر ، فهزمه أبو مسلم وغر جنده الى نيسابور وانضموا الى نصر بن سيار ، ثم بدأ أبو مسلم يلتحم بقوات نصر ، وهــذا تطور كثير لا يخلو من تأمل وتدبر ، وهو ان دل على شيء غانما يدل على

⁽۱) الطبرى : ج ٢ ، ص ٣٧ -- ١ . (٢) الطبرى: ج ١ ، ص ١٠ ،

قدرات أبى مسلم وتعاظم قواته ، وتفشى دعوة بنى العباس ، وتناحر المرب غيما بينهم واغتقارهم الى اتحاد الرأى واجتماع الكلمة و وتداعى النفوذ الأموى في تلك النواحى ، وكان ذلك بداية الاستباكات الكبرى التى زلزلت قواعد النفسوذ الأموى و ولم يتول أبو مسلم المقيادة بنفسه في هذا الاشتباك المصيرى بل ولاها قصطبة بن شبيب الطائى .

والذى نضرج به من دراسة نصوص الطبرى ب التى عرضنا لها غيما سبق عرضا موجزا مركزا أقرب الى الجولية منه الى شيء آخر تلك القدرات المظيمة التى تجمعت لهذا المولى أبى مسلم الخراسانى والتى جملته من أعظم الدعاة العباسيين قاطبة ، قدرة واخلاصا ، ومكنه من يرمين دعائم الدولة ويحقق آمال الدعاة مند انتقلت الزعامة الى بنى العباس ، والذى نريد أن نعرفه وأن نؤكده هو كيف استطاعت الأحداث أن تبرز هده النشخصية المؤيدة ، متى أصبح على سطح الحياة الاسلامية وآلت اليهم مقاليد الأمور ، يتصرفون غيها على سطح الحياة الاسلامية وآلت اليهم مقاليد الأمور ، يتصرفون غيها والبويهيين ، ولقد وضع أبو مسلم أساس الدولة الخراسانية التى كشي المنصور أن تتحقق في حياته ، فتحققت في عهد المأمون باستقلال الطاهريين ، وكان جند أبى مسلم مقدمة لعنصر الوالى الصاعد الى القوة والحسد ،

وفى استطاعتنا أن نستعرض قسدرات ذلك الزعيم الداهية وأن نكشف عن السياسة التى اتبعها فى طريقه الى النصر ، وكيف تجمعت له القدرات المسكرية القائقة ، والقدرات السياسية الكبيرة ، وكيف كان عليما بنفسية الشعوب التى يخاطب ، والأرض التى عليها يحارب ، والمدو الذى يلقى •

ويمكننا أن نعزو تألق نجم أبى مسلم وظهوره بخاصة الى الأمور الآتية :

المعرفة بأسلوب المسرب الذي يلائم أرض خراسان وأقليم ما وراء النهر ، وقدرته الخارقة على التنظيم التي جعلت منه الاداري الناجح ، الذي يجمع الأنصار ولا يفرقهم بسوء التدبير وبسياسة لا أدرى أطبيعية متأصلة في نفسه أم كانت أسلوبا من أساليب دهائه منقطع النظير ، وهي المن على الأعداء المقهورين واطلاق سراحهم وموادعتهم ، والبراعة في المضاء الأهداف المقيقية للدعوة العباسية متى لا تفترق كلمة شيعته أو كلمة الأحزاب الداعية الى الاصلاح . ثم نهمه لطبيعة القبائل العربية المقيمة في خراسان ومعرفته بنزواتهم واحنهم وأخاد من انقسامهم ، ثم كيف بطش وغدر بمن قاومه منهم ،

فيما يتعلق بالناحية الأولى وهي أسلوبه في الحرب ، اختياره الشتاء دائما موحد المعلياته العسكرية الناججة ، غفيه تتمل قوات العرب الذين لم يالقوا بعد هذه الأحوال القارسة البرد في هذه البلاد . وغيرها الذين لم يالقوا بعد هذه الأحوال القارسة البرد في هذه البلاد . وغيرها وألموا اجراء الذين نشأوا في هذه المناطق وغيرها وألموا وخياه موحد أبو مسلم لأصحابه موحدا يخرجون غيب في قلب الشتاء الموافق ٥٦ رمضان سنة ١٩٦ ه ، وقد المناسد فيه بالانصراف. الى الراحة غيه من جانب المدو ، وعدم قدرة هذا العدو على جمع الجيش في الشتاء ، على حين كان جند أبي مسلم من أهل المشونة الذين لم تقيدهم بعد عاذات خاصة ، وقد استغل أبو مسلم ألم أقمى حدد قوة جنده على الصرب شتاء وعجز جود الخلافة في خراسان عن الحرب في الشتاء ، ولهذا نجده عندما يريد أن يوجه ضربة حاسسمة يختار لها قلب الشستاء ، وبهذا الأسلوب كسب كل

ولما تجمعت عليه الجيوش عقب ذلك كما رأينا ، اختار الشتاء التالى لوقفة عند أصبهان ، وقضى على نصف القوات المادية ، كمما نجح فى دخـول مرو شتاء ، وانتصار أصبهان شتاء أكسب القوات الثورية تنظيما وقوة وشجاعة • كما نامس أيضا تقديره السليم لقواته ووجوه الانتفاع بها الى أقمى حد • والقدة على اختيار الوقت المناسب للسكون والحركة • وكذلك اختار مكان الاحتشاد بعيدا عن المدن ذات الأجناد ، وعن عاصمة خراسان • غلما تم اجتماع الإنصار رسم لهم فى مكان اجتماعهم سورا ليجعل من معسكره مدينة قادرة على الدفاع عن نفسها ، وظل يفعل ذلك نحو سنة كاملة حتى دخل مدينة مرو ، فاكتفى بها وبكثرة جنده وأنصاره •

والناهية الأخرى التي تتكشف لنا من تطيل الأعمال المسوبة الى أبي مسلم ، هي قسدرته الخارقة على التنظيم الذي جمل من جماعته ، وهم النئة القليلة ، القوة الضاربة في حزم واحكام ، ويروى الطبرى أنه كان يمين العمال ويحمس الأمكنة ويأنف من اتخاذ مظهر الأمراء ، كما اتخذ لنفسه ديوانا للجيش ، لكي يطمئن على رزقهم ، فأمر أن يقيد في السجل كل بجندى بحسب اسم أبيه واسم قريته ، وكان الرزق الذي يعطيه لكل منهم يتراوح بين ثلاثة وأربعــة دراهم في الشمر (١) . ويبعدو أنه دبر الناحية المبالية مما جرت عليمه عادة الشبيعة أبيا كانوا ، وهي أن يدفعوا الخمس (٢) لأثمتهم ، واحتفظ أبو مسلم لنفسه بالناحية الحربية والادارية ، وترك امامة الصهلاة لداعية آخر من رجال الدعوة وهو سليمان بن كثير الخزاعي الكوفي • لهكأنه وضع نواة حكومة عباسية مصغرة فى خراسان تتسم دائرتها بالتدريج كلما ازدادت الثورة سعة في الانتشار ، وهي قائمة على أساس أن تختلط الأمور السياسية بالناهية المقيدية التي قامهت الثورة على أساسها . وكانت حكومته تلك على صلة وثيقة ، حرص هو عليها كل المسرص ، بقيادة المدعوة في الكولمة أو الحميمة ، وكان يتلقى تعاليم ابراهيم الامام وينفذها في دقــة وأمانة والهلاص . في الوقت الذي

⁽۱) الطبرى : ج ۹ ، ص ۹۰ . (۲) يذكر الطبرى أن الأموال التي حملت: الى ابراهيم الأملم سبخة ۱۲۹ ه. هي ۲۱ الف درهم .

انقطعت غيه أسباب الاتصال بين نصر بن سيار والخلافة الأموية ، وتبددت الطاقات الأموية في دوامة الصراع القبلي العنيف .

ثم ناحية ثالثة نكتشفها من تحليل أعمال أبى مسلم خلال هــذا الدور الخراساني من أدوار الثورة العباسية ، وهي سياسة المن على الأعداء وموادعة المهزومين ، كسبا للقلوب وتأكيدا لزعامته بين الناس ، وهي لغة غير حالوغة في مثل هـــذه الفترة الدموية من تاريخ الدعوة ، التي كانت أقرب أن تكون حرب حياة أو موت ، ويشير الطبري الي زيد مولى نصر بن سيار الذي بعثه لمر لواد المسوكة العباسية غب ظهــورها ، وكيف هزم زيد وجرح وأسر ، غامر أبو مسلم بأن يعالج هـ ذا القائد من الجراحات التي أصيب بها وأن يحسن تعهده ، حتى اذا المدملت الجراح دعاه أبو مسلم وخيره بين الاقامة معه والدخسول فى الدعوة (١) أو الرجوع الى مولاً «بنصر ، على أن يعطى عهد الله ألا يحارب أبا مسبقام وقومه ، ولا يكذب عليهم ولا يقول لميهم غير ما رأى • وأراد أبو مسلم أن يكون هذا المولى شاهدا على أبي مسلم وشيعتُه في القامتهم المسلاة وتلاوة القرآن • ومن الغريب أن يكرر نفس هـذا المسلك في مناسبات أخرى عندما هاجمه بعض أنصار نصر بن سيار على مقربة من مرو ، وقسد وقع في يده بعض الأسرى مجروحين ، غامر أن يعالجوا ، وكساهم وخلى سبيلهم ، لقد كان أبو مسلم يريد أن يقيم القيادة الأسوة ليجتذب القلوب ويطبق شمارات الدعوة .

وتتجلى هنكة أبى مسلم كداعية ، وبراعته كرعيم في غجر الثورة الأولى في عمله على كسب ولاء جميع الفئسات التي كانت تدعو الى الأصلاح وتعمسل على تنبير الأوضاع التي أغسدها الخلفاء الأمويون الأواخر ، لتتوخد الحركات الثورية خلف هدف واحد للاطاحة بالنظام الأموى٠٠ كما لم يحسد عن الدعوة للرضا من آل محمد برغم نجاح

⁽۱) الطبرى: ج ٩ ، ص ٨٦ .

حركته ، ولم يكشف عن خبى، الدعوة العباسية ، بل جعلها تبدو للناس أمرا عاديا مألولها يجمع الناس ولا يفرقهم • ومن قبيل ذلك ما يرويه الطبرى من أن نتية نساكا من أهل مرو كانوا يطلبون الفقه أتوا اليه فى معسكره ليسألوه عن نسبه ، فقال لهم (١) « خبرى خير لكم من نسبى » فلمــا سألوه عن أشياء في الفقه قال لهم « أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هــذا ، ونحن في شــفل ، ونحن المي مهونتكم أحوج منا الى مسألتكم ، فاعفونا » . وقد دخل أبو مسلم فى مرو على رأس الهاشمية ، ومن الهاشمية أمر أن تؤخذ البيعة بعد دخوله • أما هـــذه البيعة (٢) فكانت « أبايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، والطلاق والمتاقى والمشى الى بيت الله ، وعلى ألا تسألوا رزقا ولا طعمــا حتى يبــدا بحكم ولاتكم ، وأن كان عدو أعدكم تحت قدمه غلا تهيجوه الا بأمر ولاتكم » • ومما يستلفت النظر في هذه البيعة أنها لا تطلع الجند على غايتها الحقيقية بل هي بيعة اجمالية في صيغتها ، وهي لا تصرح بشخص الامام العباسي من بين أهل البيت ، وأول ما أخذه على الجند هــو الطاعة التامة لولاتهم • والواقع أن هؤلاء الثائرين قد استخدموا الدين على مبادىء حربية ، غلم يكن الرجل العادى بحاجة الى أن يعرف أسرار قادته ، بل كان يكفيه الايمان بالراية السوداء (١) وقد لا تكون هذه السياسة من عنديات أبي مسلم وقد تكون مخططا عاما طبقه الدعاة فى كل مكان ، حرصا على وحدة الكلمة الهاشمية ، لكن يكفى أن أبا مسلم طبق هــذا المخطط في دقة وأمانة ،

على أن الناحية الأخيرة في سياسة أبي مسلم في الدور الفراساني التي تحتاج الى تفسير ، هي موقفه من القبائل العربية وههمه الجيد لاهنها وثاراتها وتجمعاتها وتحركاتها ، والهادته من اجتماعها والهتراق

⁽۱) الطبرى: ج ۹ ، ص ۸۹ . (۲) الطبرى: ج ۹ ، ص ۵۵ شـ ۳۱ . (۳) غلهـــوزن: ص ۵۰۳ .

كلمتها على حد سواء • وقد مر موقفه ذلك في مراحل ثلاث • الحيدة المطلقة ــ الانحياز لفريق على فريق ــ القمم للعرب المحادين لهم في شدة وقسوة أخذت عليه بالمحل الأول ، وأخذت على الأثمة بالمحل الثانى • وأعتقد أن انتقاله من مرحلة الى أخرى كان يتوقف أو يرتبط بقدرته وكثرة أنصاره ورغبته في العرب أو الموادعة •

بدأ بالحيدة المللقة بين القبائل المتقارعة حتى ظن كل فريق أنه علَى هواه ، ويعزى ذلك الى أن أبا مسلم لم يكن له في أول الأمر من القوة ما يمكنه من أن يتحدى العرب تحديا صريحا ، غاستوقفهم وذر الرماد في عيونهم ، بل هو لم يفسد ما بينه وبين مصر الى هــد يجعله عدوا صريحا لهم ، واذا كان قد دعا الى الثورة على المكومة الأموية غان ذلك لم يكن بالأمر المستنكر في مثل هذا الجو المصطخب بالحروب والثارات ، وثمة أمور أخرى دهعته الى هذه الحيدة والموادعة ، فقد رأى والى خراسان مشغولا بحرب الخوارج ، وبحرب العصبية اليمنية بقيادة الكرماني ، وبحرب الحارث بن سريج وأصحابه الزيدية تحت قيادة عبد الله بن معاوية بن عبد اللسه بن جعفر الطيار · ورأى من مصلحته أن يبتعد عن هذه المعمعة ، فقد دخل فيها الحارث بن سريح وجماعته التي سمت نفسها بالفئة العادلة ، وانتهى أمرها الى الهزيمة على يد العصبية اليمنية ، بل وادع أبو مسلم الزيدية « ونظر أبو مسلم المراساني في الديوان فقتل كل من وجد له اسما هيه ممن شارك في متل يهيى بن زيد » (١) ولهذا كله اتخذ أبو مسلم سياسة الحياد والتربص حتى يتأكد أن الفئات المقاتلة قد أجهد بعضها بعضا وبأن لا مدد لهم •

ومن أمثلة هدف الحيدة ما يرويه الطبرى من أن نصر بن سيار أرسل الى أبى مسلم يلتمس منه أن يدخل مع نصر ، وأرسلت ربيعة وقعطان اليه بمثل ذلك ، فطلب أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفصريةين لكى يختار أحسدهما حد وأمر من عنده من الشبعة أن يختاروا قحطان

⁽۱) البغدادي : محمد بن حديد ، المحبر ، ص ٢٨٤٠ ،

وربيعة ، غلما أقبل الوغدان أدخل وهد قحطان فى بستان غاجاسهم هيه وبقى هو فى البيت ، وأذن لوفد مضر فدخلوا عليه ، وكان مع آيي مسلم سبعون رجلا من الشيعة وقد أوعز اليهم بما يقولونه ، غقام رجل منهم غقال « ان مضر قتات آل الرسول ، وهم أعوان بنى أهية وعمال مروان ، وان دماء المسلمين فى أعناقهم وأموالهم فى أيديهم وان نصر ابن سيار عامل مروان ينفذ أهره ويدعو له » وانتهى الأمر بالانحياز الى على بن الكرماني وأصحابه من ربيعة وقمطان على نصر بن سيار وأصحابه من مضر من سيار وأصحابه من مضر من مشر من مشر هن مضر من مشره

واذا كان قد أغلج في استمالة ربيمة وقعطان الني جانبه الا أنه لم يفسد علاقته بمضر و والحق أن الجميع كانوا يسمون الى كسب مودته ورضاه ، وأصبحوا لا يتجاسرون على معاملته معاملة الصدو ، بل دخل مرو قاضيا وحكما لينهى النزاع القاسى الذي استنفدت غيب القبائل العربية قوتها ، وقد حكم أبو مسلم الربيمة وقصطان على مضر ولم تكن المدبنة قوتها ، وقد حكم أبو مسلم الا دهاء ومكرا ، فالمشيقة أنه لم يكن له في أول الأمر من القوة ما يمكنه من أن يتحدى العرب تحديا صريحا ، بل هدو تصرف بحكمة مياسية فاستوقفهم وفر الرماد في عيونهم ، بل لم يترك أبو مسلم جماعة الا وحاول أن يكسبها ، هناظن غيرتم المراع أشية نساكا من أهل مرو وكسبهم الي جانب ، وكان أكثر أتباعه من الزاع الرب الزاع الإعاجم من الموالى من قرى مرو ، وكان بينهم بعض العرب وكان لمظمهم مكان الرياسة ، وكانت نواة جند خراسان من الماشمية،

ثم أملت عليه الظروف ، وأملت عليه سياسة تغريق كلمة العرب والاقادة من هذه الفرقة بقدر ما يستطيع ، أن يحالف ربيمة وقحطان دون مضر ، وقد خرج أبو مسلم لتحقيق هذه الغاية ، ويروى الطبرى المناقم بمدئذ بآلين ثم رجع الى الماخوان وأمر أصحابه أن يعنوا المساكن ويستعدوا للشتاء لأن الله قد أعفاهم من اجتماع كلمة العرب ، ولمل جذا هو الذي مكنه من دخول مرو ،

وأثار هذا المسلك وهذا النجاح الذي أحرزه الدعاة العباسيون العروري الى العرب وربيتهم ، فاجتمع بنو بكر بزعامة شبيان الحروري الى مصالحة نصر وانضم الى هذه الحركة على بن جديع الكرماني ، وأغاروا على بعض القرى الخاضمة لأبى مسلم ، ولكن أحمد التحالف لم يدم فقد أهلح أبو مسلم في افساد هذا الحلف ، فتوجه بنفسه من المساهوان الى مرو واستطاع أن يؤثر على على بن جديع الكرماني ومن معه من ربيعة وقمطان حتى نقضوا عهدهم مع نصر بن سيار وانقلبوا عليه ، وفي الوقت نفسمه لم يجمو بعدوان نصر بن سيار وانقلبوا عليه ، كمب وده ورضاه ، ولم يجرو أيهم على أن يعامل أبا مسلم معاملة العدو ، فأمكنه أن يدخل مرو قاضيا وحكما ، وأن يتذخل لينهي الصراع القاسى الذي استنفدت فيه التبائل العربية قوتها ، وقد روى أن القاسى الذي استنفدت فيه المشره ،

هكذا تقلب أبو مسلم بين الحيدة المطلقة والانحياز المطلق لتعلو كلمته وتتحقق أهدافه ، ولكن كيف نفذ أبو مسلم هذين الخطين ومضى فى الشدة والقسوة والقمع واسقاط القبائل العربية من حسابه كقوة مؤيدة أو مساندة •

يفهم من رواية الطبرى أن هذا التطور حدث بعد هجومه على مرو من ناحيتين ، كما أشرنا ، وبعد أتصده البيعة للرضا من آل محمد ، وتحق له ذلك الظفر العظيم واجتمع له الأنصار ، والحقيقة أن هذا التطور يحتاج الى وقفة قصيرة لنلقى بعض الأضواء عليه ، لأنه يمثل بدلية مرحلة جديدة في السياسة المباسية في هذه الفترة الهامة من تاريخ الثورة ، جاء في احسدى روايات الطبرى أن الامام ابراهيم ابن محمد نفسه أوصى أبا مسلم وصية صريحة « بأنه اذا استطاع ألا يدع في خراسان من يتكلم المربية غليفعل وأن يقتل كل غلام بلغ خصسة أشبار يتهمه » ونحن نشك في هذه الرواية من أساسها ونكاد نجزم بأنها وضحت وضعا ودست دسا. على بغنى العباس لاغساد دعوتهم وتلطيخ حركتهم بالقسوة والدماء ، ودليلنا على همذا ما يروى من وتلطيخ حركتهم بالقسوة والدماء ، ودليلنا على همذا ما يروى من

صقات أبى مسلم بعد دخوله مرو ، وفى الراحل التالية اذلك من مراحل الثورة ، غلم ترد فى روايات الطبرى الا اشارة الى آن أبا مسلم نتل أربعة وعشرين من ثقاة أصحاب نصر ومناديدهم بعد أن هرب نصر ، بل ان أبا مسلم أمر جنده بالترام أدق نظام ، وهرم عليهم أن يقتلوا أحدا من نتلقاء أنفسهم ، أذ ييدو أن هذا القائد الممنك السياسي الداهية قد أحس بأن النصر الذي تم قد هز مشاعر الوالى وابطرهم بصورة أو باغرى وجرأهم على العرب ، لكن لم يفلت منه الزمام بل استطاع أن يكبح جماحهم وأن يسيطر على مشاعرهم ، الزمام بل استطاع أن يكبح جماحهم وأن يسيطر على مشاعرهم ، أن الوصم في خراسان بصد توالى الانتصارات لم يكن بحاجة الى مصانعة المخربة أو القصائية ، وكان على الدولة في تلك المقترة أو ان تقترس سياسية مستقلة دون أن تتورط في هذه الصراعات المنيفة ، أو أن تقتص من المعارضة في شهرت وعنف ، وأن تغيد من الموارضة في شهر السلطان الأموى المقتمم في المراحال الأخرى من الماراع بينهم وبين السلطان الأموى المتداعى ،

مزهلة قحطية بن شبيب :

ما كادت الثورة العباسية تقر الأمور فى مرو ، وتفرغ من خراسان لتسديد الضربة الأخيرة الموات نصر بن سيار المتهفرة الى نيسابور ، ومصه أنصاره من العرب الذين هربوا من هراسان ، وهم من قبائل تعيم وبكر وقيس ، حتى نقلت قيادة المعليات العسكرية من أبى مسلم المفراسانى الى قحطبة بن شبيب الطائى ، ولم يجد أبو مسلم نفسه بدا من الاذعان لهذا التطور الجديد ، ويلقى الطبرى أضواء على هذا التعول الجديد فى سير النورة ، فيذكر أن قحطبة بن شبيب وكان عربيا من طبىء ، كان أثناء بداية الثورة المفراسانية غائبا فى مكة. ، وكان من طبىء ، كان أثناء الامام ابراهيم بن محمد فى موسم الحج ، قسد ذهب اليها المقاء الامام ابراهيم عقد له الامام لواء وجعله على

مقدمة أبى مسلم ، وجعل له القيادة أو العزك والاستعمال (١) وكتب الى الجنود بالسمع والطاعة له ، وأن أبا مسلم رضيح لذلك الأمر وأسند التيادة اليه ، وخرج قحطبة فى الجيش وتحت امرته : أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدى ، وخازم بن خزيمة التعيمى ، وخالد بن برمك البلخى وغيرهم من القواد •

وأعتقد أن رئاسة الدعوة كانت تهدف من وراء ذلك الى أمور جدد خطيرة ، وكانت تتطلع الى ما معد خراسان من أحداث ، وأعتقد أنها أرادت ألا يتجاوز أبو مسلم خراسان مهما كانت الأحوال ، وأكاد ألمح هنا بداية لمئساة أبى مسلم التى انتهت على يد الخليفة أبى جمفر المنصور ، وأعتقد أن ثمة أمورا أخرى ألجأت رئاسة الدعوة الى اسناد التيادة في هذه الحرب الى هذا القائد العربي الطائي ، وهو أنه لم يكن من المقول أن تقتصم معاقل العروبة في العراق والشام ومصر بيتيادة أعجمية ، وأنما بقيادة عربية خالصة ، وأغلح ابراهيم الامام في اسناد عمليات نيسابور وجرجان وما بعدهما الى القسائد العربي قطبة بن شبيب ، فنزعت القيادة من أبى مسلم ، كما سبق أبو الجباس المفاح بعد اتمام بيعته في الكوفة الى انتزاع القيادة من المسكريين الى أبناء البيت الهامي من الاخوة والأعمام ،

عمليــة قحطبة بن شبيب :

وقد سارع قصطبة عندما أسندت اليه القيادة العليا في هدفه المرحلة في هجر بن سيار، الربيع الى تيسابور ، هيث تحصن نصر بن سيار، انتظارا الأمداد الموعودة التي طلبها ، وحمى وطيس الحرب هناك ، هاما تأخر المدد العراقي انسحب نصر من نيسابور قاصدا الرى هالنقى الأعداد عند، قومس •

وبذلك اكتسب الثوار مدينة كبيرة جديدة من أهم مدن خراسان ،

⁽۱) الطبرى: ج٩٤ مس ١٠٤ ،

وهى مع ذلك نتيجة لا تحسم النزاع ، ولم تكن هذه الا جولة متممة لمما وقع بخراسان •

وابتدأت جولة آخرى بقدوم الأمداد التى ذكرنا وصولها الى قومس ، وكانت عبارة عن جيش عظيم تبالغ الأخبار فى وصف عدده وعدته ، وكانت قيادته الى قائد كبير هو نباتة بن حنظلة الكلابى عامل جرجان ، غير أن هذا الجيش قدم بعد غوات الأوان ، وكان المفروض أن يفقذ نبسابور ، غلما غاته هـذا الهدف تغيرت الخطة ،

ورأى نصر أن يتجه الى جرجان بمن معه وبجيش نبساتة ، والراجع أن نباتة كان يتعجل القدوم الى ولايته فى جرجان ، والراجع أن جرجان كانت أخضال ميدان لبعدها عن المصبية الفارسية التى ازدادت حميتها بنجاح ثوارها ، واتضد نصر عند جرجان معسكرا وجعال عليه خندقا ، ولم يستبعد قصطبة جرجان بل تقدم فى شجاعة ونازل عدوه وهزمه (فى ذى القعدد ١٣٦١ ه) وضاعت هذه الجولة على نصر ، وطلب أمدادا أخرى من والى العراق ابن هبيرة ،

وكان ابن هبيرة ككل ولاة العراق يمد الهتصاصه على كل المشرق ، وكان عليه أن يواصل ارسال الأهداد •

وقد أرسل مددين ، أما الدد الأول ، هكان جيشا عظيما وصفوه بأنه جيش الجيوش ، وجمل على قيادته ابنه ، وقائدا آخر هو عامر ابن ضبارة المرى ، وأمرهما أن يقصدا قحطبة ، ثم أرسل ابن هبيرة مددا ثانيا جعل قيادته الى ابن غطيف ، وتتهم الأخبار والى المراق بالتهاون وتذكر أن مروان أمره بارسال هذا المدد الأخير وأنه لم يرسله من تلقساء نقسمه ، أما المدد الأول خوصل الى أعبهان ، وأما المدد ا'ثاني لهوصل الى نهاوند ، بينما بقى نصر بن سيار بالرى ،

وبهـــذا بدأت معركه الجبل ، ورأى تقطية أن يحرص في خطبه على منم التقــاء الأمداد واحتشــادها ، فوقف بقوامه بين أصبهان ونهاوند ، وظل يتحاشى المحركة الفاصلة حتى اشتد الشتاء ، فاستغله على عادة الخراسانية للهجوم على أصبهان ، وكانت وقعة انتصر فيها قحطبة ، ثم تحول بعد ذلك الى نهاوند وقد جبن أهلها وتحصنوا بها ، وبها غلول المنهزمين من خراسان ورجال من أهل الشام ومدد ابن هبيرة ، غاقام محاصرا المدينة ثاشهر حتى استأمنت قوات المدينة ، فامن أهل الشام وقتل قواد خراسان ومنهم ابن الحارث بن سريج ، فرناك تقرر ، فصير بلاد الجبل ،

ومات نصر بن سيار بالرى آخر الشتاء بعد وقعة أصبهان ، فى جو الهزيمة القاتم ، وهو جو ذاق فيه الفشل مرة بعد مرة ، دون أن يكسب معركة من المارك ، وذاق فيه مرارة الهرب والترمل والثكل ، فقد وقعت امرأته فى يد أعدائه وهو غار من مرو واستشهد ابنه تعيم عند نيسابور ، ثم استشهد بعد وغاته ولد آخر من أولاده عند نهاوند .

وبرغم هذه الهزائم نحس أنه وأبناء كانوا من شجعان الناس وممن يشترون النصر بدماتهم ، وما من شك فى أنه غارس ، ولكنه كان أغل قدرة فى غن العرب ، ولذلك رغمت عنه الأخبار مسئولية الهزيمة وصورته فى صورة أسطورية نحس كأنها صورة من ملحمة ضائعة ،

فهو لا يتكلم من فوق منبره على عادة القواد ، وانما يذيع ما يريد فى صيغة شمر ، ويكتب الى الخليفة رسائل شعر لا الرسائل الادارية المائلوفة ، وفيها انذار وتحذير وتنبؤ ، لا يعقل أن يكون حقيقة كلام نصر الوالى الى أمير المؤمني ، وسر هذه الملحمة ان صح وجودها أن نصرا كان فارسا جاد بنفسه وجاد أبناؤه بدمائهم وأصبيت امرأته فانتحرت في الليلة (حيث أسرت) فنالت عطف الجماهير ، كما أن سيرته تصلح فوق ذلك لتصوير انتصارات الفرس المتتالية ،

وبعد ذلك بدأت الجولة الخامسة ، وهى جولة اشتركت غيها قوات الدولة الأموية من ناحيتين : من ناحية مروان بالشسام ، ومن ناحية والى العراق و وهنا نجيد قطبة يختار خطة سليمة وهى أن يصل من العجم العراق ، وأن يحتفظ ببعض قواته أهام ما يمكن أن يصل من تقوات من الشيام ، غان يكن قد قسم جنده الى قسيمين ، غان جند بنى أهية كانوا فى ناحيتين ، وكان من المتوقع أن يجتمعا عليه ، غاختار قحطبة أن يواجه قوات الخلافة على دفعتين ، دفعة فى العراق ودفعة فى الشام ، أما مروان فعالج الأمر بارسال نجدات الى ابن هبيرة ،

واتجه قطبة نحو العراق بينما كان ابن هبيرة يتمرك من العراق نحوه ، وكان من المتوقع أن يلتقيا فى الطريق ، ولكن قطبة تحاشى المعركة وأسرع نحو الكوفة ، واضطر والى العراق أن يعود مسابقا قطبة نحو الكوفة أيضا ، وقعطبة يتحاشاه الى أن تراءيا وبينهما الفرات : قحطبة على الشاطى، وابن هبيرة على الشاطى، الشرقى ،

والنواسانية أسرع واكثر جلدا ، نسبقوا ثم غاجأوا ابن هبيرة بمبور النهر في مخاصة بين الأنبار والكوفة ، وعندها نشبت المحكة وفيها انتصروا على ابن هبيرة أو على الأتل أوقفوه عن السباق ، ولكن تحطبة لم يمش ليرى التيجة فقد مات غربقا في المخاصة وخافه ابنه الحسن ، ولا شك أن تعطبة قام من الناهية المسكرية بالممل الأكبر في نصر العباسيين وعقد النصر للواء الأسود وتوطد في الأذهان أنه لواء لا يغلب ،

ووصل الخبر الى آهل الكوغة غفرهوا به • وثاروا على والبهم ورغموا الألوية السوداء ، وترعمهم ابن أحد ولاة العراق انتقاما لأبيه الذى عزله هشام ، وهو محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ، ودخل الجيش الخراسانى الكوغة دون أن يرغم سيفا ، بعد شهرين وأيام من استنسلام نهاوند (المحرم سنة ١٣٧ ه) وأظهروا أبا سلمة رئيس دعاة المسراق ، وأنزلوه فى معسكرهم بالنخيلة ثم فى حمام أعين • وأخذوا له البيمة بوصفه وزيرال محمد وأصبح أبو سلمة صاحب الأمر،

بهذا تقرر مصير العراق ، واضطر ابن هبيرة أن يحتمى بأسوار واسط ملتزما خطة الدغاع ، أما الجولة الأخيرة فقد تأخرت الى ما بعد الشتاء ه

وكان استقرار الثورة بالعراق بعد سيطرتها على المشرق كله كسبا عظيما ، وأحسبح من المكن أن يظهر الدعدوة ، وأن يعرف الخراسانية المامهم من آل محمد .

كانت القوى الزاحفة من خراسان الى الكوفة تحت لواء الدعوة الظاهرة تسير فى خط معاير للزحوف العربية التى رأتها ايران فى عهد عمر من القادسية الى مرو ، كان هذا طريق الزحف ، طريق النصر أمام هذه القوة الجديدة ، وسيشهد هذا الطريق زحف البويهيين ثم زحف السلاجة ثم زحف المغول ، وقل أن رأينا زحفا على طريق عمر القديم،

ورحلة الخليفة أبى المباس السفاح:

كان أبو العباس حين بويع خليفة (إ) لا يملك الا ما ملكه جنده ،
 فقد كانت الجيوش توتقعد للجولة الأخيرة ، وكانت الأمور كلها بيد القواد والدعاة .

وقد خاض أبو العباس هذه المجولة وأشرك غيها الموته وأعمامه وأبناء الموته : العم سليمان بن على للبصرة ، والعم داود بن على للمجاز واليمن ، والاح أبو جمفر المصور لقتال ابن هبيرة في واسط .

واستهل أبو النباس أيامه فى معسكر الجيش الخراسانى وبجانبه أبو سلمة وزير آل محمد ، ثم ترك المسكر وتحدول الى العاصمة الجديدة التى اختارها وهى هاشمية الكوغة ، نسبة الى هاشم الذى

⁽۱) تبت البيعة للسفاح علم ١٣٢ ه . انظسسر الطبرى : ج ٩ ٥ ص ١٢٣ .

يجتمع عنده نسب العلويين والعباسيين على السواء ، ولكن الدولة لم تسم بالدولة الهاشمية على نحو ما سميت العاصمة الأولى •

وحرص أبو العباس في البداية على أن يفهم القواد بأن اشراك أمراك نوع من الاشتراك التشريفي ، فقد كتب الى الحسن بن قصطبة حين جمل معه أخاه أبا جعفر « ان العسكر عسكرك ، والقواد قوادك ، عين جمل معه أخاه أبا جعفر « ان العسكر عسكرك ، والقواد قوادك ، ولكن أحببت أن يكون أخى حاضرا » ولهذا الحرص ما يبرره ، فانه بيروى أن أبا العباس كان لا يقطع أمرا دون أبى مسلم (مح وجود أبى مسلم بخراسان) وكان لأبى مسلم عين على أبى العباس يكتب الله بإخباره ، وكان أبو جعفر يحث أخاه الطيفة على قتل أبى مسلم ويقول له : « أخاف والله ان لم تتعده اليوم أن يتشاك غدا » (أ) ، اذن كانت المجاملة ستارا يضفى ورأءه خوفا وغدرا ، والهدف من الاثراك هو نقل السلطة تدريجيا من يد القواد الى يد أعضاء البي المباسى ، ولكن هذا الانتقال لم يتم الا بعد التخلص من أبى مسلمة المخلل ، وبعد التخلص من أبى مسلم ، بصرف النظر عما في مثل هذا المعل من الكار للجميل ،

أما عن جبهة القتال الهامة المقابلة للشام ، هانها ظلت كما تركها قنطبة ، أو بمبارة أخرى ظلت قوات خراسانية مقيمة عند نهاوند في أثنياء حملة ألمراق ، ودعمت هده القوات نفسها بأن جندت خمسة آلاها ه

وكانت طلائم مروان قد قدمت من شهرزور نحو نهاوند ، فأرسل قحطبة لمقاتلتها قوات يقودها أبو عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ، فهزمها وردها ، ثم ثبت مكانه عند الزاب مداغما طوال حملة-المراق ، وهو الذي جند الخمسة الآلاف التي ذكرناها ،

وفى مقابل قوات أبى عون قدمت قوات مروان بن محمد تحتشد

⁽۱) الطبرى: ج ٩ ك من ١٥٣ ،

رٌ م ٥ ــ العالم الاسلامي في العصر العباسي)

على الناهية الأخرى من الزاب ، وكانت مؤلفة من جند الشام والجزيرة والموصل ، وهم خير جند الشام .

واجتهد كل فريق في حشد قواته عند الزاب استعدادا المعركة الفاصلة ، وتأخرت هذه الوقعة ستة أشهر ، أما أبو العباس فقد أسند القيادة لعمه عبد الله بن على (ومعه من القواد ألموه صالح بن على ، ومعه خاصة المسن بن قصطبة) وكذاك أرسل أبو العباس وراء عصه أحدادا طائفة ،

ونشبت المركة عند الزاب (۱) ، واستمرت لصد عشر يوما (في جمادي الآخر ۱۹۳۳ م) بعد انتظار واستعداد دام طوال الشتاء السابق ، وكانت شبيهة بالقادسية في شدتها ، وكان الظفر للخراسانية على العرب ، وبهذا الظفر استرد الغرس مكانتهم كمحاربين الشداء ، وبالمناخ بمضهم غقالوا ان وقعة الزاب كانت ردا على القادسية .

وانصرف العيش الظاهر الى تتبع مروان ومنعه من الاستقرار، ف أى مكان مخافة أن يجمع حشودا جديدة ، ولكن مروان كان يذوق ف مربه مرارة المؤيمة ، فقد أظهر الكراهية من كان يخفيها ، وكان عدد كبير من أقاربه وأعدائه فى سجنه فى مدينة حران ، ووجد مروان المدن تعلق أبواب أسوارها فى وجهه ،

ولم يجد بالشام قوة كالهية تقف معه ، ولا بعصر ، وظل الجيش المؤسس المؤراساني يتتبعه حسب أمر الخليفة الى عمه عبد الله بن على ، لمبعث عبد الله بن على أغاه صالح بن على ومعه عامر بن اسماعيل وراء مروان لتتبعه في مصر (١) حتى أدركوه في بوصير من أعمال الأشمونين ، وبعث صالح بن على برأسه الى أعير المؤمنين أبي العباس (١) وكتب

⁽۱) الطبرى: ج ٢٠ ص ١٣٠ . (٢) عن لجوء مروان الى مصر ، النظر : الكندى : الدلاة ، ص ه٠٠ .

 ⁽٣) انظر: الأغلق ؛ ج ٤ ؛ ص ١٩٢ ، المسعودى : ج٦ ؛ ص ١٩٠ ، المسعودى : ج٦ ؛ ص ١٧٠ ، المسعودى : ج٦ ؛ ص ١٧٠ ، المسعودى : ج٦ ؛ ص ١٠٤ . ويروى البنادي (١) الولاة ؛ ص ١٩٠ ، أن مروان قتل يبوصير يوم الجمعسة لسبع يقين من ذى المحبة سنة ١٩٣ ، م

اليه « انا أتبعنا عدو الله الجعدى حتى الجاناه الى أرض عدو الله شبيهه فرعون ، فقتله بأرضه » ه

أما عامر بن اسماعيل الحارشي لهنه بعد أن قتله « احتوى على عسكره ، ودخل الى الكنيسة التي كان لهنها بناته ونساؤه ، لمقحد على لمراشسه ، وأكل من طعامه ، لمقالت له ابنة مروان الكبرى سـ وتعرفة بأم مروان سـ يا عامر : ان دهرا أنزل مروان عن لمرشسه حتى أقعدك عليها تأكل من طعامه ليلة قتله ، حاكما في ملكه وحرمه وأهله ، لقادئ أن يغير ذلك » •

وقد استهجن الخليفسة أبو المباس ما هعله عامر وكتب اليه يلومه : « أما كان لك في أدب اللسه ما يزجرك أن تقسد في مثل تلك الساعة على مهاد مروان وتأكل من طعامه ، صم ثلاثة أيام وتب الى الله هه ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك » ه

وماذا تفعل هدذه الروح التقية وسط جو كله قصاص وانتقام ووحشية ودماء ؟ لقد كان عبد الله بن على فى نفس الوقت يتتبع ذرية بنى آمية ما استطاع ، الى أن اجتمع عنده نحو تسمين رجلا وهسو فى مجلس له عند نهر أبى غطرس بالأردن ، غدخل عليه شاعر من موالى بيته هو شبل بن عبد الله ، غاشده قصيدة يحرضه على بنى آمية عبد الله غضربوا بالمعد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الأنطاع غاكل الطعام عبد الله غضربوا بالمعد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الأنطاع غاكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بمضهم ، وهكذا لم ينج من بنى أمية ال رضيح عليها وهو يسمع أنين بمضهم ، وهكذا لم ينج من بنى أمية الا رضيح بنى آمية بددمشق ، وصلب جسم هشام لأنه الوحيد الذى وجد سليما ، وكذلك استصفى عبد الله بن على بنبش قبور، وكذلك استصفى عبد الله بن على الولايات الكبرى ،

اهميسة نجاح الثورة العباسية في تاريخ الاسلام

تعتبر بيمة ابن العباس السفاح وتصفية الحكم الأموى ومصرع هروان بن محمد البداية التقليدية المعصر العباسى • ويهمنا قبسل أن نكتب أخبار هذا المصر مفصلة أن نتحدث اجمالا عن الميزات المسامة التى يتصف بهسا •

ليس من شك فى أن ظهور الحباسيين على سطح الحياة الاسلامية قد صحبه انتقال جذرى وتلمور عميق فى الحياة الاسلامية .

فقد غتج المباسيون صفحة جديدة في الصراع المالمي وفي موقفة العالم الاسلامي من القوى المحيطة به ، غمثلا تطورت علاقات الدولة الاسلامية بالبيزنطين ، ولم تعد الدولة المباسية تهتم اهتماما مباشرا ببلاد الشام وشرق البحر الأبيض المتوسط ، على حين كان الاهتمام الأهوى يتركز كله في بلاد الشام ومصر وشرق البحر الأبيض المتوسط ، حيث القواعد البحرية وحيث النسور الساحلية ، وكانت مصارك الأمويين مع البيزنطين معارك برية طاحنة ومعارك بحرية في كل جزء من شرق البحر الأبيض ، بل امتدت المركة الى غرب البحر المتوسط ، من شرق البحر المتمام المترب ودخول العرب الى ميدان الاندلسي،

هذا النشاط العظيم الذي شهده العصر الأموى قد قل شأنه في العصر العباسى: تولت الامارات الاسلامية في المصرب والأندلس مسئولية الدغاع عن حوض البحر الأبيض المتوسط الغربى ، وخفت صوت البحرية الحربية الذي كان يدوى من موائي الشام ومواني مصر ، غقلت بالتالي الاستعاكات البحرية بالطابع الذي عرفه العصر الأموى ، وستظل هذه الاشتباكات غاغية الى أن تستيقظ قليلا في ظل خفوذ الطولونيين والأخشيديين في مصر ،

ولم تعد الاشتياكات البرية تتفذ ذأك الطابع القديم الذي نسهده

عصر معاوية وخلفاؤه و انما تجمدت العلاقات حول نطاق الثغور الذي ويضع بجبال طوروس شمال الشمام وهضبة أرمينية شمال العراق وأقام العباسيون سلسلة من المحارس والحصون يتمركز فيها المرابطون المنصرفون للغارات المخاطفة الشاتية أو المسائفة ، أو ينصرفون الى لون من العلم والدراسة ، وكانت ثغور الشام تكتفى بصد غارات البيزنطيين في الأغلب الأعم أو تقوم وغارات خاطفة ، هى الى سياسمة الدفاع أقرب من سياسة المجوم ، وسيظل الحال على هذا النحو الى أن يقتصم صلاجقة الروم آسيا الصغرى مركز النفوذ البيزنطى و

كان انصراف العباسيين جسله صحوب الشرق ، هفى تركستان استطاع العباسيون الحياولة دون الخطر الصينى ودون التطرق الى العرب ، وقد سادت علاقات وثيقة بعد ذلك بين الصين وبين الدولة العباسية ، وسلكت التجارة ذلك الطريق البرى القديم المنحدر من الصين صوب الغرب ، وتدهقت واردات الصين على العالم الاسلامى ،

كما أثم العباسيون التوسع المسربي في المليم السند ووطدوا النفوذ السربي هناك ، وأتاهوا لتجارة الهند أن تدخل الى اسسواق المسراق في طمانينة ، ومكنوا لثقافة الهند من أن تواكب التجارة وتمضى في أثرها ، ونمت البحرية المربية في المحيط الهندي لتؤدي نفس الدور الذي أدته البحرية الأموية في البحسر الأبيض ، ويدأت السفن المعربية والبحارة المرب يدخلون مياه جزر الهند الشرقية وجنوب المسين ، وأصبحت البصرة من أهم المواني المالية ، تتجمع فيها المراكب المقادمة من الشرق الأقصى ، وانطبعت هذه المغامرات المربية المسلمين في المسراق وايران من هدذا التطور المجديد بتكوينهم من المسلمين في المسراق وايران من هدذا التطور المجديد بتكوينهم شروات طائلة ،

 الايرانيين في الاسلام جماعات أثرت في نجاح الثورة العباسية التي يعتبرها الكثير من الدارسين ثورة جماهير الشعب الايراني المسلم وقد مضى الاسلام في ايران تمكنا من الناس وانتصارا ، وصحب ذلك كله اختشار الاسسلام في تركستان وفي السند ، ونجاح الدعسوة التي الاسلام في مصر والمترب والأندلس الأمن الذي يجمل المصر المباسي عمر التحرر الاسلامي الكبير ، وسيتخذ هذا التصرر لبوسا اقتصاديا ويسم هؤلاء المسلمون في ذلك النشاط الاقتصادي المظيم الذي شهده المصر الساسي الأول ، ويتخذ لبوسا غنزيا غقد بدأت المناصر المباسي الأول ، ويتخذ لبوسا غنزيا غقد بدأت المناصر المباسعة الجديدة تدخل ميدان الثقافة الاسلامية بميزاتها وتجاربها ، غنكسبها غزة ، وبرع الكثيون في مختلف العلوم العربية وأصبحوا من أعلام النهضة المجديدة ، وانتهى ذلك بنجاح حركة الاحياء الفارسية المجديدة ،

على أن هـذا التحرر سيتخذ طابعا سياسيا ، عقد سيطرت هذه المناصر الجديدة على الجيش والنظام الادارى (") في المصر العباسي الأول، وأصبح هؤلاء المسلمون وقودا للحركة الاستقلالية التي انطلقته في العـالم الاسلامي كلم ، تؤذن بقصل جديد من قصول التصـرئ وما صحب هـذا التحرر من نشأة الدارس الاعليمية وتمـو المفكر، الاسسلامي ه

وشهد المصر العباسى الأول تطورا اقتصاديا عظيم الشأن سيصل الى القصة فى القسرن الثالث المهجرى ، مقد عملت الثورة العباسية على تحرر طبقة العمال والفلاهين من أعلال النفوذ الأموى ، وتم الاعضاء من الجزية وأبيحت ملكية الأرض وتشففوا من أعباء المضرائب ، وامتنعت المهجرة إلى المدينة مذارا من كساد الريف ، وتعم هؤلاء بالاستقرار والطفائينة فى ظل نفوذ الموالى المصاعد ، وليس من شك فى أن امتداد النفوذ العباسى الى الشرق الأقصى قسد أتاح

⁽١) غلهسوژن: التولة العربية ، من ٣٨ه .

غرصا جديدة أهام الحاصالات والسلع ، وما جسر ذلك من رواج المتصادى كبير يخالف مسورة الكساد التي غلبت على المجر الأموى الأحيد ، وانطلقت الطبقة الوسطى التي كانت عمود الثورة العباسية ومنتحت أمامها ميادين الاقتصاد ، تعامر فيها كيف يحلو لها ، وقسد استغلوا التجارة النامية واقتنوا النروات الطائلة وأصبحوا من أرباب الملايين ، وتحول أغلبهم ليكونوا طبقة أرستقراطية جديدة ذات قوة ونغوذ ، يصورها الجبو الذي يسسود قصص ألف ليلة وما يرسم في أخيلته عن حياة هؤلاه السراة من التجار ،

وشهد العصر العباسي نشاطا اقتصاديا في مجال الصناعة ، فقد تقومت المسادة الخام واستطاع العباسيون استملال مناجم الفضة والنحاس والذهب ، وفتحت السبل أمام التأثيرات الصينية والهندية ، وأصبحت الأسواق العسالية غير موصدة الأبواب أمام مصنوعات السياسيين ، ونشطت صناعة المترف التي تتطلبها عاجات قصور الملفاء والأمراء ورجاك الدولة والإغنياء الجدد ، ولما الطراز العباسي في الفن والصناعة يترجم عن هذه النهضة الصناعية الكبرى ، وسرى النشاط الي المتجارة الدولية ، ويصور المؤرخ هيد Heyd في كتابه « تاريخ التجارة » الآفاق الدولية التي فقتصت أمام التجارة العباسية ، فقد التجارة غنية الى أبعد الصدود ، وكذلك أدت منامرات العباسيين في الشرق الأقصى الى تدفق للتجارة في هذه الآفاق ، وفقحت أسواق الباغاب وهوض الفولجا ، وقد عثر أغيرا على نقود عباسية في هذه الباغاب وهوض الفولجا ، وقد عثر أغيرا على نقود عباسية في هذه البقاع تصور ذلك النشاط التجارى القديم ،

ويبدو أن تفاهم العباسيين مع ماوك الفرنجة في أوزوبا قد مكن المنامر أثهم التجارية أن تمتد الى غرب أوروبا وشمالها الغربي، وقسد العب التجار اليهسود في منطقسة الرين ويسميهم المؤرخسون العرب بالمرهدائية » دورا تكبيرا في عملية اللبادلة بالأسسواق ومهارتهم في

الأعمال المصرفية واتقانهم الغات الأوربية والشرقية ، وقد عثر المنقبون على مقسود عباسية في شمال غرب أوروبا هي بقية من ذلك النشاط المتجارى القديم و ونعت المعياة المصرفية لخدمة هذه العمليات التجارية الكبيرة وعرفت المصارف والصكوك (الشيكات) وعمليات التحويل المصرفيسة ه

وقد انفرد المصر العباسى بتطور جديد فى النظم الاسلامية ، ونظرة فاحصة الى ما عرف من نظم حكم أموية ، والى ما كتب عن نظم المسيين تقنعك بالطفرة الكبيرة التى قطمها الماسيون فى هذه الناحية ، فقد اعتمدت الخلافة المباسية على نظرية الامامة التى كانت محور المقيدة المباسية والدعوة المباسية .

وقسد أعطت هسده الامامة للفلاغة الساسية مسمة جديدة من القداسة لم تكن ممروغة في العصر الأموى ، ولم تكف المفلاغة المعاسية عن أداء هذا الدور المقيدى على الاطلاق ، وظلوا يضاطبون الأنصار، ويمسكون خيوط الدعوة طوال المصر المباسى الأول على الأقل ،

ولعل هذا يفسر جنوح المخلفاء العباسيين الى الاستئثار بالسلطة والاستبداد والاحتجاب عن الناس ، مغالفين بذلك الروح العربيـــة السمحة التى اطلت من هياة الأمويين ،

وتأثرت حياة مؤلاء الخلفاء واسلوبهم فى العمل وطريقتهم فى الحكم بالأساليب التى عرفها الساسانيون ، حتى لقد اعتبرها بعض المؤرخين نوعا من الاحساء الفارسي الذي امتد الى أكثر من ناهية فى ذلك المصر ،

وقد أحيسا المباسيون الديوانية الفارسية أو البيروقراطية المفارسية ، ولا شك أن بعث التقاليد الفارسية في المكم والادارة انما يمود الى عصر هشام بن عبد الملك، لكن هذه التقاليد طفت على النظام

العباسى كله حتى أن المستشرق بارتولد يرى غيها الديوانية الفارسية مظهرا وروحا ، فطائفة الكتاب والوزراء ورجال الدولة ترسمت التقاليد الفارسية القديمة في طريقة الممل وفي البروتوكول وفي المراسلات ، ويرى بعض الدارسين أن ذلك كان احياء الفارسية أيضا ، وتطورت النظم العباسية الأخرى ونما الجيش البرى المباسى وأصبحت غالبية الأجناد من هدده الطبقات المسلمة الجديدة ، غقد أصبحت لهم القوة والتيادة الى أن ينتهى الأمر بسيطرتهم على الحياة الاسلامية كلها ،

وكان التطور في ميدان المضارة لا يقل عمقما عن الميادين الأخرى ، وقسد وصلت الحضارة الاسلامية الى قمة التطور في القرن الرابع الهجرى الأمر الذي دعا المستشرق آدم منز الى أن يؤرخ لهذه الظاهرة في كتابه المعروف « العضارة الاسلامية في القسرن الرابع الهجرى » متناولا غيه الأعماق التي انتهت اليها حضارة الاسلام اذ ذاك ، وليس غربيا أن تكون هـذه النهمسة مصاحبة المركات الاستقلالية ولنعو المدارس الاقليمية والتنافس الشديد بينهما ولتمام حسركة التدوين ، تدوين التراث الامسلامي كله واكتسساب العلوم الاسلامية صفة الوضوح والأصالة والعبق ، ولشيوع الثقافة الاسلامية . في المالم كله ، ليس باعتبارها ثقافة مملية بل باعتبارها ثقافة عالية • وقسد اجتمعت عوامل عدة للوصول بالمضارة الاسلامية الى هده الصورة ، فقد كانت طبيعة العرب القائمة على تجنب السلبية ، والتعاون الدولي والتسامح مم الأقطار الأجنبية ، والالمادة من كل خبرة وتجربة، من أهم ما ساعد على اكتمال حركة الترجمة في الآداب العالمية المعروفة خصوصًا الآداب الاغريقية . وقد ألف الأستاذ أوليرى كتابه عن العلوم الاغريقية التي انتقلت الى الفكر العربي ، ولم يكتف المسرب بمجرد أيضا دخول غير العرب فى معترك الحياة العلمية ومعهم طاقاتهم الفكرية وأصبحوا أعلام مدارس المراق وايران • كان منهم أعلام النحويين ، والمنسرين والمحدثين والأطباء والفقهاء والفلاسفة ، ولا ننس ما كان

للمسركة الاستقلالية من أثر بالغ فى نشأة المدارس الاقليمية وتناهس هذه المدارس فيما بينها رنجة فى السبق أو التجويد •

وقد مست هذه النهضة الحضارية الفن الاسلامى الذى استفاد من أساليب عددة: من الأساليب الايرانية أو الهندية أو البيزنطية أو القبطية ، وأخذت هذه الأسباب كلها الطابم الاسلامى العام ه.

ولمل العصر العباسي عامة والعصر العباسي الثاني بخاصة يتميزا بظاهرة هامة. لابد من أن تدرس دراسة مستقلة وتظفر بالعناية اللازمة ، وهي الحركات الاستقلالية التي ظهرت على سطح الحيساة الاسلامية منذ القرن الثالث الهجرى فصاعدا ، وذلك بقيام الامارات الستقلة في الشرق والغرب على هد سواء مع اعتراف هؤلاء الأمراء بالتبعية للظيفة العباسي • ولابد من أن تدرس القوى المسكلة لها والظواهر التي تنطوي تحت لوائها وهل هي تفكك للدولة الاسلامية * أم هي مظهر من مظاهر النهضة وعلامة من علامات التحرر ٠٠٠ القوئ السياسية المشكلة لهما والمختفية من ورائها ، وآثارها الاقتصمادية والاجتماعية والفكرية ؟ فقد كانت في الحقيقة تطبورا مرحليا بدأً تطوره مندذ نجاح الثورة المباسية ، ولم يكن من المعقول أن تكتفي. القوى النامية بمجرد المساركة في الثورة وتعضيدها ، بل انه معقولًا أن تعمل على مكاسب سياسية وانتصادية ، وأن تطرد هذه الكاسب نموا حتى تتحول الى سيادة ونفوذ واستقلال ، ولن يقف هـ ذا المها الصاعد عند حدود القرن الثالث أو عند الأبماد التي تنتهي اليها ح عسيصل هذا المد الى بغداد وتوضع الخلافة العباسية تحت وصاية هـذه العناصر الجديدة ، حينما دخل البويهيون بغداد بحجة حماية الخليفة والدفاع عنه أو كما دخل السلاجقة بنفس هذه المجة .

وانتهى أمرهم باغتصاب السلطة تحت ظل من الخلافة الضعيفة المتهاوية ، الى أن يدخل المغول دنيا الإسلام على غير الاسلام ويعيروا غاراتهم الخاطفة الدمرة كانها الإعصار ، هيفتحوا ايران ويطبحوا بالسلاجقة ويدغلوا بغداد ، ويقتل الخليفة ويغز من بقى من سسلالة . العباسيين معتصما بمصر زمن الماليك .

هـذه هي التيارات الكبرى التي ظهـرت على سطح الحيـاة الاسلامية أو تعمقت الى جوغها طوال العصر العباسي ه هذا العمبر الذي يمانا أن نحدد له أبعاده الزمنية تحديدا وأضحا منذ دهـول القـوات العباسية مدينـة الكوفة والبيعة للخليفـة العباسي الأول أبي المال السفاح الى أن استطاع المغول دخول بغـداد والاطلحة بالخلافة العباسية عام ١٩٦ ه ه

الباب الثان العصر العباسي الأول

من أهم قضيايا الدراسات العباسية موضوع قسمة تاريخ العباسيين الى غترتين : غترة يصطلح على تسميتها بالمصر العباسي الأول ، وتشمل الفلفساء العباسيين من السفاح الى وفاة الواثق (٢٣٣ ه) ، والمفترة الأخرى اصطلح على أن تسمى بالمصر العباسي الثاني وينساق فيها تاريخ بنى العباس حتى آخر العهد بهم ،

واعتقد أنه يندى بادىء ذى بدء أن نعرض لهذا التقسيم هل هو جنرى أم سطعى و ما أعماقه ما أصالته ما صلته بالواقع ؟ هل هو مجرد تقسيم سياسى محسب أم هو تقسيم حضارى ، ويرى بعض الدارسين أن هذه القسمة ليست بذات جذور عبيقة لأن قصة المضارة الاسلامية واحدة لا ينبغى أن تفضع للتجزئة أو للتقسيمات و

وأعتقد أن وهاة ألوانق كانت خطا هاصلا بين عصرين يختلفان في بجميع المقومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وأن لدينا أسبابا كثيرة مستعدة من تاريخ بنى العباس تبرز هذه القسمة وتقويها وتجملها خليقة بأن تكون أسأسا صالحا لهرض التاريخ العباسي ه

ولدينا في هــذا الموضوع ملاحظات منهـا أن تطبيق شمارات الدعوة التى ظل الدعاة برددوبها منذ تنظيم الدعوة حتى عام ١٠٠ هـ حتى بيعة أبى العباس السفاح فى عام ١٩٣ هـ ، برزت بصــورة ملحة شمالة فى غنرة من التاريخ العباسى ، تبدأ بسنة ١٣٣ هـ وتنتهى بولهاة المحتصم . هذه الفترة وضحت فيها مكاسب الثورة العباسية وطبقت عمليا ، وقد شابت هذا التطبيق المطاء وصحته توفيقات ، ولابد أن يدرس هذا المصر من زاوية هذه الأخطاء أو التوفيقات فيصبح المصر المباسى الأول عصرا فريدا متميزا من وجهة النظر هذه ه

أما المنظم اللاحق على الواثق فقــد بدأت نهيه مكاسب الثورة تضيع لأسبلب خارجة عن ارادة الظفاء لموبدأت الأخطــاء تتفـــاعة وتؤتى ثمارها بظهور ثورات ذات طابع المسلاهي مثل ثورة الزنج أو ثورة القرامطة أو الدعوة الاسماعيلية ، الى أن تنتهى هذه الثورات: بنجاح الحركة الاستقلالية وتتسبب فى اضعاف نفوذ الخلفاء •

وثمة موضوع آخر يوضح البون الكبير بين المصر العباسى الأولئ والمصر العباسى الثانى ، وهو موضوع قدرات الخلافة وغماليتها ، فقد كنت هذه القدرات كأقوى ما تكون فى العصر العباسى الأول سأنظر سيرة أبى العباس والمنصور والرشيد والمأمون والمعتصم وقارن بينهم وبين جيل الأثمة الكفاة منذ عبد الله بن على بوكانت المخلافة تتصلك بالامامة ورئاسة الدعوة فى قدوة ، وتحكم صلتها بالتنظيمات المقيدية ولا تريد أن تنقط صلة القيادة الروحية فى المرأق بجماهير المتباع فى المفرب والمشرق ، وقد تبين هذا من الرسائل المسماة باسم رسائل الخميس ، ولعل هدذا التعسك هو الذى أكسب خلفاء العصر المباسى الأول هذه الكفاية والقدرة ،

أما بعد الواثق غان الخلفاء العباسيين قد مقدوا هذه الغمالية وفقدوا الصلة بتنظيمات الدعوة وان لم تضمف شخصياتهم و ويبدو أن آخر رسالة من رسائل الخميس انما كانت تنسب الى عصر المتوكل ، وهدذا يتمشى مع ما ظهر فى ذلك الوقت من ضمف الخلافة وتهاويها و مقدانها نفوذها المقيدى ، وقد تعرضت الدعوة العباسية لدعوات ذات دم جديد أغادت من التجارب العباسية وطورتها ، فصد ظهرت الدعوة الاسماعيلية فى اليمن و المغرب ،

ومما يحدد أبعاد العصر العباسى الأول موضوع الجند من الموالى. ودخواهم صفوف الجيش العباسى ، تحقيقا للمكاسب التى نالوها ، فهم أصحاب المورة الحقيقية ، وقد بدأ هذا الدخول منذ وقت مبكر جدا ووصلوا الى مراتب القيادة وكانوا عمود جند الخلافة ، ولم نسمح فى هدده الفترة أن هؤلاء الجند طغوا على الخلافة أو تعرضوا لها أو سيطروا عليها ، بل كانوا عون الخلافة وأداتها في قداليتها ونضائها م

أما فى عصر الوائق نقد ظهر الجند الأتراك وتألق نجمهم ، واستبدوا بالسلطة حتى دخول البويهيين ، ووصلوا الى منصب أمير الأمراء وسيطروا على الولايات واستقل منهم كثيرون ، وكانت الخلافة تتهرهم أحيانا ويقيرونها أحيانا أخرى حتى أطلق على همدذه الفترة عصر نفوذ الأتراك في التاريخ العباسي .

حتى المنصر العربي نفسه وتطوره توة وضعفا يشارك فى تحديد الفرق الواضح بين المصر العباسي الأول والثاني ، غفى المصر العباسي الأول لم يتقهقر هذا المنصر تماما ، صحيح أنه غلب على أمره ، ولكنه ناهل تنبل أن يموت ٥٠ وقد طفا على السطح من وراء نكبة البرامكة وفى خدلال النزاع بين الأمين والمامون ، حتى استمان المامون . عالمراسانية مرة أخرى لقهرهم ٥

ومن الواثق غصاعدا اختفى المنصر العربى على الأقل من الحياة السياسية تماما ، ويبدد أنه اختفى من القوات المسلحة على الاطلاق يعمد اسقاطهم من العطاء ، وما نبع ذلك من تفك القبائل العربية واختلاط أنسابها ، واستقرارها في الريف وانسحاب بعضها الى الجزيرة العربية مرة أخرى ،

ويمكن أن نتخذ موضوع نفوذ الموالى للتفرقة بين العصر العباسي الأول كان نفوذ الموالى صاعدا ، الأول والثانى ، غفى العصر العباسي الأول كان نفوذ الموالى صاعدا ، الطبقات العساملة دخلت القوات المسلحة ، وتحولت البرجوازية الى ميروقراطية بتوليها الوزارة والكتابة ، ولكن نفسوذهم لم يكن طاعيا ، واذا رضيت الخلافة بالشاركة غانها كانت قادرة على الحركة كما علمات بالبرامكة ،

أما فى المصر المباسى الثانى فقد انطلق نفوذ الموالى دون تيد في وقت ضمفت غيه المثلافة ، هانقلبت امتياز اتهم السياسية فأصبحت (م 3 - المصر المباسى)

هِكَةُ استقلالية صَمْمة بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، تُم تَعْير وجه العصر العباسي بسيطرة البويهيين والسلاجقة ،

حتى الناهية الثقافية والفكرية تظهر لنا فرقا وأضحا بين العمرة المهاسى الأول والعصر العاسئ الثانى م فقسد كان العصر الأول هو عمر التحضير للنهضة بمعالمها الواضحة : دخول الموالى حلبة الفكر يعلمهم وتجربتهم المترجمة من الآداب الأعجمية دون تيد ، كما ظهرت بوادر التاتيح الثقاف والفكرى ،

أما المتألق عكان في المصر الساسي الثاني ، وبلغ هـذا التطور النساية في القرن الرابع الهجـرى ، ثم بدأ دور الشيخوخة في الثقافة العربية بعد هـركة الاحيـاء الفارسية وظهور الفارسية الجـديدة والتركيـة ،

* * *

ف هذا العصر النماسي الأول الذي يمتد من بيعة السفاح في سنة ١٣٣٨ الى وغاة الواثق في سنة ١٣٣٧ ، وفرى أن أهسم الموضدوعات الكبرى التي سنتناولها هي على الترتيب التالي :

الفصّ لالأولّ،

تقسدم المناصر الايرانيسة في المصر المبساسي الأول

موضوع الموالى عامة أو الطبقات غير العربية التى بدأت تسلم وتستعرب من أهم موضوعات الدراسة فى العصر العباسى كله ، بل لملها من أهم موضوعات التاريخ الاسلامي كله ، لأنه فى المقبقة هوضوع تاريخ الشعوب الاسلامية وأثرها فى الحياة الاسلامية بجميع مظاهرها ،

واذا استعرضنا أقاليم الدولة الساسية لنتصرفة على التيارات الموجهة الشعوب التي دخلت فى الاسلام ، ولنتعرفة على وجهة نظر ها ويتبين مواقفها من مشكلات الاسلام ، لوجدنا مثلا أن موقف المحريين لم ميز مشاكل كنيرة أمام المباسيين ، فقدد استقاموا على الطاعة المعباسيين فى عصر الولاة ، ثم ظهر نفوذهم من وراء الطولونيين والخماسيين ، وكذلك الحال فى بلاد المعرب التي استقرت أوضاعها المطالعة أو الأدارسة ،

غير أن مشكلة المشاكل عند العباسيين الأوائل كانت مشكلة عناصر الموالى من الايرانيين .

وقد اختلفت هيها آراء الكتاب والمؤرخين مند القرن الثالث المهجسرى حتى اليوم ، فالجاحظ أهد كتاب القرن التاسع الميلادي يقولاً : « دولة بنى العباس أعجمية خراسانية ودولة بنى مروان أموية عربية » وطلع جوبينو (ا) وغيره من مستشرقي القسرن التاسع عشر

Gobineau : Histoire des Perses,

Browne : Literary History of Persis. vol I pp. 251-252

Dozy : Hist. de l'islamisme (trans.) pp 228-229

Sykes: History of Persis vol. I p. 586.

علينا بنظرة جديدة ، وذلك حدين لمسروا المراع بين الأموينة والمساسيين ، والانشقاق الدينى كلسه على أنه صراع عنصرى بين السلمين والآربين ، واعتبروا فوز المباسيين نصرا للفرس على العرب مكنهم من تأسيس امبراطورية فارسية جديدة متشدة بقناع فارسي اسلامي مكان الدولة العربية الذائلة .

وهنالك مؤرخون آخرون يفسرون أحداث الشورة العباسية على أسس اقتصادية إجتماعية ، غبرنارد لويس مثلا يقول « العداء المعنصري كان له أثره في الشورات التي أدت الى سقوط الأمويين عالم أثره في الشورات التي أدت الى سقوط الأمويين عاد كبير من المامل الرئيسي المحرك لها ، وأنه على الرغم من وجود عدد كبير من الفرس بين المنتصرين الا أنهم لم يحرزوا النصر بوصفهم من الفرس كما أنهم لم يهزموا أعداءهم بصفتهم عربا ، وضمت جيوش الثورة عربا كثيرين وخاصة من قبائل الجنوب التي لم تكن بعد ثابتة التقدم في أرستقراطية الماتحين ، ولم يكن الموالي كلهم من الفرس بأية حال ؛ بل كان بينهم عراقيون وسوريون ومصريون ، انما القوة المحركة للثورة مائلة في التذمر الاجتماعي والاقتصادي الذي سببه الحسكم الأمسوي (() +

ونعن نفالف أنصار الرأى الأول ، ونرى أن الأمر لم يمسل الى درجة المنصرية بالصورة التى مسوروها ، ولم تكن الصورة كما تصورها المجاحظ ، معترفين بأن طاقات من السخط قد تجمعت فى سعاء ايران : اجتماعية واقتصادية ، وأن هذه الطاقة فجرها أو استخلها الدعاة المباسيون عندما كانوا يلوحون بشمارات الاصلاح والمسلواة ، واستغلوا هدد المجماهير السلخطة فى اسقاط الجسكم الأموى ونقلة المجلفة المهم ،

وأن ثمة تحالمًا وثيق العـرى تم بين الايرانيين الساخطين وبين الدعاة العباسيين، ، وأن نجاح الثورة الزم العباسيين بأن يغوا بمــا

⁽١) برنارد لويس : العرب في التاريخ ، ص ١١٤ .

هعدوا وأن يطبقوا شعار المساواة ، وأن عناصر الموالى وجـــدت بـا.١ مفتوحا نحو مستقبل وأمل نمانساقت نميه مؤثرة فى المثياة الاسلامية .

وقد واجه العباسيون هذا التيار فى العصر العباسى الأول بمسا هدف العناصر ما تتمناه ، الا أن هدف العناصر ما تتمناه ، الا أن هدف التيار انقلب زحفا هائلا فى المصر العباسى الثانى نتيجة ضعف قفوذ الخلافة والمركات الاستقلالية التى انتشرت فى الشرق والغرب .

وأعتقد أنه من الستحب أن نستبدل لفظ الموالى باصطلاح أبلغ في الدلالة على ما حدث ، وآلا نستبدله بكلمة الفرس لأن الفرس كانوا قطاعا من مجموعة العناصر أعم وأشمل ، انما ينبغى أن نقول (العناصر الايرانيية) لأن أيران كمصطلح جغرافى كانت بوتقة ترعرعت غيها كل العناصر التي ظهروا على مسرح الحياة العباسية ، غهى تضم المفراسانية الذين ظهروا مع أبى مسلم ومع الطاهريين ، وهى تضم أتراك ما وراء النهر الذين برزوا فى عهد المتصم ، وهى تمم الفرس مسكان المناطق الجنوبية ، والديلم سكان المناطق الجنوبية ، والديلم سكان المناطق الشمالية الغربية ومنهم بنو بويه الذين عرفتهم المورى ،

ويمكننا أن نرى فى هذا التيار الايرانى المؤثر فى الحياة المباسية قسمين : قسم يمثله تيار منافر لا يتجه الى البناء انما يتجه الى الهدم وقد اتخذ لبوسا سياسيا دينيا ثقافيا ، وقد تصدى له المباشيون الأول بالمقاومة حتى استحقوا تقديرا ممينا فى التاريخ ، تصدوا له وهم القوياء ، لأنه لو ظهر فى وقت ضعف الساسيين لكانت الفتنة المقاضية ،

وقسم آخر يمثله تيار متعاون ، آغاد منه العبآسيون في مراحل الثورة الأولى وأوجدوا نوعا من المشاركة ، وتقدم هؤلاء الناس في جميع النواحى الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، غالتطور السياسي والعسكرى أغضى الى العركات الاستقلالية ، والتطور؛

الاقتصادى الاجتماعي أغضى الى رأسمالية الايرانيين ، والتطورج الثقافي المياء .

التيمسار المسافر:

أما عن التيار المناغر الهدام غهو يتمثل غيما ورثه الماسيون من مشاكل التاريخ الإيراني ، خيره وشره ، غقيد ورثوا نفس التيارات القديمة التي كانت مشكلة الساسانيين والزرادشت وهي التيسارات المانوية والزدكية (١) •

فقد كانت تمساليم مزدك الاشتراكية تثير الطبقات الدنيسة والمتوسطة ، وكادت أن تقوض أركاق النفوذ الساساني في القرن الرابع الميلادي ، وهي نفسها التي أقضت مضجع الساسيين في القرن الثامن الميلادي ، ثم مذهب الننوية المسابقي في الطابع المسوف الذي كان يثير المتاعب في المصر الساساني أصبيح اليوم يثير المتاعب الفكرية في المصر العباسي الأول ،

وكل الحركات المهدامة التي ظهرت في المصر المباسى الأولال اذا حللت نجدها تتخد تعاليمها الدينية من الهرطقات (المذاهب) الايرانية المقديمة ه كانت هذه الحركات سافرة أول الأمر وقد أدى سفورها الى سرعة غشلها ثم كبتها ، ثم بدأت بعد ذلك تتخذ نزعات توفيقية بنشر تعاليم هي مزيج من المزدكية والشيعة المتطرفة ،

هذه الحركات السافرة ظلت مشكلة المصر المباسى الأول حتى. وهاة المعتصم ، واليك استعراضا سريعا لأهم هذه الحركات :

كان مصرع أبى مسلم على يد المنصور من أكبر الصدمات التي عانتها القومية الإبرانية ، وقد انتهز الزدكيون هذه الفرصة ، وتحت

Browne : Literary Hist. of Persis. vol. I. P. 328. (۱) حديثه من الساوية ، صنحات ١٥٤ ، ١٣٦ ، ١٧٩ . (۱) والمرتكبية ، صنحات ١٧٦ . ١٧٣ . .

علم الثار لأبى مسلم رنسوا راية العصيان بزعامة سنباذ من أتباع: أبى مسلم في ما وراء النهر (١) ٠

وقد تمكن المنصور من القضاء عليه ولكن ذلك لم يقطع دابر هذه المركات ، فقد قامت حركة أخرى منفطة بالزدكية ومأساة أبى مسلم على يد رجل اسمه أستاذ سيس () واستطاع المنصور أن يقفى على هذه الحركة في المهد و وكانت الخلافة في أوج فعاليتها و

وتتابع الحركات الهدامة بمد ذلك مما يدل على اعتمادها على أقلية لهرانية كبيرة ويدل على تمسكها بالروح الايرانية تمسكا كاملا ، فقد أغمل المقنم الفراساني (٢) الثورة في منطقة مرو مركز نفوذ أبي مسلم: في خلافة المهدى ، وانتشرت في ايران الشمالية وما وراء النهر وتجلعة فيها المزدكية صريحة واضحة في ابلحة الملكية والفساد ، وقد استعربت هدده الحركة ١٣ سنة (٤) .

واكتسبت هذه الحركات ضراوة فى القتال وخبرة عسكرية وأهادت من ظروف الدولة العباسية أحسن الهادة تحت علم بابك الخزمى (") (٢٠١ سـ ٢٢٢ هـ) وكان بابك زعيما مزدكيا له مواهب قيادية وعسكرية عظيمة ، وكان معظم أتباعه من الفلاهين ، وبدأ يكسب ولاء الدهاقين ،

Browne: vol. 1 P. 328.

⁽۱) كان سنباذ رجلا مجوسيا بن بعض تسرى نيساور وكان من المحداب ابى مسلم وصنائعه ، غلسا قنسل ابو مسلم ثار سنباذ وكثر المسلم في المسلم ثار سنباذ وكثر المياعه واطاعه اكثر اهل الجبسال الواقعة جنوب بحر تزوين أو بحسل طبرستان وغلب على كثير من بلاد خراسان واضطر المنصور أن يرسسل اليه جيسا كليفا خاض معه معارك واسعة ، انظر ابن طباطبا : الفخرى ،

 ⁽۲) اعلن النسورة في هرات وبادنيس وسيستار واجتبع آله نحو من غلائيلة الله من الانصار وتضي عليسه خاتم بن خزية (۳) عن تعاليم المنتع انظر النويختي : الشيعة ، من ۲۲ —
 (۳) عن تعاليم المنتع المناس المنتع المنتع

⁽³⁾ (a) انظر:

Browne, Literary Histony of Persis, P.P 821-831.

• ۲۶ز مرد تعاليبه الى الزدكيـة ، أنظر الطبرى ، ج ، ١ ، ص ٢٤٤

وكان مركز الحركة في أذربيجان مركز القلاقل والفتن ، ونالت المحركة تأييد الأكراد والأرمن والقوقازيين وسعت الى ايجاد تحالف مع البيزنطيين (') •

وكانت خطورة بابك الخرمى آتية من اعتصامه بوعورة المنطقة وتحالفه مع أعداء العرب واستيلائه على الطرق التجارية الشمالية عوقاوم الدولة بقوة السلاح نحوا من سبع سنوات وهزم أربمة من قواد المساهون ، ولم يقم بالعمل العسكرى الحاسم الا المتصم (١) ، ولمل هسذا هو الذي اللجأه الى الاستمانة بالترك •

وشهد عصر المغتمم صورة من هذه الحركات كان طابعها عسكريا أكثر منه عقائديا وأعنى بها حركة الأغشين (٢) فى ما وراء النهر •

على أن هذه الحركات الهدامة لم يكن لبوسها ثورات وحركات عسكرية فقط ، انما اتخذت لبوسا فكريا يتسرب في طمأنينة وصعت ونقصد بها حركات الزندقة (⁴) •

وكلمة زنديق تطلق على من اعتنق المانوية و والمحاهظ الذي عاش في عصر المامون درس كتب الزنادةة وعلق عليها وقرأها بدقة في وقال انه ينطبق عليها ما عرفة عن المانوية ذات النزعة الصوفية ، كما ذكر الأصحبهاني ما يفيد تأثر هسدة المصركة بتعاليم قريبسة من المسيحية والزرادشتية والاسلام ،

⁽۱) يعطينا براون بعض التعاصييل عن تعاليم بابك الضربي -ص ٣٧٦ - ٣٢٨ ، انظير كذلك البلخي : البسيد، والتأريخ ، ج ؟ ؟ ص ٣٠ - ٣١ ،

⁽Y) أسره الأكشين وحبله الى سرون راى . أنظر : آنظر الاكشين وحبله الى سرون راى . أنظر الاكشين وحبله الى سرون راى .

 ⁽۳) الطبرى ، ج ، ۱ ، مس ۳۹۲ .
 (۱) عن النادعة : انظ الغذال :

⁽۱) هن الزيادية : انظر الفزالي : كتاب نيصل التفرقة بين الاسان والزندية ، ص ۳۷ ، ۸۸ د الاغاني : ج ۳ ، ص ۸۷ ، ۸۲ Browne. Vol. I. P.P. 159.

ثم انقلت الى نزعة تحررية تهاجم التقاليد وتنتشر في أوسداط المتعلق على المتعلق المتعلق

على كل حال كان المامة وأشباههم يطلقون على المسلجن الستهتر كلمسة زنديق ، لمحماد عجرد وأبراهيم بن سيابة الشاعر كانا يرميان حالزندقة ، وآدم حفيد عمر بن عبد العزيز أتهم بالزندقة لأنه كان خليما متهمكا في الشراب ، والواقع أن كثيرا من الشعراء في ذلك المصر أغرطوا في دعوة الناس الى الاباحية وحملهم على الاستهتار ، وتعرضوا للدين أحيانا وجهروا بأقوال فيها تهكم وسخرية ،

وقد رويت أشدمار من هذا القبيد ل نسبت الى بشار: وآبى نواس (أ) ، وشاع اتهام بعض الناس بالزندقة لا عن عقيدة أنما ليشتهر بالظرف ، قال صاحب المقد (°) ، « ان علامة الزندقسة شرب المقصر والرشا في المحكم ومهر المنفى » ،

وقسد اتخذت الزندقة اتجاها كثر وهو اعتناق بعض النسساس الاسلام فى الظاهر واستبطان دين الفرس القسديم (أ) • وهؤلاء لم يؤمنوا بالاسلام انمسا كمنوا بسلطانه وأن لا سبيل لنيسل المساد والسلطان والمسال الا بالاسلام • وقوم كفرون سعوا الى نسساد المعتبدة الاسلامية بالانتساب اليها حتى يستطيعوا أن ينفثوا تعاليمهم

 ⁽۱) انظر رای الجاحظ فی بعض تصائد ایی نواس ، الحیسوان ۶ ۵ می ۱۱۳ ـــ ۱۱۴ ، الجهادیاری : الوزراء ۶ می ۱۳۶ ،

 ⁽۲) النشري عس ۱۹۳ سه ۱۹۹ .
 (۲) ابن تتبية : المسارف عص ۱٤٨ .

 ⁽٦) أشار أبن التديم ألى من رمى بالزندقة من الملوك والرؤساء ،
 مقد البرامكة ومحمد بن عبيد ألله كاتب المهدى ، ومحمد بن عبد الملك

⁽۵) المقد التريد ، ج ۱ ، ص ۱۹۷ .

أدار مساحب المهرست الى الذين المهروا الاسلام وإبطاسوا فرزوج ، بين طاؤوت ، ابن الأمدى الحريزى ، مساح بن عبد العموس ، ربي المتسار اء ، بشار واسحق بن خلفة وعلى بن الخليل ، حس ٢٧٣ .

على أشكال مختلفة طورا فى العلم والدين وطسورا فى الأدب و وأهيانا كانوا يعملون أفرادا وأهيانا جماعات و ومن أمثلة هوالاه عبد الكريم بن أبى العوجاء الذى كان يفسد أهاديث الرسول خو ومعاد الراوية الذى كان يفسد اللغة والأدب بعا يدسه على الشعراء له وأمثال هؤلاء كانوا يدينون بدين المجوس عن علم ويتظاهرون بالإسلام الملالا للناس (١) وقد عرف بهذا النوع من الزندقة فى هدفا المصر حصاد عجرد وحصاد الراوية وحصاد بن الزبرقان ويشهان ابن برد وابن المقدم ويوشس بن أبى غروة ومطنع بن اياس وصالح ابن عبد القدوس وعلى بن خليل ، وقد حفل كتاب الأغاني بتراجم الكرين المنهم و

وأحيانا تطلق كلمـــة الزنادقة على أنبـــاع ديانة الفـــرس دوي. انتحال الاسلام أو على الذين جحدوا الاديان كلها •

ولم يعرف عن المنصور امعانه فى المسطهاد الزنادقة • وكاتت لمياسته قصع المفتن الظاهرة • فلما جاء المسدى كان من أجرئ الأمور فى عهده تنكيله بالزنادقة والبحث عنهم • وقد عين رجسلا عهد اليه بأمرهم سماه « صاحب الزنادقة » (") •

وكان المهدى شديد الاعتمام بهذه الفتنة حتى لم ينس أن .
ينصح ولى عهده أن ينكل بهم (") • وقد نفدذ الهدى وصية أبيه واشتد في طلب الزنادقة • ولما آلت الخسادة آلى حارون الرشيد نهج نهدج من سعبقه من الخلفاء في تعقب الرادقة (") واستمرت الدولة تواجه هدذه المقتن بالتصدى والمصم في عهد المامون (") • وكانت محاكمة الأغشين في عهد المتصم صووة

⁽۱) احسد امين : ضحى الاسلام ، ج ٦ ، ص ١٥١ . .

⁽٢) الأغاني ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ . الطبري ، ج ١٠ ، ص ٩ -

⁽٣) الطبرى ، ج ١٠ ، س ٢ ، . . . (٣) المبرى ، ج ١٠ ، س ٢ ، . . . (٤) نفس المدر والجزء ، ص ٥٠ .

⁽³⁾ نفس المصدر والجرّء عمن ٥٠ . (٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

معبرة عن اهتمام الخائفة العباسية بهذه الحركة الهدامة ، غلما خرج الأغشين اتهم بالزندقة وألفت محكمة لمحاكمته من أعضائها محمد ابن عبد الملك الزيات وأحمد ابن أبى دؤاد (١) .

وقد تصدى أهل السنة لقاومة هؤلاء الناس حتى أن طائفة تجيرة من أدباء هدذا العصر ومفكريه بذلوا النجهد الواضح في مكافحة الزندقة و وتصدى علماء الكلام اتسفيه الزنادقة والرد عليهم (١) ومن ثم أيضا علم الكلام ، وكان واصل بن عطاء (١) أول من تصدى للرد عليهم ، وكان لأبي الهدذيل المسلك (١) مناظرات طويلة مع الزنادقسة ،

وفى المصر المباسى الأول ظهرت نزعتان شهيرتان: نزعة تقدول بأن المرب ليسوا أغضل من غيرهم من الأمم ٥٠ والناس كلهم من هليئة واحدة وسلالة رجل واحد ٥ والتفاهل بين الأغراد وليس بين الأمم (٥) ٥ وأمصاب هذه النزعة كانوا يسمون « بأهل التسوية » وممثلهم أكثر المتصرين من العرب والمجم ، وخموما أن روح الاسلام وقواعده تدعم هذا الرأى ٥ وأطلق على أصحاب هذه النزعة اسم « الشموبية » لأنهم يقولون « بالشموب » أى يقولون بأنه لا غرق بين الشموب من عرب وغيرهم ، غاتخذوا هذا الاسم اعتراها بأن الشموب سواء ، وسحوا بالشموبية ، ولم يكن في اتجاه هؤلاء ما يضمين المرب أو يغضب الحكومة العباسية ٥ فقد كانوا يستجيبون السحارة

⁽۱) انظر محاكمة الانشين الطبرى ، ج ١٠ ، س ٣٦٤ .

⁽٢) ابن الخيساط: الانتصار ، من ٨١ .

⁽۱) العبد المين : ضعى الاسلام ج 1 ، ص ١٧ - ١٨ ·

⁽¹⁾ بن أتوى الشخصيات في مدرسة البمرة . كان رئيس الاعتزال: في عمره واليسه يرجع الفضل في تطعيم ببادىء الاعتزال ببندىء الفلسفة وهو محمد بن الهذيل الملاك من موالى عبدالقيس . ولذلك يتال له العبدى. حيد عبد نصو مائة سنة فقد ولد سنة ١٣٥ ومات سنة ١٣٥ه في أول خلاقة المتوكل ، وبلغ نروته في أيام المامون ، انظر أحمد أجين من ١٩٥٨ من ١٨٥ من اما من من اما من

⁽٥) ألمقد الفريد: ج٢ ٤ ص ٨٩٠٠

المساواة الذي رهمه الدعاة المباسيون ، ولكن النزعة الأخرى هي اللتي نريد أن نلفت اليها النظر وأن نضعها بين المصاولات الهدامة اللتي تصدى لها المصر المباسى الأول حفاظا على تراثه وثقلفته ولم يكن التصدي على المستوى المكومي كما رأينا عند حديثنا عن الزندقة انما كان التصدي أمانة في أعناق أعلام المرب ومفكريهم وكان صلاحهم ليس السيف انما القام ومقارعة الحجة بالحجة والرأى بالرأى ،

والنزعة الأخرى تميل الى الحط من شأن العرب وتفضيل غيرهم من الأمم عليهم ، وقد أطلق على هؤلاء أيضًا اسم « الشعوبيسة » غالجاحظ وابن عبد ربه يطلقان عليهم هذا الاسم عندما اشتد سلطانهم أيام الرشيد والمامون · ورد في اللسان « والشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم غضلا على غيرهم » وهؤلاء كانوا يرون أن العرب كالهـة لا ميزة لهم اذا قورنوا بالرومان أو الهنود أو الشرس وأنه ليس عنسدهم ما يفضرون به ، فأين ملكهم من ملك الفراعنـــة والعمالقة والأكاسرة والقياصرة • والعربُ في زعمهم أضعف الأمم شأنا وأعقمهم يدا وأجدبهم عقلا ، واذا غذروا بالاسمالم غليس الاسسلام دين العرب وحدهم بل هو دين الناس كاغسة • ومن الغريب أن الذين حقروا العرب على هذا النحو كانوا ، اما ممن ظلوا على دينهم القديم أو أسلموا ولا يدخل الايمسان في قلوبهم أو غلبت عليهم النزعة الوطنية ، وكان الشعوبيون أخلاطًا مختلفة منهم هرس وببط وقبط وأندلسيون ، وقد صبحت شعوبية كل صنف من هؤلاء بصبغة خاصمة ، وبعض هؤلاء الشعوبيين الفوا في مناقب العجم : فسعيد بن حميد البختكان الله كتاب « انتصاف العجم من العرب (١) » وكتاب « فضل العجم على العسرب وافتخارها » وبعضهم وضع الكتب في مثالب العرب كالهيثم بن عدى الذي وضم

⁽۱) النهرست ؛ ص ۱۲۳ ،

عدة كتب في المثالب منها كتاب « المثالب الصغير » وكتاب « المثالب المكبر » وكذلك مسهل بن هارون صاحب « بيت الحكمة » وألف علان المشعوبي كتاب « الميدان في المثالب » قال فيه ابن النديم « انه هتك فيه المسرب فاظهر مثالبها (أ) » كما ألف أبو عبيدة معمر بن المثني كتبا لكثيرة تعرض لهيها للمسرب منها « كتاب لصوص العرب » وكتسساب « أدعياه العرب » كما ألف كتاب « هضائل الفرس » •

كما عصد الشعوبيون الى أنهم وضعوا فى الأدب قصصا كثيرة تؤيد حججهم واختلقوها اختلاقا • هــذا الى أنهم لونوا كل ما رووا من تاريخ الفــرس لونا زاهيا جميــلا ونسبوا الى ملوكهم المحكم المرائعة والسياسة الحكيمة ، ونكاد نلمس أثر الشعوبيــة حتى فى المقــه نفسه •

وقد انبرى العرب بأعلامهم لهؤلاء الشعوبين يردون على ما يذيمونه من مثالب أو ما يشيعونه من أباطيل في مسلجلات طريفة حفظها أدب القرني الثاني والثالث الهجرى •

وقد دغم هدذا العلماء العرب الى النظر فى التراث الغسابن محاولين بعثه واحياءه ليدحض نظريات الهدامين ، غانصرف الهمداني الى الحيساء غابر اليمن وانصرف آخرون الى الإنساب أو الأمسنام أو الأدب القديم حتى ردوا كيد الشعوبيين الى نحورهم ، وأسهموا الى جانب الخلفاء والمتكلمين بمقاومة هدذا التيار الهدام •

ويرجع الى العصر العباسى الأول القضاء على هدده المصركات الهدامة ، فقد أسلموا الأجيال القادمة حركة اسلامية قوية مبرأة من الشوائب الى حد كبير •

* * *

⁽۱) النهرست ، ص ۱۰۵ ، ۱۰۹ ،

التيسار الموأفق:

أما التيار الآخر الموافق الذى أغاد منه العباسيون وأغاد هو منهم وتمنى به التيار الايرانى الصاعد المتقدم فى المساح طوال العصر المباسى الأول ، وقد تجلى هذا التيار الايرانى الدافق فى ميادين علائة: الميدان الفكرى والميسدان الاقتصادى الاجتماعى شم

والتقدم الفكرى معقيسة اعترف بها المؤرخ ابن خلدون فى مقدمته (١) حين قال ان حصلة العلم فى الاسسلام أكثرهم من المجم ، وإذا درسنا كتب الطبقات (٢) دراسة دقيقة فاحصة لتبين أنا أحر هدذا الدم الجديد الذى دخل الى ميسدان الفكر فى العصر المباسى ، وأسهم فى البعث وكان من مقومات النهضة •

فقد ترك الفنانون الايرانيون أثرا واضحا فى الفن الاسلامى فى العصر العباسى الأول، وأدى ذلك الى ظهور ما يسمى بالطراز العباسى فى الممارة، هـذا الطراز متأثر الى حد بعيد بالأسااب الساسانية •

وقد أذاعه العباسيون فن العالم الاسلامى كله فائر في العمارة في مصر: ، ثم انتقل الى تونس في عصر الأغالبة ووصل الى القمة في المقرن الثالث العجرى •

ويذكر الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه « غنون الاسلام » (") أن التـــاثير الايراني لم يكن قاصرا على الأساليب الفنية أو المعمارية أنسا امتد الى الصناعات نفسها ، وبدأت الصناعات في العصر المعاسى عتلد النماذج الفارسية في الخزف •

⁽۱) أنظر: التسدية عمن ١٥٥ ،

 ⁽٣) ارجو أن يدرس ما ورد في كتاب ابن النديم : المهرست بعناية ،
 النظر مثلا المتالة الثانية من أخبار النحويين واللغويين ، ص ١٦ - ١١٥ .

⁽٣) غنسون الاسلام ، ص ١٣ .

هــذا التـــأثير الايرانى طبع الفن بطابع واضح ، غاذا قلنا ان القـــون الثالث الهجرى هو عصر النفوذ الايرانى فى الناهية السياسية عيمكننا أن نقول انه عصر الفنون الساسانية أيضا .

والتأثيرات الايرانية لم تكن قاصرة على الفسن بل تجاوزته الى عيدان الأدب العربى نفسه و وقد درس الأستاذ أحصد أمين (") عدد الظاهرة ف كتابه ضمى الاسلام ، وهو يرى أن الأدب الفارسي ثارة في الشمر العربي وأن شعر القسرن الثالث بصفة خاصة عربى في شكاه وريما في لفظه ولكنه فارسي التعبير و

وقد أقد أقبل الفرس على الأدب العربي يتمكنون منه ، وبسرع كتيون منهم في قرض الشعر ، وثمت أمر آخر يشير اليه الأستاذ الحسد أمين وهو أثن الفرس فيما يسميه بالحكم الاسلامية أو علم الأخلاق عند تأثر بالقرآن المؤخلاق عند تأثر بالقرآن وهو يرى أن علم الأخلاق عند تأثر بالقرآن والمؤفلات ، وبالكتب المقدسة ولكن التأثير الفارسي كان في غاية القرة عبوى أن ابن تتيية في عيون الأخبار وابن عبد ربه في المقد الفسريد الموضوع .

وتجاوز أثر الايرانية هذه الأبعاد وأثر فى الموسيقى والمناء ، والربيط الشعر بالموسيقى شديد ودراسة كتاب الأغانى لأبى المرج من على على المربحة على تسرب الكثير من ضروب النعم الفارسى وأساليبه الى الموسيقى المربينية •

ومن مظاهر التأثر نشأة مجالس الطرب والمنادمة التى شاعت على التخصوص فى العصر العباسى وأصبحت من الأساليب الشائمة فى بلاط المخطفاء وفى البيوت الأرستةراطية العربيسة والفارسية ، وهسدذا المسلومة فى المنادمة انما هو السلوب فارسى محض .

۲۲۹ – ۱۹۹ می الاسلام ، ج ۱ ، من ۱۹۹ – ۲۲۹ ،

ولا ننسى أن نشير الى الرسائل الديوانية وهى نحو جديد قه ميدان النثر والترسيل عند العرب ، وأسلوب هذه الرسائل وملتحويه من تقاليد ومبالغات وأساليب خاصة فى التعظيم والتفخيم انما هي أساليب غارسية النبع ، ظهرت اللمرة الأولى على يد الكاتب المصروفة عبد الحميد الكاتب ثم احتلت مكانها فى تاريخ النثر العربى .

على كل حال ترعمت المناصر الايرانية الحياة الفكرية بمظاهرها كلها ، وحتى العلوم العربية الخالصة التي كان يظن أنها وقف على العرب ظهر غيها الايرانيون ، واحتلوا مكان الصدارة في النحو والمقته والتفسير وعلم التاريخ ، هذا بالاضاغة اللي العلوم الدخيلة الأخرى مثل الكيمياء والطب وغيرهما ،

وفي ذلك يقول ابن هلاون « ان حصلة الصلم في اللة الاسلامية الكرم من المجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا قي القليل النسادر وان كان منهم العربي في نسبته نهو عجمى في نسبة المها ومميضته (۱) » ، وإذا كان قول ابن خلدون هذا غيه بعض المنالاة الا أن الفرس كانوا غصلا أقدر على التدوين والتاليف مفتد تعمقوا في المصارة وتدربوا منذ القدم على التأليف بلغتهم على المناتق الاسلام وتعلموا العربية كان تأليفهم سسجلا ميسورا ، وكان الموالى في العصر المعاسى الأولى غصلا من السابقين ميسورا ، وكان الموالى في العصر المعاسى الأولى غصلا من السابقين الأولين في تدوين العلوم المختلفة والبراعة فيها ، ومنهم أبو حنيفة النمان الأمام ، وحصاد الراوية الذي روى أكثر الشعر المساملي وجميع المعلقات ، وكذلك سيبويه والكسائي أحد الأثمة الأبالحلام والمنو واللغة والقراءات وأحد القراء السبعة ، والفراء عالم الكوفة الشمير في المنحو واللغة ولمنون الأدب ، وأبو عبدة معصد ابن المتنا المسرب وأيامهم عورو المتاهية الشاعر الزاهد ، وابن قتية صاحب المسارف وعون

⁽١) المسلمة ، ش ٧٧ .

الأخبار (١) ٠

وامتد المد الايراني الى آغاق أخرى غير آغاق الفكر ، إمتد الى المناهية من الماهية المناهية المناهية المناهية من أعلامه المناهية الأولية أن المناهية من اعضاء من جزية أن بخفيف أعساء خراج أو الباحة ملكية الأرض أو اطلاق المهجرة .

وقسد أسهموا في النهضة الزراعية وفي الانتاج الذي تضاعف في المصر العباسي الأول ، والذي يعزى الى اطلاق القيسود التي كانت تموق نشاط الطبقات العاملة ، كما أهادوا ودعموا النهضية المناعية وأهادوا أكثر من اتساع رقمة التجارة الدولية التي حملت التجسسارة الاسلامية الى أبعد ما يظن من الآهاق ،

وقد أدى هذا الى تحول خطير ف حياة الايرانيين ، أدى الى التحول الرأسمالي ، غالبرجوازية القديمة تحولت الى طبقة جديدة رأسمالية كانت فى المصر الأموى عربية وأصبحت فى صحدر المصر المباسى ايرانيسة ، اقتنى أغرادها الضياع الواسمة واشتغلوا بالمتجازة وفقتها المصارف ، واقتنو الملايين ، وعاشوا عيشة يصورها القصص المباسى فى ألف ليلة وليلة ، ويصورها الشحر المحربي بمدائمه وأوصاغه ، وتتحدث عنها المراجم التاريخية ، وكانت المدن الايرانيسة فى المقيقة يصدر عنها اشماع جديد ،

هـذا التحول الرأسمالي ترك آثارا ربعً لا تظهر بوضوح الا في المصر الحباسي الثاني ، فستتحول الى مساوى اقتصادية مسينة تلهب الحركات الثورية ذات الطابع الاشتراكي مشل حسركة الزنج أو حركة القرامطة ، كما يستفيد منها دعاة الاسماعيلية ليؤلبوا النساس على الحكم العباسي الجائر .

⁽¹⁾ أحسد أبين : شحى الأسلام 3 ج 4 ك من 19 ... المصر المباسئ)

ولم يكن تقدم العناصر الايرانيسة قاصرا على ميادين الفنن والاقتصاد والفكر غصب ، فقد كان هدذا أقدما لا تحسب له السياسة العباسية أي حساب ، انميا تقدمت فيذه العناصر في ميدان السياسة والقيادة تقدما حثيثًا ، فهي التي أيدت الدعوة في مراحلها الأولى وهي اللتي كانت وقود الدولة وكانوا جنــدها المخلصين المعبرين.عن ارادتها والمنفذين لسياستها • كان الخراسانيون في جيل أبي مسلم هم الذين حملوا عب، الكفاح ، وكانوا جند الدولة المفلصين في زحقها نحمو العراق واطاعتها بالدولة الأموية ، وتثبيت دعائم الحكم العباسي ٠ وليس أدل على ذلك من تلك الرسالة الهامة التي كتبها أبن المقفيع وسماها برسالة الصحابة ، والتي تعتبر من أهم الوثائق التي تكشف عن سياسة العباسيين وحقيقة أهداغهم ، غلهسذه الرسالة قيمة كبيرة فى نقد نظم الحكم ورسم وجوه اصلاحه ، فقسد رفعت الى أمير المؤمنين ويظن أنه أبو جعفر المنصور (١) لأنه يذكر دولة بني العباس وقد استقرت على قدميها ويذكر أبا العباس السفاح ويترهم عليه: وقد أدرك ابن المقفع المكانة الهامة التي احتلها جند خراسان في السياسة العباسية ، ومدعهم بأنه لم يسر مثلهم في الاسلام ، وأنهم يمتازون عن غيرهم من الجند بالطاعة والعفاف والكف عن الفساد ، والتذلل للولاة والتفاني في خدمة الخليفة ، حتى ان منهم من كان يقول « أن أمير المؤمنين أو أمر أن تستدير القبلة بالصلاة لسمعنا وأطعنا » • وقال داود بن على : « يا أهمل الكوغة أنا والله ما زلنها مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح اللسه لنا شيعتنا أهمل خراسان فأحيا بهم حقنا ، وأغلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا (٢) » • وكان الخراسانيون عدة المنصور في قضائه على أعدائه وقميع الطسامعين فى ملكه ، واطفياء الثورات التى اشتعلت فى الحجاز ، والتمكن لسلطانه

⁽١) أحمد المين : ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٠٥ .

⁽٢) الطبرى، ج ٩ ، ص ١٢٧ . ومن ذلك قول أبى جعفر المنصدور « يا أهل خراسان أنتم شسيعتنا وانصارنا واهل دعوننا » ، المسعودى : المروج ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

في مصر والمفــرب وعدته في جهـــاده مع الروم • ولم تتخـــل الدولة العباسية عن عناصر الايرانيين على الاطلاق ، فقد عادوا الى الظهور في الصراع بين الأمين والمسأمون • وكانوًا جند المسأمون في القضماء على الأمين والتمكين لنفسم من النفسوذ والسلطان ، حتى استعان المعتصم بالترك العربيين حما وراء النهر ، وكانوا أقرب الى العناصر الايرانيــة من الاتراك الشرّقيين • وقــد ترتب على هــذا أن ضوعف عطاؤهم ونالوا من الرعاية حقهم وتؤلى القيسادة غيهم رجال منهم وصلوا الى أعلى مراتب السلطة والقيادة . ونالوا من المقــوق بقدر ما كانوا يشتهون • ولو درس النظام الحربي في العصر العباسي الأول دراسة مفصلة لوجدنا كيف كانت القيادة المسكرية في جميم القطاعات في أيدى هدده العناصر الجديدة الفتية الصاعدة الى النفوذ والسلطان ، ولم يصبح الايرانيون مؤلاء من أرباب السيوف خصب ، مِل سيطروا على الجهاز الادارى في حاضرة الضلافة وفي الولايات الخاضيعة لهما ، وغلبوا على جميهم دواوين الدولة وتولوا مناصب الولاة على البلدان ، ونالوا من الثقة الشيء الكثير ، وزاولوا منصب ألوزارة منذ غجر الدولة ، وكانت بأيديهم مقاليد السياسة العباسية • وكان الوزراء الظاهرون في العصر العبساسي الأول كلسه من العناصر الايرانيـة ، غابوا سيلمة الخالال أول وزير عباسي مولى غارسي ، وأبو أيوب الوريائي وزير المنمسور غارسي من موريان قسرية من قرى الأهواز ، ويعقطوب بن داود وزير المسدى مولى كذلك . وكذلك كان يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد ، واستوزر المامون بنى سسمل ، وكانوا من أولاد ملوك الفسرس من صنائع البرامكة ، وتولى الوزارة الفضل بن سمهل والحسن بن سمهل ، ومن بعدهم استوزر المامون أحميد بن يوسف مولى بنى عجل ثم ثابت بن يحيى ابن يسار الرازى ، ولو تصفحنا أسماء الوزراء الذين أشمار اليهم الجهشياري (١) لتبيتا أن أكثر الوزاراء في العصر العباسي الأول كانوا

⁽۱) الجهشياري: الوززاء والكتاب ، ص ٢٤

من الفسرس ، والأسستاذ أحمد أمين في كتسابه : ضمي الاسلام « يعزو هـ ذا النفوذ الصاعد في ميدان الوزارة الى القدرة على الكتابية كانت عند الفرس أبين منها عند العرب » • والمقيقة أن تولى الوزارة كان زهفا من هذه الزحوف التي قام بها الايرانيون أصحاب النسورة وصناعها ، وكما تولوا وظِائف الكتسابة فقد كان للوزراء أعوان من الكتاب بعينهم ، ولولاة الأقاليم ورجال الدولة كتابا ، فكان حمساد عمرد كاتيا ليحيى بن محمد بن صول بالومسل (١) • وكان ابن المقفم يكتب لداود بن عمــر بن هبيرة والى كرمان ، وكان عمرو بن مسعدة مكتب للمامون ، والمسن بن عيسى يكتب لعمرو بن مشعدة ، وكان يكتب ليحيى بن خالد البرمكي عبد الله بن سوار بن ميمون ، وكان أكثر هؤلاء الكتاب قرسا كالوزراء بحذون هذو أجدادهم من القرس ، بل وصل الصعود في مجال العمل السياسي بهدده العناصر الي هسد احتكار نوع من السلطة السياسية يتوارثه الأبناء عن الآباء ، أعنى أنه تكونت لهم فى المصر العباسي الأول دويلات وظيفيسة أو أسرأت مروقر اطبسة كالبرامكة مثلا وبني سهل ٠

ولكن الأمر الذي يستحق الالتفات هو موقف المباسيين من هذا المولفان السياسي للمناصر الايرانية و أتم ذلك في غفلة أو تجاهل أم كان المباسيون يرسحون لأنفسهم سياسة عميقة بميدة المور ولم يتشلوا عن تطبيقها طوال المصر المباسي الأول ؟ ونستطيع أن تتشفة عن هذه السياسة بوضوح ، غقد كانت قائمة على أن يشارك هؤلاء الايرانيون المباسيين نفسودهم وسلطانهم وينالوا من السلطسة ما يطبي الهم ، لكن داخل المسار محدود لو تجاوزوه لقسادهم هسذا التجساوز الى مصارعهم ونهايتهم و كانوا يسمحون لهم بذلك في حسدود الطساعة

⁽١) الجهشياري : نفس الرجع والصفحة .

المطلقة للخسلافة والاعتراف الذى لا شبهة فيه بسلطانهم وتنفيذ كلمتهم ، حتى اذا سولت لهم مطامعهم أن يخرجوا عن الطاعة أو يثوروا على السلطة أو يترددوا فى تنفيذ الكلمة كان الكبت والقصم والبتر الذي لا هوادة فبه على الاطلاق ! وكان لهم فى هذا القمع والكبت سياسه مرسومة وهى سياسة ضرب المنساصر بعضها ببعض ، فقد ضربوا المغراسانية جيسل أبى مسلم بالبرامكة الفسريس ، وضربوا المرامكة اللوس ببقايا النفوذ المربى ، وضربوا بقسايا النفوذ المربى ، وضربوا المراسانية المسربي بالمراسانية في جيل بنى طاهر ، ثم ضربوا المراسانية المسربي بالأدراك فى عصر المتمام ، حتى اذا انتهى عهد الواثق وانقضى المصر المعساسي الأول كانت المناصر التركيسة تلك هى التي ضربت المضلاة وسيطرت عليها •

اذن يمكننا أن نقول أن سياسة العباسيين حيال حدة المنساصر الايرانية المتقدمة فى المجال المسكرى والسياسى تقوم على عنصرين : المشاركة والموازنة فى اطرا الطاعة لبنى العباس ، ثم الكبت والقصع اذا كان ثمسة خروج على أركان هدفه الطاعة وحدود هدفا الولاء وهدفه السياسة يمكن أن تعطينا منطقا لأعداث تنجيرة حفل بها المصر المباسى الأول ، وكانت هدفه الأعداث تنقسل على خسمير المؤرخ ، فهو اذا تناولها مجردة وبعيدة عن هدف الاطار الذى رسسمناه بدت غفرا وخيسانة وتنكسرا لأبسط المبادىء و واذا روعيت السياسة غفرا وخيسانة وتنكسرا لأبسط المبادىء و واذا روعيت السياسة والمتعلقظ بالقدرة والفعالية ، فى خسوء ما تقدم يمكن أن نعسرض لمحاولات القمع هذه التي عفل بها تاريخ المصر العباسي الأول ، ويمكننا أن نعسدها على هدفا النعو ثم نعسرض لها بشيء من التغميل يفسر السياسة التي أشرت اليها ،

مصرع أبى مسلم ، والقضاء على أغسراد الأسرة الطسامعين فى المسلطة ، ونكسة البرامكة ، والنزاع بين الأمين والمسأمون ، ونكست بنى سسمهل ، ومصرع الاغشين فى عهد المعتصم واتهامه بالزندقة .

وقصة المراع بين أبى مسلم الفراساني وأبى جعفر المنصدور تستحق العرض والدراسة ، فهى صورة صادقة من القدوة الفراسانية المعتدة بنصرها الصاعدة الى النفوذ والسلطان ، وبين الفليفة المنصور صاحب نظرية المركزية في سلطان الفلاغة وسطوتها ، ولم يكن يرضيه أن تطمى الفراسانية على سلطان الدولة أو تضرح عليه ، وقد نقل الطبري (ا) تفاصيل كثيرة عن أحمد بن زهير وعلى بن محمد وسلمة بن محارب ومسلم بن المضيرة وسعيد بن أوس وأبى هفس والإدرى والنعمان بن السرى ومحمد بن ابراهيم ، وهذه التفاصيل في محلجة الى دراسة وتحليل للتعسرف على تناصيل هذا المراع الطريف الذي هو صدورة من المطابق الإيرانية وصدورة من المطريف الذي هو صدورة من المطابق المالية الإيرانية وصدورة من تروضها وأن يسلس لها قيادها ،

وهن روايات الطبرى هذه نتسين أن أبا مسلم الفراساني كان يحس احساسا صادقا بأنه المؤسس المعقيقي لدولة بني العباس وأنه لولاه لما قامت لهم دعوة ، وكان يحس أن الفراسانيين يلتفون حوله ويأتمرون بأمره ويرون غيه زعيما وبطبلا قوميا ، وقد وضح هنذا الاتجاه من أبي مسلم حتى في عهد المفليفة الأول أبي العباس السفاح ، فقد ذكر الجهشياري (٢) أن وطاة أبي مسلم نقلت على أبي العباس وكثر خلافه اياه ورده لأمره ، ولعل مما اسباء له كثيرا السياسة التي درج عليها العباسيون آنذاك من نقل السلطة من القواد الى أغير البيت المباسي ، وربما كان أبو جمفر المنصور أكثر احساسا من أخيه أبي العباس بخطورة ذلك الزعيم الفراساني القدوى ، وقد بدت أبي العباس بفطورة ذلك الزعيم الفراساني القدوى ، وقد بدت أبا مسلم أراد أن يحج الى بيت الله فولى الفليفة أبا جمفر امرة

۱٦٧ — ١٥٩ ص ١٥٩ — ١٦٧ .

⁽٢) الجيشاري الوزراء والكتاب ، ص ٦٣ .

^{· (}٣) الطبرى : ج ٩ ا مس ١٢٥ .

الهاج معضب أبو مسلم وقال « أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيسه غير همدًا » • كما أشار الطبرى الى أن أبا مسلم كان يعمل على المط من جبية أبى جمفر ، وأنه كان ينفق الأموال الكثيرة في الترفيه عن. العرب واصلاح المطرق ، وأنه كان يتقسدم عليه في الطبريق بعد أداء . غريضة المج • وييسدو أن أبا مسلم كان حريصا على أن يشعر أبا جعفر بغيمته وقيمــة العصبلية التي تبســنده وتؤازره ، غيرى أنه تباطأ في البيعة المنصور بعد وفاة أبي العباس ، وأنه نعى أبا العبساس وكتب الى أبي جعفر يعزيه في وغاة أخيه دون أن يهنئه بالخلافة أو يبعث اليه بالبيعة أو يتريث في طريقه حتى يلحق به الخليفة الجديد • كان صراع أبى جعفر وأبى مسلم يقوم على أسس محاولة ابمساد أبى مسلم عن منطقة نفوذه في خراسان ، وأن يلقاه وحيدا مجردا من السلطان والنغوذ ، وأنه حريص على أن يحول بين أبي مسلم وبين الاعتصام بخراسان هتى لا يؤلب عليه أهلها ويستقل بحكمها ، غروى الطبرى (١) انه ولاه مصر والشام خفض أبو مسلم وقال « هو يوليني الشـــام ومصر وخراسان لي ، وأراد أن ينطلق في طريقه الي خراسان ، غير أن المنصور أراد أن يستعين بسياسة اللين والمسالة عتى يستدرجه الى ما بيته له • فكتب اليه يستدعيه وأرسل اليه من يخوفه من معبة معصية الامام والمخروج عليه نقد كتب اليه نائبه في خراسان يقول : « أنا لم غذرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، غلا تَشَالف امامك ولا ترجعن الا باذنه » ، غلم يجد أبو مسلم بدا من أن يستسلم حتى لا يظهر بمظهر الخارج على الخالفة المتمرد على سلطانها ، ثم مثل مين يدى الخليفة ودارت بين الرجلين محاورة في غاية المراغة كانت أقرب الى المحاكمة منها الى المحاورة ، وهي تكشف عن اعتداد أبي مسلم بنفسه وبالجهود التي أداها خدمة لبني العباس ، وعن دهاء المنصور وخوفه من انطلاق الطاقة الخراسانية في وجمه الفلاغة العباسية ، واليك همذه المحاورة الطريقة :

⁽۱) الطبري ، ج ٩ ، ص ١٦٧ ،

« أخبرني عن نصلين أصبتهما في متاع عبد الله : بن على قال : هـ ذا أحدهما الذي على • قال أبو جعفر : أرنيسه ، غانتضاه غناوله ، فهمزه أبو جعفر ثم وضعه تحت غراشه وأقبل عليه يعاتبه ، فقال : أخبرني عن كتابك الى أبي العباس ، تنهاه عن الموات ، أردت أن تعلمنا الدين قال : ظننت أهذه لا يحل فكتبتواليه فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم • قال : أخبرني عن تقدمك اياى ف الطريق م قال : كرهت أجتماعنا على الماء غيضر ذلك بالناس فتقدمتك التماس المرفق • قال ؛ فقولك حين أتاك الخبز بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف الى : تقدم هنرى من رأينا ، ومضيت هلا أنت أقمت حبّى ناحقك ولا أنت رجمت الى ، قال : منعنى من ذلك ما أخبرتك من طلب المرفق بالناس ٤ وقلت تقديم الكوفة فليس عليه مني خلاف • قال : فجارية عبد الله بن على أردت أن تتكَّذها • قال : لا ، ولكني حُفت أن تضيع غدماتها في قببة ووكلت بهنا من يحفظها ، غقال : همر اغمتك وخروجك الى خراللمان ﴿ قال : هَفْتَ أَنْ يَكُونُ قَدْ دَخُلُكُ مَنَّى شيء ، فقال : تاللسه ما رأيت كاليوم قط واللسه مازرتني الا غضبا • ثم أقبل يعاتبه : أاست الكاتب الى تبدأ بنفسك ، والكاتب الى تخطب أمينة بنت على ونزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟ ما دعاك الهي قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد نقبائنا قبل أن ندخلك في شيء من هــذا الأمر ٠ قال : أراد الخـــلاف « وعصاني مقتلته ».ثم انتهى الحوار، بمصرع أبي مسلم بالصورة التي رواها الطبرى (١) .

وبعد مده أنعد هذا غدرا من المنصور أم حفاظا على مركزية المخلافة وسطوتها والحرص على تقدم العناصر الايرانية في نطاق الولاء للخلافة والطاعة لها ؟

⁽۱) الطبرى: ج ٩ ، ص ١٦٧ .

البرامكة:

والبرامكة ينتسبون الى برما الذى كان كاهن بيت النار فى مدينة بلغ ، وكان فارسيا عريق النسب غلم يكن يتاح لأحد أن يتولى هـذه الاعمال المجليلة فى الحياة الدينية الا اذا كان منسبا ، وقسد أتاحت ظروف الدعوة المجاسية واحسدات الثورة المجاسية المتلاحقة الأحسد أبناء هسذا الكاهن أن يطفو على سطح الأحداث كما طفساً غيره من بنى جنسه (1) .

ذلك أن خالد بن برمك بدأ حياته فى عسكر تحطيب بن شبيب الطائى الزاحف الى العراق ، وكان يتقلد الخراج والغنائم ، وقد المؤلم كفاية ومقدرة لفتت انظار القائد العباسى غزاده تقديراك مم مضر فتح العراق وبيعة السفاح وولى ديوان الخسراج والجند وتولى وزارة التنفيذ بعد مصرع أبى مسلمة الخسلاك ثم أبقاه المنصور فى الوزارة فكان عونا له فى سياسته نحو المركزية فى جهوده فى الاصلاح الادارى وتثبيت دعائم الحكم العباسى والقضاء على الفتن والحركات الهدامة ،

وقسد ولى الرشيد يحيى وزارة التفويض وأطلق يده فى كل شى، ومقق نظرية المشاركة الكاملة، وتولى الفضل بن يحيى المشرق كله سنة ١٧٨ ه () وهسو منصب لم يكن يتولاه الا الأمراء ، والسترك فى حروب الديلم وأطلقت يسده كنائب للظيفة قاعدته مروءاها جمغر ابن يحيى فقسد تولى البريد ودور الضرب والطراز ثم تولى على المغرب كله سنة ١٨٦ ه () ،

وكان يحكم هذه البلاد من بعداد حتى وجه لقمع الفتن فى بلاد الشـــام ه

 ⁽۱) ابن طباطبا : النخری ، ص ۱۷۲ . الدکت ور حسن ابراهیم : تاریخ الاسلام السیاسی ، ص ۶۸ ، ج ۲ . الجهشیاری ، ص ۸۹ . مروج الذهب ۲ ، ص ۲۸۲ .

⁽۲) الطبرى: ج ۲۰ ، ص ۲۲ - ۸۷ ،

⁽۲) القَخْرِي - ص ۱۷۹ -- ۱۸۰ ه

وتتحدث المراجع عن النفوذ الذي وصل اليه البرامكة والثروات التي جمعوها والحياة التي عاشوها أقسرب الى السلاطين منهم الى الوزراء،والى مدائح الشعراء لهم ووصف مياتهم ولهوهم .

ولم تكن دار البرامكة تقل بهاء عن دار الخلافة نفسها • لقسد عاش البرامكة عيشة قوامها البذخ والاسراف وحب الظهور وأغدقوا الأموال على الشمراء والعلماء ولم يردوا قاصدا .

قيل أن جعفر بن يحيى البرهكي أنفق على بناء داره عشرين مليون درهم ، غير ما يحتاج اليه هــذا البناء من أثاث ورياش وخدم وما الى ذلك من أسباب البذخ ، والوان البَّوْف التي تثير عوامل الغيرة ى نغوس أعدائهم وهسادهم ...

ثم كان وقوع النكبة بالبرامكة ويصورها المؤرخون المعاصرون (١) على همذا النصو « في آخر ليلة من ألمرم سنة ١٨٧ ه بعد أن عاد الرشيد من هجه ، ووحسل الأنبار دخل الى غراشه مبكرا على غير عادته ، غلما انصرف جعفر من عنده أرسل وراءه مسرورا كبير خدمه وأمره بضرب عنقسه (٢) وقبل أن تنقضي تلك الليلة أمر الرشيد بمن يقبض على يحيى البرمكي وابنيه وحبسهم وأمسر بمصادرة أموال البرامكة وفرق الكتب على الولاة بالأقاليم بذلك وبالقبض على أنصارهم ومواليهم وحذر الناس من ايواء أحـــد منهم » .

والمتلفت آراء المؤرخين في استنباط هــذه الأحــداث ومعرفة الأسباب المقيقية التي دهعت بالرشيد الى هذا المسلك ، وبعضهم يلوم الرشيد ويتهمه بالقسوة والعنف وأحيانا بالغدرة وبعضهم ينسب الأمر الى تدخل زوجته زميدة والفضل بن الربيع والحسزب العربي المتطلع الى استعادة النفوذ ٠

⁽۱) انظر الطبرى: ج ۱۰ ، ص ۷۹ . (۲) الطبرى: ج ۱۰ ، ص ۸۲ .

والبعض الآخر يرى أن ميل البرامكة الى العلويين هـذا الذي عجل بوقوع الكارثة ، وبعضهم يأخذ بأسلوب القصاص وينسج الأخيلة حول العباسة أخت الرشيد وولعها بجعفر بن يحيى وما تلا ذلك من عضب الرشيد (١) •

والدكتور حسن أبراهيم له آراء فى تفسير أسباب هــذه النكبة ويلفص هذه الآراء على النحو الآتي :

« اختلفت كلمة المؤرخين وأصحاب السير في السبب الذي دفع هارون الرشيد الى نكبة البرامكة ، مع أنه شب في حجر يحيى بن خالد البرمكي حتى يدعوه يا أبت و خبعضهم يرئ أن الرشيد غضب عليهم لوجود علاقائع بين جعفر بن يحيي وبين أخته العباسة ، وبعضهم يقول ان ذلك كان بسبب اطلاق جثم البرمكي يحيى بن عبد الله الملوى بعد أن أمره الرشيد بحبسه ، وبعضهم يقول ان استبداد البرامكة بالملك وجمعهم الأموال استمال الناس اليهم ، وأن ذلك أوغر مسدر الرشيد عليهم وحمله على الايقاع بهم (") و

أمف الى ذلك ما أظهره البرامكة من الدالة على الرئسيد مما لا تحمله نفوس الملوك ، وسعاية أعداء البرامكة وبخاصة الفضل ابن الربيع بهم عند الرئسيد ه

كذلك روى الدابرى من الشواهد (⁷) ما يدانا على مبلغ مقسد الرشيد على البرامكة وعمله على الغض من شانهم ، حتى أنه أهر غلمانه بالاعراض عنهم والاستهتار بهم اذا دخلوا قصره ، دخال يحيى بن خالد بعد ذلك على الرشيد عقام العلمان اليه ، عقال الرشيد المحرور الخادم : مر العلمان الا يقوموا ليحيى اذا دخل الدار ، قال :

⁽۱) الجهشيارى: الوزراء ٤ ص ١٨٩ - ١٩٠٠ ،

۱٤٧ مد ٢٤٥ مر ١٤٧ م ١٤٧ م

⁽٣) الطبري: ج ١٠٠ ص ٨٠٠

غدخل غلم يقم اليه أحد ، غاربد لونه ، وكان العلمان والحجاب بعد اذا رأوه أعرضوا عنه ، غكان ربما استسقى الشربة من الماء أو غيره غلا يسقونه ؛ وماله عرى ان سقوه أن يكون ذلك بعد أن يدعو بها مرارا » (1) ،

أضف الى ذلك ما ذكره ابن عبد ربه فى محاورة الأصمعى للرشيد والفضل بن يحيى وغيرهم ، وذلك أن أعداء البرامكة من بطانة الرشيد دسوا للمغنين شعرا يثير عامل المنافسة والحقد فى نفسه ، وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة غيما دسوه المغنين من الشعر احتيالا على سماعه للخليفة وتحريك حفائظه لهم ،

ويعسزو بعض المؤرخين نكبة هسده الأسرة الى حوادث ليست لمجائية كالتى تقدمت ، وانما هى آمور جاحت متتابعة ; منها أن الرشيد كان يميل كثيرا الى تولية الفضل بن الربيع بعض أهور الدولة ، فكانت الخيزران أم الرشيد تحول دون ذلك ، وكان الفضل يظن أن الذى حملها على ذلك أنما هو جمفر البرمكى ، فلما مانت الخيزران ولى الرشيد الفضل الخاتم وغيره مما كان فى يد جمفر ،

وأعتب ذلك اطلاق يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوى الذى خرج على الرشيد فى بلاد الديلم ، فبعث اليه الفضل بن يحيى البرمكى فى خمسين ألف مقاتل ، فما زال به حتى مال الى الصلح وطلب أمانا بخط الرشيد ، فكتب اليه الأمان بخطبه ، وشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وكبار بنى هاشم ، ولما قدم يحيى تلقاه الرشيد بالمعلوة والاكرام ، ولكنه لم يلبث أن حبسه اذ علم أنه يعمل لخلعه ، واستفتى والكتواء فى نقض الأمان الذى أعطاه يحيى ثم سلمه لجعفر بن يحيى البرمكى فأجلقه ،

لذلك لا نعجب اذا ساءت العملاقة بين البرامكة وبين الرشيد ،

⁽١) الطبرى: چ ١٠ ٤ ص ٨٠٠ .

وساعد على اشمال هده النيران سعاية الفضل بن الربيع وغيره ، وكراهة زبيدة أم الأمين للبرامكة ، اذ كانت تظن أن الرشيد قد عهد الى ابنه المامون دون الأمين بتأثير يحيى البرمكى ، أضف الى ذلك ما اتصل بعلم الرشيد من أن عبد الملك بن صالح العباسى كان يدعو الى نفسه ، وأن البرامكة كانوا يساعدونه ، فعضب الرشيد عليهم وحبس عبد الملك معهم ،

ويتبين من دراسة النصوص أن الرشيد كان يتصرف وله خطة مرسومة مبينة تظهر من مقتل جعفر ومصادرة الأموال والكتابة الى الاقتليم لضمان آلا يتحرك أنصارهم للعمل • ولا يمكن أن يكون ذلك مفاجأة على الاطلاق • والسبب التعقيقي هو شعور الخلافة باختلال التوازن في قضية المشاركة • وقسد أدرك الرشيد اختلال التوازن من تصرفات يحيى وأولاده ، وهو نفس الحافز الذي دفع المنصور إلى الاحاطة بأبي مسلم ، وهو الذي سيدفع المأمون الى مصرع الففسل لبن سهل والمقتصم الى قتل الأفشين ، كان هذا تصرف الخلافة المحافظة المحافظة المحافظة المحافظة المحافظة المحافظة المحافظة على حساب أى ولاة أو أية مبادى، •

كان المنصر المعربي هنا قسوة ترجيح اعتمدت عليها الفلافة في أحسدات عملية التوازن ، وقسد شارك المعرب في الاغادة من تغير الرشيد ، أغاد من ذلك الفضال بن الربيع وزبيدة وأغلها في تنصيب الأمين وليا للمهدد ، ولا يبعد أن تكون مؤامرات القصر قسد أغادت من هذه المتطورات كما أغادت منها جميع المناصر المتطلعة الى مزيد من السلطة ،

المراع بين الأمين والمسلمون:

أورد الطبرى (١) ثروة طائلة من الإخبار وحشـــدا من الروايات والوثائق والمهود والمواثيق عن هذا الصدام العام الذي شهده العصر

١٦١ - ١٤٢ - ١٦١ .١٦١ - ١٦١ .

العباسي الأول ، وبالدراسة الفاحصة لهذه الثروة الطائلة من الأخبار نتبين أن ثمة عوامل كثيرة متشابكة صنعت هذه المأساة ، منها ما نسب الى الرشيد من تقديمه الأمين في ولاية المهد عن المامون واحساسه بالهوة التي تردي غيهـ دهمه الى الانراط في أخــذ العهود والمواثبيق حتى لكأنه كان يحس في قرارة نفسه بأن الأخوين سيقتتلان بعسد ولهاته • ثم نضال العنصر العربي الذي أحرز النصر في مأساة البرامكة وسعيه الى مزيد من كسب ومزيد من تأكيد النفوذ والسلطان • وقسد لا يتحقق نفوذه وسلطانه الا في ظل خليفة كالأمين أمة عربية خالصة غألقى الحزب العربى بثقله كله خلف الأمين لأنه اعتقد أنهما غرصته الوحيدة بل غرصته الأخيرة • ثم العنصر الخراساني الذي لا يمكن أن يعود الى الظل حتى ولو صرع أبو مسلم بل لابد له أن يعود الى الظهمور من جمديد جارمًا طاغياً لا يقف في سبيله شيء ، ولم يكن من المعقول أن يختفي لهجأة ٠ ولم يكن من المعقول أيضًا أن يستطيع المنصر العربى الضعيف أن يمالا الفراغ الذى تركه اختفاء البرامكة فكان طاهر بن الحسين هو أبو مسلم الجديد ، وكان المسأمون هو الامام الذي التفت حوله الخراسانية الجديدة ، كما كان أبو العباس الشعار الذى سارت من خلف الخراسانية المقديمة ، ولذلك نستطيع بكل طمأنينة أن نضع هــذه المـأساة في نفس الاطار الذي وضعنا فيه البرامكة وأحداثهم ومأساتهم . وهو اطار الحكومة المفيظة على تأكيد سلطانها والتى استعانت بالعرب لتقضى على البرامكة المفرس واذا بها تواجه تطلع العناصر الايرانية مرة أخرى الى مزيد من السلطان ، وتأكد انتصار المائمون ، هو لقاء على نفس المستوى بين هده العناصر الجديدة على نحو ما كان اللقاء بين المنصور وبين الرشيد وبين هـــذه العناصر ، وكيف كان المامون أشد حرصا على السير في نفس الخط الذي ر نه الخلفاء الأنفسهم منذ قيام الدولة •

وجذور هــذا الصراع بين الأمين والمــأمون الذى استمر نمو همس سنوات وخضب الأرض دما فى العراق وخراسان وانتهى بمصرع خليفة ومصرع نفوذ الحزب العربي ، ترجع الى عهد الرشيد نفسه وتوليته ابنه الأمين العهد وتغضيله على ابنه الأكبر المامون •

ولنبدأ بعرض الوقائع: ولى الرشيد ابنه الأمين العهد عام ١٧٥ ه (١) وهو العمام الذى جعله فيه والى المغرب لمما بين ولاية الممرب وولاية العهد من صلة • ولم يكن الأمين يزيد يومئذ على عشر سنين (١) • ثم ولى الرشيد ابنه المماون العهد سند ١٨٧ ه (١) وهمو فى الرابعة عشرة من عوره • ولابد أنه ولاه المشرق يومئذ • فلما كان حج سنة ١٨٦ كتب الخليفة على ولى عهده شرطين احتاط فيها الأحدهما على الآخر وأشهد على تلك الكتب وعلقها بالكعبة (١) •

ثم أضيف الى شرطى الكعبة عهد آخر كتب فى قرماسين سنة المراد (°) ، ثم كتب الرشيد بولاية العهد للافاق ١٨٦ (١) وهو التاريخ الذى أصبحت ولاية العهد فيه رسمية غلاينا أربعة نصوص : شرطا الكعبة وشرط قرماسين والكتاب للافاق وتتضمن شرطا على

⁽۱) الطبرى : ج ۱۰ ، ص ۵۳ ، وضم اليه الشام والعراق ،

⁽٢) وفي رواية اخرى خيس سنين : الطبري ج ١٠ ص ٥٣ .

⁽٣) الطبرى : ج ١٠ ٤ ص ٦٩ ــ وولاه من هبذان الي آخر المشرق.

⁽٤) اتظر الطبرى: ج ، آ مس ٥٣ ، روى الطبرى أن الرشيف لما تضى مناسكه كتب لمعد الله السامون ابنه كتابين احدها على حجد بمسا اشترط عليه من الوغاء بهما غيه والآخر نسسخة البيعة التى اخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبد الله على محيد وعليهم وجعان الكتابين في البيت الحسرام وكاتت نسخة الكتاب .

انظيري: ج ١٠ م ٣٧ ، ٨٩ ونسسخة الشروط الذي كتسبه المساحة كتاب عمارون الى المساحة كتاب عمارون الى الممال ، ص ٧٧ ، ٧٧ ونسسخة كتاب عمارون الى الممال ، ص ٧٧ ، ٧٧ ، وكلهما وثائق هامة جدا تكشفة الخلافة وسياستها واتجاهاتها ،

⁽ه) الطبرى، ج١٠ ص ٩٦٠

[«] ان جعيع ما آنه في عسكره ذلك من الأموال والضرائن والسلاح والكراع وما سوى ذلك لمبد الله المسلاح وجدد الميمة له على من كان معه ووجه هرئية بن أهين صلحب هرسه الي بضداد غاعاد البيعة له على من محصد بن هارون وعلى من بحضرته لعبد الله والقاسسم » »

⁽١) الطبري: چ ، ١٠ من ٧٧ ، ٧٨ ٠

عبد الله المـــأمون كتبه المـــأمون بصيغة المتكلم يتعهد عن نفسه قبل الخليفة وقبل الناس بما هيه ، وشرطا مكتوبا على محمد الأمين كتبه الأمين بصيغة المتكلم يتعهد عن نفسه قبل الخليفة وقبل الناس بما هيه .

وكانت الترامات محصد كما يلى « •• • أمير المؤمنين ولانى المهد • • وولى عبد الله • • بمدى • • وولاه خراسان وثغورها وكروها وحربها وجندها وخراجها وطرزها وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها وجميع أعمالها في حياته وبعد سو تعهد من الأمين اعلى تسليم ذلك له وتسليم ما أقطمه أمير المؤمنين للمأمون من قطيمة أو جعل له من عقدة أو صنيعة ، وتسليم ما ابتاع المامون لنفسه من المنياع والمقد أو ما أعطاه أبوه من مال أو حلى أو كسوة أو منزل أو دواب » •

أما شرط المسأمون غهو بذكر أن « أمير المؤمنين ولاني بعد الحقى ، وولاني في حياته (أي حياة الرزميد) شفور خراسان ، وبعد مماته على أن لا يعرض لى الأمين في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين وما أعطاني ، ولا يعرض لأحد من عمالي بسبب محاسبة ، ولا يدخل على ولا عليهم مكروها في نفس ولا دم ولا شيعر ولا بشر ولا مال ولا صغير من الأمور ولا كَبْير .

وعلى أنا أن أنفذ كتبه وأحسن مؤازرته وجهاد عدوه من ناهيتى ، غان احتاج محمد منى الى جند غملى أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر في شيء كتب به » •

هسذه هي الشروط المكتوبة بين الأخوين و ولكن تنفيذها السليم لا يكون بطبيعة الصال الا على أسساس التفاهم وحسن الصلة بين الأخوين و

وقسد كان ما بينهما متباعدا في حياة أبيهما غلما مات لم يرد أحدهما الآخر ، أما المامون غقصد ولايته ولم يبرهها ، أما الأمين غكان ينقشي عاقبة هسذا الاعتكاف عنه . وكان طبيعيا أن تسوء ظنون الأخوين أهدهما بالآخر . أما المامون فيجب أن يسوء ظنه أذا نظر الى سوابق ولى المهد الثانى ء أما الأمين غلان أخاه مجتكف ولأنه قد يجعل من خراسان قاعدة هامة للظع ، فهو يخافه (١) .

وكان طبيعيا أن تسوء الطنون لأن طبيعة الاستثنار بالملك تمفز الأمين على اليقظة لكل حركات أخيه وتأويلها • أما وقسد قسم الأب البلاد قسمة غانه قسد غرس غرسا كريها ، لأن ولاية الطليفة عامة •

وقـــد طلب الأمين من أشيه طلبات كلمـــا من حقـــه لمكان الرد الاعتذار دائمـــا (٢) •

سحب الأمين الجيش الذي كان بطوس حيث مات الرشيد وكان الرشيد ينوى ضمه المأمون ، وعهد بتنفيذ هذا السحب لبعض خواصه في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه و وليس ذلك مظالما للشرط فقد شرط المامون على نفسه فقال : فإن احتاج محمد الى جند ٥٠٠ فعلى أن أنفذ أمره و وقدد مر الحادث بسلام ، وكانت كتب المامون للامن في هذا الظرف بالذات لطبقة ه

ثم استقدم الأمين المامون (آ) غاعتثر بضرورة البقاء ثم احتج مقال « وقد أمرنى الرشيد بلزوم الثغر » • كما طلب المامون من الأمين حرمه وأهله ومائة ألف دينار أوصى له بها أبوه من بيت المال هرغض الأمين •

⁽۱) الطبرى: ج ۱۰ ، ص ۱۲۸ ،

 ⁽۲) الطبرى: ج . (٤ ص ١٣٥ .
 (۳) الم تكن محاولة استقدام الأمين لخاه من مرو شبيهــة باستقدام الي مسلم من قبل .

⁽م ٨ سـ العصر العباسي)

وهنا طلب الأمين من الماهون التنازل عن قسم مضموم لخراسان ضما مؤقتا وارجاعه الى ما كان عليه (') وهبو طلب مخالف الخاهر الشرط و ولكنه طلب من حق الأمين صاحب السلطان • وقد تتلطف الأمين في صيغة الطلب غطلب « الصفح » أو « التجافى » عن بعض الكور، وعلل ذلك مقتال « أن أمير المؤمنين وأن كان أغسردك بالمطرف وضم الميك من كور الجبل فان ذلك لا يوجب لك غضلة من المال • وقد كان هذا المطرف كالها لأمره 6 وقد ضم الميك المي الطرف كورا من أمهات كور الأموال لا حاجة لك بها ، غالحق أن تكون مردودة في أهلها » (') •

وكان الأمين جادا فى التهديد ، فما كاد يصله الرفض حتى أمر، بالامساك عن الدعاء للمأمون على المنابر فى كل الآفاق (٢) ٠

وأمر الأمين بابطال عملة كان المأمون ضربها في خراسان سنة ١٩٤ ه ولم يذكر عليها اسم الأمين ، وأمر الأمين باسقاط اسم المأمون من الطرز (٤) .

وبعث الأمين حاجب وسأله التلطف في أخذ الكتابين الملقين بالكعبة فسرقهما وجاء بهما فحرقهما •

کما أمر قائده على بن عيسى بالسير الى خراسان على أن يكون واليها من تحت يد موسى وركب الأمين مع قائده حين خروجه فجعل يوميه ويقول : « أكرم من هناك من قواد خراسان ، وضع عن أهل غراسان نصف الخراج (°) ، ولا تبق على أحسد يشهر عليك سيفا أو يرمى عسكرك بسهم ، ولا تدع عبد الله يقيم الا ثلاثا من يوم أن خصل اليه حتى تشخصه الى ما قبلى » •

⁽١) الطبرى: ج ١٠ ، ص ١٣٢ -

⁽٢) الطبري: ج١٠ مس١٣٣٠

⁽۳) الطبرى : ج ۱۰ ، ص ۱۳۱ .

⁽٤) الطبرى: ج ١٠٠ ص ١٣٨٠

الطبرى : ج ۱۰۱ ، ص ۱۳۹ .

ومن هـذا البيان نتبن الخطوات التى اتضدها الماهون ، أما الضرب الذى أهمل غيسه ذكر الأمين غمعروف التاريخ يرجم الى قبل بعث المجند بسنة ، أما قطع البريد واسقاط اسم الأمين من الضرب ودعاء الماهون لنفسه غمادئة-محسدودة التساريخ والراجح أنها وقعت سنة ١٩٥ غقط ، ولعل الماهون لم يتسم بأمير المؤمنين الا بعد هزيمة جيش شيخ الدولة على بن عيسى بن ماهان ،

أما تفاصيل الصراع فهي على النحو الآتي :

كان الأهين هو البادي، بالعدوان فقد سير قائده على بن عيسى الى خراسان لاغتصابها من المامون وجند فيه طاقته كلهما وقوته كلهما ، واشتركت فيها عناصر عربية قوية وهو أشبه بالجيش الذي جنده مروان بن محمد بقيادة ابن هبيرة لقتال جيش قصلية بن شبيب الزاحف على العراق في فجر الثورة ، ثم تصدى له الخراسانيون كما تصدوا بالأمس ، وما أقرب الشبه بين أبي مسلم وطاهر بن الحسين ، وكانت هزيمة همذا الجيش قاصمة بالنسبة للحزب العربي وانتصرت الخراسانية مرة أخرى ، في شوال سنة هه؟ ه (١) ،

وتحول فيها المنتصر الى الهجوم والتقدم فى المنطقة التى أمامه وهى منطقة الجبل وحصونها همدان وحلوان وغيرها ، وتذكرنا بزحفة لقحطبة بن شبيب بالأمس عام ١٩٣٦ ه وهـو التحول الى الهجوم عبن منطقة الجبال ، وانهزمت الجيوش العراقية وتقـدم طاهر على أثر التصاره نحو قرية من قرى حلوان تسمى شلالان وصار بازاء حلوان المالية العراق ،

ثم انتقلت الحرب من الهجوم على مداخل خراسان الى الدفاع عن مداخل العراق من ناحية الجبل ، وفي سبيل هــذا الدفاع بذلت الخلافة آخــر جهدها تقريبا فجندت ٢٠ ألفا من العرب ومثلهم من

⁽۱) العلبيري: ج ١٠ ، ص ١٤٣ .

الأبناء واتجهت (١) الى تجنيد عرب الشام أيضا • وكان ذلك اتجاها جديدا فقد كانت أكثرية الجيش قبل هذه الجولة من الأبناء وكان ذلك خطة أفقدت الجيش انسجامه •

أما الأبناء فقد ولى أمرهم عبد الله بن حميد بن قصلبة وهمو من ببيت له ماض حربى . وولى أهر المسرب أسد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، اختاره الفضل بن الربيع وقال له : انمما نحن شعب من أصل ان قوى قوينا ١٠٠ ان هدذا (يريد الأمين) قسد القي بيده القا، الأحة ١٠٠٠ وأنت غارس العزب (٧) ٠

وحاول الأمين أن يبذل جهدا لصد هدذا الجيش عن المرات فهزمت جيوشه الثلاثة ، وكانت الجولة الأخيرة حصار بغداد ثم مسرع الأمين في ٣٥ المحرم سنة ١٩٨ ،

كان الخراسانية جند الدولة الذين دخلوا العراق عام ١٣٣ ه لانهاء الحكم الأموى ، غاذا بهم اليوم جند المامون الذين دخلوا بغداد ليقتلوا خليفة وليضموا حداً للنفوذ العربى الذي برز في سما، بغداد منذ عهد الرشيد حتى مصرع الأمين ، خليس عجيبا أن تحتى الخراسانية أطماعها وأن تطلق يسد طاهر بن الحسين في خراسان . طاهر بن الحسين () الذي نسميه بحق أبا مسلم الجديد ،

بنسو سهل:

وتكرار ظاهرة التحول البيروقراطى فى عهد المامون يعد نئه البرامكة وتصفية مشكلة الأمين يدل على أنها لم تكن مجرد غناعة من فقاعات السطح تظهر ثم تنفجر انما يدل على ظاهرة تنبح من داخل

⁽۱) الطبري: ج ١٠ ، ص ١٦٠ .

⁽۲) الطبری : ج ۱۰ ع ص ۱۵۷ سه ۱۵۸ ثم تولی بعسده نده مسد این مزید .

⁽١٦) سسمهاه المسلمون ذا اليسين وصاحب حبل الدين : الداري : ج. ١ ، عن ١٥٠ .

المجتمع العباسى ومن واقع العناصر الايرانية الصاعدة نحو النفوذ ، فقد فطين من في عهد المامون ما فعله البرامكة في عهد الرشيد .

ذلك أن الفضل بن سهل (") تقرب من المامون بمثل ما تقرب به الرسيد من يحيى بن خالد ، فقد كان كاتب المامون ولى المهد والصق الناس به : بل كان يدبر ليضمن المامون حقه ويحميه ، فقد أشار عليه بالذهاب الى خراسان ليلتمس غيها الأنصار وليبعد عن سطوة الأمين وحسربه ه

ولما رأى الهوة تتسع بين الأمين والماهون أعده للمستقبل ومهد له الطسريق الى الخلافة ولعب دورا فى تكتيل الخراسانية خلف شفية الماهون ، وبهدذا أحبه أهل خراسان وأقبلوا عليه وكانوا يقولون : ابن أختنا وابن عم رسول الله (١) و وقد شجعه على الممود فى وجه قوات على بن عيسى الزاهفة الى خراسان ، ولعب دورا كبيرا فى ترجيح كفته ، وكان من الجهود التى بذلها حسن اختيار القواد وحسن اعداد الجيش بما يلزمه ،

ولما آلت الخلافة إلى المامون واستقر به الأمر فى بعداد وفى للفضل كما وفى الرشيد ليحيى بن خالد فقد ولاه وزارة التفويض وأمر بأن يخطب له بعده وولاه المشرق كما تولى الفضل بن يحيى من قبل ورتب له أجرا قدره ثلاثة ملايين من الدراهم فى السنة (٢) ٠

ولقبه ذا الرياستين ، رياسة الحرب ورياسة التدبير ، ومنحه لقب الامارة فكان أول وزير يجمع اللقبين وكتب له توقيعا يــدل على مدى تعظيمه له واعترافه بفضله ، أما الحسن أخوه فقد تولى كور الجبال

⁽۱) فی رجب سنة ۱۹٦ عقد له المابون على المشرق من جبل همدان الديم سقينان والتت طولا ومن محسر غارس والهند الى بحسر الديلم احد عرض عرضان وجمل له جبسالة ثلاثة آلات آلات الله دو عند له لواء على سنان ذى شعبتين وإعطاه علما وسماه ذا الرياستين - الطبرى ؟ ج ١٠ سنان ذى شعبتين على ٢٠٨ - ٣٠٠ سنان ٢٠٨ المهميارى ؟ ٢٧٨ سـ ٢٠٠ سنان ٢٠٠ سنان ٢٠٨ سنان ٢٠٨ سنان ٢٠٨ سنان ٢٠٨ سنان ٢٠٨ سنان ٢٠٨ سنان جبالا سنان ٢٠٨ سنان جبالا سنان ٢٠٨ سنان جبالا جبالا سنان جبالات حالا سنان جبالا سنان جبالا سنان جبالا سنان جبالا سنان جبالات حالا سنان جبالات حاليا سنان جبالات حالات حال

⁽۲) الجهشياري: ص ۲۷۹ ،

⁽٣) الجهشياري: من ٣٠٥ ــ ٣٠٦ .

والعراق والمجاز واليمن (۱) • وبلغ من تأثير بنى سسهل على المسأمون أن الفضسل أغراه بتوليسة على بن عيسى الرضا العهسد من بعسده وأراد تحسويل الضلافة من العباسيين الى العلويين •

وييدو أن عقدة الظهور التي وجهت البرامكة كانت من وراء بنى سسيل توجههم الى نفس المصير ، غقد أخذ الغضل يمكن لنفسه في خراسان ليعيد دور أبى مسلم القديم ، بل حاول أن ييسط نفوذه على بفداد نفسها ويسمى للوقيمة بطاهر بن الحسين وهرثمة رجلي المامون (٢) ، بل أراد أن يطيح بالضلافة العباسية نفسها ، وقد ذكر الجهشيارى على لسان نعيم بن خازم قوله المفضل « انك انما تريد أن تزيل الملك عن بنى العباس ألى ولد على ثم تحتال عليهم غتصير

وقسد أحست الخلافة بالفطر وانقسلاب التوازن وخافت ضياع هيئها وغمائيتها ، كما تحركت من قبل في عهد المنصور والرشسيد وقسد سار المسلمون من مرو ومعه حاشية كبيرة على رأسها المفسل ابن سهل ومعه كذلك بعض الجنود ، وظل الركب يسير حتى وحسل سرخس غط الركب رهاله وغيها دبر المسلمون من غتك بالفعل بالحمام في شعبان سنة ٢٠٧ هرال 0

وهكذا كانت الفلاغة في المصر العباسي الأول تستفيد من العناصر الاير انية 4 وتطلق لها من السلطان السياسي ما لايخل بمبدداً التوازن ، غاذا الصهربالاخلال بادرت الى الفتك والتنكيا، ووسيطال هذا دابها حتى اذا كان المصر العباسي الثاني وفقدت الخلامة قدراتها ومعالياتها لم تستطع أن تقيم التوازن فاختل ، وكان اختلاله في ثوب المركات الاستقلالية التي ملأت سهاء المصر العباسي الثاني ،

⁽۱) الطبرى: ج١٠٠ ص ١١١ .

⁽٢) حسن أبراهيم: ج٢ ، من ١٦٣٠٠

⁽٣) الجهشياري: ص ٣١٣٠٠

⁽٤) الطبرى: ج ١٠ ، ص ٥٥٪ ،

الفصرال لت الني المدلة الدولة

ر بد الضائفة :

هــذا الموضوع سنحكم هيه بنفس المقياس الذي سنحكمــه في دراسة موضوعات المصر العباسي كلــه ، وهو الثورة وفعالية شماراتها ومدى تطبيق هــذه الشمارات ، هــل أدت ظروف الثورة العباســية والنجاح الذي ظفرت به الى تغيير في نظام الخلافة كما عرفته الحياة الاسلامية منذ أبي بكر الصديق حتى مروان بن مدحد آخر خلفــــاء بني أمية ؟ والاجابة عن هذا السؤال تقتضى أن نعقد مقارنة موضوعية بين روح هــذا النظام في السابق وفي المصر العباسي لنلتمس ظروف التغيير ومظاهره ، وقــد يلزم أن نعرض للمصادر التي نستقى منها المادة التي تمكننا من الادلاء برأى في الموضوع •

من هــذه المادر ما يعطينا الجانب النظرى للموضوع ، ومنها ما يعطينا الجانب العملى أو التطبيقى ، الجانب النظرى من الموضوع تعرض له كتب الفقه في الباب الذي تفــرده لنظام الخلافة ، وتعرض فيه للأصــول الدستورية والادارية والعربية والقصائية (') ،

أما الجانب التطبيقي غيظهر من دراسة سير الخلفاء العباسيين كما وردت في كتب التاريخ ، أو القيام بدراسة غاهصة للرسيائل العباسية وخصوصا رسائل الخميس أو رسائل التقريظ (٢) •

انظر : الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، قدامة : ثبت من كتاب الخراج ، وصنعة الكتابة ، الماوردى : الاحسكام السلطانية ، ابن تتيية : الإمامة والسياسة .
 Arnold; The Caliphate.
 (۲) احبد زكن صفوت : رسائل العرب ، ج ٣ و ؟

غما الذي يمكن أن نتبينه من هدده المصادر بنوعيها ، ما هي الانجاهات الجديدة وما هو مدى التغير وغماليته ؟

كانت الخسلافة المركزية هي الشسكل المثالي الذي "آثره الفقهاء وتمسكوا به في كتب الفقه التي تتعرض لأصول الحكم ، فقد ظل الففهاء برغم تطور الأصول الدستورية يعتبرون الخلافة المركزية هي الشكل الشرعي الذي اكتسب صفته القانونية من الاجماع ، بمعنى أن فكرة المخلافة المركزية فكرة أنشأها اجماع الرائسدين في جيل المسحابة الأوائل ، واكتسبت لذلك صفة القاعدة المستورية الثابتة (١) ، فالي أي حد حافظ العباسيون على هسذا الشكل المثالي للخلافة ٢

ولا نستطيع أن نتخذ عصر السمفاح قاعدة لأنه كان عصر تصفية وتثبيت لأهداف الثورة ، كما أنه لم ينفسرد بسلطة ، انمما أشرك بنى العباس كلهم باعتبار أن القضية هى قضية مصير بالنسبة لهم .

والمنصور هو الذي حاول بكل ما استطاع من قوة وجهد أن يحقق النمط التقليدي للخالفة القاوية القادرة المسيطرة ولعالم من هذه الوجهة يمكن أن يسمى بالمؤسس الحقيقي للدولة المباسسية مفقد تصدى الشاكل كثيرة وقف في وجهها دون خوف وتغلب عليها جميعا ، ووضع الأساس الحقيقي للنظام العباسي ، كما أن خلفاه من بمده ظلوا حريصين على هيهة الضاحلةة التي حققها المنصور ، وأخص بالذكر المهدى والهادي وصدر عصر الرشيد ،

وجهاد المنصور في تحقيق الشكل التقليدي للضلافة الاسلامية يستحق التنويه والتوضيح ووأول ما واجهه النصور هو التصدع

⁽۱) المساوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٨ ــ ١٢ ــ ، ٢ ــ ٢ ــ ٢ ــ ٢ ــ ٢ ــ ١٢ ـ . الشهرستاني : ابن حسرم : الغمسل ج ٤ ، ص ١٦٣ ــ ١٧١ ، الشهرستاني :

غ ا عُس ٢٠ ـــ ٣١ . مقسدية ابن خلدون ، ص ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢٥ . انظسر ١ كتبسه مئز وجولدتسيير وارتواد وهسن ابراهيم .

فى البيت الخسارف نفسه ، وطمع بعض الأعمام وأبناء العمومة في الخلافة ،وخصوصا بعد أخذ البيعة للمنصور ، فقد خرج عبد الله ابن على في مطلع عهد المنصور ، وقد هزمه أبو مسلم الخراساني بعد حرب ظلت خمسة شهور ، وقسد هرب ولجأ الى البصرة حيث أخواه سليمان وعيسى • وكان المنصور، في هــذه المواجهة بعد المور شديد الدهاء ، فقد كتب أمانا لعبد الله بن على (١) واشترط أن يسلمه عهد الأمان بنفسيه ، وقد جاءه سليمان وعسى ومعهما عبد الليبه وظل في محبسه حتى عام ١٤٧ه ، ثم قتله ولم يعنسه عن مصيره ذلك حسبه أو نسبه أو قرابته ، أو جهوده في تكوين الدرلة ولا وقوله في وجهه مروان بن محمد (١) ، وما زال بعيسى بن موسى هتى حمسله على أن يقسر بيعنة المسدى بالخلافة بعد المنصور ، فقد ألزم عيسى أن يواجه النساس في المسجد الجامع ومعه الوزير ليعلن بنفسه على الناس « أنى قــد سلمت ولاية العهد للمهدى وقدمته على نفسى » ه ، ولكن الوزير لم يكتف بذلك فقال « ليس مكذا أيها الأمير ، ولكن قل : لحقيه وصيدقه ، وأخبر بمنا رغبت فيه وأعطيت ، فقال عيسى بعد هــذا : نعم قــد بعت نصيبي عن تقــدمي في ولاية عمه عبد اللسه أمير المؤمنين لابنه محمد المهدى أمير المؤمنين بعده بعشرة آلاف ألف درهم بطيب نفس منى ورغبتى ف تصييرها اليه ، لأنه أولى بالتقسدم غيها وأحق وأقوم بها وأقوى على القيام بها منى (٢) » •

وقفى المنصور على الحركات التي ظهرت بعد مصرع أبي مسلم وأتسر المسلام في غارس وخراسان ، كما واجه الثورات العلوية التي قامت في عهده وخصوصا ثورة محمد النفس الزكية في عام ١٤٠ (٩) ، وقسد أعد المنصور لمحاربته جيشا بقيادة عيسى بن موسى فقفى على

⁽۱) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١٠٢ - ١٠٠ .

⁽۲) الطبرى: ج ٩ ٤ ص ٢٦٥ .

 ⁽٣) الجهشياري : ص ١٢٧ .
 (٤) الطبري : ج ٩ ٤ ص ٨١ -- ١٨٧ .

هــذه الثورة وأطفــأ نارها • وكان ابراهيم (١) أخو النفس الزكيــة قد دعا لنفسه بالبصرة منتهزا غرصة اشتغال المنصور بحرب أخيه ، وقسد بعث اليه عيسي بن موسى فسار اليه وهزم جيشه وقتله قبسل نهاية ذي القعدة من العام الذي قتل فيه أخوه (١) •

وكما حرصت الدولة على تأكيد سلطان الخسلافة في بغسداد والمراق ، غانها كانت حريصة أيضا على تحقيق النمط المركزي فيما يتعلق بالولايات الخاضعة لسلطانها ، فكانت الدولة العباسية حريصة على مصر حسرص الأمويسين عليها م وكانت لا نتزال تعتبر قاعدة الاسكندرية من أهم القراءد لتثبيت سيادتها في البحر الأبيض فقد مدأت الخلافة توليعه المتاعب في مصر في ولاية موسى بن مصحب الخثممي الذي ولى في ذي الحجة سنة ١٩٧٨ ، وبدت نذر الشورة بين أهمل المعوف ، وتحالفت القيسية واليمانية واتفقوا مع أهمل الفسطاط، وخرج موسى في جند الفسطاط ونشبت الحرب مع القيسية واليمانيية ، كما عقد لعبد الرهمن بن موسى في خمسة آلاف من أهل الديوان وبعثه الى الصعيد لقتال دحية بن مصعب ، ثم تولى الفضل ابن صالح بن على العباسي في المصرم سنة ١٦٨ وكان عليه أن يواجه الفتن التي اشتعلت في كل مكان ، ودخل مصر في المصرم سنة ١٦٩ ومعه عسكر عظيم جاء بهم من الشام من أهل قنسرين وحمص ودمشق والأردن وغلسطين + فكانت الدولة العباسية في الحقيقه تؤكد سأل با الركزية وتظهر قدرتها على مواجهة الأحداث ه

وبنفس الاصرار واجه العباسيون مشاكل المغرب العدربي ولم تدخر الدولة وسما في تأكيم سلطانها مهما تكلفت من تضحيات ، غاستخدمت الحملات البحرية وبعثت المثنى بن زياد الخثعمى في شوال

⁽۱) الطبري : ج ۹ من ۱۵۶ ـــ : ۵۶ . (۲) اليعتوبي : ج ۲ ع من ۱۵۶ ـــ : ۵۶ .

سنة ١٣٦ الى الاسكندرية ليتوجه بالأسطول الى طرابلس ، وليقتدم به معركة تثبت السيادة في تلك النواهي ، ثم ولى أبو عون عبد الملك ابن يزيد جيوش المفرب لأن العسلاقة كانت قسد غترت بين الضلاغة وبين عبد الرحمن بن حبيب وذلك قبل سنة ١٣٥ ، وساعت العسلاقات الى هد القطيعة جعد خلافة المنصور سنة ١٣٧ ، فقد اكتفى ابن حبيب باعلان الولاء الشكلي للخليفة العباسي وامتنع عن ارسال الأموال السنومة الله ، وكانت هنالك أسباب أخرى تبعث على شك العباسيين فى الهلاص عبد الرحمن منذ البداية ، وهي موقف السفاح من قبل من تسيير الجيوش من مصر الى المغرب ، غقد استقبل عبد الرحمزين حبيب الأمراء الأمويين استقبالا طيبا وأنزلهم فيكنفه(١) ولكن المنصور لميرض بقالك الخضوع الاسمى ، فما بالك وقد تجسرا عبد الرحمن بن حبيب وقلطع المنطبة للمنصمور ونزع شمعار الدولة العباسية وأمر بتعزيقه بر والمراقه (٣) . هكذا وأجهت الدولة العباسية المقدمات الأولى لفقد نفوذها في المفرب بانقطاع المغرب الأقصى عن الخسلافة بأثر ثورات الصغرية واستقلال عدالرهمن بن حبيب باغريقية ، وبانتزاع القيروان حقق صفرية نقراوة سنة ١٤٠ ما كان يهدف اليه اخوانهم صغرية طنعة والمفرب الأقصى سنة ١٢٢٠ •

كما أن هؤلاء الأخربين أضافوا الى ذلك نجاحا آخر أذ ذاك غانشاوا مدينة سجاماسة سنة ١٤١ ه ، وبذلك انقطم المغرب الأقصى عن الشملاقة تماما وخلص للفوارج ، وبيسدو أن مشاكل الشرق من ثورة عبد الله مِن على ، والتخلص من أبي مسلم استغرقت كل هسم الخليفة المنصور غلم يرد بسرعة على عصيان عبد الرحمن بن حبيب ، أو ممد يد المدونة لأنصار العاسيين في افريقية ، ولم يستجب علماء القيروان (١) •

⁽١) أخبار مجبوعة ٤ ص ٥٠ ،

⁽۲) ابن عذاري: ج ۱ ع ص ۱۷ . ا (۳) الساكي: رياض النفوس ، ج ۱ ع ص ۱۰ . ۱

وبدأت الدولة المباسية تواجه الوقف حين تولى مصر القسائد المسهور محمد بن الأشعث ، اذ سسير هواته الموجودة فى برقسة بقيادة المحوام بن عبد العزيز ، وبعث بقائد آخر سنة ١٤٢ ه لقتال أبى الخطاب عبد الأعلى بن الشيخ الأباغى ، ونشبت معركة حامية هزم العباسيون فيها (() • فلم يجد المنصور بدا من أن يعهد الى ابن الأشمث بنفسه بولاية المريقية ، وأرسلااليه الجيوش وأمره بالمسير بسرعة ، وخرج ابن الأشمث فى أربهين ألف رجل ممهم ثلاثون ألفا من جند خراسان وعشرة آلاف من جند الشام ، ومن قواده الأغلب بنسالم المتعيمى ، والتقى بالإباضية سنة ١٤٤ ، فهزموا وقتل أبو الخطاب ، وثارت زنانة فهزمها ابن الأشعث فى نفس السنة ، ودخل القيروان فى جمادى الأولى سنة ١٤٤ هـ ، وبذلك استعادت الخلافة بلاد المريقية ،

ولكن هـذا النفـوذ لم يتجاوز حدود القــيروان اذ ظل مذهب الخوارج متعلفلا بين قبائل البربر من طرابلس الى تامسنا في المغرب الأقصى و وأصبحت القيروان محاطة بالعداوات السياسية والمذهبية ، وحصنت أسوار المدينة ونجح ابن الأشعث في تأكيد سلطان الفــلافة ، وأخضم كل خصومه من البربر ، ولكنه انهـار غباة سنة ١٤٨ م بسبب ثورات جند الفــلافة ، فولى المنصور الأغلب بن سالم المتميمي والمي الزاب في نفس السنة ، ونجح الأغلب في السيطرة على الجند ، ولكن ثار الخوارج مرة أفــرى بعد مقتله سنة ١٥٠ ه ،

ووضح اصرار المنصور على تأكيد سلطان الخلافة فى اختيار، أما جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة من أسرة الله الذي دخل القيروان سنة ١٥١ ، واستقامت له الأمور أكثر من ثلاث سنوات ، ثم بعثت الخالفة يزيدا بن حاتم المهلبي الى القاروان ، ولم تكن شددة الثورات التي وقعت فى المريقية فى ذلك الوقت لتجعل الخليفة المنصدور يتخلى عن مشروعاته ، بل كانت مدعاة لأن يتشبث بها .

الكندى: الولاة : من ١٠٩ .

وعرف كيف يواجه الثورات بالصديد والنار ، وذلك بالهتياره يزيدا ابن حاتم ، الذى تولى مصر أولا ثم سسيره المنصور الى المحسرب فى جبش كثيف سنة ١٥٥ ه ٠

وقسد انتصر يزيد على قوات أبى حاتم الاباضى ، ثم بدأ يعمل على تهدئه الأمور واستمر فى القضاء على البقايا الباقية من الشورات درن اين أو هوادة ، وترتب على استتباب الأمن والسلام فى البسلاد ان تهيات المناروف ليزيد بن حاتم للقيام بالأعمال الانشائية فى البلاد ونشر العمران فيها واستمرت ولايت خمسة عشر عاما منذ ولاه المنصور ، واستمر يمكم الهريقية طوال عهدى المهدى والهادى الى ان توفي علم ١٧٥ ه •

واذا كانت الخلافة العباسية في نضالها من أجل المركسزية لم تستطع أن تجاوز بنغوذها المريقية صوب الغرب ، فانها لم تستسلم للتطورات التي أظلت بلاد الأندلس منذ عام ١٣٨ه • وكانت الخلافة شديدة المسرص على أن تؤكد سلطانها على الأندلس ، غلم ينظر العباسيون الى جهود عبد الرحمن الداخل في تثبيت سلطانه نظرة الرضا والارتياح • وكان عليهم أن يعملوا على تحقيق مشروعاتهم قبل أن يفسرغ الداخل من تأكيد سلطانه والقضاء على الفتن والتسورات الداخلية ، لذلك حالفوا اليمانية في الأنداس ، ذلك أن اليمانية ظنوا أن تأييدهم للأمير الداخل قد بيعث لهم مجدهم القديم وامتيازاتهم القــديمة ، غلمــا خاب ظنهم وقفــوا في وجهه وثاروا . غلمها بعث المنصور العملاء بن مغيث الحضرمي وولاة أمر الأندلس سنة ١٤٦ ، وعبر البحر من المغسرب الى الأندلس انضه اليه أعدا، عبد الرحمن جميعهم ، وكان اليمانيون أشـــد الناس تأييدا له ، ويبدو أن الشمورة اليمنية العباسية أحرزت نجاحا أول الأمر ، فقد استطاع الملاء بن معبث أن بحاصر عد الرحمن شهورا في منطقة باجـة في غرب الأنداس ، غير أن عبد الرحمن حطم حلقات الحصار وهزم أنصار العباسيين هزيمة كبرى ، كما قضى على من انضم اليهم من أهمل اليمن • وأشمل اليمانيون نار الشورة مرة أخرى مستترين خلف محاولة عباسية ترعمها أحد أعمام السفاح علم يظفروا بطائل وظل عبد الرحمن يتعقب اليهانية بالحرب عتى قضى على ثورتهم عماما •

والخلافة اذا كانت حريصة على تأكيد سلطانها في العساضرة والقضاء على الثوار والمطالبين بالحكم • الا أن محاولاتها في المعسرب الأوسط والإقصى باعت جميعها بالمفشل الذريع •

والسبب في هـذا أن الاصطدام كان بقوة لم يكن يحسب لهـا حساب من قبل ، انما يجب أن يحسب لها حساب من بمدءوهي الاقليمية المجددة النامية في الأمصار ، التي باتت تهـدد بانقسامات خطيرة ، وتبين أن الخلافة المباسية أذا جمدت أمام الشـكل القديم ضعفت وتلاثمت وانتهت ، اذ كان لابد أن تعترف بالاقليمية النامية وأن تقيم نوعا من التعاون بين القوتين .

وقد حاولت الخلافة العباسية أن تعدل النمط القديم بارادتها و ومن قبيل هذه المحاولات ما كان من ايجاد منصب نائب الخليفة وقسمة المسالم الاسلامي الى مشرق ومعرب و كان القسم الشرقي عاصمته مو في خواسان ، وكان القسسم العربي عاصسمته دمشق أحيسانا أو العسكر في مصر أحيانا أخرى ، وابتدا العرف يجرى بعد ذلك بجواز قيام سلطان آخر أو أكثر من سلطان الى جانب الخلافة على أساس أن يعتبر مستعدا سلطانه من الخلافة و

وظلت الصفة الفيدرالية تزداد وتنمو فى العصر العباسى الأول وفى العصور العباسية التالية كذلك وقد رأينا كيف أن بلاد الأندلس قد انقصلت منذ أن دخلها عبد الرحمن الداخل ، واستبد الأمويون هناك بتدبير أمور بلادهم بأنفسهم دون أن يكون للخليفة العباسى البعدادى أى سلطان على بلاد الأندلس ، ومع ذاك لم تتذف الأسرة الأموية بالأندلس لقب الخلافة ، بل تسمى أمراؤها باسم أبناء الخلائف ، وتحرجوا من أن يحملوا لقب الحلافة ايمانا منهم بفكرة الخلافة الموحدة القائمة على التصديق العام بصب التقاليد الاسلامية الأولى ، غلما تغيرت الظروف فى القرن الرابع الهجرى حملوا هذا اللقب •

وحالة أخرى تدل على قيام الروح الاقليمية تحت ستار الذهب وهي حسالة الدولة الادريسية التى قامت عام ١٧٥ ه، وهي دولة شيعية زيدية أسست مدينة غاس، وجملت منها مركزا قويا يمادل القيروان في نشر الثقافة العربية وأصول حضارتها ، وتعاونت هذه الدولة الادريسية مع جماعات المعتزلة الواصلية التى أنشأتها الدعوة الواصلية ، غاجتم بالمغرب الأقصى نسب الأدارسة وعلم الواصلية ، وأدى ذلك التى نشاط سريع في الاتجاه العضاري العربي ،

ثم أقرت الخلافة العباسية فى نهاية المطاف تلك النزعة الاقليمية ، وأدركت غوائدها، عامقات بنفسسها فى اقليم القيروان دولة الإغاليسة كلى تحمل عنها هذه الدولة أعماء المفرس ٠٠

وقد سرت نفس الروح أيضا فى المشرق الاسلامي كله بعد نجاح الثورة الخراسانية ، وشعر الخلفاء بذاتية خراسان فقد جمل المطيفة المنصور ابنه المهدى قائدا للجند الخراساني وبنى له الرصافة (بمداد الشرقية على دجلة) .

ثم تبلور هــذا الاتجاه عندما جمل الرشيد الشرق الخراساني كله لابنه المــأمون والمغرب الشامى المصرى لابنه الأمين ، فكان هذا فوعا من التقسيم يراد به ارضاء الروح الاقليمية مع ربطهـا بالمركز عن طريق ولأة المعهود .

ثم وصلت الروح الاقليمية الى أقصى مداها (المعروف فى العصر العباسي الأول) بقيام الدولة الطاهرية ، وهى دولة أقامها المسأمون منفسه وجمل رياستها لقائد من كبار قواده هو طاهر بن الحسين ، وهو غارسي مستعرب مشهور بالبلاغة (١) ٠

ثم أمبحت هذه الدول الاقليمية فى المشرق والمُعرب الاسلاميين خماذج لدول اقليمية كثيرة ظهرت فى المصور التالية ، وأصبح النظام الاقليمي هو القاعدة ،

اذن اتجه العباسيون بعد تجارب مريرة الى النظام الاتحادى أو الفدرالي في الحكم ، وريضوا بمجرد إلاشراف والتوجيه ، وكان هذا منهم مسايرة للطروف لتعيش الدولة العباسية ويستمر لها السلطان . وكانت نزعة توفيتية تدل على الجنكة والبراعة ،

واستمرت هذه السياسة متماسكة فى عهد غمالية الخلافة وتوتها طوال العصر المباسى الأولي، ولكنه فى عهد ضعف الخلافة ووهنها ستتحول الى حركة استقلالية كبرى منتشرة فى المالم الاسلامى كله فى العصر العباسى الثانى، وتتحول الخلافة الى مجرد ظل، وقسد عاشت ظلا متى زالت سنة ٢٥٦ ه أ

وقسد استجابت الخلافة للظروف الجديدة فى ناحية أخرى وهى جمعها بين الخلافة والامامة ، فقسد تعول الامام الداعية الى خليفة يحكم الوام يكن طبيعيا أن يقطع الخلفاء الأوائل صلاتهم بتنظيمات الدعوة وجماهيرها (٢) وغملا ظل الحكم فى العمر العباسى الأولى يعتمد على التنظيمات الأولى و التى نجمت خلال الدعوة السابقة وأثمرت على التنظيمات الأولى و التى نجمت خلال الدعوة السابقة وأثمرت على عمر على هسذا رسسائل الخميس (٢) التى اسستمرت حتى عصر

 ⁽۱) أنظر عن طاهر بن الحصين وابنــه عبد الله . جمهــرة رسائل العرب ٤ ج ٣ صفحة ٨٥ ـــ ٤٩٧ .

 ⁽١) الماد اسة التعميلية لهذا الموضوع الماد تدرس جمعرة رسائل العرب الماستاذ احمد زكى صفعت ، ج ٣ ، ص ١-٠٠٠ .

 ⁽٣) أنظسر مثلا : رسالة الخميس لأحسد بن يوسف - حمسهرة رسائل المرب ٤ ج ٢ ع ص ٢٠ .

المتوكل ، وكانت التعليمات ترسمل المي المريدين من مختلف الأقطار. للاحتفاظ بتشكيل الدعاة والنقباء والعمال .

كانت الملاقة كأقرى ما تكون بإن الخلافة وبين جماهير الدعوة ولعل هذا هو الذي أكسب النظام السياسي الصلابة والقوة ، ولعل هذا يفسر ما قام به أنصار الخلافة من تبرير لأعمالهم في رسائل التقريظ التي تدور حول نظرية عصمة الأثمة التي تبلورت في العصر الفاطمي .

يتجلى هسذا على الخصوص فى الرسسائل التى تسمى رسائل التقسيظ ولدينا رسسائة منها وجههسا يحيى بن زياد الحارثي الى الرشيد (١) وهسو يعتبر أن مناصرة الرشيد والوغاء له ضسد أعدائه « غريضة أوجبها اللسه على العباد » أو أهر من أولى الأمر وأحسنها منبة فى الدهيا والدين « أو أن الوفى هو الناجى » الذى استنقذه الله بموالاة أمير المؤمنين • ونامس فى هسذا اتجاها الى الاحتفاظ بالمبادى الشيعية عند الامامية والاسماعيلية ، تلك المبادى ، التى تعتبر معرفة الاهام غرضا من الغروض وتقول « أن من مات دون أن يعرف اهامه مات مبتة جاهلة » •

ولعل هذا كله يفسر جنوح الخلفاء الى الاستبداد بالسلطة والانفراد بها () والخروج عن روح المشيخة العربية التى عرفت في المصر الأموى ، والتى كانت تعتمد على مشاورة الخليفة للارستةراطية العربية ، بل بوحى من هذا بدأ الخلفاء التجاسيون يتدخلون فى القضاء ويوجهون الفقهاء ويخضعون أحكامهم اسلطانهم ()

⁽۱) جمهرة رسائل العرب : ج ٣ ، ض ٢٤٢ ، ٢٥٢ .

 ⁽٢) برجع هــذا الاتحاه خطأ الى ما يسمى بنظرية الحق الملكي
 المتدس ، ويرجعون بها الى التاثر بالفرس غير أنها ترجع الى أن الخليفة
 كان لهاما ، حسن أبر أهيم ، النظم الإسلامية ، صرر ١٩ .

⁽٣) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ، ص ١٨٠٠ . (م ٩ سر العمر العباسي)

وثمة ناحية أغرى من نواحى نظام الخلافة نريد أن نبين كيف مسمها التعيير في العصر العباسي الأول، ونعنى موضوع الخلافة والشورى ونظرية الوراثة وولاية المهد •

لا نستطيع أن نقول ان الخلافة فى المصر العباسى الأول كانت وراثية فى الإعقاب ، بل الأدق هو أن الخلافة كانت مقصدورة على البيت العباسى دون غيره ، يتولاها منهم أغضاهم بمهدد ممن يسبقه بشرط أن تتم له البيمة بين الناس ه

والواقع أن الخلافة كانت للاقسدر منهم لا وراثة مستقرة فى الأبناء ، الا أذا ثبتت قدرتهم ، وتلاحظ ذلك عندما تتبين أن الخلافة تداولها أخوان (أبو العباس والمنصور) ثم ابن (هو المهدى) ثم أخوان (هما الهادى والرشيد) ثم ابن (هو الأمين) ثم أخوان هما المامون والمعتصم ، ثم ابن (هو الوائق) ونخرج من هذا بأن ثلاثة أبناء غقط ورثوا الامامة عن آبائهم وأن الامامة غيما عدا ذلك كانت للاخوة ،

. ومبدأ الأقدر على حمل تبمات الخلافة ناشى، من ثقل التبعات والمشاكل ، بحيث لا يصلح لها الابن مهما يكن حاله ، ومبدأ الأقدر ناشي، من جمعة أخرى ، من عادة الخلفاء أن يشركوا ممهم اخوتهم أو أولادهم في الحسكم بحيث يصبح الولد أو الأخ بحكم خبرته التى يكتسبها أقدر من غيره على حمل التمات ، وأجدر بأن يجمع حوله الآراء ، فقد شارك المنصور في الأمور العامة أيام أبى العباس ، وشارك المهدى أيام المنصور ، وشارك الأمين والمامون أيام الرشيد ، وشارك المعتصم أيام المامون، وهدذه السوابق هى التى تؤكد مبدأ.

أما أصحاب الحق في اختيار الخليفة من بين أغراد البيت العباسي ههم الخاصة ، وهم الذين يعتبرون أهل الط والمقد أو أهل الشوري ، أها أصحاب الحق فى البيعة غهم الشعب كله فى مشارق الأرض ومغاربها بِصِرف النظر عن كيفية ممارسة الخاصة لحقهم وممارسة العامة لحقهم،

أما أهل الحل والمقد أو أهل الشورى كما يقول الماوردى فهم الصطلاحا الهيئة التى تختص باختيار الخليفة و وهى هيئة يتحسدد أعضاؤها محسب الأحوال والظروف ، وهى هيئة مفروض وجودها في كل جماعة وفى كل عصر ، وقسد كان أهل الحل والمقد مثلا هين طعن عمر عبارة عن ستة أفراد ، ثم الباقون من الصحابة المشرين بالجنة و

أما في المصر المباسى غان أهل الحـل والمقد هم أغراد البيت المباسى ومن في مثل مركزهم من كبار القواد ، ثم يلى هؤلاء الوزراء وقد كان أبرز أهل الحل والمقد هم أغراد البيت المباسى ، ثم المحكس الوضع في آخر الأمر غصار أبرز أهل الحل والمقد هم الوزراء والقواد ثم يليهم أغراد البيت المباسى ، وتحديد أشخاص أهل الحل والمقسد أمر متروك للظروف والعرف والواقع المعلى ،

وفي ضوء ما تقدم نقول أنه كان يشترط أن يكون الخليفة من البيت العباسى ، وأن يكون قادرا على حمل أعباء المكم راشدا عاقلا عالما سليم الحواس الى آخر شروط القدرة المروغة في كتساب لا الأحكام السلطانية » ويجب أن يختاره أهل الحل والعقد وأن يعطوه بيمتهم ، غاذا تمت هذه البيعة وهي البيعة الخاصة بايع الناس الخليفة في المسجد ، وأرسلت الرسل الى الولاة في كلفة الأرجاء لياخذوا البيعة على القواد والأعيان والعامة في نواحيهم ه

والمفلاغة ، باعتبارها مالكة للسيادة ، منصب لا يقبل التجسزئة غلا يصح أن يوجد, خليفتان فى وقت واحد ، والسيادة واحسدة لأن الدولة وحسدة متكاملة ،

والظيفة عام الولاية عام الاختصاص، فحكمه يسرى على كل -

أشماء الدولة وهو يمارس حكمه فى كل مجال . فى الأمور الدينية. والسياسية والدنية والعربية دون أن يشاركه أحسد .

وللخليفة الحق فى تفويض من يشاء بما يشاء من الاختصاصات ، فيكزن هو الأصل وصاحب التقويض الوكيل ، وقد جرى العرف على أن يتخذ الخليفة وزيرًا للتنفيذ فقط يتلقى الأوامر من الخليفة ومينفذها (أ) ، وله أن يتفذ وزيرا تغويضها يغوض له البت فى الأمور، باسم الخليفة (أ) ، وللخليفة كذلك أن يغوض المليم المشرق الى أحد الأمراء أو ان لم يجد الى أحد كبار القواد ، وله نفس الحق فى التفويض بالنسبة لاقليم المرب ،

هـنذا ولم تجدد الدولة العباسية شيئا في مسألة ولاية المهد ،
بل استمر الأمر في ولاية المهد على نفس السنة التي كانت معروفة
في أيام بني أمية ، فقد جرى بنو أمية على أن يمن الخليفة ولى عهد
أو اثنين من أمل بيته ولاة لمهده (مثل عبد الملك بن مروان عندما عهد
للوليد ثم سليمان) • وقد جرى المرف في الدولة العباسية على أن
يتولى المهد اثنان من البيت العباسي هيما عددا المالتين الأخيرتين :
حالة الممتصم ثم هالة الوائق • وقاعدة الثنائية اذن هي الأضل ،
ثم كان المعدول عنها آخر الأمر الخروف خاصة (") •

والقاعدة في المحتيار ولاة المهسد عمى قاعدة القسدرة لا تناعدة الأرشد ، غاذا الهتير ولى العهد صغيرا جمل له المطليفة من يقوم معه

⁽٢٤١) حسن أبراهيم : النظم الاسلامية ، ص ١٢١ .

⁽٣) عبد السفاح بالخلافة الى أخيه النصور ثم الى ابن اخيه عيسى ابن موسى ، والمنصور خلع عيسى ويلع المهدى وجمل عيسى من بمسده . وليا ولهي المسدى الفسالانة خلع عيسى بن موسى وولى ولديه الهسادى، ثم هارون ، وقسد حلول الهسادى خلع هارون لولا أن حالت ولهاته دون ذلك .

اما الرشيد نقد ولى عهده أولاده الثلاثة . على أن الواثق خرج على النظامة من الواثق خرج على النظام علم يعبد الأخير أن النظام الأخير أن يعرف الأخير أن يعرف الأخير أن الله انتقادها حيا وبعدا " ، .

باسمه الى أن يكبر ، على أمل أن يعيش الأب حتى يبلغ ولى المهد الرشد ، غاذا حدث عكس ذلك بطلت ولاية المهد ، ولم يكن من تبيل المصادمة أن ولاة المهد كلهم كانوا راشدين مجربين ، بل كان ذلك مرسوما بيد الخلفاء ، وهدذا العرف المبنى على الرشد والتجربة هو السبب الذي جعل الخلافة المناسية تنتقل في أغلب الأحيان الى الاخوة دون الأبناء ،

ويشترط فى ولى المهد من الشروط ما يشترط فى الطبيفة ما عدا شرط السن ، لأن ولاية ولى المهسد لا تبدأ الا عندما يتوفى الأب ٠٠ وكذلك المال بالنسبة للقسدرة بعد النيقن من أن ولى المهد الصغير ممن يتوسم غيهم المقل والقدرة ٠

والجديد الذي لا مثيل له ق ألعصر الأموى هو اشراك ولاة المهد في المام الأب ه

وقد جرى العرف أن يختص أحد ولاة المهد بالشرق كله وأن يختص الآخر بالمرب (النصف العربي من الدولة) غيكون ولى المهد بحكم المهسد وبحدكم ما يتولاه من الأعمال شخصية كبرى من شخصيات الدولة •

أما الأمسل الذي يتفرع عليه أمر ولاية المهد غهدو في هالة المباسيين حق هدا البيت الذي غضله اللسه في تولى أمر المسلمين و أما الأصل الذي صار سابقة في عهد الراشدين غهو عهد أبى بكره في أثناء خلافته الى عمر ، وهده هي السابقة الأولى في المهد ، لكنها سابقة غير مقيدة ببيت معلوم ، كما هو المال في أمر الساسيين و

والنسورى من حيث المبدأ قائمة فى اختيار ولاة المهد واختيار المطلقاء ، غير أنهسا شورى محدودة ببيت معين ، يتولاها أهل المسأئ والمقد ، غان هذه الهيئة هي والمحليفة هي التي تقرر وتختار الأصلح المناهدة ، والشورى مبسدا أصيل لا يمكن التظى عنه: والجاحظ () وهو من أولياء الدولة وأنصسارها يسب بنى أمية لانهم أماتوا الشورى وأحيوا الاستبداد و ولم يكن الجاحظ ليسب بنى أمية لاستبدادهم على أهل الشسورى وعلى جماعة المسلمين من الأنسسار والماجرين الا وهو يعلن أن سنة الشورى قائمة لأهل المل والعقد في العصر الحباسي () •

ومبدأ الشورى هو الذى صرف التشريع الاسلامى عن التفكير في تُحديد الوريث الذى تئول اليه الخلافة تحديدا دقيقا ، ولم يكن مثل هــذا مثل هــذا التحديد عسيرا على الفقه الاسلامى ، بل كان مثل هــذا التحديد مضادا للاتجاه الفكرى القائم على الشورى .

ومع ذلك غان الأثمـة العباسيين الأول كانوا يعتبرون من أهل العلم وكان اختيارهم لولى العهد يكسبه صفة شرعية .

وتبعا لكل ما تقدم لم ينظم التشريع الاسلامى مجالس وصاية ولم يبع التشريع أن يكون الخليفة قاصرا (٢) ، ولا محل أذن لتعيين ولى المهد حسب قرابته وتشكيل مجلس يقوم مقامه ، غان هذا وضع غريب على المفاهيم السياسية الاسلامية ،

والحجج المبينة لذلك كثيرة ، ويكفى مثلاً أن تتأمل الوراشة كما عرفت لدى الاسماعيلية ولدى الامامية .

وقرار تعيين ولى المهد من القرارات المتى لا نتغير بسهولة ، هانه قرار ملزْم ينشئ لصاحبه حقا فى عنق جميع من بايعوه .

⁽۱) انظر رسالة الجاحظ في بنى أبية وبنها قوله « وأرجو أن يكون الله قسد أغلث المحتين ورجعهم وقوى ضعفهم وكثر قانهم حلى صاروا ولاة أمرنا في هسذا الدهر الصعب والزمن الناسد . . . وأعلم بهسا يلزم فيسه منسبا » .

جمهرة رسائل العرب ج. ٢ من ٢٠ ــ ٧٥ . (٢) انظر الرسالة السائقية .

⁽٣) الماوردي : ص ؛ ، ابن خلدون : المتعبة ، ص ١٥٢ ،

ولمسذأ أدت الرغبة فى تغيير ولاة العهد بعد تعيينهم الى أزمات كثسيرة ٠

أراد المنصور أن يجمل الخلافة لابنه بدل عمله (') ، وأراد المهدى أن يجعلها لابنه بدل الهدى أن يجعلها لابنه بدل أخيه ، وأراد الأمين أن يجعلها لابنه بدل أخيه أو أراد أن يخضع أخاه وولى عهده لأمره ، وأراد المامون أن يجعل ولاية المهد لعلوى ترضية الملويين ، وكذلك طمع في الخلافسة عبد الله بن على وطمع فيها ابن المامون ، وفي كل مرة ظهرت فيها مثل هدده الارادة أو هدذا الطمع قامت أزمة كبيرة واقترنت الأزمة أحيانا بحروب كما جدد في جالة عبد الله بن على وفي حالة الأمين والمامون وفي حالة ولى المهد الملوى « على الرضا » ه

وترجع الاضطرابات والحروب الداخلية التى قامت بسبب ولاية المهد الى الخلافات الأسرية والى اصطدام العصبية الفارسية بالعصبية العربية ، كما يمكن أن تدخل غيها المارضة العلوية .

والحق أن خلفاء العصر العباسى الأول كانوا سلسلة من القدرات والكفايات اضطلعوا بالمسئوليات كاملة وجابعوا الشاكل وأبرزوا قوة الخلافة الجديدة وغماليتها ، وقام كل منهم بدوره خير قيام ، بل لعب كل منهم دورا خاصاً في أحداث العصر العباسي الأول ،

وأول هؤلاء الطفاء هو أبو الساس عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس (١٣٣ ــ ١٣٣ ه) () وقسد جرى عرف المؤرخين منسذ القرن الرابع على تلقيبه بالسفاح • أما قبل هذا المهد غان المؤرخين لم يجعلوا له لقبا ولا قرنوا اسمه بالسفاح • بل ذكرت

⁽۱) انظر جمهسرة رسائل العرب: ج ۳ ، ص ۱٥٩ ، كتاب عيشى أبن موسى؛ بنزوله عن ولاية المهد لوسى الهادي ،

 ⁽٢) اتطار : الطبرى: ج ١ ٠ ص ١٥٤ . السعودى : مروح الذهب ٢
 ج ٢ : ص ٢١٥ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢ ص ١٧١ .

المصادر المعتمدة على الاسناد أنه تلقب بلقب المسدى ، وقسد أكدت الكشوف الأثرية قول المسعودى ، فقد وجد الأثريون بمسجد صنعاء نقشا ورد فيه اسم أبى العباس مقترنا بلقب المسدى (١) ، أما لقب السفاح غقد أطلق في الأصل على عبد الله بن على عم الخليفة ،

والراجح أن ممكرة التلقيب ولدت فى عهده دون أن يشيع تغليب اللقب واكتفى الناس بالكنية •

وكان أبو العباس شابا أقرب الى التقشف فى هياته وفى زيه مع عبادة تقربه بالنساك ، الى خلق رضى ولين جانبه ووفاء وعفاف وحلم () ، وكان هذه الصفات جملته يتسم صدره لهم جميعا ، وان كان أخوه المنصور أسن منه ، وهو لذلك أى شيء الا أن يكون سفاها ، وله المناز أشيء الا أن يكون سفاها ، ولمهذا شرح المؤرخون العبارة الواردة فى خطبته على أن السفاح فى الأصل قسدح من القسداح التي كان يضرب بها وهو قسدح ذو حظ عظيم () ، وقسد روى ألمّا شخصيا كان يكره سفك الدم ، ولم يصح عظيم () ، وقسد الا فى حالات معدودة وأكثر ذلك منسسوب الى كان بيته ، وهم ممن لا يقدر أبو العباس على ردهم أو عقابهم ، وروى كذلك أنه أمر بالكفة عن سفك الدماء الا بمشورته ،

أما عن مدى ممارسته لحقوق الخلافة : لهانه مارس سلطاته عن للريق أهمال بيته ، ولهوض الولايات الكبرى لاخوته وأعمامه (4) واذن

 ⁽۱) لم ترد في الكندي رغسم انه من اوثق الرواة اية اشارة الى لقب السفاح . الكندي ، ص ۹۷ .

ر۲) الفخرى : ص ۱۳۲ ،

⁽٣) جاء في التابوس: سفح الدم اراقه والسفاح العطاء ؛ والفسيح ج ١ ، ص ٣٠٨ ــ ٢٢٩ . وتسد جاء في خطبة أبي العبساس « وتسد رديم و أعلنا السفاح البيح والثائر البير ٣. فدان كلمية السفاح هاعت تأكدا لزيادة العطاء ، الطبرى : ج ١ ، المادي المناح العلم المادي المناح العلم المادي المناح هاعت تأكدا لزيادة العطاء ، الطبرى : ج ١ ، المادي المناح هاعت تأكدا لزيادة العطاء ، الطبرى : ج ١ ، المادي المناح هاعت تأكدا لزيادة العطاء ، الطبرى المادي ا

ص ۱۲۹ . (۶) ولى مصر مثلا صالح بن على بن عبد الله المبادى ، الكسدى خ ص ۲۷. وولى أبا جعفر الجزيرة وافريجان وارمينية كما اعتمد على عبدالله ا ابرئ على وداود بن على ،

فقد تحكم فى ممارسته السلطات أمران : الأول هو حاجته الى نقل السلطات من يسد قواد الثورة الى أيدى أكثرهم قربا اليسه ، والى أيد أجسدر بأن ترفع اسم البيت العباسى ، وأذن فقد كانت السلطة المعلية فى يد القواد ثم انتقات اليه والى الحوته ،

والأمر الثانى هو أن أهل بيته الذين انتقل اليهم الأمر بعد القواد كانوا جميعا متضامنين في الجهاد حتى نجحت الثورة وتولى المثلافة واحد منهم ، كمان من الطبيعي ألا يتغير الوضع الا بمقدار محدود •

وعهد أبى المباس على أى حال هو العهد الذى شهد انقلابا كبيرا فى الأوضاع ، فقد ارتفع فيه شأن المشرق الاسلامي الأسيوى ، وقد وقع فيه القصاص من أهمل الشام ومصر باعتبارهم أنصار بنى أهية وصارت منزلة هذه الأقلية أقل من منزلة المشرق الأسيوى ،

ثم آلت الخلافة الى المنصور (أ) (١٣٣ - ١٥٨ م) وهو شخصية حازمة فكان بحزمه سيد أهل بيته (أ) كما كان صاحب الأمر فى خراسان بعد أن تخلص من أبى مسلم ، فهو الذى وطد أمور الدولة لن بعده ، وهسو الذى اغتتج سياسة القسوة مع العلويين وأذاقهم من سطوته مثلما ذاقوا فى أيام بنى أهية وأكثر ،

والمنصور ، غوق ذلك هو الذى أتم الدور التأسيسي من حياة الدولة ، وصان حدودها وأمسك بزمام قيادتها ، أما في الصدود فان دراسة المحدود الشامية الحزرية عند جبال طوروس تظهر الجهد المعليم الذي بذله المنصور بما بني من حصون () .

أما بالنسبة لزمام القيادة غانه كان يطمع في استعادة الأندلس

ا ورد مسجن الثابه في نص تشييد شرب الزييمان
 ا Van Berchem Corpus, Egypte. Vol 1, 96.

⁽۲) اتظر الفخرى: من ۱۳۵ -- ۱۳۱۱ .

⁽٣) البلاذري : متوح البلدان ٤ مس ١٩٣. ٠.

الى الخلافة كما كانت فى عهد بنى أمية ، كما كان يطمع فى استعادة. الغرب للخلافة أيضا ،

وقد غشل فى هذين المجالين ، ويكفيه مع ذلك أنه حاول توحيد المخلافة كما كانت فى عهد بنى أمية ، وتتبلور هذه الفكرة فى بناء المنصور لبغداد حتى أنها سميت بمدينة المتصور ، وهى المدينة التى جممت أنصار الدولة ودواوينها ، وهى المدينة التى بلنت من العظمة والازدهار ما لم تبلغه أية مدينة أخرى فى العالم الاسلامى ما عدا القباءة ،

ثم يأتى بعد المنصور سبعة من خلفاء العصر العباسي الأول هم المهدى وابناه (الهادى والرشيد) ثم أبناء الرشيد الثلاثة (الأمين والمامون والمعتصم ثم الواثق) •

ويختلف هؤلاء السبعة عن الخليفتين الأولين في أنهم ورثوا دولة قسد استقرت على نمط معلوم ، وأصبحت حياتها اللسياسية ميسرة ، وفي أنهم أحاطوا أنفسهم ببلاط عظيم وقصور غضمة ونزف لا حد له حتى صار ترغمه أسطورة ترويها الأجيال ، وإختارت الأساطير شخصية منهم هي وأسطة عقدهم ، وهي شخصية الرشيد «

أما المهدى (أ) مُكان نموق لين أبى العباس وتنت حزم المنصور ، وقد جاء بعد أن وطد له أبوء الأمور ، لفظهرت خاصة ميوله الشخصية ، وأولها هبه للصيد وخروجه اليه مع خاصته من رجال البلاط (٣)

⁽۱) ورد هــذا اللقب في سكة بتاريخ ١٦/ هـ من الري وفي اخرى من الباب وفي ثالثــة ضربت بتاريخ ١٥٢ بأران وقُلك انتـــاء ولاية المــدئ العبــد .

Inrontairo des Mounaies. P. 7.

م ورد النمت ايضا النساء خلافته في نمن تشبيد بتاريخ المحرم ١٥٥ ممر. على قطعة من الرخام في عسقلان وفي طراز تطعة نسيج بتاريخ ١٥٩ بمعر. Rapsreairs Vol. I. lpp. 24—44.

هسن الباشا: الألقساب الاسلامية ، ص ١٤ مس ١٥ م. (٢) الفضري : ص ١٩٣٠ .

واهتمامه بالبلاط فقد اتخذت حاشية الخليفة لأول مرة شكل بلاط نشأ على يد المهدى فى القسم الشرقى من بغداد • ثم بداية اهتمامه بالمقائد (1) غان المهدى هو الذى تتبم الزنادقة على نحو ما ذكرنا •

ولم يحكم الهادى غير سنة واحدة ثم تولى هارون الرشيد (٣) (١٧٠ - ١٩٣ هـ) وقد طألت خلافته على نحو ما طالت خلافة جده المنصور وخلافة ابنه المائمون ، وقد شغل هؤلاء الثلاثة (المنصور: والرشيد والمائمون) نحو خمسة وستين سنة من العصر المباسى الأول غهم لذلك عنوان عليه ، والرشيد في وسطهم كواسطة العقد ه

وللرشيد شخصيته الأسطورية ، فهو يمثل شخصية ملك سعيد ، والبرامكة يمثلون شخصية وزير بالمسذ الكلمة ، وأبو نواس يمثله شخصية ماجن خليم فيلسوف حكيم •

وبينما كانت هذه الأساطير تتبلور فى الأخيلة الشعبية كان الرشيد. فى المحقيقة يقسوم بدور درع الدولة متنقلا بين أرجباء دولته غازيا وحاجا ، وهو أول خليفة قاد الغزو بنفسه ، وسار الى الثائرين على رأس جيشه ، فقسد هرج بنفسه لقتال راغم بن الليث الذى هرج بخراسان ، واسسم الرشيد بعد ذلك كله مقترن باسم ايرين ونقفون وشرلسان ، وهو من غير شك أعظم هؤلاء الملوك جميما ، بل أعظم ملك فى عصره على الاطلاق ،

وولده الأول الأمين الخليفة المظلوم الذي صاعت شخصيته الحقيقية لما لحقه من هزيمة ، وهو على أي حال بطل عصبية الأبناء ،

⁽¹⁾ حسن ابراهیم: ج ۷، ص ۳۷ .

(۲) ورد علی بعض نقـود الرشید که ظهر علی طـراز تطمة من النسیج ، بتاریخ . ۱۹ هـ 7.78 هـ 7.78 النسیج ، بتاریخ . ۱۹ هـ 7.78 هـ 19 مـ ۱۰۰ وما بعدها ، والفخری : شخصیة الرشید ، انظر الطبری : ج ۹ ، ص . ۱۰ وما بعدها ، والفخری : الوزراء ص ۱۷۱ ـ ۱۷۲ . المسعودی : مروج الذهب ، والجهشیاری : الوزراء والکتاب ، السیوطی : تاریخ الکافـاء ، محمد الخضری : محاضرات تاریخ الکام الاسلامیة ،

موهى العصبية الفارسية من أبناء الديش الخراساني الذي استقر بالعراق ، كما أنه بطل التوفيق بين عصبية الأبناء هده وبين العصبية العربية ، وقدد حارب جيوش أخيه المامون من الخراسانية بجيوش يعضها من الأبناء وبعضها الآخر من العرب ، والروايات التاريخية تصوره رجلا مترفا غير حازم يحالفه سوء المطالع في كل ما يحاوله() ،

والمأمون شخصية عجيبة ، جامعة للمواقف المتناقضة التي يصعب التوفيق بينها ، ههو يميل حينا الى الخراسانية ويعتمد عليهم ، ثم يميل الى العلوبين (٢) ، ميل متطرفا حتى ليبذلون له ثقتهم وينسسون خصوماتهم ، ثم يعيل الى السنة ، ثم انه استطاع أن يتقسرب الى المنرب وأن يكسب ثقته بعد أن كان يقصر مودته على الخراسانيسة في المشرق ،

ههو شخصية قادرة على التولهيق بين المواقف المتناقضية وعلى الرضاء كل المسكرات ، وبهذه الملكة ، ملكة التولهيق ، انتهى المامون بأن تغلب على كل ما صادفه من صحاب () والأمر الذي لم يتحول عنه هو وفاؤه وحبه لأخيه المعتصم وتفضيله له على ابنه العباس ،

أما من الناحية المعلية غهو غيلسوف الخلفاء (1) ، ومؤسس بيت المحكمة ، وصاحب حركة الترجمة لنقال الرياضيات والفلسسفة عن اليونان ، وهو الذي احتضن طائفة المعترلة بحمايته في النصف الثاني من خلافته بوجه خاص ، وقال بمتالتهم وهي أن القصران مخلوق ،

⁽۱) انظر الروايات الطريفة التي وردت في الطبري: ج ۱۰ م ص ۲۱ م. ۲۱ مي ۲۱ م. ۲۱

⁽ اعلم الثلقاء بالفقه والكلام ، ونحن نسستفنى بشهرة اخباره عن استقفنى بشهرة اخباره عن استقساء نكسره » •

واضطهد خصومهم ، وشايع الزيدية كذلك على أساس صملة الزيدية. بالمعتزلة (١) ٠

وهو فوق ذلك كله مهتم بحماية حدوده ، نلجح في هذه الناهية نجاحا تاما في جبهة الترك في أواسط آسيا وفي جبهة الروم عند طوروس (٢) .

أما المعتصم (") ، فهو ثالث أولاد الرشيد الذين تعاقبوا ألما بعد أحمل. أخ على كرسى الضلاغة ، وهو فى شخصيته غارس يحب أهمل. الغروسية ، ولهمذا مال الى الترك وأحب غروسيتهم وخصهم بتقديره، وبنى لهم عاصمة جديدة مفسحا لهم أكبر مجال انفسح لهم منذ اتصالهم بالدولة الى وقته ،

والسمة الأخرى الواضعة فى شخصية المتصم هى وغاؤه الشخص الخيه بالذات فى حياة الخيه وبعد مماته ، ولهسذا يعتبر حكمه استمرارا لحكم ألهيه المسلمون ، بحيث لو عاش المسلمون لما اختلفت سياسته عن سياسة أخهه ، برغم الاختلاف الملحوظ بين المصريين • مثال ذلك أن المسلمون هو الذى الهتت سياسة استخدام الأتراك وأن أخاه. المتصم هو الذى وصل بهسذه السياسة الى أقصى مدى ممكن •

أما آخر خلفاء العصر فهو الخليفة الواثق ، وهو أقل خلفاء العصر من حيث وضوح الشخصية ، وقد استطاع أن يحتفظ بمقام الخلافة الى جانب الأتراك وأن يظل سيدهم الصاكم ، الآأن مكانة

⁽۱) انظر رسائل المائون الى اسحق بن ابراهيم نائبه بعضداد : احمد زكى صفوت : رسائل العرب ، ج ٣ ، ص .٥٠ - ،٥٥ . وجمعت كليا من الطبري : ج .١ ، ض ١٨٨ - ٢٨٩ .

 ⁽۲) أنظر المكآبات بين الماءون ونيونيل ورد المسأبون عليه طبرى
 ج ۱۰ ك ص ۲۸۳ ، جمهرة رسائل العرب ، ۵ ۳ ، ۳۳ .
 ۲۲ ، شفحرى ، ص ۲۰۹ .

الأتراك كانت قـــد استقرت بحيث تحكموا بعــد. في تولية المتـــوكل وفي سياسته ، لهمــا خرج عن طاعتهم تتلوه .

* * *

٢ - نظـم الدولة :

واذا كنا قد اهتمنا بنظام الخلافة وعرفنا ما أصابه من تغير همن واجبنا أنْ نعرض لوسائل الخلافة فى الحكم ، أعنى لنظم الدولة من نفس وجهة النظر التى نحن بصدد توضيحها وهى الثورة وفعاليتها وأثرها فى نظم الدولة فى المصر العباسى الأول ،

ولاعطاء غدرة صحيحة عن نظم الدولة فى العصر العباسى ينبغى أن غذكر أنها فى هـذا العرض ستعتمد على نصين أحدهما كتـاب قديم ألفنه المساوردى فى الأحكام السلطانية و وأعطى صـورة فى غاية الموضوح عن نظام الدولة فى العصر العباسى كله و ثم بين أيدينا كتاب حديث ألفه الدكتور حسن ابراهيم حسن وموضوعه «النظم|الاسلامية» هيه أيضا استعراض لهسذا الموضوع على أسس علمية حديثة و

بالاعتماد على هذين المصدرين نظهر الوجه النظرى النظم ، وبالاعتماد على ما تناثر في تاريخ الطبرى من أخبار الدولة في عهد خلفاء المصر المباسى الأول من السفاح حتى الوائق نتبين أن ثمة عوامل هامة وجذرية أحدثت التغيير المنشود وتركت أثرها في جهاز الحكم •

هدده العوامل هى : ظروف الخلافة نفسها وما داخلها من تطور وكليفة ترك صداء فى نظام الدولة و وقيام الدولة وما صحبه من احياء المتقاليد المفارسية و وتقدم العنساصر الايرانية وما صحب ذلك من المفيان على جهاز المحكم والمكاسب المسكرية لعناصر الموالى وما صحبها هن أثر فى النظام الحربى على وجه الخصوص و

أما عن ظروف الخلافة العباسسية غانه كان من الطبيعي أن تترك القرا وانسحا في أجهزة الدولة ، غالخلافة مشملا في صراعها بين المركزية والاقليمية وفى حفاظها عنى التوازن الذى لا يفتدها غمليتها ، كانت مترك أثرا فى الولاة على البادان وفى اختصاصاتهم وفى الساطات المضولة لهم ، فقد كان الولاة مثلا فى عهد أنصار الفكرة المركزية مثل المنصور أقل نفوذا وأضيق سلطانا من الولاة فى عصر الرشديد وبعد الرشيد ، فقد بدأ الولاة يكتسبون سعة فى النفوذ وانطلاقا فى اليد() ، وتطورت هدذه السلطات الى استخلال وتكوين امارات كما فعال الإغالبة فى تونس أو الطاهريون فى خراسان ،

هـذا التطور بين المركزية والاقليمية يصوره الماوردى (م) فى الأحكام السلطانية بتقسيمه نظام الامارة على البلدان الى طائفتين : أمارة الاستكفاء التى تصور جهود الفائلة نحو المركزية وتظهر منها الاغتصاصات التى كانت الخلفاء وتعلم اللهدور •

أما الطائفة الأخرى همى امارة الاستيلاء ألتى تدل على الاقليمية وعلى ازدياد سطوتها ، هيقدم أهد الأمراء قسرا على الاحتفاظ بولاية من الولايات ويضطر الخليفة الى اقسراره عليها ويفوض اليه تدبير سياستها ،

وثمـة ناحيـة أخـرى وهى تنظيمات الدعوة التى ظلت مؤثرة الماهيـة على السطح طوال العصر العبـاسى الأول ، فقد كانت تلزم الولاة العباسيين بالمشاركة في هـذا النشاط والقيام الى جانب القيادة العسكرية والقيادة الاسلامية العامة برئاسة الدعوة في الاقليم •

لذلك أعتقد أن ولاة العصر العباسى الأول كانوا دعاة يمستكون تشوط الدعوة ويتصلون بالنقباء والعمال ويعملون على تفسير رسائل المفهيس وتعقب المحاولات الأموية والعسلوية للقضاء عليها •

⁽۱) لنضرب مثلا بمصر ، الولاة : من السفاح الى الرشيد . الكندى : الولاة ، ص ٩٧ – ١٣٢ ، والولاة : من الرشيد حتى الواثق حس ١٣٣ – ١٩٦ ،

Von Rremer p, 228.

⁽۲) الماوردي ، صفحات من ۲۸ -- ۲۹ .

انظر تفية هروب عبد الرحمن بن معاوية مثلا وكيف كانت تلاحقه أجهزة الدعوة فى كل مكان • وأعتقد أن هدذا الاختصاص العقيدى كان وأضما فى ولاة القسم الشرقى من الامبراطورية • وقد هرص المباسيون على ايجاد أوثق المسلات بين عهدد الصركة العباسسية وبين العاصمة (") • "

ومن ناحية أخرى أدى حرص الفلانة على الروح الفيدرالية ، ومحاولة السيطرة على التيسارات الاقليمية وكبح جماحها وتحقيق التعاون المنشود بينها وبين السلطة في دار الخلافة ، الى ابتداع سياسة ادارية ممينة تحقق لهم ذلك الهدف ، فقد قسموا العالم الاسلامي الى مشرق ومغرب وأنشأوا منصب نائب الخليفية ، وكان ولاة المهدة أو الأمراء المقسربون يقلدون هذا المنصب الرفيع ، وأعتقد أن نائب الخليفة في المرب كان مقسره اما في دمشق أو المسكر في مصر ، وكان نفوذه يمتد الى المحيط الأطلسي ويقسوم بسك العملة وتولية العمسال المحافة وقولية العمسال

ويدل البروتوكول الذي يرجع الى عصر المتصم على أن نائب المظلفة كان اسمه يسك على العملة والطراز ويدعى له بعد المخليفة على المناء وكتاب وله حق التصرف الكامل باسمم المفاقة على ال

وأعتقد أن القسم الشرقى كان دائما مقسره مرو عاصمة خراسان مركز الانطلاق العباسى ، وكان المأمون باعتباره نائب الخليفـــة فى الشرق يتولى منطقة مرو .

وكان الخلفاء العباسيون قند أحيوا سنة الراشدين وذلك بكثرة عزل الولاة ، ليضمنوا ألا يستبد هؤلاء الولاة بالسلطان مستفيدين من

⁽¹⁾ أنظر منسلا : الرمسائل رقسم ٦١ ، ٨ ، ٢٤٢ ، ١٧٠ ، ٢٠٧ ،

الاتليمية المجديدة (١) ، اطلاق في السلطات مع قصر مدة التولية (١) ولكن مؤلاء خصوصا في عصر المعتصم كانت تطول مدة اقامتهم وتطاقر. المديهم في البلاد ، انظر أشسناس التركي والمسلطات التي أعطيت له ، وكان طبيعيا أن يتصول هؤلاء الى أمراء مستقابن في المصر العباسي الثاني .

* * 4

أما العامل الثانى الذى ترك أثرا واضحا فى نظم الدولة فى العصر العباسى الأول غهو موضوع احياء التقاليد الايرانيسة الذى يشسكل موضوعا هاما ، أولى أن يتعرض له المؤرخون بالمنانية والدرس ليروا كيف كانت البداية فى مستهل العمر العباسى ، وكيف كانت النهاية فى هذه القوة الايرانية التى طفت على سطح الحياة الاسلامية منذ القرن المعامد العباسات المعالية الاسلامية منذ القرن التي على سطح الحياة الاسلامية منذ القرن المعامد العباسات العالمة على المعامد العباسات العالمة على العباسات العالمة على العباسات ال

الثالث قصاعدا ٠

⁽۱) كان المنصور ينتل عماله من بلد لآخر بعد غترة وجيزة ، غند نتل حميد ابن تحطية من مصر الى خراسان سنة ١٥١ ه ، زامباور : ج ١ ، مس ٣ ، ١٧ كذلك لحسرى المهدى تهديلات واسمة بين حكام الاعلم عمر من من الكالم عمر كثيرين وولى بدلهم (ابن الانسير : الكامل ، ج ٦ ، مس ١٧١) وكان الرشيد بولى أعملة ذريبوان كل سنتين أو ثلاثة واليسا جديدا ، الرابر الاثير ، ج ه ، مس ١٦٦) ،

⁽٧) كانت الشروط الذي يجب أن تتوانر في الولاة في العصر العباسي الأول اعتمادا على المساوردي : الاحكام السلطانية وأبي شجاع : فيسل كتاب تجارب الابم على هــذا النحو :

⁽¹⁾ أن يكون عليها بالسياسة وشئون الادازة .

 ⁽ب) ان يكون تادرا على تيادة الجند : ومعنى هــذا أن الوالى كأن يجمع بين التيسادة السياسية والعسكرية .

⁽ج) أن يكون خبيرا بجمسع المسال رقيبا على عمال المسراج وجباة الأموال .

⁽د) المسدل بين الرعية وحسن التصرف في الأمور ومشاورة أهسلُ الراي .

 ⁽a) أن يكون منصوبا في تنظيمات الحزب المباسى شارك بنصيبه
 في الدعوة في فترة التحضير للثورة أو في الأحداث التي تلتها .

⁽م - (_ العصر العباسي:)

وقسد كان هدذا الاحياء عسكريا وثقافيا واجتماعيا ، ولا يهمنا منه هنا الا ما يخص موضوع نظام المكم فقط وكان من أثره الهادة العباسيين على نطاق واسع من التقاليد الادارية الفارسية القديمة ، يقسول برنارد لويس : « وكانت الادارة عند الساسيين تطورا للادارة عند الأمويين المتأخرين واعترف المنصور بدينه الكبير للخليفة الأموى هشام بن عبد الملك في تنظيم الدولة » (() ،

الا أن تأثير النظام المفارسي المعمول به أيام الساسانيين أخد يزداد قدوة • وكثير من شدهائر المباسسيين تقليد متعمد للمدات المفارسية التي أصبحت معروفة في هدذا الزمن عن طريق الموظفين المغرس (٣) • وقد كان المنصور في المقيقة هو المشرع الاداري للمصر المباسى ، وكان يسمير على خط هشمام بن عبد الملك في الالهادة مر التجارب المارسعة المقدمسة •

وقد اتخذ هدذا الاحياء صورا متعددة فقد كان استحداثا الأنظمة جديدة لم تكن موجودة من قبل ، كما أدى الى تطوير أنظمة بقائمة ، يرسعه سرب الموالى الى الجهاز الادارى كله ،

غمن قبيل استحداث أنظمة لم تكن موجودة من قبل ما كان من نشأة نظام الوزارة وتطورها في الغصر الماسي الأول ، فقد استحدث منصب الوزارة تأثرا بتقاليد الفرس ، ولم تتضمح صورتها في عهد أبي سلمة المصلال أول وزراء الماسيين ، ولكنها وصلت الى قمسة التطسور في أواخر المصر المباسي الأول .

وكانت سلطات الوزير صُخْمة (١) ، فقد كان يقضى باسم الخليفة

⁽¹⁾ العسرب في التاريخ ، من ١١٩ .

 ⁽۲) آهسته آمين : ضحى الاسلام ، چه ۱ ، ص ۱۹۳ .
 (۳) تول ابن خلدون في سلطان الوزراء في العصر العباسي الاول :

[«] فلب اجات دولة بنى الساس واستندل اللك وعظمت مراتب، وارتفست ، عظم شأن الوزير وصارت اليه النيسابة في انفساذ الحسان س

ف جمييم شئون الدولة ، فكان له الحق في تنصيب العمال والأشراف في شخصه بين السلطتين المنية والحربية (١) ٠

والماوردي (٢) يقسم الوزارة الى وزارة تفسويض ووزارة تنفيســد ه

وزارة التنفيك:

وهي التي تكون فيها مهمة الوزير تنفيذ أوامر الخليفة وعدم التصرف في شئون الدولة من تلقاء نفسه ، بل كان يعسرض أمور الدولة على الخليفة ويتلقى أو امره فيها ، فلم يكن سوى واسطة بين الذائشية ورعيته ء

وزارة التفويض:

وهي أن يعهد الخليفة بالوزارة الى رجل يفوض اليمه النظر في أمور الدولة والتصرف في شنونها دون الرجوع اليب غلا يبقى للخليفة الا ولاية العهد وعزل من يوليهم من الوزراء •

والعقد ، وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه ، وخضعت لهـــا الرقاب وجعل له النظر في ديوان الحسيان لسا تحتاج اليه خطته من قسم الاعطيات في الجند ، نماحت إلى النظر في جمع وتفريقه واضيف اليه النظر هيسه ثم جعل له النظر في التلم والترسيل لمسون اسرار السلطان ولحفظ البضاعة لما كان اللسان قد فسحد عند الجمهور ، وجعمل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع والشياع ، ودفع اليسه فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم وتسائر معاتى الوزارة والمصاوية حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشسيد أشارة الى عمسوم يُظره وقيامه بالدولة ، ولم يخرج عنه من الرقب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تسكن له لاستفكافه عن ذلك : المقادمة . Y. V ...

انظـر لينما الفخـرى ، ص ١٣٦ - ١٣٩٠

⁽¹⁾ احسد اين : مسحى الاسلام ، ج 1 ، من ١٦٥ - ١٦٦ ، ابن خلدون : المسلمة ، ص ٢٠٧ ، 🏪

⁽٢) الأحكام السلطانية ، ص ٢٦ وما بعدها ،

وفى استطاعتنا أن نجد صورا ممتمة عن وزراء العصر العباسي الأول غيما كتبه هلال الصابى أو الجهشيارى عن حياتهم وأساليهم فى المعمل ووسائلهم وعلاقاتهم بالخلفاء ، وأثرهم فى سياسسة الدولة ، وحياتهم الخاصة يتبين منها احياء السنن الفارسية القديمة ، لقسد كانوا غرسا فى شياب عربية ، الأحسال غارسى وأسلوب الممسال غارسى صميم ،

هؤلاء الوزراء كان لهم أعوان من أرباب الأقلام يسمون بالكتاب، وكان لكل وزير كاتب أو كتاب يعينونه ، ولولاة الأقاليم ورجال الدولة كتساب ، وكانت طائفة التكتاب تؤلف وحدة يرآسها الوزير ، وتتدرج في الترقى حتى تصل الى منصب الوزارة معتمدة على الكناية والبلاغة ، وكان أكثر هؤلاء الكتاب فرسا كالوزراء يحتذون حدو أجدادهم من المنسرس حتى في مظهرهم ، بل ان صيروزة الكتساب طبقة فيس الا تقليدا للنظام المفارسي ، وقسد ترك هؤلاء الكتاب أثرا كبيرا في نشر الثقافة وذيوعها ، فشقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم ، وكانت مناسبهم تحتم عليهم أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم ، وأن يلموا بعلوم الملقة والأدب وعلوم الدين وعلم الكلام والجغرافيا والتاريخ ، فقد كانوا يتعرضون لمواقف تضطرهم الى الالمام بكل هدده المعارف المعامة ، والأسستاذ أحصد أمين (") يقارن بين معارفة الكتاب الشاملة ومعارف المصدين والفقهاء المصدودة وأن هؤلاء

ومما يدل على هذا الشمول فى المعرفة المطلوب توافرها فى الكتاب ما ألف لهم من كتب (٢) • غابن قشية يؤلف أدب الكاتب لأنه رأى أن طائفة الكتاب شعفت بالنظر فى النصوم والمنطق والفلسقة ، وعرفّت الكون والفساد وسمم الكيان والكنية والجوهر والعرض ، ورأس المخط

⁽١) احسبد أمين : ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

⁽٢) ابن النسميم : الفهرس ؛ ص ١٦٨ - ١٧٠ ،

النقطة ، والنقطة لا تنقسم ، وألف بعده أبو بكر الصولى كتاب أدب الكاتب وتوسع فى أمور لم يرض لها ابن قتيبة غعرض لحسن الخط والدواة والقلم وترتيب الكتاب وطيسه والدعاء فى المكاتبات ، وألف ابن درستويه « كتاب الكتابه » ،

وقد أسهم هؤلاء الوزراء وكتابهم فى نشر الثقافة العامة وجمعوا بين الآداب العربية والفارسية • وكانوا صورة صادقة للاهياء الفارسي الذى أشرنا الله •

كما أن اتساع سلطات الفلافة وتنوعها وكثرة مشاكلها الداخلية والفارجية تطلب التوسع فى الدواوين بصورة لم تكن مألوغة من قبل ويشير الماوردى الى أن الدواوين بلغت أكثر من أثنى عشر ديوانا : ديوان الضراج ، وديوان،الدية ، وديوان الزمام ، وديوان المبند ، وديوان الموائى ، وديوان البرائل (أو ديوان الانشاء) وديوان النظام ، وديوان الرسائل (أو ديوان الانشاء) وديوان النظام ، وديوان الأكداث والشرطة ، وديوان العطاء ، كما كانت هناك ادارة خاصة المحماغظة على مصالح غير المسلمين ويدي رئيسها كاتب الجهاز ،

وهناك دواوين أخرى فرعية تتصل بالادارة والسياسة والقضاء ، هـذا عـدا ديوان المنح أو المقاضاة وديوان الأكرية للاشراف على المقانوات والمترع والمسسور وشؤون الرد وقـد أنشأ المهدى ديوانا لكاهمة الزندةة (1) •

على كل حال هـذه الدواوين كلها كانت تنقسم الى مجموعتين رئيسيتين : الأولى للتوجيه الادارى والمكاتبات الرسمية مثل البريد والمراسلات والتوقيع والخاتم ، والثانية مختصة باستتباب الأمن في الدولة وتوفير الحماية لها مثل الشرطة والصبة والجند .

 ⁽۱) انظر حسن ابراهیم : النظم الاسلامیة ، من ۱۷۱ – ۱۷۸ ، وکذلك الفصل المتح الذي كتبه آدم متر عن الادارة ، بد ۱ ، من ۱۲۹ – ۱۶۹ وكذلك الوزارة والوزراء ، ص ۱۵۰ – ۱۸۸ .

كانت دواوين المجموعة الأولى تعمل وفق نظام رتيب ، فالمكاتبات ترد الى ديوان الرسائل ليقـوم بفضها فاذا رؤى عرضها على الخليفة أو الوزير تولى ذلك الأمر ديوان التوقيع ، واذا كانت في حاجـة الى دراسـة أتم وأشمل عهـد بذلك الى ديوان التوقيع ، فاذا انتهى من الدراسة سلمها الى ديوان الرسائل لتؤخذ منها صور يحتفظ بهسا ف خزانة الدولة على أن يسلم الأصل الى ديوان الخاتم للختم بخاتم الخليفة ثم يعود الى ديوان البريد لارساله الى جهة الاختصاص •

على كل حال كان من بين هـذه الدواوين ديوانان تطورا تطورا للنهوض الى مستوى السياسة العباسية ، ومواجهة اهتياجات الدولة المنوعة ومشاكلها من المركزية الى الاقليمية ، والموقف الدولى ، وهمسا ديوان الرسائل وديوان البريد •

بدأت عناية العباسين بهذا الديوان منتذ بداية حركتهم في خراسان ، فقد انشأ أبو مسلم ديوانا للرسائل عهد به الى أسلم ابن صبيح (أ) • لكن قواعد تنظيم هئذا الديوان استقرت في عهد المنصور عهد التنظيم الشامل والتطور الحقيقي لنظام الخلافة المباسية ، ففي بغداد أغرد مكانا خاصا لهدذا الديوان بل جمله قريبا من قصره (آ) ، وعهد به الى أبان بن صدقة ، ولم يتوقف تطور هدذا الديوان في عهد المهدى وأصبح باستطاعة من يتولاه أن يستخلف عليه من يريد ، كما فصلت المراسلات الفاصة بالظليفة عن مراسلات من يريد ، كما فصلت المراسلات الفاصة بالظليفة عن مراسلات الدولة (آ) الأن ديوان ، سائل الدولة بدأ يخضع الاشراف الوزراء المباشر وخاصة وزراء المباشر على المكاتبات الرسمية غاصبت تصدر بالثناء على الله عز وجل والمسلاة على المرسول ، ولم تفتر العناية بهدذا الديوان الهام حتى

⁽۱) الجهشياري : الوزراء ٤ ص ٨٥ .

⁽٢) اليعتوبي : البادان ، ص ٨ .

⁽٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

. آخر عهد الوائق بل نعتقد أن الديوان تألق كأقوى ما يكون في عهد الرشيد والمسأمون خاصة • وكان ديوان الرسسائل بالذات لا يتولاه الا خيرة الكتاب الذين أشرنا اليهم (١) •

وفى كل من صبح الأعشى للقلقشندي (الجرزء الأول خاصة) وقانون ديوان الرسائل للصيرف ، وهسلال الصابي « رسبوم دار الخلافة » (٢) تفاصيل كثيرة عن وظيفة هذا الديوان ونظام العمل به ، ومنهما نتبين أن الديوان يتلقى الرسمائل من ديوان البريد ، وكأن الخليفة مستشير صاحب ديوان الرسائل ، لذلك كان ألصق الموظفين به والدناهم منه غكان من أبرز موظفى الدولة •

وكان لصاهب ديوان الرسائل كاتب يرتب الكتب التي ينظسرها مجلس المظالم ويلخصها ، غاذا روجعت عرضت على الخليفة • وهناك كتاب آخرون مختصون بمكاتبات موظفى الدولة وعمالها ، وبعضهم يختص بمكاتبات كبار رجال الدولة ، وغريق آخر كان يعكف على كتابةً المناشير وكتب التقليد والولاية ، ومراجعون يقرأون ويتصفحون كل ما يكتب في الديوان ، أما الخطاطون فمهمتهم نسخ الكتب بعد صياغتها ومراجعتها ، ولهذا الديوان أرشيف يتولاه الخازن وهو يحفظ أصول المكاتبات التي ترد الى الديوان ومعها نبذ مختصرة عما تم بشأنها وما صدر عن الديوان عنها ، كما ينظم الموضوعات التي ترد للديوان ، ويحتفظ بسجلات للنقائيد والمناشير وألقاب الولاة وكبار رجال الدولة وطريقة مخاطبتهم ، كما يحتفظ بسجلات للحوادث الكبرى في البلاد وكذلك المكاتبات التي ترد الى الديوان بلغة غير عربية •

وملخص القلقشبندى الأعمسال المنوطة بمساحب هسذا الديوان المطير ، فيشير الى فض المراسلات الواردة وترتيبها ، ثم كتابة الردود

⁽۱) احيد لهين : ضحى الاسلام ، ج ۱ ، ص ١٥٦ - ١٦٦ . (٢) انظر خاصة : الفصل الفاهر برسوم الملكاتبات عن الخلفاء في حدودها وعنواناتها والادعية نميلا ورسوم المكتب عن الخلفاء ، ص ١٠٤ -. 1.1

والتوقيمات التي يستقر عليها الرأى ومراعاة الألقاب والمراتب في المكاتبات الخاصة ومراجمة كل ما يصدر عن هذا الديوان الهام (١) •

مما تقدم يتبن كيف كان ديوان الانشياء بالنسبة الخلقاء العباسيين هو وزارة الخارجية فى النظم الحديثة ، وقد اتسع نطاقه فى الممر العباسى لمواجهة حاجات الدولة من الرسائل والمكاتبات والتطور بالسياسة الخارجية التى اتسع اغقها بصد نمو الملاقات مع دول العالم المعروفة آنذاك ، وكذلك كثرة المكاتبات فى الداخل مثل عقدود التولية والخلع والأوامر والبروتوكول (المراسيم) والرسائل أو بمعنى آخر كان ديوان الرسائل هو أرشيف الدولة الاسلامية ،

أما ديوان البريد عان المباسين تناولوا تقاليد الأمويين وتوسعوا غيما الى أبعد الحدود حتى بلغ حدد الكمال في عهدهم ، والذي أوصل ديوان البريد الى تلك المكانة وأعطاه تلك الأهمية هو الخليفة المنصور ، ويوان البريد الى تلك المكانة وأعطاه تلك الأهمية هو الخليفة المنصور ، وأدها في المهد ، وكان عمال البريد يبلغون السلطة المركزية بما يجرى في المقالم غيقومون بالمواجهة المعازمة السريمة ، وكان البريد في المقيقة من قبل و المنافقة في تحقيق المتوازن والمركزية التي أشرنا اليها من قبل ، ولذلك كان صاحب البريد من أهم الموظفين عند المنصور (") ، نقام يكن يولى عليه الا المقربين من مواليه أو ممن يثق بهم ثقة لا هدم الها ، ولا صحة لما يذكر من أن المنصور هدو الذي جمل صاحب البريد في الوالية نقله ، والحقيقة الموريد في الولاية تعلو مكانة الوالي نفسه ، والحقيقة المريد في الولاية تعلو مكانة الوالي نفسه ، والحقيقة المن ذلك من ميزات العصر الأموى ، ويبدو أن مهمة رجال البريد المن ديزات العصر الأموى ، ويبدو أن مهمة رجال البريد

⁽۱) يجب أن يترس ديوان الرسائل دراسة ناحصة عيبقة لاظهمان الحجوانب الدبلوماسية والبلاغية المرتبطة به اشد الارتباط ويكمى ان تراجع ما بجمعه احمد زكى صفوت في كتاب « جمهرة رسائل العرب » الجسزء المثالث ، غند جمع نحوا من ٢٤٧ رسالة . (١٢) طبري : ج ٢ م ص ٢٩٧ م

أم تكن مجرد التجسس وابلاغ الأخبار انما كانوا يراقبون السلم ويوافون الخليفة بأسمارها •

ومضى ديوان البريد قدما في طريق التطور كلما احتلجت الفلافة خصوصا في عهد تحقيق الصفة الفدرالية الى مزيد من الرقابة على الولاة الذين أعطتهم سلطات واسمة • وقد أمر المهدى سنة ١٩٦٩ ما باقامة محطات بريد بين مكة والمدينة واليمن خصوصا بعدد ثورة المطويين في الحجاز • وتطور الرشيد بهذا الديوان وعهد به الى جمعن البرمكي (١) وتمكن بفضله من السيطرة على شئون الدولة ، كما ظهرت الحمية هدذا الديوان في النزاع بين الأمين والمهامون ، فلما وضحت المقطم البريد عن محمد وأسقط اسمه من الطراز (٢) • وفي عهد المتصم مقطم البريد دورا هاما في محاولات عجيفة بن عنيسة القفساء على حركة الزط الذين عائوا في طريق البصرة وقطعوا الطرق ، اذ رتب على حركة الزط الذين عائوا في طريق البصرة وقطعوا الطرق ، اذ رتب على حركة الزط الذين عائوا في طريق البصرة وقطعوا الطرق ، اذ رتب على حركة الزط الذين عائوا في طريق البصرة وقطعوا الطرق ، اذ رتب على صد عند عجيف فيصل الى المتصم في يومه (٢) وقد دخل بهم معداد منتصرا في ذي الحجة سنة ٢١٩ ه • وقام البريد بنفس هدذا المورد الهام في فتنة بابك الخرمي (١) •

اذن كان ديوان البريد من أهم أسلحة العباسيين في تعقيد الأهداف السياسية التي نصبوا أنفسهم لتحقيقها ، عن طريقه عرفوا أسرار الخارجين على سلطانهم وناغدوا الثورات وقضبوا على كثير من الحركات واحتفظوا بسلطانهم ونفوذهم ، وكانت المكاتبات الرسمية على نحو ما ذكرنا يحملها بريد الأقاليم الى ديوان البريد الرئيسي في بنداد حيث تسلم الى الدواوين المختصة ، وكان الديوان يستخدم

⁽١) الجهشياري: ص ٢٠٤٠.

۱۳۰ س ۱۳۰ می ۱۳۰ ۰

٠ ٣٠٦ الطبري : ج ١٠ ٤ ص ٣٠٦ ٠

[·] ٤٤) الطبرى : ج ١٠ ، ص ٣٣١ ·

البغال والخيول والجمال والعمام الزاجل (") وكان بدواوين البريد سواء فى الحاضرة أو الأقاليم عدد كبير من الموظفين يعاونون صاحب. البريد ، وكان عمال البريد فى الولايات يخضعون لصاحب البريد فى مضداد ،

ويبدو أن أصحاب البريد مؤلاء كانوا يضطلعون بمهام جسيعة هكانوا يعينون الموظفين ويدهمون رواتب الممال ويطمئنون على وصول البريد وسفره في المواعيد المتسررة ، وكانوا يكتبون تقارير والهيسة للظفاء عما يجرى في البلاد ، وكان عليهم أن يصفظوا الطرق من عبث اللمسوص •

وهناك طبقة أدنى من رجال البريد كانوا يحملون الرسائل فى حقائب خاصة على ظهور الفيل من مكان لآخر ويسمون « المرتبون » أمّا الموقمون فيشرهون على مصطات البريد • ويحددون موحد وصول الكاتبات ويسجلونها فى دخاتر خاصة • ويضطلع خريق آخر من الموظفين بالتغتيش على محطات البريد وكتابة تقارير عنها •

ويسدو أن تأثير الثورة العباسية كان طاغيا بحيث أنه مس من نظام القضاء كفائلخليفة الامام أعطى نفسه الحق فى أن يقضى على استقلال القفساة الذي كان طابع العصر الأموى ، وقسد كان هؤلاء الخلفاء يتدخلون فى الأمكام ويوقفون بعضها اذا صدر على غير هواهم لأنهم كانوا يخشون أن تتعارض أحكام القضاء مع مبادئهم، يتبين هذا من سير القضاة فى بعداد أو فى الأقاليم (٢) م

والكندى فى كتابه الولاة والقضاة يعطينا صدورا عن القضاء فى. مصر فى المصر العباسى الأول ، نجملها غيما يلى :

⁽۱) أبن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

⁽٢) حسن أبراهيم : النظم الاسلامية ، ص ٢٨١ .

أنه في مستهل العصر المباسى جرى الحسال على ما كان عليه في المصر الأموى من ترك ولاة مصر يختارون من يتولى القضاء في المبلاد ، وكان الخليفة يصدق على هذا الاختيار ، وقسد ظل الولاة المباسيون يمارسون هسذا اللحق الى أن تدخل الخلفاء في اختيار قضاة مصر ، فقصد ولى أبو جمغر المنصبور سنة ١٥٥ هـ (١) عبد الله بن لهيمسة كانوا بالمراق هدخلوا على أبى جمغر المناسبة بقوله : « أن وقد مصر كانوا بالمراق هدخلوا على أبى جمغر المناسبة بقوله : « أن وقد مصر الله بالمراق هدخلوا على أبى جمغر المناسبة بقوله : ها وهد معتمل الله المراسبة بقوله : ها من عبد الرحمن بن حديج : انتخبنا لأهل مصر قاضيا ، قال عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج : ماذا أردت بنا يا أمير المؤمني ؟ أردت تشهرنا في الأمصار بأن بلدنه ليس هيه من يصلح لقضائنا حتى تولى علينا من غيرنا » (١) ،

وييدو أن العباسين في عهد المدى بدأوا يختارون القفساء رجالا من أهل الكُوغة المتمرسين بفقه أبى حنيفة ، فقد اختار اسماعيل ابن اليسع الكندى « وهو أول من ولى مصر بقول أبى حنيفة ولم يكن أهمل مصر يعرفوفه » •

غير أن الولاة المباسيين عادوا الى ممارسة حقهم فى الختياب التفساء ، غالطلب بن عبد الله والى مصر سنة ١٩٨٨ ه ولى القفساء الفضل بن غانم الخزاعى ، ثم عاد الظلفاء الى تولية المتضاة بانفسهم مرة أخرى ، فقسد ولى هارون بن عبد الله القضاء من قبل المسأهون وقدم مصر يوم الأحد الأربع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ٢٤٧ ه وظل الأمر على هسذا النحو حتى سنة ٢٤٧ ه ه

وكان القضاة الذين يختارهم الخلفاء يكتسبون الاستقلاب في الرأى ولا يستطيم الولاة أن يتدخلوا في شأنهم ، مقد رخض القالمي

⁽١) الكندى: الولاة والقضاء ، ص ٣١٨ .

⁽٢) الكندى: الولاه والقضاه ، ص ٢٧١٠٠

محمد بن مسروق الذي ولى من قبل هارون سنة ١٧٧ ه همسوري مجلس الوالى ه

ويبدو أن رواتب القضاة في العصر العباسي قسد تضاعفت بعض الشيء ، فقد كان رزق القاضي عبد الله بن لهيمة الذي ولى القضاء سنة ١٥٥ ه في عهد المنصور ثلاثين دينارا في الشهر ، وبلغ مجموع رواتبه في السنة ٣٠٥ دينارا (١) ، ويبدو أن هـذا تقليد استمر بعد المتعسور ، فها هو الخليفة يجرى على القاضي المفضل ابن فضاله القتباني نفس هجذه الرواتب ، الى أن كانت ولاية عبد الله بن طاهر فزادت رواتب القضاة زيادة كبيرة حقا (١) فقد أجرى على القاضي عبسى بن المنكزر سنة ٢١٦ ه سبعة دنانير كل يوم ، ويبدو أن هـذا التقليد استمر من بهـده ، فالكندي يقول « فجرت في القضاء الى

ويبدو أن القضاة ابتداء من العصر الساسى بدأوا يعنون باتخاذ زى خاص بهم ، يرتدونه فى مجالسهم العامة أو عند ذهابهم القاء أمير أو خليفة ، مكان المفضل ابن فضالة القتبانى يتفذ عمامة سوداء على قلنسية طويلة ، أو يلبسون كساء أسود من صوف .

وبندو سلطان القضاة فى العصر العباسى وتنوع المتصاماتهم وتعدد قضاياهم نما أعوان القاضى عددا ووضعوا تضصصا ، خقد بدأ القضاة يضارون كتابا يعاونونهم فى انجاز أعمالهم ، غينظمون جلسسات القضاء ويدونون الأحكام ويكتبونها ، وقسد ينوبون عن القضاة اذا مرضوا ، ثم وضع القضاة اختصاص غريب لم يكن لهم من قبل ، خفى سسنة ١٩٥ ه أصبح من واجب القساشى المتعقق من الأساب واثباتها ، فقد كان بعض العرب يتحرشون بأهل المصرس من المسلمين البسدد ويؤذونهم ويطمئون فى أنسسابهم ، فأرادوا أن

⁽١) الكندى الولاة والقضاة ، ص ٣٦٨ .

⁽٢) الكندى : الولاة والنصاة ، ص ٢٥٥ .

يسجل لهم سجل باثنيات أنسابهم • وقد رغض القاضي المعبرى أن يفعل ذلك أول الأمر: ، الى أن ورد اليه كتاب الأمين بتسجيل أنساب هؤلاء الناس • وقد شساعت فى ذلك الوقت ظاهرة تزييف سجلات الأنساب والتزوير فيها (١) •

وثمة عامل ثالث كان له أثره البالغ فى الجهاز الادارى فى المصر العباسى الأول ، وهسو موضوع شمار المساواة الذى رقمه الدعاة العباسيون ابان الثورة ، ثم تحول الى زحف وظهور للعناصر الايرانية فى سماء المصر العباسى الأول ،

وكان زحف همذه العناصر ملحا متداغما بذأ بأبى مسلم وانتهى بظهمور الأمراء المستقلين الذين أصبح بيدهم توجيه أمور الدولة بكأن الزحف أكثر من المتوقع ، كان الزحف كبيرا ، ولا يعنينا من هذا الا ما يمس نظم الدولة .

تسربت المناصر الايرانية الى جميع الوظائف المسخرى فى الماصمة والأقاليم ، ولم يقتنموا بهذا بل بدأوا يتولون بعض المناصب المطيرة ذات الأثر فى توجيه الدولة مثل منصب الكاتب أو الوزير ، بل احتكروا هدذا المنصب زمنا طويلا واشتهرت منهم طائفة أمثال الفضل بن سهل وأحمد بن يوسف والحسن بن وهب وغيرهم ،

وتطرقت هذه العناصر الى أرغع المناصب فى الدولة مثل منصب الولاية وقيادة الجيش ، بل ظهرت أسر بيروقراطية توارثت المناصب الرغيمة وأطلقت أيديها فى أمور الدولة ، مثل البرامكة الذين تولوا السفاح متى نكبهم الرشيد ، أو مثل بنى سهل الذين أسلمهم المامون قياده حتى نكب الفضل بن سهل ، أو مثل الطاهرمين فى خراسان ، بل دخلت هذه البروقراطية الجديدة فى طائفة أهل الملك والمقد ، وحلت محل الارستقراطية العربية زمن الأمويين ،

١١) الكندى : القضاة ، ص ٣٩٨ ،

ولم تكن هـده هى الأبعاد الوحيدة لهذا التسرب الايرانى ، فقد تسربت الى النظام الحربى للدولة العباسية وأصبحت بمضى الوقت الدر الضاربة للخلفاء العباسيين ، فلقد كانت الثورة العباسية فى مرو مجرد بداية فقط لم يكن من المعقول أن تقف عند حدود ،

وقمد دخلت طبقات العمال والفلاحين ميدان الجندية على قسدم المساواة وخرش العطاء لهم ، وأصبحوا عمود القوة الضاربة العباسية ، ولم تكن تستطيع أن تأتى أمرا الا بهم • فقــد كان الخراسانية أهم العناصر المقاتلة في الجيش العباسي ، كانوا هم في الحقيقة حرس المظيفة وقوته الضاربة وبيدهم وحدهم زمام الجيش و قسد غقدت المناصر الخراسانية بعض أهميتها في آخر عصر الرشيد ، وفي عهد الأمين الذي استمان مفرق الأبناء ، ولكنهم استردوا نفس المكانة اثسر انتصار الما أمون ، ولم يستبعد العسرب من الجيش أول الأمر انما كانت لهم المكانة التالية ، فقد كانت بالجيش العباسي فرقتان : الفرقة المصرية والفرقة اليمانية ، ثم تضامل شأن هـذه الفرق بالتدريج حتى كان عهد المعتصم وابعادهم من الجيش نهائيا واسقاطهم من العطاء • ووجد أن خراسان لم تعد المنبع الوحيد الذى يمكن أن يمــد الدولة بحاجتها المستمرة الى الدم المحارب الجديد ، مأكثر من الترك الذين استخدموا على نطاق ضيق زمن المائمون ولكنه جعل العمرس من الأتراك وجاء بالمقاتلة من خرغانة وما وراء النهر (١) وأنشأ لهم العاصمة الجديدة سامرا ، ونقل اليها دواوين الحكومة واشتد ساعدهم في عهد الواثق هتى سيطروا على الخلافة غيما بعد .

وسرعان ما تسربت هـذه المناصر الجديدة الى مناصب القيادة العسكرية في جيش الدولة ودخل هؤلاء القواد من أهل الحل والعقد ، وسرعان ما تحكموا في اختيار الخلفاء بعد المعتصم ، لم تكتف هـذه المتوة الحربيـة النامية بمجرد المساركة في النفوذ والسلطان كما شاء

⁽١) السعودي : ج ٧ ٪ ص ١١٨ .

خلفاء العصر العباسى الأول ، انما انقلبت الى الاستبداد والسيطرة ، سيطرة أثراك المتصم ثم مجىء البويهيين والسلاجقة ، بل تولت هذه المناصر مناصب القيادة البحسرية فى الأساطيل العباسية فى المصطلهندى وجنوب شرق آسيا ه

وما دامت هـذه العناصر قـد أصبحت قـوة الخلافة الضاربة وسلاحها في تحقيق السيادة وتأكيدها ، فقد فرضت لهم العطاء بأكثر حمن سواهم وجهزوا بالفضل سلاح وأكمل لباس ، وكان عطاء الجندي من المشماة زمن أبى العباس السفاح نصو تسعمائة وستين درهما في السنة غضلا عن الطعام والمخصصات ، وكان الفارس يتناول ضعف ذلك ، ثم تضاعف مقدار العطاء حتى بلغ أقصاه زمن المأمون ، ونظمت هرق الجيش تنظيما على أسس جديدة ، فكان الجند النظاميون يتألفون من المسماة وسلاحهم الرمح والسيف والترس ، ومن الفرسان الذين كانوا يلبسون المضوذ والدروع ويحملون الحراب وغؤوس القتال ، وكان المشاة أو الفرسان يتألفون من وحدات صغرى على كل عشرةعريف وعلى كل خمسين خليفة وعلى كل مائة قائد (١) • وكان الفيلق يضم عشرة آلاف جندى ، ويتألف من عشر كتائب كل كتيبة جنودها ألف وكانت الجماعة مَائة رجل . واذا اجتمعت بضع جماعات معا سميت كردوسا ، وكانت كل غصيلة من الرماة تضم جماعة من النفاطين يرتدون شيابا لا تخترقها النار ، يهاجمون العدو ويقذفون بالمواد الملتهبة (١) • وكان الجيش يراغقه المهندسون الموكلون بآلات الحصار كالعرادات والدبابات والأكباش وكانت المستشفيات المتنقلة ومحامل الجسرلمي النقالة على ظهور الجمال تصحب الجيش الى الميدان • وينسب ذلك التجديد الى الخليفة هارون الذى استخدم العلم الجديد والتكنولوجيا المجديدة في تسليح الجيش . ويبدو أن ظروف العصر العباسي الأولُّ

⁽۱) الأسمودى : مروج: الذهب ، ج ٦ ٤ ص ٢٥٢ .

^{، ((}٢) الأغاثي : ج ١٧ ، ص ٥٠٠ .

والأخطار الشديدة التي بابهها والتحديات القوية التي صحد لها عقد الباتهم الى انشاء أكبر قوة ضاربة في العالم في العصور الوسطى، فقد ازدادت أعداد الجند زيادة فسنة حتى بلغ الجيش مئات الآلوةة وكان في المراق وحسده أكثر من ١٢٥ ألفا من الجنود (١) • وكانت مناطق النفوذ البيزنطي برابط فيها أكثر من مائة ألف جندى • ويرى أومان (Oman) (١) أن العرب بثوا الرعب في قلوب أعدائهم بكثرة أعدادهم وسرعة حركتهم ، ونقسل غليب حتى (١) في كتسابه (تأريح العرب) أن رسالة في الأصاليب العربية منسوبة الى الامبراطور ليسو السادس (١٨٠٨ – ١٩١٦ م) أن العرب أمهر الشعوب وأبرعها في المعليسات الحزبيسة (١) وتصدت الامبراطور قسطنطين برغرغنتي والمعلى منهم ألف غقط موقعا لها استطاعت قوة أن تنتزعه منهم •

⁽١) حُسن ابراهيم: النظم الاسلامية ، ص ١٨١ .

Art of War 2 ed. Vol. 1. p. 209. (7)

^{• (*)} a (*) a (*)

^{*}Enetica Consititutio XV. 111. 123. (1)

الفصل الثالث

العباسيون والملاقات الدولية

يجب أن تحتل السياسة الخارجية للمصر العباسى الأول مكانها ' من الدراسات الجادة ، وأن تظفر بتقييم جديد بكشف عن مقيقسة الموقف الدولى وجهود الخلفاء فيه ، فقد بذل هؤلاء الخلفاء جهودا تظفر بالتقدير والاعجاب ، وتضعهم فى صف واحد مع أوفر المجاهدين المسلمين عملا وأكثرهم اخلاصا ، وأن تنفض عنهم أباطيل الدعايات الملوية ومفترياتها ،

هقد تحقق لهم السلم الاسلامي Pox Islamicus وكانت نتائجه الثقافية أبقى أثرا من السياسة ، فلميكن الأمر مجرد كسب دبلوماسي ، فقد ساءد ذلك على التسرب الثقافي للمضارة العربية التي بدأت في ذلك الوقت تفتح آلهاقا جديدة في تركستان وما وراه النهر والهند والشرق الأقصى وصقلية وجنوب ايطاليا ، كما ساغد ذلك على أن يقتبس العرب من الثقافات الاغريقية والهندية والصينية ما طاب لهم •

وفى ظل هـذا السلم كان الانتشار التجارى العظيم الذى جعل موانى البصرة والأبلة وسيراف فى مقـدمة الموانى العالمية ، ودفـع بالمتاجر العربية الى أسوار الصين والى البحار الدفيئة والى حوض المفولجا والرون وشـمال غرب أوروبا ، وسـاعد ذلك على تكدس الثورات واحداث التحول الرأسمالي الذى أشرت اليه من قبل •

وقسد ورث المباسيون تركة مثقلة بالشساكل ، ورثوا مساكل أن اسانين وعقدهم ، ومشاكل الأمويين ومعضلاتهم مع البيزنطيين ، أي حوض البحر الأبيض المتوسط ،

(م ١١ _ العصر العباسي)

ونعتبر عهد المتصم فيصلا فى تاريخ هذه العلاقات المارجية ، فالملفاء قبله كانوا يجتهدون ويجاهدون على النسق القديم ، وسنراهم فى آسيا المسرى يماملون البيزنطيين نفس المساملة القديمسة ، وفى تركستان يحاربون الصين ويوقعون بالأثراك الشرقيين ، وفى الهند يصارعون امارة قنوج ويسمتولون على ساحل الهند الغربي ، أعنى أن المتحرح لم تتجمد فى عهدهم انما تابعوها بنفس عنفوان عمر وعبد الملك الأمر الذي يدغم الى تقديرهم كل التقدير ه

أما في عصر المتصم والواثق فقسد عملت الدولة على تنبيت المكاسب والاستعانة في تجميد الموقف باتمام اقامة النفور والتحصينات، المتنيأ الدولة الاسلامية ظل الدعة والسلام و ويدخل المسالم في ظل سلام مبسوط الرواق ، فتكاملت حلقسات المفور على الحراف آسيا الصحرى وعلى أطراف كشمير وعلى أطراف ما وراء النهر ، وشحنت هذه الشعور بالمرابطين المقاتلة وأقت دورها كاملا في تحصين الحدود والدفاع عن الدولة ودفع جميع الأخطار ،

ولكى نستعرض هده الجهود، الدولية استعراضا ناجعا ينبعى أن نقسم تفريخاة العالم الاسلامى في العصر العاسى الأولال الى ثلاثة قطاعات ، كان المساسيين غيها جولات ، قطاع الشام وآسيا الصغرى والبحر الأبيض المتوسط كله ، ثم قطاع تركستان والصين وأواسط آسيا ، وأخيرا قطاع الهند وجنوب شرق آسيا ،

قطاع الشام وآسيا الصغرى والبحر الابيض المتوسط:

فى هذا القطاع ورث العباسيون المسكلة المستعصية ، مشكلة المنفذ البيزنطي ، فقسد استاصل العرب الساسانية ، ولكن البيزنطيين تحصنوا فى مواقع حصينة فى جبال طوروس وآسيا الصغرى وبحسر، مرمة ، يطلون منها فى ساعات الضعف أو الانشخال ، ويتقهتم ون اليها فى ساعة القدوة والوحدة ، كانوا من وراء الحسركة الصليبية وظلوا يؤدون دورهم هذا حتى قضى المثمانيون عليهم ،

وقد ذاق العاسبون الأول مرارة هدذه الشكلة ، ذلك أن الامبراطور تسطنطين الخامس انتهز غرصة انشغال الماسيين بالثورة وأحداثها والتمكن الأنفسهم ، ومواجهة مشاكل الركزية والاقليمية ، وأغار في سنة واحدة على منطقة الحدود وأتى على جهود السلمين في التحصين ودمر خط حصون القرات (١) ثم الخط المتد من الفرات الى البحر ، وهسدد النظام الثغرى كله تهديدا خطيرا (١) ، معاصر ملطية واستسلم أهلها له ، وعندما تولى المنصور الخلافة اهتم بتعصين المدود اذ أمر صالح بن على باعادة بناء ملطية وتحصينها . ويبدو أنه أول من جعل لمنطقمة الجزيرة كيانا اداريا مستقلا ، عقد ولى عبد الوهاب بن ابراهيم الامام على الحزيرة والثغور وسخر فى ذلك الممل الجليل جنود الدولة الجدد ، فقد خرج الضين بن المُعلسة في سبعين الفا وجمع العمال من كافسة البلاد ، ويذكر البلاذري أن المسن كان يحمل الأهجار بنفسه احتسابا ، وقد استطاع الجنسد المُراسانية أن يعيدوا بناء ملطية في نحو سنتة أشهر • ويبدُّو من رواية البلاذري أن المنصور هو الذي ومسم أساس النظام الشعرى الذي ومسل الى هد الكمال زمن المتصم ، فكان يقسم الرابطين الى جماعات تتألف من عشرة من القاتلين أو خمسة عشر ، وبيني لهم السوت والاصطبلات ، ويبنى لهم حصنا على بعد ثلاثين ميلا من دار اقامتهم . وحشد في ملطية عشرة الاف مقاتل وزاد عطاء المقاتل عشرة دنانير وهصص له معونة قدرها مائة دينار ودبر السلاح وأقطع. الجند الزارع ، غوضم هـدا لمالمم قسطنطين (١) ٠

ويبدو أن جهود المنصور في التنظيم والترتيب امتدت الى كلّ ناحية ، ففضلا عن تحصينه مناطق الشعور على النحو الذي رأيناه ، فانه

⁽۱) اليمتوبي : جـ ۳ ، من ۹۹ .

۱۹۰ ما البلاذرى : متوح البلدان ، ص ۱۹۰ .

۱۹۲ – ۱۹۱ میلاندری ص ۱۹۱ – ۱۹۱۱ (۳)
 Finlay: Hist: of the Byzantine Enpile p. 128.

يتبين من نصوص البلاذري (١) أنه حدد أسلوب القتال وتقاليده ٠ هــذا الأسلوب وهــذه التقاليد التي حافظ عليها الخلفاء الذين تعاقبوا بعده ، ففي عهده نظمت الصوائف والشواتي ، فقد كانت هناك أوقات معينة يغير غبهما المرابطون في الثغور تحدث في غصل الربيع والصيف وتسمى بالصوائفة ، ويبدو أن ممن اشتهر بالبطولة في ميدان الصوائف في عهد المنصور رجلً يدعى مالك بن عبد الله المضمى (١) الذي بلغ من شدة بلائه في الحسرب وظفره هيها وغنائمه الكثيرة منها أن سمي مالك الصوائف و وقد استولى في احدى الغزوات على غنائم طائلة القام يوزعها بموضّع يدعى الرهوة غسميت رهوة مالك . يشير قدامة ابن جمعر (١) الى أن غَـرو الربيع كان بيدا في منتصف مايو بعد أن تكون الخبل قسد سمنت وقويت من رعبها ، ويستمر الغزو ثلاثين يوما أعنى حتى منتصف شهر يونيو ، وتجدد الخيول أثناء هدد الفارات العُذَاء الوقير والرعى الخصيب في أرض البيزنطيين التي تعلق شها ، ثم يركّن المسلمون الى الراهـة حتى منتصقة بوليو ، عتبداً غارات الصيفة وتستغرق قرابة الشهرين ، أما الشواتي فكانت في الفترة بين مستهلًا لهبراير. والنصف الأولا من مارس • كما يكشف عن الجهــود التي بخلها النصور في تعصين منطقة الثغور ? فيذكر أن منطقة الثغور، أَذِ ذَاكَ كَانَتَ أَمَا تُعُورًا جِزَرِيةً تُصصت للدفاع عن شمالًا العراق وأهم خصونها ملطية وزبطرة ومرعش ، والمدت والميصة (١) . أو الثغور. الشامية وتقع في جنوب غرب الثغور الجزرية ، وقد خصصت للدماع عن بلاد الشام ، ومن أشهر حصونها طرسوس وأذنة وعين زربة والمارونية • وكانت الثغور الشامية تتولى الغزو في البر والبحر على حسد سواء ، غيقوم أمير البحر بجمع أساطيل الشام ومصر لتشترك في غزو مشترك .

⁽۱) البلاذرى: ص ۱۹۵.

⁽٢) نفس المسدر والمقمة .

⁽١٣) الفسراج: ص ٢٥٩ .

^{. (}٤) قدامة : ص ٢٥٣ .

وتابع المهدى نفس الاتجاهات التي وضحت في عهد المنصور من بناء الحصون وحشد الجند وبل كان احساسه بالشكلة البيزنطية لم يقل عن الصلاس معاوية أو عبد الملك بن مروان ، فتصدى للامبراطور البيزنطي ليو الرابع والحملات التي قام بها على منطقة الثغور ٠ غقسد وجه الحسن بن قحطبة وساح في بلاد الروم وثقلت وطاته على أهلها حتى صوروه في كنائسهم (') « ولم يكتف بما أهرزه الحسن بن قحطية من نصر بل قرر أن يقود المركة بنفسه وأن يصطحب معه ابنه هارون • وبعد أن أدرك أرض البستان تسرر الرجوع تاركا أمر القيادة الى هارون ألذى مضى مضرقا أسيا الصفرى على نصو ما كان الأمويون يفعلون • وقد خرج هارون يوم السبت لاهدى عشرة ليلة بقيت من جمادي الآخرة سنة ١٦٥ ه وخرج في ركابه ذلك الجيش الجديد الذي كان المنصور والمدى قد غرغا من اعداده وتدريبه . ويذكر الطبري أن الجيش الذي قاده هارون بلغ خمسة وتسمين ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين ، وحمل له من العين مائة ألف دينار وأربعة وتسعين ألمها وأربعمائة وخمسين دينارا ، ومن الورق واهدا وعشرين! إلف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفا وثمانمائة درهم (١) . الأمر الذي يدل على أن الدولة العباسية كانت تلقى بثقلهسا كله في هسذه الحرب الضروس ، وتوغل هارون في آسيا الصغرى ودمر حصن ماجدة . وواصل سيره حتى أشرف على خليج البحر الذي على القسطنطينية » • وكانت حملة هارون خاتمة الحملات العربية على البسفور • شهد عهد معاوية ثلاث حملات وشهد عهد سليمان الحملة الرابعة • وُّقـــد ألهم هارون في هـنـذه المغزوة من البسالة ما أهله لحمل لقب الرشيد • وكان من أثر ذلك النصر أن الامبراطورة ايرين اضطرت الى طلب الصلح ، وعقدت هدغة بين الطرغين لدة ثلاث سنوات ، وتعهدت الامبراطورة بموجبها أن تدفع جزية سنوية قدرها تسعون قطعة « أو سبعون ألفسا

⁽۱) البسلاذري : س ۱۹۴ -

⁽Y) الملبري : ج ٩ ، من ٣٤٧ -- ٣٤٧ ·

تؤديها فى نيسان الأول من كل سنه وفى حزيران » وأن تمسد الجيش المعاسى بالأدلاء وتيسر لهم أنون فى الطريق • ويعدد الطبرى عنائم هارون من الأسرى على هسذا النحو « أذعنت الروم بالجزيه خمسة آلاف رأس وستمائة ونلائه وأربعين رأسا ، ومندل من الروم فى الوقائع أربعه وخمسون الفا ، وقتل من الأسارى صبرا ألفان وتسمون اسيرا ، ومما ألفاء الله عنيه من الدواب الذلل بادواتها عشرون الف دابة ، وذبح من البقر والغنم مائه ألف رأس » (أ) •

اذن فى الموقت الذى كانت غيه الخلافة العباسية تكبت الثورات وتقفى على الخارجين على سلطانها وتحقق النمط المركزى من الخلافة ، كانت تواجه المسكلة البيزنطية بنفس النظرة والاحساس و ولمل هذا النصر هو الذى مكن المهدى من أن يفرض الطاعة فى آسيا الوسطى ، فيشير اليعقوبى (٢) الى أن ملوك كابل وطبرستان والصعد وطفارستان داخوا له بالطاعة والولاء ،

ثم حدثت تطورات جسديدة في الشكلة البيزنطية بل في علاقات الخلافة بالبحر الأبيض المتوسط عامة في عهد الخليفة هارون الرشيد و ومعالم هسدة المتطورات المجديدة في حاجة الى مزيد من التوضيح منها شخصية الخليفة نفسه ، غلم يكن بالخليفة المسابث اللاهي كما يصوره المقصص انما كان من الخلفا، الذين أوتوا سعة الأفق وحسن القيادة بل المحماس والحمية و يتبين هدذا من مراسلاته مع نقفور امبراطور الدولة البيزنطيه ، ومن قيادته للجنود بنفسه في حملة هرقلة المشهورة ، كما عاد يقود الجيوش مرة أخرى بعسد قضائه على ثورة المع بن الليث و كان هارون غعلا من الشخصيات اللامعة بين جيل طفاء العصر العباسي الأول و

وثمـة تطور آخر وهـو سيره في نفس الطريق الذي سار غيه

⁽۱) الطبرى: ج ٩ ، ص ٧٤٧ .

⁽۲) اليعتوبى : ج ٣) ص ١٣١ .

المنصور والهدى من قبل وهو استكمال تحصينات منطقة الشمور ، مقد قام منطقة جديدة أطلق عليها اسم منطقة المواصم (') و وكان هذا الاقليم في الحقيقة جزءا من أرض قنسرين والجزيرة ، غفصله وجمل عاصمته منبح ورتب لها جيشا دائما يرابط على طول المدود ، كذلك عمر مدينة طرسوس وامر ببناء مدينة عين زربة (') ووضع لهها المجند المخراسانية وأقطعهم الأرض ، كما بنى مدينة المارونية في عهد هارون تكامل قدرة ونظاما وتدريها وكفاية ، بدليل القوات في عهد هارون تكامل قدرة ونظاما وتدريها وكفاية ، بدليل القوات المائلة التي جندها في منطقة المواصم والفرق التي سخرها في حمائته المتكررة والتي تدل على حسن التسليح وكفياية المتدريب و ويروى من المرتزكوا في حملة هرقلة بلغوا ۱۳۰ الما من المرتزقة سوى الاتباع والملوعة ومن لا عطاء له و وقاد داود ابن عيسي في بعض المصلات سبعين آلفا ، وقاد شراحيل بن معن ابن ويدوى الن ويدي المناسى في عهد هارون أكفا المجيوش التي عرفها المالم اذ ذاك ، المباسى في عهد هارون أكفا الجيوش التي عرفها المالم اذ ذاك ،

وهناك أمر آخر ربما استد وضوحه في عُهد الرشيد بالذات وهو وضحوح الجانب البصرى في ذلك المراع الدموى الذي نشب بين البيزنطيين والعرب ، والذي يدل على أن سقوط الدولة الأموية لم يقلل من شأن النشاط البصرى كما كان يظن ، فقد أشار الطبرى في هوادت سنة ١٩٠٠ هـ (أ) إلى أن الخليفة ولى حميد بن معيوف سواحل بحسر، الشام وأنه غزا رودس وقبرس ، وأسر في احسدى هسذه العزوات أستة عشر آلفا من الأسرى ، وتتابع النشاط البحرى حتى بعد الرشيد ، ليستطيع العسرب أن يقضوا على النفوذ البيزنطى في البحر الأبيض

[·] ٩٩ س ١٠ ج ١٠ مس ٩٩ ٠

⁽٤) الطبرى: ج ١٠ ، ص ٩٩ ٠

المتوسط شرقه وغربه ، فقد أحتل الأندلسيون الذين طردهم عبد الله ابن طاهر من الاسكندرية جزيرة كريت (١) وحملهم زعيمهم أبو حفص فى أربعين سفينة غنزلوا الجيزيرة وتمكنوا من السيطرة عليها • ولم تجد حملات ميخائيل الثاني في طردهم منها ، بل أخــد عرب كريت يرسلون الحملات لنهب الجزر المجاورة والاغارة على بلاد اليونان(٢) . وتطلع الأغالبة الى صقلية ، وان كان هــذا التطلع أقدم من الأغالبة أنفسهم • فقد استولى المامون على جزيرة بانتاليريا سنة ٧٠٠م ، وقام ولاة الهريقية بعارات خاطفة على الجهزيرة بين سنتي ٧٥٢ ، ٧٥٣ م وظل الأمر على ذلك حتى عام ٨٢٧ م حينما ثار القائد البيزمطي يوهيميوس (٢) الذي خشي غضب الامبراطسور البيزنطي غلجاً بسفنه الى تونس ، وطلب المساعدة من الأمير زيادة الله الأغلبي الذي أنفذ أسطولا يتألف من نصو مائه سفينة • وفي سنة ٨٣١ م اهتل المسلمون بالرمو التي أصبحات قاعدة الحكم الأغلبي • وظلت الحروب متصلة مع البيزنطيين حتى عام ١٥٩م ، وفي هذه الأثناء كان المسلمون قبهد احتلوا مسينة سنة ٨٤٣ م ، وقصريانه وسرقوسة وهدد السلمون نابولي وروما • وأجبروا أحسد البابوات على أن يدقع لهم الجسزية بين سنتى ٨٨٢ ، ٩١٥ ونشرك المستعمرات الحربيسة التي أنشاها السلمون في جنوب ايطاليا الرعب والفرع في كامبانيا ولاتوم (٤) •

ومن المظاهر الأغسرى التي جعلت لمصر هارون وسياسسته الخارجية طابعه خاصا جنوحه الى تحقيق النمط المدرالي في المكم باعطائه الولاة مزيدا من السلطة مع مزيد من الرقابة ، وأدى هذا الى

⁽۱) ارشيبلد لويس : القسوى البحرية والتجارية في حوض البحسر الأبيض ، ص ۲۱۱ ،

Finlay. : Hist. of the Byzantiné Eittpirex. p. 128. (۲) (۲) أرشيبلد لويس : القسوى البحسرية والتجارية في حوض البحر الأبيض الموسط ، ص ، ۱۷ ،

⁽٤) غازباينه : آلغرب والروم ، ص ١٨٤، ه

أن أعطى عامل النعور سلطات أكبر وقدرة على العمل والمركة مكنته من مواجهة هده المواقف المتدية و وبلغ من اهتمام الرشيد أن ولى ابنه المعتمم على هده المنطقة الحربية الهامة و والأمر الذي مكن الرشيد من أن يواجه المسكلة البيزنطية بتركيز أشد وأقوى موقف من التطورات التي حدثت ببلاد الأندلس والمغرب عقب قيام الدولة العباسية ، والتي استنفدت جهود المنصور والمهدى من قبل و فقد سواء ، اعترف بالأغالبة أمراء مستقلين في نطاق التبعية للخلافة المهاسية ، فتحولت المريقية الى تفسر عاسى يمكن لهم من النفوذ في المريقية ويحمى مصر من أي عدوان خارجي و وظل الأغالبة رسل المهاسيين ويحمى مصر من أي عدوان خارجي و وظل الأغالبة رسل المهاسيين أن انتقالا كبارا قسد أزيحت عن كاهل المهاسيين واعظتهم قدرة أكبر على المركة مكنتهم من التفرغ للمسكلة البيزنطية من ناحية ومن توطيد على الحركة مكنتهم من التفرغ للمسكلة البيزنطية من ناحية ومن توطيد سلطانهم بالمسرق من ناحية أخرى و

على أن الأمر الجسدير بالتنويه في موقف هارون الرسيد أنه استخدم الدبلوماسية سسلاها يخوض به تلك المعركة التي اشتملت في البر والبحر على حسد سواء ، بتقربه من شراسان ومملكة الفرنجة ، فقد أخذت الملاقات تزداد سوءاً بين الفرنجة والامبراطورية البيزنطية وكانت البابوية من ناهيتها أحرص ما تكون على أن تحول "بين الفرنجة وبين البيزنطية وعلى الرغم من أن السفارات تبودلت بين قسطنطين الخسامس وبين القيصر عام ٧٥٠ ، ٧٦٥ م غان البابا هرض ماك الشارنجة على اهتجاز السفراء البيزنطين الذين وخدوا اليه ،

وكان العمل الدبلوماسى الذى تحقق فى عهد هارون هو التقارب مينه وبين الامبراطور شرلمان • والعريب أن ظروف كل من العاهلين وأهدالهها كانت تعلى هسذا التقارب وتحتمه • وشرلمان كان قد ونق علاقته بالبادوية وتوج امبرالهورا في عام ٨٠٠ ميلادية (١) ، وكان يشعر بأن الامبراطوريه البيزنطيه أن تنصر الى ذلك الاتجاه نظرة الرضا والارتياح بل نظرة العداء الشديد (١) • وكان شرلسان من ناحيسه أخسرى على معرفة بالعداء التقليدي بين العباسيين في الشرق وبين الأمويين في الأندلس ، وكان يتمنى أن تطول حالة الفوضى التي ألمت ببلاد الانداس آخر عصر الولاة ، وساءه أن تقوم امارة قوية في البلاد تحقق الوحدة الوطنية وتنشىء الجيش القوى ، وتقهر الفتنة الداخلية وتخلص البلاد من متاعبها ، وتحول دون اتصال الكنيسة الكاثوليكية في روما بجماهير الكاثوليك في البلاد، وتمنع التقارب بين الامارات القوطية والبابوية الناهضة ، وخصوصا بعد أن أخفقت حملته على سرقسمة وتأكد أن الأندلس في عهد الأمويين لا يمكن أن تؤتى بسهولة ، نضيف الى هــذا أن أطمــاع شرلمان لم تكن تعرف حدا ، فقد أراد أن يبسط رواقه على المسيحيين فى الشرق ، ولا بأس من أن ينتقض من نفوذ البيزنطيين وأن يصبح حامي حمى الديار المقدسة ، وكذلك كانت له أطماعه الاقتصادية • غقد أنشأ أسطولا في البحر الأبيض المتوسط ومد- نفوذه في جزر البليسار وسردينية وجنوب ايطاليا وحاول السيطرة على البندقيسة وايستريا ودلماشيا ، فكان تقاربه من العباسيين يحمل في طياته مشروعات اقتصادية (٢) • وهارون هو الآخر كان يريد بهذا اللقاء أن يحقق أهداغا : كان يريد أن يقض مضاجع الأمويين في الأنداس بعد أن أخفقت جهود المنصور في القضاء عليهم ، وكان يعتقد أن شرلسان العاهل الأوروبي القوى قد يشغلهم بتهديده المستمر عن التطلع الى مزيد من النفوذ في المريقية أو الشرق • وكان في ذلك الوقت يضيق

⁽۱) مسعيد عاشور : أوروبا المعسور الوسطى ، ج ۱ ، مس ١٩٨٠ . (٢) رغض نتفور الاعتراف بلتب شراسان الامبراطور وبدات الحرب الساهرة بين الامبراطوريتين . «

انظر أرشيبلد لويس : القسوى البحرية والتجارية ، ص ١٧٣ . (٣) أرشيبلد لويس : ص ١٨٢ ،

الخناق على البيزنطيين فى البر والبحر على النحو الدى أشرنا اليه . رحان يريد أن يمنع التتناف بين البيزنطيين والفرنجة بأية وسيله .

وتبودلت السفارات بين الرشيد وشرلسان (() غفى عام ١٨٠ ه بعث شرلمان وفسدا مؤلفا من خلاثة رجال اثنان من الافرنج وتسخص شائث يهودى يدعى اسحق (آ) ، وفي سنه ١٠٦٠م م وهدت سفاره الرشيد على شرلمان ومعها وفسد يمثل الإغالبه في تونس ، وفي عام ١٨٦ ه بعث شرلمان سفارة اخرى الى بالاط الرشيد ،

وكان شرلمان يعمل جاهدا في ظلم هذا انتقارب على توثيق ملاته ببطريق القدس و غفى سنة ٧٩٩ م وصل رسول بطريق القدس الى بلاط شرلمان ، كما أوغد الامبراطور رسولا الى بيت المقدس ()، ويبدو مما ذكره كل من رنسيمان وبكار أن بطريق القدس كان حلقة الاتصال في تحقيق هذا التقارب التاريخي و

بهدده الأسلحة جميعها واجه الرشيد المشكلة البيزنطية أعظم مواجهة عرفها تاريخ النفسال بين البيزنطيين والعسرب و ويشير الطبرى (أ) الى غضبة الرشيد من نقض نقطور شروط الهدنة السابقة وهجومه على هرقلة (6) وهزمت قوات البيزنطيين ، ثم عاود الرشيد المجوم بعد قضائه على ثورة رافع بن الليث فاتخذ بيانا مركزا لعملياته المربية وبنى فيها منزلا ، ووجه داود بن عيسى متوغلا في آسيا المضرى على رأس سبمن الفا من المقاتلة ، كما بعث حملة أخرى يتودها شراحيل بن معن بن زائدة ، وحملة ثالثة قادها يزيد بن مخلد ،

⁽۱) اولى السفارات بين العباسيين والفرنجة اوفدها ببين الى بغداد سنة ٢٥٥م وتمسددت هسده السفارات بشكل ملحوظ اواخر ايام شرامان. ارشيبلد لويس م ١٧٨ .

Buckler; Harunul — Rashid, p. 21, (7) Sunciman; Charicmagne and Palestine p. 609, (7)

⁽١) الطبرى: جاء من ٦٩ ،

⁽٥) ارشيبلد لويس : القسوى البحسرية والنجارية ، ص ١٧٢ .

واستمرت هدذه الحملات تلاحقة نحوا من ثلاثين يوما وأخفقت جهود نقفور فى وقف هدذا التيار الجارف ، غلم يجد مناصا من التسليم « وبعث نقفور الى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولى عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين. ألف دينار منها عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ابنه أستبراق دينارين (') كما تعهد بالا يعيد ترميم الحصون التى دمرها الرشيد عام ١٩٣ ه (٨٥٨ م) .

ولكن ييدو أن جهود الرشيد كانت قد تركت جرحا عميةا ف جسم الدولة البيزنطية لم تستطع أن تفيق منه في سهولة ويسر • يدل على هدذا أنها لم تحاول أن تستغل التصدع في داخل الدولة العباسية ابان الفتنة بين الأمين والمسآمون • وكانت الفتنة غرصـة مواتية لأى • م مضاد يستميد ما فقد في عهد الرشيد •

كما أن التفاهم الذى توطد بين المعاسيين والفرنجية لم يختف بوغاة هارون انما ظلت أواصره معقودة حتى أوائل عصر المامون و يذكر Buckler (*) أن آخر السفارات التي وصلت الى البلاط المعاسي كانت سنة ٢١٦ ه (١٣٨ م) (*) الأمر الذي يبدل على أن التفاهم استمر بعد الرشيد مبدة طويلة ، ولمله كان من بين الأسباب التي حالت بين البيزنطين وبين مواصلة العدوان و

ثم استطاع المامون أن يعيد للدولة وحدتها و وبالخراسانية المستعدة هزم جيوش الأمين وآلت اليه مقاليد الأمور و واستعرت مكاسب عصر الرشيد و فعالية الدولة في مواجهة المطرر لم تفتر أو تتغير و ويبدو أن كلا الطرفين كان يريد أن يستقيد من الفتن الداخلية التي تقع داخل المسكر الآخر و فقسد حاول المامون مثلا

⁽١) الطبرى: ج ١٠ ، ص ٩٩ .

⁽۲) میں ۲۷ ،

⁽٣) أرشيبلد لويس : من ١٩٨ .

أن يفيد من الفتنة التي نزعمها توماس الصقلي (١) بين سنتي ٨٢١ ، ٨٢٣ م الذي دعا الى خلع الامبراطور • ووقف المــأمون الى جانب هسددا الشائر وحالف على أن يمسده بقوات تعينه على فتح القسطنطينية (٢) ، كما أوعز المامون الى بطريق القسطنطينية أن يتوج همذا الثائر ليضفى عنى حركته طابعا شرعيا ، لكن توماس هزم وقتل على أبواب القسطنطينية م وأراد ميخائيل الثاني أن برد هــذا الكيد فانتهز فرصة ثورة بابك الخرمي فأعانه على المامون (١) •

وكان المامون في بعض الأهيان يقود الصوائف متوغلا في أرض المدو ، فقد خرج سنة ٢١٥ ه سالكا طريق الموصل ومنبج ودابق والنطاكية والمصيصة مطرسوس (١) في الوقت الذي تقدم غيه العباس ابن المامون من ملطية واستولت القوات العاسية على هصن قسرة وماجسدة وسندس وسنان • وقسد عاود المامون الغزو مرة أخرى سنة ٢١٦ هـ (٥) . ثم استؤنف القتال مرة أخرى عام ٢١٧ ه وأرسل تيوفيلٌ يُطلب الصلح ولكن يبدو أن الملمون كان يريد أن يمغى في القتال الى غايته وأن ينطلق الى عمورية () لكنه توفي قرب طرسوس عام ۲۱۷ ه (١) ٠

على أن القوة الضاربة للدولة العباسية وصلت الى أقصى شدتها في عهد غارس بني العباس المتصم بن الرشيد الذي أراد أن يحتق ما حققسه السلاجقة غيما بعد ، وأن يخترق الهضبة اختراقا بطوليا ، وأن يوقع بالدولة البيزنطية ويضربها ضربة قاصمة . قال المتمم

⁽١) لويس : التسوى البحرية والتجسسارية ، ص ١٦٨ . البساز المريني : الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٠

[«]۲۶) البار المريني : من ۲۳۱ ·

۳۰۷ — ۳۰۷) من
 ۳۰۷ — ۲۰۹ — ۲۰۹ (۳)

⁽١) الطبرى: يج ١٠ ، ص ٢٨٠ ·

⁽ه) الطبري: ج ١٠ ، ص ٢٨١ ٠

⁽١) اليعتوبي : ج ٣ ، ص ١٩٦ ٠

٧٧) الطبري : ج ١٠ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

«أى بلاد الروم أمنع وأحصن فقيل عمورية لم يعرض لها أحد من السلمين منذ كان الاسلام ، وهى عين النصرانية وبنكها وهى أشرف عندهم من القسطنطينية »() اذ يروى المؤرخون أنه تجهز بما لميتجهز به خليفة من قبل من السلاح والمعدد والآلة وحياض الأدم والبغسال به خليفة من قبل من السلاح والمعدد والآلة وحياض الأدم والبغسال ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميمنته ايتاخ وعلى ميسرته جمفر ابن دينار وعلى القلب عجيف بن عنبسة » (٢) و وبهذا الجيش الكثيف دفل عمورية ، وبذلك استشمرت الدولة البيزنطية الفطر الفادح الذي يعددها ، فاستنجد تيوفيل بصاحب البندقية ودولة الفرنجة وبالأمويين في الأندلس ، ولم تستطع الحملة أن تمقق المصرض الذي خرجت لتحقيقه بسبب بعض الاضطرابات الداخلية في الجيش و وكانت هذه المؤاة خاتمة الجهود البطولية التي وضحت في عهد الرشيد ولم تكن جهسود المامون والمعتصم الا ننتيجة للجهود الكبيرة التي بذلت في عهد الرشيد .

ويستفاد مما رواه الطبرى أن سنة ٢٣١ ه (٢) شهدت تخولا خطيرا في الشكلة البيزنطية اذ شهدت توقفة ذلك الصراع الدموى الذي استمر أكثر من تسعين سنة ، وتحقق السلام على الحدود الفاصلة بين الدولتين ، وأنه في تلك السنة اتفق الطرفان على تبادل الأسرى على ضفاف نهر اللامس قرب طرسوس ، وحضر الفداء خاقان الخادم وجمفر بن أحمد الحذاء وأحمد بن سعيد بن سلام بن قتيبة الباهلي أمير الثغور ، وحضرت مفاوضات الفداء غرقة عباسية تتألف من نحو سمعين الفا من حملة الرماح (٤) ، ووقف المسلمون على الجانب الشرقى للنع والبيزنطيون على الجانب الآخر ، وتم الاتفاق على فهداء كل

الطبرى: ج ١٠ ، ص ٢٣٥ .

⁽٣) الطبرى: ج ١٠ ، ص ٣٣٥ ــ ٣٤٣ ، تفاصيل غزاة المعتمــم في غاية الطنرافة والأهبيــة .

⁽٣) الطبرى: ج ١١ ، ص ١٩ -- ٢١ .

⁽٤) اليعتوبي: تج ٣ ، ص ٢١٧ .

نفس بنفس دون تفرقة بين كبير أو مسفير فتى أو شيئة (أ) وأقام البيزنطيون جسرا على النهر وكذلك غمل المسلمون (٢) وأمر الواثق خاتان الخادم أن يمتحن الأسرى من المسلمين غمن قال ان القرآن مفلوق وبأن الله لا يرى فى الآخسرة غودى به وأعطى ديناران وثوبان (٢) ومن رغض ترك للروم (٤) ه

ثم بدأ اطلاق الأسرى فكان المسلمون اذا أطلقوا أسيرا أطلق الروم أسيرا مثل فيلتقيان وسط الجسر ، غاذا وصل الأسير المسلم الى عشيرته كنروا واذا وصل الأسير الرومى الى أصحابه صاحوا صيحة الفرح ، وكان عدد من المتدى من المسلمين ١٤٦٠ نفسا ، النساء وأزواجهن وأولادهن ثفائماتة وأها ذمة المسلمين مائة ، وكانت الدولة تعطى الطليب في فرسا وألف درهم (*) ومن المساهير الذين تم الحسائق سراحهم مسلم بن أبى مسلم الجرمى ، فقد كان من مشاهير أهل المثنور ، وعلى معرفة بأهل الروم وأرضهم ، وله مصنفات أهبار الروم وملوكهم وذوى الراتب غيهم (*) ،

ولمل هـذا التطور يدعونا إلى أن نشال لماذا تحقق هذا السلم ولماذا فترت هـذه الصرب • الظاهر تسملة في جسم الدولة البيزنطية ومظاهر تمو من جانب الدولة العباسية ؟ • وهل هـذا المداء يستحق هـذه الضحايا وهمدذه النفقات التي بذلت ؟ • واعتقد أن العباسيين كانوا راغبين في السلام بعد أن تل اهتمامهم بالبحر الأبيض المتوسط وبلاد الشام ، وبدأوا يوجهون مزيدا من الانصراف الى أواسط آسيا • هـذا وقـد تكاملت المصون بناء وشحنت عتادا ورجالا مرابطين ،

⁽۱) الطبرى: ج ۱۱ ، ص ۱۹ ،

⁽٢) نفس المسدر والصفحة .

⁽٣) اليمتوبى : ج ٣ ؛ ص ٢٠٧٠ . (٤) الطبرى : ج ١٠ ٤ ص ٢٠٩ .

⁽۱) الطبري ، ج ۱۰ م هي ۱۰۱ . (۵) المسمودي : التنبيه والاشراف ، ص ۱۹۲ .

⁽٢) الطبري عجر ١٠ ، ص ١٠ أ

واكتسبت منطقة الشعور استقلالا في الادارة وقسدرة على الحركة ، وفي مكتنها أن تقوم بمهمة الدفاع عن الصدود بعد أن فقرت الرغبة في الهجوم • يضاف الى هدذا أن ثمة أهورا داخلية بدأت تميز عصر الواثق وتستحق مزيدا من الاهتمام ، فقد ثار القيسية بدمشق (١) وانتشرت ثورات العرب بعد اسقاطهم من العطاء ، وبدأ الأثراك تزداد متاجهم ومشاكلهم • وكانت الدولة البيزنطية من ناجيتها أشد رغبة في التفاهم بعد صدمة عمورية وفقدانها أغلب قواعدها في البحر الأبيض المتوسط وخاصة كريت وصقلية • ومن حسن الحظ أن هدذا اللهائم أعطى مزيدا من فرص التبادل الفكرى والثقافي وأنه حسدت في وقت آذنت فيه أوضاع الخلافة بالاغتلال وانتهت فترة المصر العباسي الثاني •

* * * أ قطاع التركستان ووسط اسيا :

وللمباسيين دورهم المرسوم فى تاريخ العلاقات العربية التركية وفى انتشار الاسلام بين أوطان الترك ، ودورهم هــذا لا يقل أثرا عن الدور الذى المسللم به الأهويون .

مقد كان واضحا أن خطر الأتراك الشرقيين المتدامع نحو هدود القليم ما وراء النبر يدهمه خطر أقوى ، هو الخطر الصينى ، مقد كانت الأطماع الصينية لا تقف عند حد ، بسط الصينيون نفوذهم السياسى على الأتراك الغربين أيضا وان كنا نمتقد أن المطامم الصينية ليست لمجرد مرض السيطرة السياسية ، انما القصد منها الاستيلاء على طرق القوامل التي تعبرها متاجر الشرق الأقصى الى ما وراء النهر والشرق الأوسط وأوربا .

وكان لابد لكى تقهر مقاومة الأتراك الشرقيين أن تعزل الصين عن المعركة وأن يقضى على أطماعها قضاء تاما وهسذا هو ما أستطاعه المباسيون نملا ه

⁽١) اليعتوبي : ج ٣ ، ص ٢٠ .

فقيام الدولة العباسية صحبه ظهور الأطماع الصينية ساغرة (١) ، فقد البوا الأتراث الشرقيين وبدأوا يغيرون على أطراف اقليم ما وراء النهر ، فقد استولوا على سوباب وخربوها ، ثم هاجموا اقليم الشاش وقتلوا عامله ، وبدأ النفوذ الصينى يزحف نحو الغرب زحفا مطردا ، على أن العباسيين نهضوا بالأهانة كاملة واستطاع عاملهم زياد بن صالح المفزاعي أن يهزم جيش الصين الذي كان يقوده (كاو ــ هين ــ شيه) في يوليو عام ٧٥١ م (١) .

وكان هسذا النصر من أعظم الانتصارات العربية فى تاريخ آسيا الوسطى من هيث الهسزائم التى لمقت بجيش الصين ، ومن هيث النتائج العسامة التى ترتبت عليه فى تاريخ آسسيا الوسطى ، وتذكن الروايات العربية أنه قسد سقط فى المركة نحو من خمسين الف قتيل من جيش الصين ، ووقع أكثر من عشرين الفا فى الأسر ، ويعلق بارتولد على همذا النصر وعلى أهميته القصوى هيذكر أن تركستان فى ذلك الوقت كان عليها أن تقرر الى أى المدينتين تنحاز ، الى المدينة الصينية أو الاسلامية (1) .

ويبدو أن هدذا النصر الحاسم لم يضع هددا لأطماع أهدا الصين غقد عاودوا الظهدور وقاموا بمحاولة أخرى لتأليب الحكام الوطنيين على العرب ، وان كانوا لم يجرءوا على الاشتباك المسلح ، ومراجع الصين تشير الى نصر أحرزه أهل الصين على العرب في أقصى الجنوب الشرقى عند حدود الهند ، ولكن هده الأخبار لا تؤيدها المحادر العربيبة .

⁽۱) ابن الاثير نجه ٥ من ٢١٤ -

⁽٢) المتسدى: احسن التقاسيم ، ص ٧٤ سـ ٧٥ الطبرى: هـ ٩ م ، ١٥٠ الطبرى: هـ ٩ م ، ١٤٠ الطبرى: هـ ١٩٠ الطب

⁽م ۱۲ سـ العصر العياسي)

كان من أثر ذلك أن أبعدت الصين عن المعركة الدائرة بين العرب وبين الإثراك الشرقيين ، وبات على هؤلاء أن يلقوا العرب اعتمادا على جهودهم وحدها ، وقد وضحت بعد هدا النصر تطورات هامة حقا ، فقد ضعف عدوان الأتراك الشرقيين ولم يعسد المباسيون يجابهون قوات كبيرة كما فعل الأمويون من قبل ،

فقد تفرقت وحدة الأتراك الشرقيين وقامت لهم امارات صغرى متناثرة حول حدود الليم ما وراء النهر ، غظهرت امارة القراوق سنة ٧٩٦ م شرقى نهر سيحون . كما ظهرت امارة الأغوز في هدف المنطقة أيضا ، ولم تعد جموع الأتراك الشرقيين تشكل خطرا غادها على القليم ما وراء النهر ، بل أصبح لا هم لهم الا الغارات الخاطفة أو صد يد المونة لولاة الأتراك الثائرين من ناحية أخرى ،

وقد عمد العباسيون الى بناء الأسوار عند وشت وقرب بخارى وفى بلاد الشباش لاصطاء الاقليم الحماية والطمأنينة التى لابد منهسا لتستمر المشروعات الاسلامية فى طريقها الى النجاح (") .

هكذا استطاع العباسيون أن يحلوا هــذه المشكلة المستعصية في تاريخ العلاقات العربيــة التركية بوقفهم عدوان الأتراك الشرقيين وقفائهم على الخطر الأصيني (٢) •

وقد كان المباسيون يتابعون حمل هذا العبء الكبير وهو مهاجمة الأثراك الشرقيين كلمسا لاح لهم عدوان ، والقضاء على فتن الأمراء المحليين اذا حدثتهم أنفسهم بالثورة ، ففي عهد المنصور حارب العرب أمير فرغانة واضطروه الى طلب المسلح ودفع الجسزية (⁷) وتابع المهدى سياسة المنصور بارساله حملة أحمد بن أسد أخضمت أخشيد

٠١٠) طبري: چه ٤ ص ١٥٠ .

Jean. — paul — Boux Lislamen Asia p. 35. (1)

⁽٣) البـــلاذرى: ص ١٩٢٠

الصفد وصحاهب أسروشنه وملك لهرغانة وحكام القرلوق وخاقان الأوغوز • وتمضى المصادر العربية فى وصف هــذا التغلغل العباسى للشير الى خضوع ملك التبت وامبراطور العمين •

والأمر الجديد هنا أن العباسيين بدأوا بيسطون نفوذهم خارج مسدود اقليم ما وراء النهر ويخضعون الامارات الشرقية المجاورة ، بل أوغل نفوذهم صوب الشرق بصورة لم تشهدها المنطقة من قبل ، كما وضح أن الأتراك الشرقيين قسد تفرقت كلمتهم وفقدوا عنفوانهم القديم وبدأوا يستسلمون للحكم العربي أو يذعنون له بالطاعة (١) ،

انظر الى حملات هارون الرشيد بقيادة واليه الغطريف بن عطاء والى توغلها فى مناطق لم يكن العرب يجرأون على اقتحامها من قبل عفظة بسط نفوذ العباسيين على امارة القراوق مرة أخرى وطرد ملكها ، كما استطاع الفضل بن يحيى البرمكى أن يخضع ملك أسروشنة الذي لم يضضع لنفوذ من قبل •

وقد وضحت ثمار همذا النصر العباسي في عهد النظيفة المـــأمون راوغل النفوذ العباسي في قلب آسيا الوسطى (١) •

وقسد أرسات الجيوش الى بلاد الصدد وأسروشنة وفرغانة ، وتوافد سفراء الامارات الشرقية الى بلاط المامون لتقديم غروض الطاعة ، وعلت كلمة المسرب في هسده المنطقة وأصبح ملوك القرلوق والتبت خاضعين للنفسوذ العباسي يظهرون الطاعة ويبعثون بالهسدايا وتفرض عليهم الجزية ، ولم يعد نفوذ العرب قاصرا على اقليم ما وراء النهر هصد، بل امتد الى أسوار الصين ،

⁽۱) البلاذري : س ۳۹۳ ، ۱۸ · ۱۸ ·

⁽٢) البسلاذرى : متسوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

المباسيون وانتشار الاسلام في وطن الاتراك :

وكما هـدنا للعباسيين دورهم الواضح في المجال السياسي والعسكرى ، يمكننا أن نحدد الدور الذي قاموا به في انتشار الاسلام والثقافة العربية في وطن الأتراك .

ويمكننا أن نقول ان العباسيين وجدوا حركة اسلامية ضخمة انتشرت فى خراسان وفى اقليم ما وراء النهر ، وكانت بلاد ما وراء النهر ، وكانت بلاد ما وراء النهر طوال المصر الأموى تابعــة اداريا لولاة حراسان ، واستطاع العباسيون أن يستغلوا هــذه الحركة لمالحهم ، وأن يكسبوا رضاها توطئة للقضاء على الحكم الأموى ونقل النفوذ اليهم ، اذ لا يمكن أن يعتمـد العباسيون على حركة سطحيه ضحلة لا تمكنهم من النجاح المنشــود ، ولم يكن اغتيارهم لمنطقة خراسان وما وراء النهر لنشر دعتهم عبشـا ،

وقد انجهت الدعوة الهاشمية الى اقليم خراسان وما وراء المفهر فى أواخر العصر الأموى ، واضطلع بها قبل أبى مسلم يحيى بن زيد الملوى ، وابراهيم بن محمد العباسى: (١) .

وكان منطق الدعاة الساسيين في ذلك الوقت يجذب اليه هؤلاء المسلمين الجدد ، فقد كانوا يدعون لاحياء سنة رسول الله التي زعموا أن الأمويين قسد نقضوها ، ثم الدعوة الى أن ينال المسلمون حقوقهم المسياسية والدينية بصرف النظر عن لونهم أو جنسيتهم ، ولا يمكن أن يغفل هؤلاء المسلمون دعوة هسذه أهدافها ومراميها ،

كان الدعاة العباسيون فى السينوات القيلائل السيابقة على المتصارهم يسعون الى كسب ود طيقات معينة من النابس ، الى كسب ود اليمانيية دون المضرية ، ثم الى كسب ود أهيل الريف وطبقة الدهاقين ، بمعنى أن حركتهم قيد اتذذت طابعا شعبيا صرفا .

⁽۱) الطبرى : تاريخ بخارى ، من ۷۸ .

وكانت هده الدعوة تلقى الاستجابة الشاملة إذ يذكر أن ست قرى دخل أهلوها في دعوة أبى مسلم في يوم واحد . ونجاح الثورة المباسية في خراسان وفي اقليم ما ورا، النهر يدل على عمق هده المركة الاسلامية التي استغلوها لصالحهم .

وقد أكدت الأحداث التالية لنجاح انقلابهم هذه الحقيقة الكبرى ، ذلك أن الانشدقاق العلوى لقى قبولا واستجابة شداملة في منطقة بخارى ، حيث انبعثت ثورة شريك بن صالح تنادى بأحقية العلويين ، وقدد تجمع حوله نحو من ثلاثير الفا من بخارى وحدها ، بل امتدت هدده المحركة حتى وصلت الى منطقة خوارزم الى أن تمكن المباسيون من القضاء على هذه الثورة واستمادة نفوذهم «

واذا كان العباسيون قسد وجدوا هسده المركة الاسلامية بهذا المعق واستغلوها لصالحهم ، غانه يرجع اليهم الغضل في أنهم مكنوا لها من أن تحرز نجاحا أكبر مما أحرزته ، ليكتسب اقليم ما وراء النهر في مستهل القرن الثالث الهجرى طابعا اسلاميا واضحا • ونحن نريد أن نعرض لهسده الحهود التي بذلها العباسيون في الوصول جالحركة الاسلامية الى هسدة القدر من النجاح •

والمسياسي والمسكري من حماية القليم ما وراء النهر من الأخطار التداخلية السياسي والمسكري من حماية القليم ما وراء النهر من الأخطار التداخلية والخارجية التي مددته ، وحماية الاقليم من خطر المدين والأثراك الشرقيين ، ثم القضاء على ثورات الأمراء المقليين ، وليس من شك في أن هدذا الأمن وهدده الطمأنينة التي انتشرت في البلاد في خليا بني العباس قد أعلت من شمان المديم المعربي في نظر الناس ، وساءد على التمكين المركة الاسلامية من أن تمتى في طريقها ، ونجاح الادارة العربية في حل الشكلات التي

استعصى حلها يعلى من شأن الحضارة الاسلامية في نظر الناس (١) -

ومن قبيل جهود العباسيين فى الاستقرار النظم الادارية الناجحة التي طبقت فى خراتمان وما وراء النهر ، عن طريق الاقتباس من المنظم الناجحة التي كانت شمار الساسانيين والتي رأى العباسيون فيهاعنوانا للحكمة واتخذوها نموذجا ، وكان وزراؤهم من الفرس يعتبرون أنفسهم خلفاء برزجمهر وغميره من وزراء آل ساسان ، والمتنظيم الادارى الناجح يزيد فيهية الحكم العربي ويكسب البلاد الاستقراره

وقد مضى العباسيون فى سبيل دعم هدذا الاستقرار خطوات أبعد ، فقد رأوا فى تغير الولاة المستعر الذى سار عليه الأمويون أمرا أطمع الأعداء وأشاع القلق فى البلاد وشجع العناصر المتمردة على الثورة والفروج ، لذلك نراهم يختصون القليم خراسان وما وراء النهر، بنظام يرى المؤرخون له شبيها فى العصر الساسانى وهو تولية أبناء النفاء حكم الأقاليم الهامة من الدولة ،

وقد بدى، فى تطبيق هذا النظام فى عهد هارون الرشيد حينما ولى المأمون على القسم الشرقى من الدولة ، وكان لهذا كله أهمية قصدى فى فراسان التى كان الصراع الداخلى والخارجى لهيها على أشده .

وقسد عمدت الدولة العباسية الى جعسل منصب الولاة وراثيا فى الأرستقراطية من أهل البلاد ، وهم أكثر معرغسة بالتقاليد المحلية وأكثر حرصا على كصب ثقة الناس ه

وقـــد أضاف العباسيون المى سياستهم هـــذه أمرا آخر كان بالغ الأثر في التقريب بين الاتراك والعرب ودغع من بقى منهم على دينـــه الى اعتناق الاسلام ، ونقصــد استفدام الأتراك فى القوات المسلحة وفى الوظائف الادارية الصغيرة والكبيرة .

وقد وجد العباسيون تقاليد عربية قديمة مطبقة منذ أيام الأمويين وهي استخدام غير المسلمين في الجيش ، غزاد العباسيون من من هدذا الاستخدام ، وقد أنشأ الفصل بن يحيى البرمكي غرقة كبيرة في خراسان ، يذكر الطبري أن عدد جنوها بلغوا نحوا من ه ألفا أرسل منهم الي بنداد ٢٠ ألفا ، وأطلق عليها اسم الغرقة المباسية ، وأسترك في قوات على بن عيسى رجال من المستخد والخوارزمية ،

والجديد في هـذا الأمر هو استخدام هـؤلاء الجنود ليس في. غراسان وما وراء النهر غقط بل في بغداد نفسها ، وقـد استن المأمون سنة جديدة حينما دعا كثيرين من زعماء الأتراك الى الدغول في خدمته ودعا زعما هم لبنداد ومنعهم المسلات واشترك غرسسان الترك في الحرس الخليفي (أ) ، واستمر هـذا التقليد في عهد المتصم حين ظهر الحرس التركي ، وفيه من الصعد وغرغانة وأسروشنة والشاش ، وكانوا دعائم المخلافة ، وقد قرب هـذا بين الأتراك الغربين ويه الاسلام غساعد على تثبيت السيادة في السلامية في البـلاد ،

وفى عهد المتصم كان الاسلام قد رسضت قدمه فى بلاد ما وراء النهر وبدأ الأتراك أنفسهم يتبنون حركة الجهاد بين جيرانهم الأتراك الشرقيين ، بقدل البلاذرى : « المعتصم بالله جل شهود عسكره من جند أهدل ما وراء النهر من الصفد والمراغنة والأشروسنة وأهل الشاس وغيرهم ، وحضر ملوكهم بابه وغلب الاسلام على ما هنالك

⁽۱) البلاذري : س ۲۰ ٠

وصار أهل تاك البلاد يغزون ما وراءهم من الترك ٥٠ غفتح موانصم لم يسل البها لحد قبله (١) •

قطساع الهنسسد:

واذا انان الأمويون كسبيوا معركة السند في عهد الولسد وتثبيتها منذ عهد سليمان بن عبد الملك حتى آخر العهد بهم ٠

واضطروا الى القضاء على ثورات الأمراء الهنود بعد عزل محمد أبن القاسم ومصرعه ، فقد استطاع ابن ملك السند أن يدخل العاصمة وأن يستردها واضطر الأمويون الى معاودة القُتَالُ في عهد ولاة السند أمثال يزيد بن أبي كبشة 3 وسليمان بن عبد الملك بن حبيب ، وحبيب ابن الملب (١) •

وظلت هــذه الفتن متلاحقة متصهـاة والأمويون لا يكفــون عن القضاء عليها حتى خلافة عمر بن عبد العزيز (١) ، وأدرك الأمويون أن كمسب معركة التثبيت لن يكون الا بانشاء القواعد العربية التي تمتد فن البسلاد لتكون مراكز لتجميع العنصر العربى وقلاعا حصينة تحمى المكاسب التي أحرزوها ، ومن أجل هــذا أنشئت مدينتا المدهــوظة ellimeca (t) .

وبيدو أن هـذه السياسـة أثمـرت آخـر الموى فقد استقرت الأحوال وقضى على الفتن والتسورات ، وركن أهل السسند والملتان الى الطاعة •

⁽۱) البلاذري : من ۲۰ ه

⁽۲) البسلاذري : س ۲۸ ·

⁽٣) البـــالاثرى : ص ٢٩١ ،

ولم يكن المصر العباسى ، عصر تجميد الفتوح على نحو ما يذهب بعض الدارسين ، فقد اندفع الفباسيون فى تيار الفتح بنفس قوة الأمويين ، ويكفى أن نشير الى ما أحرزوا من نصر فى بلاد ماوراء النهر، وفى هزيمتهم للصين وقضائهم على تدخلهم فى أحوال الإتراك •

ولم يقف العباسيون جامدين فى اقليم أمارة قنوح غقد احتكوا بها ويظهر أنهم أحرزوا بعض النصر فى هذا الميدان ، غالبلاذرى يشير الى القائد العباسى هشام بن عمرو التغلبى وغتسح قشسمير (١) ، واستمرت معركة المسلمين مع قنصوح حتى أيام الخليفة المسأمون ، غقد أشار البلاذرى الى جهود موسى بن يصيعى بن خالد البرمكى .

ولم يكف العباسيون عن متابعة الزحف صوب الشرق حتى أيام المعتصم العباسي الذي تابع سياسة انشاء المدن وبنساء القواعد المصينة ، فيمي قاعدة البيضاء وأسكنها الجند ه

* * *

العباسيون وجنوب شرق آسيا :

ليس من شك في أن العصر الأموى فتح للصف ارة العربية آفاتنا حديدة مطلة على آسيا الوسطى بعد فتوح ما وراء النهر ، كما فتح آغاقنا أخرى مطلة على المحيط الهندى بعد فتح السند واستيلاه العرب على المنافين الهامين على ساحل الهند الغربى: ميناه الديبل والمنصورةه ويدأت البحرية العربية للمرة الأولى تبسط نفوذها وتؤكد سلطانها في هذه المناطق الهامة ، لكن المقيقة المؤكدة أن المصر الأموى لم يستطع أن يستفل هذه الآغاق الجديدة التي أطلت منها المضارة العربيه ووقفت جمهودهم عند الآغاق التي انتهاوا اليها ، لأن المتركيز خاسه وثقل الدولة كلها كان في بلاده الشام ومصر والمضرب والأندلس والبحر الأبيض المترسط بصسفة عادة ، الذي شهسه أهم المارك

البالذري: ص ٤٣١ . الطبري: ج.٩ ، ص ٢٧٩-٢٨٠.

ولكن قيام الدولة العباسية كان نذيرا بتحول جديد ومزيد من الامتمام والنظلم الى الآغاق التي جمد الأمويون عندها • ولا ننكر أن الدولة العباسية ظلت منذ قيامها معنية بالمشكلة البيزنطية والدفاع عن مدود الشام والاحتفاظ بنفيسوذها في المرب ومناوشة الأمويين الذين كانوا قد استقلوا بالأندلس لكن الحقيقة أنهم كانوا يداغمون عن مكاسب آلت اليهم من العصر الأموى ، ولم يكن من المعقول أن يتركوها نهبا الأطماع البيزنطيين ، أو أجاماع الثوار الخوارج ، أو مشروعات الأمويين المتوسعية ،

كل ذلك لم يومرف نظر الدولة العباسية عن موضيوع آسسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا ، وبدأت الدولة تتخفف من أثقالها في الفرب الاسسلامي بالتسدريج لتعطى مزيدا من الاهتمام ومزيدا من التركيز نصو الشرق • وقد حافظت الدولة العباسية على ميراث الاسلام في تركستان ، وصمدت الأطماع الصين ونقضت تحالفهما مع الأتراك الشرقيين ، كما أعطت قوة جديدة للنفوذ الاسلامي في السند ، وبدأ المد الاسملامي يتحرك صوب الشرق نحو تشمير وامارة قنوج ، لكن هسذا التركيز وهسذا الاهتمام اشتد أثره واشتد وضوءه منسذ أواخر عصر الرشيد حين تحقق النمط الفيدرالي ف المتام وأقيمت دولة الأغالبة في الهريقية ، وتم التفاهم مع الفرنجـــة وضربت الدولة البيزنطية ضربات قاصمة ، ولعل من أدلة هدذا الاهتمام قسممة العمالم الاسلامي الى مشرق عاصمته مرو في خراسان وتوليمسة المسأمون ولى العهد ، ونائب الخليفة على هسده البسلاد يقيم لهيهسا ويهتم بأمورها ، ثم تأكد هــذا الاهتمام في عصر الطليفــة المــامون الذي وضحت في عهده الصبغة الأسيوية الصرفة للخلافة العباسية . وكان المسأمون عاهل آسيا العظيم تأتيم الوغود من كالهة آلهاق آسيا تلتمس التأييد أو تشترى السلام ، حتى بلغ هــــذا الاهتمام بآسيا ونشاطها وتياراتها القمسة في عصر الخليفة المعتصم ، الذي ونجد في الأتراك الغربيين القسوة الجديدة التي تساند الضالاغة وتحميها ٠ وقد أدى هدذا كلمه الى وزيد من الاهتمام بجنوب شرق آسميا وبالشرق الأقصى • وأصبح هذا الاهتمام ركنا هاما من أركان السياسة الدولية لخلفاء العصر العباسي الأول ، وأعتقد أن ذلك مرده الى عوامل متعددة منها أن الدول العباسية لم تهمل أبدا اقليم خراسان ، حيث انطلقت الصيحات الأولى للدعوة العباسية ، وكانت خراسان عامل جذب كبير في تاريخ العصر العباسي الأول • هــذا الى التحالف الذي نشا بين العباسيين وبين الجماوع الايرانية المتطلعة الى مزيد من السلطان ، هـنه العناصر التي كانت قد أسلمت واستعربت واتخذت اللغبة العربية لمنة الشُّياتها الثقافية ، وورثت الدولة الكثير من القراث الساساني القديم (١) • ومن بين ما ورثتـــه الاهتمام بالملاحة في الخليج الفارسي وبحار الهند وجنسوب شرق آسيما ، وثمة عامل آخر بعيزي الى تأسيس مدينة بفسداد التي أصمحت مركز الثقيل في الحياة الاسلامية في العصر العباسي الأول ، وكانت ذات موقع متوسط يربطهــا بواسط والبصرة والأبلة والأهواز وغارس وعمــان واليمامة والبحــرين ، وكذلك ما يأتى من المومسك وديار ربيعة وآذربيجان وأرمينيسة (٢) ، وكانت تربط الغرات بدجلة عدة قنوات مبالحة للملاحة ، وكانت العاممة الجسديدة في وسط السهول الخصية التي كانت تزدان بها أرض الجسزيرة . وكانت أوغر حظا بمياه الري وأكثر ازدهارا بالسكان . هـــذا الى ما استطاعت الدولة العباسية أن تحققه من مظاهر الاستقرار بقضائها على العناصر المنساوئة لهسا في أيران والمماد الثورات والفتن وأصلاح

⁽١) حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ، من ١٩٧٠ .

۱۲٤ من التقاسيم ، من ۱۲٤ القسد ي : الحسن التقاسيم ، من ۱۲٤ العسد التقاسيم ؛ من التقاسيم ؛ من التقاسيم ؛ من التقاسيم ؛ التقاسيم ؛ من التقاسيم ؛

الحكومة ، وانشاء الجيش القسوى والتمكين للنظام العباسي من القوء والسلطان •

وهناك تطورات أخرى حدثت في جنسوب شرق آسيا ساعدت العباسيين الأول على أن ينطلقوا في هذا الاتجاه بكل ما يستطيعونه من قسوة و فقد ظهرت جاليات اسلامية في بلاد الصين يعسروها المؤرخون الى الشسيعة الذين فروا في أواخسر العصر الأموى من الاضطهاد في خراسان واقاموا بجزيرة في أحد الأنهار الكبيرة في المصين و واشتغلوا بالوساطة التجارية بين المشرق والمغرب و وتتحدث الكتابات الاباضية عن رحلة تاجر اباضي الى الصين حول منتصف القرن الثامن من أهل عمان كان اسسمه أبا عبيدة و وشهدت بلاد الصسين في ذلك الوقت استقرارا شبيها بالاستقرار الذي تحقق للعباسسيين في عصرهم الأول ، فقد حكمت أسرة تانيج ((۱۹۸۳–۱۹۷۹ م) امبراطورية في نطلت متحدة حتى آخر المهد بها و ونمم جنوب الصين قرنين ونصف ظرن بسسلام لم يكن يعكر صفوه شيء وكان من الطبيعي بعد أن استقامت أحوال المين على هذا النحو أن تفتح كانتون للتجسسان من كل صوب و

تلك هي العسوامل الجاذبة التي شدت انتباء العباسسيين الى الشرق الأقضى غما هو نطاق هسدا الاهتمام ؟ كانت الخطوة الأولى فى هسدا الصدد أن تحافظ الدولة العباسية على سيادتها على بحار الهدد ، وتشدد من تبضتها على الموانى الغربية الهسامة ، وأن تقضى على المقرصان الذين انتفزوا غرصة العصم الألموى الأخير وعاثوا غساد! فى تلك المنقباع ، ويروى البلاذرى (١) أن الخليفة المنصور وجه عمسرو ابن جميسل فى بوارج الى تارند وأتى القندهار فى السفن غفتها ،

⁽أ) مُتسوّح البلذان : صفحة ٢١٠)٠٠.

بارجة (١) الى ميد الهند فقتل منهم خلقا كثسيرا • ثم نزايد الاهتمام العباسي بالشرق الأقصى وانتظمت الملاهة المباشرة مع الصين في النصف الأول من القرن التاسم الهجري • يدل على ذلك هــذا الأدب الجفراف الكبير الذي ظهر في هذه الفترة يتحدث عن هـذه العـلاقات ويصف المسالك ويتحدث عن السفن والتحارات ، هــذا الأدب المفـــوافي الفترة أمثال سلام الترجمان الذي قام برحلة الى سور الصين الشمالي، وابن وهب القرشي الذي ركب البحر الى الصين. ، وانتهى به المطاف الى مدينة كنتون بالصين و وقد أكرمه اميراطور الصين وناقشه في الدين والسياسة ثم عرض عليه صور بعض الأنبياء ، وأمر له بالهدايا النفيسة ، وقد أغاد من تجربة ابن وهب مؤلف اسمه أبو زيد حسن، كما أشار المسعودي الى هـذه الرحلة في كتابه مروج الذهب في الفصل الذي كتبه عن ملوك الصين ، وكذلك رحلة سليمان السيرافي ، ولا نكاد نعرف شيئًا عن حياته ، وكل ما وصل الينا هو وصف رحلته الى الهند والصين • ولهــذا الوصف ذيل وضعه في القرن الرابع الهجري مؤلف سيرافي اسمه أبو زيد حسن واعتمد فيه على ما سهمه من قصص الرحالة والتجار في بحار الصين • وتمتازُ رحلة سليمان والذيل الذي وضعه أبو زيد حسن بما فيها من وصف صادق للطورق التجارية ولممض العادات والنظم الاجتماعية والاقتصادية ولأهم العامسلات في الهند وسرنديب وجاوة والصين ، هــذا التراث الجغرافي العظيم هو الذي بقى هيما كتبسه المسعودي والاصطفري وابن خرداذبة .

وأصبحت البصرة والإبلة وسيعياف منتهى المطاف للسهن. المقادمة من المسين ، بل أصبحت سعياف منافساً للبصرة في العنى والثروة .

⁽١) عتسوم البسلدان : ص ١٩٣٠ .

من هــذا الأدب الجغرافي سالف الذكر يمكن تصور الطريق الذي سلكه القاصدون إلى الصين في النصف الأول من القدرن التاسسع المسلادي • كانت السفن في طريقها الى الهند تقف في صحار ومسقط للتزود بالياه ثم تعبر المحيط الهندى مباشرة الى جنوب ملبار . وهيذا الطريق يطيعة الحال كانت تسلكه السفن التي تفطح الرحلة الطويلة الى الصين ٥٠ وكانت السفن تستطيع كذلك الابحار على طولاً الساحل مارة بجزيرة قيس وهرمز القديمسة ، وتبزمكران والديسل وألمنصورة ، وكانت السفن في هذا الطريق تتعرض لغارات القرصان ، فكانت تحمل على ظهرها جنودا مدربين على الرمي بالنفط (١) ٠ مساحل مليار هذا كانت له أهمية اقتصادية قصوى عند السلمين ، فقد كان مصدر خشب الساج الذي كانت بيوت سيراف تبنى به والذي كان يستخدم في صناعة السفن ، ومن ساحل ملبسار تسير السفن الي جزيرة سرنعيب (سيلان) وبعد أن تؤدى السفن القاصدة الى المسين رسوما تبلغ ألف درهم كانت تسير حول الجـزء الجنوبي من سيلان ، وبعد أن تعبر مضيق ملكا تقصد عباشرة الى الهند الصينية ، وتسمير السفن على ملول ساحل خليج كنج الى هانوى ، ثم تتجه آخر الأمر الى كانتسون التي كانت تسمى أحيانا خانفسو ، وكان الملاحون العرب على معرفة بالساهل المتد شمال كنتون ، فان خرداذبة يشير الى ميناء خانجسو ، وبيسدو أنهم ـ وأعنى المسلاحين العرب ـ قسد أرغلوا شمالا حتى كوريا (٣) ويسميها ابن خرداذبة بلاد السيك (١) .

ولكن كانتون. كانت بحق أعظم المراكز التجارية ، وقد نزلت بهما جاليسة كبيرة العدد من المسلمين ، ويتحدث سليمان السيرافي عن هذه المدينسة الكبيرة ، ويذكر أنها كانت أكبر أسواق الصين آنذاك « وكان هيها رجل مسلم يوليسه صاحب الصسدين المحكم بين السلمين الفين

⁽۱۱) ابن خرباذبة : ص ۹۰ .

Heyd; Hist, du Commerce Vol 1, pp. 30-32, g (Y)

⁽٣) ابن خردانبة : س ٧ .

يقصدون تلك الناحية ، واذا كان العيد صلى بالسلمين وخطب ودعا لمسلطان المسلمين » ، والمصادر الصينية تشمد بوجود هـ ذا النـــوع من الامتيازات ، وأنه امتد الى الجاليات الاسلامية الأخرى فى سسائر مدن الصين فكان لكل منها قاضيها وشيوخها ومساجدها وأسواقها ، وان كانت الحكومة الصينية قد احتفظت لنفسها بحق النظر فى الجرائم التى قسد يترتب عليها النفى من البلاد أو الاعدام ،

وكانت الرحلة من مسقط حتى كانتــون تستغرق ١٣٠ يوما عدا خترات التوقف في المواني •

همذه العلاقات الهامة التي نمت في ظل الحكم العباسي انتهت خهاية عنيفة سنة ٨٧٨م عندما حاصر الثائر هوانيج بشاو مدينسسة كانتون وأعمل غيها السلب والنهب وقتمل عددا كبيرا من النجمسار الأجانب و وكانت الامبراطورية المسينية في حال من الضعف بسبب همذه الثورة وامتدت الاضطرابات السياسية حتى بداية أسرة هونج عام ٩٦٠م ، وكانت الدولة العباسسية بدورها قمد دهمها التفتائ

وبعد ٥٠ غهذه هي الآغاق العظيمة التي فتحها خلفاء المصر العباسي الأول ، وهــذا هو الدور العظيم الذي لعبوه في السياسة الماليسة ، وتلك هي الجهود التي بذلوها في تحقيق السلم الاسلامي ه

الفصشل لرابنع

العياة الاقتصادية والاجتماعية

1 - العيساة الاقتصادية :

لا قريد بالطبع درأسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية دراسة موسعة تتناول أدق التفاصيل وتلم بالكثير من التفريعات الصغرى ، وانما نريد أن تعرض لهذا الموضموع من نفس الزوايا والأبعاد التي نظرنا بيسما الى الموضوعات السابقة التي درسناها في اطار العصر العباسي الأول • والمراد أَنْ نجيب عن التسماؤلات الآتية : كيف انسلت الأوضاع الاقتصمادية والاجتماعية وتأثرت بأحداث العصر العباسي الأول ؟ • ما الآثار الاقتصادية التي تركتها الثورة التي لم تكن مجرد تحطيم لأغلال المصر الأموى ، انما كانت رسما لنهج في الاسمالام . هل تأثرت هذه الحياة بجيل الخلفاء القادمين المصلحين الذين تصدوا للمواقف العسيرة في الداخل والخارج ووصلوا الى حل موفق لها ؟ • هــل كانت للثورات العظيمة التي جمعها خلفاء العصر العباسي الأول آثار معينة فىالرفاء الاقتصادي للناس وفي قيمهم ومستوياتهم الاجتماعية ؟ هل الانطلاق الدولي العظيم الذي وصل الى القمة في عهد الرشيد وما تحقق من سلام آخر المهد به فتح مغاليق الأسسواق العالمية ، وساعد عَلَى تدفق الثروات المائلة الي طبقة التجار ومن أحاط بهم ؟ • هل تجمعت لدينا صورة معينة التحول الاقتصادي في آخر العصر العباسي الأول ؟ وهمل أثر ذلك في حياة المسلمين بعد عهد الواثق ؟ أعنى المصر العباسي الثاني .-

كانت الثورة العباسية دعوة الى الاصلاح ، وقد رأينا كيف انها رفعت شعارات المساواة والاصلاح والقضاء على مظالم العصر الإموى الأخير، وتحقيق آمال الجماهير التي تلقت الى التنميير، وتدللمت المي الدعاة العامسيين والتفت حولهم رغبة في التحرر والصلاص ، وانه لما يشبرف جيل المخلفاء في العصر العباسي الأول أنهم لم يتنكبوا طريق الدعوة في فترة التحضير للثورة ، وبعد فجاح الثورة وقيام الدولة العباسية لم يضعوا وراء ظهورهم الآمال العريضة التي لوحوا بها للجاهير، انما كانوا أشد حرصا على تحقيق شعارات الدعوة قولا وعملا ، ولعل هذه الحقيقة قد وضحت في الدراسات التي مرت بنا ، وسنزداد اقتناعا بها اذا درسنا أثر ذلك في الوضع الاقتصادي ه

ان الخلفاء المباسيين الأول نصبوا أنفسهم في قوة ووضوح واخلاص للقضاء على المظالم الاقتصادية التي تجمعت في المصر الأموى الأخير ، فما هي طبيعة هذه الاصالاحات ؟ وكيف مست قاع المجتمع وأدت الى تحرر الممال والفلاحين وخففت عنهم الكثير من الأثقال الاقتصادية المالمظة التي تصلوها ؟

وضح هذا الاهتمام مبكرا عنداما اندلمت الثورة في خراسان واستطاعت الثورة السيطرة على هذا الاقليم النبي واقصاء النفوذ الأهوى منه ، فقد كان خالد بن برمك في جيش قعطبة بن شبيب يتقلد خراج الناس احساسا منه بالمظالم الفاحة التي تعوضوا لها والأعباء المسام التي تعصيلوها و ولكن الثوار اندفسوا في القتال الدموى الذي اتهى بمخولهم المراق ثم خوضهم معركة الزاب والقضاء على النظام الأموى، ولم يستطح السفاح لفداحة المشاكل التي واجها أن يتفرغ للتوسع في الاصلاحات التي بدأها خالد بن برملة في خراسان ، فقد كانت الدولة مشعولة بالقضاء على اعدائها والاحتفاظ برمقها ه

ثم آلت الخلافة الى أبى جعفر المنصور وتصدى للثورة والفتن التى نشبت فى خراسان فقضى عليها ، وتصدى لثورات العلويين فى الحجاز غاخمدها ، وجابه المسكلة البيزنطية فى حزم وشجاعة ، وعمل جاهدا (م ١٣ ـ العصر العباسي) على تحقيق النمط المركزي للخلافة وتثبيت دعائم الحكم العباسي في مصر والمغرب . كما عني باصلاح أداة الحكم وانشاء الجيش القوى القمادر على تثبيت أركان النظام العباسي وحمايته • وكانت المشكلة الاقتصادية ، وعلى الأخص مشكلة الخراج والأرض وارضاء الملايين من الفلاحين في ايران والعراق ومصر وغيرها من البلاد ، لاتزال تنتظر المنصور ليتصدى لها بالحل كما تصدى لحل المشكلات السابقة • تتبين الرغبة الملحة في اصلاح الوضع الافتصادي في رسالة ابن المقفع الى المنصدور وهي رسالة تعتبر وثيقة تاريخية هامة ، فهي شهادة من معاصر عاصر المشساكل وعرفها وأشسار الى مسساوىء الخراج وضرورة اسلاحه ومواجية غلاء الأسعار ، الذي نجم عن اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية منذ أواخر الدولة الأموية (١) ، وفي الطبري (٢) في أحداث عام ١٤١ هـ أشارات واضحة الى الغلاء الشديد وارتفاع الأسعار فيخراسانوالعراق. وكانت المشكلة الاقتصادية هي المشكلة الكّبري التي واجهت المنصور • وكان تصديه لها بروح الثورة ومنطق الدعاة في غاية الإهميــــة ، لأن معناه اقناع جمهور الأنصار في كافة البـــلاد أن الحكومة لم تنعزل عن مبادىء الثورة انما تتمسك بالحزب وتنظيماته وجعلت همذه التنظيمات أساسا للاصلاح الاداري والنظر في النفقات ، والخراج ومصاحة مماش الرعية لطرح عمالتهم والتلطف لسكونهم وهدأتهم (٢) •

والاصلاحات الاقتصادية التي قام بها المنصور في غاية الموضوح ، وقامت على أسس معينة منها الشسدة والعزم في مراقبة عسال الخراج والسيطرة عليهم وعزلهم اذا كان هناك أية شسبهة في انحراف ، روى الطبرى أنه أنكر على عبد الوهاب بن ابراهيم الامام والى فلسطين عسفه

⁽۱) اهسد زكى صفوت : جبهرة رسائل العسرب ، ج ٣ ، ص ٣٥ وما بعسدها .

⁽۲) الطبرى: ج ۹ ، ص ۱۷٦ .

⁽٣) الطبرى: ج ٩، ص ٨١٦ .

عى حباية الخراج فعزله من الولاية (١) . وتكلم رجل من أهل خراسان الى المنصور فوقع على مظلمته بقوله « ان كنت صادقا فجيء به ملبيا فقد أَذَنَا لَكَ فَي ذَلَكُ ﴾ (٢) كما عني التي جانب ذلك بتنظيم ديوان الخراج حتى المسبح من أهم دواوين الدولة وأكبرها أثرا . وكأن رئيسه يؤخذ رأيه في كافة الأمور المتعلقة بالخراج قبل أن يتخذ الخليفة أو الوزير فيهما قرارا • وكان يحتفظ في ديوان الخراج بسجلات يرجع البها في تقدير قيمة الخراج • وبلغ من اهتمام المنصور بهذا الديوان الهام أن خصص له مكانا في بفيداد ليكون على مقربة منه خاضعا لاشرافه الماشر ، وكان أشهد حرصا على ألا يتولى وظائفه الا من عرف بالكفاية ونزاهة اليد . واشــــترط في هؤلاء الموظفين الحرية والأمانة والتفقـــه فني أمور الدين والالمـــام بقواعد الخراج، ولم تفتر عنـــاية خلفـــائه بهذا الديوان على الاطلاق ، انما زادوه سلطانا وتنظيما وتطورا كثيرا في عهد المهدي وفي عهد الرشيد ، وأمر عمال الخراج ألا يقبلوا من الناس الا الجيد المضبوط من الميار (٢) واستحدث كيلا جديدا لجباية الخسراج عرف بالقفير الهاشمي (١) . ولا شك أن ذلك كان خطوة حاسمة في سبيل الاصلاح المنشود ، لأنه لا يمكن لمبادىء مهما مسمت أن يضمن تطبيقها الا على أيدى عمال مخلصين شرفاء ، واقترنت هذه الاصلاحات بمحاولات جادة الزمادة دغل الدولة لمواجهة النفقات المتزايدة والمطالب الملمة • وكان حريصًا على أن يملك احتياطيا من الغراج ببيت المال لمواجهة نفقات البعند وتفقات الدولة .

ولكن ما زالت أمام الدولة خطوات أبعد لتحقيق الاصلاح المنشود وتعرير الفلاح من أوزار المساضى على المظالم الثي صورها ابن المتقم فى ومسالته الشميرة، وبيدو أن المنصور كان يفكر فى اصسلاح جذرى

⁽۱) الجهشياري : الوزراء ، ص ۱۷۳ .

 ⁽۲) الطبرى: ج ۹ ، ص ۳۱۰ .
 (۳) البـــلاذرى: ص ۴۱۹ .

⁽٤) الريسي : الخراج ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ·

لموضوع الخراج يريح الناس ويحدد دخلا ثابتا للمكومة لولا أن عاجلته المنية و والدليل على هذا هو ما يشير اليه الماوردي() من أن المصور هو الذي فكر في نظام المقاسمة ، على حين يؤكد البلاذري () أن هذا الاصلاح تم في عهد المهدى ، وليس بدعا أن يفكر المنصور وأن ينف في المهدى ،

على كل حال فان الثورة الكبرى في نظم الخراج لم تتحقق في عهد المنصور انما تحققت في عهد المهدى ، اذ قرر العدول عن نظام الساحة الذي اعتمد عليه منذ الفتح، والذي بمقتضاه كانت الدولة تقدر خراجا معينا على مساهة تجبيه كل عام دون نظر الى المحصول أو أسلوب الزراعة ، فغير المهدى ذلك كله بادخال نظام المقاسمة في كثير من البلاد الاسلامية ، وأصبحت الدولة تقاسم المزارعين وفق نسبة معينة دون نظر لمساحة الأرض ، ذلك أن أسمعار الحاصلات قبل تطبيق نظام المقاسمة كانت منخفضة ولم يكن هناك تقدير صحيح لمساحة الكور ، ويؤخد مما رواه أبو يوسف (٢) أن نسبة المقاسمة في عهد المهدى بلغت نصف المصول على الأرض التي تسقى سيحا ، وثلث المحصول على الأراضي التي تسقى بالدوالي لشدة ارتفاعها ، وربع المحصول على الأرض التي تسقى بالآلات كالسواقي . وفي بعض المناطق كانت الدولة تحصـــل على خمس المحصول تقديرا لظروف خاصة . وطبق نظام المقامسة في عهـــد المهدى على العــلات الزراعية فقط ، أما ثمار النخيل والكروم والشجر فبقيت على نظام المساحة وعدل خراجها حسب قربها من الأسسواق أو بعدها ، وقد تحققت فوائد كثيرة من هذا الاصلاح فقد توحد النظام في جميع البلاد وضممنت الدولة دخلا ثابتا ، واستفاد الزراع وتجنبوا الأزمات التي تنجم عن الانخفاض المفاجىء في اسمار الفلة . ولا ريب ال ذلك كله أدى الى اطمئنان الناس وزيادة الاتتاج وارتفاع مستوى الدخل

⁽١) المساوردي: الأحكام السلطانية ، ص ١٦٨ .

⁽٢) متوح البلدان : ص ٢٨٢ .

⁽٣) الخسراج : ص ٢٦ ،

وحال بين الفلاحين وبين عبث العمال وتشددهم، وقد روى الجهشيارى(ا) أن المهسدى أمر العمسال بالكف عن العاق الإذى بالناس اثناء الجباية كما تنهى عن تحصيل المتأخرات واستجابة لهذا الاتجاه قام خالد بن يعجى البرمكى حين ولى أمور فارس فى عهد المهدى بتقسيط الخراج وأعفاهم من خراج الشجر (۱) •

ومضت هذه الثورة الاصلاحية التي حققت أمل الجماهير وتمشت مع الشمارات التي رفعها الدعاة في عهد الرشيد الذي عمل بعد توليسه الخلافة على تخفيف عب، الجباية أكثر مما خفف المهدى ، فأمر بالفاء خريبة العشر التي كانت تجبي من أهل العراق بالاضافة الى نسبة النصف المقررة بحكم نظام المقاسمه • وبلغ من اهتمامه بأمر هذا الاصلاح أنه كلف القاضي أبا يوسف بحل مشكلات الخراج • ومن أجل ذلك ألف كتاب الخراج ، وقد نصح فيه الرشيد بمزيد من الرافة مم الفلاهين فعدلت نسبة المقاسمة التي وضعت في عهد المهدى فأصبحت إ على الأرض التي تروي سيحا و ٣٠علي الأرض التي تروي بالدوالي ، وجعمل على النخل والكروم الثلث وعدل عن تقدير خراجها طبقا للمساحة ، أما غلة الصيف فقمد أبقى عليها الربع لأنهما كانت تسمقي بالدواليب و وقال أبو يوسف « وانما أراد الرشيد بذلك ونع الظلم عن رعيته والصلاح المرهم (أ) » بل أصبح بيتُ المسال يتكفل بنفقات الأفهار التي تروى أرض الفلاحين الذين يدفعون الخراج في ألنحاء الدولة ، على أن يشارك مزارعو السواد في بعض هــــذه النفقات نظرا لخصـــوبة المنطقة وثرائها ، وبالغ البرامكة في تحقيق رغبات الرشيد ، في الاصـــلاح والتزيد من رعايةً مصالح الزراع فالغوا المبالغ المتـــأخرة على المزارعين التي عرفت بالبثُّايا ورفع ما يلحق بالفـــلاحين من غبن في الجبـــاية ، فَلِلَّدْ خَفْض شِراحٍ ثَعْر

⁽۱) الوزراء : س ۱٤ ٠

⁽٢) الوزراء : ص ١٥١ ٠

⁽٣) أبو يوسف : الخسراج ، ص ٣ .

قزوين ليتمكن أهله من مواجهة نفقات الدفاع والغزو (١) •

وقد ارتبكت هذه السياسة الاصلاحية بعض الثيء خلال الفتنة بين الأمين والمامون ، الأمر الذي أدى الى تقص دخل الدولة بنصو مائة مليون درهم بسبب آيار الحرب بين الأخوين ، وما كاد الأمر يستقيم للمأمون حتى سار في نفس النهج الذي استنه الرشيد ، ومضى قدما في تطبيق آراء القاضى أبي يوسف فتوسع في تطبيق النسب التي وضعت في علم الرشيد ، وجعل مقاسمة أهل السواد بالخمسين بدئلا من النصف (٢) وولى على جباية خراج السواد القاسم في ابراهيم أخى أبي يوسف القاضى ، فباشر عله بعدل وأمانة ، وأمر المامون بتخفيض ربم خراج خراساذ (٢) كما خفض خراج الرى ، وكان يحسب عمال الخراج محاسبة ديقة ، وظلت هذه المبادىء مطبقة في عهد المتصمم رغم زيادة نفقاته بسبب اغداقه الأموال على جسوده من الترك وتأسيسه سامرا ومحاربته بسبب اغداقه الأموال على جسوده من الترك وتأسيسه سامرا ومحاربته المبيز نطين ، ولم يرو أن الوائق خرج عن هذه المبادىء السمحة التي وضعت في عهد الرشيد ،

ألم يكن ذلك كله استهداء بتعاليم الثورة اللم يكن خفض الخراج تحريرا لجمهرة الفلاحين من الموالى الذين صنعوا الثورة وأقاموا الدولة، وكما تقدموا سياسيا باشتراكهم فى القوات المسلحة وتوليهم وظائف الدولة التعشوا اقتصاديا تتيجة هدف السياسة ، وأصبحت الحياة الزراعية تقوم على أكتاف الفلاح الحر واسقاط القيود الاقتصادية التي وضعها الأهويون ، واباحة المهجرة لمن شاء واباحة ملكية الأرض للموالى، وبدأت الطبقات التي تحررت تستفل خبراتها فى النشاط الزراقي الى أبعد الحمدود ، وفى الأماكن التي كانت تفتقر الى الإيدى العاملة كسهول المهرة وجنوب العراق جنب العباسيون الزنج كما جلب الحجاح الزط وتحولت هذه المنطقة من جديد الى الخصوية ،

⁽١) أبو يوسف : الخراج ، ص ٣ ،

⁽۲) الطبرى: ج ۱۰، من ۵۵،

⁽٣) الجهشياري : الوزراء ، ص ٢٧٨ .

وفي مقابل الضرائب التي دفعها الفلاحون حرص العباســـيون علم. . التماش الزراعة بانفاق شطر كبير من مال الدولة في الخدمات الزواعة . ولما كان لا يجوز أن يشمتري الماء أو يباع ، لم يكن هنالك مناص مين أن تتولى الدولة أمور الرئ منما للتكسيب أو الاتجار • فكان من واجبات الدولة أن تسمر على صيانة السدود وسنـد البثوق(١) وقد خصصت لهذا الفرض طائفة قائمة بذاتها من العمال يسمون بالمهندسين • وغشط خلفاء العصر العباسي الأول في حفز الترع والمصارف والمامة العجمور والقناطر ، وكانت الأراضي الواقعة بين نهرى دجلة والفرات من أخصب بقاع الدولة العباسية . وكانت الحكومة تشرف على ادارتهما اشرافا مباشرا، وتعمل على تعسين زراعتها وتنمية مواردها . وامتدت في هذه الأرض شبكة من الترع والمصارف حتى أصبحت قوية الخصب شكثر مِمَا المزارع والبسلةين • وأذًا كان ماء للغرات لا يكفى لرى أرض السواد ، فقد عمل أبو جففر المنصور على تنظيم وسائل الرى بشق كثير من الجداول والترُّع ٪ على حين أمِكن الاحتفاظ بماء دجلة لرى الأراض الواقعة على شاطئه الغربي وسأحل الخليج الفارسي ، وبذلك أمكن رى جميع الأراضي المحدة من صحراء العرب على جبال كردستان ، كذلك حد المنصور قناة من دجيل الذي يأخذ ماءه من دجلة ، وقناة أخرى من كوخايا الذي يَآخُذ ماءه من الفرات ووصالهما بمدينة بفعداد في عقود محكمة من حجر الكلس والآجر ، فكان ماء كل قنـــاة منها يدخل المدينة وينفذ في الشوارع والدروب والأرباض ولا ينقطع صيفا ولا شتاء • ولما تولى المهدى أنفق أموالا كثيرة في انشاء الطرق بين بالاد المرب والمراق، وحمَّر نهر الصلة قرب البصرة، وحمَّر الرشيد عددا من الأنهار بالمراق ، فقد هفر نهز القاطول ونهر أبي الجبل في المراق وأنفق فيذلك عشرين مليونا من الدراهم (٢) ، كما عاون المتصم آهل الشاش في اعادة حقم أحد الأنهار الهامة ،

⁽١) أبو يوسفُ : الخراج ، ص ٦٣ ،

⁽٢) الجهشياري : الوزراء ، من ١٧٧ .

كان من الطبيعي أن تنطلق في العصر العباسي الأول نهضة زراعية طنت الذروة في عهد الرشيد تقوم على أساس فلاح غير مستعبد توفر له الدولة الحياة الكريمة ولا تثقيل كأهله بالضرائب ، بل تمده بحاجته من الماء ، وقد أدى ذلك الى التوسيم في زراعة جميع المحاصيل دون استثناء بالصورة التي تحدث عنها آدم متز (١) وبالصورة التي عرض لها الرحالة والجغرافيون أمثال المقدسي (٢) والاصطخري(١) وأبن حوقل(١)٠

وتكدس الانتاج الزراعي في أسواق العراق وايران ورخصت الأسعار بصورة أقرب الى الخيال • روى أن الرجل من عامة الناس في عصر الرشيد كان يكفيه هو وعائلته ثلاثمائة درهم في السنة • ويقسول الخطيب النغيدادي (°) « سمعت داود بن صيفير بن شبيب بن رسيتم البخاري يقول: رأيت في زمن أبي جعفر كبشما بدرهم وحملا بأربعة دوائق والتمر ستين رطلا بدرهم والزيت ستة عشر رطلا بدرهم والسمن ثمانية أرطال بدرهم معزوكان ينادى على لحم البقر تسعين رطلا بدرهم ولحم العنم ستين رطلا بدُّروهم » (١) •

مما تقدم ينبين كيف كان اصلاح، الخراج تحقيقا لشعارات الدعوة وارضاء للجماهير الناس التي أيدت الثورة وعملت على نجاحها وكيف كانت النهضة متأثرة الى أبعد الحدود بظروف الثورة العباسية وبأحداث العصر العباسي الأول ٠٠

بل امتدت هذه التأثيرات الى ميادين الانتاج الاقتصادى كلها . امتدت الى ميدان الصناعة ، فقد أسقطت الثورة كل القيود التي وضعها

⁽١) المضارة الاسلامية: ج ٢ ، من ٢٩٨ - ٢٢٤ ،

[·] EAY : 679 : (8. A : 77. : 7. E : 1A. whaten (Y)

⁽٣) صفحات ۲۵ ، ۱۸۸ ، ۱۳۷ ، ۱۳۸ ، ۱۶۶ ، ۱۳۹ ، ۱۶۹ ، 3Y7 .

⁽٤) صفحات ۱۷ ، ۱۲۴ ، ۱۲۴ ، ۱۲۳ ، ۱۲۳ ، ۱۲۳ ، ۱۲۳ ، ۱۲۳ ،

⁽۵) ج۱۰ عن ۷۰ .

⁽١) ج ١ ع من ١٢ .

الأمويون الأواخر ، وأباحت الدولة العباســية الهجــرة من الريف الى المدينة ، فهاجر كثيرون من الحرفيين والصناع ومعهم أساليبهم وأدواتهم ليفيدوا من الحياة الجمديدة التي لاحت في ظل الضلافة العباسية ، ووجدوا جو الحياة العسالية في المدن الكبيري قد تغير تعاما ، فقسد أسقطت الحواجز بين العرب والموالي وتحرر الصناع والحرفيون ونعموا بحريتهم كاملة وارتفع مستواهم المسادى والاجتماعي • يضاف الي هذا أن العصر الماسي الأول أسقط الحواجز الطقية التي كانت تفصل بين العرب والموالي ، وأصبح المسلمون جميعهم على قدم المساواة • وكانت الحركة الابسلامية قسد قطعت شموطًا بعيدًا في سمبيل النطور • وكما امتزجت الثقافات ودخل الدم الجديد الى ميدان الحياة الفكرية ، كذلك كان شأن الصناعة هقد نشأت من امتراج العرب بأهل البلاد التي أخضعوها لسلطانهم ومن تتلمذ الصناع العرب على أرباب العسناعات الفنية في تلك البلاد مسلمين وغير مسلمين ، ومن الاختلاط بين أهمل تلك البلاد المختلفة ، ومن تنقل الفنانين والصناع في ديار الاسملام ، مَشَأً من هذا كله لهنون يمكن تمييزها عن غيرها من الفنون ولكنها متباينة في جزئياتها تبعا للاقليم الاسلامي الذي تنسب اليه ، وتلك هي الطرز والتي كانت تنطور بتطــور العصــور وتتــاثر بالأحداث السياســية والاجتماعية (') فتأثرت الحركة الفنية والصناعية بتغلب العناصر الابرانية حوما صحب هذا التفلب من احياء الكثير من التقاليد الايرانية الحكومية والثقافية والاجتماعية ، وما نجم عن ذلك من ظهور أسلوب جديد سمى . فالطراز العباسي ، ونشأ هذا الطراز متأثرا بأساليب الفنون التي ســـادت غي ايران والعراق في العصر الساساني ، والتي تمتـــد جدورها الي أُصـــول موروثة عن الفنون الأشــورية والأخيمينية والفارسية مع تأثير ٨. الدود النطاق بالعناصر الهلنستية التي انتشرت في الشرق الأدني • وقد بالغ الطراز العباسي أوج عظمته في مدينة سامرا التي أسسها المعتصم •

⁽١) زكى محمد حسن : اطلس الفنون الزخرفية : مقدمة ، ص ١ .ه:

وقلده الناس في سائر أرجاء الدولة الاسلامية ، واقتشر هذا الأسسلوب. تمت الرابة المعاسية وامتد أثره الى بلاد الشام ومصر ، بل دخل المنوبيد في ظل الإغالبة ويتضمن هذا الطراز أسساليب من العمارة والتقفيل والزخرف والفنون الفرعية والتقاليد الصناعية (١) .

وثمة ظاهرة أخرى شهدها العصر العباسي الأول سنشرحها بالتفصيل فيما بعد . وكانت ذات عمق امتد الى جميع مظاهر الحياة في ذلك الوقت. وأعنى بها ظاهرة ارتفاع مستوى اللخل ، دنجل الفلاحين والعمال ، وتوطد تفوذ البرجوازية في الميدان الحكومي والاقتصادي والاجتماعي ونشأة طبقة رأسمالية جديدة أغادت من التحول الاقتصادى الذي شهده العصر العباسي الأول ، اقتنت الضمياع الواسمة في المجال الزراعي والثروات الضخمة في المجال المالي والتجارة الواسعة وابتنت الدور والقصور وعاشت حياة مترفة ناعمة يصورها آدب ذلك العصر سواء آكان أدما وسمنا أق أدبا شعبيا مثال ذلك الثروات الطائلة التي حازها البرامكة وبنب سيهل وبنو طاهر ، والحياة المترفة التي عاشبوها ، ثم الثروات الأسطورية التي امتلكها الخلفاء والعطايا والمنح التي فاقت حد الوصف ه واستقطاب قصر الخلافة لكل أدب رفيع وذوق جميل وأسلوب اجتماعي لطيف • وتركز هـــــذه الثروات الطائلة في بعداد عاصــــمة الامر اطورية الاسلامية والمستوى الاقتصادي الرغيع يدفع الى الاقبال على صناعات المترفين من النسيج الرفيع والخزف الجميل والأثاث والرباض الفاخر يم وسيدات الطبقة العليا واقتنائهن أجسل المجوهرات وأدق المصنوعات ء والفن والشمع في ذلك الوقت صناعة يلهبها الترف ويؤلقها التشعيع والاغداق والاتفاق • فكانت سوق الصناعة في بعداد فيها من الفن ما هو طريف وجديد سواء أصنع في المدينة تفسيها أو حمل اليها من مراكل

الصناعة بالإمصار ، يقول الدكتور زكى معمد حسن (١) : وقد حدث في كثير من الإمصار أن كان الفن في ديار الاسلام يتأفق ويبدع في اختيار أشكال الآنية والتحف التي تستخدم في العاجيات اليومية ، فيتضف المبخرة أو الابريق الغزفي أو غطاء الاتاء على هيئة عيوان أو طائر ، وفجح مهرة الفنائين في تخفيف الشذوذ والتناحر في الألوان بتصحيم المساحات الملونة وتكرارها فتجاوزت الألوان المتباعدة في هدو، وبها، بعد أن خفف من حدتها وضعها في أشكال هندسية صعيرة أو وحدات موزعة في مساحات كبيرة ذات ألوان أخرى » ،

وقد أسدت الدولة المباسية الى التطور الصناعي يدا طولى كانت الى جاقب ما تقدم ذكره من أهم السوامل التى ساعدت على تطورها وازدهارها و وآية صناعة لا تقوم على مادة خام رخيصة في متناول الصناع لا يمكن أن تقف على قدميها أو تصعد للمنافسة القوية في الأسسواق المالمية الأخرى و وقد عمل الدولة العباسية على التوسع في استخراج المروة المعدنية التى حفل بها العالم الامسادى وعملت على تقلها الى مراكز الصناعة في سعولة ويسر و وكان ذلك من أهم أسباب الإنطلاق الصناعي الكبير الذي تعقق في المصر العبائي الأول و وقد أشار الرحالة والمجر الهيون () و الى النشاط الميم الذي بذله العباسيون في استخراج المسادن من مواردها الأصلية و

فكان الذهب يستخرج من القسم الغربي من العالم الاسلامي من صحراء مصر الشرقية وعلى وجه التعديد في منطقة قبته بين أسسوان وعيذاب ، وكانت مدينة العلاقي أكبر مدينة تقع بها مناجسم الذهب ، وكانت تقع على مسيرة خمس عشرة مرحلة من أسسوان ، وقد اهتمت الدولة العباسية بهذه المنطقة اهتماما بلغ أقصاه في منتصف القرن الثالث الهجرى ، اذ أرسلت حملة لتأديب البعة الذين كانوا دائمي التهديد لهذه

⁽١) أطلس التنسون الزخرنية : صُ ٥٠

⁽٢) انظر " المتحدين ... أبن حوقل ... ابن خردانية .

المناطق الغنية بالذهب، وقد خضع البجة للسلطة العباسية واستقام أمرهم وانتقلت قوافل النبر لها شمالا عن طريق النيل واما من عيذاب الى بلاه المرب عبر البحر الأحمر ، أما مورد الذهب الآخر فكان في غرب أفريقية عند الطرف المجنوبي للصحراء الكبرى ، وكان النبر آكبر غلات القبائل المنزجية المضاربة على أطراف المسحراء ، وكانت قوالهل النبر تعبر الصحراء الكبرى متجهة الى تونس والقبيروان حيث ينقل الذهب الى الم مواطن التصنيم ،

وكانت الفضة تستخرج بكميات وفسيرة من الشرق الاسسلامي ، وكائت أكبر مناجم الفضة تقم في مدينة بنجهير بجبال هندكوش في الوقت الذي استنفدت فيهمناجم الفضة بأصهان ، وباداغيس ببلادفرغانة وكان هذا المعدن النفيس يعبر الامبراطورية متجها صوب الغرب اما الى بغداد أو غيرها من مواطن التنصبنيم • وكان النحاس الأصفر يستخرج سن أصفهان وأحيانا يجلب من بخارى ، وكانت الدولة تجبى من مناجم النحاس خراجاً بلغ عشرة آلاف درهم (١) ، أما الصديد فكانت غارس أعظم الأقاليم استخراجا له وصناعة (١) ، وكان يستخرج أيضًا من كرمان وكابل وفرغانة كما كان يستخرج من قرب بيروت ، وكان خام الحديد في بعض الأحيان يحمل من مناجم المغرب وصقلية وينجلب الى الهند غتصنع منه أغلى آلات العديد ، وكان اللؤلؤ يستخرج من الخليج الفارسي وكان يعتبر أفضل أفواع اللؤلؤ عند أهل الصين • وكان التجار العرب يشترون العاج من بلاد الزنج ويصدرونه الى عمان والهنسد والصين (٢) . • أما خشب بناء السفن فكان يجل من مدينة البندقية ومن صعید مصر (۱) • و کان خشب الساج الهندی یعتبر أحسن ما يستخدم في بناء المساكن في بغداد والشرق كله · وكانت تصــنم منه الأدوات

⁽۱) این رسته : من ۱۱ه ،

⁽۲) أبن حواتل : س ۲۱۲ .

⁽٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٨ .

⁽١) القسدسي : ص ٢٨٣ .

لبيوت السادة الكبراء ، وكان خنب الصنوبر يقوم مقام خنب الساج في بلاد البحر الأبيض ، هذا كله الى جانب الغزف والمرمر الذى كان يعجل من تبريز ، والملح والكبريت من شمال فارس والقار والنفط من بلاد الكرج ، وكان النب يسمرج من منطقة بعيرة شاد ومنها يعمل الى مصر والمغرب (١) ، وكان الملح الذى يستخرج من مناجم الصحراء تحمله آلاف الأبل ، وكان ملح النوشادر يستخرج من صقلية ومن بلاد ما ورا، النهسر (١) ،

اذن وضمت هذه المصادر الغزيرة بالمسادة الخام في متناول الصناعة العباسية ، وثمة عوامل أخرى يدس أن تفسر لنا الانطلاق الصناعي الذي أشرت اليه وأعنى موضوع التسويق . وكانت الصناعات العربية تنقل . في سمولة ويسر من شرق الامبراطورية الى غربها ، بسبب السبل الآمنة والأمير المسنتب ، وحرص الخلفاء العباسيين على القضاء على الثورات وتأكيد هبية الخلافة وسطوتها ، فكانت الصناعات من الأندلس والمغرب ومصر والشام تحمل الى أسواق الشرق ءوكإنت مصنوعات الشرق تسوق داخليا في أسواق الشام ومصر والمغرب والأفدلس، هذاوقد ادت الاتصالات الدولية التي بلغت الذروة في عصر الرشيد الى فتح الأسواق العالمية • أما الصناعات العربية فحملت لملي الصمين وملاد البلغار وشرق أوروبا وبلاد الفرنجة وإيطاليـــا وكانت نموذجا لدولة موفورة الرخاء مونورة أ الثروات حاشـــدة بالكفايات والخبرات ، ويمكننا أن نعطى صورة لأهم الصناعات التي ذاع صيتها في العصر العباسي والمراكز التي نعت وتعلورت هيها • كانت صناعة النسيج من أهم الصناعات التي راجت سوقها فالعصر العباسي الأول ، وكانت مصر أعظم مراكز لصناعة النسيج في السالم الاسلامي كله . وكان الكتان هو القماش الذي المتصت به مصر وكان

⁽۱) الأدريسي : من ۳۹ - ۱۰ د:

⁽٢) القدسي: من ٢٨٢ .

يزرع بكثرة باقليم الفيوم ومنها يلحمل الى مراكز الصناعة ، بل تفوقت مصر في صناعة الأقمشة الصوفية أيضا (١) ، اذ كانت تصنع بمدينة طخا والصعيد حيث تصنع الثياب الصيرفية الرفيعة . واشتهرت بنسيج الكتان أيضًا بحيرة تنيس بنواحيها وهي : مدينة تنيس ودمياط وشطا وديبق • وكانت هذه المدينة الأخيرة أكبر مدن النسيج لأنه ينسب اليها أجــود أنواع الأقمشة الديبقية • وكانت مصر تصيغ قماش الكتان الناصع البياض ، حتى لقد قيل ان الأقمشة المصرية كانت أدق من غشاء البيضة ، وكانت الاسكندرية تصنع من الكتان ما قوم الدرهم منه بدرهم فضة (١) وقد نبغ أهل تنيس في صناعة ثوب يسمى بالبدنة وكان للخليفة خاصة اذ يصنع من أوقيتين من الغزل فقط ثم ينسج باقيه بالذهب ، وببان ثمنه الله دينار () ٠

وكانت صناعة النسيج ف الدلتا صناعة منزلية ، مكان النساء ، يغزان الكتان والرجال ينسجونه وكان تجار القماش يدفعون لهم . أجرهم كل يوم وكان لابد أن يبيعوا للسماسرة الذين تعينهم الحكومة . وكان النساج يتقاضى أجرا قدره نصف درهم كل يوم . وكان ثمن النسيج يرتفع ارتفاعا باهظا بسبب المكوس والضرائب المتنوعة (١) .

وكانت بالشرق (°) مراكز لصناعة الكتان خاصة بغارس ، وكانت مدينة كازرون تختص بصناعة الكتان ، فأطلق عليها المقدسي اسم دمياط الأعاجم (١) • وكانت تصنع بفارس أنواع الأقشة المصرية من الديبقي

۲۰٤ من ۲۰٤ .

 ⁽٢) القريزى: الخطط ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

⁽٣) ابن دقيساق : ج ٢ ، ص ٧٩ .

⁽٤) أنظر زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرقية . اشمسكال ٧٥٠ - ٧٦٠ ، اشكال ٨٦٠ ، ٥٨٥ ، صفحات ١٨٤ ، ١٨٧ و ١٩٢ . (٥) أنظر زكى محمد حسن : اطلس الفئون الزخرمية ، اشميكال

۵۷۰ ، ۷۳ مس ۱۸۹ .

والشرب والقصب مقادة بذلك الأسلوب المحرى و ويذكر المسدسى ، أنه بمدينة سينير كانت تصنع ثياب تحاكى ثياب القصب وأنه ربما حمل اليما الكتان من مصر و وهذا دلل على أن صناعة الكتان كانت تنقل من مصر الى فارس و والمباسبون بدورهم انشأوا دورا اللطراز فى أهم مدن فارس و وتفوق الايرانيون فى صناعة العرب والأطلس والمنسوجات الحريبة المشجرة ، وكانت المنسوجات الحريبة المشجرة تصنع فى تستر والسجاجيد فى وقب وامتازت دمشت بصناعة الأقشة الحريبة والسجاجيد فى وقب وامتازت دمشت بصناعة الأقشة الحريبة والمستور ، أما المراكز الكبرى والمستاعة القطن فكانت تقم فى شرق فارس خصوصا مرو ونيسابور وبم في شرق كارس خصوصا مرو ونيسابور وبم وكانت تصنع مها الطيالسة وثمن الواحد منها ثلاثون دينارا وكانت تباع وعلم الصناعة والبرسم فكانت متركزة على مخراصان والعراق ومصر و أما صناعة الإبريسم فكانت متركزة على طرق الصين القديم وكانت أيضا توجد بمرو وبطيرستان و

وقد ازدهرت باقليم نيمابور صيناعة للروائح العطرية ، وكانت الروائح العطرية تتخذ من البنفسج والنيلوفر والنرجس والسموسن والوثق (") ، واشتهرت البصرة بصناعة الصابون والرجاج ، وقد أنشأ للمتصم مصانم جديدة في بغداد وسامرا ،

ويغداد كان بها عدد كبير من دور الصناعة وقد قيل انه كان بهـــا

لريسائة رحى مائية ، واربعة آلاف معمل لصــناعة الزجاج ، وثلاثون
القمه معمل لصناعة الخزف (٢) ، واشتهرت بغداد بالصياغة ونبغ فيهـــا
المعرس وبلغت صناعتهم شأوا بعيدا في الدقة والجمال ، حتى انهم كانوا
يرصعون الزجاج بالجواهر ويكتبون عليه بالذهب المجسم ، فيصنعون

 ^[7] للتسديس : من ٣٤٣ .
 (٣) انظر زكي محيسد حسن : اطلس النسون النسسكال ١ : ٣١ ٤

ر منقطات ال سرال در. احتفظات ال

للملوك أقداحا تبهر الأبصار ، وكانوا يتخذون على الجامات صورا على هيئة طيور تطير ومن فوقها العقبان تنقض ه

واشتهرت مصر أيضا بصناعة المعادن لا سميما صمياغة الذهب والفضة ، وضرب المصربون بسهم وافر مى صناعة الأدوية والعقاق يمن وكذلك صناعة الراكب النيلية والسفن المقاتلة وصناعة الزجاج (') •

وشهد المصر المباسى أيضا انقلابا عظيما فى صناعة الورق وكائد سرقدد الناس يمتمدون على البردى المجلوب من مصر ، ولكن كواغبد سرقدد طفت على قراطيس مصر ، واضمحلت صناعة القراطيس المصرية فى أواخو، القرن الثالث الهجرى ، ولم يشر اليمقوبي الا الى مدينتين فقط مى مصر السفلى ، وفعلا نجد أن الورق البردى المؤرخ ينتهى عام ١٣٣٣ انتهاء الما ، على صيغ أن الوثائق المكتوبة على الكنف يدا تاريحها بسام ١٩٠٥ هـ ، وكان أجود الورق فى ذلك المصر هو الكاغد للذى تقلت صناعته من الصين ، وقد استطاع المسلمون أن ينقوه مما كان يستعمل فى صناعته من ورق التوت والفاب الهندى ، وبدأت صاعته أولا فى بلد ما وراء النهر (٣) ، كما أنشأ المعتصم مصانع الورق فى عدة مدن وجب لها الأساتذة والصناع من مصر ،

وقد تركت ظروف المصر العباسي الأول، ونجاح خلفائه في توطيد النظام الداخلي ، وحرص هؤلاء الخلفاء على كبح الثورات واستتباب الأمن والتصدى للمشكلات الدولية ، أثرا عميقا في ناحية من أهمم نواحي العياة الاقتصادية وأقصد بها التجارة الداخلية والخارجية ، وقد أشرنا الى وقوف العباسيين في وجه التقدم الصنيئي المتحالف مع الأتراك الشرقيين في آسيا الوسطى ، وشدوا في قبضتهم على الطريق الدولي للتجارة المارة ببحر قروين وشرق أوروبا أو المتجه الى خراسان والعراق

⁽۱) انظر : زکی محمد حسن : اطلس النتـــون : ۷۳ ــ ۷۳۷ ٤ صفحات ۲۶۹ ــ ۲۵۰ .

[·] ۲۹۹ س تصطفری : س ۲۹۹ ۰۰

والبحر الأبيض المتوسط، ورأينا كيف تركت المسين سياسة المدوان ولجأت الى التعاون والتفاهم ، واستؤنفت العلاقات التجارية عن طريق البر والبحر على أساس سيادة العباسيين التي تأكدت في أرضهم وداخل حدودهم ، ورأينا كيف تصدى العباسيون للمثسكلة البيزنطية وكيف توطدت أواصر الود والتفاهم بين المباسيين والفرنجة في عصر شرلمان • لذلك أعتقد أن التجارة الدولية نشطت كاقوى ما تكون في عهد الرشيد، وتألقت في عصر المعتصم والواثق • وتطلع العباسيون الى البحر الأحمر وشرق الهريقية وأخضعوا البجة لسلطانهم وبدأ التجار السلمون يستقر بعضهم على ساحل شرق افريقيــة أو يتجرون في العاج والعبيد . اذن أسفرت السياسة العباسية سواء في الصعيد الداخلي أو الدولي عن نطور هام في التجارة الداخلية والدولية • فيما يتعلق بالتجارة الداخلية يكفى ما قامت به الدولة العباسية من تأكيد سلطانها وتفوذُها في كل مكان ، وارتبطت الولايات الاسملامية بالصاضرة بفسمداد بأوثق الروابط وأقواها ، ورابط الجّند العاسيون في الأمصار يحافظون على النفوذ والسلطان ، وانتشرت القواعد البحرية في البحر المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، ورابط الجند العباسيون في الثغور ونشطت التجارة الداخلية نشاطا عظيما ، يشهد بذلك الرخاء الذي غلب على حياة المسلمين. وقد أشرنا الى تبادل الحاصلات والخامات والمنتجات ، واعتمدت هذه الثجارة على دولة مرهوبة الجانب عظيمة الجاه تملك الثروات الطائله والقوات القادرة ، يضاف الى هذا ما قامت به الدولة من توحيـــد النظم المالية واصدار العملة الموثوق بعيارها والتي نالت التقدير في جميع الأسواق الداخلية والخارجية • ويكفى أن نقرأ ما أشار اليه الرىحالة والجفرافيون من الملاقات التحارية الوطيدة بين مشرق العالم الاسلامي ومغربه ، وكيف كانت مداد سوق الامبر اطورية الكبير تلتقي نيه جميم النجارات والمنتجات ع ويسملك برمام الممال والاقتصاد ، وبتحكم صيارغة الماضرة في ملايين الدنانير والدراهم ، لكن الوضوع الذي (م ١٠٤ أسد المصر العياني)

مستعثى الدراسة هو نمو التجارة الدولية في ظل السمام الذي فرضمه العباسيون على القوى الماصرة ، السلم الذي لاينبع من ضعف انما ينبع من قوة وتفوق وقادرة •

وقد نشطت الطرق التجارية نشاطا عظيما وارتادها التجار المسلمون فسلكوا طرقا برية واضحة المالم • منها الطريق التي الشرق من بفعداد الى همدان والرى ونيسابور وطوس وهراة والذي ينتهى الى بخسارى وسمرقند وبلاد الصير (١) • ثم الطريق الشمالي من بقداد الى الموصل وسنجاو ونصيبين والرقة وطبرية والرملة ثم القاهرة والاسكندرية (٣) • وكذلك الطريق البرى من غرب أوروبا الى الأندلس ثم عبر المضيق الى ا طنجة مقترقا المعرب ومنتهيا الى مصر غيلاد الشام والجراق (٢) • وهناك طريق برى آخر لعب دورا هاما في التجارة الدولية وأقصد الطريق المبتد . **من بلاد الروس الى شمال بحر قزوين الى جرجان وبخارى وسمر**قند ثم متحدرا الى بقداد (١) .

ثم سلكت هذه التجارة الدولية الواسعة النطاق ألطرق البحرمة أيضا وخصوصا الطريق البحري من غرب أوروبه الى المشرق مارا صصر •وكان يستغله التجار اليهود ((٥) • ويتحدث ابن خردازية أحد جغرافيي القرن التاسم الميلادي عن هذا الطريق البحري الهام ، فيذكر إن هؤلاء التجار اليهود غالبيتهم من جنوب فرنسا ، وأنهم كانوا يتقنون اللغة العربية ويقومون بدور الوسيطاء لنقل التجارة الى أسوان أو أوروبا ، وأنهم كانوا يسافرون من الشرق الى المعرب ومن المغرب الى الشرق برا وبحراء يجلبون من الغرب الخدم والجواري والغلسان والديساج والجلود

⁽١) أبن رسته : الأملاق التنبسة ، ص ١٦٧ ، ١٢٨ ، ١٧١ : ١٧٨ الدأمة بن جمار 4 من ١٩٧ .

⁽٢) متر : الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

۱۵۰ ــ ۱۵۱ ــ ۱۵۱ ــ ۱۵۱ ــ ۱۵۱ ...

⁽٤) ابن خردانية : حن ١٥٤ -

⁽o) ابن غردانبة : من ١٥٤ .

والغرف والغراء والمسمور والسيوف ، ويركبون من فرقعة في البحر الغربي غيفرجون الى القرما يحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم ، المربي غيفرجون الى القرم المربي يركبون البحر الشرقي من القلزم الى جلة ، ثم يعضون الى المسنك والهود والكافسور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي ، حتى يرجموا الى القرم ثم يحملونه الى القرما ، ثم يركبون في البحر فربما عدلوا يتجارتهم الى التسطيفية غياعوها من الروم وربما صاروا الى ملك الفرنجسة فيبيعونها هناك ه

ويبدو أن هذه المقامرات التجارية لم تقف عند حد فقد عنر فى اسكندفاوة وفى السويد خاصة على الكثير من التقود الاسلامية تحسل تقوشا يرجع تاريخها الى الفترة بيناواخر القرنالسام وأول الحادى عشر وهذا يدل على أن ميدان المعاملات التجارية وصل الى هذه الآفاق الهيدة ، كما وجدت تقوش مشابهة على طول مجرى فهر الفخولجا ، وهذا يؤيد ما تشير اله المصادر الآدبية من امتداد تقساط المسلمين التجارى الى بلاد البلقان عبر بعر الخزر والبحو الأسود ، وقد سبق أن اشرا الى الاحتمام العبامي بالطريق البحرى الحار ببلاد الهند المنتهى الى الصين والى ازدياد أهميته فى النصف الأول من القرن التاسم المبلادى ،

وفى المصر المباسى الأول نشطت العلاقات بين العالم الاسسلامى وشرق أفريقيا وزاد اهتمام المدولة بالبحر الأحمر وموانيه و وكانت السفن تسير بحذاء السلحل الأفريقى الى بر الزنج طلبا للذهب والرقيق والماج والمعنبون وسلمت هذه الرحلات الى سفاله (١) وقد احتكر المعانبون التجارة مع بلاد الزنج وشرق افريقيا و ذكر المسمودى أن القوم الذين يركبون بعر الزنج هم عرب من الأزد من أهل عمان (١) و وكان الرحالة

⁽۱) السمودي: مروج الذهب: ج ۱ ، س ۱۵ م

⁽١٤) المسمودي : بروج الذهب ؛ ج ٢٠١ من ١٤ سـ ١٥.

المسعودى تعسمه يركب البحر الى شرق أفريقيا من عبان وقد وصد فه المرحللة وأشار الى الأهوال التى صادغها والشاق التى تعرض لها أذ قال و ٥٠٠ وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصير والروم والقازم والسن وأصابنى غيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرة ، غلم أشاهد أهوله من بحرا الزنج ولهيه السمك المعرف بالأوال طول السمكة نصو من أربعمائة ذراع بالدراع العمرية وهى ذراع ذلك البحر والإغلب من هذا السمك طوله مائة ذراع ، وربعا يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء غيذهب الماء في الهو أكثر من مهم السهم و والمراكب تفزع منه بالليل والنهار، وقضرب له بالدبادب والغشب لينغ من ذلك ؟

وقد أدت هذه التجارة الدولية المظيمة إلى نشأة موانى اسلامية ذاع مستها واكتسبت شهرة عالمية وازدهمت بالسفن المسادية والرائحة داع مستها السلع و وأقام بها الغربه ونشأت بها المنظمات المسرفية والمجركية و وكانت الاسكدرية أهم موانى البحر الأبيض المتوسط ، تنقل اليها التجارة الآتية من أوربا إلى البحر الأحسر وكذلك التجارة الآتية من الدرق إلى أوربا ه أما فى البحر الأحسر فقد ازدادت أهميسة القائم المتى تنتهى اليها تبارة الشرق الأقمى التى تريد عبور برزخ السويس إلى البحر الأجر فقد الرائع برائح السويس الى البحر الأبيض المتوسط (أ) ه

ثم عبداب على الساحل الغربي لهذا البحر ، وأصبحت من أهم المراكز التحارية في ذلك الوقت ، فكانت ترد اليها السنة الوافدة من العبشة وزنجار واليمن ، وكانت البضائع تنقل من عبداب على الابل الى أسوان ، ومنها تنقل الى القاهرة بالنيل (") وكانت مقصد المجاج المصريين الذين يعبرون البحر الى جسدة ،

وفي أقصى الجنوب عند مُلخل البحر الأحسر وضحت أهمية بعدن

⁽١) ابن خردانية السالك والمالك ، ص ١٥٤ .

⁽٢) متز : المحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢١٩ -

كنقطة ارتكاز بين الهند والصين ومصر و وكانت ترد الها السفن المصلة بالمسلع الأسيوية والأوربية مما أدى الى انتماش التجارة وتدخق الأموال عليها و يذكر المقدسي (١ و أن من الساس من دخلها بالله درهم فرجع بالله و بالله و و و في الخليج بالله ديار و منهم من دخلها بيائة فرجع بخسسائة » و وفي الخليج المفارسي ظهرت أهمية سيراف التي أصبحت أعظم المنصور المساجرة مع الشرق الأقصى (٢) وارتفع مستوى الدخل فيها بسبب تدفق الأموال و يذكر الاصطخري أن أهل سيراف كانوا بينون بيوتهم من طبقات عديدة و يستغلون في ذلك خشب الساج الغالي الشن الذي كانوا يجلبونه من صاحل مالابار وبلاد الزنج وبالفوا في الاتفاق على دورهم حتى أن احدهم حتى بيت المساح المهرة (١) وكان التجار يضلونها على البصرة (١) شم ميناء البصرة و وانكانت السفن لاتستطيع بلوغها غترسو في الأبلة،

وكان من آثار هذه التجارة العالمية أن نشئا أسلوب جديد في المحاملات المحالية ليواجه همذه الحركة الكبيرة والأموال المتدفقة بين الشرق والفرب و وجد وسائل للدفع مأمونة من الضياع خفيفة العمل بمعيدة عن اللصوص (1) هنشا النظام المصرف ولجنا كثير من النساس لأصحاب المصارف لحفظ أموالهم وتيسير معاملاتهم التجارية بسبب ذلك النشاط التجارى العظيم الذي أسنر عن ظهور طبقة من التجار الأثرياء الذين امتد نشاطهم الى جميع الأمامار الاسلامية ، بل وصل الى بمخف الدول المحاصرة • كما لجأت طائفة من كبار الموظفين من الوزراء والكتاب الى التماس مكان أمين يحفظون فيه ودائههم • هذه المصارف كان يديرها رجال ذوو غبرة ودراية يسمون الجهابذة وكانوا الما من كيار التجار أو من الصيارفة (2) • ويبدو أن نظام الصيرفة هذا قد ظهر

⁽١) أحسن التقاسيم: من ٢٦١ ،

⁽٢). متر : ج ٢ ٤ ص ٢٣٤ ٠

⁽٢) القديمي : من ٢٢١ . (٤) متر : ج ٢ ٤ من ٣٧٢ .

⁽٥) ذكر تأسر خسرو . انه كان بسوق السرائين بديسة أمسفهان هائدا صرائه وكانوا جميما يجلسون في نسوق يسمى سوق المرائين ، انظر: جنز : ج ٢ ؟ من ٧٧٠ .

فى عهد المنصور فقد أودع أبو الحسن على محمد بن الفرات بعصرف هارون بن عمر ١٦٥ ألف دينار • وكانت الكوفة من اعظم المدن شهرة بالميرفة وأمورها • وفى بداية المصر المباسى كان معظم الصيارفة من أهل الذمة • وقد التخذوا مكانا خاصا بالكرخ وسامرا وكان يطلق على هذا المكان سوق الجوهرين والصيارفة •

ولعبت السخاتج والمحكوك دورا كبيرا في المساملات المسالية (١) والسختجة خطاب تذكر فيه قيمة معينة من المسال قابل لأن يصرف في أي مكان من عملاء وجهابذة الشخص الذي حرر السختجة ، وكانت النقود المذكورة في السختجة تدفع في أي بلد وكان من السهل أن يحملها التاجر عبر الطرق الطسويلة وهسو آمن مطبئن ، بل كانت آموال الجباية من الولايات ترسسل الى المراق بهذه الوسسيلة ، ومما يدل على توطيد الملاقات المتجارية بين المالم الاسسلامي وبين أوروبا أن سسفاتج التجار المسلمين كانت تصرف في البلاد غير الاسسلامية ، الأمر الذي يدل على النظام المسالي المستنب والثقت الموفورة بالاقتصاد الاسلامي ، ولهسذا النظام المسالي المستنب واشتاء الموفورة بالاقتصاد الاسلامي ، ولهسذا النظام المسالي مبيعاتهم ومعاملاتهم

أما الملك لهبو عبارة عن ورقة مالية تثبت لهيها قيمة دين أو قرض أو استحقاق مالى له أجل معين (٢) • وقد استخدم في المعاملات المسالية بين الأقراد في كافة أفحاء العالم الاسلامي (٢) • وكان الجهابذة عرفون قيمة هذه المسكوك لأصحاب الأموال التي أودعوها عندهم لقاء رسسم معلوم ، أشار أبن الأثير في حوادث سنة ١٧٥ هـ أن الهادي أمر لندمائه

⁽۱) الجهشياري : الوزراء ، ض ١٠٩ -- ١١٠ .

 ⁽۳) الدورى: تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ۱۲۳ - ۱۲۳ .
 (۳) يَذَكُر ابن حـوقل انه رأى بأودغشت صكا باثنين واربعين الف

 ⁽۳) یقکر ابن حــوقل آنه رای باودغشت صکا باتنین واربمین آنه
 دینار بدین علی محمد بن آبی سعدون بن اهل سجلهاسة ارجل بن اهلها.
 وقعد شــهد علیه العدول ، ابن حوقل ، ص ۲۶ و ۷۰ .

مثلاثين ألف درهم وكتب صكا ليصرف من بيت المال (١) . هذا وكانت التجارة تجمري وفق تنظيمهات مالية معينة • ومن أهم الأنظمة التي استخدمت في ذلك الوقت ظام السمسرة أو الدلالة وكانوا يحصلون من عملهم هذا على أجور محترمة ،" وكانت عقود الشراء تتضمن شروطا معينة كتحديد السمر وتحديد موعد الدفع إذا كان البيع نقدا أو موعد الأقساط اذا كان الدنمع مؤجلا • كذلك تصديد نوع البضاعة وصفتها وتحديد الكمية المتعاقد عليها • واذا تمت شروط الصفقة كان لا يجوز أن تلغي ، اللهم الا اذا تبين المشترى وجود عطب في السلعة أو أنها غير مطابقة للمواصفات التي تضمنها العقد ، واستخدمت العقود والسفاتج والصنكوك في شراء السلع ، وكان من الجائز أن ينيب كل من البـــائم والمشميري عنه وكيلا عنسد كتابة العقد اذا تعذر على أطراف التعماقد الحضور . وقد أدى ذلك كله الى قشاط ملحوظ بين الجهابدة وأصحاب المصيارف ٠

هذه التجارة الفنية كان من الطبيعي أن تزيدٍ من دخل الدولة تتيجة للمكوس التي تفرض على السلع المتبادلة بين الأســـواق العالمية • فكان النجار القادمون من الهند والصين يدفعون العشر (أ) . وكانت التعريفة الجمركية تختلف من بلد الى آخر ، هفى جدة مثلا كان يؤخذ عن كل حمل من العنطة نصف دينار ، وعلى سفط الثياب ثلاثين دينارا ، وعلى سفط الديبقي ديناران ، وعلى حمل الصوف ديباران ، وفي القلزم كأن يؤخذ عن كل حمل درهم • وفي الاسكندرية كانت تفرض المكوس على السيفين القادمة من المغرب • ومن الفرما تحصل المكوس من السفن القادمة من الشمام () ٠

وكانت الرسوم الجمركية في عدن ربما أكثر ارتفاعا اذكانت الدولة `

⁽١) ابن الأثير : الكابل ، جه ، اس ٢٥٠ .

⁽۲) الیعتوبی: ج ۲ ، ص ۳۰۸ ، (۳) المستنبی: ص ۲۲۳ ،

تنجيبي ثلث أموال التجار بسبب الأرباح الطائلة التي كانوا يحصلون عليها وفي المسراق أقيمت المراصد في البر والبحر والنهر و وفي البصرة كان يُجرى تفتيش دقيق حتى لقد كان يُرخ خد على السلمة البسيطة أربسة دراهم (۱) ، وفي حي اليهودية وهو القسم التجارى من أصنفهان كان يُرخ خد على المحل على المحل يمشقة دراهم أذا دخل أو خرج ، وعلى الرقيق النا عشر وكانت الدولة تفرض رسدوما على المصادرات ، فقد اقترح أبو يوسف على الرشيد أن يرفع الظلم عن المارين بالمصالح ، وأن يحول دون جور الممال في تحصيل ما لا يجوز تحصيله ، ولمل ملاحظات أبي يوسف كانت نتيجة للتوسع المطلم في التجارة الدوليه ، وهو توسع لم بقابل على ما يبدو باصلاح دقيق للجهاز الجمركي، لهذا اقترح على الرشيد كان يولى المكوس قوما من أهل الصلاح والدين ، وأن يامرهم بعململة الناس بالحسني فلا يأخذون من الناس أكثر مما ينبغي ، كما إشمار على الرشيد الرشيد أن يتفقد أعمالهم وأن يعزل الفاسد منهم (۲) ،

كان من أثر تلك النهضة الاقتصادية الشاملة أن نعت موارد الخلافة وزاد ايراد بيت المسال و وقد أورد الجهشيارى فى كتابه تاريخ الوزراء وثائل تاريخية عظيمة الأهمية تشير الى جانب من جوانب موارد الدولة وأهنى به الخراج و وهمذا طبعاً بصرفى النظر عن المسوارد الأخرى وواذا أضغنا الى هذه القوائم المنقولة عن ديوان الغراج ما ورد فى الطبرى واذا أضغنا الى هذه القوائم المنقولة عن ديوان الغراج ما ورد فى الطبرى من اشارات الى أموال الخلفاء وثروانهم لتبينا كيف كانت الدولة عند شامعا فقدة فى مواردها ، فقد دوى الطبرى (٢) و آن آبا المساس علم المساح خلف تركة لا تعدو أن تكون تسم جباب وأربعة أقصمة وخصسة مراويلات وأربعة طالمة وثلاثة مظارف خز و على أن الفضل فى تنمية در مصرفه يرجع الى آبى جعفى المنصدور ، فقد ترك ثروة قومها

⁽۱) المقسدسي : ص ۱۳۳ - ۱۳۶ .

⁽١) ابو يوسف : الفراج ، من ١٣٢ .

[«]١٥٤ ص ١٥٤ ·

الثروة الخلافية وصلت الى أقصى ما أمكن أن تصل اليه في عهد الرشيد. فقد ذكر بعض المؤرخين أن الجياية بلفت على عهد الرشيد في كل سسنة نحوا من ٥٠٠ مليون درهم من الفضة وعشرة ملايين دينار من الذهب ، وأسرف بعض المؤرخين في المبالغة تصويرا منه لهذه الثروة الطائلة التي تعِممت للدولة في عهد الرشمييد ، فذكر أنه لكثيرة العباية كان الخراج الذهب • والحقيقة تتبينها من الاحصاءات التي اعتقاها الجهشياري وهي احصاءات لا شك أنها معاصرة وقيمة ومفيدة ، وخصوصا القائمة التي وجدها في كتاب وضعه أبوالفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب. في أخبار خلفاء بني العباس، وهي بخط أبي الفضل قسمه وهي تشسير الى مقدار الجباية زمن الرشيد وهي على هذا النحو • من المين •ه مليون دينار قيمة الدينسار ٢٢ درهما فكأن الجملة بلفت على حد تقدير المؤلف ٠٠٠ر٣٥ر٥٣٥ درهما ، أما الورق فقه بلغ مِ٠٠ر٨٠٨ر٤٠٤ فتتكون جملة العين والورق ٥٠٠٠ر٢٠٥٠٠ درهما وهي جملة موارد الرشيد . من الخراج • فقد ناقش الدكتور الريس (٢) هذه القائمة وصور بعض ما ورد فيها من أخطاء فقهد رأى أن حاصل ضرب ٥٠ مليون دينهار ف ۲۲ درهماً يساوي ۱۱۰۰ مليتون • كما أن مجمسوع العسين والورق بخالف المجموع الذي انتهى اليه الجهشياري ، غاذا جمع مقدار العين يوهو ٢٠٠٠ر٢٥٥٥٥٠ الى الورق وهو ٢٠٠٥ر٢٠٤٤ لكان العاصيل ٥٠٠٠ر ٢٤٠ره والحقيقة التي نستخلصها من وثائق العهشياري بصرف النظر عن بعض الأخطاء في تفاصــيلها أن ثروة الخلافة بلفت الذروة في شهد الرشيد ، العهد الذي حلت فيه المشاكل وخفت صوت الثورات ، ومنح الولاة سلطات واسعة ، وكبح جماح الخطر البيزنطي ، وتم التفاهم مع الفرنجة وتجمعت كل مقومات الاستقرار • وبرغم الفتنة بين الأمين

⁽۱) مروع الذهب ، ج ۲ ، من ۱۷۵ ه. (۱) الشراع : من ۱۹ م – ۲۰ ه

والمائمون وما تحملته الخزانة من خسائر جسيمة ، ورغم محاولات المسأمون التخفف من الأعباء التي غرضها نظام المقاسمة الذي وضعه المهدى والتكاليف الكبيرة التي تصلتها الدولة في عهده ، وما أشار الية الطبرى (١) من شكوى المنامون من اقلة المنال ، الا آن قوائم الخراج من عهد ألمسأمون تشير الى أن الصورة التي رأيناها في عصر الرشسيد لم تتغير كثيرا • وقد نقل الدكتور حسن ابراهيم (١) قائمة للجباية من عهد المـــأمون تقلا عن ابن خلدون ، يتبين منهـــا أن دخـــل الدولة من الخراج بلغ ٥٠٠٠ره٥٨ره٣٩ درهم • ويبــدو أن النفقات تزايدت قليلا في عهد المعتصم فبلغت حصيلة الخراج ٢٥٥٠ر٢٩١ر٨٣٨ (١) واستعر هذا التناقص حتى بلغ الخراج في عهد الواثق ٢٩٥٥٢٥٥٥ درهما . ولم يكن هذا الدخل بالقليل على أيه حال ، وظلت الدولة غنية سواردها محتفظة الى حد كبير بثروتها .

وكانت الخلافة فوق هـــذا كله تملك موارد أخرى هامة ، ملكت مساحات من الأرض الزراعية سميت الضياع السلطانية ، وهي الضمياع التي غنمها العباسيون بعد أن تم لهم القضاء على الدولة الأموية وهي المعرومة بضياع آل مروان • وقد أشار البلاذري الى أنه عند ولهاة مسلمة بن عبد اللك آلت بالس وضواحيها لورثته وظلت ملكا لهم حتى قيام الدولة العباسية ، واستولى عبد الله بن على على أموال الأمويين كلها ومنها هذه الضياع . وقد أعطاها السفاح اقطاعا لسليمان بن على ثم آلت الى لبنه محمد(١) • أما رصافة هشام فقد آلت الى أمجعفر نهيدة فتت بها القطيعة المنسوبة اليها ، كما تم الاسستيلاء على بحيرة الطريح ، و النت ملكا لمروان بن محمد . هذا بالاضافة الى ما كان من ضياع مسلمة ابن عبد الملك التي استولى عليها المباسيون ، واستولت الدولة كذلك

⁽۱) ج ۱۰ کش ۲۹۳ . (۲) النظم الاسلامية ، مس ۲۹ .

⁽٣) الدكتسور حسن ابر اهيم : النظم الاسلامية ، ص ٢٩٣

⁽٤) البسلاذري : متسوح ١٥٧ سـ ١٥٨ .

على اقطاعات كافت ملكا الأبناء هشام بن عبد الملك و وهكذا استولى الخلفاء العباسيون على أرض واسعة في العراق وبلاد الغرس و وقسد عهد أبو العباس السفاح بعد توليه الخلافة الى عمار بن حمزة بن ميمون بالاشراف على هذه الفسياع وحصرها (١) وازدادت أراضى الخلافة عن طريق الشراء أو المصادرة أو الغنائم ، كما استولت على آرض واسمة من طريق نظام الالجاء ، فقد كان بعض ملاك الأرض يسلمون أراضيهم الى الخلفاء لحمايتهم من عسف الممال و وأنشئت عدة دواوين لادارة هذه الفياع و كافت كل ضيعة أو مجموعة من الفياع يعهد بها الى عمال يديرونها ، وكافت كل ضيعة أو مجموعة من الفياع يعهد بها الى من المال يدفع لبيت المال سنويا (١) ،

وقسد بدأت الخلافة منذ عهد المنصور تصادر أموال كبار رجال الدولة كنوع من العقوبة ، وكانت مصادرة أموال البرامكة من أشسهر المصادرات في عهد الرشيد ، وقد بلغت قيمتها ٥٠٠,٢٧٦,٠٠٠ درهم ، كما صادر الرشيد أموال على بن عيسى بن ماهان بعد عزله عن خراسان وحمل من ذلك على ٨٠ مليونا من الدراهم ().

ولما قامت العرب بين الأمين والمامون صادر الأمين ممتلكات أشيه واتبع المامون سياسة المصادرة بعد أن ولى الخلافة • كما صادر المستصم آملاك وزيره أبى العباس الفضل بن مروان وحصل على مبلغ كبير من المال ، وتوسع الوائق في سياسة المصادرة فصادر سنة ٢٣٩هـ أموال عدد كبير من كتابه وعباله •

هكذا أصبح خلفاء العصر العباسي الأول أغنى الملوك الذين عرفهم عالم العصور الوسطى •

 ⁽۱) الجهشيارى : الوزراء › ص ۸۹ - ۰۰ .
 (۲) كان الوزير يتولى الإشراف على جميم هـذه الضياع نظير ١٧٠.

الف دینسار ، انظر الجهشیاری ، ص ۲۸۲ و ۳۵۱ . (۱) طبری : ج ۱۰ ، ص ۱۰۰ .

هذه الموارد العظيمة وهذه الثروة الخيالية كانت من أمضى أسلحة الخلفاء في تحقيق مشروعاتهم في السياسة الداخلية والخارجية ، وانجأز مشروعاتهم المدنية كتأسيس يغداد وسامرا ، ومشروعاتهم السبكرية ، وكانت هذه الثروة في الحقيقــة كثيرة ، للقدرات العظيمة التي رأيناها متمثلة في المنصور وخلفائه ، وقد استغلت هذه الأموال أيضا في كسب الأنصار وتأليف القلوب وتجنيد الجند، لم يبخلوا بأية نفقة مهما عظمت في سبيل اعداد الجيش وتدريبه ليكون سسندهم في قمع الثورات في الداخل ومجابهة الأخطار في الخارج ، ونامح في أخبار العصر العباسي الأول ما يؤيد هـــذا القول ، فقد أنفق المنصور في اعادة بنــاء حصن ملطية سنة ١٣٩ هـ مبالغ طائلة ، كما أن مشروعاته في تأكيد الســـلطان المركزي للخـ لافة في بلاد المغرب كلفت لعوا من ٦٣ مليون درهم . واستمر الخلفاء يوالون الحصون والثغور بالتعمير ، فأعاد المهدى بناء قلمة الحدث بالجزيرة ، كما أنفق الرشيد الكثير في بناء وترميم حصسن زبطرة وفي اعداد الحملات التي سيرها لقتال البيزنطيين • وقد زادت تفقات الحرب في عهد المعتصم زيادة كبيرة حتى قيل ان نفقات معاربته بابك الخرمي بلغت مليون دينار فضلا عن النفقات الطائلة التي انفقها في محارية السير تطين .

وقد ســـبق أن أشرنا الى انفاق الإموال الكثيرة فى حفر الأنهــــار وانجاز مشروعات كبرى للرى أسهمت فى زيادة الانتاج الزراعى •

وأعطيات الخلفاء ومنجهم تستحق من الدارس لنفقات الدولة مزيدا من التأمل ، فقد بلغت من الكثرة حسداً يعطى من يحكم بظواهر الأمور العقق في أن يرمى هؤلاء الخلفاء بالاسراف الذي قد بلغ حد الهوس ، ولكن الحقيقة أن ذلك كله لم يكن هوسا أو تبذيرا ، انما كان انفاق مال تحقيق أهداف وسياسة ، يؤيد هذا القول وجهسة نظر المهدى في القاق الأحوال الطائلة التي جمعها أبوه حتى فرغت يبوت المال ، مام أبو حارثة الهندي خارثة الهندي خارق بيت المبال فرمى المقداتيح بين بديه وقال :

ما معنى مفاتيح نبيوت فرغ ما بها(١) • وروى الجهشياري(١) أن المهدي أراد أمرا فقال له يعقوب بن داود : هذا يا أمير المؤمنين السرف ، فقال. المدى : «ويلك ٥٠ وهل يحسن السرف الا بأهل الشرف ويلك يايعقوب لولا الاسراف لم يعرف القل من الكثر » كان لابد من أن يتألف الناس. وقد وضمحت هذه السياسمة نمنذ قيام الدولة ، فقمد منح الخليفية أبو العبـاس أحد كبار العلويين ويدعى عبـــد الله بن الحسن مليونا من الدراهم ، وبلفت عطايا ســـليمان بن على خمسة ملايين درهم ، كذلك منح المنصور معن بن زائدة الشبياني عشرة آلاف درهم لجهوده في قمع الراوندية ، وكان المنصور كثيرا ما يمنح القواد الذين يحضرون مجلسه. ويقال انه أطلق لهم في يوم واحد مليون درهم • وأنفق المهدى الكثير ، غمين هج سنة ١٦٠ ه أنفق على أهل مكة ثالاثين مليون درهم • وقسد جلس المسدى للعطاء مرة فبي خاصــة أهل بيته وقواده وكان حين تقرآ عليه الأسنماء يأمو بالزيادة العشرة آلاف والعشرين ألف (") • أما الهادي فقد أمر لعيسى بن مسميرة بثلاثين ألف دينسار (¹) . وكذلك توسم الرشيد في انحداق العطايا والمنح ، وكان اذا عفا عن شخص أطلق أله الأموال ، فلما أطلق سراح يحيى بن عبد الله للعلوى منحه مائة الف دينار وزاد صلات الشعراء فبلغ ما حصل عليه أحدهم أربعين ألف دينار ٠ وكان الرشيد في الحقيقة كثير الانفاق حتى لقد قيل عنه آنه كان يقتفي أثر المنصور ويطلب العمل بآثاره الا في بذل الأموال (") • ولما توطدت سسلطة المأمون كثرت أعطياته لرجاله ، ففي سنة ٢١٣ هـ ولي أخاه المعتصم الشام وابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم ، وأطلق لهما ولعبد الله بن طاهر مليونا ونصف مليون من الدنانير ، كما توسم في اعفاء. قدمائه ، فقى سبئة ٢١٨ هـ متح محمد بن عباد بن المهلب ثلاثة ملايين منى.

 ⁽۱) المسمودي : بروج الذهب ٤ ج ٢ ٤ من ٢٤٨ -- ٢٤٩ ه

⁽٢) الوزراء والكِتاب ، ص ١٥٩ .

⁽٣) الطبرى : ج ٩ ٤ من ٣٣٧ . .

٠(٤) الطيري ﴿ ج ١٠ ٤ ص ٢٤ ١٠ ٢٠ ١٠

⁽٥) المقد الفريد : ج ٣ ، ص ٢٦١ ،

الدراهم ، كما أعطى جنده وحاشيته في دمشق عشرين مليون درهم ، وأعطى الحسين بن سبهل عشرة ملايين من الدراهم ، وحينما هيزم الأفشين بابك الخرمي منحه المنتصم عشرين مليونا منالدراهم ، كما أعطى الوائق سنة ٢٣١ هـ وصيفا المخادم ٧٥ ألف درهم بعد أن قضى على ثورة الأكراد بالجزيرة ،

ولا يمكن أن يختم القول في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول دون الاشارة الى حقيقة هامة ، وهي أن الثورة العباسية التي فتحت الطريق أمام جماهير الموالي الذين إيدوا الثورة وعملوا على نجاحها في العمل السمياسي ، فوصلوا الى أرفع المناسب وتولوا القبادات السياسية والعسكرية ، فتحت أمانهم نفس السبيل في المجال الاقتصادي، وقد رأيناها تسقط القيود التي وضعها الأمويون الأواخر ، وتخفف عن الفلاح عب الخراج وترفع في مستواه وتعملي العمال في المدن الكبرى عرباتهم المدنية وتزيح من سبيلهم كل العقبات ، ولكن طبقات أخرى غير طبقات العمال والفلاحين استغلت هذا الميدان المفتوح دون قيد ، غاطلقت هيه الى الفساية ، وأغادت من النهضة الاقتصادية المطليمة وظهرت اقطاعية عظيمة بعيدة السلطان تملك المساحات الواسعة من الأرض في المراق أو الأمصار وتستعل هذه الأرض لصالحا وتستدر منها أعظم الثروات ، وكذلك نشأت طبقة رأسمالية أخرى في الناحية المساية .

وقد أقطع أبو جعفر المنصور بعض أعيان دولته قطائع من الأرض ليممروها ويستكنوها مكافأة لهم على ما قدموه من خدمات جليلة ، وسرعان ما عمرت هذه القطائع واتسع نطاقها وازدحمت بالسكان وأصبحت كل قطيعة تعرف باسسم الرجلي أو الطائفة التي تسكنها ، والمرحكة في عصر الرشيد احتازوا الأموال دونة واستولوا على القرى،

والفسياع من النواحى والأمصار في سائر المالك ، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل كان للنسياء والمحقيات اقطاعات جبها لهم الخلفاء والمقتصر المقطعون على تدبير أملاكهم عن طريق غلمانهم ووكلائهم ووكان من أبرز عيوب هذا النظام أن المقطع يصل على الاثراء ويجمع الأموال الكثيرة ، وليس أدل على ذلك مما وصل اليه البرامكة فقد عمروا مرافق أموال العباية ، وتحدث الماوردي (أ) عن هذه الاقطاعات وقسمها الى أموال العباية ، وتحدث الماوردي (أ) عن هذه الاقطاعات وقسمها الى القطاع التمليك ويعنى أنه صاحب الأرض يملكها مقابل دفع العشر من انتاجها سنويا ، وكان المخلفاء العباسيون يقطعون أنصارهم أحيانا من المأرم ، ثم اقطاع الاستغلال ومناه أن الأرض يمنحها الخليفة المؤرث بمنحها الخليفة مدينة دون أن يملكها صاحبا أو يورثها وينتهي حق الاستغلال سوته، خنام الاستغلال مدينة منظم الاقطاعات في العصر العباسي الأول تعطى الأصسحاجا وفق خناام الاستغلال هذا ،

واختلفت الاقطاعات حسب الأفراد الذين منحت لهم ، فقد منحوا الاتطاعات للرجال المقريين اليهم مكافأة على أعدال قاموا بها أو رغبة في تكريمهم ، فأعطيت الشهراء والأهراء وعلية القوم كاقطاع تعليك ، وقد أقطع المنصور ابنه صالحا اقطاعا من هذا النوع قرب الأهواز كما أقطع المهدى أغراد حرسه الخاص اقطاعات زيادة على رواتبهم مكافأة لهم ، كذلك أقطع الرشيد عبد الله بن المهدى بعض الأراضي بنطقة الأهواز ،

وكان صاحب الاقطاع يسين الفلاحين العاملين في زراعة أرضه ويمدهم . والبذلور وينفق على حفر القنوات وصيانة الأرض •

وقد منح الخلفاء العباسيون بعض الاقطاعات الخاصة يعقنضى نظام الايفار فاقطعوا بعض المقربين اقطاعات واسعة مقسابل مبلغ من المسال

١٦٨ - ١٦٨ السلطانية : ص ١٦٨ - ١٦٩ .

لا يرتبط بنسبة العشر أوالخراج المقرر على الأرض وسميت هذه الأرض لليفارات ، ومنحت الاستخاص من ذوى النفوذ فى العجاب التي يسودها الاضطراب أو تقل عوائدها (() ، كما منح الخلفاء العباسيون القطاعات من أرض الصوافى التي كان يملكها أكاسرة الفرس وأهراؤهم ثم هجرها أصحابها أو قتلوا ، وثمة نوع آخر من الاقطاعات يسمى بالاقطاعات المدنية وهي أرض يقطمها الخلفاء الوزراء والكتاب والموظفين مقابل الروات أو كبديل للنفقات التي يستحقونها بحكم عملهم في خدمة الدولة ، وهناك الاقطاعات المنسكرية التي تقطع للقواد منذ عهد المنصور فقد عرض وزيره أبو أيوب الموراني على أحد القراد سنة ١٣٧ هـ مدنية كسكر ، كما أقطع المهدى القطاعات لحرسه الخاص ، وأقطع المهدى والرشيد جند الشور قطائع في أرضها وكذلك فعل المامون والمهتم ،

ثم طبقة التجار المياسير الذين أفادوا من التقدم التجارى الذى أشرنا اليه وركبوا البحار وجابوا الأسواق وسيروا السفن لحسابهم ، وكان لهم الوكلاء والمخازن فى كل مكان ، والذين كان فى مقدورهم أن يصولوا ملايين الدراهم ويوقعوا من المقود ما يقوم بالملايين ، وعاشدوا الما فى العاضرة بغداد أو فى حواضر الأقاليم أو فى الموانى الكبرى عيشة الترف والنعيم ، وأصبح التاجر الفنى هو ممثل الحضارة الاسلامية التى صارت من الناحية المادية كثيرة المطالب ، ويسدو أن بريق التجارة والمستغلين بها كان شديدا بسبب الأرباح الطائلة التى عادت عليهم ، فنك أن بدر بن حسنويه كان يلى منصبا من ارفع المناصب فى الدولة ولكنه لم يترفع عن أن يشترى خانا بمدينة همدان ويقيده باسمه ويقيم م فيه ويبيع ما يشتريه من الأمتمة ، وقد ربح من وراء ذلك ١٩٠٠٠٠٠٠

لكن الأمر الذى لا يُعتقر بحيال الخلفاء فى العصر السماسي الأول هو أفهم لم يطبقوا المبادىء التي طبقوها فى الحياة السياسية على النواحي

١١) الريس: الخرَّاج ، من ١٨٧ .

انسانية والاقتصادية ، ففي الوقت الذي كبتوا فيه عناصر الموالي الصاعدة وألزموها حدود الطاعة للخلافة وحافظوا على قدرتهم وفعاليتهم ، اطلقوا لعناصر الموالي العنان في المجال الاقتصادي فبرعوا فيه وسيطروا عليه وتملكوا ثروات البلاد سواء في الحاضرة أو الريف ، وتألف منهم طبقة ممتازة هابها الخلفاء ورجال الدولة ، وشهد المصر العباسي الأخير تحولا رأسسماليا خطير النسان وانقلبت برجوازية الأمس الى رأسمالية طاغية متحكمة شديدة المسحلوة أدت الى اغتلال النوازن الاقتصادي ، وأوجدت بهونا شاسعا بين طبقات المجتمع الأمر الذي أدى الى مزيد من الثوران ذات الهدف الاقتصادي ، ولو طبق العباسيون نفس المبادي، التي طبقوها في معال السياسة وفرضوا القيود والضوابط على هذا التحول الرأسمالي معال السياسة وفرضوا القيود والضوابط على هذا التحول الرأسمالي واتخذوا سلطات الدولة وسيلة لزيادة مستمرة في ارتفاع مستوى المطبقات العقيرة العبامي شأن آخر ،

٢ ــ الحياة الاجتماعية:

ان دراستنا للعياة الاجتماعية في المهمر العباسي الأول لن تكون بالدراسة الشافية اذا قصرناها على بعداد وحدها وما شهدته من حياة اجتماعية متطورة ، أو على الخلفاء ورجال الدولة وحياتهم الخاصة ولهوهم وشرابهم وطعامهم ولباسيم ومجالس أنسهم ، كما لا يمكن في مثل هذا الحيز الفيق الذي تتناول فيه الحياة الاجتماعية كصورة من الصور العديدة التي شهدها المصر العباسي الأول أن نعرض لأدن التفاصسيل الاجتماعية في مجتمع عظيم متزامي الأطراف كالمجتمع الاسلامي في المصر العباسي الأول ،

لذلك أفضل أن ننظر الى موضوع العياة الاجتماعية من الفسالزوايا التى نظرنا منها الى أحداث العصر العباسى الأول كلهما ، وأن نركز على المتطورات الهامة التى أحدثتها الثورة وخلفتها ظروف العصر ، وخاصـة

⁽۱) آدم منز : ج ۲۰ ، ص ۲۲۴ .

التطورات الاقتصادية وصدى هذه التطورات فىالمعالم الاجتماعية للعصر العباسي الأول كله •

أهم معالم التطمور الاجتماعي ما جاء نتيجه حتمية لمسا سسبق أن عرضنا له في دراسة الحياة الاقتصادية ، وما لاحظناه من انطلاق اقتصادي عظيم وما أدى اليه هذا الانطلاق من مظاهر التحول الرأسمالي وارتفاع مستوى الدخل ، وماتتج عن ذلك كله من امتلاك الخلفاء لثروات خيالية. وغنى الدولة بصورة غريدة ، وما جمعته البيروقراطية الحاكمة من وزراء وكتتاب وقادة وولاة من دخول عظم قدرها أودعوها المصارف ووظفوها في المشاريع التجارية ، وما كان من نشأة طبقة وسطى جديدة قوامها العمال الذين أحرزوا الثراء وصفار الملاك الذين اتسعت دائرة أعمالهم ، ثم ما أشرنا اليه من تحول الطبقة البرجوازية القديمة الى اقطاعية عظيمة السلطة في الريف ورأسمالية عظيمة الأموال في المدن والحواضر. ولم تنكن تلك ظواهر قاصرة على بغداد والعراق وحدهما انما امتد آثوها الى الأمصار الاسلامية • وكان الأفراد العاديون يستطيعون أن يحيوا حياة كريمة • وقد أشار آدم متز (١) الى أن الأسرة العادية في عهدالرشيد كان في مكنتها أن تعيش من دخل لا يتجاوز ثلاثمائة درهم في السنة ، وأن الأسرة التي كان دخلها فحوا من سبعمائة دينار في السنة كانت تعتبر أسرة شرية أقرب الى الطبقة المتازة منها الى الوسطى • وكان أثرياء الناس وأبناؤهم سواء في الحضر أو الريف ينفقون عن سعة في بناء الدورا أو اقتناء الجواري أو المشاركة في المشروعات التحارية .

ولنبدأ باثر هــذا التحول الاقتصادي في حياة الطبقة المتازة من الخلفاء والوزراء ومن أحاط بهم ، والولاة في أقاليمهم ، وأثرياء الناس من الزراع أو التجار .

ويبدو أن الخلافة العباسية قد تحولت الىحياة الترف والنعيم التي

⁽١) الحضارة الاسلامية : ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

يصورها أدب ذلك العصر سواء آكان أدبا رسميا أم شعبيا ، دفعة واحدة رغم امتلاكها الأموال الوفيرة زمن المنصور ، وفي حياة هذا الخليفة نفسه مصداق لهذا القول ، فقد روى الجاحظ (١) أن المنصور كان لا يظهر لمنديم قط ولا يثيب أحدا من ندمائه وغيرهم درهما ، فيكون له رسسم في ديوان ، ولم يقطم أحدا من كان ينتسب الى ملهية أو نسمك أو هزل موضم تقيم من الأرض ، وكان يتذكر اعطياته مدة لا تقل عن عشر سنوات ، وكان يستطيع أن يذكر بها من نالها وكان يقول « من صنع مثل ما صنع اليه فقد كافأ ، ومن أهمف كان مشكورا ومن علم أن ما صنع فلى نفسه صنع لم يسترهم ألى نفسه صنع لم يستبطىء الناس في شكرهم ولم يستردهم في مودتهم، ولا يتشمر من غيرك شكر ما وقيت به عرضك ، واعلم أن طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده » ه

ثم بدأ الانطلاق الاجتماعي قليلا في عهد المهدى ، يؤيد ذلك قول المسعودى « كان المهدى محببا الى البناص والعام لأنه افتتح آمره بالنظر في المظالم والكف عن القتل ، وتأمين الخائف وانصاف المظلوم ، وبسط يده في المعطاء » ومعنى همدذا بداية استقرار الدولة.وهل مشاكلهسا واستقرار أمورها ، ثم وصل هذا الانطلاق الى القمة في عهد الرشسيد والمامون والمعتصم والوائق • كان عصر مؤلاء هو عصر الانطلاق الاجتماعي العظيم لهذه الطبقة الممتازة : طبقة الخلفاء وأعوانهم وطبقة الرائسماليين ملاك الاقطاعات أو التجار ملوك المهال .

ظهـ هـ هـ فا الانطلاق فى قصـ ور الخلفـ اء والأمراء والوزراء والراراء والرزراء والرراء والرراء والراراء والراراء والراراء والراراء والراراء الخطيب البغدادى الى وصف قصور خلفاء العصر المباسى الأول فذكر أنها كانت تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين ومسطحات مظللة بالإشجار، وكانت الأروقة تسمى بالأربعين أو الستين على قدر الفلمان و وقد بنى المنصور قصر الذهب وسط بغداد وقصر الخلد على شاطى، دجلة الغربي تحجاه باب خرابسان ، وكانت جذا القصر قباب بديعة الشكل وبابوابه

مصاحير من الذهب والفضة ، كما تخللته العمد الكثيرة الفخمة وفرش بالرخام المجزع تتوسطه قضبان من الذهب وغرش بالديباج والبسطوفيه الكراسي المرصمة باللؤلؤ ، كما بنى الرشسيد على دجلة قصرا تأتى في تجميله ربما أغضم مما زين به المنصور قصره السابق ، كما بنى الواثق في مامرا عدة قصور منها قصر الهاروني (') ،

وكانت قصور الأمراء تقرب من هذا المستوى ومن أحسنها تعبيرا قصر عيسى بن على بن عبد الله عند مصب نهر الرغيل المتفرع من دجله ، وقد ذكر أن أباجعفر المنصور زار عمه عيسى ومعه أربعة آلاف رجل فاتسع لهم هذا القصر الكبير .

وكانت قصور البرامكة صورة لترف البيروقراطية الجديدة المتشبهة بالأمراء والخلفاء ، وقد روى الجهشسيارى أن بصى بن خالد البرمكى قال لولديه الفضل وجعفر «لاشىء أبقى من البناء غاتخذوا منه بيقى لكم ذكرا » وقيل ان جعفر البرمكى أفق على بناء قصر له عشرين مليون درهم.

وكانت قصور الطبقة الاجتماعية الممتازة تصور ما حازوه من ثروة وجاه • كانت دورهم ثلاثة أقسام هى : مقاصير الحرم ، وحيوات الخدم ، ومجالس السلام الخاصة بالفسيافة ، وتحيط نبها جدائق تزرع غيها المفاكمة والرياحين ، وحليت جدرانها وستقولها بالفسيفساء المذهبة والرسوم الملونة ، وأما دورهم لمقد زينت بالقباب المرفوعة على عصد دقيقة ، ويحيط بكل دار سور واحد •

ولم تكن قصور ولاة الأمصار بأقل من هذه ججة ورواء بل كانت. تقليدا لما شاع فى الحاضرة من أساليب غنية ، أشار الكندى الى قصور الولاة المباسيين فى مصر ، ولم تكن قصور الأغالبة فى تونس أو الطاهريين فى خراسان ، أو ولاة الدولة فى السند أو الحجاز أو الشام بأقل من

⁽¹⁾ الطبرى : ج ۱۱ ، ص ۱۰ .

هذا المستوى ، وكذلك كان شأن كبار رجال الدولة وأثرياء التجار وكبار المقطعين وملاك الأرض •

وكان الطعام والشراب صورة من هذا الميتوى الاجتماعي الرفيع • حفلت مائدة الرئيسيد بالوان الطعام حتى قبل ان الطهاة كانو يطهون له ثلاثين لونا في اليوم • وكان ينفق على فلمامه عشرة آلاف درهم في اليوم ولحا زف الى زييدة بنت جعفر اقيمت في قصره وليمة تكلفت خسسة وخسين ألف درهم ، وبلغت نفقة المامون في اليوم ستة آلاف ديناركان يغفق منها تعرا كبيرا على مطابكه (أ) •

وكان الأمراء يعبون من هذا السرف: قيل أن عيسى بن على استضاف الخليفة غقدم له ولاتباعه من ألوان الطعام «الخبز ولحم الجدى والدجاج والبيض واللحم البارد والحلوى » وقد بلغ من نفقتهم فى الطهى واسرافهم فى الأنفاق عليه الأن بعضهم كان يشترى مقادير كبيرة من السمك لتقديم ألسنته على المائدة (٣) » > كما روى المسعودى قصصا متشابه عن اسراف ابراهيم بن المهدى فى تقديم الطعام عندما زاره الرشيد بالرقة على المسعودى أن ابراهيم بن المهدى فى تقديم الطعام عندما زاره الرشيد بالرقة كونان يتكل الطعام الحار قبل البالد ، غلما وضعت البوارد رأى غيما قرب الله منها جام قريض سمك فاستصفر القطع وقال: لم صسفر طباطك الليه منها جام قريض سمك فاستصفر القطع وقال : لم صسفر طباطك فيشبه أن يكون في هذا الحام مائة لسان ، فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين غيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستطفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره أنه قام باكثر من مائة وخمسين ، فاستطفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره أنه قام باكثر من مائة وحمسين ، فاستطفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره أنه قام باكثر من مائة درهم (٢) » •

⁽۱) ابن طباطبا ؛ الفحرى ، ص ۲۰۷ ،

⁽٣٠٢) المسمودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ... ٢٨٠ .

روى الطبرى (١) أن عامة أهل بنداد كانوا يتغننون فى الطعام ويسرفون فى الطعام ويسرفون فى اجتلاب الوانه فى غير مواعيدها من صيد وفواكه وخضروات ، حتى كانوا يزنون هذه الأطعمة أحيانا بما يمادلها فى الوزن من الفضة • وكانوا يجلبون ألوان الطعام مثل السمك والعبين من البلاد الأخرى كفارس وعان والهند •

وكما قاد الترف الخلفاء الى الاسراف فى الطمام قادهم الى التأنق فى الملبس فى حياتهم الحفاصة والعامة • كان الخليفة فى المواكب يرتدى قباء أسود أو بلون البنفيج يصل الرج الركبة وهو مفتوح عند الرقبة ليظهر القفطان زاهيا من تحته ، وله منطقة مرصمة بالجواهر وعليه عباءة سوداء وعلى رأسه قلنسوة طويلة زينت بالجواهر الغالية •

أما الطبقة الراقية فكان لها أيضا زيها الفاخر الذي يتمشى مع ثرائها ومكانتها • كان لباسها العادي يتألف من سروالة غضفضاغة وقميص ودراعة وسنترة وقعطان وقباء وقلنسوة ، وكانوا أحيانا يلبسون الجوارب المصنوعة من العربر أو الصوف أو الجلد ويسمونها « يزاج » •

وكان لكل طائفة زيها المذى يميزها ، فالكتاب لبسوا الدراعات وهي ثياب مشقوقة من المسدد ، وكان رداء القواد الأقبية الفارسية القصيرة ، أما عامة الناس فكان رداء الواحد منهم ازارا وقميصا ودراعة وسترة طويلة وحزاما يسمى (قمربند) وكانوا يلبسون الأحذية والنمال،

وسايرت ملابس النساء نفس هذا التطور بل لعلها كانت أكثر مبالفة في الفخامة والتانق، فسيدات الطبقة المبتازة اتخذن غطاء الرأس مرصعا بالجواهر ومحلي يسلسلة ذهبية مطعمة بالأهجار الكريمة و ويقال ان هذا الزي ابتكرته علية بنت المهدى و وكان للسيدة زييدة فضل كبير في تطور الزي اذ يعزى اليها اتخاذ المعاطق والنعال المرصعة بالجواهر و وكانت

⁽۱) الطبرى: ج ١٠ ، ص ٥٢ .

تسرف في شراء ملابسها وتزييها حتى انها اتخف ت وبا من الوشي الرفيع بزيد ثمنه على خمسير ألف دينار و وقلدتها نساء الطبقة الممتازة جميعهن و أما نسباء الطبقة الوسطى فكن يتخذن في رؤوسهن حليبة مسطحة من الذهب ويلففن حولها عصابة منضدة باللؤلؤ والزمرد ويلبسن الخلاخل في أرجلهن والأساور في معاصمهن و

وثمة ظاهرة أخرى كان لهما أثرها الكبير في تحديد معالم التطور الاجتماعي في العصر العباسي الأول . وهي ظاهرة الانتشار المطرد للاسلام ونجاح الدعوة الى الاسلام التي بدأت في عهـــد الرمـــول عليه الصلاة والسلام • وقدر للعهد العباسي أن تتركز فيه كل جهود الخلفاء والولاة والعلماء والدعاة منذ أبام النبي حتى آخ القرن الثالث الهجري . ونجاح الثورة العباسية في خراسان وانتشارها في ايران بسرعة انما كائ. لتبجة لدخول أغلب الايرانيين في الاسلام ، وقد أبدوا الثورة وساروا في ركابها تطلعا الى اسقاط القيود التي وضعها الأمويون في طريق فوزهم ر بحق المواطنة الاسلامية (١) • وكان امتداد الدعوة العباسية الى ما وراء النهر يدل أيضا على الخطوات البميدة التي تطمها الاسلام في طريق الانتشار في وطن الأتراك ، ثم كانت الحكومة العباسية وما قامت به من جهود في تدعيم سلطانها والقضاء على الحركات الهدامة عاملا في دفع الحركة الاسلامية الى الأمام وتشجيع التيار الاسلامي القوى المتدافع ، ويمكننا أن تقسول في غير تردد أنه ما كاد المصر الساسي الأول ينقضي حتى كان المشرق الاسلامي قد اكتسب صبغة اسلامية واضحة واتخف طابعا عربيا والمحافى لفته وثقافته •

وقد شهد الغرب الاسلامی تطورا مشاجا • والذی یدرس ما ورد فی ابن عبد الحکم (۲) والکندی (۲) من روایات ویطلع علی قوائم جبایة

⁽١) ارنول : الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٣٧ - ٢٤٠ ،

 ⁽۲) نتـــوح مصر .
 (۳) الولاة والتنــاة .

الجزية التى حفظها أوراق البردى العربية من القرن النانى والثالث الهجويين يشهد تطورا خطيرا في تاريخ الدعوة الى الاسلام و ركان الاسلام والتعرب يسيران جنبا لجنب . وبساق دليلا على ذلك ما ذان الاسلام والتعرب يسيران جنبا لجنب . وبساق دليلا على ذلك ما ذان الى عدم اعتبارها في آخر القرن الثالث الهجرى بابا هاما من أبواب الايرادات وقد اشتدت ثورات المعربين من المسلمين سواه أي الدار يتداعى وكيانها يضعف ، فناضلت نضالها الأخير قبل أن تفقد سساما نها ويقل تفوذها و وساعد على اتشار الاسلام أيضا شيوع الثقافة المربية بعد أن كانت ممركزة في الفسطاط وامتدادها جنوبا حتى اسهان و شالا متى الاسمين و مناها جاء أحصد بن طولون الى مصر عام ٢٥٤ (أ) وجد الباد قد غلب عليه الاسلام وتشرب الثقافة العربية و قد غلب عليه الاسلام وتشرب الثقافة العربية و قد غلب عليه الاسلام وتشرب الثقافة العربية و قد غلب عليه الاسلام وتشرب الثقافة العربية و

وكذلك كان حال المغرب فقيد ادن سياسة المساراة من العرب والبربر في الحكم والنفوذ والفتح وملكية الأرض الي دخول أغاب القبائل في الاسلام وكانت مدرسة القيروان تلقن هذه الجموع النقابة العربة وتحمى ظهر الدعاة وتساند جهودهم و ومن الأمور المقسرة في تاريخ المغرب أن الخط الفاصل بين المأرب القديم والمغرب الاسلامي كان مصلا في ثورات الخوارج التي شغلت الحكومات العربية حتى قيام الأغابة فقد كانت هسنده الثورات تسئل تطلمات ملايين المساسين من المفارة الى المستقط ما فام في وجوههم من عقبات آخر العصر الأموى . وألى حدم الطبيعي في المساواة و وشفد العصر الأموى الأخير دعوتين استفايا أسادة الامويين الأواخر من ناحة وتطلمات جماهيه المسياسين من ناحة أخرى لاتامة حدومة تتبنى مبادى، الدعوة : نائنت دعوة المشرقتسمي الى النامة

 ⁽۱) حسن احمسد محمسود : حشارة مصر في العبيم الدالساء واوربي من ٥٥ سا ٥٥ ،

خلافة هاشمية للرضا من آل محمد ، ثم تحولت الى خلافة العباسين و وقامت دعوة في المفرب تدعو الى استقاط امامة قريش وتولية المخلافة أفضل المسلمين ، ولذا بايع الثوار الخوارج سقاء يدعى ميسرة المظفري خليفة و فاضلوا تحت علمه تحقيقا لمبادئهم ، غير أن دعوة الخوارج المغلوت عن وجهها في وقت مبكر عام ١٢٧ سـ ١٢٧٣ تقريبا واستثطاعت الخلافة الأموية أن تضربها بشدة ضربة قاصمة ، على حين ظهرت الحركة الأخرى في خراسان عام ١٢٩ هـ والدولة الأموية في الرمق الأخير ، فتمكنت من النجاج وحرصت على تأكيد سسلطانها في مصر والمفرب على أتقاض الخوارج ، وظلت تناصل حتى أقر الرئسيد قيام الأغير من القرن الثالث الهجرى ومدرسة فاس وما صدر عن المدرستين من كتب طبقات وتراجم الهجرى ومدرسة فاس وما صدر عن المدرستين من كتب طبقات وتراجم يقتنع بحق كيف تأصمل الاسلام في تلك البلاد ، وكذلك اتراجم مدرسية يقتم عالم الاسلام في تلك البلاد ، وكذلك اتراجم مدرسية

واذا كان هذا التطور قد وضح في آخر المصر المباسي الأول فان المعباسيين غضلا كبيرا في الأخذ بمساعد هذه الحركة الاسلامية النامية هتى وصلت الى هسذا القدر الكبير من النجاح ، وبذل العباسيون في هسذا المغنمار جهدا أكبر مما بذله خلفاء بني أمية ، فطبيعة الخلافة العباسية الدينية جملتهم يشرفون على الدين من نواح مختلفة ويتدخلون في المسائل الدينية تدخلا أكبر ، وكان من أثر ذلك نشاط الخافاء في نشر الدعوة الى الاسلام ، والمتكلمون قاموا بعجد مشكور في هذا السمبيل وعلى رأسهم المعتزلة ، فهم الذين كانوا يبحثون في الاسلام عن طريق المقبل واستمافوا بالمنطق اليوناني وعزفوا أدب الجدل والمناظرة ، وقادلوا أهل الدبانات الأخرى من مجوس ويهود ونصاري ودعوهم الى الإسلام عن طريق المقبل على الدبانات الأخرى من مجوس ويهود ونصاري ودعوهم الى الإسلام ، كما بذلوا الجهود في الدعوة الدينية() والرد على المخالفين فأسلم على يد أبي الهذيل الملافة أكثر من ثلاثة

⁽۱) احمد امين : ضحى الاسسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

آلاف رجل و وبجاب هؤلاء المقليين الذين دعوا الى الاسلام عن طريق المقل كان هناك من يدعو الى الاسلام عن طريق الأسوة والسيرة الطاهرة كالملماء والفقهاء وقال ابن خلكان(ا) « قيل أنه أسلم يوم مات أحصد ابن حسل عشرون ألفا من النصارى واليهود والمجوس » أو عن طريق الموعظ والتصوف كما غمل أبو القاسم الجنيد و وكان المخلفاء المباسيون من أقسط الخلفاء للمباورة الى الاسلام ، وخصوصا المامون الذى بذل جهودا كبيرة فى دعوة أهل الصغد وأشروسنه وما وراء النهر ، فكاتبهم بالدعوة الى الاسلام والطاعة والترغيب غيه ووجه رسله ليفرضوا لمن رغب فى الديوان ، وأسفرت هذه الحركة فى عهد المتصم عن تغلب الاسلام على بالاد ما وراء النهر ،

ولا نريد أن تتناول انتشار الاسلام من وجهة النظر المقيدية أو الثقافية انما من وجهة النظر الاجتماعية ، اذ مما لا شك فيه أن اعتناق الاسلام كان من أهم عوامل التغير الاجتماعي ، فقد كان معناه تقبسل التشريع الاسلامي في تنظيم الأسرة والأخلاقيات وأدب السلوك والملاقات الاجتماعية ، وكان معناه الاحتمال الإعياد، الاسلامية والميل الأكبر لتقاليد العرب والتنسيه بحياتهم الاجتماعية والميل الأكبر للاختسلام بالجميان تغير اقتصادي مثل اسقاط الجزية وتعلك الأرض ونيل العطاء ، الإحياز الغرص ونيل العطاء ، والتهاز الغرص الاقتصادية المتاحة والاندماج في زمرة المحاربين ، والتطلع الى مزيد من الحقوق السياسية والانضواء في المجتمع الاسلامي العظيم اللذي امتدت دياره من حدود الصين حتى المحيط الإطلسي .

ويمكننا أن نضيف الى ما تقدم من ظواهر ، ظاهرة أخرى هامة من الأولى أن تدرس فى شىء من المعق والاهتمام لأنها من أهم الظواهر فى تاريخ الحباة الاسلامية ، ويعنى بها ظاهرة التوليد أو الجلدين ، أى

⁽۱) الوفيسات : ج ١ ص ٢٣ ٠

الامتزاج بين العناصر العربيسة المهاجرة وأهل البسلاد التي هاجروا اليها واستقروا بين ظهرانيها ، وهي ظاهرة متشبعبة النواحي منهما الجانب البشري البحت ومنها الجانب الثقافي ومنها الجانب الاجتماعي ، وهي تميز حركة الهجرة العربية على غيرها من الهجرات التي غرفها التاريخ القديم فالنفوذ الاغريقي صحبته هجرة عريضة انتشرت في رقعة فسيحة من العالم ، وفي ظل النفوذ الروماني أقامت جاليات رومانية كثيرة ، اما في حسوض البحر الأبيض المتوسط واما في مصر وبلاد الشمام • ولكن الهجرات السابقة تعالت وانعزلت وعاشت حياة مقفلة ولبرتحاول أن تمتزج أو تختلط بأهل البلاد الأصليين • وما من بلد عربي في أعقساب المتح الا وقد شهد هذه الظاهرة الهامة وهي ظاهرة اختلاط العرب بالناس عن طريق التزاوج والاختــلاط • ففي مصر اختلط العرب وأصــهروا البي المصريين ونشأ جيل من المولدين ، وفي المغرب أصهرت القبائل التحربيسة المهاجرة الى البربر ولمــــّا دخلوا الإندلس فعلوا نفس الشيء ، وأصبحت جماعات المولدين في العصر الأموى جماعات كبيرة العدد تتزايد أعدادها باستمرار ، ويبدو أنه حتى آخر العصر الأموى كانت ظاهرة التوليد من جانب المرب وحدهم ، أعنى كان الرجال العسرب يتزوجون النساء " الأعجميات ، على حينكان العرب يرغضون أن يزوجوا بناتهم الى الأعاجم ولو كانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم ، بل لم يعط الأمويون هؤلاء المولدين رغم عروبة نسسجهم مكانا لائقا في المجتمع بل احتقــروا طائفة المولدين وسموا ابن العربي من الأمة الهجين . قال ابن عبد ربه « كانت بنو أمية لا تســـتخلف بني الاماء ، واذا اختـــاروا واليا راعوا عروبته واذا اختاروا قاضيا أو اماما يصلى بالناس راعوا ذلك » حتى كانت الثورة العياسية واعتمادها علىجماعات المتلسين مزالخراسانية والفرس وأسقطوا العواجز الطبقيــة القديبــة ، وبدأت الطبقــة القديمة تفقد الكثير من امتيازاتها السياسية والانتصادية ، كما بدأت تفتح أمام جماعات الموالي ميدان العمل السمياسي وميدان العمل الاقتصادي ، وتفشمت ظاهرة التوليد، وأصبح البت الاسلامي وخصوصا بيوت الأمراء والخلفاء

والأغنياء مزيجا من الأجناس ، فأبوجعفر المنصور كان في بيته أروى بنت منصور الحميري وأمة كردية وأمة رومية ، وكان للرشيد زهاء الفي جارية من المغنيات • ومن هذا الاختلاط نشأ جيل جديد يجمل ميزات خاصة وكسبوا من أمهاتهم وآبائهم صفات خاصة • وكان المولدون نمي العصر العباسي من أظهر العناصر ولهم ميزات خاصة في سنفاتهم وعقولهم وصناعاتهم (') قال أحـــد القواد « ما في الدنيا أحد أشـــجم من أجناد خراسان المه لدد. ولا أفتك منهم و ولم يكن التوليد في هذا العصر من جانب العرب وحدهم ، بل أقبل الموالي المسلمون الذين تغيرت أوضاعهم السياسية والاقتصادية على الزواج من عربيات خانصات أو مولدات ، وبدأت جماعات المولدين تلعب دورا بارزا في الأمصار سواء في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية ، وغلبت ظاهرة المولدين على حياة الأندلس ووضعت أكثر من وضوعها في الأمصار الأخرى ، وعرب الجيل الرابع لا يمكن أن يكونوا عربا خلصا على الاطلاق باستثناء عرب البادية في العراق والشام والحجاز وفجد ، ولعل ذلك مما ساعد على خفوت صوت النزعة العربية في القرن الثالث الهجرى ، هذه النزعة التي كانت من أقوى ما تكون وأوضح ما تكون في مًا وراء النهر الى جبال البرانس في شمال أسبانيا ، ولعل ذلك ساعد على ايجاد مفهوم جـــديد للعروبة لا يقوم على أساس الجنس فحسب انما يقوم عي أساس الدين والنقافة • يقول برنارد لويس (٢) « لم يعد العرب طبقة وراثية مقفلة بل أصبحوا شعبا مستعدا لقبول أي مسلم يتكلم العربية ، وأصبح تحرير الموالي الاجتماعي يتم بطريق قبول العرب التام لهم كعرب ٥٠ وكان يساعد على حركة الاستعراب في الولايات الواقعنة غربي غارس انتشار العسرب المسرحين من الخدمة في الجيش وسيادة اللغة العربية في المدن وانتقالها الى الريف » •

ولعل هذه الظاهرة كانت مصحوبة بظاهرة أخرى ربما مكملة لهسا

⁽۱) العمسد أمين : ضحى الاسسلام ، ج 1 ؛ ص ١٢ . (٢) برناره لوسى " العرب" في التاريخ ، ص ١٣١ .

أو تتيجة من تتأجها ، وهى ظاهرة تضاؤل تعود العرب فى العصر العباسى الأول ، ثم اختفاقهم من العمل السياسى والحربى بالتدريج • ولعسل السبب فى ذلك أنهم فقدوا امتياز السلطة السياسية بسبب قيام الدولة العباسية ، ثم امتياز العنصر النقى والعصبية المتماسكة باطراد التوليب والتهجين حتى فقد عرب الجيل المرابع صفات آبائهم عرب الجيل الأول ، وخفت مسون العصبية الى علب مسونها على الأحداث آخر العصر الأحوى •

والعرب لم تتطور أحوالهم على هذا النحو دفعة واحدة ، فقد كان المخلفاء الساسيون عربا هأشمين وقد فخروا بذلك وعدوه من أكبر مناقبهم ، والايرانيون في العصر العباسي الأول كان لهم نفوذ كبير ولم يكن يعنى ذلك أنعدام نفوذ العرب ، كانت أعظم المناصب كالوزارة في يد الفرس ولكن كان للخليف قواد عرب وولاة من العرب وحسله المنصور كانوا أربعة أقسام (ا) ، يعنية ومضرية وربيعية وخراسانية ، واستهر في صسدر الدولة امراء وقواد من العرب أمثال سعيد بن سسلم الباهلي ومعن بن زائدة الشسيباني وأبودلف العجلي ، في أول المهسد بالماليون على شيء من القوة ،

ولما آلت الخلافة الى الرشيد زاد نفوذ الايرانيين بفضل البرامكة ثم تأكد انتصارهم في عصر الممامون وكان المجم يركبون ومهم التسى والنشاب بين يديه و أنظر الى نظر الممامون الى العرب من هذا القول الذي رواه (٢) الطبرى من أن رجلا تعرض للمامون بالشام مرارا فقال له: يا أمير المؤمنين انظر هرب الشمام كما نظرت لأهل خراسان و فقال الممامون: آكثرت على يا أخا أهل الشام ، والله ما أنزلت قيما عن ظهور الخيل الا وأنا أرى أنه لم بيق في بيت مالمي درهم واحمد ، وأما اليمن

⁽۱) الطبرى: ج ٩ ، ص ٢٨٢ .

⁽۲) الطبرى: ج ١٠ ، ص ٢٩٦ ،٠

فو الله ما أحييتها ولا أحيتنى فط ، وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفيانى وخروجه غتكون من أسياعه ، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث الله فيه من مضر ، ولم يضرج اثنان الا خرج أحدهم شاريا ، اعزب فعسل اللهبك» علما التولي المعتصم استضدم الأتراك وأسقط العرب من الديوان، اذن بدأ العنصر العربي يعتضر نفوذا وسلطانا منذ بداية عصر الرشيد ثم فقد النفوذ والسلطان في عهد المتصم ، ولم تتقبل المناصر العربيسة هذا التطور انما ناضلت لتعيش لكنها قاضلت نضال الضعيف المتهاوى ، وقد ثار العرب بعصر ثورات متصلة في عهد الرشيد والمامون والمعتصم كما ثار عرب الشام ، ولكن الثورة لم. تمد عجلة التطور الى الوراء ، وبدأ الأمويون في الأندلس يعتمدون على الصقالية ، واعتمد الأدارسسة على البربر ، ثم اعتصد الأغالبة بعد أن عانوا من العرب على المعيسد السودان في الورت على العبسيون فيه على الإنزاك ،

وكان من أثر ذلك أن خفت صوت العرب في جميع الأمصار على حد سواء وذلك بسبب هجراتهم من المدن الى الريف واشستغالهم بالزراعة من المدن الى الريف واشستغالهم بالزراعة ثم اندماجهم وفنائهم في الشعوب التي عاشوا بينها ، في مصر مثلا بدأ العرب آخر القرن الثالث يهاجرون الى الريف ويعملون بالزراعة وبدأوا ينتسبون الى القليم مصر التي استقروا بها ، وشواهد القبور من القرن الثالث تدل على هذا ، ولابد أن ما حدث بصر حدث في جميع السلاد على حد سواء ، وبعض القبائل هجرت الأمصار والحواضر وعاد بعضهم الى الحياة البدوية ،

وأعتقد أن انتشار الاسلام من ناحية وظاهرة التوليد من ناحيسة ثانية ثم فقدان العرب لسلطانهم السياسي ونروحهم الى الريف من ناحيسة ثالثة كانت له تتائجه الاجتماعية العامة ، وهي خلق أنعاط اجتماعية محلية متاثرة الى حد بعيد بالتقاليد التي كانت مسائدة قبل الفتوح وخروج العرب مهاجرين ، وتمثلت هذه الأوضاع الاجتماعية في كثير من المظاهر، في العلمام وفي العادات والتقاليد، فالعرب الذين أقاموا في خراسان

أو في ما وراء النهر كانوا في المصر العباسي قد تأقلموا بالبينة التي عاشوا
هما وألفوا الأجواء القارسة البرد ولبسوا السراويل الطويلة وقائسوات
المفراء التماسا للدفء و والعرب الذين استقروا في جنوب ايران أو في
منطقة بحر قروين ، لم تكن في العصر العباسي تستطيع أن تميزهم في
حياتهم الاجتماعية عن غيرهم من المسلمين و تكررت هذه الظاهرة في كل
عصر اسلامي تقريها ، غالمسلمون من المصريين والعزب المستقرون خضفوا
المؤرات اجتماعية واحدة والفوا نفس الطعام وعاشدوا نفس العياة
المصرية التي النها المصريون منذ القدم ، ومثل ذلك حدث في بلاد الشام
أو المنسوب أو الأندلس ، كانت الروح الاقليمية بارزة جدا في ميسدان
المعاة الاجتماعية وهي تتبعة ما أشرنا اليه من عوامل ،

ولكن رغم هذا حدث في ميدان التقاليد الاجتماعية ماحدث مي جميع مظاهر الحياة في العصر العباسي الأول من تقدم المناصر الايرانية سياسيا وتقدمها علميا وفنيا ، فقد تقدمت اجتماعيا وغلبت التقاليد الفارسبة على حياة الناس في العراق بل انتشرت في العالم الاسلامي كله كما انتشر الطراز الحاسي الذي أشرنا اليه ،

غلبت التقاليد الاجتماعية الفارسية في كل فاحية تقريبا ، غابت في الهزياء فانتشرت القلنسوة الطويلة وضروب الأزياء الفارسية ، وانتخذ المخلفاء العمائم على القلانس . وتفننوا في المعامة ونوعوها تبعا للطبقات كما كان يفعل الفرس ، فللخلفاء عملة وللققهاء عمة ولكل مرتبة زى فنهم من يلبس المبلسف ومنهم من يلبس « البازيكند » وكان الشسعراء يلبس الدراعة ومنهم من يلبس « البازيكند » وكان الشسعراء يلبسبون الوثى والمقطمات والأردية السبود ، وتشلت في الاحتفال بالخلوروز والمهرجان والرام ، كان الخلفاء يعتفلون بالنسوروز في أول الهام وفي آخره بالمهرجان ، كما تأثروا في منازلهم بالأساليب الفارسية ، واقتدوا بالموس في مظاهر البلاط والحفلات والأعياد والمواسم ،

وبنوأ الدور على الطراز الفارسي الذي شاع في بفداد وفي سامرا ،

فى عمارتها وفىز غرغتها وفى تبابها وعدها ورباشها وحدائتها • واستخدم العباسيون المطبخ الفارسى على نطاق واسع • وكانت موائدهم تحفل بمثل ما كانت تعفل به موائد الفرس •

ثم انتقلت هذه التقاليد الى البلاد الاسلامية الأخرى ، نقلها الولاة المجوثون من بعداد ونقلها القضاة ورجال الدولة ، وكان يقلدهم الكبراء والوجهاء ، يتحدث الكندى عن ولاة بنى العباس فى مصر وعن حياتهم الخاصة على النسق الذى شاع فى بعداد ومن اجبارهم الناس على لبس القلانس والتشبه بتقاليد القرس و وكان بلاط الأغالبة فى تونس تقايدا للبلاط العابى فما بالك ببلاط الطاهرين فى خراسان ؟

هذه اذن أهم معالم التطور الاجتماعي التي وضمحت في العصر العباسي الأول فلنعمد الى دراسة قطاعين اجتماعيين في ضوء هذه الملامح العامة: الأول قطاع المدينة والثاني قطاع الريف ٠

فالى أى حد تأثرت الحياة المدنية بالمقومات الاجتماعية التى أشرنا اليها ؟ وبكل ما أسلفنا القول فيسه من ظسروف المصر العباسى الأول و وسنعنى بقدر الإمكان بالمدنالقديمة كالبصرة والكوفة والقسطاط ودمشق والحيرة والأنبار ومرو ونيسابور وغيرها من حواضر الأمصار ، ونبين ماذا أصابها من التطور الاجتماعى العبديد كبا نعنى أيضا بالمدن الجديدة الذي أنشأها العباسيون فيضعوصا بعسداد وسامرا ، وسنتخذ من بعسداد العباسي الأول ، وأول ما يلاحظ ذلك التوسع المعراني الكبير الذي طرأ على هذه المدن في المصر العباسي وها تضمنه ذلك من كثرة المسساجد والحمامات والحوانيت ، أشار الخطيب البغدادى الى التوسع الذي طرأ على بغداد فذكر أنها اششملت على ستين الف حمام ، وكان بازاء كل حملم خمسة مساجد فتكون مساجد بغداد كلها ثلاثمائة الف مسجد ، ومماكنيم جغراغيو القرن الثالث نتبين أنه ما من مدينة من مدن العالم الإسلامي في ذلك الوقت الا وشهدت هذا التوسع العمراني العظيم فشهدت قرطبة

والقيروان وبالرمو نفس هذه الظاهرة ، وقد امتد هذا التوسع الى مساكن الناس فقد شهدت بعض المدن توسعا رأسيا في البيوت لمواجهة حركة ازدياد المسكان ، فمدينة الفسطاط مثلا كانت بها بيوت من طبقات كبيرة بتبلغ الثمان حتى بدت كانها المنائر وربعا سكن الدار الواحدة مائتان من الناس (١) ، كما أنشئت أحيا، خاصة الى جوار الجواخر القديمة لمواجهة هذا التوسع المعرافي العظيم ، فقد أنشأ الإغالية مدينة رقادة ، وأنشسا المباسيون البسكر في مصر ، وبنيت سامرا في عهد المتصم والجعفرية على نهر دجلة قرب بعداد ، وكانت هذه الأحياء الجديدة تجنبا للاخطاء التي ارتكبت في عمارة المدن القديمة فامتازت بالاتسام ،

ومن القواهر الاجتماعية التي طرأت على العياة في المدن في المصر المباسيون المباسيون الأول ظاهرة التضغم السكاني العظيم ، فقد الذي المباسيون قيود الهجرة التي وضعت فالعصر الأهوى الأغير ، وفتحت الأبواب على مصاريعها للمهاجرين الباحثين عن أسباب الرزق ، وجذبتهم أضواء المدينة وحياتها المحاخبة المترفة ، وكان التوسع الصناعي والتجاري يجذب المناصل المتدفقة باستمرار التماسا للكسب (٢) ، ولعل مما ساعد على هدذ النعو السكائي الكبير أيضا ما عمد البه العباسيون من اسقاط القيود التي فرضها الأمويون على الوافدين الى المدينة من الافامة في آرباض المدن وظورهما بعيدا عن الطبقة المربية الأرستقراطية المتمالية ، وكان هذا النضخم السكاني ظاهرة شهدتها المدن الاسلامية كلها ، غابن عداري (٢) ، يذكر أن عدد البيوت في ترطبة باغ نحوا من مائة ألف بيت ، وبشير مؤرخو المغرب الى الزدحاء القيروان وفاش بالسكان ، وشهدت الفسطاط هذا الاحتشاد السكاني الكبيرة مما أشار الخطيب البغدادي الى أن سكان بغداد بلغوا

 ⁽۱) الاصطفرى: س ٤٩ ـــ ابن حسوتل: ص ٩ ـــ المسيسى :
 ۱٩٨١ .

Levy, the sociat structute of Islam p. 69--65.

⁽٣) البسان القرب: ج ٢ 6 ص ٢٤٧ .

ا م ١٦ -- العمر العباسي)

خعوا من مليون ونصف مليون نسمة فكانت أعظم الحواضر احتشمادا بالسكان . واذا اتخذنا بغداد نموذجا لهذا الازدياد المطرد في السكان فسنجد أن ذلك يعزى الى تدفق الرقيق وأهل الذمه والعمال • فقد وسع العباسيون في جلب الرقيق واستخدامهم في قصدور الخلفاء والأمراء والوزراء واكتظت هذه القصور بالآلاف من العبواري من كل جنس • وكانت بغداد نصها من أعظم أسوان الرقيق • وكان بها نسارع يسمى شارع « دار الرقيق » • وقد اشتهر من الرقيق الخدم وكان أكثرهم من غير المسلمين الذين يؤسرون في الحروب أو يشترون من الأســواق • وكان منهم الزنجي والتركي واليوناني والصقلبي وتعاظم عدد أهل الدمه فى المدن الكبرى وخاصة فى بعداد ، فقد تضاعفت أعداد النصاري واليهود واستخدمهم الخلفاء في الدواوين ، وبلغ من تزايد أعداد الجالمة المسيحية أن كان لهم رئيسان يعين كل منهما بعهـــد خاس من الخليفة أهدهما يطلق عليه اسم «الجاثليق النسطوري» والثاني «بطريق اليعاقبه» وقد سمح للجاثليق بالاقامة فبعداد ، وكان له حقارسال البشرين الي النواحى المختلفة (١) • أما اليهود فكان لهم رئيس خاص يدفعون له الضرائب • واشتغل أهلاالذمة فيعداد بالأعمال التيدرت عليهم الأرباح الوفيرة وكانوا أهل معرفة بالحساب والكتابة والخراج، وكان كنبرون من الكتاب من النصاري ، أما الجهابذة فقد كانوا من اليهود (٢) . ووفـــد الى بغداد كثيرون من المجوس الذين اشتغلوا بنقش الزجاج وتلوينه وصنع الســـلاح ، وزاد عــدد العمال في بغداد زبادة كبيرة وكان منهم الحرفيون الذين يحترفون الصناعات اليدوية كالحدادين والضاطين والنجارين والخبازين والباعة .

وتاثرت المدن الاسلامية في العصر العباسي الأول أيضًا بالتطورات الاقتصادية التي عرضنا لها بالتفصيل ، فقد أصبحت من أعظم مراكـــز الصناعة ومن أكبر أسواق التجارة الداخلية والعالمية ، وتدفقت اليهـــا

⁽١) عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد: ج ١ ، ص ١٠٠

⁽٢) جورجي زيدان : التسدن الاستلامي ، ج) ، ص ١٩

الأموال واثنتد انفاق الطبقة الموسرة الغنبة ، وتأثرت البرجوازية القدسة التيع ظهرت آخر العصر الأموى وشاركت فيصنع اعداث الثورات وخادية مغى المشرق الاصلامي بالنهضة الاقتصادية ، وتحولت الى طبقة رأسمالية ذات تفوذ وسطان تقلد الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة في بذخهم وكثرة الفاقهم • وكانت الطبقية في المدن الكبرى عامة وفي بعداد خاصة في غاية الوضوح ، وظهرت فيملابس الناسوازيائهم . فكان للمعال زيهم وكان الكتاب يلبسون الدراريع (١) • وهي ثياب مشقوقة من الصدر وكان العلماء يرتدون الطيلسان ، والقواد الأردية الفارسية القصيرة وكان أثرياء الناس يلبسون قميصين ورداء فوق السراويلات ، وانشر في بغداد عامة نوع من الذوق الاجتماعي الرفيع بين الخاصة والعامة على حد سواء وأشار آدم متز (^۱) الى أمثلة منه فذكر أن المدعوين الى الطعام كانوا يغسلون أيديهم معاقبل الطعام ويكون غسل الأيدى من وعاء واحسد . واقتشرت هذه العادة حتى بين العامة فكانوا يقومون من مجالسهم ليفسلوا أيديهم ، وأشار الجاحظ الى ما يمكن أن نسميه أدب المائدة ، فهو يستحسن « من النديم ألا يمشمش الطعام ولا يبادر الى البيض الموضوع على البقل ولا يأخذ لنفسه أكباد الدجاج وصدورها أو المخ أو الكلى الو المعيون » وتوسع صلحب كتاب الموشى في آداب المسائدة حتى تناول أدق التفاصيل • وبلغ الترف بسكان هذه المدن حدا بغيدا ، فكان الناس چشر بون الماء المثلج في الصيف ، وكان الكبراء يحملون الثلج في حراقاتهم وكان هذا الثلج يعمل أحيانا من بلاد الشام . وقد أدى نزايد أعـــدأد السكان من ناحية وكثرة الانفاق من ناحية أخرى الى ارتفاع الأسعار، خاصة في نفداد ، وحمدًا الفلاء وإن احتمله الأغنياء وأوساط الناس فانه ثقل على الفقراء ، وقد شكا أبو العتاهية ذلك وصوره تصويرا دقبقا (٢)٠ بقــوله:

⁽۱) مسکویه : ج ۲ ، ص ۲۰۸ .

⁽٢) الحضَّارة الأسلامية : ج ٢ ، ص ٢٣١ .

⁽٢) ديوان أبي المتاهية ، ص ٣٠٤ ،

من مبلغ عنى الامام نصائحا متوالية أنى أرى الأسعار أسعارالرعية غالية وكان المال فى مثل هذه البيئات يأتى سريعا ويذهب سريعا ٠

وكان من أثر هذه المستويات الاقتصادية المتقاربة وهذه الحساة المترغة لقطاع كبير من الناس أن شهدت المدن الكبرى عامة وبغداد خاصة انحرافات اجتماعية معينة نتيجه لهذا التفاوت الطبقي العنيف ، وهذه الضدية الاجتماعية البينة فامتلأت بفداد بالحانات ومن أشهرها هانة طيزنا باذ وهانة قطربل وهانة الشط(') · وكان للجوارى بيوت معدة لسماع الغناء . وشاعت ألوان أخرى لا تشبيع الا في المدن الكبرى عادة كلعب القمار بفصى النرد (٢) • وكان بالفسطاط شيوخ يسمون المطمعين لهم جراية من دور القيار ليجلبوا النياس اليها ويطبعوهم في اللعب ، وكان النرد يلعب ابتعاء الكسـب صراحة . ويحكى أن رجلا لاءب آخر لهُعْلَبِهِ هَأَخُذُ مَنْهُ عَشْرِينَ دِينَارًا ﴿ وَلَمَّا تُولَى أَمْرُ مُصَّرِ يَزِيدُ مِنْ عَبِدُ اللَّهُ التركى منع الرهان وأمر ببيع الخيل ، لأن سباق الخيل شاع بالفسطاط وبلغ من شغف الناس به وتقليدهم اه أن السابق كان يأخذ حصان الم وق • وانتشرت البطالة في بعض المدن بين صفوف العامة وخاصة بغداد • وكان بعض أفراد من العامة يتجولون في الأسوان بحثا عن الرزق عن طهريق النهب والسلب ، وخصوصا جماعات العيارين الدين غشوا في بعداد في أواخر القرن الثاني الهجري ، وكانوا يسيرون عراة الأجسام الا منا سنتر عوراتهم ويتسدون على أوساطهم المقاليع القديمة ويحملون الحقائب الملبئة بالحصى والحجارة ولعبوا دورا كبيرا في الفتنة بين الأمين والمامون . قال الخطيب البغدادي « أما الفقراء وذوو الحاجة فقد ضافت عليهم. بغــداد بما رحبت ولم يستطيعوا الهيش فيها » . وكان من أثر هـــذه الحياة من رفاهية قوم وبؤس آخرين أن ظهرت حركتان : ظهرت حركة من

⁽١) العبرى : بسالك الإيصار ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ــ ٣٩٥ .

⁽٢) المسأوردي : الاحكام السلطانية ، ٤٠٤ .

قالتطوعة للنكهير على الفساق ببغداد (١) • وكان لهذه الحركة زعيمان لكل يزعيم برنامج نحى الاصلاح ، أما أحدهما نحو خالد المدريوش وبرنامجه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولكنه لا يثور على السلطان ، فهسير يظلب الاصلاح في حدود الطاعة للحكومة • والزعيم الآخر سهل بن سلامة الإنصاري يرى مقاتلة من خالفه ، كما شاعت حركة الزهد لمعارضة الداعين الى اللهو كبشار وأبي نواس •

ويمكننا أن نعطى صورة الخدمات العامة التي كلنت تقوم بهسا **\$لدولة** رعاية لهؤلاء السكان الذين تجمعوا في المدن على هذه الصورة ، غقد عنى الخلفاء العباسيون عناية عظيمة بتنظيم بغداد ونظافة شوارعها وطرسرقاتها وكانت الرحاب تكنس كل يوم ويحمل التراب خارج الدينة (١) + وكان يقف في زاوية كل شارع حارس مسئول عن حفظ النظام ، وكان الميدان الذي يطل عليه القصر يضاء ليلا وجميع الطرقات كانت تضاء ليلاء كما أكثر القائمون على أمور بغداد من المتنزهات الشعبية عند تقاطع الشوارع وحول الأحواض المسائية واشتبتهرت منها بركسة ذِلُولُ (١) . وحمل المساء الي بعداد عن طريق قناتين يجري فيهما المساء الي المدينة ، وكلتاهما مفطاة ومحكمة العقد ، وكانت احداهما تأخذ من نهر، كرخايا الذي يتفرع من الفرات . وأمرت السيدة زبيدة ببناء قناة معقودة تمد أهل مكة بالماء وانتشرت مجارى الماء المبنية تحت الأرض • في مدن ايران الشمالية مثل قم ونيسابور . وكانت نيسابور من أكبر مدن الشرق في ذلك العصر ((٤) • وكان مِها الكثير من مجاري الماء المغطاة ، بمضها يظهر في خارج المدينة ويروى البساتين وبعضها الآخر يمد البيوت ولماء (٥) . وفي بعداد خاصة أقيمت عدة جسور عند باب الشعير وقد

۱۱ الطبرى: ج ۱۰ من ۲۲۱ -- ۲۸۲ ،

⁽٢) حسن ابراهيم: ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

⁽٣) عبد الجبار الجومرد: هارون ٤ ج ١ ٤٠ص ١٢٥) ١٨٦٠-

⁽³⁾ Hearners : nu 347 - 047 .

[﴿]٥) ابن حوتل : من ٢١٢ ٠

بنى عام ١٥٧ ه عندها بنى المنصور قصره المعروف بقصر الحلد كما بنى المئت جسور آخرى ، وبنى الرئسيد جسرين عند باب الشماسية (١) . كما بنيت الحمامات ، وكان فالجانب الشرق من بعداد خمسة آلاف حمام وكانت هذه الحمامات من اهم المؤسسات المدنية ، وقد ذكر المقريزى انه كان بالفسطاط وحدها ألف ومائة وسبعون حماما ، وفي داخل هده المدن الكبيرة كان لابد أن تدبر وسائل الانتقال ، وكانت الوسيلة التي تستخدمها الطبقة الوسطى هي كراء الحمير ، وكان الحمارون يقفون بحميرهم في بغداد عند باب الكرخ (٢) ، ويبدو أن هذه الظاهرة شاعت في المدن الكبرى كلها ، فقد كان بالفسطاط موقف لاكتزاء الحمير بالقرب من دار الحسره ،

وقد وتسمحت الشخصية الادارية للمدن فعدن خراسان مشالا كان يتولى أمورها القاضى وصاحب البريد وصاحب المعونة (") • وكان القسم الشرقى من مداد يدبره المخليفة مباشرة > أما القسم الغربى فقد ضم الى أعمال بادورايا • وكان ثمة تنظيم شعبى الى جانب هذا التنظيم الرسمى وضح على المخصوص فى بغداد ويددو أنه عمم فى كثير من البلاد ذلك أن بغداد قسمت الى أرباض وقسمت الرباض الى أرباع وقلد كل ربم لرجل من الحاشية يتولى أمره - وكان لكل ربض رئيس وقائد (ا) •

ويسكننا أن نعطى فى أيجاز صورة لمما كان يجسرى فى الريف من تطورات اجتماعية ، فقد تجررالفلاح المسلم وارتفع مستواه الاقتصادى والاجتماعى ، كما افتشرت الاقطاعات الكبيرة المتريديرها الممال والوكلام

⁽۱) الخطيب المقدادي : تاريخ بقداد ، ج ۱ ، من ۱۱٥ - ۱۱٦ •

^{·(}٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج (6 من ٣١ م

۲۰۹ ابن حوقل ت می ۲۰۹ هـ

⁽٤) اليعتوين : س ٢٤٠ .

على أساس نظام المقاسمة و ولكن المشكلة الاجتماعية التى كانت ماثلة فى الريف فى المحصر المجاسى الأول هى مشكلة الهجرة المطردة الى المدن الكبرى و وقد أدى هذا الى نقص في الأيدى العاملة وارتفاع فى مستوى الأجور ، ولعل ذلك هو الذى حدا بالمباسين وأسحاب الاقطاعات الكبيرة فى جنوب العراق الى استخدام الرقيق فى الأعمال الزراعية ، ومن ثم نشأت مشكلة الزنج المسهورة ، هذا الى ما كاذ من استقرار العرب واصهارهم الى أهل البلاد واقامتهم فى الريف واشتفالهم بالزراعة ،

الفصّل أنى مسُّ اهم الاتجاهات الثقافية والفكرية

هم الانجامات المعمية والمدرب في المصر ألمياسي الأول

ان تأثير الثورة المباسية وأحداث العصر المباسى الأول لم يقتصر طى المجالات السياسية أو الاقتصادية أوالاجتماعية غصب ، انما تعداها الى الناجة الثقافية والفكرية ، وأعتقد أن هذه الناحية فقط هى التى تحتاج الى التوضيح دون أن نخوض فى تفاصيل كثيرة عن الحياة الثقافية في المصر العباسى الأول ،

وأعتقد أن ثمة عوامل مهمة وضحت بعد نجاح الثورة العباسية واستمرت طوال العصر العباسي الأول ، وأن هذه العوامل ساعدت على أن تهيئ الظروف لانطلاقة ثقافيه وهكرية ستبلغ الذروة في القسرنين الرامع والمفامس الهجرى ه

من أهم هذه العوامل ما سبق أن وضعناه من أن الثورة المباسسية واكبت حركة اسلامية ضغمة بين جماهير الموالي من الايرانيين ، والهساحررت جماهير المسلمين منهم وأسقطت الحواجز والقيود التى كانس معه على طريق مشاركتهم عى الحياة السياسية ، وقد رأينا كيف انطلقت طاقت الموالي مقرثرة في المجال السياسي حتى ميطرت على أجهزة العمكم كلها في العمر العباسي الأول ، وهذه الطاقة المتدفقة لم تقتصر على النساحية السياسية أنما اقدفعت الى المجال الاقتصادي وتعدته الى المجال الثقافي" ، وأعطى الموالي الايرانيون الثقافة المربية عقولهم وتجاربهم ، وبرزوا في مجال المعياد الاقتصاد ، وعمت ما مرهم مجال الفكرية العالم الاسلامي كله بنفس الوسلة التي اتشر بها الطراز المباسي في المعن أو الأسلوب الفارسي في المعياة الاجتماعية ،

كان الايرانيون هؤلاء طليعة حركة الترجمة من الفارسية الى العربية وقد أشار صاحب العهرست الى اسماء النقلة من الفارسية الى العربية (') وذكر منهم: عبد الله بن المقنع ، وآل نوبخت ، وموسى ويوسسه ابنى خاله ، وأبا الحسن على بن زياد التعيمى ، والحسسن بن سسسهل ، والبلاذرى ، وجبلة بن سالم ، واسحق بن يريد ، ومحمد بن الجهم البرمكى ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن سيسى الكردى ، وزادويه بن البرمكى ، وهمسد بن بهرام بن مطيار الأصفهاني ، وجوام بن مران شاه ، وعدر بن الفرخة فأثروا التجربة العربية وغذوها بفكرهم عاتسديم ،

وكان هؤلاء الايرانيون الصاعدون الى النفوذ والسلطان المنطلقون في غير ما قيد فد أتقنوا اللغة العربية الى جانب اتقافهم لفتهم القارسية في غير ما قيد فد أتقنوا اللغة العربية الى جانب اتقافهم لفتهم القارسية أدوا وشعرا وعلما ؛ وأتجوا في العربية اتتاجا جديدا ، كالفضل بن سهل وسهل بن هارون وابن المقفع ، وكان موسى بنسيار الأسوارى أنموذها طيبا لهذا العجل العديد من المثقين الذين ملكوا عنان العربية والفارسية عال العاصدة بالفارسية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقمد العرب عن فصاحته بالفرسية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقمد العرب عن يسينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتباب الله ويضرها للعرب بالعربية وللفرس بالفارسية (٢) ، بل كان للفارسية من الجذب الثقافي ما حبب فيها بعض العرب الخطص ، فقد أقبل قوم منهم عليها ووجدوا ما معب فيها بعض المرب الخطص ، فقد أقبل قوم منهم عليها ووجدوا مع تعداره وماني الفرس ، فعداره المترجوة الدبا عربيا جمع بين بلاغة العرب ومعاني الفرس من أمثلة هؤلاء كلثوم بن عمرو بن أبوب الشاعر المعروف بالعتابي الذي من أمثلة هؤلاء كلثوم بن عمرو بن أبوب الشاعر المعروف بالعتابي الذي من أمثلة هؤلاء كلثوم بن عمرو بن أبوب الشاعر المعروف بالمتابي الذي من محكم ابن

⁽۱) ابن النبديم: ص ٤)٢ وما بعدها .

⁽٢) الجاحظ: البيان والتبيين ، ج ١ ص ١٣٩ .

المقتم وقد أتتج الفرس الذين استعربوا والعرب الذين تمشيقوا الفارسية ثروة عظيمة كانت من أهم ما تميز به العصر العباسي الأول و كان من الطبيعي أن يبرز الأثر الفارسي في الأدب العربي بروزا واضحا و وكانت كتب الفرس التي ترجمت الى العربية ككليلة ودمنة وهزار أفسانة أساسا للقصص العربي الذي بنته الأجيال المتعاقبة و وابن النديم يضرب مثلا للقصص العربي وكيف استقى من نابع فارسي واضح ، بما فجله محمد ابن عبدوس الجهشياري عندما شرع في وضع كتاب تخير له ألف مسمر من أحسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، وجلس الي المسامرين يأخذ عنم أحسن ما يقصون ، واختار الكثير من الكتب المصنفه في الأسمار والغرافات و «واجتمع له من ذلك أربعائه ليلة وتمانون ليلة و كل ليلة مسر عام يحتوى على خمسين ورقة واقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبسل استيفاء ما في نفسه من تتمة ألف سعر () » و

والحقيقة أنه لا يكفى أن نحصى التأثيرات العظيمة التي تركه الأدب الفارسي ، ويكفى أن نصير الى ما اشستهر به القرس القسدماء من أدب المتوقيعات حينما كان الملوك يوقعون على شكاوى المناس بعبارة بليفسة أو حكمة مفيدة يتخيرون لها اللفظ الحسن والمعنى الحيد ، وقد أفاه العرب الشيء الكثير من توقيعات ملوك الغرس ه وكثرت التوفيعات في العصر العباسي ، وكان أكثر الكتاب هرسا لهساروا على سنن آبائهم ، العصر العباسي ، وكان أكثر الكتاب هرسا لهساروا على سنن آبائهم ، النافل التي نقلت وفئامت أو قلدت ، وكانت هذه المناصر الابرائيسة التي نقلت وفئامت أو قلدت ، وكانت هذه المناصر الابرائيسة التي أقبلت على ميادين المصرفة في العصر العباسي الأول أقبالا منقطع المنظير ، أقدر على التدوين والتأليف بسبب ميراثهم الحضاري القديم ، فلما تعلموا العربية كان تأليفهم بها سهلا ميسورا ، وأصبح كثيرون منهم من السليقين الأولين في تدوين العلوم المختلفة ، منهم أبو حنيفة النعمان

⁽۱) ابن النسديم: الفهرست ، ص ٣٠٤ ، لحمسد آميم: غسسمى الاسسالم ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

الفقيه ، وحصاد الراوية • وبشار بن برد وسسيبويه ، والكسائى ، وأبو عبيدة ، وأبو العتاهية ، وابن قتيبة • وكلهم كانوا غرسا أســهموا بالنصيب الأوفر فى تقديم الفكر العربى •

« اذركانت الثقافة الفارمسية عنصرا توى الأثر في ذلك المصر ، في النسسعر ، في الأدب ، في المحكم ، في القصيص ، في الفيراغات والإوهام ، في المادات والتقاليد ، في نظم العكم ، في دعاة الاصلاح، في رجال اللهو والفناء ، في الديانات ومذاهب المتكلمين ، في رجال العلم والتدوين (١) » أليس المعر المباعى الأول هو عصر تقدم المناصر الايرائية حتى في مجال الثقافة والفكر ،

والا يمكن أن تعقل عاملا هاما كان له أثره الكبير في التقدم الفكرى والتقافي الذي شهده العصر العباسي الأول و وقصد به ما سبق أن أشرنا اليه من النبعاح العظيم الذي أحرزته الدعوة الى الاسلام في القدر وققداتهم امتيازاتهم السياسسية والمسسكرية و واستقرارهم في الريف واشتقال أغلبهم بالزراعة واختلاطهم بأهل البلاد و واذا كنا قد درسسنا النتائج الاجتماعية لهذه الظواهر في الفصل السابق فان الذي يعنينا هنا أن نعرض للنتائج الثقافية ، وأهم هذه النتائج المتزاج التقاليد الثقافية المربية و ومعنى هذا اللها المسابق فالم المربية و ومعنى هذا التعالية المحربية المربية و ومعنى هذا التعالية المحربة المربية و ومعنى هذا التعالية المربية و ومعنى هذا التعالية المربية والمرب الثقافية المربية والمحب بها أشرنا اليه في المحاهر المحربة المرب الثقافية المربية بين المرب الثقافية المربية بين المربة بين شعاه المعاهر المداهية والمحربة بين شعاه المداهية والحواضر أو الزابطة في المدور ، وقطعت اللغة المربية أشواطة في المدن والحواضر أو الزابطة في الثمور ، وقطعت اللغة المربية أشواطة

⁽١) لصد أبين : شمى الإسلام ؛ ١ من ٢٢٨

يهيدة في مجال التغلب اللغوى وأصبحت لغة الحديث والتخاطب لملايين المسلمين ، بل وجدت صفوة مثقفة من المسلمين من غير العرب أنقنت اللغة العربية حديثا وتأليفا ونظمت الشعر الجديد وكتبت الرسائل البليغة " وشاركت في حركة الترجمة وألفت في الفقه وعلوم اللغه .

ومن العرب أن تقع حــذه التطورات الهامة في وقت جنعت فيه المخلافة المباسية في آخر عصر الرشيد الى النهج الفدرالي في الحكم ، وحصلت الحكومات المحلية في الأمصار على مزيد من السلطة ومزيد من الاستقلال ، وحصل الولاة على حريات في العمل أكبر مما كان لهم من قبل ، وظهر رأى عام من المسلمين أهل البلاد فوى مؤثر يتضاعف قــوه وتأثيرا باطـراد الداخلين في الاسسلام ، بل أقام المباسسيور الامارات المستقلة برضاهم فظهر الأغالبة في تونس والطاهريون في خراسان ، ونشأ بلاخ اقليمي متشسبها ببلاط الخلافة تشستد جاذبيته للمساصر المثقف

ومعنى هذا كله أن المدارس الاقليسية بـ مدارس الأمصار بدا قدمها يرسخ انتاجا وتفوقا ونجمها يعلم ، وظهرت مراكز للعلم والثقافة الني جانب المحاضرة ، ولا أقول المها كانت من نفس المستوى انما كانت جذورها تتمكن بالتدريج واشعاعها الفكرى تتسع دائره حتى ياتي يوم تضعف هيه الخلافة وتضطرب أهور الحاضرة ، وتميل كفة الأمصار وترهو باماراتها المستقلة ومدارسها المتفوقة ،

اذن شهد العصر المعاسى الأول رسسوخ قدم الثقافة العربية فى الأمصار بسبب انتشار الاسلام واستقرار العرب ونعو السلطان السياسى للامصار ، وهذه بحق ظاهرة مهمة تستلفت النظر وتستحق الدراسسة فقد كانت ارهاصا للانطلاقة الكبرى للأمصار فى القرنين الرابع والخامس، ويكفى أن نضرب مثلا بمدرستين عظيمتين ظهر أفرهما فى آخر العصر العباسي الأول وهما مدرسة القيروان ومدرسة القسمطاط.

فالأغالبة يرجع اليهم الفضل في نمــو مدرسة القيروان وازدهارها والمؤرخون يذكرون كيف أنشاؤا بمساجد القيروان حلقات للتبدريس كما أشاوا مدارس جامعة أطلقوا عليها اسم «دورالحكمة» وجلبوا لها الإساتذة من الشرق • فكانت هذه المدارس وما افترن به انشـــاؤها من انصراف القائمين عليها للدرس والبحث عاملا هاما في رفع شأن لغة العرب وثقافاتهم • والنطور الهام الذي شهدته أفريفيه في عهد الإغالبة هو انتشار مذهب مالك من مدرسة القيروان وغلبته على القسم الغربي من العالم الاسلامي ، ومذهب مالك في الحقيقة انتسر في أفريقية قبل الأغالبة . غير أن عصرهم شهد الانتصار النهائي لهذا المذهب وسرعة انتشاره • وقد وفد المذهب قادما من مصر كما وفدت المذاهب الاسلامية الإخرى، ورحل كتيرون من غقهاء المعرب الى مصر والمجاز طلبا للمزيد من فقه عالم دار، الهجرة (١) ثم عادوا الى بلادهم متأثرين بما سمعوا ، ثم جاء ألم بين الفرات فقيمه القيروان (٢) ورحل الى مصر وسمع من على بن القامسم امام المــالكية في مصر فتاثر به ودون خلاصة مشاهداته في كتاب مشهور في تاريخ الفقه في المغرب اسمه « الأسمدية » ، ويبدو أن ما سمعه الأفريقيون من علمائهم الراحلين الى مصر أو ما سمعوه من دروس أسمعه ابن الفرات حببهم في هذا المذهب هاشتد اقبالهم عليه . وهذه الرغبة في الاستزادة من علم مالك دفعت سحنون بن سمعيد الى الرحلة الى مصر أيضًا ليسمع من على بن القاسم ، وأقام بالفسطاط زمنا ثم عاد لبلده ، وجمع خلاصة در اساته وقراءاته المالكية في أول كتاب ظهر في فقه مالك غير الموطأ وأسسماه « المدونة » ويرجع الى تحمس سحنون العريب الى مذهب مالك الفضل في دخول النساس فيه جماعات ، وطار صيته الى الأندلس ، فجاءه علماء قرطبة بسمعون منه ، وبدأ مذهب مالك منذ ذلك. الوقت يدخل بلاد الأندلس وينتشر فيها ء

⁽١) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

⁽٢) المسألكي : رياش النفوس ص ١٨٤ .

وكان مذهب أبى حنيفة قد وفد الى أفريقية بقيام الدولة العباسية قلم يلق اقبالا القسلة اعتماده على النحديث وميله للرأى والاجتهاد (١) ، ولكن مذهب مالك فى عهد سحنون بدأ ينغلب على مذهب أبى حنيفة وبدأ المسالكية يغلبون على الحياة الثقافية فى بلاد المغرب كلها .

وتمكنت تقاليد المسالكية من نفوس المفاربة بفضل مدرسة القيروان وقد وقفوا للمذاهب الأخرى بالمرصاد ، لهلما انتشرت بالهريقبة مصنة خلق القرآن وآراء المعتزلة وقف المسالكية متمسكين بالكتاب والسنة ، حتى هزموا المعتزلة فلم يبق لهم رأى ولا أتبساع ، ولم يجد الأمراء مفرا من النزول على رأى المسالكية () .

اتنصر المسالكية انتصارا عظيما في عهسد الأغالبة وكانت مقالمهتهم للأمراء، وعدم السير في ركابهم وأخذهم بالبأس والشدة أمرا مصببا الى المصاربة الذين عرفوا بالنزعة الاستقلالية، واسبح فقهاء المسالكية في نظرهم الزعماء الممارضين للحكام والمدافعين عن الضعفاء .

ولم تقفر مدارس أفريقية من الوان الثقافة العربية الأخرى ، فكانت جميع العلوم الاسلامية تلقى في مدارس القيروان ، لكن المفاربة غلبت عليهم النزعة الممالكية فجعلتهم لا يعرفون من الدراسات الاسلامية غير ما يتصل بها .

واستطاعت مدرسة القيروان أن تبسسط نفوذها على المغرب كله ، بل امتد هذا النفوذ الى صقلية والأندلس ، والذى يطلع على طبقات فقهاء القيروان وطبقات فقهاء الإندلس وصقلية يدرك هذه الإعماق البعيد، التى اتهت اليها هذه المدرسة الاقليمية التى برزت فى الغرب الاسسلامى. في المصر العباسي الأول ،

⁽١) المسالكي : رياض النفوس ، ص ١٦٠ .

⁽٢) الدباغ: معالم الايمان ، ج ١ ، ص ٢٢ .

ولم تكن مدرسة الفسطاط بأقل أهمية أو أضأل أثر ا من مدرسية القيروان ، فقد كانت في آخر العصر العباسي الأول تزداد رسوعا ونقدما ريما لا يلحظه من يعيش في بعداد حيث المستوى الثقيافي الوفيع . وسيأتي وقت تقف فيه من مدارس العراق على قدم المساواة ، ثم يكتب لها التفوق في عصر ضعف الخلافة العباسية في بغداد وفي ظل الامارات المستقلة التي ظهرت في مصر . وبدأت مدرسة الفسطاط تتخذ طاما دنيا واضحا وظهرت بها علوم القراءات ، وقد بدأت هــده العلوم بدروس ألقاها أبوأمية المعاغري المسحابي شم توطنهذا العلم بالفسطاط وبرعفيه ورش (١) ونافع • وقد رسخت قدم الفسطاط في علوم الفقه والحديث وذاعت شهرتها وارتحل اليها الناس طلبا للحديث . ويكفى أن نذكر أن البخاري نقل في تفسيره وتاريخه كثيرا عن الصحيفة المصرية في التفسير، وأن الطبرى نقل ألشطر الأكبرمنها في تفسيره • والصحيفة المصرية أشاد بها عدد من العلماء ، فقال الامام أحمد بن حنبل في مسلمه « بمصر مسحيفة في التفسير ولو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا » وقد وفد النسائي مؤلف أحد الصحاح الستة في الحديث على مصر ليرد مورد "الفساط ويقرأ صحيفتها ويلتقي بمحدثيها (٢) • وقد نقل الوافدون الي مصر روايات المصريين أمثال خالد بن حميه الاسكندراني (١٦٩ هـ) وخلاد بن سليمان الحضري (المتوفي سنة ١٧٨ هـ) وعبد الله بن وهيب صاحب كتاب الجامع في الحديث والذي يقال أنه روى عن أربعمائة من الشبيوخ وأنه أكثر من رواية الحديث ، وروى الموطبأ • وشماعت في القسطاط كتابة الأحاديث وقراءتها وتدوينها ، ومن العلماء الدين كاز لهم شان بمصر الليث بن سعد الذي ولد في قرية قلقشنده من قسري مصر سنة ٩٤ ه وتلقى تعليمه على شيوخ مصر وأشهرهم يزيد بن حبيب ،

⁽۱) هو عثبان بن سعيد المعروف بورثن من اصل قبطى وهو مولى آل الزيير بن المولم اشتهر باحدى القراءات المنسوبة اليه . . وانتهت اليه رياسة الاقسراء بالديار المصرية في زماته وكان ماهرا في المصربية ومات بمصر سنة ١٩٧٧ه . السيوطي حسن المحاضرة ك ج ١ / ص ٣٣٤ . (٧) حسن أجد محمود : الكدى المورخ / ص ٣٤ .

ثم رحل الى الحجاز وســـمع من شيوخها أمثال عطاء بن أمي رباح وناقع مولى ابن عمر وهشمام بن عروة ثم رحل الى العراق وسمع من علمائه ؟ وكان علما في علوم القرآن والنحو والحديث والشعر وقد وثق المحدثون بعديثه كل الثقة ، وروت عنه كل كتب السينة الصحيحة ، فقال فيمه أحمد بن حنب سل « ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث - ما أصسم حديثه » . و بلغ من رسوخ قدمه في الفقه أن قرن بمالك ، قال الشافعير « الليث أغته من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به » وفي رواية « ضيعه قومه » وفي أخرى « ضميعه أصحابه » ويبدو أن السبب في ذلك أنه لم يدون مذهبه في كتب ولم يكن له مثل ما كان لأبي حنيفة والشافعي من أصحاب وتلاميذ . ووفد الامام الشافعي على مصر وأقام بها واجتمع به الممريون ، وكان للخلاف في الرأى والمناظرات الشهيرة التي قامت يين المسالكية والشافعية أثر ملحوظ في نهضة العلوم الدينية في البلاد 4 اذ أخذ كل غريق يؤيد وجهة نظره بالآيات والأحاديث ويناصل عن رأيه ويغتز به • وتفوقت الدراسات اللغوية في القرن الثاني وبرز عدد كبير من علماء مصر . وقد أذاع النحوى الشمير « ولاد » شهرة همذه الدراسات غرحل اليه كثيرون من علماء العرائي • وكما عرفت مدرسة الفسطاط الدراسات الفقهية واللغوية شهدت نمو علم التاريخ ، يدل على ذلك رواية الكندي في كتابه الولاة والقضاة ، ثم ابن عبد الحكم القرشي صاحب كتاب فتوح مصر . وأشار الكندى (١) الى جذور المدرسة المصرية في الشمر فيعطينا أمثلة لشمر قاله قوم لم يفرغوا للشمعر ، وال كافوا قد أظهروا بعض المهارة فيه كالولاة والقضاة ، كما ينخير أبيساتا قالها شعراء لم يكن لهم اتصال وثيق بمصر ، كما يستشهد بأبيات من نحو خنمين قصيدة ، ويشير الى شماراء مثل سميد بن عفير والمعلى الطائي وأبو تمام والحسين بن عبد السلام وغيرهم (٢) .

⁽۱) الكندى: الولاة والغضاة ، صفحات ۱۸ ... ۲۵ ... ۲۶ ... ۲

١١١ حسن احبد محبود : الكندى المؤرخ ، ص ، ٤ ، ١] .

وقد تكونت في بلاد السام مدرسة لا تقل عمقا أو التاجاع م مدرسة التيروان أو مصر وضعت جذورها منذ هجرة الصحابة اليها واقلمتهم بها و واتخذوا مسجد دمشق مقرا لنشاطهم العلمي و ومن هؤلاء معاذ بن جبل وأبو الدرداء الإنصارى ، ثم رحل التابعون الى بلاد الشام وقطعت مدرسة الشمام شوطا كبيرا في طريق النمو في العصر الأموى ، وتألقت كثيرا في عهد عمر بن عبد الوزير ، فلما قامت الدولة العباسية كانت هذه المدرسة راسحة الجذور و ويكفي أن من أعلامهما في ذلك الوقت عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي الذي ولد ببعلبك سنة ٨٨ هد ورحل الى اليمامة وسمع من شيوخها ورحل الى مكة والبصرة ثم نزل دمشق وجروت وكان له في الفقه مذهب كمذهب مالك وأبي حنيفة ، وكان أكثر ميلا الى مدرسة الحديث منه الى مدرسة الرأى ، فقد أثرت عنه أقوال في ذم الى المراق ورأيهم و وكان أشد الناس كرها للكلام في القدر وصفات ألم العراق ورأيهم و وكان أشد الناس كرها للكلام في القدر وصفات أله ، وبعد ذلك من البدع ، وقد اتشر مذهبه في بلاد النمام حينا وحمله مهاجرة المرب الى الإندلس الى أن غلب على هذه البلاد مذهب مالك ،

وعلى الرغم من تحول زعامة الشعر من الشام الى العراق بعد سقوط الدولة الأموية الا أن النعر فى بلاد الشام بقى راسخ القدم • والثمالبى فى اليتيمة يشير الى العتابى ومنصور النمرى والإشبع السلمى ومحمد بن زرعة الدمشقى وربيعة الرقى ثم الى الطائبين أبى تمام والبحترى •

كما ظهرت بواكير مدرسة حلب والموصل التى انطلقت فى عهد سيف الدولة الحمدانى ، ولا شك أن ظهور ابن نبساتة ومعلمه ابن خالويه والعسنوبرى والمتنبى والسملامى والواواء الدمشقى والببغاء ، والنامى

۱۱) اهید امین : شحی الاسلام ، ج ۲ ، من ۹۹ ،

⁽م ١٧ - العصر العياسي)

وابن نباته السعدى ممن تألقوا في بلاظ سيف الدولة كانوا أنطلاقة لجذور قديمة أينمت في حلب والموصل في آخر المصر العباسي الأول(ا)

وم نفتر انهصه الفكرية التي انبعث مي العجود هي العصر الأموي، الما المناسبة في مكة والمدينة في العصر العباسي لم تفقضد على الكتاب والسنة و ومن الشهر على كعبها في المحديث والمقته المعتمد على الكتاب والسنة و ومن الشهر العلماء الحجازين في العصر العباسي الأول عبد الملك بن أبي جريع ع وكان علما من أعلام مدرسة مكة ، وقد تلقي عنه الأوزاعي وسنهائي الثوري ابن عيينة وكثيرون وهات سنة ١٩٥٠ م نم سفيان بن عيينة وكان من أشهر المحدثين انتقل الي مكة ومات بها سسنة ١٩٨٨ هـ وقد أخذ عنه الشاهي وأحمد بن حنبل ومحمد بن اسحق ويحيى بن أكثم ، ثم المفشل ابن عياض من منساهير الزهاد رحل الى الكوفة ثم الى مكة وكان يلقب

وكان بالمدينة محمد بن عمر الواقدى شيخ المؤرخين « المسالم بالمفازى والسيرة والفتوح واختلاف الناس فى الحديث والأحكام » وقسد التصل به الرشيد عندما سج الى مكة ليتعرف على المساهد الاسسلامية ثم اتصل بالبرامكة ورحل الى المراق ، على كل حال لم تفقد مدرسسة المحجاز فى المصر المباسل الأول مكاتبها المتفوقة فى الفقه والحديث وما يتصل بهما من أخبار وسير ،

وكان ظهور المدارس الاقليمية على النحو الذي ذكرت ظاهرة غلبت على الحياة الاسلامية كلها في النصف الأول من القرن الثالث الهجزى ، ففي ظل الظاهريين أينمت الحركة الثقافية في مرو وفيمسابور وأصبحت المدينة الأخيرة من أهم المراكز الثقافية في المشرق الاسلامي كله .

واذا أردنا أن نضسيف الي ما تقدم من عوامل مؤثرة في النهضسة

⁽١) معطفى الشكعة : منون الشعر في مجتمع الحيدانيين ص ١١١

الهكرية في العصر العباسي الأول ، فاننا نضيف ما حققه ذلك العصر من مظاهر، الاستقرار الاجتماعي بقضائه على الفتن والثورات وتعكينه للبرجوازية التي صنعت الثورة ، ومن فتحه الأغاق أمام الطبقة العاملة للزيد من التحرر ، وما صحب انطلاقة العصر الخلاف وقصدور الوزراء والقادة وكثرة المهاجرين الى المدن وما شهدته من ألوان اجتماعية جديدة ، وليس أشد تأثيرا في الانتاج الأدبي من الاستقرار الاجتماعي ، فانه يتيح للخمائر الإدبية أن تنضج في آناة وأن تتفتح أزهارها في جو محسمس حافل بالوان الاستقرار ، وشبحر العصر العباسي الأول مرآة صداقة لحياة اجتماعية مستقرة مترفة الى أبعد العدود ،

ويمكن أن نضيف الى ذلك ما كان من تطورات اقتصادية سبق أن المرنا اليها من قبل من تحرر العمال والقلاحين ودخولهم معركة الانتاج ، وما كان من اسسلاح الأرض وزيادة الدخيل ، وتطور التجارة الدولية وارتفاع مستوى المعيشة بعصة ، والثروات الطائلة التى المتلكها المخلفاء ومن أحاط بهم من وزراء وأهراء وقواد وذوى نفوذ ووجاهة ، وكان الخلفاء ومن أحاط بهم من وزراء وأهراء وقواد وذوى نفوذ ووجاهة ، وكان الخلفاء ينفقون في سخاء وبذخ ويصلون الشعراء بصلات عظيمة (١) ويشجيع أمير أو خليفة أو وزير ينفق بسخاء على المجودين من النسرما، يتشجيع أمير أو خليفة أو وزير ينفق بسخاء على المجودين من النسرما، وكان هذه القصور قد تحولت الى أسواق للشعر الجيد ،

وقد ترك ما ظهر فى المدن الكبرى عامة وفى بعداد خاصة من ثروات طائلة ، وبون شاسع بين الغنى المفرط للطبقة الممتازة وبين الحياة القامية المسافة العاملة الكادحة ، أثره فى أدب ذلك المصر ، فقد ظهر تياران متنافضان كل التناقض ، تيار بمثل الانحراق فى الترف الى أبعد

⁽¹⁾ كان الرشيد واسم العطاء كثير السخاء يهتف به الشماعر فيستجب وبليش جوده حتى يعمل به الى حد السرف ، وقف رجل من أثية قل . إرق الرديد ومعه كتاب وفيه تصميدة من أربعسة أبيسات فأمر لله عن . أي بيت الله دالمسار وقال : لو زدتنا لزدقاك ، الجهشميارى ، من ١٧ ،

متهتكة تزعمه به ربن برد الذي كان امام المجان الذي فتح لهم باب التهتك على مصراعيه ، وانتشر شعره في العراق كله فلا غزل الا ويروى شعره ويأتيه النساء في بيته فيأخذ بن عنه شعره ، وكان واصل بن عطاء يقول عنه « ان من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد (١) ،» • وكان بشمار فصمه يقول « عسر النسماء الى مياسرة ، فيشجع الفتيان على الامعان في المفازلة والالحاح في الطلب » . فلما فنح هذا الباب وليج فيه من أتى على أثره سواء في ذلك العربي والعجمي، كمطيع بن اياس وأبي نواس ، واشتهر أبو نواس بمناهمته الأمين ، ويمتاز بخمرياته وغزله ومجونه ، نهو بحق شاعر الخمسر والتهتك والعبث ، وكان غزله وكانت خمرياته مرآة صادقة تعكس الحياة الاجتماعية المترفة التي شاعت في بعداد اذ ذاك ، وظهر تيار آخر لايريد أن يستسلم لهذا اللهو الجارف انما يقاومه ما وبسعته الحيلة ، فظهرت الدعوة الى مزيد من الزهد ومزيد من التقشيف، وقد تزيم هيذا التيار المتزهد المتقشيف أبو العتاهية الذي كان شعره تعبيرا عن آلام الطبقات الكادحة يسيغه جمهور الناس ويمجه أثرياؤهم ومترفوهم • قال المبرد « كان يخسرج القول منه كسخرج النفس قوة ومسهولة واقتدارا » وكان شعره يمتاز بصبغة علمية دينية غلسفية ، وشايعه في ذلك ابن عبد القدوس •

ومن الظواهر البارزة حقا فى تاريخ الحياة العقلية فى العصر العباسى تطور الحركة التعليمية وشمولها واتساع نطاقها بكثرة الاقبال عليها ، ولعل مما ساعد على ذلك أمور معينة نجعلها غيما يلى :

ان المساجد في الحواضر الكبرى عامة وفي بغداد خاصة تطورت وظيفتها التعليمية في العصر العباسي الأول • حكى ياقوت عن الأخفش قوله « وردت بفـداد فرآيت مسجد الكسائي فصـليت خلفه الفداه

⁽١) الأغاني : ج ٧ ، ص ١١ .

عُلَما التعتل من صلاته ، وقعد بين بده الفراء والأحمر وابن سيعدان ، نسلمت وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته في جبيعها ﴾ • وكان المعتزلة يعلمون الكلام في مسجد المنصور ببغـداد . بل عقــدت عالمسلجد حلقات للشعر والأدب فقد رحسل الطبري الى مصر وآملي في مسجد عمرو شعر الطرماح عند بيت المال في المسجد الجامم (١). موكان الكميت بن زيد وحماد الراوية يجتمعان فيمسجد الكوفة ويتذاكران . أشمار العرب وأيامهم • وكان مسلم بن الوليد يملي شعره في المسجد المجامع ، كما كان الناس يتناظرون في الشعر في المساجد (٢) • وروى أن إما العتاهية كانيجلس في المسجد وحوله الناس ، كما روى أبو معمه الميزدي أن أبا عبيدة كان يجلس في مساجد البصرة الى سارية « وكنت أمّا وخلف الأحمر نجلس جميعا الى أخرى»(") · فكأن الساجد لم تعد لأماكن لتدريس الفقه والحديث فحسب بل دخلتها علوم المعتزلة وعلوم الآداب واللغة . وكان العلماء المنصرفون الى التدريس بهذه المسساجد بينالون من عناية الخلفاء والأمراء والأثرياء الشيء الكثير. وكانوا يتخذونهم والادهم معلمين ومؤديين • فالمنصدور المختار شرقى ابن القضامي معلما للمهدى ، والمفضل الضبى كان يؤدب المهدى ، والكسائي اختير لتعليم الأمين ، وأبو محمد يحيى بن المغيرة اليزيدي كان يعلم المأمون ، والفواء كان يؤدب أبناء المــ أمون ، وكان ابن السكيت يعلم أبناء طاهر • يضاف الى هذا كله انتشار مجالس المناظرة في الدور والقصور والمساجد بين العلماء وفي حضرة الخلفاء ، في الفقه والنحو والصرف واللغة والمسائل المدينية • وكان يشد من أزرهذه المناظرات الشعف بالعلم وعطايا الخلفاء والأمراء ويشتركون في الرأي يؤيدون البعض ويفندون البعض • وكان العلماء يستعدون للمناظرة ويتسلحون لها رغبة في الشهرة وذيوع الصيت. خُوكانت تذكيها المنافسة الحادة بين الأراء والمدارس • وقد شهدت

⁽١) ياتوت : معجم الأدباء ، ج ١ ، ص ٣٢) .

⁽٢) الافاتي : ج ١٥ ، من ١١٣ ه

⁽۱) أحمسد أمين : شجى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٥٣ م

بغداد على ندو خاض مناظرات في النحو والصرف واللغة • مثل ما كان يجرى ما بين سيبويه والكسائي في مجلس يحيى البرمكي • وما كان بينه الكسائي واليزيدي في حضرة المهدى ، ثم الكسائي والأصمعي أمسام الرشيد، وما روى من محاورة أبي العباس احمائينيسيي مع ابن الأعرامي ف مجلس الأمير ابن سميد ، كما تناظر أبو العباس ثعلب مع الجرد فه حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر ، ومن أشهرها جميعا مناظرات المأمون الذي كان يرى أن تثار بين يديه المسائل الدينية المختلفة ، فيسمع من كل رأيه وحجته ، ثم يفصل في أوجه النفلاف على ضوء هذه العجج • وقله صحب هذا كله ، امعانا في شد أزر الحركة التعليمية ، انشاء المكتبات واقتناء الكتب ووضعها في متناول كل طالب للاستزادة من العلم ، وكانت أكبر مكتبات بعُداد خزانة الحكمة ، وكانت في عهد المسأمون تتألف من خزاتتين خزانة الرشيد وخزانة المسأمون (١) . وكانت هذه المكتبة تتولى نسمخ الكتب ثم ترجمتها الى العمرية ، وكان بهما رئيس للمترجمين ومساعدون ومدير وأعوان وكان غيها مجلدون أيضا() . وقلد الخلفاء والأمراء أثرياء العلماء والأدباء فكانت لهم مكتبات خاصة عظيمة ، روى ثعلب أنه رأى لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب، وكذلك كاف الكندى الفيلسوف مكتبته الخاصة العظيمة التي سميت بالمكتبة الكندية (") •

وكان التعليم حوا لا تنفق عليه الدولة من مالها ، وليس مى ميزافيتها باب خاص بالتعليم ، اللهم الا ما يعنمه الخلفاء والأمراء والأثرياء لمن اتصل. بهم من الملماء ، ولم تكن الدولة تتدخل فى وضع منهاج معين أو هراقية معلم اللا من انحراف نحو الزندقة (أ) ، ومما ساعد على شسيوع الثقافة وذيرعها وتوغل الحركة التعليمية الى أدنى طبقات المجتمع أن باب العلم

⁽۱) الفهرست ص ۱۹۰ ۰

⁽٢) تفس المستدر ص ١٠٠٠

⁽١) ابن أبي اصيبمة : طبقات الأطبساء ، ج ٧ ، ص ١٢٠٠ .

⁽٤) أحبسد أبين : ضحى الاسلام ٤ ج ٢ ٪ عن ١٧ .

كان مفتوحا للراغب فيه دون أى قيد أو شنرط ، حتى لمن استطاع أهافه لأن يدبروا النفقات الضئيلة أو استطاع الطالب أن يدبر ما يقتات منه • ولهذا نبغ كثير من الأدباء والعلماء من الطبقات الفقيرة كأبى المتاهية الذى كان خزاها وأبى تمام الذى كان يسسقى بالجرة ، وأبى يوسف المقاضى الذى كان يعمل قصارا •

ومما ساعد على نمو الحركة التعليمية وذيوعها أيضا وامتدادها الى أبعد الحواضر ماكان من رحلة العلماء بين مشرق العالم الاسلامي ومعربة ولا شك أن الأمن الموفور والمستوى المعاشي المرتفع والتشجيع الكبسير المدى يظفر به الرحالون من الولاة وسراة الناس كان له أثره العظيم في اشتداد الرحلة الى الأمصار ، وقد رحل علماء اللغة الى البادية يقيدون الملقة والأدب ، ورحل علماء العديث ، بل المتدت الرحلات الى بلاد الروم فارسل المامون بعثة الى المسلطنطينية لاحضار الكتب ، ورحل حسين المعت الى بلاد الروم ليتمكن من اللغة اليونانية .

ومن الظواهر التي تستحق التسجيل أن المصر المباسى الأول ونهاية القرن الثالث الهجرى شهد تدوين التراث العربي كله شعره ونثره • فكان هذا العمل الجليل من أهم المنجزات الثقافية في تاريخ الفكر العربي ، وفي النوق لا نريد أن نمر بهذه الظاهرة مرورا عابرا أنها ينبغي أن نقف عندها وفسأل عن الدوافع التي أدت الى مثل هذا الحدث الفكرى ثم نتحدث عن تفاطيله مشيرين الى تتاجعه •

فالمفافات الجديدة التى دخلت فى الاسلام واستمربت ، والمسلاين المتصفحة الى المعرفة لم يكن من المقول أن تقنع بالتراث الذى يحتكر روايته شسفاها جماعة من الحفاظ انها كاثوا فى حاجة الى أن يجدوا بين أيدهم التراث كله مجموعا ليكون غذاء لروحهم ووقدودا لنهضتهم . كما أن النظرة العلمية الجادة التى جاءت تنيجة للاحتكاك بالفكر القديم

والهلئيتي بوجه خاص وتتيجة لاسلام الموالي واستعرابهم لم يكن من المقول أن تنظر نظرة الاعتبار الى التراث المروى مشافهة ، الما كانت في حاجة الى متون بين أيديها تقتلها درسا وبحثا . وثمة اعتبار آخر نبع من المفكرين العرب انفسهم الغيورين على تراثهم الفكرى ، وهو خوفهم من أن تمتد الى هــذا التراث غير المكتوب يد الوضع والانتحال والترييف بسبب الاعتبارات التي استجدت على الحياة العربية في القرن الشافي الهجري ، كالشعوبيين الذين كانوا ينالون من الثقافة العربية ويزرون بكل ما هو عربي . وكان العرب في حاجة الى مواجهة هذه الحركة بيعث أمجاد العرب القديمة والتاريخ المساضي العربي ، كما أن الغرق الدينية والتيارات السياسية المتضاربة كانت تمتد الى التراث العربي لتلتمس منه ما يؤيد وجهة نظرها ويكسب نشساطها طابعا مشروعاً • ومن غريب الاتفاق أن تواكب هذه الحركة التدوينية الكبرى نشاط صناعة الورق وكثرتها في المصر العباسي . وقد تشطت صنعة الوراقة وهي صناعة كان يقوم أصحابها بنسخ الكتب وتصحيحا وتجليدها ، واتتشرت دكاكين الوراقين وكالت مصدرا من مصادر انتشار الثقافة في الأمصار ، وكان المتعلمون يذهبون الى دكاكين الوراقين يطالعون فيها الكتب، وكان الجاحظ يؤجر دكاكين الوراقين ويبيت غيها للمطالعة (١) •

امتدت حركة التدوين إلى ميدان اللغة والأدب غاتجه الدارسون الى اللغة يصمون الكلمات التي نطق بها العرب وكان علماء اللغة من بصريين وكوفين يتسما بقون في الرحلة إلى البادية والأخذ عن العرب وقد اشتهر بالرحلة أبو زيد الأنصاري وأبو عمرو بن العلاء والأصمحي والكسمائي وأبوزيد يقول في مقدمة كتابه النوادر « ما كان فيه من شعر القصيدة فهو سماعي من المفسل بن محمد الفمبي ، وما كان من اللغسائي المناب وأبواب الرجز غذلك سماعي من المرب » وسال الكسمائي المغليل بن أحمد : من أين علمك هذا؟ قال من بوادي المجاز وفجد وتهامة

⁽١) ياتوټ أ معجم الادباء ، نج ١ ، س ١٥.٠

سويحرج الكسائى فى طلب اللغة حتى قيل اله استنفد خمس عشرة قنينة حجر سوى ما حفظه و بعضهم كانوا يخرجون الى البادية ويمضون المحكم المحكم على المحكم على المحكم عن العرب المصحاء قد ملات بيتا له الى قريب من السقف() و حكان كثيرون من الاعراب يفدون على مدن العراق ليأخذ الملساء عنهم اللغة وقد أشار ابن النديم الى طائعة منهم أبو زياد الكلامي وأبو صوار التنوى وثور بن يزيد وأبو خيرة المدوى وأبو مهدية وأبو ضمضم الكلامي () وقد اتصل بهم الملماء يأخذون عنهم و وبعض هنؤلاه الأعراب كان يكتب ، فيؤلف كتبا كأبى زياد الكلامي الذى الف كساب النوادر وكتاب الفرق وكتاب الإبل وكتاب خلق الانسان ومنهم من كان يسلم اللغة والنحو و

كما جمع الباحثون في الفاظ القرآن الكريم ومفرداته وكانت المقاطة مادة كبيرة من مواد اللغة ، وقد اجتهد العلماء في تحديد مصاليها وكانت حافزا على الرحلة لمرفة مدلولها ، وجمعوا حول كل لفظة ما يتصل بها ، كما بحثوا عن الشمر الذي يستشهد به سمواء كان جاهليا أم المسلاما .

ولما تم لهم جمع ما أرادوا من ثروة لندوية عظيمة نهجوا فهج المحدثين ورتبوا درجات الأخذ، فقالوا: أملى عينا، أرفع مندزلة من مسمعت، وسسمعت أرفع درجة من حدثتى، وحدثتى خير من أخبرنى وكانوا يذكرون السند ورتبوا ما ورد في اللغة ترتيب أهل العديث، أهنها ما هو فصيح وأقصح وجيد وأجدود و وكذلك تجريح الرجال موسمه اللغة بعراحل ثلاث: جمع الكلمات حيثما اتفق عم جمع الكلمات المتعلقة بعوضوع واحد، ثم وضع معجم يشسمل كل المكلمات المتعلقة بعوضوع واحد، ثم وضع معجم يشسمل كل المكلمات المتعلقة بعوضوع واحد، ثم وضع معجم يشسمل كل

⁽۱) ابن خلکان ، ج ۱ ، س ۵۰۰ ۰

⁽۲) القهرسبت ، س ۴۳ ۰

AT) احسد امين : ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ،

والعلماء الذين رحلوا الى البادية أو رحـــل الأعراب اليهم كانوا يزورون ديار القبائل وياخذون عنهم شعر الشعراء • روى أن الشسافعي كان يحفظ عشرة آلاف بيت من هذيل باعرابها وغربيها ومعانيها كما كان يحفظ شعر الشنفرى ويرويه ، ولم يكتفسوا بذلك بل نقلوا القصــعس وجهة اللغة ففي اللغة مضوا في الجمع والاستقصاء حتى استطاعوا عمل معجم شامل، أما في الأدب فقد عدوا الى الاختيار ولم يضعوا كتسبا شاملة لكل ما روى من أدب القبائل بل عمدوا الى جمع المختارات • ومن أقدم ما وصل الينا في ذلك العصر المفضليات والأصمعيات وجمهره أشعار العرب • ومن أقدم ما وصل الينا من الكتب التي جمعت بين مختار الشمر والنثر البيان والتبيين للجاحظ ، ثم الكامل للمبرد (٣) •

وتطرق التدوين الى ميدان الحديث ، وقد بدأت الخطوات الأولى. لتدوين الحديث في عهد عمر بن عبد العزيز • فقد روى أنه كتب الى أبم. بكر بن محمد بن عمرو « أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية والقاسم ابن محمد بن أبي بكر ٠

وانتشرت هذه النزعة في الأمصار كلها ، ففي مكة جمع الحديث ابن جريج (١٥٠ هـ) وفيي المدينـــة محمد بن اسحق (١٥١ هـ) ومالك بن أنس. (١٧٩هـ) وبالبصرة الربيع بن صبيح (١٦٠) وبالكوفة ظهر سفيان الثورى (١٦١ هـ) وبالشام ظهر الأوزاعي (١٥٦ هـ) وباليمن معمر (١٥٣ هـ ﴾ وبخراسان ابن المبارك (١٨١ هـ)٠٠ ويسصر الليث بن سعَّد (١٧٥ €) ﴿)

⁽١) نفس الرجع ، ص ٢٧٢ ،

⁽۲) نفس الرجع ، ص ۲۷۷ ، (۳) احمد امين : ضحى الاسلام ، ج ۳ ، ص ۱،۷ ،

ولم تصلنا من هذه المجموعات المبكرة الا موطأ مالك ووصف لمعضى المجموعات الأخرى ، وأكثر هؤلاء الجامعين انما فضلوا ذلك ردا على حركة فقهاء المراق القياسيين ، وأن أمثال مالك والأوزاعى وسيفيان الثورى والليث بن سحد كانوا فقهاء من مدرسة الحديث يؤثرون الحديث ولو كان ضعيفا ،

وفي مستهل القرن الثائث مفي تدوين الحديث خطوة آخرى وهي التخطص من طبيعة المرحلة السابقة ، وهي مراعاة الأبواب ومزج حديث الرسسيل بأقوال الصخابة والتأبين والانفراد بالحديث فقط ، فصدف عبد الله بن موسى العبيى الكوفي مسندا ، ووضع مسدد بن مسرهد البصري مسندا ووضع أسد بن موسى الأموى مسندا ، وفيم بن حماد الطفراجي نزيل مصر مسندا ، واقتضى الأثمة أثرهم ، فسا من امام من الحفاظ الا وصنف حديثه مسائيد ، وطريقها أن ترتب الأحاديث على حسب الراوة من الصحابة ، وأساس التقسيم هنا وحدة الصحابي الراوى وممنى هذا أن الحديث استقل عن الفقه ، وروى الحديث مجردا من أي اعتبار وجمعت الأحاديث كها صحيحها وسقيمها ،

ثم بدأت المرحلة الأخيرة آخر القرن الثالث ونشسطت حركة الجمع والنقد، وتميز الصحيح من الضميف وظهرتشريح الرجال والحكم عليهم ه وأثلقت أهم كتب الحديث ه

فقد ألف البخارى الجامع الصحيح، وألف مسلم صحيحه، وألقت من ابن ماجه، وسنن أبى داود، وجامع الترمذي، وسنن النساني وهي الكتب السنة الصحاح •

والمحق أن ثقات المحدثين بذلوا جهودا كبيرة في التمحيص، واجتهدوا في وضع رواة المحديث من التابعين ومن سدهم في موازين دقيقة ، وشرحوا كل راو وعرفوا تاريخه وسبيته ، ووضعوا قواعد الجرح والتعديل وابستهم في هذا النهن محيث بن سسعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي

نم يعيى بن معين وأحمد بن حنب ل ومحمد بن سعيد • والف البخارى في هذا الباب ثلاثة كتب سمى كل منها صحيح البخارى • ومن المؤلفين من افردوا للثقات كتبا خاصة وللضمفاء كتبا والمدلسين كتبا ، كما وضعت قواعد نقد الحديث •

وامتد التدوين الى الفقه ونست حركة تدوينه واتسحت في المصر المباسى ، وكان لكل مدرسة اتجاهها ، فقهاء المدينة جمعوا فتاوى عبدالله ابن عسر وعائشة وابن عباس وكبار التابعين بالمدينة ، أما العراقيون فقد جمعوا فتاوى عبد الله بن مسمود ، وقضايا على وفتاويه ، وقضايا شريح ، ثم بدأوا يبوبون الحديث أبوابا حسب الفقه ، ثم جمعوا الأحاديث المستقلة بموضوع واحد في باب واحد ، أما أهل العراق فكاتوا أميل الى الرأي، ومن أظهر علمائهم ابراهيم النخصي وحماد بن أبي سليمان شيخ أبي حديقة ، ومن أقدم ما وصل الينا في الفقه العراقي كتاب المخراج لأبي يوسف عم كتب محمد بن الحسن (ا) ،

على كل حال ٥٠ فى هذا المصر دونت كتب الفقه واصطبعت بصيعة قانونية بعد أن كانت صبعتها من قبل صيفة حديث ، وظهر فيها أثر الخلاف فى المداهب وأثر الجدال ، واصطبعت كتب العراق بالمنطق .

وتجاوز التدوين الميادين التي ذكرت وامتد الى الأهبار والأيام والتساريخ و وكانت الدراسات التاريخية منذ النصف الأول من القرن الإول الهجرى قد وضحت فيها اتجاهات ثلاثة: الاتجاه الأول مفى نحو كتابة مفازى النبى وسميرته وتقد وضح همذا الاتجاه في مدرسة المدينة المنورة (٢) و وأدت كتب مفازى الرسول الى كتابة مفازى الرائمسدين ونشأت كتب غنوح الأمصار ، كما أن الكتابة في المسيرة أدت الى الكتابة في مسير الصحابة والتابعين الأمر الذي صحاته كتب الطبقات ابتداء من

⁽۱) احبد أبين : ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ،

⁽٢) عبد المزيز الدوري : علم ألتاريخ عند العزب ، ص ٢١ ١٠٧ .

ابن سعد حتى البخارى ، وكان أغلب المستغلين بهذا الانتجاء قوم مدنيون كلهم رواة حديث لا ينسب اليهم الكذب أو الوضع ، لأنهم كانوا يتحرون الدقة فيما ينقسلون ، ويلاحظ في كتابة المغازى في هذا الوقت المبكر المعناية بالاسناد والعناية بالعقيقة ، ثم كان الاتجاء الثانى هو أسسلوب المقصص المتاريخي الذي بدأه عبيد بن شرية واكتمل هذا القصص المقديم على يد وهب بن منبه ، وقد أثار ذلك كله أهتمام العرب بالتاريخ القديم وبسير البشرية كلها. ، أما الاتجاء الثال فقد نشأ في البصرة والكوفة وهو يعني بأخبار القيائل العربية عامة وقبائل العراق خاصة أو العناية بالإنساب عامة وأنساب اليصريين والكوفة خاصة ، والشنطل بهذا الاتجاء النسابون الذين تخصصوا في تاريخ القبائل العربية وأنساجا ، ولم يهمل النسابون المذيخ التأريخي الذي تبنته مدرسة المدينة ونعني به الاسسناد ومسلسلة المرواة والحرص على اثباتها (ا) ،

ثم اكتملت المدرسة التاريخية في أواخر الترن النساك ، ونت الأجيال العربية المتماقبة تتبادل التجارب والخبرات ، وكان جيل القرن الثالث قد أفاد من تجارب مدرسة المدينة والبصرة والكوفة والفسطاط ، والتقت الاتجاهات كلها وأصبح الكتاب لا يعسلون تقاليد المدينة ولا تقاليد العراق ، وأصبحت لهذه المدرسة الجديدة مسمات واضحة نحملها فسما على:

استخدموا أسلوب المحدثين في النقد والرواية والعناية بالاسسناد الآكثر من العناية بالعنبر ، وأصبح رائدهم أن نطرح الاقليمية العنيفة وأنه لا بد من الرحلة في طلب العلم من الأمصار الأخرى ، كما للمح في مسدلة المصر الاستفادة من الميراث السابق الى أبعد المحدود ، والاستفادة من مواد كتب السيرة والاخباريين وكتب الأنساب والمصادر الأخرى ، وكان عملهم في هدذه الفترة أن تعد المسادة التي جمعها السلف مع استبعاد المخييث وابقاء الطيب ،

⁽١) حسن أديد محبود : الكندى المؤرخ ، ص ٥٣ .

وقد شهدت المدرسة التاريخية في النصف الأخير من القرن الثالث المهجرى نشأة مؤرخى الأمصار المعنيين بتراثها وسرد أخبارها المتحدثين عن قبائلهما وأنساب أهلهما والترجمة لمحدثيها وعلمائهما ، من هذه التواريخ المحلية قسم غير ديني تأثر السلمون في كتابته بنماذج قديمسة نشات في سوريا في المهد البيزنطي (١) كما وجد مثل هــذا النوع في الأدب السرياني القسديم ، كما تأثر المسلمون أيضما بالأدب العسارسي الذي عرف هذا النوع من التواريخ المطية . وقد كتب في تاريخ العراق منذ القرن الشالث الهجري كتابان : تاريخ بغداد لأحمد بن أمي طاهر طيفهر ، وتاريخ الموصل لابن زكريا الأزدى . وقد ازدهر هـــذا النوع من التاريخ على الخصوص في ايران حيث وصلت النعرة القومية الي الذروة ، وأخذ الكتاب الفرس يتغنون بفضائل بلخ وخراسان ، فكتب خبرة الأصفهاني تاريخ أصفهان وألف حسن بن محمَّد القبي تاريخ قم • أما القسم الديني من التواريخ المحلية فانه تضمن التــــــأريخ للمعرمين مكلة والمدينة . أو التاريخ لبعض المدن مع العنساية بصفة خاصمة بالمحدثين والبققهاء والعلماء أو الحكماء والشعراء وذوى النباهة • وأقدم ما ألف غي هذا الباب تاريخ واسط ، ومؤلفه يعرض لتاريخ واسط القديم ثم يتحدث عن مدارسها وعلمائها ويرتبهم طبقات قربا أو بعدا من الرسول، وهذا النوع من التــاليف اتسع نطاقه بعض الشيء فيما بعـــد وعدل عن ترتيب العلماء طبقات وبدأوا يرتبونهم أبجديا أحيانا أو طبقات أهيانا أخرى ه

ولا يمكن أن يغتم القول في دراسة الاتجاهات الثقافية الكبرى التي ظهرت في ميدان الفكر الاسلامي في العصر الساسي الأول دون الاشارة الى ظاهرة الاحتكاك الفكرى بين الثقافة العربية التقليدية وبين المثقافات الاجتبية ، أعنى ذراسة حركة الترجمة من المعارف القديمة الى الله السربية ، هذه المعركة التي ازدهرت ووصلت الى ذروة الازدهار آخر التاف الهجرى ،

⁻ ١١١ رزونتال : علم التاريخ عند المسلمين ، صاحات ، ٩ ، ١٢٩ ،

والمنهج الذي يفرض نفسه على دراسة هذه الناحية الهامة في تاريخ الفكر الاسلامي ليس مجرد احصاء أسماء من قاموا بالترجمة أو أسماء الكتب التي ترجمت أو المسارف التي أفاد العرب منها أكثر من غيرها • المبنا المهم أن نبرز ناحيتين هامتين ، الحوافز التي شدت من أزر حركة التيرجمة حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، ثم الآثار التي تركتها العلوم المترجمة في الفكر العربي • ومن أهم الدوافع التي ساعدت على ازدهار حواكة الترجمة نمو العسلاقات الدولية في العصر العباسي الأول والجهود التتم بذلها العباسيون في فرض السلام ، والمبادلات التجارية النتي وصلت اللي الذروة في عهدهم ، والتي حملت التجار الي كل سدوق ودفعت السفن العربية في كل بحر • وقد كانت الدولة العباسية تعقد الصفقات الشراء الكتب وتدفع في سبيلها أغلى الأثمان • وقد بدأت هذه الصفقات الثقافية في عهد المنصور ، فروى أنه بعث الى ملك الروم في طلب كتب البسلم فكان من جملة ما حمل اليه كتاب أقليدس (١) ، ثم تتابعت جمود الخلفاء في طريق هذا التبادل الثقاف ، ويشير أبو الفرج الأصفهاني الى يحدوم رسل امبر اطور الدولة البيز نطية الهيلاط الرشيد غسألوا عن الشاعر أبي العتاهية وأنشدوا شيئا من شعره ، وكان الرسول يحسن العربية فلمنا فقل الرسول الى الامبراطور خبر ما رأى وما سمع كتب الى الرشيد يسسأله أن يوفد اليه أبا العتاهية وأن يأخذ قيب من الرهائن من يريد ، واعتذر أبو العتاهيــة (٢) • لكن تنظيم هذه الصــفقات الثقافية تم على أكمل وجه فيعد المامون حكيم بني العباس الذي سخر كل الامكانيات ولمرق كل السبل ، ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة في مكتبات القسطنطينية أو قبرص . ورى ابن النديم أن المـــأمون كان على اتصال بألامبر اطور البيزنطي ليو الأرمني وقد استظهر عليه المــأمون • فكتب المي ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ مايختار من العلوم القديمة المخزونة

⁽١) ابن خلاون : المتسمعة ؛ ص ١٠١٠ -

۱۷۱ الأغانى: ج ۳) من ۱۷۱ .

المدخرة ببلد الروم فأجاب الى ذلك ، فأخرج المــأمون لذلك جماعة منهم. الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة فأخدوا مماوجهوا ما اختاروا فلما حملوا اليه أمرهم بنقله فنقل. وقد قيل اذيوحنا بنماسويه ممن نفذ الى بلد الروم ، قال محمدين اسحق : ممن عنى بلخراج الكتبيه من بلد الروم محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم . وبذلوا الرغائمية وألفذوا حنين بين اسمق وغيره الى بلد الروم فجاءوهم بطرائف الكتب وغيائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقي ٥٠ والطب • وكاف قسطا بن لوقا البعلبكي قد حمل معه شيئا فنقله (١) • ويبدو أن بشبات الكفيف عن كنوز الكتب لم تترك مكانا أينعت فيه الثقافة الهللينية الا وذهبت اليه، ذكر أن المامون لما هادن صاحب جزيرة قبرس أرسل اليه يطلب خزائن الكتب اليونانية الموجودة في الجزيرة • وكالهت هذه الصفقات يذكيها شغف المامون الغريب بالفكر الاغريقي هفة الشفف الذي كان يشغله حتى في نومه ، قال ابن النديم « ال الماموق رأى في منامه كأن رجلا أبيض اللون مشربا بحمرة واسع الجبهة مقروق الحاجب أجلح الرأس أشهل العينين حسن الشمائل جالس على سريره -قال المـــامون : وكأنى بين يديه ملئت له هيبــة فقلت من أنت ؟ قال تـ آذا أرسطاليس (١) » ولم تفتر هذه الحركة انما بقيت على أشدها زمن المعتصم والواثق • وأغلب الظن أن صفقات مماثلة عقدت مع الهنود أو الزرادشت أو أباطرة الصين .

وثمة عامل آخر كان من أهم جوافسز حركة الترجسة ، وهو أله مع مطلع العصر العباسي لم تعد الترجمة حركة فردية انما الصبحت حركة تنظفر بعناية الدول وتنسجيمها ، تساعدها وتنفق عليها الأموال الطائلة والمنصور في بغداد جمع حوله صفوة العلماء من مختلف النواحي وشميع على ترجمة كتب العلوم ، واستجاب كثيرون ودفعهم التشسجيع الأدم

⁽۱) النهرست ، س ۳۳۹ ۳٤٠ ،

⁽٢) النهرست ، ص ٣٣٩ ٠

والمسادى للاجادة • ومن أبرز هؤلاء عبد الله بن المقفح • ولم يكن الرشيد أقل من المتصدور الفاقا على الترجمة والمترجمين • فقـــد ذكر ابن امي أصمييمة (١) أن الرشميد قلد يوخنا بن مامسويه ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم • وامتدت الترجمة الى الكتب الفارسية أيضا فقد اهتم يعيى بن خالد البرمكي بالترجمة من الفارسسية الى العربية غجلب مجموعة من الكتب الفارسية ووكل ترجمتها الى من يجيدون اللمنانين العربي والفارسي ، أمثال أبي معهل الفضل بن نوبخت وعلان الفحوبي ، كما أرسل في طلب بعض العلماء الهنود وعهد اليهم بالترجمة الى العربية • وتسخير الدولة امكانياتها كلها في تشجيع عركمة الترجمة وصل الى الذروة في عهد المسأمون ، فقد أنشأ بيت الحكمة فير بغداد ، وكان يضم خزانة كتب ودارا للعلم ودارا للترجمه ، وكان هذا المهد من وجوه كثيرة أعظم المعاهد الثقافية التي أنشئت بعد متحف الاسكندرية الذي أسس في القرن الشالث قبل المياد ، وجمعت له أمهان الكتب باللغات المختلفة وعين يحيى بن ماسويه لرئاسته ، وقد اشتهر من رجال بيت الحكمة علمان : حنين بن اسحق وأصله من العباد من نساطرة العرب، وأحب العلم في صبأه فدخل بقهاد وحضر مجلس يوحنا مِن ماسويه ودخل في خدمة جبريل بن بختيشوع ، وما زال قدمه يرسخ في العلم حتى قلده المأمون رياسة بيت الحكمة • وكان حنين كثيرا ما يترجم الكتب اليونانية الى السريانية ثم يتولى مساعدوه نقلها من السريانية الى العربيه ، وقد توفي حنين سينة ٢٦٠ هـ (٢) ، قال عنه ابن النديم • « كان فاضلا في صناعة الطب فصيحا باللغة اليونانية والسربانية والعربية ، دار البلاد في جمع الكتب القديمة ودخل بلاد الروم » وكذلك ثابت مِن قرة ولد سنة ٢٣١ هـ وتوفي سنة ٢٨٨ هـ ، وكان من صابئة حران صحبه محمد بن موسى الى بفداد وعلمه فبرع في الترجمة ، بل يرجم اليعه

⁽١) طبقات الأطباء ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

⁽٢) الفهرست ٤ من ٤٠٦ ـــ ١٩٤٠ .

الفضل في ترجمة القسم الإكبر من كتب اليونان في الرياضيات والفلك. موظل بيت الحكمة يواصل رسمالته في الترجمة حتى بعمد انتهاء العصر العباسي الأول و وكان الثروة العظيمة التي تجمعت لخلفاء العصر العباسي الإول قد أنفق الكثير منها في هذا الزاد العلمي العظيم •

وثمة أمور أخرى كأن لها أثرها في الاقبال على المرفة المقديسة وورد مواردها ، ومنها ما أشرنا اليه في الحركة التطبيعية وشبيوعها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقافة الدييسة ، فنشأت المقليات التي يلا تقتم بالثقافة التقليدية الموروثة انها ترنو الى المزيد اوواه لتعطشها الى المموفة ، فكان المورد الاغريقي الذي عبوا منه عبا ،

كما أن الفرق الاسلامية وهي تتصارع من أجل البقاء لم يكن يكفيها
قن حتكلم بالقرآن والسنة و والمتكلمون التواقون الى المجدل والمناظرة
والمفكرون العرب الذين تصدوا للشعوبيين والطاعين في الاسلام ، كل
هؤلاء كانوا في حاجة الى قوال علمية منطقية تصبب فيها أفكارهم
فتزداد أسلحتهم مضاء ويزداد تفكيرهم انطلاقا ، فكان الاقبال على تراث
المناطقة والمفكرين الاغريق ، كما أن ما شهده العصر العباسي من تطور
تكنولوجي وحاجته الى مزيد من المعرفة بالطب والرياضة والمفلك ،
كان يدفع الخلفاء ورجال الدولة الى الكشف عن الخبرات القديمة
للاغريق والهنود والفرس وتطويرها لتوافق روح العصر ،

ويمكننا أن نضيف الى ذلك كله حقيقة أخرى هامة ، وهمى أن أهل الملئمة هم الذين تزعموا حركة الترجمة وبرعوا فيها والخلصسوا لها كل الانحلاس ، ولم يكن من المقول أن يأتى ذلك عفوا ، لها أتى بعسد أن أتف أهل الذمة الحياة العربية وشاركوا فى العياة المسياسية ، ولم يفقدوا حرياتهم الدينية وتعموا بعصين المعاملة وطيب المعاشرة ووجدوا أن الدبن

ودو تالمهر سنت کا من ۱۹۰۶ م

^{*} TA+ m 4 * m + TA +

هم يعط بينهم وبين تطلماتهم المتنوعة ، كما أنه لابد أن يمضى وقت ظويَّل فميستعرب أهل الذمة ويتقنوا اللغة العربية الى جانب لغاتهم الأصسلية ، بوالم يتم استعراب أهل الذمة على نطاق واسم الا في العصر العياسي ، ويتحدث ابن النديم (١) عن أهل الذمة الذين أسهموا في حركة الترجمة ويلكر منهم يعض الأسماء التي رأينا أن نوردها هنا :

يوحنا بن ماسويه الذي أرسل لجلب الكتب من بلاد الروم ، وهنين ابن اسحق ، وقسطا بن لوقا البعلبكي البطريق في أيام المنصدور وابنه أبو زكرياء يعيى بن البطسريق ، والحجاج بن مطر الذي نقل المجسطي والليدس . وابن ناعبة واسمه عبَّد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي ، حبيب بن يعرين مطران الموصــل ، زورباً بن ماجوه الناعمي الحمصي . هلال بن أبي هلال المحمدي . بسيل المطران ، أبو نوح بن الصلت . اسطات حيرون ﴿ اصطفن بن باسيل ﴿ ابن رابطة ﴿ تيوفل ﴿ شــملي ﴿ عيسى ابن نوح . تدرس السنقل . داريع الراهب . هبابنيون . صليبا. أيوب الرهاوي . ثابت بن قسم . أيوب وسسمعان اللذان فسرا زمج جطليموس لمحمد بن خالد البرمكي . باسميل وكان يخدم ذا اليمينين . أبين شهدى الكرخى • أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب • أبوب بن القاسم الرقى • دار يشموع وكان يفسر لأسحق بن سليمان ابن على الهاشمي من السريانية للمريبة . حين ابن اسحق . ثابت ، حبيش . عيسى بن يحيى . ابراهيم بن الصلت . بل أشار ابن النديم الى نقلمة الهنسد والنبط (١) ومنهم منكة الهنسدي وكان عند اسحق بن سليمان أبن على الهاشمي ينقل من الهندية الى العربية . وابن دهن الندى وكان ييشرف على بيمارستان البرامكة وابن وحشية الذي نقل من النبطية الى الم يسة •

تلك أهم الدوافع التي شدت من أزر حركة الترجمة وأتاحت للمرب

 ⁽۱) النهرست ، چن ۳٤٠ ــ ۳٤۱ .

⁽٢) الفهرسنتا ، جي ٢٤٩ .

هذه المناهل الغريرة من العلم والمعرفة • بحى أن تنحدث قليــــلا عن أهم آفذه المناهل (!) • • ماذا أخذ العرب منها وبأى أهكار تأثروا • وأى آثابي باقية تركتها هذه الثقافان في ملامح الفكر وقسماته •

من هذه الثقافات الثقافة الهلنية من منابعها التي اشتهرت في الشرق الثقافة أثرًا في الفكر العربي شكلا وموضوعًا • فالمنطق اليوناني أعظم. الفكر العزبي صيفا صبت فيها قوالبه . وتأثرت بمناهجه فأصبح المنطق كما يقول ابن سينا « خادمالعلوم » وقد ترك المنطق الاغريقي أثرا كبيرا في الحياة المقلية في العصر العباسي الأول ، فقد أثر في طريقة الحدل والبحث والتعبير والتدليل . وكانت أساليب المتكلمين متأثرة الى حد بعيد بمنطق أرسطو ، بل تطرق التأثير الى ميدان الفقه ذاته ، قارن مثلا بين أسلوب الفقهاء في عصر الراشدين وبني أمية وبين أسسلوبهم في العصر العباشي • فموطأ مالك مثلا يذكر الحكم ثم يسموق الدليل من حديث أو آثر • وكتاب الهداية فيه التدليل الفقهي وخاصة في مسائل الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي . وترى فيه قواعد الجدل والبرهان المتأثرة بمنطق أرسطو . وامتد أثر المنطق الى النحو ، فنجد في كتاب سيبويه الترتيب والتبويب ، يقسم الكلمة الى اسم وفعل وحرف ثم يعرف بكل تمسم ويأثى بالأمثلة ويذكر الأحكام . واستخدم القياس في الفقه وأصدوله وفي الفليسفة • وكان أثره عظيما في تفريع المسائل وتنويعها وحشد المتشابهات تحت قاعدة واحدة . واسقاط ما لم يرد قيه حكم مأثور . ومعمى آخر ترك الفكر الاغريقي طابعه الخالد فبترتيب العلوم وتبويبها عند العرب.

ولم يكن تاثير الفكر الامحريقي في انشكل فحسب بل كان تأثيره موضيوعيا 4 فقد أثرت الفاسيفة الاغريقية في نعاليم المتكامن وأثرت الإفلاطونية المحديثة في التصيوف . وأثرت البيلاغة الدونانية ني علم

 ⁽۱) توسع الاستاذ احسد امين في هــذا الموضوع في اغاشة مبتعة :
 خسحت الاسلام ، ج ١ ، ٥ ص ١٩٢ : ٣٧٣ .

البلاغة عند العرب (١) .

لكن الأمر الذي يحمد للمفكرين العرب أنهم لم يكونوا سبليه غيما وردوا من موارد ، انما استخدموا ما اخذوه استخداما صالحا م شم بنوا على ما أخذوه • وزادوا فيه وابتكروا وصنِغوه بصبغتهم الخالدة. وقاموا بأعظم محاولة توفيقية في تاريخ المكر العالمي بمواءمتهم بين الفكر الانجريقي وطابعه المسادي وبين الاسلام وروحه وفكره • ولم تعدم اللغة المربية من أن تتأثر بهذا الفيض من القراث الاغريقي الذي تدفق في العمر العباسي ، فقد عربه الفاظ يونائية كثيرة ، وترجمت قصص يونانية الى العربية ، أشار ابن النديم الي مترجمات اغربقية في الأسمار والتاريخ ، كما ترجمت حكم فيثاغورس وسقراط وأفلاطؤن وأرسطو وملأت كتب الأدب مثل البيان والتبيين وعيون الأخبار -

أما الثقافة الهنب دية فقد تأثر العرب بها عن طريق اتصال المسلمين بالهنود عن طريق الفاتح والتجارة ، كما أصبحت السند مصرا اسلاميا ، ولنتقل الهنود رحالين آلى أرجاء العالم الاسلامي وحملوا معهم أفكارهم وثنافتهم • وبعض الأفكار الهندية تسربت الى العرب عن طريق الفرس ، فقد اتصل الفرس بالهنود اتصالا وثيقا قبّل الفتح الاسلامي وأخذوا الكثير من الثقافة الهندية وترجموها الى لغتهم . وقد امتد التأثير الهندى للى الالمهات والمقالات الأدبية والرياضيات والأهب مروق باب الالعيات تركبت نظرية الهنود في الأرواح وتناسخها وآن الأرواح لا تموت ولا تغبي وإنبا هي أبدية الرجود لا سميف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء ينصها ولا ربح تيبيسها ولكنها تنتقل من بدن الى بدن . وقعد تركت نظرية التناسخ هذه أثرا في بعض الفرق الدينية وفي يبض قصص أله، ليلة ٤ وعرف علماء المسلمين مذهب السمنية (٢) وناقشوهم كثيرا في كتب التوهيد

⁽۱) أحمد لمين : ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٧٧ م. (٢) ذكر البيروني أنها مرتة شديدة البغض للبراهية وقد كانت في لخراسان ومارس والمسراق والموصل الى حدود الشام في القسدم الى ان ظهر زرادشت في ايران ودما ببلخ الى المجوسية وراجت دعوته فالبجلت المسمنية عنها الى مشارق بلخ . البيروني ، ما للهند من بعولة ص . أ .

وعلم الكلام وخصوصاً ما عرفوا به من نظرية المعرفة واعتقادهم أن العلم. والمعرفة لا تحصل الا من باب الحواس • وكل علم ليس أساسه الحسن الا يكون علما صحيحا • ولكن الالهيات الهندية لم تترك الا تلك الأثار السطحية ولم تنفذ الى أعباق الفكر العربي •

ولكن الأثر العميــق الذي تركته ثقافة الهند كان في الرياضـــيات والفلك • ويبدو أنَّ بعض الرياضيين الهنود وفدوا الى بغداد في عهـــد المنصور وأنه كلف أحدهم باختصار كتاب الفلكي الهندي (يرهمكبت) المسلمون عن الهند كتاب السند هند (٢) وترجموا كتابا آخر اسمه الأركند وثالثا اسمه «الأرجهر» • وقد أخذ العرب بعض الاصطلاحات الرياضية من الهنود كلفظ (الجيب) في حساب المثلثات ، واقتسم ا الكثير مهر بظريات الهند في الحساب والهندسة • وكان الطب الهندي من المنابع إلتي وردها الطب العربي الى جانب المنبع اليوناني • فكان في بعداد أطباء هنود اشتهر عنهم في عهد الرشيد صالح بن بهلة الهندي ، وجلب يحيى بن خالد أطباء من الهند مثل منكة وبازيكر وهليرقل وسندباد () . وتركت الثقافة الهندية طابعها في ميدان الأدب فعربت الفاظ هندية كثيرة واقتبست بعض الآراء في الأدب والبلاغة(١) • كما أولم العرب بالقصص الهندي . ويكفى أن يقال أن أصل كليلة ودمنة هندي نقل الى الفارسية ثم نقل من الفارسية الى العربية ، وقصة السندباد هندية الأصل نرجست الى العربية ، وعدد ابن النديم كتباً كثيرة للهند في الخرافات والأسمار بوالأحاديث ترجمت الى العربية ، وفي باب الحكم أخذوا عن الهند الشيء الكثير فكانت حكمة الهند أقرب الى روح العرب وأحب الى أذواقهم فهي أشمسبة بالأمثال العربية بجملها القصيرة ومعاليها العميقة واهتلات كتب

⁽إ) أحسد أبين أرضعي الإسلام ، ج (، أس ٢٤٢ ،

⁽١) ابن النديم : النهرست ، من ٢٤٢ ،

⁽٢) الجاحظ أ البيان والتهين ؟ بج . ١. ٤ س ٧٨ .

⁽¹⁾ احبست ابين ؛ شخي ألامنائم ؛ ج أ ؛ من ٢٠١٧ -

المصر والكثير من حكم الهناد و يقول ابن قنية « قرأت في كتاب من كتب الهند : شر المال مالا يندى منه : وشر الاخوان الخاذل ، وشر: السلطان من خافه البرى ، و وشر البلاد ما ليس فيها خصب ولا أمن » (أ) وعقد صاحب كتاب سراج الملوك غصلا في حكم شاناق الهندى يتضمن غصحا للملوك بالمعدل في الرعية مم ضرب الأمثال (أ) .

وفى حديثنا عن المنابع التى بهل منها الفكر العربى يعب ألا نفضل الملبع الفسارسى الذي المنتد وضوحه بعد دخول ملايين الايرانيين فى الاسلام ومشاركتهم فى الحياة العامة فى الدولة العباسية و وقام الأفراد المنتقفون بعملية المترجمة بعد أن حسن اسلامهم وازدادوا عمقا فى المثقلفة العربية وملكوا عنان اللفخة ولم تكن الدوله فى حاجة الى أن تبعث البعوث لتحصل على تراث فارس فقد كان هذا التراث ماثلا فى كل مدينة فى ما وراه النهر وايران والعراق و

على كل حال تركت الثقافة التارسية أثرا في اللغة العربية ، فقد تسربت الفاظ فارسية كثيرة الى اللغة العربية ، كما ترجمت كتب فارسية في التنجيم والهندسة والبخير افية ، ولحا اتسمت الحركة العلمية في المصر المباسى قام كثيرون ممن أجادوا اللسافين بالترجمة من الفارسية الى المربية (٢) ، فعبد الله بن المقفع ترجم كتاب (خداينامة) وسحاه تاريخ ملوك الغرس وترحم كتاب « آيين نامة » وهو وصف لنظم الفسرس وتقاليدهم وعرفهم ، كما ترجم كليلة ودمنه وكتاب مزدك وكتاب التاج في سسيرد أنوشروان وكتاب الأنب الكبنير والأدب الصحير وكتاب الناج في النيسة (١) ، كما تقمل المترجمون كتبا كثيرة في تاريخ الفسرس فترجم مصد بن الجمم البرمكي كتاب سير ملوك القرس ، وترجم زادويه كتاب معمد بن الجمم البرمكي كتاب سير ملوك القرس ، وترجم زادويه كتاب

⁽۱) ميسون الأخبسار : ج ١ ، س ٢ ٠

⁽٢) الطرطوشي : سرايخ الملوكة > ص ٣٣١٠ .

⁽٤) النهرست ٢٤١٠ - ٣٤١ ٠

⁽٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ من ١٠٩ ه

صير ملوك الفرس وكتاب تاريخ ملوك الفرس • وترجم جبلة بن سالم «كتاب رستم واسفنديار » وكتاب بهرام شوش • ومن الكتب الدينية ترجم كتاب زرادشت « آفستا » وفي الأدب كتاب هزار أفسانه وغيره من القصص وعهد أردشير وكتاب موبذ موبذان وكتاب أردشسير في التدبير وتوقيعات كسرى وكتاب أدب الحرب •

وقد تركت الثقافة الفارسية أثرها البافي في الأدب العربي شسمره وتثره وفي القصص العربي وفي التوقيعات ه

تاكي أهم مقومات النهضة التي واكبت المصر العباسي الأول ويهكننا في إيجاز أن نحدد ملامج الفكر العربي الذي هو وليد هذه المقهمات آخر المقرن الثالث الهجري •

كان من أثر التلاحم الفكرى الذى أشرنا اليه أن وضميح تقسيم الملهم عند العرب () ووضح طابع الفكر العربي المعلمي الذي تعبيرت به مدارس القرن الثالث الهجرى • كما وحدت الحركة التعليمية ذات الطابع العلمي المجدد الترات العربي كله • وقد دونت أصغر دقائقة فيظهرت مدارس النقد والاختيار والدراسات المبنية على المنطق والقياس و المقارنية على المنطق والقياس و المقارنية كما أدت صنعة الوراقة الى شيوع الفكر الجديد ؛ فلم يعد معركز! في كما أدت صنعة الوراقة الى شيوع الفكر الجديد ؛ فلم يعد معركز! في بعداد . انما انتثبر شرقا حتى نيسابور وغربا حتى قرطبة ، الأمر الذي أعمل الثقافة انعربية غذاء موحدا ، وطبعها بطابغ واحد مع اختلاف يبتى كبير • وكان بن أثر الطوفان الفكرى الذي صادفه العرب أن أشتدت كبير • وكان بن أثر الطوفان الفكرى الذي صادفه العرب أن أشتدت التلاحم المعارك بي نامية عنه المدروث وبي الجديد الناشىء كما يحدث عند التلاحم الفكرى عادة ، وامتدت هذه المعارك الى كل نامية ، ففي الشعر ظهر من التحرر من قوالب المصر الجاهلي الجاهدة لتنشأ قوالب وقيثارات

⁽١) انظر ابواب الفهرست لابن القبيديم .

جديدة تلاثم الحياة الجديدة ، وظهر هذا الصراع في ميدان علم الكلام والمذاهب ، وانبرى المعترلة المسلمون بالمنطق والفكر الاغريقي الى منازلة الفرق الاغريقي الى منازلة ومن حسن الحظ أن اللغة العربية أظهرت قابلية للتشرب عظيمة وشغت عن طواعية غربية المثال فاستوعيت ما استجد من الفاظ نتيجه الترجمة ، واستقت كلمات جديدة - وظهر أسسلوب جديد في التميز يختلف عن الأساليب التي شاعت في صدر الاسلام ، فلهوت « الكلاسيكية المجديدة » التي تحسن التمبير عن التيارات الجديدة هي شمر رصيى كما ظهر أدب الرسائل متأثرا بتقاليد الفرس ، وظهرت الأساليب العلميسة الدقيقة في الطب والقلسية الرياضة والهلك ، كما ظهر الكتاب الموسوعيون الذين يعجولون هذا الزاد الثقافي الى كتب معلجم وطبقات ،

القسم الثانى العصر العياسى الثانى

تظرة عامة على العالم الإسلامي

ف العصر العباسي الثاني

تطالعنا دراسة العصر العباسي الثاني بصورة قد تختلف في كثير من · تفاصيلها عن الصورة التي رايناها في العصر العياسي الإول .

فقد امتاز اللصر العباسي الأول بقوة الخلافة ، وتعركز السلطة في يد التحلفاء العظام الذين حفل بهم همذا العصر ، وكانوا جبيعا ذهرى شخصيات قوية ، كما كانوا ساسة مهرة ، وقد استطاعوا أن يعافظوا علمي التصليم الموثيق بجماهير الناس الذين وقفوا مع الدعوة العباسية في مقترة التحضين للثورة ، وأيدوا الخلافة العباسية ، وقد حرص هؤلاء الخلفاء على توثيق أواصر الضلات بينهم وبين الملاين من مؤيديهم ، كما أظهروا كفاءة تامة في كبح جماح العناصر المتطلمة الى القوة والنفوذ من الموالى ، واستطاعوا أن يقيموا نوعا من التوازن بين الأحزاب المختلفة التي الهرت الهيام اللولة ، وتبعا الذلك احتفظت الدولة في ذلك المصر الأول بوحدتها بقت المحكومة المركزية في بغداد باستثناء الأندلس وجزء من الشسمال

لكن هذه الظاهرة العامة في العصر الأول ما لبثت أن تغيرت في العصر السياسي الثناني ، لتبدو مكانها ظاهرة آخرى تخالفها ، وأول ما يطالمنا في هدده الظاهرة المجددة ، هو انتقال الدولة الاسسلامية من المركزية الى الملامركزية في نظام الحكم ، وقيام دول واهارات مستقالة استقلالا مرئيا مع الاعتراف بسياطان الخلافة ، ثم ظهور شموب جديدة طارئة على العالم الإسلامي الأول ووصولها الى مركزا الدولة ، و تسلطها على الحكم ، ثم في قوع المخلفة ، أنه في قوع الخدية ، وتسلطها على الحكم ، ثم في قوع الخدية ، وأذهب عنهم تحت تفوذها ، الدى أصفف من شخصيات الخلفاة ، وأذهب عنهم نظرة الاحترام

والتنديس التي كان يتمنع بها خلفاء المصر العياسي الأول • ولحاول أن غلقي نظرة عامة على العالم الاسلامي في هذا المصر الثاني من خلال هاتين: الظاهرتين اللتين تميز بهما هذا المصر •

المسالم الاسلامي بين المركزية واللامركزية :

لم تستمر الوحدة التي تميز بها العصر الأول طوبلا ، ودلك لأذ قيام الدولة العباسية كان يحمل في تناياه بدور الانفصال ، فالدولة مند قيام الدولة العباسية كان يحمل في تناياه بدور الانفصال ، فالدولة مند قييت هذه الروح القومية بعد ذلك ، وأقامت أسرا ودويلات القليميسة استقلت عن الدولة استقلا جرئيا ، وإن كانت قد حافظت على ولانها والمنتقلة بالسيادة الروحية للخليفة العباسي ، ومن هذه الدول : الدولة الأغلبية التي أقامها ابراهيم بن الأغلب في أفريقية ، والدولة الطاهرية التي أقامها طاهر بن الحسين في خراسان ، ومن قبل ذلك كانت أجزاء من العالم الاسلامي قدا نقصلت انفصالا تأما عن الخلافة العباسية ونعني بذلك الأندلس التي امنتقل بها عبد الرحمن الداخل الأموى بصد قيام بلدولة العباسية بقليل ، ودولة الأدارسية بالمغرب التي اسسها ادريس العلى الفار من وجه الخلافة العباسية ، واذا كانت الدولتان الأوليان العلى المنات على الخلافة وبأمرها ، غان الأخربين قد نشأتا برغم الدولة وخروجهما على سلطانها ،

وحين بدأت الدولة في العصر الأول تحس خطر هـــذه الحــركة الاشمـــالية ، لجأت في علاجها الى ابتداع ســياسة تركيزية مفـــادة ، فقسمت الدولة الى قسمين .

القسم الأول هو المغرب، ويتسمل الشام ومصر والشمال الأفريقي ، وقد تضاف اليه الجزيرة ، أو الشام ومصر وبعض الشـــمال الأفريقي على حسب الظروف ،

والقسم الثاني هو المشرق ، ويشمل الأقاليم الواقعة شرقى العواق.

وكافت العادة أن يعهـ الخليفة بولاية العهـــ من بعده الى النين على أحدهـما الخلافة بعد الآخر • وكانت ادارة المفــرب توكل الى ولى العهد الأول ، وادارة المشرق الى ولى العهد الثانى •

و تلاحظ من هذا أن الدولة كانت تتسازعها ظاهرتان متمارضتان المناهمة المدونة كانت تتسازعها ظاهرتان متمارضتان المنقصال الاقليمي ، وظاهرة تسمى الى قركيز السلطة والابقاء على الوحدة و وسينتهى الأمر في المصور التالية الى تعليب المنزعة الانقصالية ، مع الاعتراف بالولاء والسيادة الروحية للخليفة ، فبرغم المقصال الأطراف في المصور التالية ، تلاحظ أن الوحدة الظاهرية الاسمية ظلت قائمة ، لهذا الم تكن ولاية وال في هذه الأقاليم المنقصلة تصبح شرعية الا اذا أقرها الخليفة المباسى .

وللصديث عن الحركة اللامركزية يجب أن نصود الى الوراه ، الى المبادى، التى ناخرة بها الثورة العباسية ، فهى فى الحقيقة تمشل نقطة الارتكاز لكل التطورات التى هدفت فى العالم الاسلامى فى أيام الدولة العباسية ، والمبدأ الذى يهمنا هنا من بين المبادى، التى نادت بها الثورة هو مبدأ التسمية ،

فقد نادت الثورة العباسية بعبدا التسوية بين الشعوب جريا على حكم الاسلام ، وهو المبدأ الذي أوقف في عهد الرائسدين لضرورات اقتضت ذلك ، وكانت الثورة تنادى برم هذا الايقاف ، واجراء حكم الاسلام على الشعوب المفلوبة ما دام الدين الجديد قد غلب على الدين تتبع معها قواعد الاسلام ، وكان لها الحق في أن تطالب بهذا باعتبارها شعوبا مسلمة ، وعلى أساس أن الاسلام يفرض المساواة بين المسلمين جميعا ، والمطالبة بهذا المبدأ مطالبة دينية بطبيعتها ، الا أننا اذا حالما هوافع القومية ، وجدنا مطلبهم هذا في ناحية من نواحيه ذا صحفة مناسية ، ولذلك نستطيم أن هول أن مطلب هذه الشحوب ديني مناسية ، ولذلك نستطيم أن هول أن مطلب هذه الشحوب ديني مناسية ، ولذلك نستطيم أن هول أن مطلب هذه الشحوب ديني

مىياسى ، وإن الطابع الدينى كان فى العقيقة ستارا اختفت وراءه نوعات قومية لأمم كانت لها شخصيتها القومية القديمة ، وكان متوفعا ألا تنمحى هذه الشخصيه القوية فى سسهولة ، وهذه الظاهرة سـ ظاهره الأنحاض السياسية التى تتستر وراء العضايا الدينية لـ ظاهرة معروفة فى التاريخ الوسيط ،

فلما انتصرت الثورة العباسية . ولما كان الفضل في انتصمارها لا يرجع الى العرب من أهل الأمصار ، وأنما يرجع الى متطوعين من . الفرس الخراسياليين ، كان طبيعيا أن يحتسل المنتصرون مكانا ممتسازا لم يكولوا يعتلونه من قبل (١) • وكان طبيعيا ايضا أن يتشبئوا بمكاتنهم الجديدة ، لكى لاينتصب منهم غيرهُم جَهْوقِهم انعادوا الىبلادهم وتركوا الأمور على ما كانت عليه من قبل ﴿ وَهَذَا شُكَّالُ كُلُّ ثُورَةً لا تَسْتَطِّيمِ أَنْ ترك الأمور لحكام المهود المساضية ، فان مثل همذا ان حدث ولو الي حد ما يؤدي في النهاية الي تفويت كثير من الأهداف التي دعت اليها الثورة . فكان من نتيجة الثورة العباسية اذن اقتصار مبدأ التسوية بين الشعوب، ثم وتوب الخراسانيين الى مكان الصدارة • ووجودهم في هذا المكان كان بذاته دليلا ماديا على أن الثورة قد حققت مبدأ المساواة، بل جعلت للخراسانيين الصدارة بما جاهدوا في ســـبيل المباديء الدبنية القويمة وبتنفيذهم حكم الآية الكريمة : « يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم سُموبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم، • ونحب هنا أن نستطرد بعض الشيء لنذكر نص الصحيفة التي كتبها النبي بعد هجرته الى المدينة والتي حددت شــكل الجماعة الاسلامية • وأولم بنودها « ان المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . أمة واحده من دون الناس » (٢) وهذا النص هو الذي:

⁽¹⁾ المسسسمودي : مسروج الذهب : ج ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٥ س الله الأثم ! الكامل ج ٤ ، ص ٣٣٦ ، الجاحد : البدان والتدين : ه ٣ ٣ هم من ٢٠١ . (١) ابن هشام : ح ٢ ، من ١٩٩ ، وانظام كذلك عن تكوين الدولة الا، المديد ، الموسد ابراهيم الشريف ، مكة والمديد ، من ٣١٩ س ٣١٩ س

حذف الفدوارق القبلية ، وجعل كل انسان . بصرف النظر عن قبيلته الأولى أو شعبه الأول ، داخلا في الأمة على قدم المساواه مم عيره . وقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم هذا البدأ منذ البدايه • تم حدث بعد دلك خرورات هي التي جعلت الراشدين يحيدون عن هذا المبدآ وكان انتصار شعب من الشعوب المعلوبة واحتلاله مركز الصدارة بناء على المباديء الاسلامية ؛ وعلى هدى التكوين الأول للجباعة الاسلامية عبلا مشروعا • هكان انتصار الخراسائيين لذلك مثلا يمكن أن يحتذيه غيرهم . هكان من السهل على الأفارقة أو على المصريين أو على آهل الأندلس أن يطـــاليوا بهذه التسوية وأن ينالوها ، أو ينالوا قدرًا كبيرًا منها ، ولذلك بعوز لنا أن تسمى العصر العباسي الأول بعصر الشعوبيات ، إذا استعرنا اصطلاحا أدبيا مستعملا للدلالة على فرع من فروع الأدب العربي ظهر في هـــذا العصر ، هو الأدب الشعوبي . ويتكون من مفاخرات بين الشعوب المختلفة، فهذا أديب يتمصب للعرب، وذلك آخر يتعصب عليهم ويسجد الفرس. ولم تكن المفاخرات الا سمدي للاحداث السياسية والثورة الماسية . وما حدث بين العرب والغرس حدث مثله أيضًا بين العرب وغيرهم من الشموب الأخرى المغلوبة : فقد أمتدت حركة الشعوبية أيضا الى المُغرب والي الألدلس .

ثم أدى انتصار مبدأ التسوية فى مرحلة أخرى ، الى أن تطالب المشعوب المحديثة فى الاسلام ــ وهى غير الشعوب التى خضمت للاسلام فى الفتوح الأولى ــ بنفس حقوق العرب أو حقوق الخراسائيين . بمجره دخولهم فى الاسسلام ، ومن هذه الشعوب التى جعلت لنفسها حق للساواة بالشعوب الاسلامية القديمة « بنو بويه » و « السلاجةة » ،

والواقع أن السياسة العامة في العصر البباسي الأول هي التي شجعت تلك الشعوب البربرية على الدخول في الاسلام ، ومهدت السبيل لهسة بدأ انتخذت من سياسات قبل ظهور هذين الشعبين : فالخليفة المامون مثلا كان برغب الترك في الاسلام ، لا تحقيقا لهدف ديني في المقام ق م 11 سالعسر العالمي) الأول ، والما لعاجته الى جند اقوراء ، مكان يرسل مع الملطة فارضا يسجل أسماء الأجناد في الديوان ويفرض لهم العطاء ، ويرغهم في القدوم على دار الخلافة ، حتى اذا ما قدموا أكرمهم الخليقة وأجازهم (١) ، وبهذه الحليقة استطاع المامون أن يجند عددا من الترك ، ثم توسع المستصم في هذه السياسة حتى صار معظم جيشه من المترك ، وحتى اضطر أن يبنى لهم مدينة خاصة هي مدينة سامرا ، فالخلفاء أنسسهم هم الذين مهدوا السبيل لتطبيق هذا المبدأ على هذه الشعوب البربرية المحديثة ، دون أن يعنو يعدوا من الحرج ما وجده بنو أمية ، بل كان تجنيسد الترك في نظرهم المرا عاديا ،

وعلى أساس هـذا المبدأ فأن كل الشعوب التي يسكن أن تدخل الاسلام تستطيع ، بصرف النظر عن حداثة اسلامها وقدمه ، أن نحت مكانا مساويا لغيرها ، بل تستطيع أن تحتل مكانا ممتازا ، ولا يشترط في ذلك الا شرطان ، الأول : هو الاسلام ، والثاني : هو توغر الصعة الحربية في هـذا الشعب الجديد .

فعيداً التسموية خول للتسجوب الفريبة عن التسمب العربى ، والغربية عن التسموب المفلوبة في أيام الفتوح الأولى ، أن تدخل في عداد الدولة الاسلامية على أساس المساواة ، ما دامت تدخل في الاسسلام ، وما دامت تتوفر لهما الصفات الحربية ، بعيث تستطيع أن تخدم الدولة الاسلامية من هذه الناحية ، اما في أطراف الدولة الاسلامية ، واما في داخلها وفي مركزها ، فإذا لم تتوفر في الشعب الجديد الصفات الحربية ، كان الأمر أن يبقى هذا الشعب في عماية المسلمين ، وأن يظل عبئا عليهم الى أن يوجد شعب حربي آخر يشترك في الدفاع عن الدولة وعن همذا الشعب الأعزل ، وهمذا مجرد فرض عن الساغ الأن كل الشعوب التي الشعب التاخير الدولة الاسلامية كالت شعوبا بدائية مطبوعة على العرب ،

١١) البلاذري : عنوج البلدان ٤ س ٣٧) .

وكان اللعولة أن تستخدم قوة هذه الشعوب ، فتكون اللعولة اليد المايسا اذا كانت هذه الشموب غير منظمة ، فاذا كانت هذه الشسموب منظمة ، استقلت يتدبير تفسمها تعت ظل الاسسلام دون أن يكون اللعولة للمركزية شائل كبير في توجيهها .ه

ولنحاول الرجوع الى أصول هذا الموضوع ، فنتساط : هل كانت المساواة مجرد تتيجة للثورة العباسسية ولتطبيق مبادئها ، أم كان تطوراً أكبر لم يكن للثورة فيه يسد الا أنها عجلت بمراحل تطوره ؟

الواقع أن سياسة الدولة الاسلامية كانت تسير نحو المساواة شيئا منذ حجد بنى امية ، وأنها أعطت لبمض الشعوب المفاوية الموجودة في أطراف المدولة ووراء حدودها الميروفة في آيام الرائسدين ، حقوقاً لمم ينل مثلها المفاويون في المفتوح الأولى كالفرس وأهل الشسام وأهل مصر ، فقد جرت سياسة الدولة منذ الفتوح الثانية ، في عهد بنى أمية ، على أن تشرك أهل الما المعلود المي ما وراهما ، فاذا تتبعنا ما وقع في اقليم ما وراه النهس وجدنا ترك ما وراهما ، فاذا تتبعنا ما وقع في اقليم ما وراه النهس وجودنا ترك ما وراهما ، فاذا تتبعنا ما وقع في اقليم ما وراه النهس وجودنا ترك ما وراه النهر ومم جيش قتية بن مسلم الباهلي تقسه من الترك الكفار مع المسلمين ومع جيش قتية بن مسلم الباهلي تفسه ، وهو الذي فتح هذه البلاد (١) ،

فسياسة اشراك المفلويين ، سسياسة اتبعت منذ فتح هسده البلاد ، وكانت هذه البلاد حديثة عهد بالاسلام لم تعرفه الا على يد تتبية ، وان عرفه بعضهم قبل ذلك بقليل ، وكان ذلك ميزة لم يتستع بمثلها القرس ، وهم التربيوت من حدود الترك ، وهم من نعرف قوة وحضارة ، فكانت هذه المقارقة بين شمين متجاورين فوعا من التناقض ما كان له أن يستعر، قالشعب القارسي المجيد محروم من الجندية ، والشعب التركي البربري

 ⁽۲) الطبرى: ج ۳ ، س ۲۷۵ ، الدینسورى: الأخبسار الطوال ٤
 حس ۲۲۸ ، ابن آلائير: یو ۶ ، حس ۱۹۲۷ .

يشارك المسلمين شرف الجندية وشرف العزو ، على حين كان على العارمي الدا أرد أن يشارك في الجنسدية أن يكون تبعا لغيره من العرب ، ولعل السبب مي اعطاء الترك هـذه الميزة هي أنه كان من غير الممكن حرمانهم من امتشاق الحسام ، فهم شعب بدائي محارب بطبعه ، وكان من الغير أن توجه هذه السيوف نعو العدو ، لأنها لابد أن تضطرب ، بدلا من أن تتجه تحو الثورة والعصيان ومقاومة العرب الفاتحين ، فكان اعطاء هذه الميزة سياسة موضوعة رسمها العرب ، وقسد راعوا هيها حالة هسذا الشعب ،

ولم تكن سياسة المرب في بلاد ما وراء النهر وحدها وانما كانته سياستهم في جهلت أخرى • في أرمينيا ، وقبرص ، والشمال الأفريقى • فان أهل أرمينيا شاركوا العرب منذ فتح بلادهم في كل ما تستلزم العدود من دفاع وفي غيزو من وراءهم ((۱) ، وأهل قبرص كانوا يساونون الملمين بأن يدلوهم على عورات الروم (۲) ، والبربر من أهل أغريقية قسد انطلقوا مم العرب لفتح الأندلس •

وكان العرب يتساهلون مع هؤلاء المسلمين الجدد العربيين تساهلا قد يتساقض مع مبادىء الدين و من ذلك مثلا أن ترك ما وراء النهسر السترطوا على قواد المسلمين وعلى ولاة خراسان فى أيام الخليفة هشام ابن عبد الملك ألا يماقب المرتد منهم، وقد احتج الفقهاء حين قبل هشام هذه الشروط و وائما راعى هشام حين قبل ذلك أن الارتداد يكون بين الترك حين يحدث خلاف بينهم وبين المسلمين ، فيقوم التسرك بثورة ويخلمون طاعة المسلمين ، وفي نفس الوقت يرتدون عن الأسلام ، فكانت ودتهم تأبمة لعلاقاتهم السياسية بالعرب ، ولم تكن شركا اصيلا () و

⁽۱) البلاذري : ص ۲۰۸ ، ۲۰۹ ، ۲۲۳ ،

⁽٢) نفس الصدر ﴿ مَنْ ١٦٠ ﴾ [[٦] --

⁽۱۳ العليزي: جـ ۷ ، مَن ١٩١ ، أَبِن كَتِير: البَدايَة والنَّهاية ، جـ ٩ ، ٤ . مس ٣٣٨ — ٣٣٨ ش

ونستطيع أن نقول على أساس ما قدمنا _ ان العرب في العضر الأموى أعطوا بعض الشعوب المعلوبة نفس العقوق التي كانت للمرب.، فلما جاءت الثورة العباسية عممت هذه القاعدة . فأصبحت تطبق على كل الشعوب دون استثناء .

ونعود الى نفس المسالة من ناحية آخرى . وهى ناحية الدور الذي أدته هذه الشعوب المفلوبة في القيام بأمر الدولة الاسلامية ، وأول دور شمامت به أمة مغلوبة هي أمة المغرس ، فهم الذين احتضنوا غكرة الدعوة لأل البيت . وهم الذين نصروا الثورة العباسسية ، وحققوا مبدأ المساواة بين العالمين والمغلوبين ،

ثم ننتقل الى دور النرك ، وكان دورهم فى أول الأمر المساركة فى الله عن الثغور الشرقية ، ثم صار الفظفاء يستخدمونهم فى مهمات حربية فى إيران ، ثم زاد الالتجاء الى الترك شيئا فشيئا حتى استخدموا فى جيش الحضرة (جيش الخليفية فى بضداد) فى عهد المامون ، ثم صاروا قوام الحيش فى عهد المتصم بعده ،وأصبحوا هم الذين بغزون ثم ضور الروم ، وهى الثغور الواقعة فى أطراف آسياً الصغرى عند جبال ،طوروس ، ونستطيع أن تتصور الدور الذى قام به هذا الشعب التركى ، اذا قدرنا التطور الذى وقع منذ فتح بلاد الترك على يد قتيبة فى أواخر القرن الهجرى الأول الى أن وجدناهم يغزون تضور الروم فى أواخر ، المقرن الثانى وأوائل الثالث (أ . .)

وعلى هـ بذا نستطيع أن نقول أن المبدى، السياسية الاسلامية ، كانت تبيح لكل شعب دخـل الاســـلام أن يكون كأهله . وأن يتــولى الممدارة ما دام أهلا لهذه المحدارة ، ويمكننا أن نقدر ما كانت عليه . هذه السياسة من مرونة ، ومن فائدة هذه المرونة أنها أوجدت ســـوقة ، بفى كل عصر تدافع عن الاسلام وأوجدت قوة تستطيع أن تسير دفة أمجور

⁽١) ابن الاثير : جـ ٦ ، من ١٥٤ ، وما بعدها الى آخر عصر المعتصم،

المختلفة أن تعتز يقوميتها ، ولهذا كان من نتيجة الثورة العباسية ، ازدياد المختلفة أن تعتز يقوميتها ، ولهذا كان من نتيجة الثورة العباسية ، ازدياد الشعور القومي لدى الشعوب المغاوبة ، وكان من الصرورى أن يسهى هذا الاحساس بالمباواة ، وهذاالاحساس المتزايد بالقومية ، الى استقلال الشعوب من المناحنة المعنوية أولا . وكان مظهر هذا الاحساس المعنوى على اعتداد الشسعوب بشخصياتها ، وكان موضوع هذا الاحساس المفاخرة عن اعتداد الشسعوب بشخصياتها ، وكان موضوع هذا الأدب المفاخرة بين العرب والمجم، وذكر غضائل الأمم بعضها على بعض ، ولهذا لا نكاد والأمصار، والسحوب ، ثم أخذت الشعوب تستقل استقلالا فعليا ، وقام نوع من اللامركزية ، وكان من تتيجة هذا أن شهد المصر العباسي الثاني الإمارات الاسلامية تظهر في الشرق والغرب مؤكدة سلطانها ، والخلفاء لا يجدون من امرا من الاعتراف بالأمر الواقع ،

الا أن حركة الشعوبية لم تنته بانقصال أجزاء العالم الاسسلامي بعضها عن بعض ، فإن الشعوب الاسلامية برغم حرصها على استقلالها ، ظلت تحتفظ بالروابط فيما بينها ، وكانت الخافة هي المشال الدائم. لتلك الروابط ،

والخلافة بطبيعتها واحده غيرقابلة للتمدد عند أهل المذهب الواحد ، واذا تمددت فانما يكون ذلك بتمدد المذاهب • فمن الجائز مثلا أن تقوم خلافة لهاطمية في مصر ـــ لأن الفواطم لا يعترفون بالخلافة العباسية ـــ وإن تكون المخلافة العباسية قائمة في بضداد •

والخلافة أيضا كانت نظاما أساسيا من أصول النظم عند بعض التمرق الاسلامية . فوجودها عندهم ركن من أركان الدين ، فهى واجبة الوجود وهى في نظرهم عنوان الوحدة وركن العزة ، وأهل السينة وأن لم يذهبوا في الخلافة مذهب الشيعة ، الا أنهم كانوا يعتبرون

· المخلافة أساسا لشرعية السلطان • والتسعوب التي حرصت على استقلالها لم تسع قط ، بل لم تفكر هى الانفسال عن الخلافة • والخلافة بدورها قد سارت على مبدأ مرن سسليم هو مبدأ التوفيق بين النزعات القومية والمطالبة الشعبية ، وبين مبدأ الوحدة • وفي هذا مزايا كثيرة :

فيه العرس على التوفيق بين نزعات الأمم ، وفيه حرص على اعطاه كل شــمب حقه المشروع في أن بنسى شخصيته كيف يشساء ، وفي أن يستكمل كيانه كما بريد ، في ظل الخلاقة الإسلامية الموحدة .

وفى ظل هـند السياسة أتبح لكل شعب من التسعوب الاسسادية الن يتسارك فى بناء الدولة بقدر كماء تمه ولذلك تعددت مراكز التسوة فى المالم الاسلامي ، وازداد هذا المالم بذلك قوة ، وامتدت أطراغه الى لواح بعيدة لم يكن الراشدون ولا الأمويون يتصورون أن يصل نخوذ السلامي الميال بن القوميات ، وأحست بسعريتها وبقدرتها على تكييف حياتها كيف شاعت ، وتبعا لظروغها الخاصة البخرافية والاجتماعية ، وأتبح لها بذلك أن تسسمم بقساد اكبر فى خدمة المالم الاسسلامي ومد تهوذه السيامي والعضاري على السعواء ،

وقد اختلف مصير كل دولة من هذه الدول بعسب وضعها الجرافي وبعسب وظيفتها من العالم الاسسلامي و وللاحظ أن كل دولة من دول هذا العالم الاسلامي كانت تقوم بوظيفة معينة ، وكانت بقيسامها بهنده الوظيفة تؤدى نصيبها في المشاركة في العياة الاسلامية ، وتؤدى نصيبها في خدمة صالح المالم الكبير الذي تنتمي اليه ، بنمن في هدذا المصر العباسي الثاني أمام قوميات قد قالت حريبها ، ونعن آمام قوميات تتساعفا وتعرص كل الحرص على آلا تنفصل عن هذا العالم ، فكانت التخوس باعتبارها رمزا الرباط بين أجزاء الخلالم ، وكانت كل آمة تحص خفسيلة الاجتماع مع شعوبها المالم ، وكانت كل آمة تحص خفسيلة الاجتماع مع شعوبها المالم ، وكانت كل آمة تحص خفسيلة الاجتماع مع شعوبها

أخرى تحث حضارة واحدة ، كانت تعتبير فى ذلك الوقت بمثابة الحضارة الأوروبية فى عصرنا الحالى •

واذا ألقينا نظرة على العالم الاسلامي مي ذلك الوقت ، وجدنا كل جهر، من أجرائه قد تأثر بنوع خاص من المؤثرات تعكست في تطــوره التاريخي وفي مصيره ،

فللمشرق تطوره الخاص من الناحية التاريخية ، ويتجكم في هـــذا التطور عاملان : أولهما عامل القرمية . وثانيهما عامل الفارات البربرية الإعجبيــة .

فلقد نقلت الثورة العباسية السلطان من يد العرب الى يد الشموب المخطوبة المتحضرة ، وبذلك تركت للقوميات حريتها في ظل الخطافة ، وبغضل هذا العامل القومي نشأت في المشرق دول أولها الدولة الطاهرية نسبة الى طاهر بن الحسين ، ثم الدولة الصفارية المنسوبة الى يعقسوب المن المليث الصفار ، ثم ملك المشرق بعد ذلك الدولة السامانية نسبة الى الأمرة السامانية نسبة الى الأمرة السامانية التى كان موطنها مدينة بلخ ،

ثم تأثر المشرق بعد ذلك بغارات شموب جديدة طارئة على العالم الاسلامي ، وقم تكن تلك الشعوب داخلة ضمن الشعوب المتحضرة في العالم القديم ولا في العالم الوسيط الأول ، غمى شعوب أعجميه وال اسميت بالصبغة الاسلامية ، وهي شعوب تقابل الشعوب البربية التي أغارت على أوروبا في المصور الوسطى ٥٠ وقد تأثر المشرق بانتقالات الشعوب ، وهجرتها الى داخل العالم الاسلامي ، فحكمه في أول الأثمر الديام ، وهم وان كانوا فرسيا من حيث الجنس واللغة ، الا أنهم كانوا يعيشون عيشة بربرية قبلية في منطقة متطرفة في شمال شرقى ايران جديبي بحر قروين ، الا أن سيادة الديام لم تمتد الى المشرق كله ، بل المتدر، الى بعضه وتركت للسامانين البعض الآخر ، ثم طرأ بعد الديار والسامانين شسعب بربرى جديد من تلك الأمواج التركية المهاجرة ، ر

أعماق آسيا نحو الغوب ، ونشير هنا الى السلاجقة ، غلما انتهى المصر المسلجوقى جاعت غارة بربرية جديدة أشد ايفالا فى الصفة البوبرية ، وأبعد من الاستعداد لتبول المضارة الاسلامية ، ونشير هنا الى غارات المســـول ،

وهكذا نرى التطور التاريخي للمشرق وقد تاثر بعامل القومية. ثم يعامل العارات البربرية الأعجمية • وانتهى الأمر فيه بانتقال السلطان انتقالا يكاد يكون نهائيا من يد الشعب الايراني المتحضر القديم الى يد الشعب المعولي المطارئ على المضارة •

أما المغرب مقد كان مصيره مختلفا عن مصير المشرق ، نهو بعد أن الثورة المباسبة ثمارها ، قد خضع لتأثير العوامل القومية ، ثم مضع بمدد ذلك لتأثير الدعاية المذهبية ، ثم عاد الخروف خاصة بعد سقوط بغداد ملجعاً للخلافة ومصسدرا للقوة أمام الغارات الأعجمية البربية ، الى أن ضاع هذا المعرب كما ضاع المشرق ، واستولى عليه شعب اعجمى لم يكن شارك قط في الحضارة القديمة وهو الشعب الشائي ، فنحن نرى أن المغرب التهي بأن خضع الى تمس المصير وخضع للبرابرة ، ولكن بعد مخو ملائة قرون من سقوط بغداد ، حين فتح هذا المغرب في آيام السالمان مليم الأول العثماني ، فكان المغرب استطاع أن يعمل لواء الاسسلام طاقديم الى أن اغتصب منه الترك المثمانيون هذا السلام . فنقلوا مركز العالم الاسلام ، و لاعلى الشعوب المتحضرة القديم ، و اصبحت الخلافة لا تعتمد على العرب ، و لاعلى الشعوب المتحضرة القديمة ، واضبحت تعند على شعوب أعجمية طارئة . حديثة عهد بالحضارة وحديثة عهد بالاسلام ،

فالمفرب خضع أولا لعامل القومية ، فظهرت فيه الدولتان الطولونية ثيم الأخشيدية ، ثم تأثر بالعامل المذهبي فخضع للفاطميين نحو قرنين ، عم جاءت الحروب الصليبية فظهرت قوة المفسرب أمامها في شخص الايوميين ، ولم يكد الأيوميون ينهضون بعب، الحروب الصليبية ، ودهم خطرها المهدد لأول مرة تهديدا خطيرا لكيان العالم الاسلامي ، حتى ظهر خطر جديد آت من المشرق هو الفطر الفسولي ، وعندئذ قام المباليك وكانوا أقوى من الأيوبيين ، لأنهم استطاعوا أن يقفوا آمام الموجسات المفولية واستطاعوا في نفس الوقت أن يطردوا الغارات الصليبية ، وأن يحموا جبهتهم البحرية من كل هجوم أوروبي جديد ، وفي نفس الوقت كان العشافيون يشخلون أوروبا عن التدخل في الشرق الأوسط ، وكانوا يتوغلون في أوروبا الى أن استطاعوا أن ينقلوا مركز العمليات الحربية الى الشمال ، والى أن ينقلوا الخلافة الى الشمال إيضا ،

للاحظ من كل ذلك أن مصير الشرق مختلف تمام الاختلاف عن مصير المفرب و وللاحظ كذلك أن الثورة العباسسية قد تقلت مصير الاسلام من يد العرب الى الشعوب القديمة المتصفرة ، ثم انتقل الأمن بعد ذلك من يد الشعوب المتحضرة القديمة الى يد الشعوب الحسديدة ، الطارئة ، وهذا الاتقال من يد الشعوب المتحضرة الى الشعوب الإعجمية المجديدة هو الذي يصد بالضبط فساية العالم الاسلامي القديم ، وبدء العالم الاسلامي الهسديد ،

ولنا أن تتساءل بعد هذا ، هل كان العالم الاسلامي الجديد تعت قيادة هذه الشعوب الطسارئة الحديثة أقدر هنه تحت قيادة الشعوب المتحضرة التي ورثت الدولة الاسلامية عن العرب ؟

وهناك مناطق من العالم الاسلامي يبعب أن تشير اليها وهي مناطق الثفور • والذي يحملنا على أن فجعل الثفور قسما واحدا ، أثنا وجدة في الثفور ظاهرة مطردة ، وهي أن هذه الثفور تتقوى بقدر حاجة المالم الاسلامي للدفاع ، وأن الدول التي تظهر فيها تتأثر عادة بمؤرد المدد ه هو الخطر الأجنبي ، وهو أيضا حيوية العالم الاسلامي التي تدفع هـ ذه الشخور دائما ال الأمام ، فكل البلاد الواقعة في أطراف العالم الاسلامي بلاد لمها وظائف خاصة ، وهذه الوظائف تؤثر في كيان الثغر ، غالوظيفة الشغرية هي التي تدفع الثغر دولا ، والحيوية هي المتي تدفع الثغي وما فيه من دول الى الأمام ، هذه هي الظاهرة المطسودة المسلاحظة في الشعب ،

ونستطيع أن نتتبع الثغور المهمة شعرا ثمرا ، عنجد أن الدغاع في ثفر الروم ، عند الحدود المستركة بين العالمين الاسلامي والبيزنطي ، أو هي بالضبط عند جبال طوروس ، يقسع على عاتق الخلافة أولا ، فلمسا التصرت المبادى، العباسية ، تشاركت القوميات المختلفة في حمل عبه اللغاع ، فصله الطولونيون والخلفاء في وقت واحد ، فلما ظهر أن التعاون بين طرفين غير فعال ، نبعت من الوظيفة الشمرية دولة ثفرية هي الدولة المحمدانية ، وحملت عذه الدولة عب، الدفاع ، ما استطاعت ، عن اللشر ، ثم غلبت لأنها عاضرت أقوى أسرة من الأسر التي حكمت بيزنطة وهي الأسرة المقسدونية ، وفي همذا الموقت بالذات طرأت من المشرق شعوب جديدة غزية ، ووصل الفر السلاجقة الى ثفر الروم ، وانشاؤا مناك دولة ثفرية جديدة في آسيا الصفري هي المعروفة بسلاجقة الروم، ما المشاليين الذين حملوه فترة أسلم السلاجقة اللواء من بعدهم الى المثماليين الذين حملوه فترة طحوية ،

وثغر آخر هو الثغر التركى المسمى ثغر ما وراء النهر ، وكانت مهمة البجيد فيه على عاقق الخلافة ، الى أن تولت الدولة الطاهرية أمر المشرق كله بما غيه الثغر ، فلما ضعفت الدولة الطاهرية ، قامت فى الثغرة وعلى أساس الضرورة الثغرية أسرة هى الأسرة السامانية ، واستخاع السامانيون أن يمدوا سلطانهم الى وسط آسيا ، أما امتداد سلطانهم الى الداخل فكان ذا صفة أخرى ، فهم حين حكموا بعض خراسان الواقعة غربي نهر جيحون انها كانوا في الحقيقة يملاون فراغا هدث على أن

ضعف الطاهريين ، ولم يكن الطبيع هو الدافع لهم على امتلاك هـنا القسم ، وكانت قوتهم كلها مركزة في التركستان في شرق نهر جيعون ، وفي أواضط آسيا ، وأم تطاع السامانيون أن ينشروا الحضازة الاسلامية في تلك البلاد الوثنية . فدخل على أيديهم في الاسلام عدد كبير وقامت في أيامهم بما وراء النهر مراكز ثقافية هامة كانت عاملا قويا في سسبغ الترك بالصبغة الاسلامية ، و من فضل السامانين اهم استطاعوا أن يجعلوا من التركستان بيئة مؤثرة في النرك . فخفف ذلك من خطرهم على العالم إلاسلامي، اد كان الذين يهاجرون من الترك ويقتحمون المعدود الاسلامية ينصبغون في هـذه البلاد بالصبغة الاسلامية ويدخلون في الاسلام غيكون خطرهم أقل ،

ثم تولى مهمة الدفاع بعد السامانيين قوم من الترك اخذوا الاسلام عن السامانيين ، ثم نظموا أنفسهم وقاموا بعهمة الدفاع الثغرى ، هى الدولة التي تعرف بالدولة الخوارزمية ، وقد ظلت قائمة بأمر الثغر الى أن ظهر المغول واجتاحوها في طريقهم ، وكان هجوم المغول سريعا بعيث لم تتمكن بيئة ما وراء النهر من صقلهم بالصبغة الاسلامية أو من الدخالهم في الاسلام •

ثم ثمر السند، وكانت مهمة الدفاع فيه واقمة على الخلافة في أول الأمر، حتى ظهرت الدولة الدسة ارية ، فتولت هذه المهمة . ثم لم تعمر علك الدولة ، هدت الدولة الساماتية سلطانها على هذا الثفر الإيسن البعيد، وقامت بالمهمة الثفرية فيه بعض الوقت ، الى أن قامت في هذا المثفر دولة مشهورة في المتاريخ الاسلامي هي الدولة الفزنوية المنسوبة الى عاصمتها غزلة جنوب غربي كابل الحالية فاقتطمت هذه الدولة لنفسها يشبة جفرافية في الهند فكانت واضعة لحجر الأساس تقريبا للمالم الاسلامي الهندى عمى المدولة المغربة ، وعلل الموريون في هذا الثفر الهندي الى أن أزالتهم الدولة المغورية ، وعلل الموريون في هذا الثفر الهندى الى أن أزالتهم الدولة المغورة المشرق كله ، ثم اعتموا بعد

أن أسلموا بهذا الثفر ، فكونوا فيه دولة عظيمة هي أساس دولة اكستاؤيّر الحمــالية .

وكل هذا الذي عرضنا له في الثغور كان نتيجة للوظيفة الثغوية يه وتتبجة لعيوية العالم الاسلامي •

والعراق أيضا تنظر اليه نظرة خاصة ، فقد ارتبط مصيره بالخلافة مبشرة فهوالجزء الذي بقيت عليه سيطرة الخلفاء ، وظلت الخلافة تحكمه حكما مباشرا ، أو يحكم باسسمها حين امند تعلقل الأعجمية الى مركز العالم الاسلامي و وتاريخ العراق في المصر العباسي المثلني هو الذي يمثل تاريخ الخلفاء العباسيين تمثيلا صحيحا ؛ ولا يمثل في الخلفة تاريخ العالم الاسلامي كله و ونحن حين ننظر ألى تاريخ العالم الاسلامي كله و فقد في المصر الثاني ، لا يصح أن نربط به تاريخ العالم الاسلامي كله و فقد ضعفت سلطة الخلفاء السياسية على العالم الاسلامي ، ولم يبق من سلطان الخليفة الا منظم منصبه الجليل فحسب و ولم يعد في يده غير العراق ، وحتى العراق نفسه قد المتطمت المجالي فعسب في يد الخليفة أن وقت من الأوقات من حسكام الإقاليم . فلم يصبح في يد الخليفة في وقت من الأوقات الا بنسداد وأعالها (١) و ثم وقع الخلفاء أنفسهم في قبضة القواد من الأثراك وزال سلطان المحكم الفعلي من أيديهم بانتقاله الى يسد أمين الأمراء في بغداد حتى عصر السلاجةة و

بركز القسلامة:

والواتم أن الخلافة المباسية لم تمد قادرة على أن توازن في هكمة ودقة بين القوة المركزية في بعداد ، وبين القسوى اللامركزية النامية المتطورة في أقاليم الدولة المباسية ، تتيجة انتشار الاسلام ومطالبسة المسلمين الجدد بنصيب أوغر من الحقوق ، وكان من نتيجة هذا أن شهد

⁽۱) مسكويه : تجارب الأمم ؛ ج ه ، من ٥٣ ه ما ٥٠ . ابن الأنسير ﴿ طَبِعَــَةَ أُورِبًا ﴾ ، ج ٨ ص ٢٤١ . ٢٤٢ ، تاريخ أبو الغدا تحت ســـَّةٍ؟ ٣٣٤ هـ .

للعصر العباسى الثانى الامارات الاسسلامية المستثلة تظهر فى الشرق والغرب ، والخلفاء لا يجدون مفرا من الاعتراف بالأمر الواقع سسواه رخسوا أم كرهوا ه

ولم تعد الخلافة أيضا قادرة على أن تكبت عناصر الموالى المتطلعة الى القوة والنفوذ كما فعلت في العصر العباسي الأولى ، حيث كبتت قوة الغراصانين بقتل زعيمهم أبي مسلم ، وكبتت جماح القرس بنكبة المبرامكة ، ثم استمانت بالترك على الخراسانيين في عصر المعتصم ، فقد علوت أسسى القوة التي وضبحت في المصر المباسى الأولى ، وفقسدت الخلافة الضعيفة تفوذها في بغداد تصمها ، بسيطرة الجند الترك ، ثم البويهيين والساحيقة ، كما فقدت تفودها في الأقاليم ، لتصبح مجرد يوتهم المدولة حوله ،

كما أن التحول الرأسمالي الذي أحدته المصر المباسي الأول ، قد أدى الى أن تزداد الهوة اتساعا بين فئة الاحتكاريين من كبار الملاك وكبار المتجار ورجال الصناعة ، وبين الطبقات ألكادحة التي نالت لونا من التحرر، في المصر العباسي الأول ، ولكنها لم تظفر بعا كانت تسمى اليه من الرخاء الاقتصادي وانخفاض الأسعار وارتفاع المدخل ، وحيل بينها وبين العياة الهينة الكريمة ، ولم تتدخل الدولة ، وكان من واجبها أن تتدخل لكي لي مختل التوازن وتقع الماساة ، وكان في مكنتها أن تستخدم بيت المال في حماية حق الجماهير ، لكن بيت المال في ذات قد ضعف لتلة الموارد في حياية حق الجماهير ، لكن بيت المال في ذات قد ضعف لتلة الموارد التي تصل اليه ، لذلك التشرت الثورات ذات الطابع الاشتراكي كثورة الرفح والقرامطة() ، كما نشطت اللحوة الاسماعيلية ، مستخلة الأوضاع الاقتصادية السيئة ، في جنب الجماهير ضعو دعوتها تعهيدا لظهور

 ⁽¹⁾ نسبة الى حمسدان قرمط احمد دعاة الاسماعيلية ، وراسي الطريقسة القرمطية .

وقد ربط كثير من المؤرخين بين حالة الخلافة العباسية في المراق ، وبين المالة في المالم الاسلامي ، واعتبروا ضعف الخلافة ضعفا للعالم الاسلامي كله • لكن هؤلاء المؤرخين لم يفطنوا الى أهمية مبدأ التسوية وما أحدثه من تطور ، ونظروا الى استقلال الشعوب في هذا العصر على أنه نوع من الانفصال ، وعلى أنه كان بذرة ضعف الخلافة • فقالوا : ان عمو القوميات أضعف الخلافة وأضعف العالم الاسسلامي • فهم يربطون مِين الخلافة في بعداد وبين العالم الاسلامي ربطا لم يكن له ما يبرره ، ويتصورون حسب تظرتهم ــ أن الخلافة ضعفت لأن بلاد الأندلس انفصلت جنها منذ أن قام بأمر الأندلس عبد الرحمن الداخل الأموى . وقالوا ان الخلافة ازدادت ضعفا حين قامت بأفريقية دولة الأدارسية بعراكش المعالية ، والدولة الرستمية في الجزائر الحالية ، ودولة بني الأغلب في عونس الحالية ، ثم هين قامت بأمر هذه الأقاليم الثلاثة الدولة الشيمية الفاطمية ، ثم حين توسعت هذه الدولة تملكت الى أفريقية مصروالشام، ثم أن هؤلاء المؤرخين يعهدون من مظهاهر الضعف قيام الطولونيين والأخشيديين والقاطميين والأيوبيين والمماليك بمصر والشمام ، وكذلك هيام الدول المستقلة في المشرق الاسلامي ، ويشبه المسعودي في عبام ٣٣٣ ، فعلى اصحاب الأطراف ، وتعلب كل واختد منهم على الصقع الذي هو غيه بفعل ملوك الطوائف بعد موت الاسكندر (١) فكان هؤلاء المؤرخين حين يبينون الأجزاء التي آلت اليهـــا الدولة انما يصـــغون حســـابها . مم أن هؤلاء المؤرخين ينسون أن قيام هذه الدول كان تتيجة لظهـــور مبادىء جديدة عادلة هي حق التسوية وحق الشموب .

على أن فكرة الدولة برغم هـذا الانتسام لم تفقد ما كان لهـا من القسوة والسلطان ، فكان أصحاب الأطراف أو حكام الدول المستقلة يعترفون بالسيادة العليا للدولة ، ويقدمون الخليفة الدعاء في المساجد ، ويشترون منه القابهم ، ويرسلون اليه الهدايا كل عام ، غلم يكن واحد

⁽١) الطبيه والإشراف : ص ٤٠٠ .

منهم يعتبر ولايته شرعية الا اذا اعترف به الخليفة وأرسل له التقليد.() ع وحتى بنو أمية فى الأندلس لم بروا لهم الحق فى اتخاذ لقب الخليف.ة الأنفسهم أو التسمى باسم « أمير المؤمنين » بل كانوا يسسمون انفسهم « بنو الخلائف » •

وظل لقب الخالافة وقفا على بنى العباس فى بضداد حتى جاء الفاطيون ، فكانوا أول من خرج على هدده القاعدة . ذلك لأفهر لم يكونوا يعترغون بحق العباسيين فى الخلافة ، وكانوا يرونها حقا لعج باعتبارهم خلفاء النبى صلى الله عليه وسلم . فأتخذوا الأنضمم لقب الخلافة بعد فتح القبروان ٢٩١ هـ ١٩٠٩ م (١) ، ثم أسرعت بعد ذلك قيمة اللقب الى الهبوط ، حتى نجد حاكم سجلماسة (جنوبي جبال أطلس) يسمى نفسه بأمير المؤمنين فى سنة ٣٤٢ هـ ٣٩٠ م (١) ، ولما طهم عبد الرحمن النالث بالأنداس أن العلويين باغريقية لقبوا بأمير المؤمنين ، تضد لنفسه أيضا لقب الخسائة وتسمى بأمير المؤمنين سسنة انضا لقب الخسائة وتسمى بأمير المؤمنين سسنة

ولكن لم يكن من شأن هذا الانقسام أو تعدد أمراء المؤمنين أن يؤدى الى ضيق في معنى الاسلام ، أو معنى الوطن الاسلامي ، بل كانت كل هذه الأقاليم، في الحقيقة ثولف مملكة كالحدة سميت مبلكة الاسلام وهو اصطلاح تنخذه لتقابل به مملكة الكثر _ وكانت تقوم فيها جميما أن مملكة الاسلامية لا تتقيد بالعدود السياسية الجديدة (*) و ويتبر المقدسي أن مملكة الاسلام تمتد من « كاشغر ، في أقمى المشرق الى « السوس » الاقتمى في المغرب (*) و

⁽۱) بسکویه : ۲ : ۳۲۳ ،

⁽۱) بسخویه ۲۱۲۰۱۰ (۲) بیتز : جا ۱ ص ۳۰

 ⁽٣) النكرى : المفرب في ذكر مملاد المربقية والمغرب (طبع الجسؤالية) ١٧٠١ - ١٠٠ ١٠٠ على المبدؤ المبدؤ

⁽٤) ابن الاثير: ج ٧ ، من ١٩٢ ، المتسرى: نفح الطبب: ج 4 ٣ من ١٩٢ - ٢١٣ ،

⁽o) متر: الحضارة الاسلامية ، هـ (، ص ٢ ــ ؟ ·

⁽٦) احسن التقاسيم ١ طبعسة لندن ١ ص ١٤ ٠

وكان المسلم يستطيح آن يرتحل في داخل حدود هذه الملكة في خلك دينه وتحت رايته و وغيها يجد الناس يعبدون كما يعبد ، ويصلون كما يصلى ، كذلك يجد شريعة واحدة وعرفا واحدا وعادات واحدة ، وكان يقوم في هذه الملكة قانون على معترف به من الجميع يضمن للمسلم كل حقوق المواطن ، بحيث يكون آمنا على حريته الشخصسية أن يممها أحد ، وبحيث تكفل له كل الرعاية القانونية (١) .

و وتستطيع أن زد على هؤلاء المؤرخين كذلك بأن المعالم الاسلامي في عهد العباسين كان أقوى بكثير مما كان عليه في أيام بني أمبة ، وكان ذا حيوية وحضارة أثرت أكبر الأثر في الشعوب المجاورة للعباسين و فقد حملت هذه الدول سواء في المشرق أو في المغرب مسئولية الدفاع عن العالم الاسلامي كل في فاحيتها ، وروعت عن كاهل الفلافة عبه متطلبات هذا المدفاع ماديا وعسكريا و ثم أنها مدت نفوذ العالم الاسلامي الى أطراف جديدة ربعا لم تكن الفلافة المركزية قادرة عليها ، كما أنها تصدد لهجمات كبيرة على العالم الاسلامي ، وصحمت لها في قوة ودمرتها ، وبذلك جعلت قلب العالم الاسلامي يعيش في أمن ،

ونستطيع أن تتصور الإعباء الجسيمة التي كان على الخلافة وعلى مركز البالم الإسلامي أن تتصلها . ولو أن الخلافة ظلت تحت هذا العالم المترامي الأطراف المهتد من أواسط آسيا الى حدود فرنسا وشاطي، المحيط الإطلسي والمهتد كما يقول المسعودي : ثلاثة آلاف وسسمائه فرسنغ ، أي حوالي عشرة آلاف ومائة فيل (٢) ، وافها تقطع في نحسو عشرة أشهر كما يقول المقدسي (٢) وأن تتصدي للدفاع عن أجزائه المعيدة في المغرب حين فهضت الدول الغرفجية وأخذت طريقها نعو النعو والقوة ؟

⁽۱) مثر جُدِ ۱) ص ٤٠

⁽٢) مروح الذهب ، ج ، ، ص ٢٧ -- ٣٨ ٠

⁽٣) أحسن التقاسيم (ملبعة ليدن ١٨٧٧) ، ص ١٤٠٠

⁽م ۲۰ ـ العصر العباسي)

ثم نستطيع أن تتصور أعباء حكم هده الأقاليم نفسها على مركز المثالم الاسلامي و لو أن الخلافة في بغداد طلت مهيمنة على الحكم هيمنة مركزية ، وما كان يتطلب ذلك من نفقات هائلة ، ومن يقظة مسسمرة واستمداد عسكرى دائم لمقاومه كل حركة انفصالية أو استملالية نظمر في هذه الأقاليم ، ثم ما يستنبع ذلك من تعطيم لموارد هده الأقاليم نفسها ومن تعطيل لنموها الذاتي ،

وهؤلاء المؤرخون حين اعتبروا نبو القوميات ضعفا انعا تأروا المحافظة السائدة في عصرهم ولم يلتزموا الحيدة الضرورية لكتابة والمسائدة في عصرهم ولم يلتزموا الحيدة الضرورية لكتابة يرجون أن تعود الخلافة واحدة جامعة للمالم الاسلامي على نحو ما كأنت تصورهم للتاريخ فكانوا حين يذكرون ضعف الخلافة واستفادة القوميات تصورهم للتاريخ فكانوا حين يذكرون ضعف الخلافة واستفادة القوميات كذلك تنقصهم النظرة الشاملة للمالم الاسلامي، ولذلك نجدهم يفعون في التناقض حين يذكرون مثلا فضل السامانيين أو المزنوبين هي حماية الشعور المشرقية، وحين يمتدحون الحمدانيين بتصديهم للهجات البيزنطية والماليك في تهرهم للصليبين، وصديم المغول وحين يتحدثون عن والماليك في تهرهم للصليبين، وصديقه المغول وحين يتحدثون عن المراكز التي ازدهرت ونافست بمداد والقاهرة والتيروان وقرطبة و تلك المراكز التي ازدهرت ونافست بمداد ، بل تفوقت عليها في بعض الأحيان.

الاسلامى والعربى فى وصفهم للعاضى ، فهم قد تصوروا ماضى بلادهم كحاضرهم ، كل جزء من بلاد العرب أو بلاد الاسلام قائم بذاته ، منعصل أو يكاد ينفصل عن غيره ، مع أل هذه الأجزاء لم نكن تخرج عن ان تكون جزءا تظله الجماعة الاسلامية مع غيره وان تركت له حريته القومية .

وبعد هذا الاجمال الذي نقصد به الى التعويف تتناول الموضوع بالتقصيل .

البائيالأول ظهور الاتراك في الدولة الإسلامية

الفصّ لالأولّ

حالة الخسسانة المباسية في بفسداد في المصر المبساسي الثاني

مين أهم ما تميز به ذلك المصر ، وكان له أثره الواضيح في تاريخ الماصرون العالم الاسلامي منذ القرن الثاث الهجرى ، ما تناقله المؤرخون الماصرون ومن تبعهم أو نقل عنهم ، من عدوان على أشحاص الخلفاء ، بالسجن أو القتل أو التعذيب أو العرل : أو على سلطانهم بالتضييق أو السبل ، فكان الخليفة لا يأمن على نفسه أو سلطانه حصب ، بل أن منصب المخلافة فقد ما كان له في نفوس الماصرين من الهيبة والقداسة ، الأمو الذي يشكل صورة قاتمة محزنة من أخبار الخلفاء في ذلك المصر ،

والكتاب المعاصرون أو المصدّثون ردوا هــنده النوازل التي حلت بالخلاقة ، الى ضــمف الخلفاء حينا ، أو انصرافهم الى اللهو أحيانا ، بل نراهم يرتبون على هذا الضمف ما ظهر في أفق العالم الاسلامي من حركات استقلالية ، ولكنا أذا أردنا أن فعرف حقيقة الحال ، وجب أن نجاوز ظاهر هذه الصورة الى بواطن الأمور ، وعندنا أن هذه التطورات لم تكن بسبب ضعف خليفة أو لهو آخر ،

ونحن لا تنكر أنه ظهر بعض الخلفاء الفسعاف الذين استسلموا للاقدار وبعض الخلفاء الذين انصرفوا الى اللهو والملذات ، ولكن الأمر لم يمخل من خلفاء آخرين كانوا على جانب كبير من قوة الارادة وصفاء الشخصية وأنهم حاولوا جاهدين أن يفالبوا التيار فغلبهم ، والحققة أن الأمر لم يكن ضعف أشخاص الخلفاء بقدر ما كان ضعف النظام الخلافي

كانت الخلافة العباسية تستمد قوتها من مصادر متعددة من دعوة

ماسية منظمة ، ومن صلات قوية بين رؤساء التنظيم المقيدى في بعداد وبين شبكات الدعاة وجماهير الأنصار في الأقاليم ، ومن بيت من بيوت قريش يتوارث أفراده هذا المنصب السامى ، ويتحدون جميما للإبقاء على مدا الميراث غيهم ، ثم عصبية قوية متماسكة تؤمن بان بقاءها في بقاء المخلافة قوية واقد ارتبطت مصاحتها بهده الخلافة بصلات متبهة ،

وما دامت هذه من مصادر القوة في النظام الخلافي ، فإن افتقاد هذه المساهر أو نسمها يؤدى الى ضمعف الخلافة أو قد يؤدى، الى تهاويها ،

والدارس لتاريخ الخلافة في العصر العباس الثاني ، يرى في وضوح أن صبلات الخلفاء بشبكات الدعاة في كافة أرجاء العسالم الاسبلامي لم تضعف ضحسب ، بل انها تهاوت تعاما بصد الخليفة المتسوكل (٢٣٣ – ٢٤٧ هـ ، ١٤٨ م) ، فلم نسمع عن ذلك النوع من الرسائل الذي رأيناه في العصر العباسي الأول ، مؤكدا ذلك الاتعسال الذي كان عصب التوة بالنسبة للعباسيين ، ومعنى ذلك أن الخليفة فقد الشيامي الأول ، والى المنظيم الذي سيطر على الحياة الاسلامية في العصر العبامي الأول ، والدي هذا بالتالى الى أنه فقد القداسة والهيبة في تفوس الساس ، وتعرض الخلفاء بسبب ذلك لصسور كثيرة من الامتهان .

وكذلك ضمفت الروابط بين الخليفة وملايين النساس الذين أيدوا العوب الباسى وانشرطوا في سلكه و واغلب الظن أن الخلاط المندسه في البلاد اما تحللت . واما انصرفت الى تأييد المدعاة الشيمة الذين ملاوا القراغ في التنظيم المقيدى منذ المصر العباسى الشانى و فلم نسمم أن هذه الجماهير كانت تولى الخلافة العباسية ، الني أصبحت تقع تحت الاضطهاد ، نفس التأييد الصبق الذي كانت توليه للمنصور أو الرشيد ،

ولا ندرى ماذا كان نصيب الدعاة على وجه التحقيق ، وأغلب الظن

أنه قد تضاءل سبلطاقهم وتفوذهم . ولم يعد حكام الولايات رؤساء للتنظيمات المحلية كما كان عليه الحال في العصر العباسي الأول: فقد وهمت مسلتهم بالخلفاء : وانصرف الكثيرون منهم الى تنمية معسالحهم المذاتية و والاكثار من المسال والجند . توطئة للمساهمة في الحركة الاستقلالية التي غلبت على الحياة الإسلامية اذ ذلك وهدا الموضوع في الحقيقة محتاج الى دراسة متخصصة مستقصاه ، لمرفة كل جوانيه ، وهدو امر لا يتسسم له مجان هدذا الكتاب و وان كنا ترجح أن أغلب التنظيمات المقيدية بجماهيرها ودعاتها ، قد هالها ضعف الخلافة ونهاويها، فانصرفت الى تأييد الدعاة الفاطميين الذين انطلقوا من مدينة سلمية فالمرب الى المالم الاسلامي كله بدوكان لهم تنظيم منسق بالغ غاية العمون (1) ، وذلك بسب المعمق (1) ، وذلك بسب المعتق (1) ، وذلك بسب

وقد لاحت نذر هذا الانقسام منذ بداية الدولة العباسية ، منذ عهد السفاح أول الخلفاء ، ثم أشستدت في عهد المسفون ومن تبعه و فالسفاح يولى آخاه المنصور العهد ، ويجرض عن عبيه عبد الله وسليمان ابنى على ، ولم يرض عبد الله بن على عن هذا . اذ كان يرى أنه واخوته قد أسهموا في قيام الملدولة وقاموا بالدور الأكبر ، فهو الذي قاد جيوشها حين التحمت التحاما مباشرا بجيوش الأمويين ، وأحرز لها النصر الحاسم في موقعة الزاب ، ثم تولى مطاردة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميه يمسى ، ثم هم الذين وطدوا الأمر للدولة في معقل الأمويين في النسام مهمر ، ثم هم الذين وطدوا الأمر للدولة في معقل الأمويين في النسام ومصر ، ثالث ثار عبد الله بن على حين تولى المنصور اللخلافة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور اللخلافة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور اللخلافة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور اللخلافة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور اللخلافة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور اللخلافة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور المخلوفة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور المخلوفة كان عبد الله بن على على حين تولى المنصور المخلوفة بعد أخيه السفاح : اذ كان عبد الله بن على حين تولى المنصور كان عبد الله بن على حين تولى المنصور كان عبد الله بن على حين تولى المنصور كان عبد الله بن على حين تولى المناح كان عبد الله بن على حين تولى المنصور كان عبد الله بن على حين تولى المنصور كان عبد الله بن على حين تولى المنصور كان عبد الله بن على عبد الله بن على عليه كون عبد النسام كان عبد الله بن على عليه كون عبد الله بن على عليه كون عبد الله بن على عبد الله بن على عليه بن على عليه الله بن على عليه كون عبد الله بن على عبد الله بن على عبد الله بن على المنصور المناح كان عبد الله بن على عبد الله بن عبد الله بن على الله بن عبد الله بن على الله بن عبد ا

⁽١) انظر : علهر الاسلام ، هج ٤ ، ص ١٢٧ -- ١٣١ .

 ⁽۲) جمال سرور : تاریخ الحضارة الاسسالهیة ، ص ۸۲ س ۸۶ .
 حسن ابراهیم وطب مشرفه : عبد الله المسدى ، ص ۲۶۸ .

قد عهد الله بولاية العهد من قبل (١) • وكأن العباسيين أرادوا أن يمضوا بهذا الانقسام قدما ، فدرجوا علمي سياسة تولية المهد لأكثر من واحد • فالمسفاح يولي المنصدور ثم عيسي بن موسى (٢) والمنصور يولى ولده المهمم ين موسى (") . والمهمدي يختار الهمادي ثم هارون الرشيد (٤) . وهارون يولى الأمين والمسأمون ، وقد وضح الانقسام في موقف الهادي من هارون ، وفي موقف الأمين من المسأمون - وقد أحس المامون بما يتهدد البيت العباسي من خطر ، فعهد بالخلافة الي عباسي واحد هو المعتصم ، تم عاد الانقسام الى الظهور بصوره أشسد قوة في هذا العصر الذي تدرسبه فيما حدث منذ عهد المتوكل • وقد كان مركز الخليفة في المصر الأول من القوة بحيث كان قادرا على القضاء على كل انقسام ، اذ كانت المصبية الفارسية التي تسند الخلافه متباسكة تؤمن بتقديس شخصية الخليفة ، أما في العصر الثاني فان الخلافة كانت تعتمد على العنصر التركى وهو عنصر يتأثر بطبيعته البدوية ويجرى وراء مصالحه الخاصة ، ولا يرى للخليفة من الحرمة ما يراه له المنصر الفارسي المتحضر ، والذي أثر فيب ميل الخلافة الى العنصر التركي فأتجب الى تحقيق ميوله القومية غير معتمد على قوة الخلافة •

وفى نفس الوقت الذى كان فيه البيت العباسى يفقد هذه الوحدة كان يفقد عنصرا آخر من عناصر القوة • فلقد كافت المصحبية العربية تضعف وتنداعى ضعفا طبيعيا تلقائيا ، بسبب تفرق العرب فى الأمصار ، واختلاط دمائهم بدماء الشعوب التى خضصت لنفوذهم ، ولاثم تمال المصبية القيلية بينهم فى كل مكان • وكان العباسيون أنفسهم قد عملوا على اهمال هذه المصبية العربية : واضعاف ما بقى فيها من رمتى • وقد حضحت المباعدة بين العباسيين وبين العنصر العربي منذ البداية الأولى:

⁽١) الطبري ، جـ ١ ، ص ١٥٦ .

⁽۲) ئاسه ، ج ۹ ، س ۱۵۱ ، ۲۲۲ .

[·] ٢٦٩ من ٢٦٩ . هن ٢٦٩ .

[.] Tun 6 1. 2 6 4 mil (11)

فهذا محمد بن على يرسل كتابا الى دعاته الذين وجههم الى المشرق انشر النحوة ، يحضهم فيه على ألا بعتمالوا على العبعاعات العربية ، وأن يستمدوا قوتهم من مصادر أخرى ، بل بلغ من موقفهم المعادى للعرب أن نصحوا أبا مسام الخراساني بالتخلص ممن تحوم حوله شبهة مقاومة من يتكلم العربية بخراسان (() ، فقد خاف العباسيون ألا يقبل عليهم من يتكلم العربية بخراسان (() ، فقد خاف العباسيون ألا يقبل عليهم العرب كما أقبلوا على بنى أمية من قبلة واذن فقد أودى العباسيون بذلك وأن يسندها ويحميها في أمية من المكن أن يقف وراء الخلافة العباسية ، وأن يسندها ويحميها في أوقات الأزمات كما حمى الخلافة الأموية من قبل ، وحين احتاجت الخلافة العباسية الى حماية هذ العنصر العربي كإن الوقت قد فات : فلقد حاول العرب حماية الخلافة في عهد المتقى ولكن له يعد لهم من القوة ما يستطيعون به النهوض بهذا العب () ،

ويظهر أن الخلافة المباسبة بعد فقدها تأييد العرب ، قد تخبطت في سنياستها وتذبذبت ، فلم تعد تثق بآبة قوة من القوى الموالية لها ، حتى قوة الموالي التي كان لها الفضل الأول في قيام الدولة ، فقد خسسيت أن تستبد بالأمر، فعملت على تشتيت وحدتها ، فقد اعتمدت على الخراسانين في انجاح الدعوة واقامة الدولة ، ثم ضربتهم بأن قتلت زعيمهم أبا مسلم المغراساني ، ثم اسستمانت بالفرس ولكنها ما لبثت أن ضربت الزعامة الفارسية حين نكبت البرامكة ثم بني سهان ، فكأن الخلافة فقدت ثقسة العرب ، ثم ثقة الغراسانين ثم ثقة الغرس بعامة ،

⁽۱) الطبري : چ ۷ ، من ۲۲۲ .

ودفع خوف المباسيين على الخلافة وتوجسهم الشر دائما ، الى التماس عصبية جديدة ، قدر لها أن تلتهم ما بقى للخلافة من شوذ ، فقد ضيحت الخلافة المرب والفرس لتستميز بالترك ، فاستبد المترك بالخلفساء واغتالوا ملطانهم ، ثم استمانت بالديلم للتخلص من الترك ، فكان حالها مع الديلم كحالها عم الترك ، وحين لجأت الى الترك السلاجقة بمسد الديلم لم تصل الى شى ، ، فقد استمرت في ضمفها ، وخضمت لتسلط كل هذه المصيبات الواحدة بعد الانترى ،

الفصل لتاني

ظهــور العنصر التركى في العالم الاســـالامي

فى العصر العباسى الثانى ظهر فى العالم الاسلامى عنصر جديد كبير بهجافب العنصرين العظهمين ــ العسرب والفرس ــ وهو عنصر الاتراك ، وكان له أثر كبير فى الحياة السياسية والاجتماعية فى الأمة الاسلامية .

وقد عرف العرب الاتراك بعد فتح بلاد ما وراء النهر على يد فتيبة اين مسسلم الباهلى فى العصر الأموى ، وعرفوا فيهم عنصرا محاربا من الطراز الأول ، وقد نال الأتراك فى بلادهم حقوقا فى العصر الأموى لم تنل مثلها الشعوب التى خضعت للعرب فى الفتوح الأولى على عهد الرائسدين ، فقد أشركهم العرب فى الجندية ، واشركوهم فى غزو ما وراءهم من بلاد الترك الكفار ، كما أبقوا على ملوكهم وعلى نظامهم فى الحسكم ، وكل ما فى الأمر أنهسم يحالفون الدولة الاسلامية ، ويخضمون لولاتها الذين تكون لهم السلطة العليا ، والذين تؤيدهم حاميات عربية قوية فى المراكز الاستراتيجية ،

غير أن هؤلاء الاتراك تسللوا الى الحياة الاسسلامية . وأخذوا يظهرون على مسرح الأحداث في بغداد طهورا واضحا منذ عهد الخليفة المساهون و فقد رأى هذا الخليفة العرب يقفون خلف الأمين . كما لم يكن له أن يطمئن الى الفرس ، فقد رأى طبوحهم الى السلطة بما رأى من شوذ بني سهل ، وبما علم من طبوح أبي مسلم ومن نفوذ البراءكة من قبل و لذلك أحب أن يوجد نوعا من التوازن بين المنصرين الكبيرين حقيل و لذلك أحب أن يوجد نوعا من التوازن بين المنصرين الكبيرين على المطرس والمصرب سد غبداً يستخدم المحاربين الإنزاك ، وأخذ يلحق فتيانهم الذين يرسلهم ولاة الإقاليم الشرقية للدولة بغرق الجيش و

وتلقف خلفاء المسأمون هذه العصبية الجديدة النامية ، أرادوا أن يستغلوا مواهبها الحربية اللحفاظ على دوالتهم والإبقاء على خلافتهم ، هكان أن أقبل المعتصم على استخدام الأتراك في الجيش على نطاق واسع و فقد استقدم سسنة ٢٧٠ هد قوما من بخارى وسعرقند وفرغانة وأشروسنة وغيرها من البلاد التي نسميها « تركستان » وها وراء النهسر « اشتراهم وبذل فيهم الأموال ، وآلبسهم أنواع الدبياج ومناطق الذهب وأمعن في شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمائية عشر ألفا » (() و بل ان عددهم ازد كثيرا على مدى أيام المعتصم حتى باغ سبعين الفار) » و كانوا يشكلمون التركية ، فأخذوا يشلمون العربية و وقد حرص المعتصم على أن تبقى دماؤهم متميزة ليحفظ لهم مميزاتهم الجنسية ، فجلب لهم نساء من جنسهم بدوهم ومنعهم أذ يتزوجوا من غيرهن () ، ومن هنا بدات تشكون شميها فشيئا عصسبية جديدة في العالم الاسلامي الي جانب العسبينين وهما العصبية العربية والعصبية الفارسية و وكان المعتصم بعمله هذا هو موجد هذه العصبية العربية والعصبية الفارسية و وكان المعتصم بعمله

والذي حدا بالمعتصم الى الاتجاء نحو الأتراك أمور أهمها :

أن جيش الدولة الى عهد المعتصم كان يتكون من عنصرين رئسسين، هما العنصر الفارسي الخراساني ، والهنصر العربي ، وكان الخراسانيون عماد الدولة نحو قرن ، منذ انشاء الدولة الى أيام المعتصم ، كما كانوا حرس الخلفساء ، وكان الى جانب هؤلاء البضود من الفرس جنود من الممرب من مضر وربيعة واليمن ، لكن هؤلاء كانوا أقل حظوة وإصسفر عدا ، فقد ضعف شأن العرب منذ قيام الدولة المباسية ، اذ أنها اعتمدت منذ بده الأمر على الخراسانين ، وكان العرب يقاتلون في صسفوف

⁽۱) مروج الذهب ، ج ، ، ص ۳ه ، النجسوم الزاهسرة ، ج ۲ ، حش ۲۳۲ ، ابن کشم ، ج ، ۱ ، ص ۲۹۷ .

⁽٢) جمسال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢٣ .

^{. (}٣) ظهر الاسلام ، ج ١ ، ص ه .

الأمويين • ثم لمـــا اتتصرت الثورة العباسية آخذ شأن العرب يضعف ، وثقة الخلفاء بهم نقل على مر الأيام ،

ثم ان ثقة المعتصم بالفرس بدأت تضعف ، اذ رأى أن كثيرا من المـــأمون الذي كانت أمه فارسية . فقد شـــفبوا على المعتصم . وطلبوا اللعباس ونادوه بالخلاقة ، وكأدت تقع فتنة لولا أن تداركها المعتصم بأن استدعى العباس الى حضرته ، فبايع عُمه وحرج الى الجند يزجرهم ويقول اليه » (١) . وقد كان لهذه الحادثة أثر كبير على المتصه دعاه الى النفكير العميق عتى لا تتكرر مثل هذه الحوادث ، وانتهى به التفكير الى أن يستغين بقوم غير المرب والفرس ، فهداه تفكيره الى الترك كما أن هذه العادثة جعلت المعتصم والعباس لا يصفو أحدهما للآخر ، فقد ظهر من قول العباس حين زجر الجنب على حبهم البارد له . أنه لم يزجرهم على دعوته للخلافة ، وانما يزجرهم على شغب ليس له فاعليه وظل الجو بين الرجلين جو حذر وتربص ، حتى انكشفت النيات في أثناء غزوة عمورية، حيث دبرت مؤامرة لقتل المعتصم اشترك فيها المباس ، ولكن المؤامرة فشلت ، وقبض المعتصم على العباس وسجنه ومنع عنه المساء حتى مات,، كما سمعن أبناء المامو ذ كلهم حتى ماتوا عي السجن ، وقتل كل من شارك في المؤامرة (١) •

وسبب آخر لاستدعاء المتصم للترك ، وهو أن أمه كانت نركة من المصغد ، وقد شابه المعتصم أخواله في كثير من طباعه النفسية وصفاته الجسدية ، من القوة و الشجاعة ، ومتانة الجسم والاعتداد بقوة الجسد(٢) هدعته العصبية التركية والتشابه الخلقي والدفسي أن يفكر في اسستدعاء الاثراك فنعل .

۱۱) الطبرى: ج ، ۱ ، ص ٣٠٤ د ابن الأثير: ج ٢ ، ص ١٦١ .

⁽٢) الطبرى: جـ ١٠ ، ص ٣٤٣ - ٢٤٨ ٠

⁽٣) تاريخ الخلفاء : ص ١٣٣ ، ابن کثير : ج ١٠ ، ص ٢٩٠ . ابن الاثير : ج ٦ ، ص ١٨٠ – ١٨٢ .

استكثر المعتصم من الأتراك حتى امتلات جم بغداد ، وقد جاءوا ومسهم صفاتهم الأصيلة فيهم ، فقد كانوا في بلادهم يعيون حياة البداوة والخشونة ، وهذه البداوة تكسبهم قوة في البدن ، ومرانا على الفروسية والقتال ، كما تكسبهم خشونة في الطبع . وقد تجلي هذا في معاملهم للناس ، حتى آذوا أهل بغداد وضايقوهم ، فقد كانوا يجرون خيولهم في أسواق بغداد وسككها هي تهور ونزق فينالون الصبيان والضعفاء بالأذى • فكان أهل بفداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لاهرأة أو شبيخ كبير أو صبى او ضرير ، ثم بلغ ضيق أهل بفداد بهم أن شكوا الى المُعتصم وتهددوه بالدعاء عليه في صــــالاتهم حتى تحرج (١) ، ولم ير بدا من اخراج الترك عن بغداد ، فارتاد مكانا وبني لهم مدينه خاصةً هي مدينة سامراً ، وجعل خططها قسمة بين طوائتهم ، وقطع القطائم لرؤسائهم (٢) وانتقل اليها هو مع جنده ، وبذلك انتقلت دار الخلافة من بغداد الى هــذه المدينة الجـديدة ، التي ما لبثت أن عظمت عمارتهــا وكثر عبرانها ، وانتقل اليها طوائف من الصناع والتجار وجلبوًا الي أسواقها ألوان الأمتعة وكل ما يعتاج اليه الناس • وكان لهذا أثر كبير على بغداد من الناحية الاقتصادية والعبرانية على السواءً ، ولدلك اشتد كره أهل بغداد للاتراك ورأوا في مجيئهم شؤما عليهم سمواء في حلهم أو في ترحالهم ، فأخذوا يسبونهم ويهجُّون المنتصب ، وأخد المُحدثون منهم يضعون الأحاديث في ذم الترك تعبيرا عن شعورهم وشعور الناس(٢)٠

مكن المعتصم للاتراك فى الأرض ، وقربهم اليه وخصهم بالنفوذ ، فقدهم قيادة الجيش ، وجمل لهم مركزا فى مجال السياسية . وحرم المعرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ، ثم أسقط أسماءهم من الدواوين وقطع أعطياتهم ، وكذلك آثر الترك على الغرس فى كل شىء ، ويجدو هذا

⁽۱) النجوم الزاهرة: ج ٢ ، من ٢٣٣ .

⁽٢) مروج الذهب : ج ٤ ، من ٤٥ ــ هه .

واضحا من ترتيب الجيش في غزوة عمورية ، فقد كانت القيادة العليسا لمعظم فرق الجيش في يد الأتراك وعلى رأسهم أشناس (أ) .

وقد أخذ نفوذ الأتراك يزداد شيئا فشيئا ، بما كان يرد على عاصمة الخلافة من بلادهم ، وبما تزاوجوا وتناسلوا ، وبما أبدوا من يسسالة . في الحروب ، وبتأييد الخلفاء لهيم ، فقد جرى الواثق بن المعتصم على سياسة أبيه في الاستكثار من الترك ورفع مكانتهم . ويقول السيوطي « ان الواثق استخلف سنة ٢٢٨ هـ على السلطنة اشناس التركي، والسمه وشساحين مجوهرين وتاجأ مجوهرا - وأظن أنه أول خلبة استخلف سلطانا (٢) » وبذلك تقلد الأتراك مناصب هامة في الدولة اضطر الي ابتداعها حتى يستميلوا اليهم قلوب هؤلاء الأتراك ، ومنذ ذلك المهد أخذ التاريخ الاسلامي بصطبغ بالصبغة التركية ، وبعد أن كانت الإحداث تنصل في العصر الأموى بأعلام العرب من أمثال العجاج بن يوسف ، وزياد ابن أبيه ، وقتيبة بن مسلم ، وموسى بن نصير ، وفيالعصر العباسي الأول بأعلام النرس من أمثال أبي مسلم الخراساني ، والبرامكة وبنيسهل وعبسد الله بن طاهر ، ظهر التساريخ مرتبطة أحداثه بأشسناس ، وايتاخ وبغا الكبير : وبغا الصفير ، وابن طولون ، والاخشسيد وغيرهم من الأتراك ، أذ صاروا هم القابضـون على زمام الدولة والمتصرفون في شكونها م

ومن ذلك التاريخ دخل نزاع العصبية عنصر جديد قوئى ، فبعــد أن كاز الزاع, بين العرب والفرس ، أصبح بين العرب والفرس والترك وكان لكل جنس من هذه الأجناس طابعه الخاص الذي يحكم تصرفاته والذي ينعكس بالتالى على البلاد التي يحكمها .

فطابح العرب ميل الى البداوة والحكم القبلي ، واعتزاز بدمهم

۱۸۰ – ۱۷۱ می ۱۷۱ – ۱۸۰

⁽٢) الخلفاء " ص ٣٥ ،

واحتقار لفير جنسهم ، وزهو بسيفهم ولسافهم ، ومع انطباعهم بالقلق والاضطراب وسرعة النورة على الرؤساء الفشيعفاء ، الا أنهم أسرع ما يكونون تنبولا للتأقلم والمتصفر ، غاذا تتضروا انفهسوا فى النسيم ، ومالوا الى خصب العيش وتأتقوا فى الماكل والمشرب والملبس ، وهم فى أول أمرهم شجعان صرحاء بسطاء ، فاذا الفهسسوا فى النميم وقعوا فى سيئات العضارة ففقدوا صراحتهم وبساطتهم ، ومع ذلك فان الاسلام قد طبعهم بطابعه ونظمه وتربوا على شرائعه ، أو كان لهم الساسة الذين تربوا على هذا وربوهم عليه ، فاستطاعوا أن يبنوا اللاول ويقيموا الماكم على طاعة أولى الأمر منهم ،

وكان طابع الفرس حب الفضفة والظهور ، وقد ورثوا مدنية قديمة معلوءة بالتقاليد والأوضاع ، فطبعوا عليها بمحاسنها ومساوتها ، فلهم قدرة على تنظيم الحكم ومعرفة واسعة بما يزيد الثروة ويضعفها ، ولهم عقول مثقفة تتذوق الأدب وتهتز له ، وتميل الى العلم وتضمعه بالمعنى الواسع ، الذي يشمل الفاسفة بفروعها ، ولما كافت المذاهب الدينية قد كثرت عندهم ، فقد تقلوا ذلك الى الاسلام فكثرت مذاهبهمفي مقد كثرت عندهم ، فقد تقلوا ذلك الى الاسلام فكثرت مذاهبهمفي وودة أورثهم ضفط اللعولة الأموية عليهم ميلا كامنا الى الانتقام من المرب، والأخسذ بثارهم منهم ولكن في هوادة ولين ، وعلمهم التشبيع المتقية ، فمكروا وعملوا في الخفاء ، وأسموا للؤامرات للقضاء على خصومهم بالثورات أحيانا ، وبالمدعوة بالقمة بالعلم أحيانا آخرى ، وهم مع ذلك قد تربوا على تقديس ملوكهم والاعتراف بالعق اللهي لهم ،

أما الترك فكان طاسهم حب الجندية والفروسية ، والاستكثار من جنسهم لتقوية حكمهم ، ثم كثرة الخلاف فيسا بينهم ، وتعصب كل هريق لقسائد منهم كالبدو في تعصبهم للقبائل ، الا أن الأهراب كانوا يتمصبون للقبائل ، تعصبا للدم ، آما الترك فتعصبهم للقواد تعصسبا للمنفعة وتحقيقا للمصالح المادية ، وقد كان حبهم المال عظيما يأخذونه من الرعية في غير حكمة وأناة ونظر بعيد، غيدل أن يعنوا بموارد الشروة ينمونها من اصلاح أراض وتنظيم تجارة واستغلال ومنابع الثروة ، يجيلون ألمصادم في الناس يتعرفون أصححاب الثروة ، فينتهزون الفرصة لمصادرتهم أو التنكيل بهم ، ثم ينفقون ما تصل اليه أيديهم في الترف والنعيم ، فإذا فرغت أيديهم منه ثاروا على من لديه المال ، ولذلك فتساريخهم في العراق سلملة من مطالبات الخليفة بالمال ، وهم يخضحون للقوة ، فلما كان الخلفاء أقوياء كبحوا جاحهم ، ولكن لما ضمعت الفلافة تسلطوا على الخلفاء وأرهقوهم بطلب المال واعتدوا على أشخاصهم ، فليس للخليفة عندهم حرمة كما كان الحال عند العرب أو الفرس ، ولذلك كان تاريخ الخلفاء في عهدهم سلملة من العزل والسجن، كذلك فعلوا بكل من له مال من الوزراء والكبراء والتجار(ا)

وبين هذه المصبيات الثلاث تقسمت المملكة الاسلامية ، ولأجلها وقت الحروب وثارت الفتن ، فلقد كان لاصطناع المتصم للاتراك آثار مياسية بميدة المدى ، فقد ثار العنصر العربي ودبر المؤامرات ، وكان أبرزها مؤامرة عجيف بن عنيسة والعباس بن المسامون ، فان العباس بعد أن تخلى عن الخلافة بادى الأمر ، خضم لتحريض القسائد العربي عجيف الذى ساءه شهدة انحراف المتصم الى الأتراك وتخطيه العرب ، فعير مؤامرة لقتل المعتصم واسستيلاء العباس على الحكم في آثناء غزوة عمورية ،

لكن المؤامرة فشلت وقتل مدبروها ، فاضعف هذا المحادث من تقوس العرب ، كما أن المتصم كتب لواليه على مصر يأمره باسقاط من في ديوان العيش من العرب وقطع أعطياتهم ، فلما قعل الوالي أو العرب من لمضم وجذام بقيادة يصيى بن الوزير الجروى ، الذي رأى أنه لايوجد مسب يدعو الى الثورة أفضل من هذا السبب « لأنه منعنا حقنا وفيانا » ولكنه هزم وتفرق عنه أصحابه وأسر ، فانقرضت دولة العرب من مصر ، وصار جندها الموالى من عهد المتصدم ، الى أن ولى أحمد بن طولون

⁽¹⁾ انظر : ظهر الاسلام ، جر ٢ ، من ١١ - ١٣ .

التركى ، فاستكثر من العبيد ، وبلغت عدتهم أربعة وعشرين ألف غلام تركى ، وأربعين الف أسود ، وسبعة آلاف حر مرتزق (') •

وفى أيام الواثق ثار العرب فى الجزيرة العربية ، فنكل بهم قواد الاتراك وكان على رأس الجيش بعما الكبير الذى أذل أسرى العرب وجلدهم بالسياط ، وعاد ومعه الأسرى من بنى سليم وبنى مرة وبنى النعوفى الإغلال ، وكذلك ثارت القسمة بدمشق وقاتلوا جيوش الخلافة ولكنهم هزموا () ،

وكل هذا أثر فى انوس العرب ، وحملهم على الانصراف عن تأييد العباسين، ولم يكن للعرب من القوة ما يستطيعون بهم استعادة سلطانهم، فقد سادتهم روح التغرق ، ولم يستطيعوا أن يوحدوا صهفوفهم للدفاع عن التفسية التي يدافعون عنها ، ولم يكن هذا في مصلحة الخلافة العباسية المسها ، اذ أنه حين استبد الأثراك بالخلفاء ، لم تجد الخلافة سندا قويا من هذا العنصر العربي الذي كانت بذاتها تنتمي اليه ، والذي كان من المكن أن يقف وراءها يشد أزرها ،

وكما كان علو شأن الترك على حساب المنصر العربي ، كذلك كان على حساب المنصر العباسي الأول على حساب المنصر العباسي الأول هم عماد الدولة وبيدهم تصريف، أمورها ، ولقد كان الخلافة تمتمسد عليهم في أهم الأمور ، وكانوا هم من جانهم يحتفظون للخليفة بعظهسر الأبهة والمجالال ، ثم يشرون تفوذهم تحت ظل الخلافة وسلطانها ، فاذا أحس منهم الخلفاء اسرافا في الطبوح أوقعوا بهم ، ولكنهم سرعان ما كانوا مستردون تفوذهم ، فلما جاء الأتراك أقصوهم عن منزلتهم هذه وغيرا على الدايفة دونهم فحت الغرس ولعبت بهم العتبية القارسية ،

أنفسهم بالمال والرجال بعيدا عن المركز ، ويرمون الى اقتطاع الماد والاستيلاء عليها من وخصوصا بلادهم الفارسية ــ والاستقلال بها بهن خلفها و بعداد ، غاذا سنحت لهم فرصة بعد غليستولوا على المسراق وليتسلطوا على المثليفة نفسه ويقضوا على سلطة الاتراك .

وليد القضاء على صاحبه ، وكانت بعداد نفسها في كثير من الأوقات ويريد القضاء على صاحبه ، وكانت بعداد نفسها في كثير من الأوقات مسرح للقتال بين الديالمة الفرس وبين الأتراث ، وقد نجج الفرس الى حد كبير في اقتطاع أجزاء من الدولة والاستيلاء عليها ، وتأسيس دول لهم بها مسستقلة عن النخلاقة من الناحية الاسسمية ، وقد وصلوا الى العراق نفسه آخر الأمر على يسد بنى بويه ، وأخضموا المظلمة لأمرهم ، وأزالوا ولاية المترك على ، وأقاموا بملطافهم فبكان شأن الخليفة معهم شأنه مع الترك قبهم ، اذكان عبيبة الخلافة قد زالت من النفوس قبل مجيشهم ، ولكنهم مع ذلك كافرا أخف على الخلفاء من الترك فلم يشهد عصرهم مقاتل الخلفاء كن قرر عهد تسلط الأتراك اله

الفضال لثالث

عصر نفسسوذ الأتراك في العسسراق

انتقلت عاصمة الخلافة من بفداد الى سامرا بعد أن بناها المعتصم وأقطع القطائع فيها لجنده الاتراك، وظلت سامرا عاصمة الدولة ما يقرب من خبسين سنة ، تحولت في خلالها الى مدينة عظيمة عاموة بالقصسور والحداثق ؛ وأصبحت مقرا للمصبية التركية الجديدة ، ومنذ ذلك الوقت أخذت تبرز في حياة الدولة العباسية شخصيات تركيــة كان لها أثر كبير في الحياة العامة ، واستطاعت السيطرة على مقاليد الأمور في عهد المعتصم وما تلاه من الخلفاء ، ومن أبرز هذه الشخصيات في عهد المعتصم ايتاخ وأشناس ووصيف وسيما الدمشقي ، وكان هؤلاء غلمانا من الترك كانوا مماليك لبعض الأشخاص ، فاشتراهم المعتَّصم وقربهم ' اليه ورفع من أقدارهم حتى حجب جساعة منهم وصيف وسيماء الدمشقي (١) ، وعلى رأس هؤلاء الأتراك القربين جميعا حيدر بن كاوس الملقب بالأفشين ، وهذا اللقب كان يلقب به ملسوك أشروسسنة ــ وهي كورة من بلاد ما وراء النهر عاصمتها مدينة بنجكت ــ وكان والد حيدر ملك هذه الكورة . وقد رحل حيدر الى بُعداد على أثر خلاف وقع بينه وبين أبيه في عهد المـــأمون ، وسهل على الخليفة غزو أشروسنة ، فوجه المــأمون اليها جيشا فتحها ، ثم ملكه المــأمون بعد آبيه (٣) • وقـــد قرب الممتصم الأفشين وجمله من كبار قواده .

وقد خدم الأتراك الدولة في عهد المعتصم وابنه الواثق ، وكانوا سندها في حروبها وفي القضاء على الثورات التي نشبت في أجزائها ، فهم كانوا عماد الجيش في غزوة عمورية ، واليهم يرجع الفضل في الاتتصار

⁽۱) اليعتوبى : ج ٣ ، ص ٢٠٤ . (٢) البـــلاذرى : ص ٣٦١ ، ٣٣٠ .

الذى حققه المعتصم على الروم فى هذه الغزوة • كما استطاع الأفشير القضاء على ثورة بابك الخرمى الذى استفحل أمره ، وعجزت جيوش العظافة عن قهره فى أيام المسأمور ، وأصبح يشمكل تهديدا خطيرا الخلافة عن قهره فى أيام المسأمور ، وأصبح يشمكل تهديدا خطيرا المخلافة العباسية ، فحاربه الأنشين سنتين حتى استطاع آخر الأمر أن الأفشين عند المعتصم الذى خلع عليه ورفع منزلته ، ويقول المسمودي « وتوج المعتصم الأفشين بتاج من اللهمب المرصع بالجواهر ، وأكليل ليس فيه من الجواهر الا الياقوت الأحمر والزمرد الأخشر قد شسبك بالذهب ، ولبس وشاحين ، () وقد كان الأفشين أحد قواد القرق الثلاث فى جيش المعتصم فى غزوة عصورية ، وزاد اعتماد المعتصم عليه بعد المربية ، وبهذه الإعمال كلها قوى فيدهم وزاد سلطافهم ، فأحاطوا المربية ، وبهذه الإعمال كلها قوى فيوهم وزاد سلطافهم ، فأحاطوا

بدأ يتكون الاتراك طموح خاص ، وبدأ بعضهم يتجمه لتكوين دولة خاصة يحكمها ، سواء تحت ظل الخلافة أو منفصلا عنها ، كما طمح بمعضهم الى الاستئثار الكامل بشئون البحكم في عاصمة الدولة ، واظهر مثل لذلك ما فعله الأفشين فانه آخذ يرسل الهداوا وما يتجمع لدبه من الأموال الى أشروسنة ، كما بدأ يتصل بأصحاب الطموح الذين يريدون المخروج على الدولة ، ويرتب الأمرمهم ، فقد اتصل بالمازيار بنقارنصاحب جبال طبرستان وحرضه على الخروج ، وقد اقر المازيار حين هزم وقبض عليه بهذا على الأفشين « بأنه بعثه الى الخروج والمصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجسوس » (") وقد حوكم الأقشين وأدين ، فصيسه المتصمم حتى مات في السجن ثم صماح حسيم المناح سيسمده (") ،

⁽۱) بروج الذهب : ج ٤ ، من ٥٥ (طبعة ١٩٤٨) .

⁽٢) نئس المسدر: ج ٢ ٢ من ١١ ،

⁽٣) الطبرى : ج ١٠ > ص ٣٦٣ - ٣٦٧ ·

ولقد أحس المعتصم بخطورة مطامع الأتراك ، وبدأ يدرك أن التوازن بين سلطة اللخلافة وهذا المنصر الجديد بدأ يختل ما يسذر بخطر ضياع هيئة الخلافة وفعاليتها ، ولهذا وجه الى الأتراك ضربة شبيهة بالشربة التى وجهها أبو جعنم المنصور للخراسانيين بقتل أبى مسلم ، فبطش المعتصم بالأفشين ليكون عبرة لغيره ، وليوقف تيار هذا الطموح .

وقد أثر حادث خيانة الأفشين في نفس المعتصم تأثيرا كبيرا ، ويظهر لنا من هذه الحادثة التي رواها الطبري بين المعتصم وأبي العسين اسحاق ابن ابْرَاهيم والى بغداد منذ عهد المـــأمون ، مدى برم المعتصم بالأتراك وندمه على منحهم سسلطات واسسعة في دولته ، ومقارنة خدمة الفرس للخلفاء من قبله وخدمة الترك له ، ومدحه الأولى وذمه الشانية « قال المتصمم : غظرت الى أخي المأمون ، وقد اصطنع أربعة انجبوا ، واصطنعت أنا أربعة لم يغلج أحد منهم ! • قال اسحاق : ومن السذين اصطنعهم أخوك ؟ قال : طاهر بن الحسين ، فقد رأيت وسيسمعت . وعبد الله بن طاهر ، فهو الرجــل الذي لم ير مثله . وأنت ، فأنت والله الذي لا يعتاض السلطان منك أبدأ . وأخوك محمد بن ابراهيم ، وأين مثل محمد ؟ • وأما أنا فاصطنعت الأفشين ، فقد رأيت ما اصار أمره ، وأشناس غفشل أي غشل • وايتاخ • غلا شيء • ووصيف • غلا معنى فيه ٠٠٠ قال اسحاق : يا أمير المؤمنين • نظر أخوك الى الأصدول غاستعملها غأنجبت غروعا ، واستعمل أمسير المؤمنين غروعا لم تنجب اذ لا أصول لها ! • قال : يا اسحاق • لمقاساة ما مر بي في طول هذه المدة أسهل على من هـذا الجواب » (١) ٠

لكن المتصم برغم ذلك لم يتخل عن سياسته فى الاعتصاد على الأتراك الأثراك ، ويبدو أنه لم يكن فى استطاعته غير ذلك ، فقد أصبح الأتراك قوة كبيرة ليس من السهل التخلص منها ، ولم يكن من الممكن الاعتماد على المعرب والمفرس بعد أن فسد الأمر بينهم وبين الخلافة ، بهسذه

⁽¹⁾ الطبرى: بع 11) من A .

الثورات التي قام بها العرب وقاومتها الدولة بعنف وقسوة • وبعد أن أسقط المنتصم العرب من ديوان الجيش . وبعد ثورة بابك الخرمي التي كانت ثورة فارسية بكل امكانياتها • وبعد اقصاء هاتين العصبيتين والاعتماد على العصبية التركية التي تركزت في الماصمة الجديدة وأحاطت بالخليفة ونالت أكبر المناصب في الدولة .

وتعتبر خلافة الواثق بن المعتصم (٣٢٧ ــ ٣٣٢ هـ) فترة انتقال بين عهدين : الأول منهما هو عهد تمكن الأتراك مع بقاء هيبة الخليفة . والثاني ويبتدىء بالخليفة المتوكل ، وهو عهد تمكن الأتراك مع زوال هبية الخليفة وانحدار مكالته .

ويمتاز عهد الواثق بأن الماليك الأتراك الذين اصطنعهم المعتصم تمكنوا من توطيد نفوذهم وتثبيت اقدامهم ، ونال رؤساؤهم منزلة عظيمة ونفوذا كبيرا ، وبلغ من نفوذهم أن المواثق إستخلف أشسناس على السملطنة ، فكان بذلك أول خاليفة استخلف سلطانا (١) وأسند اليه أعمال الجزيرة وبلاد الشام ومصر . كما عهد الى ايتاخ بولاية خراسان والسند المتوكل كان قد بلغ ذروة منزلته ، غكان اليهِ الجيش والمعاربة والأتراك والموالي والبربر ، والحجابة ودار الخــــلافة (١) وبذلك ازداد النفـــوذ التركي داخل العراق وخارجه ٠

وقد عمل هؤلاء القواد الأتراك على تمكين سلطانهم على الخليفة تفسه اعتقادا منهم أنه مصدر السلطان ، فأحاطوا به ، ولم يرغب وأحد منهم في مفارقة سامرا حتى يضمن لنفسه الاحتفاظ بنفوذهم فيها ، وليظل قربيا من الأحداث يراقبها ، ويشارك في المنافسات السياسية للوصول الى أقرب منزلة من الخليفة ، أو ليحقق لنفسه مآرب شخصية ، ولذلك

⁽١) الخلنساء : ص ١٣٥ ، ۲۰۵ ٤ ٢٠٠ مس ٢٠٢ ٤ ٥٠٠٠ ٠

⁽٧) المابري: ح ١١ ٤ ص ٧٣٠٠

لم يذهب واحد منهم في ولايته ، بل كانوا ينيبون عنهم عبالا من قبلهم » فاناب أشناس عنه في أعمال غرب الدولة محمد بن ابراهيم بن الأغلب ، وأناب ايتاخ عنه في ولاية خراسان عنبسة بن اسحاق الضبي () الماستنوا. بذلك سنة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، وكان هذا وبالا على الخلاقة ، فان كثيرا من هؤلاء الوكلاء طمعوا في ولاياتهم واستقلوا بها ، منتهزين ضعف السلطة المركزية، وعدم معرفة الخليفة بمجريات الأمور في الولايات: فالخليفة مطمئن الى من ولاه من الاتراك ، وهذا الوالى لم يبرح العراق ، بله هو يحرص على البقاء ليحتفظ بنفوذه لدى الخليفة ، ويسيش عاملا لنصه سادرا في حياة اللهو والمجون ، لا يعلم شيئا عما يعرى في ولايته، فكان طبيميا أن يستقل الوكلاء بالولايات فيما بعد () ،

وكان لازدياد نفوذ الأتراك وبقائهم فى سامرا على هذه الصسورة أثره المباشر على منصب الخلافة نفسه ، فقد أصبحوا يتدخلون فى اختيار الخلفاء وتوليتهم ، فأخذوا بذلك صفة أهل الحل والعقد ، بل صساووا فعلا هم أصحاب الحل والعقد ،

وكان الظيفة الواثق هو آخر الظفاء الذي جرت توليته على السنة التي كانت متبعة من قبل و ثم مات الواثق ولم يعين وليا للعهد من بعده و وهنا برزت القوة التركية الجديدة بنفوذها ، وكانت قد وصلت الى حد كبير في التقدم ، ولكن تقدمها لم يكن في نطاق الخلافة والطاعة لهساكما كان الحال في تقدم العناصر الإرانية ، وانما كان على حساب هيبتها ، ووقع الصراع بين قوتين رئيسيتين : قوة القديم برجاله ممثاين في كبار رجال الدولة من أبناء البيت العباسي ، والوزير وكبير القضاة ، وهم أصحاب الحل والعقد في يعمة الخليفة على ما كان متبعا في العصرالمباسي الأول ، وبين قوة الأتراك الفتية التي تعمل على تثبيت سلطانها و وكانت القوة الأداك الفتية محصد بن الواثق ، وكانت القوة الشائية والشائية وكانت القوة الشائية

⁽١) اليعتوبي : ج ٣ ، ص ٥٠٥ ،

⁽٢) محمد تونيق خفاجي : ص ٢٥ .

ترشح جعفر بن المعتصب ، وقد كان الموقف في صالح الأتراك اذ أن محمد بن الواثق كان صبيا لا يستطيع الاضطلاع بعام الخلافة ، لذلك عارض قواد الأتراك ترشيحه بشدة ، وتولى لواء المعارضة وصيف التركى وأبدى وجهة نظر مقبولة وهي أن محمدا لا يصلح للخلافة لصغر سنه(١) وحين قبل هــذا الرأى أعلن الأتراك ترشيحهم لمجعفى وسارعوا ببيعته « فكان أول من بايعه سيما المتراكى المعروف بالمصقى ، ووصيف التركى وبذلك أسند اليه منصب الخلافة ، وأمر باعطاء الجند لثمانية أشهر ١٩/١ ولقب بالمتوكل وكان لنجاح الأتراك في تولية هذا الخليفة أثر كبير في تولية من جاءوا بعده من الخلفاء ، وأصبح سابقة جرت عليها الأمور من بعد ، اذ أصبح قواد الإتراك هم أهل الحل والمقد ، أو هم أهم أهل الحل والمقد ، ألا تتم الخلافة لأحد الا بموافقتهم ورضاهم وبذلك أحكم الأتراك قبضتهم على شؤن الخلافة وأصبحت الأمور تصرف بارادتهم و

وكان لنفوذ قواد الأتراك على هذه الصدورة أيضا أثر كبير على منصب الوزارة ، اذ ضعفت الى جانبهم شخصيات الوزراء ، هكتر عزل الوزراء ومصادرتهم وحبسهم ، واستتبع ذلك انعطاط شخصيات الوزراء أنسهم اذ لبح كثيرون الى الرشدة وبذل المال للوصول الى منصب الوزارة ، وبذلك تقلد الوزارة شخصيات كان همها الوصول الى المنصب ، ثم جسع المال لتعويض ما أنفقوا ، وبذلك ضاعت هيبة الوزير وتناقست قيمته شيئا ختى لم يصسبح آخر الأمر الا مجرد كاتب للخليفة ، وأصبحت حقيقة السلطان في يد القواد ،

⁽۱) الطبرى: ج ۱۱ ، ص ۲۹ ،

۱۲ من ۲۰۸ ، این الاثیر : ج۷ ، من ۲۰۸ ، این الاثیر : ج۷ ، من ۱۲ ،

للنفوذ التركى • ولم يستطح الخلفاء التغلب على الأثراك الا بعد أن عادوا الى بغداد، فاستعانوا بالعناصر الأخرى الموجودة فيها ، والا بعد أن ظهر في الأفق قوة جديدة أخرى هي قوة الديلم التي بدأت تصل الى العراق، وتثنارك في الأحداث • وما ترالت تنمو حتى استطاعت آخر الأمر أن تقهر النفوذ التركي وتحتل مكانه •

وغلفاه هذا المصر الذي تسميه « عصر تفوذ الأتراك » هم : المتوكل (٢٣٧-١٤٧ هـ) والمستمين (٢٤٧-٢٥٧هـ) والمستمين (٢٤٨-٢٥٧هـ) والمعتر (٢٥٠ - ٢٥٠ هـ) والمستمد (٢٥٠-٢٥٠ هـ) والمستمد (٢٥٠-٢٥٠ هـ) والمتصد (٢٥٠-٢٥٠ هـ) والمتصد (٢٥٠ - ٢٥٠ هـ) والراضي (والمتصد (٢٥٠ - ٣٠٠ هـ) والراضي (٢٠٠ - ٣٢٠ هـ) والمستمد (٣٠٠ - ٣٠٠ هـ)

وعد الخلفاء الخمسة الأوائل منهم كان عهد اتفوق التركئ على الخلفاء وكان عهد الثلاثة الذين جاءوا بعدهم عهدا انتشت فيه الخلافة واستطاعت أن تسترد نفوذها و ثم عادت الى الانتكاس مرة أغرى فى عهد القتدر والقاهر اللذين كثرت فى عهدهما الفتن والدسائس و وتناقست موارد الدوائة المالية ، حتى عجزت الخلافة عن تسيير دفة الأمور ، حتى اذا جاء عهد الراضى ظهر منصب آمير الأمراء ، الذى ائتقلت اليه كل سلطات المخليفة وكل المتصاصات الوزير ، ولم يبق لما لخليفة من منصب المخلافة الا الاسم ، وقنع بأن يخطب آله على المنابر وتضرب السكة باسمه ، ولم تستطح المخلافة استرداد سلطانها بعد ذلك ، فقد انتهى عصر الأثراك هين حالم ملهم الديلم فورثوا سلطة أمير الأمراء فى عهد بنى بويه ، ثم تلاهم السلاجة فحكموا باسم الخلافة ه

عهسد تفسوق الإتراك :

 الوائق ثم زاد حقده عليه لأن الوزير كان من العزب الراغب في تولية محمسد بن الوائق ، وبذلك عهد المتوكل الى ايتاخ التركى باعتقاله فاسستندرجه هذا وحبسته وصادر أمواله ، ثم عذبه وقتله (١) ، وقوى مركز ايتاخ عند الخليفة ، فعهد اليه بكثير من المناصسب ، فاليه الجيش والمغاربة والأتراك والأموال والبريد والصجابة ودار الخلافة (١) ،

الا أن المتوكل ما لبث أن أدرك حقيقة الأتراك ، ولمس منهسم الاستبداد بشئون المخلافة ، وأحس منهم قلة الاحترام لشعخصه ، فلقد خرج مرة متنزها الى ناحية القساطول ، وشرب وعربد على ايتاخ ، فهم ايتاخ ، فلما أصسبح أخبر المتوكل بذلك ، فاعتذر الى ايتاخ ، وقال له :

« أنت أبي وربيتني » (") ولقد أثر هذا الحادث في قس المتوكل وأحس منه بالمهانة ، لذلك دبر مكيدة أبعد بها ايتاخ عن سامرا ، ثم آسند الصحابة بعده الى وصيف ، ثم استدرج ايتاخ وجمعه وقتله (أ) ، ثم أبيم المتوكل بطنت بإيتاخ بتقرير ولاية المهد من بعده ، ولمله قصد أن يعد الاتراك عن التدخل في اختيار الفلقاء ، فقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية المهتد ، وهم محمد ولقب المنتصر باقه ، وتابو عبد الله محمد ولقبه المعتز بالله ، وعقد لمكل واحد منهم لواءين المعتز بالله ، والبراهيم ولواء المعل ، وقسم المعتز بالله ، والإنجر أيض وهو لواء المعل ، وقسم الدارة الدولة بينهم منبها في ذلك التقسيم الذي جرت عليه الخيلافة المباسية منذ عهد المهدى ، وكانت المادة أن يعهد بالمغرب لولى المهسد الإلول ، وأن يعهد بالمغرب لولى المهسد الخلافة القديمة ، فأما المنتصر فولاه المغرب كله ، وأما المعتز فولاه المشرق

ال الله العالم العالم العالم العالم العالم العالم V

نم أضاف للمعتز في مسنة ه ٩٤٠ه هـ خزن الأموال في جميع الآفاق ودور المنسرب وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم (١) ويذلك حرم المنسوكل الإتراك مما كان في أيديهم من الولايات والمناصب الكبيرة ولذلك اشتد حقدهم عليه ، فأشاعوا الاضطراب ، وأصبحوا مصدر قلق ، فهم فوق كرههم للمرب والنمرس ، ليسوا على وفاق فيما بينهم ، وكل فربق منهم يتمصب لقائد من قوادهم ، وأصبحت لذلك مؤامراتهم ودسائسهم لا تنقطع ، وأصبح همهم جمع المال بكل سبيل ،

أحس المتوكل بالضيق من هذا الجو الخاتق الذي يثيره الأتراث ، وأحس ببغضهم له وتربسهم به ، فكان عليه أن يفكر في وسيلة يتخلص بها منهم ويعيد أمور الدولة سيرتها الأولى ، ولما كان وجوده في سامرا يجمله في قبضتهم ، فقد فكر في نقل العاصمة من العراق الى دمشيق لعله يجد في الثمام من المعنصر العربي ما يقف به في وجه هيذا المنصر التركى ، لكن العلاقات بين العباسيين وبين آهل الثمام لم تكن طبية منذ التركى ، لكن العلاقات بين العباسيين وبين آهل الثمام لم تكن طبية منذ قيام الدولة العباسية ، وزادها سوءا ما حدث في أيام المعتصم حين ثار المبرقع اليماني ، وثار أهل دمشق ، فعصفت بهم الدولة ، فلم يستطع المبركل لذلك تحقيق غايشه بين أظهرهم ، بل شسغب عليه جند الشام المتوكل لالنك تحقيق غايشه بين أظهرهم ، بل شسغب عليه جند الشام والرمي بالنشاب » (٣) واضطر الى العودة الى سامر) بعد أن قضى بالشام نعوي

وقد بلغ المداء بين المتوكل والإثراك حدا لابد معه من أن يتخلص أحدهما من الآخر ، فأما المتوكل فقد عزم على أن يتخلص نهائيا من الآخراك ، ولكن ابنه المنتصر كان يشايعهم ، وقد كان ينقم على أبيه قسسوته على العلويين ، وذمه لعلى بن أبي طالب ، وهدمه قبر الحسسين وتنكيله بالشيعة ، وكان المنتصر يعطف على الشسيعة ويرى في العلويين

⁽۱) أبن، الأثير: ج ٧ ، من ١٧ ، ١٨ ، ١٨

⁽٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١١٥ .

قرابة يجب ألا تنتهك حرمتها ، وبسبب هذا التمارض في الرأي والميول فعسمه العجو بين الولد وآبيه ، فعزم المتوكل على اجراء تغيسير في ولاية العهد بتقديم المعتز على المنتصر في ولاية العهد • كل ذلك انضم المنتصر الى الأتراك وشمايعهم على أبيه ، فقر رأى المتوكل على الفتك بالمنتصر وقتل وصيف وبفًا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم(١) . وعزم الحزب الآخر على الفتك بالمتوكل والتخلص منه .

كان ذلك مفترق طربق في حياة الخلافة العباسية . فان نجح المتوكل زالت دولة الأتراك ، وعادت غلبة الفرس ، واستأنفت الخلافة سميرتها الأولى، وإن نجعوا هم تدعم سلطان الأتراك وضاعت هيبة الخلافة . وشماء القدر أن ينجح الأتراك ، فقد سمبقوا المتوكل بتدبيرهم ، فباغته جماعة منهم على رأسهم بنا الصغير وباغر حارس الخليفة وهو الذي تولى متله ، ثم قتلوا وزيره الفتح بن خاقان ، ثم أقبلوا الى ابنــه المنتصر ويايموه بالخلافة ، وأخذوا له البيعة من وجوه الدولة ومن بقية القواد ، كما احضروا أخويه المعتز والثويد فأجبروهما على مبايعته ، واستعملوا المنف معر الفاضيين من الناس (١) •

كان قتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين ، فلم يقتل خليفة منهم من قبل الا الأمين الذي قتل بعد هزيمته في الحرب • ولم يكن قتل الخليفة اعتداء على المتوكل وحده ، بل كان قتلا لسلطان كل خليفة **بعده ، ول**م يكن قتلا بيد باغر التركى وحده وانما كان بيد الأتراك وكان في قتله تثبيت لسلطان الأتراك ونفوذهم ، وانذار للبيت العباسي كله إنه من أراد أن يلمي الخلافة فليذعن اذعانا تاما لرغبة الأتراك أو فليوطن المسه على القتل ه

وهكذا كان مصرع المتوكل مصرعا لسلطان الخلافة ومجدا للاتراك

⁽۱) الطبرى: ج ۱۱ ، ص ۱۳ . (۲) ابن الأثير: ج ۷ ، ص ۳۱ – ۳۱ .

ظم يعد للخليفة معهم شيء الا مظهر اسمى اقتصر على السكة والخطبة « وصار يضرب ذلك مثلا لمن له ظاهر الأمر ، وليس له من باطنه شيء ، فيقال : « قتم فلان من الأمر بالسكة والخطبة ، يعنى قنم بالاسم دون الحقيقة » (أ) •

وثالم الناصر لما وصلت اليه الخلافة ، وعبر الشعراء عن هسدًا الألم ، فبكوا المتسوكل ، وبكوا معه مكانة الخلافة وحرمتها ، وتحسروا على عهد الفرس الذين كانوا يصفظون للخليفة بأبهته وعظمته ، ويعملون ما عملوا في ظل خدمته ، وكان الناس يرون في الخلافة مجد الأمة وعز الاسلام (٢) .

كان طبيعيا أن يكون المنتصر خاضسعا لنفوذ الأتراك ، ألم يركيف قتابوا أباه ، واستخلف هو تحت ظلال سيوفهم ، فأنى له القوة التي يقف بها في وجوههم ، ويخاصة بعد أن أسلم لهم يده وقبل منهم ما فعلوه بأيسه ؟ !

بهنع سلطان الاتراك ذروته فلم يكن أحد يستطيع الإجتراء على ممارضتهم ، وكانوا هم يحرصون على تثبيت سسلطانهم على المخلافة ، فيقصون عنها من يرون فيه احتمال ممارضتهم ، وقد خصوا من المعتز والمؤيد ابنى المتوكل لو ولى أحدهما الخلافة بعد المنتصر ، لذلك أمروا المنتصر أن يخلعهما من ولاية المهد ، حتى يحولوا بينهما وبين الموصول الى منصب الخلافة ، وحتى يتركوا الأقسهم الحرية في اختيار من يرون مملحتهم في استخلافة ، ولم يملك المنتصر أن يعترض ، فأذعن للأمر وهو كاره وخلم أخويه ، ولكى يظهر سخطه ويعتذر عن عمله دعا أخويه والتراك وقوف ، وقال : أترياني خلعتكما طمعا في أن أعيش حتى يكبر ولدى وأبايع له ؟ ، والله ما طمعت في ذلك ساعة قط ، وأذا لم يكن

⁽۱) الفضري: من ۳۸ ، ظهر الاسلام: ج ۱ ، من ۱۱ ،

⁽٢) انظر ظهر الاسالم : ج ١ ، ص ١٢ ــ ١٩ ،

فى ذلك طمع ، فوالله لأن يليها بنو أبى أحب الى من أن يليها بنو عمى. ولكن هؤلاء ـــ وأومأ الى سائر الموالى (يريد الإتراك) مين هو قائم عنده وقاعد ــ ألحوا على فى خلعكما فخفت ان لم أفعل أن يمترضكما بعضهم بحديدة فياتى عليكما » (') .

وهكذا أدرك المنتصر أنه لم يعد له من الأمر شيء ، وانه حين مالأ الاتراك على أيه انما مالأهم على قتل سلطان الخلافة تفسها ، فاشتد كرهه للاتراك على أيه انما مالأهم على قتل سلطان الخلافة تفسها ، فاشتد كرهه للاتراك ، وعزم على التخلص من زعمائهم ، وكان كثيرا ما يبدى تبرمه وبغضه لهم ، وعزمه على قتلهم حتى كان يسميهم هر هقتلة الخلفاء » واكن هذا الجهر بالعداء لهم نبههم اليه فتخلصوا منه ، يقول المسمودي ان الطيفوري الطبيب سمه في مشرط حجمه به ، وقد كان عزم على تفريق جمع الأتراك غاخرج وصيفا في جمع كثير الى غزاة المماثفة بعلرسوس ، وتظر يوما الى بما الصغير _ وقد أقبل في القصر وحوله جماعة من الأتراك في اقبل على الفضل بن المامون ، فقال : قتلني الله ان لم أفتاهم وأفرق جمعم بقتلهم المتوكل على الله ، فلما نظر الأتراك الى ما يفسل بهم ، وما قد عزم عليه ، وجدوا منه فرصة (") » *

فلما مات المنتصر بعد خلافته بستة أشهر تفاهد الأتراك على توصيد كلمتهم ، فاستحلفوا القواد الأتراك والمفاربة والأشروسينية على أن يرضوا بما يرضى به بعا الكبير وبفا الصغير وأتامش و وجميعهم أتراك و وكأنهم بذلك قد جملوا من أنفسهم أهل الحل والمقد في اختيار الخليفة و ولم يرض هؤلاء أن يتولى الخلافة أحد من ولد المتوكل لئلا يغتيانهم ، وأجمعوا على اختيار أحمد بن محمد المعتصم ولقبوه المستعين، وأخذوا له البيعة من سائر الناس ، وأحاطوا بالخليفة الذي وكل تفسسه وأمر

۱۱) ابن الاثیر: ج ۷ ، ص ۳۸ ، ۲۹ . الطبری: ج ۱۱ ، ص ۷۳ .

⁽٢) مروج الذهب : ج) ، ص ١٣٤ .

⁽م ٢٢٠٠ العصر العباسي)

دولته اليهم ، نقد استكتب أحمد بن الخصيب وعدد لأتامش على مصر والمغرب واتخف وزيرا ، كما جعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وحراسه وخاص أموره ، وقدمه وآنامش على سائر الناس (١) وهكذا جعل الأتراك من أنفسهم وحدهم أهل الحل والمقد ، واستولوا على أكبر المناصب ، فصارت الدولة بكليتها في أيديهم ه

ولم ترض الأطراف الأخرى فى سامرًا بهذا العمل ، فنشبت الثورة وقادى فريق من الناس باسم المعتز (٢) ، وتتكاثر العامة والانزاك ، وظلت الحرب سجالا فى الشوارع واستباح كل من الفريقين دم الآخر ، لكن الأمر انتهى يتغلب الأثراك .

وكذلك هاج الناس فى بمداد لما راوا من استبداد الأنراك . وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء واستخلافهم من أحبوا استخلافه دون الرجوع منهم الى ديافة ، ولا نظر الى مصالح المسلمين « فاجتمعت العامة بمداد بالنمر » (") ولكن الاتراك هزموهم بعد معركة كبيرة صقط فيها كثير من القتلى من الجائبين »

وهكذا بدأ عهد المستمين بالاضطراب والتطاهن على السلطة • لكن الأتراك لم تدم وحدتهم ، فانهم بعد أن انتصروا انشقوا على انفسهم، وبدأ يتكون من بينهم أهزاب متناهرة على الاستثثار بالنفوذ •

وقد وجد الخليفة فرسسته فى الخلافات التى نشسأت بين الأتراك للتخلص من زعماقهم شيئا فشيئا ، وبدأ فنفى أحمد بن الخمسيب الى الريطش واستصفى أمواله ، ثم قتل أتامش حين تآمر عليه وصيف وبغا وأغريا به الموالى لاستثثاره بالأموال دونهم (⁴) ، ثم ما لبث الفلاف

⁽۱) ابن الاثير: ج ٧ ، من ١ ،

⁽Y) الطبرى : ج 11 4 من AY،

⁽٣) الطبرى: ج ١١ ، ص ٨٥ .

⁽٤) ابن الأثير : ج ٧ ، س ٢٤ .

أن استشرى بين باغر وبين وصيف وبغا ٠ فقد أراد باغر أن يستولى على السلطة وجمع حوله الأنصار • فاتفق الآخران على التخلص منه • وأحس هو بتآمرهما مع الخليفة عليه فعمل بدوره على التخلص منهما ومن المستمين . واستفل الخليفة هـــذا الخلاف فاتفق مع بما ووصــيف . وانتهى الأمر باستدراج باغر وقتله (١) وثار لباغر أصحابه وهاجموا مقر الخليفة ونشب القتال .

وأدرك الخليفه آنه طالما بقي في سامرا فلن يستطيع حسم الموقف لدالج الخلافة ، فهرب الى بعداد حتى يستعين بمن فيهما من العرب والفرس •

على أن لجوء الخليفة لحماية أهل بفداد جمل الأمر مثارا للاحتكاك العنصرى بين الأتراك من جهة وبين العرب والفرس من جهـــه أخرى • فقد كان انتقال الخليفة من سأمرا الى بغداد بمثابة فرصة جديدة استغلها الفرس والعرب لكي يثبتوا جدارتهم مرة أخرى فى تولى أمور الدولة ٠ وكان في الوقت نفسه فرصة لأهل بغداد أن تعود مدينتهم دارا للخلافة فيعود اليها مجدها وانتماشها القديم .

وأدرك الأتراك فيسامرا أن وجود الخليفة في هذه المدينة ضرورى لكي يكسبهم الهبية ، ويجمل سلطتهم أكثر شرعية وثباتا الذلك حاولوا ترضى الخليفة ، فأرسلوا اليه وفدهم يعتذرون ويسألونه الصفح • وبعد مناقشــة كانت أقرب الى المتاب والتوبيخ من جانب الخليفة : والى الاعتذار والتضرع من جانب الأتراك ، رفض الخليفة أن يعود معهم الى سامرا (١) ٠

والراجح أن رفض الخليفة كان بتحريض من وصيف وبنا ، اللذين أدركا أن الحزب المعادي لهما في سامرًا على قدر كبير من القوة • ورأيا

⁽۱) أبن الأثير : ج ٧ ، ص ٧) . (٢) الطبري : ج ١١ ، ص ٩٧ . أبن الأشسير : ج ٧ ، ص ٤٨ . غُلُهِر الإسساليم : يه ١ ، ص ١٧ . أبن الأشسير : ج ٧ ، ص ٤٨ .

أن في عودة الخليفة هزيمة لهما قد تؤدى الى تجريدهما من مناصبهما وربما تؤدى الى قتلهما .

ظما لم يدعن الخليفة المستمين الى رجاء الأثراك ، جاهروا بعدائه وأعلوا خلمه وبايعوا للمحتز بسامرا وتكتل حوله أغلب الأثراك ، بينما ظل أهل بعداد عالى ولائهم للمستمين وبيمتهم له وممهم ابن طاهر الفارسى الأصيل وقليل من الأثراك ، ووقعت العرب بين الطرفين ، وحاول كل منهما حصر الآخر وقطع الموارد عنه ، فأما الخليفة فقمد كتب الى الإثاليم يستنجد بها ويقطع الميرة عن سامرا ، وأما الاثراك فقمد عملوا على حصر بغداد ومنعوا عبور الناس اليها ، وتحمل الناس ضفطا شديدا وكانت سنة قاسية عذبوا فيها وتعرضوا لكثير من السلب والنهب وكوارث القتال (ا) ،

وقد قاتل أهل بغداد قتالا شديدا ، لكن الأتراك نجعوا مى حصرا بغداد ، ولم يكن العنصر العربى من القوة بحيث يستطيع المسمود طويلا ، فصلا عن أن الطرف الآخر استطاع أن يغرى بغا ووصيف بالتخلى عن المستمين بأن و لا بأن يسسترد هذان مراكزهما () ، وبذلك استرد العوب التركي وحد ، ، وأصبح بذلك مركز المستمين ضعيفا . ورأى ابن طاهر العاق الأراك وضعف حوب المستمين فتظلى عن مناصرته بل رأى أنه لكى بأمن على نفيه لابد لله أن يعمل على أن يتنازل المستمين عن الذلافة () ،

وتحت هذه الظروف خلع المستعين تفسسه وبويع للمعتز بالخلافة . وخرج المستعين الى منفاه بالبصرة ، ولكن الأتراك خشرا من بقائه حيا فارساء الليه جيشا قتله ، وترك جشته في العراء حتى دهنه العامة (٤) ، فكاند ، هذه خطوة أخرى في سبيل سيادة الأتراك .

۱) ابن الأثير : ج ۷ ك ص ٨٨ -- ٨٥ ٠

⁽۲) نفس المندر " من الاه . Mutr, the Caliphat p. 58.

⁽١) المسمودي : بروج الذهب ٢ ج ؟ ٩ هن ١٦٤ ند

لكنا مع انتصار الأتراك نلمس ظاهرة سيكبون لها أثرها عما قرب وهي أن المفارية ــ وهم من عرب الحوف بمصر دخلوا الجيش في عهد المعتصم _ اشتركوا مع الاتراك في قتال قوات المستمين ببعداد ، ومرر ثم نشسمه بروز قوة أخرى من الممكن أن يكون لها دور الي جانب قوة الأتراك • كما نشهد ظاهرة أخرى وهي أن القيادة العامة لقوات المعتز التي · قلتلت المستعين أسندت الهرجل ميزالبيت المباسي وهوأبوأحمد بزالمتوكل وهو الموفق، وهو الذي باشر القتال والمفاوضة حتى ثم الأمر للمعتز (١). وبتولية الموفق قيادة الأتراك ، انتقل الأمر من يد قواد الأتراك الى يد رجل من البيت العباسي ، وسيكون لهذا اثره فيما بعد ، فإن هذا الوجل هو الذي أمسك بزمام الأمر والنهي في أيام المعتمد واستطاع بقسوة شخصيته وخبرته أن يكبح غير قليل من جماح الأتراك .

ولم تكن ظروف الخلافة في عهد المعتر خيرا مما سبقها ، فان الخلافة عادت الى سامرا ووقعت تحت النفوذ التركى الذي حاول المستعين أن يبتعد عنه ، وزاد استبداد الأتراك ، وكثرت اضطراباتهم ومطالباتهم بالمسال . ولمساكانت الأموال في نقص مستمر لكثرة الاضطرابات وتأخر أسوال المولايات ، بحيث لم تعد تفي بحاجة الجند الأتراك ومطالبهم التي لا تنتهى فقد ازدادت اضطراباتهم ، وأخذوا يبحثون عن فرصة توصلهم للمال ، وكانوا دائما يجدون مثل هذه الفرصة حين يزيلون خليفة وبأتون بآخر ، فيعطيهم الخليفة الجديد رزق عدة أشمهر فوق ما ينتهبونه من أموال حين يعزلون الخليفة أو يقتلونه • ووقع الحتيارهم على المؤيد ، فلما علم المعتز بما يعتزمه الأتراك قبض على أخيه المؤيد وأجبره على خلم نفســـه من ولاية العهد ، ثم انتهى أمره الى القتل ، وكذلك قبض على أبي الحمد الموفق وحبسه ثم نفاه الى البصرة ، ثم الى العجاز (٢) •

ثم اتجه الخليفة الى التخلص من زعماء الأتراك منتهزا فرصــــة

⁽۱) ابن الأثير : ج ۷ ؛ ص ۹۹ ـــ ۸۵ . (۲) المسعودي : ج ٤ ؛ ص ١٧٦ ، ابن الأثير : ج ٧ ؛ ص ٦٠ .

الخلافات بينهم ، وكانت أحزابهم لا تكف عن الخالافات ، وإذا كانت تأتمي فترات يتوحدون فيها أمام معاولات الخلفاء للقضاء عليهم ، فسان زعماءهم لا يلبثون أن يعودوا لمطامعهم وخلافاتهم ، للاستثثار بالسسلطة والحصول على الأموال وجمع الأنصار حولهم ، وكان أول ما اتجه اليه الخليفة هو القضاء على بغا ووصيف باعتبارهما المستولين عن الحرب الأهلية التي وقعت بينه وبين المستعين ، وكان لها أسوا الأثر وبغفاصة في الأحوال الاقتصادية ، وما يتملق ببعايش الناس ، فقد ارتبكت الأحوال، وتعرض الناس للسلب والنهب ، وقلت المحاصميل بانصراف الناس عن الأعمال ، وأحرقت كثير من دكاكين التجار ومتاجرهم ، وتحمل أهسل بغداد النصيب الأكبر من هذه النصائر ، فقد طال حصسار بغداد ومنعت الموارد عنها ، ووقع معظم القتال فيها وفيما حولها . وكذلك لم تنج أقاليم المراق من هذه الأضرار ، فقد أصاب الأنبار وغيرها ما أصاب بغداد (١)٠

لذلك كتب المعتز الى محمد بن عبد الله بن طاهر الوالي على بمداد أن يسقط اسم وصيف وبغا من الدواوين ! وأخسد في التدبير لقتلهما مرتقبا الفرصة المناسبة ، وقد واتته الفرصية حين ثار الجند مطالبين بأرزاقهم لأربعة أشهره فأرسل لتهدئتهم بغا ووَّصيف ، ولمُسا أغلظ وصيف نى الرد على الجند وثبوا عليه فقتلوه • وبذلك تخلص المعتز من أحسد الرجلين ، وليتخلص من الآخر عمد الى مضائعة بإيكباك أحد زعماء الأتراك الذي كان ينافس بغا ويعتبره خصما له (١) • وحاول بغما في سبل كسر الحزب المادي له أن يعيد مأساة المستعين بتحريض الخليفة على الخروج الى بغداد ولكن خطته غشلت وانتهى الأمر بقتله (٢) •

كانت هذه العوادث المتتالية قد زادت من تفوذ الأتراث • فكثر عسفهم بالناس وتعديهم عليهم • الأمر الذي ناثار عليهم بقية الطسوائف

⁽۱) این الاثیر : ج ۷ ، من ۵۳ ،

⁽٢) اليعتوبي : ج ٣ ، ص ٢٢٥ . (٣) ابن الاتي : ج ٧ ، ص ١٥٠ .

الاخرى، وكانت قوة المغاربة قد أخذت في الظهور منذ الحرب بين المستعين والمعتز وأصبح يحسب لها حساب ، فتطلع رجالها الى أن يكون لهم دور الى جانب الأتراك و وترعمهم رجلان هما محمد بن راشد ونصر بن سعيد وهاجموا الأتراك وأبعدوهم عن القصر وقالوا لهم « كل يوم تقتسلون خليفة وتنظعون آخر » وأعانت العامة وبعض غرق الجيش المعاربة على الأثراك للى الأعمال (١) • وبدا في الأفق احتمال قيام نوع من التوازن بين القوى يكبح جماح هؤلاء الاتراك الذين تعولوا الى عصابة تشير الفوضى وتقلق الأمن .

لكن الأتراك ما لبثوا أن توحــدوا تحت زعامة بايكباك • وقتلوا زعيمي المغاربة واستعادوا نفوذهم وارتكبوا سلسلة من أعبال الفوضي والارهاب • فقتلوا الوزير أحمد بن أسرائيل واعتقلوا الكتاب وصادروا أموال الناس (٢) ، وما لبثوا أن أرغموا الممتز على خلع نفسه ، ثهم جاءوا بمحمد بن الواثق وكان ببعُداد ، فأسندوا اليه المخلافة ولقب بالمهتدى ، وأسلموا المعتز الى من يعذبه حتى مات (٢) .

وكان المهتدى رجل ورع وتقسوى ، وكان شسديد الرغبة في الاصلاح ، فقد رأى الفساد يعم الدولة. الافتقارها الى الأمن في الداخل، وبقيام التطاحن بين الطوائف ، واهمال العمال والرؤساء ، والتهانك على الملذات وارتكاب المنكز والموبقات • كما رأى تفكك البيت الخسلاني نفسه ، وانصراف الخلفاء الى اللهو وبعدهم عن الرعية ، الأمر الذي أدى الى عدم ادراكهم لمشاكل الناس مما قلل من قيمة الخلفاء وقدرتهم على تصريف الأمور في نظر الناس ، وجعل من الأتراك خلقة الاتصال بسين الخلبةة ورعبته ه

فرأى أن يبدأ الاصلاح من البيت الخلافي تفسه ، فتجرد من مظاهر

⁽١) الطبرى: ج ١١ ، حس ١٥٠ ،

 ⁽۲) الطبرى: ج ۱۱، حس ۱۱، ۱۲۱،
 (۳) ابن الاثير: ج ۷، حس ۱۸ حـ ۷۰.

الأجة وزخرف الحياة ، مقتديا فيذلك بالخليفة الورع عمر بن عبد العزيز. ثم نهى عن المنكر وهرم الشراب ، ونهى عن النيان ، وأظهر العدل ، وكان يعضر كل جمعة الى المسجد الجامع فيخطب الناس ويؤمهم • ثم دقق الاشراف على الدواوين ، حتى لقد ضرب جماعة من الرؤساء أهملوا في أعمالهم (١) ، وأخذ ينظر في المظالم بنفسه ويرد الكتب الى النواحي مامر قيما يتظلم به اليه ، حتى ثقلت وطأته على العامة والخاصة (^٢) •

كانت سياسة المهتدى قمينة أن تؤتى ثمارها ، لولا أن الأحوال المامة من حوله كانت فوق طاقته ، ففي مستهل خلافته ثار العامة في بفداد وأبوا أن يبايعوا له ، واضطر الى بذل الحال لاخباد ثورتهم ، ثم ثار البعند فيها أيضا لأن والى بعداد استوالى لنفسه على رواتبهم • وأذكى العلويون نار الثورة في كثير من البلاد الاسلامية ، وبدأت ثورة الزنج التي هندت الدولة العباسية زهاء أربعة عشر عاما (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) ، وثار الخوارج في الموسل ، كما خرج على الخلافة أهمد بن عيسى ابن الشبيخ ـ وكان أبوء واليا على فلسطين والأردن ـ في الشام وتغلب على دمشـــق ، وامتنع عن حمل المـــال الى دار اللخلافة ، وطمـــّتح في الاستيلاء على سائر بلاد الشام وعلى مصر (١) • ثم كان المهتدى معوطا بعدة من الأتراك لم تترك له سبيلا الى الاصلاح .

كانت علة الخــــلافة الحقيقية في ذلك الوقت كامنة في الإتراك ، وكان نجاح الخلافة فيالتخلص من تفوذهم هو سبيل الاصلاح الحقيقي، لكي تستميد الخلافة فعاليتها وقدرتها على تصريف الأمور في حرية ٠ لذلك رأى المهتدى لكي يكسر من شوكتهم أنْ يضرب رءوسهم بعضهم بيعض ، وأن يثير عليهم جندهم ليبمسد عنهم القوة التي يستخدمونها لإغراضهم ، فلقد اسرف قواد الأتراك في حبهم لجمع المال وشجعهم

⁽١) القسرماتي : الأول وآثار الدول : ص ١٦٣٠ .

⁽٢) عن المسدى: انظر المسعودى ، ج } ، ص ١٨٢ -- ١٩٤ .

 ⁽٣) انظر: ابن الاثير ، ج ٧، من ٧١ ـ ٧٠٠ . حسن ابراهيم : ج ٣،

هن ۱۰ ه

فى الحصول عليه والاستئثار به دون رجالهم • حتى حقد عليهم جنودهم وثاروا بهم ، ورفعوا شكايتهم للخليفة مقدمين له بذلك الفرصـــة التى ينتظرها ليتخلص من نفوذ هؤلاء القواد •

لم تكن ثورة المجند في هذه المرة من تلك الثورات التي كان يعدها التواد لارهاق الخلفاء وللحصول على الأموال ، وانعا كانت نورة على ما وصلت اليه الأوضاع العامة من السوء • والواقع أن التجند كانوا قد برموا بقدودم وخلافاتهم وتسازعهم على المساملة ، وأحسانا بأنهم انها يستخدمون أداة لكى يحصل القواد على المسال ، فاذا ما وصلوا الله الحترنوه لاتفسهم واستاثروا به دونهم ووكلوهم الى الخلافة يأخذون من خزائنها رزقهم لعدة ألسهر ، فأرزاق الجنسد على الخلافة ولكن خدماتهم لمسالح القواد • لذلك طالب المجد بأن يستميد الخليفة نشوذه على كالمة شيون الدولة ، وأن تكون أمارة الجبيش لأحد الموته، وأن تبطل بحماية المظالب أن يقوموا التنفيذ هذه المطالب أن يقوموا بحماية المظالب كالهية ويقتاء الأثراك على من يريده بسوم() • وكانت هذه المطالب كالهية لكسر شوكة زعناء الأثراك ،

لكن المهتدى لم يستفل هذه الفرصة فيسارع الى ضرب رؤوس الاتراك ، وانما رأى أن يضرب بعضهم ببعض و وبذلك أتاح لهم فرصة لميهموا شسمهم وبسكتوا الجند عنهم ، وحين بعض ببايكباك وقتله ، كان الأتراك قد جمعوا جموعهم بقيادة موسى بن بغا ، واشتبكوا مع الخليفة الذى قاد بنضمه الممركة ومن حوله المفارية والفراغة وبعض جند الأتراك ، وبعد قتال شديد تغاذل عنه الأتراك الى أصحابهم ، وهزم رجاله غاضطر الى الاستسلام ، وأرادوه على أن يخلع نفسه غلما رغض (وابسوا الأبي العباس أحمد بن المتوكل واقب بالمهتمد على الهراس)

⁽۱) انظر الطبرى: ج ۱۱ ، من ۱۹۱ - ۱۹۹ ، ابن الانسير: ج ۷ ، من ۷۹ - ۸۱ . ج ۷ ، من ۷۹ - ۸۱ . (۲) انظر الطبرى: ج ۱۱ ، من ۲۰۳ - ۲۰۰ ، ابن الانسسر: ج ۷ ، من ۸۱ - ۲۰۸ ، البعقرين: ج ۲ ، من ۲۲۸ ،

لم يذهب جهاد المهتدى عبثا ، فلقد استطاع أن يكشف قواد الاتراك أمام جنودهم ، كما استطاع أن يثير العاوائف، الأخرى ضدهم ، حتى لقد طالبوا بأن تعود أزمة الأمور الى يد الخلافة ، وأن توكل القيادة في الجيش الى رجل من البيت العباسي ، ثم انه لأول مرة منذ عهد الخليفة الواثق يقف خليفة هذا الموقف القوى الصريح آمام هذه العصبية التركية الطاغية ، فلم يكن كسابقيه من الخلف، يلقى بيده ويكتفى بتدبير المؤامرات للتخلص من زعثاء الأتراك ، وانما هو يناصبهم الحرب، ويقف أمامهم في شميجاعة لم يألفوها من سميقه • روى الطبرى أن المهتدى لما بلغه تآمر الأتراك لخلعه « خرج من مجلسه متقلدا سيفا ، وقد لبس ثيابا نظافا وتطيب ، ثم أمر بادخالهم اليه ، فابوا ذلك مليا ، ثم دخلوا عليه • فقال لهم ، انه بلغني ما أنتم عليه من أمرى ، ولسـت كمن تقدمني مثل أحمد بن محمد (المستعين) ولا مثل ابن قبيحة (المعتز). والله ما خرجت البكم الا وأنا متدنط ، وقد أوصيت الى أخي بولدي ، وهذا سيفي، والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي، والله لتنسقطت منى شعرة ليهلكن وليذهبن أكثركم • أما دين ا أما حياء ا أما رعية ا كي يكون هذا الخلاف على الخلفاء والاقدام والجرأة على الله ٠٠٠٠ سوأة لكم » (١) . حقا لقد استطاع الأتراك القضياء على المهتدى ، ومع ذلك غقد كان لحركته أثر في استرداد البيت العباسي بعض سلطانه ، ولم يكن الأمر يتطلب بعد ذلك الا الوقوع على ألرجـــل القنوى العقاؤم الذَّى يستطيع أن يمســك بيده أزمة الأمور ، والا الغروج من دائرةً النفوذ التزكى بالغروج من سامرا التي كانت حصن الأتراك

وقد وجد هـــذا الرجل الحازم الذي يقبض على أزمة الأمور في شنخص أبي أحمد الموفق الذي كانت له تعبربة القيادة في آيام المعتز ــــ كما وأينا من قبل ــ فلما تولى أخوه المعتمد بعد المهتدى ، تولى هـــو حقيقة السلطان ، فترك لفتلية الفطية والتسمى بامرة المؤمنين ،

⁽١) الطبرى: ج ١١ ، ص ١٩٤ ،

وأمسسك هو بزمام الأمر والنهى وقود العساكر ومحاربة الأعساء ، ومرابطة الشمور ، وترتيب الوزراء والأمراء (١) وكان في أيامه بطلا ، هوجد الأتراك تحت قيادته من يصكمهم ويوجههم لخدمة الدولة .

وكذلك اتقلت دار الخلافة من سامرا حصن الأتراك الى بغداد وغيها عناصر كثيرة تريد أن تحمى الخلافة من شرورهم ، واذلك رأينا سلسلمة من الخلفاء يقبضون على كثير من السلمان ، ويموتون حتف أكو فهم ، و وبذلك عادت الخلافة الى الاتماش مرة أخرى الى مدى أربعين سسنة حكم فيها ثلاثة من الخلفاء ، استطالت مدة حكم أولهم الى ثلاث وعشرين سنة ، وحكم النانى عشر سنوات ، وحكم الثانى ست سنوات ، وماتوا جميعا موتا طبيعا ، وعاشوا فى دست الخلافة آمنين من عدوان الإتراك عليهم ، بل ان الإتراك فى إيامهم عادوا خداما للدولة كما كان شافهم فى عهد المعتصم والوائق ،

* * *

انتعساش الفسلافة:

يبدأ هذا المهد بخلافة المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) ولكن المعتمد لم يكن هو صلحب الفاعلية في هذا الانتماش الذي ظهر في الخلافة العباسية ، فقد كانب السلطة الحقيقة في يد أخيه آبي أحمد طلعة الموفق، فهو رجل الدولة العازم الذي جمع الأمور كلها في يده ، بل ال المعتمد المحبور عليه ، تدار الأمور باسمه ، ويستخدم منصبه للتسأثير الروحي لذا لزم الأمر ، فيظهر الخليفة بشخصه في بعض المواقف ليعطى خلهوره أثر ا روحيا الى جانب الأثر المسادى الذي يعطيه غيره ، كما حدث في المقتال الذي وتم بين الفخلاقة وبين يعقوب بن الليت الصفار، الذي رحف بجيوشه الى العراق ، فكان ظهور الخليفة في طليعة الجيش المباسى لمجرد التاثير على جنود الصفار، باتهم يقاتلون الخليفة صاحب

⁽١) الفضرى: من ٢٢٦ ٠

السلطان الشرعي ، الأمر الذي يجعل من الصـــفار خارجا على الخلافة في نظر رجاله ، وقد أحدث هـــذا أثره ، فقد تخاذل كثير من جنـــود الصفار عنه • لكن القيادة الحقيقية والعمل القوى كان لأبي أحسد المونق (١) • والحقيقة أن المعتمد لم يكن في مستوى الأحسداث التي تمرضت لها الخلافة ، فقد كان همه منصرفا الى اللهــو والانعماس في الملذات (١) ، كما حاول في بعض الأحيان أن يعرقل أعمال أخيه الموفق لاعادة هيبة الحلافة وتقوية قبضتها على ولاياتها ، وذلك حين خضم لاغراء أمسد بن طولون والى مصر بالخروج الى مصر بحجة أن الموفق قــد حجر عليه وسلبه سلطانه (١) • فالفضل اذن للموفق في القوة التي عادت الى بيت الخلافة في هذا الوقت .

كانت الخلافة الماسية تهددها أخطار جسيمة في ذلك الوقت • وكانت أهم هذه الأخطار ثورة الزنج، وتأسيس طائعة الاسماعيلية التي تنتسب الى اسماعيل بن جعفر الصادق • ولكن ثورة الزنج كانت أقرب الأخطار الى الخلافة العباسية •

والزنج من العناصر السوداء التي كثرت في العراق في ذلك الوقت، وكانوا يجلبون في الأكثر من سواحــل افريقيا الشرقية ، يســـتخدمهم الناس في أعمال الخدمة ، وقد اعتمد عليهم ملاك الأراضي وأصلحاب الاقطاعات في الزراعة وفي اصلاح الأراضي التي تعتاج الى اصسلاح ، وكانوا يقومون بعمل شاق ولكنهم لا يجدون رعاية أو شفقة من سادتهم. وقد كثر عددهم الى حد كبير ، ولا أدل على كثرتهم وخطرهم من ثورتهم التي قاموا بها ، وهددوا بها الديالة العباسية ودوخوها أكثر منأربعة عشر ad (007 - 177 a)

وكالمسرح هذه الثورة المنطقة الممتدة بين البصرة وواسط ، وكانت

⁽١) ابن الأثير: ج ٧) من ١٠٣ . (٢) الخلفاء : ص ٢٤٢ ،

⁽٣) الكندي : ص ٢٢٥ .

حرب بين الأجتاس ، بين البيض والسمود ، فقد ثار الزنوج الذين كانوا يعملون في اصلاح الأراضي السبخة حول البصرة ، وانضم اليهم جماعات من المبيد هربوا من القرى والمدن المجاورة ، وانضموا الى هذه الحركة تخلصا من حالتهم السيئة ،

وقد دعا الى هذه المثورة رجل معامر رأى المقتلال أحوال المشلفة العباسية ، قاراد أن يحقق النصه شيئا فى هذا الجو المضطرب ، مستفلا علهور الحركات المذهبية التى ظهرت فى بعض آجزاء العالم الاسلامى ، والمتى أخف خت تعتد حتى وصلت مركز الخلافة فى الصراق ومستفلا الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى أخذت تسوء بسبب تسلط الأتراك على الفسلاة ، وانصرافهم الى جمع المال والحصول على الاقطاعات المكيرة ، مع عدم المتفاتهم لتنهية الثروة العامة للدولة باصلاح المرافق وتصمين وسائل الاتتاج ، بل لجاوا الى المصادرات والتضمينات معا أدى الى الصحف بالناس وتدهور الأحوال الاقتصادية ، وانعكس عملهم هسنا الى الصحف بالناس وتدهور الأحوال الاقتصادية ، وانعكس عملهم هسنا على كل صحاحب قدرة على احراز المال يكل سبيل ، وبها اختلت الإحدال العامة وأحدث هذا أثره على الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، وبغاصة فى العراق الذي كان يقع مباشرة تحت نفوذ هؤلاء الإتراك ،

ادعى هذا المفامر الجرىء أنه ينتسب الى على بن أبى طالب، فزعم أثمه على بن محصد بن أحمد بن عيسى بن زبن العبابدين بن على بن المحسد بن على بن المحسدين بن على بن البى طالب ، وآكثر المؤرخين برون أنه من قبيالة عبد التيس المربية (1) ويقول الدكتور حسن ابراهيم انه فارسى من أهل المثالثان (1) • وبدأ حركته متنقلا بين البحرين والبصرة وبضداد ، وبين أهل البادية يدعو لنفسه وبدلس على الناس باصطناع الكرامات ، لكنه لم يستطع أن يحتق لنفسه وسدينا ، اذ طارده عمال الدولة والكشف

⁽۱) الطيري : ج ۲۱ ؛ ص ۱۸٪ ، ابن الأثير : ج ۷ ؛ ص ۷۲ ، (۱) تاريخ الاسماليم : ج ۲ ؛ ص ۲۰۹ ،

أهره ، فتقرق عنه الناس وكرهته العرب وتجنبت سحبته ، فلما تفرقت عنه العرب وقبت به البادية لبجا الى منطقة البحدة وأشحذ يدرس أحوال العمال الذين يعملون في أراضيها ، وبين هؤلاء العمال وجد فرصته ، فقد كان ملاك الأراضي في صدفه المنطقة يملكون كثيرا من المبيد يستخدمونهم في اصلاح الأراضي السبخة ، وهو عمل أاق يقومون به ولا يجدون عليه مكافأة الا القوت الضئيل من الدقيق والتمر والسويق يجلبه سادتهم اليهم ، مما جعلهم ازاء هذه الحالة السيئة على أتم استعداد لتابعة من يخلصهم من هدفه الحالة التي يعيشون فيها ، فاستطاع هدف المغاهر ساذي لقب بصاحب الزنج سأن يؤلب هؤلاء العمال ، واتاهم من الناجية الفعالة في النفوس وهي الناحية اللبينية ، فادعى أنه رسول المناية الالهية لاتفاذهم مما يمانونه من البؤس ، كما ادعي العلم بالنيب ،

التف حول هذا الرجل خلق كثير من هؤلاء التعساء • كما انضم اليه كثير من المفامرين ، فدعاهم الى الخروج على السادة الطالمين « ومناهم ووعدهم أذ يقودهم ويرئسهم ويملكهم الأموال ، وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر هم ولا يخذلهم ، ولا يدع شمينًا من الاحسان الا أنى اليهم » •

والحقيقة أن الرجل ، وفي لتابعيه بما وعد ، ولذلك التفوا حسوله وقاصروه ، وقاتلوا في سسبيله قتالا شديدا ، وصمدوا لجيوش الخلافة المباسية والحقوا بها كثيرا من الهزائم ، ولقد كانت حركته الأولى ضد الملاك من أصحاب الأراضى ، فقد كان كل من يقع في يده من هؤلاء السادة ما كلى العبيد يسلمه لعبيده ويأمرهم بضربه ، ثم اعلنها ثورة ضد الرق ، فدعا الى تحرير المبيد متخذا من تأويل الآية الكريمة « ان الله

⁽۱) عن سسيرة هسندا الرجل ، انظر : الطبرى : ج ۱۱ ، ص ۱۷۲ وما بعسدها ، ابن الاثير : ج ۷ ، ص ۷۲ وما بعسدها ، وكذلك حسسن ابراهيم : ج ۳ ، ص ۲۰۹ وما بعسدها ، الدورى ، ص ۱۷ سـ ۷۷ ،

اشترى من المؤمنين أنسمهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله في قتلون ويقتلون وعدا عليه حقا ٥٠٠٠٠ » مبلماً ينادى به ففسر الآية بأن المؤمنين وقد اشتروا أنفسهم ، لم يعودوا عرضة للرق والعبودية (') •

استهوت هذه الدعوة العبيد في كل منطقة العراق الجنوبية ، فكانوا يتركون سادتهم ويسرعون اليه تخلصــا من الرق ، وبذلك كثر أتبــاعه وعظم شأنه وقويت شوكته • ولكن الرجل تناقض مع مبدئه هذا تناقضا عجيباً ، الأمر الذي يجعلنا نحكم على حركته بأنها معامرة التهازية ولا نسلكها في عداد الحركات الاصلاحية ، فانه وقد دعا إلى تحرير المبيد كان يستعبد أسراه من البيض بل خير البيض ، يقول المسعودي « وقد لهنم من أمر عسكره أنه ينادى فيه على المرأة من ولد العسسن والحسين والعباس ، من ولد هاشم وقريش ، ومن سائر العرب وأبناء الناس ، تباع المجارية منهن بالدرهمين والثلاثة ، وينادى عليها ينسبها . هذه فلانة اينة فلان الفلاني • لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون ، يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف • ولقد استغاث الى على بن محمد (صاحب الزنج) امرأة من وَّلد الحسس بن على بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج ، وســالته أن ينقلها منه الى غيره من المزنج أو يعتقها مما هي نميه م فقال : «مولاك وأولى بك من غيره» (٢) • وببدو أن هذه المناقضــة كانت لكي يرضي أصــحابه ، اذ بها ينتقمون لأتفسهم ممن كانوا بالأمس سادنهم ، فلم يعترضوا على هذا العمل الذي يتعارض مع مبدأ الحرية الذي يدعو اليه .

والواقع أن صاحب الزنج لم يكن صاحب مبدأ ، وانما كان صاحب طموح يستخدم له من الشعارات ما يساعد على تحقيقه ، ويعمل في سبيل ذلك من الأعمال ما يحقق غرضسه حتى ولو أوقسه ذلك في التناقض أو الصق به مسفة الخسة والنذالة فقد كان يفاخر بأنه يتسب الى على

Mair. P. 546: • ۲۱۰ ص د ۳ ج عص ۱۱)

⁽٢) مروج الذهب : ج) ، ص ٢٠٨٠ ،

وقاطمة ، ومع ذلك فنساء من العلويات يستعبدن وتنتبك أعراضهن بعينه وتحت أمره ، ثم هو حين يخطب أصحابه يترجم على أمي بكر وعمر ، ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزير وعائشة كما كان يرى رأى الخوارج الأزارقة (أ) ويعلل تلدكه هذه اللاعوة الغريبة ، فيقول « لتسد بلغ من معرفة هذا الزعيم الثائر بعيول أصحابه ، أن تظاهر باللدعوة المي مذهب الشوارج الذي يلائم ميولهم الديمقراطية أكثر من سذهب الشيعة، وأن كان قد افتخر بأنه من نسل على وفاطمة لما ينطوى عليه المذهب الشيعة من التوريث الذي لا يلائم عقول مواطنيه ، ومن ثم يتضع لماذا الشيعى من التوريث الذي لا يلائم عقول مواطنيه ، ومن ثم يتضع لماذا الشيعى الذهب الشيعى الشيعة في ماذهب الشيطوف الذي قدر له أن يملا العالم الإسلامي قاطبة خوفا وهلما ، أن يرتبط بزعيم العبيد على الرغم مما قد يفيده من اشتراكه معه في حركته ، متائرا بعوامل مذهبية » ،

بهذه المتناقضات كشف صاحب الزليج عن مبوله العقيقية • حتى المحداء لقبوه بالمدعى ، كما سموه بالشبيث (٢) • ومع تناقضات صاحب الزليج فان المبيد الذين كانوا يضيقون بحالهم ويرغبون في التعو التفوا حوله التفافا شديدا • ولما كان عدد الزلوج كبيرا وفيهم شجاعة نادرة ومران على القتال ، فانه تكون له منهم جيش كبير استخدمه لتحقيق الماعه ، واتخذ لنفسه قاعدة ، فبنى له مدينة سماها « المختارة » وأحسن تحصينها ، ثم أخذ يتوسع فيهاجم المناطق المجاورة له •

اتشرت جيوش صاحب الزنج في العراق وخوزستان والمبحرين ، فتملكوا « الأبلة » و « عبادان » والأهواز ، ثم المبصرة ، وواســـــــ ، والنمالة ، ورامهرز ، وقـــد استخدموا العنف مع خصومهم ، فكالوا يشتلون كل من وقع في أيديهم سواء من المقاتلة أو من غيرهم ، والم ينج

⁽۱) نفسه : ج ٤ ، ص ١٩٩ ، حسن ابراهيم : ج ٣ ، حس ٢١١ . (٢) حسن ابراهيم : ج ٣ ، ص ٢١٠ ،

⁽۲) الطبري: ج ۱۱ ؛ ص ۲۲۹ ؛ ۲۳۱ ، ابن الاسسيد: ج ۷ ؛ من ۸۷ ، ۸۸ وغيرها ،

من فظائمهم حتى النساء والأطفال ، وحتى من استأمنهم غدروا به وقتلوه. وقد كان استيلاؤهم على البصرة مثلا لما ارتكبوه من الفظائم ، فقد ذبحوا كل من وصلوا اليه من أهلها ، وخربوا مسجدها العظيم ، وأشعلوا النار في المدينة حتى لقد قتلوا من أهلها ثلاثمائة ألف (١) .

وقد تكلم الناس في فدر ما قتل (على يد الزنج) في هذه السنين من النــاس ، فمكثر ومقــل ، فأما المكثر فانه يقول : أفني من النــاس ما لا يدركه المد ولا يقع عليه الاحصاء ، ولا يعلم ذلك الاعالم الغيب.٠٠ والمقل يقول : أفني من الناس خسمائة ألف . وكلا الفريقين يقول ذلك ظنا وحدسا ، اذ كان شيئا لا يدرك ولا يضبط » (٢) .

أشاعت جيوش الزنج الرعب في قلوب الناس ، وتقدموا في العراق حتى أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من حاضرة الخلافة • وأرسلت الخلافة بعض قوادها الأتراك لقتال الزنج في عهد المهتدى ، ولكنهم لم يستطيعوا الثبات أمامهم • ولما ولى المعتمد سير كثيرا من مشهوري قواده الأتراك من أمثال موسى بن بغا ، ولكنهم لم يغنوا شــيئا ، بل ظل خطر الزنج يتزايد وانتصاراتهم على جيوش الخلافة تتوالى .

كما كثر ظهور المتغلبين في الولايات الشرقية . وكان موسى بن بغا ـ وهو أظهر زعماء الأتراك في ذلك الوقت ــ قد ضــمت اليه فارس والأهواز والبصرة واليمامة مع ما كان اليــه من عــــل المشرق ، ولكنه لم يستطع الوقوف أمام هذه الموجة من حركات التعلب التي شملت أرجاء الدولة العباسية ، وطبعت الحياة السياسية في هذه الأقاليم بطابعها م فان بلاد الدولة العباسية فيما وراء العراق قد صارت مسرحاً للمنازعات والحرب بين هؤلاء المتفليين ، وأصبحت الخلافة في مركز العاجز الذي يرقب الأحداث ، ولم يصبح في مكنتها الا أن تقر المتغلب على ما ملكت

⁽۱) ابن الأثير : ج ۷ ، ص ۸٦ ـــ ۸۸.، (۲) المسمودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ . (م ٢٣ سـ العصر العياسي)

يداه من البلاد، ويقول الطبرى « فلما رأى موسى بن بنما شهدة الأمر وكثرة المتغلبين على نواحى المشرق ، وأنه لا قوام له بهم ، سأل أن يعفى من أعمال المشرق ، فأعفى منها ، وضهم ذلك الى أبى أحصه ، ووليه أبوأحمد بن المتوكل ، فانصرف موسى بن بغا من واسط الى باب السلطان مع عماله عن المشرق » (1) •

أظهرت انتصارات الزنج ، وكثرة المتفليين على نواحى المشرق صعور التواد الإتراك ، وبدلك انكسرت شسوكتهم ، واتبع للخلافة أن تأخسة زمام الأمر بيدها ، وفعلا استدعى المعتمد آخاه أبا أحمد الموفق من منفاه بالصجاز ، وجمل اليه أمر المشرق كله كما جمله ولى المهد الثاني بعسه ابته جعفر ، الذي جمله ولى المهد الأول وعقد له على المغرب كله وضم اليه موسى بن بفا ،

بدأت الخلافة تسترد نشاطها وفعاليتها ، وأخذت تعمل على تقوية تموذها على ولايتها ، فقد قبض الموفق على ناصحية الأمور في الدولة ، وبدأ يعمل لتساكيد سسلطان الخلافة على اقاليمها في المشرق والمغرب والمأ في المشرق فقصد فهض لقتال يشقوب بن الليث الصسفار الذي تغلب على معظم المشرق ، وأجبر الخلافة على أن ترسسل اليه التقايد بولاية شراسان وجرجان والرى وغارس كما توليه شرطة بغداد ، ولكنه طمع أن يسمير الى دار الخسلافة فيكون له على الخليفة من النفوذ ما كان يسمير الى دار الخسلافة فيكون له على الخليفة من النفوذ ما كان معها ليكون لوجوده أثره الروحى على جنود الصفار ، اذ أنهم حين يرون الخليفة مع جيوش الموفق يرون أن صاحبهم خارج على السلطة الشرعية ، على أمير المؤمنين ، وفعلا حدث هذا الأثر وبخاصة أن جنود المسفار ثم يكونوا من المرتزقة وإنها كانوا من الرجال المتطوعين الذين رأوا خروج المتغلين على الخلافة فقاموا ليدغموا بهنها وليردوا اليها سلطانها ، وكان يشيع في جده المتقوب بنفسه أحد هؤلاء المتطوعين في أول أمره ، وكان يشيع في جده

⁽١) الطبرى : ج ١١ ، ص ٢٣٥ .

حدد الدعوى ، فكان وجود الغليفة في الجيش الذي يعارب الفسفار أمر يتقض دعوى الصفار و ولذلك فانه حين احتدم القتال تخلي كثير من جدد الصفار عنه وانضموا لجيش الغليفة ، وبعد معركة كبيرة انهسترم المسفار (") وبذلك آكدت الخلافة سلطانها على المشرق وان لم تحكسه حكما معاشرا .

واما في المغرب • فان مصر والثغور الشامية كانت في يد أحمد بن طولون منذ سنة ٢٥٤ هـ ، وكان شبه مستقل بشئونها عن الخلافة ، ولما كانت موارد الشرق قد نفدت أو كادت لما حل ببلاد الشرق من البلاء على أثر الحروب المتصلة التي شنها صاحب الزنج ، والتي كانت دائمة مِن الصحاب المطامع من المتغلبين • فقد ارسل الموفق الى احمد بن طولون لأمره فأن سده بالحال الذي يساعده على قتال الزنج . ومع أن أحمد ابن طولون أرمل الى للوفق مليونا وماثتي ألف دينار ، الآ أن الموفق أحس بأن ابن طولون يتصرف تصرف المستقل الذي يسين متبرعا ولا يطيع أمرا ، قرأى أن يلزمه طاعة الخلافة ، فعزله عن ولاية الثغور الشامية • ثم أمر بصرفه عن ولاية مصر • ولكن ابن طولون كان من القوة بحيث لم كن في الامكان القضاء عليه • ولقد استطاع أن يتفلب على جيسوش الخلافة ويردها عن الشام . بل أنه كاد للموفق بأن أغرى المخليفة بالخروج الى مصر بعجة أن الموفق قد حجر عليه وسلبه سلطاته (١) • ومم ذلك فان الموفق نجح في احباط مشروعات ابن طولون مع الخليف. • ثم استنظاع أن يرتم الطولونيين بعد وفاة أحسد بن طولون على الاقرار مسلطان الخلافة ، وتضمن كتاب الصلح بين خمارويه بن أحمد بن طولون وبين الخلافة أن يتولى خمارويه وأولاده من بعده على مصر والشام ثلاثين سنة (١) ٠

۱۱ الطيرى : ج ۱۱ ع من ۲۳۱ -- ۲۲۸ •

⁽۲) الكسدى : من ۲۹۵ -

⁽۲) الکندی : س ۲۲۸ ، ۲۲۸ ه

بعد هذه الأعدال التي قام بها الموفق لتأكيد مسلطان الخلافة على ولاياتها و تفرغ لحرب الزنج وتولى قيادتها بنفسه و وقد زاوج الموفق في قتال صاحب الزنج بين اسلوبى الحرب والسياسة و وأتى الأمووا من مآتيها عقد غرج من بعداد الى واسط فى صفر سنة ١٩٧٧ ه والتحم بقوات صاحب الزنج واوقع بها الهزائم المتنالية حتى أجلاهم عن الأهوازي وحاصر مدينتهم المختارة وبنى بازائها مدينة سماها « الموفقة » نسبة اليبه () ثم بذل الأمان لكل من يأتيه من رجال صاحب الزنج و فتخلى كثير من الناس عن صاحب الزنج وانضموا للموفق و فأمنهم وعفا عنهم مدينة الزنج حتى سقطت فى آيديهم و وعاد الناس يشددان الحصار على مدينة الزنج حتى سقطت فى آيديهم و وعاد الناس الى قراهم بعد أن تخلصوا من الأسر والرق و وقتل الخبيث بعد ثلاث سنوات من القتالى الشديد فى صفر سنة ١٣٧٠ هـ ، بعد أن أقلق الدولة العباسية وكلفهسكثيرا من الجهد والمال و بعد أن فل أتباعه يعيشون فى الأرض فسادا

كان الموفق ذا شخصية قوية وقد اكتملت له التجربة في القيادة منذ عهد المعتر و فلما أصبحت الأمور في يهد المعتمد صارت له الكلمة العليا بين الأنزاك قوادا وجنودا بعد أن أنهكهم التفكك وقلت بأيديهم الأموال و وبعد أن ظهر عجز قوادهم واضحا ولزمهم الفشل في التصدى للمتغلبين في المشرق ولقتال صاحب الزنمج في العراق و وقد استطاع الموفق بضربه للصاغاريين وبحده من غلواء الطولوبين وبسيطرته الناجحة على الأنزاك ، أن يعيد للخلافة العباماية هيتها ، وفروجها وأريخفف من عواقب الحركات الاستقلالة المتعددة شرقا وغربا ، وخروجها على الخلافة أو استقلالها عنها ،

وقد جنى المعتضد (٢٨٩سـ٢٨٩ هـ) ثمار جهاد آبيه الموفق. والذي شارك بنفسه فيه الى جانب آبيه . فقد شارك أباه في حروب وفي أعماله

⁽۱) الطبرى : ج ۱۱ ، ص ۲۷۹ .

الادارية وأفاده ذلك خبرة مكنته من أن يستمر في رفع شأن الخـــلافة واقرار هيبتها • كما مكنته من الأخذ على يد الأتراك « وكان مهيبا عند أصحابه يثقون سطوته ويكفون عن الظلم خوفا منه » (") •

مات الموقق في عام ٣٧٨ هـ بعد الأعمال الجليلة التي قام بها ، فيام الخليفة المتمد الثانية مكان آييه ، وتحولت الله سلطات أبيه ، فسار على النهج الذي سار عليه آبوه ، ولما كان الخليفة قد وصل الى حد كبير من ضحف الشان في حياة الموقئ الذي الم يبق له من الخلافة الا اسمها ، فقد ضعف أمره وآمر ابنه المقوض الذي كان ولى المهد الأول ، والذي لم يبرز في مجال هذا الصراع الذي احتدم بين الخلافة وبين خصومها طوال الثلاث والمشرين سنة التي مرن على خلافة المعتمد ، لذلك اضطر الخليفة آمام قوة آبي العباس الذي لقب بالمعتضد الى خلع ابنه عن ولاية المهد وبايع لأبي العباس المعتضد ، ثم ما لبث أن مات فيئاة بعد شهور ،

ولما بويم للمتصند بالخلافة عام ٢٧٩ هـ سار على نهج أيه الموفق في العزم والعزم ، كما سلك مسلكه في حسن السياسة والعدل ، كان حازما مع قواده شديد الوطأة عليهم ، اذا غضب على قائد أمر بالقائه في حفرة وردم عليه () حتى هابوه هيئة عظيمة ، وسكنت فتنة الأتراك فلم يجرؤ واحد منهم على اسخاط الخليفة أو احداث شف ، وأما عزمه فانه كان سريم النهضة للخارجين على سلطان الخلافة ، يخرج بنفسه للحرب ليستعيد السيطرة على الخارجين وليشعرهم بقوة الخلافة ()، وفي أيامه ظهر القرامطة في الكوفة على يد حمدان قرمط وفي البحرين على يد المدعوة المحابد على المحابد على

⁽۱) ابن الأثير : ج ٧ ، س ١٨٣ .

⁽٢) السمودي : مروج الذهب : ج ٤ ، ص ٢٣٢ ،،

⁽٣) ننسه من ٢٤٤ ، ٢٤٩ ·

ولكنه مع ظهدور كل هؤلاء المتغلبين من الصنفاريين أو السامانين عه السنطاع أن يقر هيبة الخلافة ، وأن يسكن القتن في آيامه ، وكانت الخلافة في عهده المعتمد ، وذلك الخلافة في عهده المعتمد استفاد من جهود آبيه ، وواصلها هو في خلافته ، فهقيت للخلافة في عهده السيطرة القوية الناجحة ، والى شدة المعتمد التي اشتهر بها كان عادلا ، رفع الظلم عن رعيته وأستقط المكوس ، وأبطل ديوان المواريث وأمر بأن يورث ذوو الأرحام (أ) فأحبه الناس ، كما كان مقتصدا في المدال لا ينفقه الا فيما يلزم وما يعود على الدولة بالغير وحين مات كان في يت ماله من الذهب سسمة آلاف آلف دينار ومن الورق أرمون ألف ألف درهم (أ) ه

خلف المكتفى أباه المعتضد (٢٨٩ ص ٢٩٥ هـ) وقد سار على نهج أبيه ولكن الفتن التى كانت قد بدأت في عهد أسلافه استفحل أبرها في عهده ، ومن اسعاعيلية ، وقرامطة ، وفاطبية ، وقد بدل المكتفى جهده لقسم هذه الفتن فسكل بالقرامطة الذين ظهروا بالشام وعاثوا فيه فسادا () ، ثم أقر سلطان الخلافة على الشام كله ، وأزال دولة بنى طولون عن مصر وأعادها ولاية تخضع مباشرة للخلافة إلى وأكنت أحوال الخلافة قيئة أن تسير كما كانت في عهد المعتضد أبو أن المعر استطال بالمكتفى ، ولكنه مات ولما يمض على خلافة آكثر من سبت سسنوات ، وبموته عادت الخلافة الى ضمفها ، وعاد اللاتراك الى قوتهم ، فلقد اخضع الموقق وابنه المنتضد الأثراك وكبحا جماحهم ، وجمعالا منهم خداما للدولة كما كان شاهم في عهد المعتصم والوائق ، والمحقية أن اصلاح أمور الدولة مع وجود هذا المنصر التركى لم يكن يحتاج الا الى الحزم المترون بسسمة وجود هذا المنصر التركى لم يكن يحتاج الا الى الحزم المترون بسسمة وجود هذا المنصر التركى لم يكن يحتاج الا الى الحزم المترون بسسمة وجود هذا المنصر التركى لم يكن يحتاج الا الى الحزم المترون بسسمة والوقى ما من مسبقوا الموقى لما منذمين متهووين

⁽١) أبن الأثير : ج ٧ ، ص ١٧٢ .

⁽٢) المسعودي : ج ٤ ، ص ٢٣٢ .

۱۸۹ بن الأثير : ج ¥ ، من ۱۸۷ بـ ۱۸۹ .

⁽٤) ابن الأثي : ج ٧ ، ص ، ١٩ ، ١٩١ ،

كالمهدى أو ضمافا متخاذلين كالمستعين (١) • كما كان البيت العباسي مفككا يعمل أمراؤه للوصول الى السلطة فمكنوا الأتراك من بعضمهم وأعانوهم بطريق مباشر أو غير مباشر على التسلط على الخلفاء ، ولم يتح للخلافة رجل حازم من رجال البيت العباسي طوال الفترة التي سميقت خلافة المعتمد ، فلما وجد هذا الرجل في شخص الموفق عاد الأتراك الى خدمة الدولة والى طاعة الخلفاء ، ولكن موت المكتفى كان ضربة للخلافة ، كما كان فرصةلعودة تفلب الأتراك .

أحس الأتراك والوزراء الطامعون في الاستئثار بالسلطة أن الأمر لا يستقيم لهم مع خلفاء أقوياء من أمثال المعتضد والمكتفي، فعملوا على اختيار الخلفاء من الأمراء الضعاف من البيت العباسي ، ليعسود الى أيديهم السلطان وتتم لهم الرياسة ، ولذلك طال اجتماعهم وتفكيرهم بعد موت المكتفى ، وكان من أول المرشحين للخلافة عبد الله بن المعتز ، وجمو فُولُوه الخلافة ولقبوه « المقتـــدر » • حكى مسكويه أن وزير المكتفى العباس مِن الحسن استشار ابن الفرات فيمن يلمي الخلافة ، فقسال له : ﴿ اللهِ اللهِ وَلَا تُنصِبُ فِي هَذَا الأَمْرِ مِن قَدْ عَرْفَ دَارِ هَذَا ، وَنَعَمَّةُ هَذَا ، وبستان هذا ، وجارية هـــذا ، وفرس هذا ، ومن لقى الناس ولقوه ، وعرف الأمور ، وتحنك وحسب حسساب نعم النساس (يشير بهذا الي ابن المعتز) . قال الوزير : فبمن تشمير ؟ . قال ابن الفرات : بجعفسر ابن المعتضد (هو المقتدر) . فقال الوزير : جعفر صبى ! قال ابن الفرات: الا أنه ابن المعتضد ، ولم تجيء برجل يأمر وينهي ، ويعرف مالسا . وبمن يباشر التدبير يتفسه ، ويرى أنه مستقل ؟ ولم لا تسلم هذا الأمر الى من يدعك تدبره أنت ؟ ١٠ ٥٠ .

⁽۱) حصد خناجي : من }} ،

⁽٢) ظهر الاسسالم : ج ١ ك ص ٢٧ ، انظسر : ابن الاثير : ج ٨ ٤ مس ۲ ۲ ۶ و . .

وهكذا عمل الأتراك والوزراء على اعطاء الخلافة لمن لا يستحقها حتى يكون لهم الأمر وله مجرد اللقب ، كما رسموا سياستهم بعد ذلك على افساد تربية الأمراء العباسيين الذين يعدونهم لتولى منصب الخلافة ، حتى ينشأ الواحد منهم جاهلا غرا ، فينجرف الى لهوه ولذته ، ويترك لهم زمام الأمور والتصرف في شئون الدولة ، يحكى الصولى في كتاب الأوراق في آخبار الراضي والمنتقى ، أنه لما عهد اليه بتربيسة الراضي واخيه هارون كان يحبب اليهما العلم ، ويشترى لهما كتب الفقه والشعس واللهة والأخبار فقيل له على لسان أهل القصر « ما فريد أن يكون أولادنا أدباء ولا على ذلك ، و هذا أبوهما قد رأينا كل ما نحب فيه ، وليس بمالم ، هامل على ذلك ، و هذه نياتهم » « كيف نفلح مع قوم هذه نياتهم » «

انقسم الناس الى فريقين ، فريق يؤيد تولية الطفل جعفر بن المتضد وغريق يؤيد تولية البن الحولين الأول الوزين ومؤيس الخادم ، ومؤنس الخازن وغيرهما من الأتراك ، وكان عن رأس الفريق الأول الوزين ومؤيس الخادم ، ومؤنس الخازن وغيرهما من الأتراك ، وكان عن رأس الفريق الآخر العباس بن الحصين ومحمد بن الحسن ومحمد بن داود بن الحبراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضى ، ومن القواد الحسين بن حمدان وبعد والمحمد الأتراك () لكن الغلبة والقوة كانتا في جانب الذين مع المقتدر هنم له الأمر و وقتل أبن المعتز () ونلاحظ هنا أن المناصر الأخرى غير التركية هي التي كانت تناصر ابن المعتز) كما نلاحظ غهرا أمراء بني حمدان وتدخيلهم في شئون الخلاقة ، وقد ظهر بنو حمدان في عهد المنتضد ثائرين على الدولة ، ثم عنا عنهم المعتفدي وولاهم المارة الموصل، ولقد أوادت الخلافة بهذا أن تعيد المنصر العربي الى الظهور مرة أخرى ولكن كان الأوان قد فات ، ويسدو هدنا من تصرف أمراء مي حمدان ، فاضم كانوا يحاولون التدخيل لمساندة الخلافة ، ولكتهم على حمدان ، فاضم كانوا يحاولون التدخيل لمساندة الخلافة ، ولكتهم

⁽۱) الصولى : ص ۲۹ ،

⁽٢) أبن الأثير: ج ٨ ، ص ه .

⁽٣) ابن الأثير: ج ٨ ، ص ٢ .

حين يدركون عجرهم أمام المناصر التركية المتفلة يمودون الى ولاياتهم ليتفرغوا لما أصبحوا بصده من الوظيفة الثمرية التى أصبحت تقوم بها المدولة العمدانية في مواجهة الروم ، واحساسا منهم أن نقاءهم واكتسابهم عطف العالم الاسلامي انها هو احسانهم القيام جده المهمة المثمرية لا في التورط في مشاكل الخلافة التي يحسون بعجرهم عن حلها،

وكان المقتدر طفلا لما يجاوز الثالثة عشرة من عمره ، لا يعرف من أمور الدنيا شمينا ، ولا يمكن أن ينتظر منه القدرة على ادارة شمينون المخلافة ومواجهة المشكلات المويصنة التي تحيط بها ، ومع ذلك لقيم برجاله بالمقتدر ! ! ولما شب عكف على لذاته ، وتوفي على المفنين والنساء ، وترك أمور الدولة لغيره ، وعلى رأسهم مؤنس التركى ، وبلغ من بله الخطيفة وسوء حاله أن تنتخل النساء في أمور الدولة ، وشاركن ، مع الأتراك في ادارة دفة الأمور ، ولقد أصبح الأمر والنهي بيد أمه التي أزداد نفوذها ، وبلغ من تسلطها أن عينت قهرما تنها صاحة للمظالم (أ) ، وبلغ من نفوذها أنها كانت اذا غضبت هي أو تهرما تنها على أحد الوزراء كان مصيره العزل والتوليسة للوزراء أمام تقلب عواطف النساء ، وطمع قواد الأتراك الذين كانوا يرون في عزل وزير وتوليسة آخير فرصة لمصيادرة الأمواله ، حتى لقد وزر للمقتدر في مدة خلافته اثنا عشر وزيرا فيهم من وزر له المرتبى والثلاث ،

وفى أيامه اتشرت الفتن فى الداخل والخارج • فقد خرج عليسه مو لس الخادم سنة ٣١٧ هـ وثار عليسه رجال الجيش ، لما رأوا من اسراف الحائسية والخدم ، وضمياع الأموال وافساد الحكم بسسبب تدخلهم فى أمور الدولة ، فخلموه وبايعوا لأخيه محمد بن المعتضد ولقبوه بالقاهر بالله (٢) • نكن فرصة خلع الخليفة وبيعة أخيه لم تحتق

⁽۱) المسمودي : التنبيه والاشراف ، ص ۲۷۸ .

۱۸ من ۱۸

للإتراك ما كانوا يريدون من أموال ، فعادوا مرة أخرى يخلعون القاهر. وبعيدون المقتدر الذي باع ما في خزائنه من الأمتعة والجواهر ليرضي طمع هــؤلاء الذين لم يكن همهم الا المال (١) • لكن لم يمض طويل وقت حتى وقعت الوحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم مرة أخرى ، وانتهى الأمر يقتله قتلة مهينة (١) ٠

وقد وصف موير (٢) حالة الدولة العباسية في عهد المقتدر فقال « ان عهد الخليفة التمس قد هوى بالدولة الى الحضيض ، فقد ضاعت ممتلكاتها في الخارج : فضاعت أفريقية ، وأوشكت مصر أن نضميم ، واستقل أمراء بني حمدان بالموصل ، واستطاع البيزنطيون أن يشسنوا غاراتهم المتصلة على الحدود التي ضعف الدفاع عنها ومع ذلك بقي شيء من الاعتراف بسلطان الخلافة ف البلاد الشرقية ، حتى بين أولئك الأمراء الذين نادوا أخيرا باستقلال ولاياتهمهم أما في الأراضي القريبة من حاضرة الخلافة فقد أخمدت غورات القرامطة المخيفين الئ حين ، وفي بعداد تفسيها صار الخليفة المقتدر ، الذي كان آلة في أيدى رجال البلاط المفسدين ذوى الأطماع الدنيئة ، تحت رحمة حراسه من الأجانب الدين أصبحوا يأتمرون الى حد كبير بأوامر القواد من الأتراك وغيرهم ، الذين لا يمتون الى العباسيين بصلة والذين كانوا يشعلون نار الثورة من حين الي حين » ٠

« واذا علمنا أن هذا الخليفة التعس قد غلب على أمره وخلم مرتين وذبح في النهاية عنـــدما حاول مقاومة أحد قواده المخلصين لعرشـــه • فلا نعجب اذا تلاثبت تلك الهيبة التيعمل أسلافه القريبون على استعادتها وغدا العرش مرة ثانية هدفا للازدراء في الداخل، وفرصة سانحة تحمل على اغراء المغيرين على الدولة من الخارج • أضف الى ذلك أن الشمحب

⁽۱) ابن الأثير : ج ۸ ، ص ۷۰ .(۲) نفس المسدر : ص ۸۲ .

The Caliphate - p.p. 567-568. (Y)

قد فسدت أخلاقه ، ولم تعد بفداد بعد ذلك المكان الذي يضم رجالاً. أقوياء يدافعون عن بلادهم ، بل يحكمون أنفسهم اذا دعت الحال الى ذلك ؛ وانعا أصبحوا الآن أحزابا وشيعا متطاحنة تستطيع أن تخضسه المطرق بالدماء » .

وهكذا يعد حكم فاسد دام نحو خمس وعشرين منة قتل المقتدر ، وبويم لأخيه القساهر مرة أخرى ، ولم تكن خلافة القساهر القصيرة (٣٣٠ - ٣٣٣ هـ) خيرا من خلافة المقتدر ، فقد استمر شغب الجند ، ومكر مؤنس المخادم فى المخروج عليه بالاتفاق مع الوزير ابن مقسلة الذى كان همه كهم الإتراك فى المحصول على المسال ، ولكن القساهر كان طاغية جسسورا سنفاكا للدماء ، استطاع أن يفتك بهخصومه (١) ، ولعل الإحداث التي مرت بالتاهر من قبل جعلته ثديد القسوة على خصومه ، يرى فى قواد الأتراك أعداء للدولة ، وكان يحمل دائما حربة لا تفارته يباشر بها قال من يريد قتله ، وزاد فى ألقابه عبارة « المنتقم من أعداء الله وقشى ذلك على السسكة (٣) » ومع قوة القاهر وقسسوته فاذ القواد قبضوا عليه وخلموه وسفاهوا عينيه ولم يسمل قبله أهسد من المخلفاء ، وماموا بعد للخليفة الراشى (٣٣٠ - ٣٣٩ هـ) •

وفي عهد الراضي حدث تطور جديد في شئون الحكم : في مركن المخلافة ، وفي وضع الوزارة وفي وضع الأثراك أنفسهم ، واتتهى هـذا التعلور بقدوم عنهم جديد آخر استولى على مقاليد الأمور وسيطر على الخلفاء فلم بكن لهم الى جانبه شيء من السلطان ، ولنم نشهد معه ذلك الصراع الذي وأيناء بين الخلافة وبين الأثراك ، وهذا التعلور هو ظهور منصب أمير الأمراء الذي انتقلت الى يده مسئولية كل سلطات الخليفة ، وأصبح منصب الخلافة مجرد رمز تدار الأمور باسمه من غير الرجوع

⁽١) الخلفساء : ص ٢٥٧

⁽٢) الخلمساء : ص ٢٥٧ - ٢٥٨ -

اليه فى شىء ، وقبل أن تتحدث عن هذا المنصب العجديد نرى أنه من الضرورى أن نعر أن لمركز الوزارة فى هذه الفترة التى عرضــنا لها من قبل ، كما يجب أن نخاص الى ما وصل اليه شأن الأتراك بعد هذا الصراع الذى شهدناه بينهم وبين الخلفاء .

أما عن مركز الوزارة ، فان الأتراك لم يقنعسوا بسيطرتهم على الخلفاء هذه المدارة المتجبرة التى تصرفوا بها فى منصب الخلافة ولاية وعزلا وسجنا وسعلا ، وانما أرادوا أن يمدوا سلطافهم الى المناصب منصب الادارية والمالية بصفح خاصة خاصة هذه المناصب منصب الوزارة الذى أصبح فى هذا المهد محنة لمن يتولاه ، بسبب ما ينتظره من عزل وسجن ومصادرة ، واذا كان الخلفاء قد تعرضوا لما تعرضوا لله فمن باب أولى تعرض الوزراء لمثل هذه المحنة فى هدذا المهد الذى كثرت فيه المحن ، وأدمابت بسارها كل الناس وبخاصة من كان منهم صاحب مال أو كان مسئولا عن مال ،

لقد تقهقر منصب الوزير في هذه الفترة كثيرا عصا كان له من قبل من اختصاص ، ومن وضع الى جاب الخلافة ، وتركز عمل الوزير في هذه النطافة ، وتركز عمل الوزير في هذا المصر في الاشراف على الأموال ومحاولة الحصول عليها بكل الوسائل لسد حاجة الأتراك وكبار قوادهم ، ولما كانت الظروف العامة في العراق مضطربة لما كان يحدث من فتن داخلية ، ولظهور الثورات التي أشرنا اليها من امثال ثورة الزنج وظهور القراملة والاسساعيلية ، وللنهور المتملين وأصحاب الأطراف في ولايات الدولة ، فان الوزير وقلا وسد حاجات هؤلاء الأتراك التي يعد صحوبة كبيرة في تادية مهمته وسد حاجات هؤلاء الأتراك التي لا تنتهى الى المال ، ولذلك أصحبح الوزراء عرضة للتنكيل والمصادرة ، وكذلك مصادرة أموال كل من يحيط بهم من كتابهم وأقربائهم (١) ،

⁽۱) انظر المخسرى : من ۲۲۳ سـ ۲۲۲ ، ابن الاسسير : ج ٨ ، من ۲۲ ، ۲۹ ، ۲۲ ، ۲۷) و ، ،

لقد حاول الأتراك أن يتسفلوا بأنسسهم منصب الوزارة حتى مكور اللام كله بأيديهم ، ولكن هذه التجرية قد فشلت يسبب ما كان بين اد الأتراك من حسد وغيرة وتنازع على السلطة ، ويسبب ما اتص ابه من جشع في جمع المال الأنصبهم ، فقلد تولى القائد اتامش التبرى الوزارة في عهد المستمين ، ولكنه أتهم باستغلال أموال الدولة لنفسسه خاصة الأمر الذي الى تآمر بعض قواد الأتراك عليه وقتله ومصادرة أمواله (١) ،

وبعد هـــذه التجربة قرر الأتراك أن يعرضـــوا عن تولى الوزارة بالفسهم وراوأ أن من مصلحتهم تجنب متاعبها ، مع الاشراف عليها عن طريق اشرافهم على قصر الخالافة وعلى شِائون الدولة كلها . وبذلك أصبح تعيين الوزراء وترشيحهم يتم عن طريقهم ، ويخضَّم لشــهواتهم ، وبذلك كثر عزل الوزراء وتوليتهم حتى ان عهد المعتز وقد اســـتمر نحو ثلاث سنوات شهد أربعة تغييرات في الوزارة ، كما شسهد عهد المقتدر اثنى عشر وزيرا ولى بعضهم الوزارة أكثر من مرة ، وبسبب ههذه السيطرة المتجبرة على الوزارة تجد هذا المنصب قد تدهـورت مكانته وانحطت منزلته ، وغدا الوزير غير قادر على البقاء فيه فترة تكفى للشروع في أي اصلاح يعود على الدولة بشيء من الفائدة ، وكان أي وزير يحاول أن يضبط الأموال وينظم الاشراف عليها ويحد من جشع الأتراك يتعرض للتهديد واامزل (٢) وما زال منصب الوزير يتدهور حتى اذا كان آخر هذا العهد، وفي خلافة الراضي على وجه التحــديد، فقد الوزراء كل ما كان لهم من نفوذ ، واقتصر عملهم على الحضور الى القصر في زيهم الرسمي ليشاركوا في الاحتفالات والمواكب، وصـــار الأمر كله بيــــد الإنراك ، وزاد مركز الوزير ضعفا في عهد امرة الأمراء حتى لم يعد سوى كاتب للخليفة الذي فقد بدوره كل سلطان .

⁽۱) ابن الأبر: ج ٧ ٤ ص ١٢ ·

⁽۱) ابن الأبر : ج ۷ ؛ ص ۱۶ ، الدكتور محمد خلمى محمد : الخلافة (۲) ابن الأبر : ج ۷ ؛ ص ۲۷ ، الدكتور محمد خلمى محمد : الخلافة والدولة ؛ ص ۶: ــ ۸۷ ، ح ۸۷

أما الأتراك أنفسهم فقد وصلوا الى حد كبير من التفكك وتفسرق الكلمية ، والسر في ذلك أنه لم يكن يربطهم بعضهم ببعض أي رباط صوى رباط العنصرية ، وهذا الرباط نفسه اذا كان يجمعهم كلعنصر ، فانه يغرقهم كجماعات مغامرة أصحاب طموح ، واذا كانت القبائل العربيسة يربطها رباط العصبية الدموية ، واذا كان الغرس يربطهم رباط القومية ، ظان الإتراك لم يكن لهم من هــذا أو ذاك شيء ، فهم ليمــوا الا فئات متباينة لكل منها زعماؤها ورؤساؤها المباشرون ، وهم لا ينضمون حول هؤلاء الرؤساء بدافع من لحمة القرابة أو دافع من القومية ، وانما بدافع المصلحة المسادية ، فهم ينتقلون وراء مصمالحهم المسادية من زعيم الى زعيم ، ويتبعون من يمقق لهم أكبر قدر من الفائدة ، ولذلك كان التنافس دائما بين قوادهم على مراكز الصدارة ، حتى يستطيعوا أن يعققوا لأتباعهم ما يعفظ عليهم ولاءهم لهم ، وحين كان الجند يحسون من قادتهم عجزهم عن تحقيق مطالبهم أو يرون استئثارهم بالأموال كانوا يثورون عليهم كما حدث فيخلافة المهتدى(١). ولذلك كانت أمور الأتراك ــ على الرغم من أنهم كانوا هم العنصر الغالب على الخلافة ـــ كثرة القلق بعد أن دب الحسد والتنازع بين رؤسائهم ، وبعد أن قام الجند بثورات متمددة ضد هؤلاء الرؤساء ، ومن مظاهر هذا القلق أن كثيرا منهم تقلد الهارات مختلفة بعيدة عن مقر الخلافة نسبيا كالشمام ومصر وجنوبي العراق، فلم يكونوا يذهبون اليها وانما كانوا بولون عليها من قبلهم غوابا ويبقون هم في بفداد وسامرا ليراقبوا الأحداث وليحتفظ وأ مالنفوذ والسلطان في مقر الخلافة ، أو على الأقل ليعملوا على تحسين أوضـــاعهم .

ثم. حدث تطور جدید هو أن عناصر آخری قد بدآت تظهر بعوار الأتراك في مركز الخلافة ، وقد رأينا المفارية كيف نازعوا الأتراك في حهد المعتز (١) ، كذلك بدأ العنصر الديلسي يظهر على مسرح الأحداث في

 ⁽۱) ابن الأثير : ج ۷ ٤ من ۷۹ .
 (۲) ابن الأثير : ج ۷ ٤ من ۱۲ .

بهاية المصر التركى ، وسنشهد أثر وجوده حين الكلام على منصب المرة الأماء ، وكذلك ظهر في المجال المنصر العربي تحت زعامة بني حمدان، وبعرور الزمن أحس الأثراك بقرب زوال دولتهم ، فانحسر كثير منهم عن مقر الحكومة المركزية ألى ولاياتهم التي تقلدوها مكتفين بها ، وعلوا على الاستقرار بها بعد أن فسدت أحوال الخلافة وأصبح المقام في ظلها غيما عليهم وهلاكا لهم (١) •

وأحست الخلافة بضمف الوزراء ، وتسجر الأراك ، ورأت ضياع أهلاك الدولة وفراغ خزائنها ، فبدأت تتطلع الى حكام الامارات القريبة من المراق تستمين بهم على القاذ الموقف الذى بلغ دايته فى التدهور ، فأرسل الخليفة الراضى الى محمد بن رائق آمير واسط والبصرة وعينه فى منصب جديد هو منصب أمير الأمراء ، وفوض اليه شئوته وأطلق يده فى سلطات الدولة جميما ، وبذلك ابتدا عصر جديد نفرد له الفصل السائى ،

۱۵ محید حلیی : من ۱۵ م

الفصيل الرابع

عصر امرة الأمراء

(377 - 3774 \ PTF - K3P4)

منصب امير الأمراء :

ابتدأ ظهور منصب امرة الأمراء رسميا في عهسد الخليفة الراضي عام ٢٣٤ هـ ، واسند في هذا الوقت الى محمد بن رائق (١) • والمنصيد عارة عن نقل كل سلطات الخليفة في هذا الوقت الى قائد تتوفر فيسه صفات الرياسة المسكرية عويجمع الى جانب صفته المسكرية الاختصاصات المدنية . ومن هذا القبيل ما يقال عن بعض الوزراء : انهم أصحاب سيف وقلم ، اذ جمعوا بين الاختصاصات الحربية والمدنية ، فيرمز بالسيف للاختصاص الحربي ، وبالقلم للاختصاص المدنى . وهذه التسمية الأخيرة تعددت مرات لعدد من الوزراء قبل هذا الوقت (٣٢٤ هـ) لكل ذلك لم يكن نظاما مقررا ، بل كان استثناء عارضًا يلجأ اليه المخلفاء مؤقتـــا ثم يعودون الى النظام الطبيعي ، وهو نظام الفصل بين السلطتين المدنية والحربية ، فإن مبدأ الفصل بين السلطات ليس من المبادى، التي وصسلم. اليها الفقهاء في العصر الحديث ، بل هو مبدأ مطبق الي حد ما في العصور القديمة بحسب البيئات ، فقد عرف الفصل في النظم اليونالية ، وكان معروفًا لدى الرومان • وعرف أيضًا عند العرب وظل مدة مطيقًا في النظم الاسلامية : فكانت الوزارة وهي سلطة مدنية من أكبر المناصبُ في الدولة ، وكانت تأتى مباشرة بعد الخليفة (٢) . ولكن يحدث أحيامًا أن يظهر قائد من القواد ، وأن يؤتى من الظفر ما يجعل له هيبة ومكانة وتدخلا في الأمور السمياسية بحيث بطغي نفسوذه على نفوذ الوزراء أو لا يقل عنهم .

 ⁽۱) الصولى : ص ۸٥ ، الفضرى (طبعسة وزارة المعارف) ٤
 من ٢٤٧ / ٢٤٧ ،
 (۲) الاحكام السلطانية (طبعة الحلبي ١٩٦٠) : ص ٢٢ - ٢١ ،

وكان أمير الأمسراء يتسولي : امسرة العيش ثم المناصب المالية ، فهو يلى الخراج والمعادن في جميع البلاد ، ثم اللواوين ، فهو ينظر في جميع الأمور ، وهو الذي يختار لها الرجال الذين يقومون مها : والأموال تحمل الى خزائن امير الأمراء ، فينصرف فيها كما يريد ، ويطلق للخليفة ما يريد فبطلت بيوت الأموال القديمة ، وصارت تابعة لأمسس الإمراء المسئول وحده عن الناحية المسالية كلها : نفقات الخليفة وأرزاق المجند ونفقات الدولة . وادا تحولت تبعية الدواوين وبيوت المسال على هــذا النحو الى شخص بعينه : بطلت الدواوين وأبطلت الوزارة وأبطل كل شيء (١) . ثم كان لأمير الأمراء حق ثالث اضافي ، هـــو أن يخطب له على المنابر اللي جانب الخليفة ، وكان اسمه أيضا ينقش على السكة ، كما كان يتمتم بكثير من مظاهر الحفاوة (١) . هذه هي اختصاصات منصب أمير للأمراء فما سبب تطور النظام وظهور امرة الأمراء علمي القاض الهزارة ؟

اسباب ظهور اورة الأوراء :

ظهرت امرة الأمراء على انقاض الوزارة ، فأصبح نظاما مقررا ، وكان ذلك تطورًا خطيرًا في النظم الاسلامية ، غما هي أسبابه المباشرة ؟

كانت العادة أن يتولى الخليفة بنفسمه حقيقة السلطان، ويعساونه جماعة من الناس لهم صفة العمال فقط لا يزيدون على ذلك شيئًا ثم يتخذ الخليفة كتابًا ، ثم يسمى هؤلاء الكتاب وزراء . ولكون الوزراء عادة مجرد منفذين لأوامر الخليفة كانوا يسمون وزراء تنفيذ ، ثم تعظم سلطات الوزراء شيئا فشيئا حتى يصبحوا متصرفين في حقيقـــة السلطان الذي كان بيد الخلفاء وعندئذ يعتبرون مفوضيين من قبسل الخلفاء ، وتسمى وزارتهم عنــد الفقهاء وزارة التفويض (٢) • ثم تغلب

⁽١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر ، ج ٣ ، ص (٠١ .

 ⁽۲) تجارب الأمم : ج ۱ ، ص ۲۵۱ .
 (۳) انظر عن الوزارة : الاحكام السلطانية ، ص ۲۲ – ۲۹ .

رام ١٤٤ سر العصر العباسي)

النظم المسكرية النظم المدنية وتصبح شخصية القائد اكبر شخصية فى الدولة ، فتطفى على نفوذ الوزير وتلقى شيئا من الظالال عليها ، وتتجمع السلطة الحقيقية فى يد أمراء الأمراء المسكريين ، وقد دعت الظزوف فى المدولة المباسية الى هذا التطور ، وأهم هذه الظروف :

١ ــ الظروف الاقتصادية : فان كثرة الثورات بالمواق جعلت المرلق تفسم عاجزا عن القيام بموارد الدولة ، فمنهذ منتصف القرن الثاك الهجرى (حوالي سنة ٥٠ هـ) والشورات تتوالي بعضها اثر بعض في اقليم العراق بالذات ، منها الثورة العلوية ، ثم ثورة السرنج وهي مع الثورات التي أرادت أن تصبغ نفسها بصبغة علوية ، ثم لم يكه النظفاء يفرغون من حرب الزنج التي استمرت نحو خمسة عشر عاما ، حتى وقعوا في خطر أكبر وهو خَطر القرامطة ، وهي من الحركات التي جرت على الدولة مشاكل مالية كبيرة الى جانب المشاكل الحربية والمقيدية وغيرها وكان هذا الخطر القرمطي خطرا مستمرا . ثم ان أطراف اللولة كانة، قد استقلت وقامت فيها دول ثغرية انجهت بجهودها الى النشاط الثغرى ولم تتبع الخلافة الا من الناحية الروحية ، أو اتجه بعضها الى الاستقلال التام عن الخلافة ﴿ وكثر المتقلمون في داخلية للدولة واستبدوا بالإطراف التي تطلبوا عليهًا ، فخوزستان والأهواز في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة بن يويه ، وكرتان في يد على بن الياس ، والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ووشمكير أخو مردايج بن زياد ينازعه في هذه الأعمال ، ومصر والشام في يد بن طَعْج الاخشىيد ، والمفسرب وأفريقية في يد العبيديين ، وبلاد ماوراء النهر في يد بني سببامان. ، وطبرستان في يد الديلم ، وحتى العراق نفسه خرجت منه أطواه، كثيرة من يد الدولة ، فالبصرة طرف من هذه الأطراف ، والموصل وديار بكل ومضر وربيعة في يد بني حمدان ، والبحرين واليمامة في يد أبي طلهـــر القرمطي (١) ، • لذلك أصبح ايراد الرقعة البلقية من العراق ضعيفا جدا ،

⁽۱) ابن خلدون : ج ۳ ، ص ۲۰۱ ، ۲۰۲ ، ابن الاقسير : ج ۸ ، حس ۱۱۲ ، ۱۱۲ .

وكان لابد من التحايل للعصول على الأموال بكل طريقة ، الكي تفلسل المخلافة حافظة لبعض كبريائها ، ولكي تستطيع أيضا أن تواجه الثورات الكثيرة التي تقوم في العراق ، ولذلك كانت السلطة العربية أهم ما يمكن المنخلافة أن تعتمد عليه ، ولذلك أثنى، منصب امرة الأمراء أيام الطلقة الراضي و وتقتبس من كلام الراضي نعسه ما يصور الحال ، قال الراضي «كالمت بغداد دار المملكة حين كان في بيت المال عشرة آلاف الله دينار في أيام الممتنفد وضعف لها في أيام المكتفى، فاما ولا مال بها فهي كسائر المبلدان » (لا) ، وهذا القول يعنر عن مقدار الأزمة المالية التي وقعت غيها الخلافة أيام الخليفة الراضي (٣٢٧ هـ ٣٤٠ هـ) ،

٧ ــ الظروف العسكرية : والسبب الآخر في ظهور امرة الأمراء سبب عسكرى ، وذلك أن الجند من الترك وغيرهم من الشعوب التي دخلت في المصكرية كالديلم وغسيرهم ، كانوا يستجيبون لقوادهم وعصبياتهم ، وينقادون لمصالحهم الخاصة أكثر مما يستجيبون أو ينقادون للصالح العام أو للخلافة ، وآفتهم المال ، غهم يخدمون حيث يوجد المسال • ولذلك استتبع العجز المسالي ضعف في قوة الجيش الذي يسكن أن تتصرف فيه الخلافة ، وحتى بفرض وجود السال فان قيسادة الجدد معتاجة الى شيء من اللياقة والكياسة لمداراة عصبيتهم وتحرباتهم . وكانت سيطرة القواد عليهم تأتيهم من ناحية خدمة مصالحهم المادية ، فهم يغدمون من يدفع لهم أكشر ، وكذلك في قسدرته على مداراتهم لتسلس له قيادتهم ، ومِدْلك عظم نفوذ القواد حتى سيطروا على شئون الدولة وعلى مقدرات الخلافة ، وخير ما يصور حالة هؤلاء العبند ووقوع الخلافة في قبضتهم ، وفي تصوير عبثهم ، وشهوتهم للمال قول الخليفة الراضى تفسه : « كاني بالناس يقولون : أرضى هــــذا الخليفة بأن يدبر آتمره عبد تركى حتى يتحكم في المسال ، وينفرد بالتدبير ، ولا يدرون أن هذا الأمر قد المسد من قبلي ، وادخلني غيه قوم بغير شهوتي ، فسلمت

⁽١) الصولي : ص ٥)١ ،

الى قوم يتسحبون على ويجلسون فى اليوم مرات ، ويقصدوننى ليلا ، ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه ، وأن يكون له بيت ماله خاص ، ويتسدى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية ، بل على أصخابي ، وآكثر ما فيه أن أصخابي كلب من كلابهم فلا أملك رده ، وأن رددته غضبوا وتجمعوا وتكنموا » (١) ، وهكذا أدت الأزمة الاقتصادية التى حلت بالغطلاقة ، وكذلك تحكم العنصر التركى وسوء تصرف زعائه الى أن تلجأ الخلافة ، الى هذا الحل الذى وصلت اليه وهو انشاء منصب أمير الأمراء ،

* * * نظـرة على الحالة في المـراق في ظل بنصب أورة الأوراء (٣٢٤ ــ ٣٣٤ هـ)

اذا نظرنا الى الراق فى أول هذه الفترة وجدنا شخصيات سياسية مختلفة ، أولها : الخليفة الراضى (٢٩٣٧ ــ ٢٩٣٩ هـ) وهو من الخلفاء الناضحين فى تفكيرهم على حسب وصف الصولى المؤرخ صاحب كتاب « الراضى والمتقى » (") ، الا أنه عاجز الأسباب كثيرة أهمها الأسسباب الاقتصادية ، وبجانب الخليفة الراضى كان وزير مشهور هو « ابن مقلة » وقد كان من الخطاطين ومن الكتاب المعروفين بجمال الأسلوب ، الا أنه كان وزير الخليفة ضعيف ، فلم يملك الا ايقاع الشخصيات السياسية فى مكائد لكى يتصرف فيهـم ، فليست له من الشسخصية ولا من القسوة ما يستطيع به أذ يفرض كلمته أو آن يوجه جهـود رجال الدولة نعـو الصالح المام ،

وثانيها : شخصية آمير الأمراء ، وكان في ذلك الوقت «ابن رائق» هو الذي كان يلى هذا المنصب ، وهو منصب أعلى من الوزارة يجمع صاحبه في يده السلطتين الحسربية والمدنية ، والوزير الى جانبه ليس

⁽۱) الصسولي : ص ۱) ٠

⁽٢) الصبولي : ص ١٩ .

الاكاتبا أو وزيرا خاصا بالتخليفة ، لأن أمير الأمراء مفوض تفويضا عاما من الخليفة بتدبير الأمور المدنية وبقيادة الجيش • وابين رائق قائد من القواد لكنه لا يستطيع أن يترك العاصمة وأن يقود الجيوش بنفسه ، فهو يعتمد على بعض قواده الذين يتوسم فيهم الاخلاص ، وكان اعتماده على « بعكم التركى » •

وثالث الشخصيات من شخصيات المجال المراقى فى هــذا المــام (١٩٣٠ هـ) هو « البريدى » وهو رجل طموح يصل فى سلك الادارة من الوظائف المالية ، ويجب أن نشير هنا الوظائف المديد ويجب أن نشير هنا الى أنه لم يكن يوجد هاصل بين الوظائف المدنية والوظائف العربية ، فكثير من الوزراء قاد الجيش بنفسه مع أنه لم يكن من رجال العرب ،

ونستطيع أن نعد هؤلاء جميعا ثلاثة مسكرات : _ معسكر الخليفة من ناحية ، ومعسكر أمير الأمراء من ناحية أخرى ، هـــذا يتملك حقيقة السلطان ، وذلك يملك اسم السلطان • أما المعسكر الثالث وهو فريق البريدي فانه يعمل لحسابه الخاص ويطمع في يوم من الأيام أن يبلغ امرة الأمراء • وطبيعة هذه الشخصيات كلها واحدة ، وهي طبيعة العَصر كله ، لا نستثنى منها الا « الراضي » فهو بعكم مكاتنه الدينية ، وبعكم ما هو واقع تحته من ظلم ، رجل ينشب الحقيقة ويعلنها لولا أنه عاجز، أما من عداه فهم بطبيعتهم أثرون كل يعمل لحسابه الخاص دون أن يرعى حرمة لولاء أوصداقة ، ودون أن ينظر في ذلك الى المصالح العامة ، كالمصلحة الشخصية هي أساس كل تصرف يقوم به فرد من هؤلاء على مسرح السياسة ، وهم جميعا شاكون يستخون بعضهم بعضا ، ويتجسس بعضهم على بعض ويسمع بعضهم عن بعض كل شائمة وكل خبر ، فالجو محروم من كل ثقة ، ثم الهم جميعا حين يجد الجد اتما يعتمدون على الجيوش وعلى القواد الذِّين يُقودونها • لكن الواقع أن كل قَائد من قواد الجيوش كان يعمل لحسابه اللخاص ، ويوجه جنده لمصلحته الخاصــة ، وهي الوصول الى أعلى مركز في الدولة • ولهذا كان الجند أنستسمم

M يتبينون آين تكون المصلحة العلمة ، فكان هؤلاء الهنه على مشبال سادتهم يبحثون عن المصالح الخاصة أيضا ، ولهذا كانوا يتجولون من تبعية قائد الى تبعية آخر بحسب مصالحهم الشخصية ، فهم يتبحسون القائد الذى يستطيع أن يدفع لهم أكثر عطاء ممكن أو يتبيح لهم أكبر فرصة للمغنم ، فالجيش من قادته الى جنده الصفار كل يتصيد فى ذلك الوقت مصالحه الشخصية .

ثم أن كل واحد من هؤلاء الأفراد حريص أما على البقاء في بغداد حيث مركز الدولة ، وأما على أن يكون متصلا ببغداد اتصالا وثيقا ، متفاهما مع بعض رجال أمرة الأمراء أو بعض القادة ، أو مع الخليفة أو أحد المتصلين به ، وهداياهم تصل باستمرار ألى بغداد أن كانوا بعيدين عنها : لكى يديموا يتلك الهدايا الصداقات التي يعتمدون عليها في أذاعة الأخيار أو في معرفتها أو في الوقوف على نوايا كل فرد (ا) ، والا يختلف واحد منها عن الآخر ، الا أن البريدي كان أشد هذه الشخصيات مكرا وأكثرهم بقاء على مسرح السياسة ، فهو مشترك في كل شيء ، لا يعدث حدث الريدي نفسه ، ولذلك يحسن أن نفهم الأخداث على أمناس تصرف البريدي نفسه ،

كان أبو عبد الله البريدى كاتبا لياقوت والى الأهواز من قبل المحلافة (أ) ، وفى سنة ٣٦٦ هـ وصل البوهيون فى هجرتهم نحو الجنوب من اقليم طبربتان الى هذه الولاية ، واستطابهوا التراجها من واليهسا ياقوت ، وذلك لأن البريدى خان سيده ولم يتماون معه () ، وفد كان البريدي فى الواقع بعمل على التخلص من ياقوت والوثوب على ولايته ، فكان ذلك فى صالح بنى بويه ، لكنهم بعد أن انتصروا على ياقوت تركوا الإهواز وعادوا الى شيراز التى اتخذوها عاصمة لهم ، وبذلك ساء

⁽¹⁾ الصولى : من ۲۷ ·

⁽٢) ابن مخلدون : ج ٣ ، جس ٣٩٦ ، ابن الاثير : ج ٨ ، مس ١٠٦ .

۱۱۱ – ۱۰۹ من ۱۰۹ – ۱۱۱ •

مركز البريدي الذي أصبح خائنا للخلافة ولأمير الأمراء ابن رائق • فقر لاجتًا الى بني بويه بعد أن عادت جيوش الخلافة الى الأهواز (١) • وحيل اتصل ببني بويه اغراهم بأن يمدوه ببمض الجند لاعادته الى الأهمواز ، والأهواز اقليم هام جدا بالنسبة للعراق وبالنسبة لاقليم فارس • فهي دهليز العراق كما هي دهليز فارس • والذي يملك الأهواز ويستكمل قوته يستطيع أن يسمد كل طريق على القوات المقيمة باقليم فارس ، لهوجود مسلطة تنوية بالأهواز كان معناه سبد الطريق على بني بويه م ومعنبي ذلك إجادهم عن العراق الذي كان متجه اظارهم ،لذلك فانهم عين أمدوا البريدي بالجند كانوا يخفون نواياهم الحقيقية ، وكانوا يطمعون في الاستيلاء على الأهواز استيلاء ناما ولكن بني بويه لم يكونوا يثقون في البريدي ، ولذلك استرهنوه النين من أبنائه حتى يطمئنسو1 اليه (٢) • ثم سار جيش مشترك من البويهيين وممين مم البريدي من الترائ ــ ونلاعظ هنا أن البريدي وهو رجل مدنى استطاع أن يجمم حوله قوة من الجند الأتراك ... ذلك لأن الأتراك قد تعولوا الى جسند مرتزفة يبيعون سيوفهم لمن يدفع لهم المال ــ واستطاع هذا الجيش المشترك أن يستولى على الأهواز ، الا أن الطرفين لم يستطيعا الاتفاق طويلا ، اذ ان البريدي كان يتوهم أن بنيهويه انما يساعدونه ثميرجمون مكلفينجأن يخطب في البلاد باسمهم . وأن يكتفوا بالتبعية الاسمية . لكن بني بويه كانوا ينوون الاستيلاء الفعلي على الأهواز • هذا الى أن جند بني بويه كانوا من الديلم وكان جند البريدي من الترك والشعبان متباغضان • فثارت المصبية بينهما ووقع الاحتكاك • واستطاع أحمد بن بويه قائله جيش الديلم طرد البريدي من الأهواز (٢) . والما كان البريدي قد خان السيلطان في العراق ، فانه تراجع الى البصرة واستولى عليهما دون

⁽۱) ابن الاثير: ج A ، من ١١٨ .

⁽٢) ابن خلدون : ج ٣ ، ص ٢٠٤ .

⁽٣) ابن الأثير : ج ٨ ، حس ١١٦ .

 اومة (١) ، وذلك إنها كانت فى الحقيقة بعيدة عن أن تكون موضوعا لىلمع أحد من الشخصيات الموجودة فى العراق .

كان ابن رائق لا يتق بقائده بجكم لأنه سمع أن ابن مقلة يحاولُ أن يستميل بجكم ، فهو يخاف أن يتم الدس عليه بين ابن مقلة وبجكم ، ولهذا لم يتحرك ابن رائق اطلاقا لمنع البريدى من احتلال البصرة فاحتلها وهو آمن .

وقد كان ابن رائق أمير الأمراء أقوى الشخصيات فى ذلك الوقت ، فابن مثلة لم يكن الا وزيرا ضعيفا تابعا للخليفة ، وبجكم ما هو الا قابد لابن رائق وصنيعة من صنائعه ، والبريدى ما هو الا رجل طريد استطاع أن يستولى على جزء صفير وهو البصرة ، الا أن الأمور أخذت تتطور على أساس مكيدة قام بها ابن مقلة ، فأوقع الأطراف بعضهم فى بعشن ، واستطاع البريدى أن يبقى قائما على قدميه وأن يكون سيد الموقف ، وأن يمير نصو بغداد ليكون أمير الأمراء ،

كان البريدى فى أزمة فقد توالت عليه الهزائم ، فهو حين آوى الى البصرة كان منهزلما أمام أحسد بن بويه ، خالفا من ابن رائق وقائده بجكم ، يتوقع أن ينتهزا فرصة الهزامه للقضاء عليه ، وهو من قبل هذا كان قد المهزم أمام بجكم وابن رائق هأعانه بنو بويه حتى استولى على الأهسوار ، ثم طرد منها فانحاز الى البصرة ، تلك هزائم متنالية على البريدى ، ولكنه ظل ثابتا وظل جنده حوله لم يتركوه الأنه كان قادراً على أن يبقى الأمل في تفوسهم ، ثم ان الظروف، بعد ذلك خدمته وجملته على أن يبقى الأمراه .

وكانت خلة ابن مقلة أئ يتفق مع بجكم ضد ابن رائق ، فاستطاع بواسطة الكيد والدس والاختلاق أن يفرق بين بجكم ومولاه ابن رائق

⁽۱) المسبولي * ۱۹ ، ابن الأثير : ج ۸ ، ص ، ۱۱ ب

وبالرغم من أن ابن رائق اكتشف مؤامرة ابن مقلة وعاقبه عقابا صــــارما بأن تعلُّم يديه (١) ، الا أن اكتشاف المؤامرة لم يمنع من أن تتم وتتحقق غاياتهــا ، لأن النفوس تغيرت من مجرد وجــود جو المؤامرة ، ففتـــد ابن رائق وبجكم كل واحد منهما ثقته في الآخر ، فوجد اذن انقسام طارى، في جبهة أمير الأمراء ، وهي الجبهـة التي كان يتخوف منها البريدي ، فلما انشــقت جبهة أمير الأمراء على نفســها ، آخذ الطرفان المنشقان يسميان كل بطريقته لاكتساب صداقة البريدي ، فسدا أمس الأمراء بالاتفاق مع البريدي لكي يحصل منه على بعض المال ، فرحب البريدي جذا الاتفاق واعتبره فرصة يطمئن فيها على مكانته بالبصرة (٢). أما بجكم فقد وجد نفسه بين هاتين القوتين : البريدي في البصرة وأمير الأمراء في العراق، فحين خاف وضاعت المودة بينه وبين مولاه، كان عليه أن يدافع عن نفسه بسرعة والاضاع جملة واحدة ، وكان عليه أن يئست لأتباعه أنه قادر قوى لا ينحط عن منزلته الكبيرة ، ولذلك كان عليــه أن يحارب مولاه ويسرع الى الحلول محله والا فقد كل شيء ، ولكنه في نفس الوقت كان مضطرا أن يتخلص من البريدي فما كان منه الا أن يتظاهر بالهجوم على البريدي ، فعبا جيشه وسار نحو البصرة . غلما تمكن الخوف من قلب البريدي عرض عليه بجكم الصلح والاتفاق، فتصالحا ضد ابن رائق • فكان البريدي قد غير حلفه في سنة واحدة(").

بجكم أمير الأمراد :

رجع بجكم الى بغداد بعد أن أمن ظهره ، تأخرج ابن رائق وتولى المرة الأمــراء (⁴) وجمــل البريدى وزيرا ، ولم ينتقــل البريدى التى بغداد لتولى الوزارة بنفـــه ، وانما عين نائبا عنه ظى ذلك المنصب (⁴)

⁽١) ابن الأثير : نج ٨ ، ص ١١١ . المسولي : ص ه .

⁽٢) المسولى : ص ١٠٥ ، ابن خلاون ، ج ٣ ، ص ٥٠٤ .

⁽٣) ابن خلدون : نفس الصفحة .

⁽٤) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١٣٢ . الصولي : ص ١٠٦ .

⁽o) ابن خلدون : ج ٣ ، ص ٧٠ ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١١٥ .

ثم تصاهر هذان الرئيسان في السنة التالية ، وأصبحا بهذه المصاهرة متضامنين في كل شيء (١) ، واستقر وضع امرة الأمراء باشتراك هذين الرجلين في المسئولية واتفاقهما مما . وظل هذا الجو الخالي من التقليات مستمرا من عام ٣٢٩ الى ٣٢٩ هـ • ودبت الحياة في الأمال من جسديد بعد أن تستم الناس بهذا الاستقرار • وابتدأ الرؤساء يفكرون فيما وراء العراق فاتفق بجكم والبريدي على أن يستعيدوا الى ملكية الخلافة أقاليم الجبال الشمالية ،

الى مدينــة خاتفين الى حلوان الى نواحي الجبــل • وأنَّ يكون دوو البريدي هو أن يقف عنـــد الطريق من الأهواز والعراق ليعول بين يني بويه والطمع في العراق ، وكان مفتاح الطريق بين الأهواز والعراق هـــو مديئة « واسط » التي أنشأها الحجاج بن يوسف بين الكوفة والبصرة لتكون مكانا وسطا بينهما . وبدأ الطرفان في تنفيذ الخطة فعلا ، فخريج البريدى الى واسط ، وخرج بجكم بجيش قوى حتى بلغ حلوان (٢) •

وعندئذ حدثت ظاهرة تمريبة هي أنه بمجرد ابتعاد بجكم عن العراق عاد اليه جو الربية القديم، فشك في صهره البريدي، وخاف أن ينتهن فرصة غياجه فيتصيد لنفسه بعض المناصب والمصالح ، لذلك ترك تنفيسهاذ الخطة المتفق عليها ، وعاد مسرعا من حلوان نحو واسمعط ليقضى طبي البريدي . والواقع أن بجكم له بعض العذر ، فقــد كان جميع القواد فى ذلك الحين لا يحبسون المخروج من العراق • غانسط البريدي من واسط نحو البصرة ـ الى قاعدته الأولى ـ الى الموقف الذي كان غيسه عام ٣٢٩ هـ ، وتبعه بجكم بجنوده وهو مطمئن الى النصر ، فكان في أثناء سيره اذا وقف الجيش في ناحية خرج الى الصيد ، فقتل في مرة من

 ⁽۱) ابن الأثير : ج ۸ ، من ۱۱۷ ، ابن خادون : ج ۳ ، من ۱۰۸ .
 (۲) ابن الأثير : ج ۸ ، من ۱۲۷ .

خرجاته هذه للصيد (') . وقبل مقتل بجكم بقليل كان قد مات الخليفة الراضي في بغداد ووثي بعده المتقى (٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ) .

ونرى بعسد ذلك موقف البريدى الذى تعرج كل العرج ، هاد منتصسن الى عديجة أن الناس طنوا أن امرة الأمراء ليس لها في هذا المطرف الا البريدى و وظمع البريدى فعلا في هذا المنصب وجاءه المجند من كل ناحية ، وبغاصة الجند الذين كانوا تحت قيادة بجمكم ، فان نصفهم الفتم اليه بالبصرة والنصف الآخر خرج الى ناحية بعداد وواصل سيره شمالا حتى افضم الى العصدانين بالموصل (٢) ه

وتوزيع البيش نفسه على هذا النعو لم يكن شيئا اتفاقيا ، بل كان لأن الجند كانوا يشتغلون بالسياسة وبعرفون كيف تتجه ، فالذين الفسعوا الى البريدي كانوا يرون أنه رجل السياحة ، والذين انضمعوا الى العمدانيين كانوا يرون أنهم رجال السياعة ، ولم يخب ظن الطرفين فقد آل الأمن البريدي أولا ثم لهني حمدان ،

البريدى في بفسداد :

لما تجمعت تلك الجيوش للبريدى زحف به الهمو بنداد ودخلها دون عناء ولم يلتق مقاومة () ، الا أن الفطيقة المتتى لم يكن يعب طذا الرجل بلكان يعتقره ، ولهذا لم يأذن له بالمثول بين يديه ، ولم يغرج له المتقليد بامرة الأمراء ، والتشفى بأن جمله وزيرا ، لكن الوزير الذا جمع المي منصبه المدنى قيادة الجيش كان في حكم أمير الأهزاء تماما ،

وهكذا وصسل البريدى الى امرة الأمراء الفعلية وان لم يقسلده النخليفة هذا المنصب تقليدا رسميا • الا أن فريقا من العبند الديالمة تاروا ضده غى بغداد • وكان الديالمة يومئذ قد دخلوا فى خدمة جيش الحضرة

⁽¹⁾ ابن الأثير: ج ٨ ، س ١٢٧ ــ ١٣١ .

⁽٢) أبن الأثير : ج A ، فس ١٣١ .

⁽٢) نفس المدر والصنعة ،

مش الخلافة المركزية) وأمام هذه الثورة تراجع البريدى الى البصرة بعد عده السهر و ولم يكن الخليفة المتنى مخطئا حين رفض الرهيب بالبريدى ، فاذ وجود مثل هدف الرجل فى ذلك المنصب ليس حملا للازمة ، فان البريدى لم يكن شخصية سليمة ولا معبوية ، وهو فى البصرة واقع بين خطرين : خطرينى بويه المستقرين فى فارس والأهواز من ناحية ، وخطر القرامطة المستقرين فى البحرين من ناحية أخرى ، من ناحية ، وخطر القرامطة المستقرين فى البحرين من ناحية أخرى ، عاجز لا تظهر قدرته الا فى المجهة الفضيفة وهى جهة بضداد ، فعشله لم يكن يصلح لامرة الأمراء فى نظر المتقى ه الا أن البريدى حين عاد لم البحريدى الى بضداد مرات ، فما السبب فى عدم بقائه مدة طويلة فى بغداد ؟

وأول الأسباب أن الخليفة المتقركان معتقدا أن مثل البريدى لايمكن أن يكون المنقذ للدولة مما هي فيه .

والسبب الثانى هو أنه كان يومئذ فى بفسداد فى جيش العضرة كثير من الديلم الذين هاجروا ، ودخلوا فى عداد العيش واعطيت لهم معجلات بدخولهم فى الخسدمة ، وأصبحوا عساكر فظاميين ، وكافوا حزبا كبيرا يقارب العزب التركى بل ويزيد عليه فى بعض الأحيان ، وهذا العزب الديلمى هوالذى وقف معارضا للبريدى حتى اضطره الى المضروح من بغداد (١) ،

وسبب ثالث لخروج البريدى ، وهدو أنه مع اشتهاره بالكرم لم يسلك سبيلا مستقيما ، بل أخذ يضمع العراقيل فى وجه الفخليفة للوصول الى مصالح شخصية ، فال البريدى حين لم يخرج له الخليفة التقليد بمنصب لمرة الأمراء أراد أن يحرج الخليفة ، فطالبه بالأموال

⁽١) أبن الأثير : ج ٨ ، ص ١٩٢٧ .

للجند و ولم يكن من واجب الوزير أن يوفر المال للجند وانما ذلك من واجب أمير الأمراء الذي يجسع بين الاختصاصات الحريب وبين المختصاصات الوزير و فالعودة الى النظام المدنى ولو لسبب عارض كافت لنزم اللجفليفة بالتزامات لا تقع عليه فى نظام امرة الامراء أو النظام المسكري، وفهم الخليفة المتنى الهدف الذي يرمى اليه البريدى من هذه المطالبة ، فأخرج له ما طلب من المال ، فصار الجند بعد ذلك لا يطالبون المخليفة بل يطالبون البريدى بأن يوزع عليهم ما أخذ من أموال ، وهنا نلمح كياسة الخليفة المتنى و فصار البريدى فريسة لنفس المكايد التي نلمج كياسة الخليفة وتحكم كان يدبرها للخليفة وتحكم فى الخليفة فتحكم في الخليفة والجند ، فلما رأى الأمور مضطربة فى بفداد تركها وعاد الى البصرة (١) و

ابن راثق أمي الأمراء مرة الحسرى:

كان الزعيم الذى ترأس الجند آمام البريدى هو « كورتكين الديلمى » ، الآ أن تحكم الديلم فى الموقف على هذا النحو أحدث رد فعل ، فنهضت العصبية التركية تبحث لنفسها عن رئيس قوى يستطيع أن يتحكم في الموقف ، فاسستدعي ابن رائق للمرة الثانية ، وهو زعيم للحزب التركى ، وقد كان حين غلبه بجكم خرج الى الشام وولى فيها المحزب التركى ، وقد كان حين غلبه بجكم خرج الى الشام وولى فيها الى بشداد و تولى امرة الأمراء بسهولة للمرة الثانية ، وفي هذه المرة سلك مع البريدى الني بشداد و تولى المخطأة التي سلكها بجكم من قبل ، فقد صسك مع البريدى الدى رحب بالمسلح على البريدى الدى رحب بالمسلح وأسندت اليه الوزارة هذه المرة إيضا () ، فصار مشاركا في السلطان مع ابن رائق ، وتكرار المسالة على هدذا النحو يدل على أن صاحب على البرعدى قاسم مشترك في كل سلطان يوجد بالعراق ، وكان طبيعيا أن

⁽۱) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١٣٢ .

⁽٢) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون : ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

بوجد رد فعل أيضا من ناحية سياسة ابن رائق ، فاقه تتبع الديلم ونكل يهتم يريد بذلك اضماف هذا العزب الذي يريد أن يتحكم في القيساهة العليب () •

ظل الأمر على هذا مدة الى أن اختلف البريدى وابن. والتى ، فائه هذا عزل البريدى عن الوزارة ، فجيش البريدى جيوشمه وخرج الى بغداد ، فاضطر ابن رائق والخليفة الى الهروب أمامه الى الموصل والتجآ الى بنى حمدان ، واسمتولى الهبريدى على امرة الأمراء ودخل بفسداد للمرة الثائية (٢) .

امرة الأمراء في يسد جني حمسدان:

كان بنو حمدان يلون الجزيرة ويقومون بالغزو ضد الروم ، وكان يحمم بطبيعة الحال أن تنتظم أمور العراق ، ليكون الغراق القوى سندا وراء ظهرهم يعتصدون عليه ، واضطراب الأحوال فيه يعصود عليهم بالفرر ، ولذلك كانوا يهتمون بأمور العراق اهتماما كبيرا ، والل كانوا في عميمة الأمر يؤثرون وظيفتهم الثعرية لما تضفى عليهم من هيبسة بو حمدان في أعين الناس ، ولانها تحيطهم بعطف جميع المسلمين ، فتعمل بنو حمدان في الأمر ، وكانت طريقتهم في التدخل اصلاحية وقويمة ، فقرادوا أن يطهروا البحر أولا بأن تنظمنوا من ابن رائق بقتله ، ثم عادوا بالخليفة نحو بعداد تمضرج منها البريدي بكل بساطة (٢) ، وأسند الكليفة بالمحداد المحدن بن عبد الله الحمداني ولقبه ناصر الدولة كما خلته على أشيه أي الحمن ولقبه سيف الدولة (١) ، وقد بدأ ناصر الادولة عمده باصلاح الإخوال الاقتصادية ، فبدأ باصسلاح المسكة وحال دون العياري والمسيارة بهيار لهما ، وهدد الصميارة بازال المقاب بهم

^{· (}۱) ابن الاثير : ج A ، من ١٣٢ ، ١٣٣ ،

⁽٢) أبن خلدون : ج ٣ ، ص ٤١٢ . الصولي : ص ٢٠١٠.

⁽١) ابن خلدون : ج ٣ من ١١٦ ، ١٣ .

⁽٤) المسسولي : ص ٢٢٨ .

اذا لم يقلعوا عن الربا (') ، ثم وضع نظاما جديدًا للصرف ، بحيث فريض على النساس على الخليفة أن يكتفى بقسدر قليل من الحسال ، كما فرض على النساس التقشف (') ، ثم سار الحمدانيون بجيوشهم فحو البصرة للقضساء على البريدى الذى ظن أن نهايته قد صارت محتومة فالتقوا به قرب ولمسمط وكافت بينهما وقعة غير حاسمة (') ،

لكن فى أثناء وجود الحمدانيين وسط المسكر حدثت فتنة بين الجند فقد قام « توزون الديلمى » وترعم حركة شغب حتى ضجر سيف الدولة من قلة الهضبط الذى اتصف به هذا العبند، فقرر بنو حسدان المودة الى الجزيرة ليتفرغوا لواجبهم الثغرى ، وآلت امرة الأمراء الى توزون (١) .

توزون أمي الأمراء :

نلاحظ هنا أن قوة الديلم صارت هي القوة المتحكمة في مركز الخلافة وتفساءل شأن الحزب التركي تفساؤلا كثيرا ، فلم يستطم أن يستميد مركزه مرة أخرى ، لأن امرة الأخراه استمرت في يد الديلم حتى تسلمها بنو بويه وهم من الديلم أيضا ، ولا نكاد نسمع عن تسلط الترك في المراق مرة أخرى حتى يأتى عهد السالاجقة وهم من الترك ، ولكن ليسوا من الطوائف التركية التي شهدناها منذ عهد المعتصم ه

وتوزون أهم الأمراء الذين تولوا الأمر قبل العصر البويهي ، فقه استطاع أن ينتصب المنصب من متنافسين قويينهما العصدانيونوالبريديون وجذا أثبت أنه أقوى من ابن رائق كما أثبت أنه أقوى من بعجكم، ، وهو

⁽¹⁾ الصولى: من ٢٢٩ ، ٢٣١٠.

⁽٢) الصولى: ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

⁽٣) أبن الأثير: ج ٨ ، ص ١٣٦ .

⁽٤) ابن الأثير : ج A ، ص ١٤١ ، ١٤١ .

الذى صد الحمدانيين فانسحجوا ، وهـو الذى وقف أمام البريدى ، ولهذا لا نكون سالفين اذا قلنا انه كان من أكبر شخصيات الدولة في هذا الوقت ، وقد أحس هو نفسه بعظم السلطان الذى اجتمع فى يده ، فلم يراع للخليفة المتقى حرمته حتى ضاق الخليفة فخرج من بغداد لاجئا الى الحمدانيين ، لكن هؤلاء لم يستطيعوا أن يعيدوا سلوكهم كماحدث في المرة الأولى (() ، وفي نفس الوقت كان توزون يتحايل على الخليف... بالوعود ، حتى عاد الخليفة الى بغــداد مرة أخرى اذ كان يخشى أن يعين توزون خليفة غيره ،

وحين عاد الخليفة قدم له توزون كل قروض الطاعة ظاهريا ، ولكنه أوعز الى بعض أصحابه فقبضوا على الخليفة وأجبروه على خلع توسسه ثم سملوا عينيه (٢) ، وجذا وقع الخلفاء تحت يد الديلم كما كانوا من قبل في يد الترك ، وان كانوا لم يتعرضوا للقتل الا أنهم تعرضوا للاهانة والتعذف وفقد الهيبة ،

وكما عزل توزون الخليفة استطاع أن يختار خليفة غيره يكون طوع يديه ، ذلك هو المستكفى ، ومن هذا نرى مقدار ما وصل اليه توزون من قوة ، ومقدار ما وصلت اليه الخلافة من ضعف ، ثم توفى توزون فظلمه ابن شهيرزاد ، وفى عهد هذا قدم البويهيون الى العراق فحلوا معلى أمراه الأمراء ، وبدخولهم بدأ المصر البويهي الذى استمر من ١٣٣ ـ ٧٤٤ هـ ، وفيه خضمت الخلافة خضوعا تأما للبويهيين ، وفي عهدهم لم نصيحة ذلك الصراع الذى كان قائما بين الخلفاء وبين المتغلبين على شدّون الخلافة فعاليتها طوال المصر البويهي ،

⁽۱) ابن الأنسي : ج ٨ ، من ١٩٤ ، ١١٤ ، ابن خسلدون : ج ٣ ، من ١٩٤ ، ١٤١ ، ابن خسلدون : ج ٣ ، من ١٩٤ ، ١٩٤ .

⁽۲) ابن الانسي : ج ۸ ، ص ۱۶۱ ، ۱۶۸ ، ۱۶۹ ، العسولي : ص ۱۸۰ – ۱۸۳ ،

ثم طوال الغصر السلجوقى من بعد ، وهين ضعف السسلاجقة وبدأت الخلافة تسترد توتها كان الوقت قد غات ، وكان العالم الاسلامي يواجه في شرقه وغربه خطرا شديدا لم تكن الضبلاغة قدرة على المساركة في دغمه ، ونعنى بهذين الخطرين الخطرالمعولى في المشرق والخطر الصليعي في المغرب ، واستطاع المصول أن يكتسعوا العالم الاسلامي الشرقي وأن يصلوا الى العراق ويسقطوا الخلافة المباسية سنة ١٩٥٠ ه .

البار_الثانى الحركات الاستقلالية فى العالم الإسلامى

أول ما تبه اليه حين ندرس هـذا المصر أن الظروف قد تغيرت ، وأصبحنا في عالم جديد يختلف تمام الاختلاف عن المصر العربي الأول ، ويخالف على الأخصوفكرة مثالية كانت مائلة في أذهان المؤرخين القدماء ، ويخالف على الأخصوفكرة مثالية كانت مائلة في أذهان المورين اليوم ، وهي أن المخلافة وحدة لا يجب أن تتجزأ ، وأن قوة العالم الاسلامي تقاس بضعف المخلافة وحدة لا يجب أن تتجزأ ، على مصيح لأنه مقياس مبلى على فكرة مثالية هي فكرة احياء التقاليد الأولى الأموية ، وفكرة جمع العالم الاسلامي على اختلاف أقطاره في يد واحدة هي يد الخلافة ، مع أن المغلاف المناس التاريخي يجب أن يبني على الوقائم المادية و فان الخلافة قد تعجزأت فعلا ، وأصبح كل اقليم مستقلا استقلال ذاتيا عن الخلافة أن كان القليما سنيا ، أو مستقلا كل الاستقلال عنها أن كان يدين بمذهب غير سنى ، كدول الخوارج ودول الشيعة التي كانت لا تعترف بسلطان الخاسة والمباسية ،

وفكرة الجماعة كانت فكرة لها أهميتها الكبيرة في المصر الاسلامي الأول ، ولها تأثيرها في اذهان المسلمين في ذلك الوقت ، فهي التي أوحت للحسين بن على أن يتنازل عن الخيلافة لماوية • وفكرة الجماعة التي حققها عبد الملك بن مروان هي التي جعلته أفضل من عبد الله بن الزبير منافسه في الخلافة ، مع أن عبد الله بن الزبير كان أحب للمسلمين من عبد الملك •

ثم ضعفت عده الفكرة في اواخر العصر الأموى ، فلما جاه العصر العباسي لم نبحد لهذه الفكرة أثرا ، فهذا العصر العباسي كله لم يتأثر بفكرة الجماعة كما تأثر بها عصر الراشدين والأموين ، وحلت معمل فكسرة الجماعة الأساسية فكرة أخرى هي فكرة الصوالح الاقليمية أو الصوالح الشعوبية ، بمعنى أن كل الخليم أو كل جنس كان ينزع بطبعه الي الاستقلال بأموره عن الخلافة والى اختيار حكومة قوية تنهض فيه وتدافم عن مصالحه باسم الخلافة البعيدة ، فالمصر العباسي كله يختلف اختلالها

جوهريا عن العصرين السابقين عليه ، ومصدر هذا الاختلاف هو انتصاد: المبادىء التى نادت بها الثورة العباسية ونعنى من بينها هنا مبدأ المساواة ومبدأ الاصلاح ه

ففكرة الجماعة قد ذهبت وحل معطما فكرة جديدة هي فكرة حقوق الشعوب ، أو ما سماه القدماء بالشعوبية ، وما نسسمية الآن بالقوميات ، فغى هذا العصر ظهرت قوميات في العالم الاسلامي ، فكان كل شعب من الشعوب المنضوية تحت لمواء المحكومة الاسلامية يتلمس شخصيته القومية ، ويعاول أن ينميها ،وأن يوتفع الى مستوى الاستقلال، بعيث أن الزمن لم يمند الا يسيرا حتى أصبحت كل قومية تحكم نفسها بخسها رضيت الخلافة أم كرهت ،

ولم يكن من المكن أن توقف الخلافة هذه الحركات الاستقلالية ، لأن المعارضة الشيعية والمعارضية المخوارجية كانت تشجع هسدة النزعات ، وكانت الخلافة أذا قاومت لا تجنى من وراء المقاومة ألا ظهور دولة جديدة تستقل بحكم نفسها عن طريق الاكراة لا عن طريق التقليد،

ان الأمصار الاسلامية التي رأيناها في عصر الراشدين والأمويض. تخضع للسلطة المركبية في المدينة أو في دمشق ، وتستلهمها التوجيه ، وترفد اليها الحاضرة ولاة أو عمالا تطول اقامتهم أو تقصر ، يغذون مايرسم الخلفاء من سياسات أو مايصدرون من أوامر ، هذه الأمصار شهدت خروجا على هذه المركزية وشهدت عمالا لا تطول التامتهم أو تقصر ، وانما يورثون ويظفرون باستقلال محلى للبلاد التي يحكمسون فها ،

وقد وضحت جذور هذا التطور منذ فجر الدولة العباسبة وفى عنفوان قوتها فقد استقل عبد الرحمن بن معاوية (الملقب بالداخل) بالدسلس ، وقام عبد الرحمن بن حبيب عامل أفريقية بثورة على الأمويين

واعترف به السامبيون أميرا مستقلا (() . وشسهد المغرب قيام الدولة المرستمية في تاهرت والأدارسة بالمغرب الأقصى ، والأغالبة بتونس ، والطاهريين في ايران ، لكن هذه الظاهرة وضمت واتسم انتشارها في الترن الثالث ، فظهر الصفاريون بسجستان ، والسامانيون في بلاد ما وراء النهر ، والغزفويون في بلاد الهند ، والطولونيون والاختسيديون في مصر والسسام ،

هذه التطورات لم تكن مجرد ظهور مغامرين يستقلون بعذا البلد أو ذلك ، انما كانت أعمق من ذلك بكثير • كانت تطورا سيد المدى في الجاريخ الإسلامي وفي الحضارة ، وهي بقدر مالها من هذه الأهميسة تحتاج الى استكناه حقائقها في دراسة متخصصة نامل أن توجه اليها جهود الدراسين »

يرى بعض الدارسين فى ذلك انصلالا وتفككا للدولة الاسلامية و وبداية الكارئة التى أودت بوحدة المسلمين ، وبردون ذلك الى عاملين هما : ضعف السلطة المركزية ، ثم نبو سلطات الولاة على حساب الخلافة، والعقيقة أن هذه التطورات لم تكن تفككا وانحلالا للدولة الاسلامية ، فقد دان هؤلاء الأمراء فى الاقاليم بالطاعة للخافة واعترفوا بنفوذها الروحى : يدعون للخليفة على المنابر ، ويكتبون اسسمه على السكة ، ويشاركون فى البجاد ، وكانت الخلافة تتدخل فى بعض الأحيان تدخلا مثمرا ، غيرد المنحرفين من أمراء الأقاليم هين يجاوزون حدود المخدمة العامة ، أو حين يستد بهم الطموح للسيطرة والدخول فى منافسات تضر بالاقاليم الاسلامية ، أو حين يسجزون عن أداء وظائفهم فى الدفاع عن أقاليمهم أو تنمية مصالحها ، فقد قضت على الدولة الطولونية فى

⁽۱) كان عبد الرحين بن حبيب أمرا شبه مستقل منذ مسئة ١٢٧ ه > وقد اعترضت به الخلامة العباسية واقترته أميرا مستقلا بولايته > ثم خلع طاعة المنصور واعلن استقلاله حتى خرج عليه لذوه وقتله . انظر : المفرب الكيم : مع ٣٣٣ - ٣٣٣ .

مصر والشام حين ضعف حكامها ودخلوا في منافسات داخلية ضارة ، وكذلك ضربت الصغاربين حين اتبجت جهودهم الى تغلب داخلي في جسم الدولة ، كما ساندت الساماة بين للحلول محل الدولة الظاهرية التي فقدت فاعليتها ، وشسجت النزنويين جين لهضوا بأمر الثغر الهسمدي ولقبت محمودا المنزوي « يمين الدولة » أذ كان يرعى الذراع الأيمن من جسم الدولة الاسلامية في المشرق ، كما ظاهرت الاختسميديين في محاولتهم شعف الدخلافة الم يكن المجال في مركز الفلافة خاليا من القوة ، فالخلافة ضعف الدخلافة ألم يكن المجال في مركز الفلافة خاليا من القوة ، فالخلافة في التناء ضعفها انما تنازلت عن حقيقة السلطان لسلطة الوزير أو سلطة أمير الحوادث ،

لقد كان العالم الاسلامى تجمعه وحدة الخضوع الاسمى لخليفة المسلمين ، ووحدة الولاء العميق للاسلام ، والرغبة الأكيدة فى الجماد لنصرة هذا الدين ، والوقوف فى وجه الأخطار التى تتهدد العالم الاسلامى ،

ومن الأسراف أن رد نمو هذه الظاهرة الى ضعف الخلافة ، فقد أينا هذه المحاولات الاستقلالية تتضح فى هجر الدولة المباسية ، هقد مستقل عبد الرحمن بن معاوية بالإندلس أول العهد بقيام الدولة العباسية وظهرت بعض هذه الدول فى عصر المأمون ، بل هذه الخلافة فى بعض الأحيان تشد أور هذه المحركات الاستقلالية وتدفعها دهما ، رغبة منها فى حماية بعض مناطق الأطراف أو عجزا عن حكم هذه الأطراف حكما حياشرا ، وليس أدل على ذلك من قيام دولة الأغالية فى تونس بتشجيع من الخلافة المباسية ،

كانت هذه الحركات في الحقيقة تصيرا عن أمرين ; عن القومية . وعن الاقليمية ، ذلك أن الاسلام حينما اقتشر ذلك الاتشار الرفار.

فوق هذه الرقعة النسيحة من الأرض قير قوميات لها عراقتها في التاريخ والحضارة ، قير الفرس والمصرين والبربر والقوط ، هذه القوميات بعد أن أسلم أصحابها واستكانوا زمنا للحكم الخلافي المركزي ، لم يكن من المعقول أن يطول خضوعم ، بل المعقول أن تجد هده القوميات لها منافها في هذه الحركات الاستقلالية التي حفل بها تاريخ الاسلام في هذه المترة ،

ولعل أبلغ ما يعبر عن هذه القوميات السّاعية الى المتجرر والمساواة ظهور الشعوبية فى ايران ، فالموالى من القرس كانوا من وراء النجاح الذى حققه المباسيون ، فظفروا بمساواتهم بالعرب ، بل أغراهم ضمة المصبية العربية وتفرقها فى الأمصار ، وتخلى العباسيين عنها وتنكيلهم بها ومحاورتهم. لها ، الى محاولة القوز بكل النفوذ والمسلمان بل طما بهم طمعهم الى محاولة النيل هن كل ما هو عربى ، وبلفت حراتهم هذه أوجها فى القرن الثالث الهجرى ، فأصبحت هجوما سافرا يريد أن يشوه كل ما ينسب للعرب من تراث ، فأكثروا من التاليف فى مناقب المجم ووضعوا الكتب فى مثالب العرب ، ودسوا على الأدب والتاريخ تصوصا اختلقت للحط من شأن العرب ،

هذه الحركات ليست مجرد شمور بالحقد والكراهية للعرب ، بقدر ما هى تعبير عن القومية الفارسية ، وهذا التعبير لم يتنخذ هـــذا المجرى الثقافى الأدبى بوحسب ، ولكنه التسس له طريقــا سياسيا فى صـــورة الدويلات الفارسية التي ظفرت باستقلالها فى ايران .

وكانت محاولات الإندلسيين والمفسارية واليوبر والمصريين في الاستقلال تمبيرا عن قومياتهم التي لبست لبوسا اسلاميا ، والتمست لنفسها تمبيرا اسلاميا ، فهي تريد أن تستقل ، وهي تعترف بالخليفة راسا للدولة الاسلامية ورمزا للوحدة الاسلامية ، فهذه الحركات الاستقلالية اذن تعبير واضح عن هذه الشعوبية أو هدذه القوميات التي دانت للاسلام ، ودخلت في طاعته م

وهى ليسبت تمبيرا عن القومية ضحسب ، بل هى صورة لله اع المتلازم دائما بين الاقليمية والمركزية فى كل دولة امتدت أطرافها فى المالم وحكمت أقاليم متباينة ، فالدولة الاسلامية دخلت فى طاعها أقاليم جغرافية متباينة جنسا ولمة وطبيعة ، وهى وان كانت قد دائت المسلطة المركزية قرنا أو قرنين ، فانها سرعان ما فرضت نصمها على التساويج والموادث ، مختفية وراء هذه المركات الاستقلالية ، وملتصة ضحفه الخلافة أو انشالها ، وكيف يمكن توحيد عالم بأسره ، محسد من الصين الى المحيط الاطلبي في سلطة متمركزة في بغداد ؟ !

وثمة معقبة اخرى وهى أن هذه التطورات: كالثم التصارا حقيقة للدعوة الاسلامية ولروح الاسلام ، فالاسلام كما نعلم لم يفرض المتيازا للعرب على حساب غيرهم من سائر المسلمين ، فاذا كانت هذه القوميات. قد تحررت وبرزت فذلك من نعمة الاسلام ،

واذا كان كتاب التاريخ الاسلامي قد نظروا الى هــذه التطورات نظرة التشاؤم ، ورأوها نذيرا بسقوط الخلاغة الاسلامية وتغرق شمك المالم الاسلامي ، ومقدمة للحوادث المنجمة التي تصاب العالم الاسلامي على يد المغول والصليبين ، وعقدوا المراثي للخلافة كنظام فريد الشمام العرب ورعاة الاسلام ، فإن مؤرخي الحضارة يرون إنها طليمة التناقمي بين البيئات الاسلامية في الانتاج الثقافي ، ذلك التنافس الذي هيأ لمصر النهضة الاسلامية الشاملة ،

واذا كانت هذه الحركات الاستقلالية تتيمجة لنمو الشمور القومي ع واستجابة للظروف الجغرافية ، فانها كانت في نفس الوقت استجابة لمصالح العالم الاسلامي الكبير الذي تنتمى اليه ، وكانت كل دوئة من هذه الدول التي استقلت ـ الى جانب تعقيقها للدافع القومي وللمصلحة الاقليمية ـ تقوم بمهمة كبيرة لصالح العالم الاسلامي ، وكانت قيمة كل من هذه الدول وأهميتها تتحدد بمقددار خدمتها التي تؤديها ، فطالما نهضت بالعبء الذي يلقى على عاتقها فى خدمة العالم الاسلامى والدفاع عنه ومد نفسوذه و بقيت قائمة وفالت احترام المسلمين وعطفهم و أما اذا عجزت أو انزلقت فى صراعات داخلية ، فانها كانت تفقد أهميتها ، ثم لا تلبث أن تسقط ليحل محلها من هو أقدر منها و ولذلك فان أهم الدول المستقلة هى الدول التي قامت فى مناطق الثفور الاسلامية سواء فى المخرب و أما الدول التي قامت فى ومسط المنطقسة الاسلامية وحاولت أن تقتطع لنفسها ملكا ، ولم تشارك فى نشاط العالم الاسلامي الخارجي ، ولم تتفاط العالم قليسلة الأهمية ، كما لم يستمر بقاؤها طويلا ، مهما كافت القوة التي تعتمد عليها و

وتتبع بعض مظاهر الحركات الاستقلالية في جميع الأوطان الاسلامية لنتبين هل كانت هذه الحركات تعبيراً صحيحاً عن القومية فىالاقليم الذي قامت فيه ، وهل كانت ضرورة من ضرورات المصلحة العامة لخدمة العالم الاسلامي ، وهل أدت هذه الخدمة وما مدى تجاحها فيها .

ونستمرض هـ ف الحركات مبتدئين بالقسم الفربي من العلم الاسلامي ، ثم بقسمه الشرقي ، ونحن في استعراضنا لهذه الحركات الاستقلالية انما نسير مع التتابع الزمني الظهور هذه الحركات ، وهي من حيث تتابعها الزمني قد بدأت في المغرب قبل أن تبدأ في المشرق ، وليس ذلك لأن ظهور الروح القومية قد بدأت في المغرب قبل المشرق ، وانما لأن عاملا آخر أظهرها في المغرب ذلك هو عامل المعارضة التي قامت في وجه الدولة المباسية منذ قيامها ،

الفصه لاأول

المركات الاستقلالية في المفسرب الاسلامي

كان المغرب الاسلامي مركز القوة للدولة الأموية منذ قيامها ، وظل يمثل القوة التي تستند اليها طوال مدة حكمها ، بينما كان المشرق مركز الممارضة التي قامت في وجه الحكم الأموى منذ بدا الصراع بين الخليفة على بن أبي طالب الذي اتخذ الكوفة عاصمة له ، وبين معاوية بن أبي سمفيان والي الشام ، وظل المراق ومن ورائه المشرق طله بيئة غير طبعة في يد بني أمية طوال مدة خالافتهم ، بينما احتصط المفسوب بولائه للمدولة الأموية برغم نزوع الشمال الأفريقي الى الاستقلال وبرغم اتتشار الخوارج فيه ، فلم تتجه اليه المعارضة الشيعية طوال المصر الأموى ،

فلما نجمت الثورة العباسية بقوة المشرق ، تفهترت المعارضة الموالية لبنى أمية وللنفوذ العربى الى المغرب وكذلك انقلب الوضع وصار المغرب هو البيئة المعارضة ، وأصبح بيئة غير طيعة فى يد الخلافة العباسية ، ومن ثم المنارضة الشيعية العلوية التى وجدت فيه ملجأ بعيدا عن القوة العباسية ، وفى بيئته التى اسمت بالمعارضة استطاع العلويون أن يقيعوا لهم دولا تناوى، الخلافة العباسية مصمدة على القوميات التى يعدات تظهر فى المغرب ، ولم يعض أكثر من قرن ونصف حتى كامت دولة شيعية علوية فى أفريقية قدر لها أن تنتزع المغرب كله من يد الخلافة العباسية ، ونعنى جا الدولة الفاطمية ،

وكذلك فرت الفسامول الأموية التى نجت من التنكيل العباسى الى المبخرب البعيد (١) • والذى كان فى المحقيقة طرلها بعيدا جدا عن مركز المبدولة العباسية التى اتخذت العراق مقرا لهسا ، ولجات الى اقليم كان

⁽۱) ابن خلدون : ج ۲ ، س ، ۱۷ ،

البنى أمية فيه موال استطاعوا أن يعموا الأمير الأموى الذى لبعا اليهم ع وأن يمينوه على الوصول الى الحكم متهزين الخلافات الداخلية بين الأطراف المتنازعة فى الاندلن ، والرغبة التى بدت ظاهرة فى عندا الاقليم للنزوع إلى الحكم الذاتى (() ، وحتى فى العهد الأموى لبعده عن مركز العالم الإسلامى ولمواجهته لتفر بدأت تبرز خطورته فى ذلك الوقت ، ولذلك كافت الأقدلس أول اقليم انفصل عن حكم الدولة العباسية ، وكان انفصاله عنها انفصالا تاما ، لأن الأمير الذى قام جذا الانفصال كان يعارض الحكم العباسى ولايعترف به ، شأنه فى ذلك شأن المعارضة العلوية التى لجأت الى المغرب بعد ذلك بقليل ،

لذلك تبدأ في استعراضنا للحركات الاستقلالية في المنرب بالطرف البحيد وهو الأندلس ، ثم نسير متتبعين الأقاليم من المغرب الى الشرق .

الأندلس

أهم ما يلاحظ أن بلاد الأندلس فتحت في عصر مساخر ، فقد تم فتحها في عصر الولبد بن عبد الملك سنة ٥٥ هـ (١) و وغم حداثة عهدها بالفتح فانها بدأت تمبر عن شخصيتها الاسلامية تمبيرا مبكرا جدا ، ذلك أن الحركة الاسستقلالية ، فيها ترجع الى سنة ١٣٨ هـ (٢) ، وهسنده الظاهرة جديرة بالالتفات اذ أنه في نحو أربعين سنة ، قطعت الحركة الاسلامية في بلاد الأندلس شوطا كبيرا جدا ويدت في ظهورها ونموها أقوى من الحركات الأخرى ، والسسبب الذي أدى الى نجاح الحركة الاسلامية يرجع الى ناحيتين :

١ ــ ان الحكم الســاق على حكم العرب ، وهو حكم القوط ،

ص ٧٠ وما بعسدها ،

 ⁽۲) الطبری: ج ۲ ، ص ۲۹۸ – ۹۹۶ (طبع دار المعارف).
 (۳) ابن التوطیة: الانتتاح ، ص ۲۶۰ – ۲۷۷ ، الخبار مجموعة »

كان حكما أجنبيا مفروضا له مظهره العسكري ومظهره الديني ، وكانت له مساوئه التي كان ابرزها عظم نفوذ الكتيسة وتسلط رجال الدين ، ماستحواذ الكنيسة على قدر كبير جدا من الأراضي الزراعية واعفائها من دغم الضرائب ، وكذلك انتسام المجتمع الىطبقات متمايزة تستمتع نيها الطبقة العليا من النبلاء ورجال الدين مكل الميزات السياسية والاقتصادية، بينما ترزح الطبقات الأخرى التي تكون الفالبية العظمي من الشحب ، من التجار والزراع وصـــفار الملاك ، ثم رقيق الأرض الذين يعــرفون بالأقنان. « Serts » أو عبيـــد الأرض تحت عب، الضرائب الفـــادحة ، والعمل المرهق لاشباع نهمة الحاكبين ، مضافا الى ذلك طبقة العبيد من أسرى الحروب التي كانت تئن تمحت وطأة العبودية ، وكان حرمان هذه الطبقات العاملة في المجتمع من الحقوق العامة واثقالها بالأعباء الجسيمة، يبعدها عن أن يكون لديها أية اعتبارات وطنية أو أية روح قومية ، الأمر الذي يجمل مثل هذا النظام الفاسد عرضة للانهيار عند أول صدمة (١) ، ويسرع بهذه الطبقات المغبونة الى أى نظام يرد اليها اعتبارها أو يخفف عنها ، وقد وجدت في الاسلام هذا النظام الذي يرفع عنها هذا الظلم الذي تعيش فيه ٠.

⁽١) عبد الحبيد العبادى : المجمل في تاريخ الأنداس ؛ ص ٢٦ ... ٢٦ ه.

قد شداً جيل جديد كبير من المولدين ، كما كان هسذا الاختلاط مسببا قبى ضو الحركة الاسسلامية نموا مبكرا ، بالاضافة الى التغييرات التي أحبثها الفتح العربي في التنظيم الاجتماعي في الإندلس ، فقد زالت طبقة التيلاء وضف نفوذ الكنيسة وتهاوي مسلطاتها ، مما أدى الى دخول كتيرين من أفراد الطبقات التي كانت مهضومة واستردت حقوقها بالفتسح في الاسلام وكذلك المبيد الذين وجدوا في اعتناق الاسلام فرصة للتحرر وقبل الحقوق (١) ،

وصد أن أكتسبت بلاد الأندلس هذه الصفة الاسلامية ، بدأت تعبر عمير قصيها تعبيرا استقلاليا ، أذ بعد استقرار الفتح الخفت الأندلس تكوق شخصيتها شيئا فشيئا ، وتأخذ استقلالها الادارى ، بحيث تعبد في آخر العبد الأموى أهلها يولون الوالى وعلى الخفيقة أن يوافق على خلك ، ثم تم لها الاستقلال في أول عهد الدولة المباسسية بقيام الامارة المخلسة في البلاد. .

ققد استطاع أمير أموى فار من وجه الساسين هو عبسد الرحمن ابن معاوية أن يصل الى الأبدلس وأن يؤسس امارة مستقلة • وقد لقيت حقم الأمارة تأييدا من السكان الراغبين في الاسستقلال ، الأمر الذي حكمها من الصمود في وجه محاولة الدولة المباسسة للقضاء عليها ، وقد ظلت بلاد الإندلس مسبقلة تحت حكم الأمراء حرير بني أمية حتى منة ٣٩٩ هـ •

وقى هذه السبنة قام الأمير عبد الرحمن الشاك الأموى الملقب ه بالناصر » باعلان الخلافة الأموية فى الأندلس بعد أخذ رأى العلماء ورجال الدولة ، وكان ظهور المخلافة الأموية معناه أن التطور الاستقلالي علتم أقتصى ما يمكن أن يصل اليه ، وظلت هذه الخلافة الأموية حتى مستقطت حوالى نهاية الربع الأول من القرن الخامس الهجرى ، وكان

⁽¹⁾ المجل في تاريخ الأندلس : صفحة ٦١ - ٦٥ ،

متقوطها مقدمة لظهور المفاربة فى تاريخ الاسلام فى هذا الجزء الغربي. من الوطن الاسلامي •

ذلك أن ســقوط الخلافة الأموية في سنة ٤٢٢ هـ أدى الى انفراط عقد الوحدة الأندلسية ، واستقلال كل أمير بمقاطعته واعلان تفسه ملكلا عليها ، وقد بلغت الأسر الحاكمة في الأقاليم نحو عشرين أسرة مستقلة في عشرين مدينة أو مقاطعة ، ويسمى هؤلاء بملوك الطوائف • وقد أدت. هــذه الفرقة الى ضمعف الأندلس ، وعجزها عن الصمود آمام الممالك المسيحية التي أخذت تتوحد في شمال أسبائيا ، وتزحف الى الجنوب مستولية على البلاد شيئًا غشيئًا ، الأمر الذي حدا بالمعتمد بن عباد ملك اشبيلية الى الاستعانة بالمرابطين الذين ظهر أمرهم فى شمال أغريقية • فاقتحموا المجال الأندلسي وقهروا المسيحيين في موقعة الزلافة سنة ٧٩هـ ١٠٨٦ م ، ثم قضِــوا على ملوك البلوائف ووحدوا الأندلس ، لكنهم ما لبثوا أن خرجوا عن البلاد ، التي عادت الى حالتها أيام ملوك إلطوائف من النشت والضعف، ، الأمر الذي جمل الموحدين في المفرب وهم الذين ورثوا ملك المرابطين ، يوجهون اليها جيوشهم فيهزمون الأسبان هزيمة كبيرة في موقعة الأرك سنة ٥٩١ هـ ١١٩٥ م ، لكنهم ما لنشوا أن هزموا فيموقعة العقاب سنة ٢٠٩ هـ بـ ١٣١٢ م أمام الأسبان الدين دعوا الحروب صليبية تجمع لها المتطوعون من غرنسا وألمانيا وانجلترا وايطاليا • واضطروا آخر الأمر الى الخروج عن الأندلس التي تقلمني ملكها حتى انحصر في مقاطعة غرناطة • وقسد استمرت تصارع بعسالة الزحف الصليبي من ١٣٠ه الى ٨٩٧ه حيث سقطت ، وبسقوطها زال العرب والاسلام من أسبانيا (١) .

لقد أدت الدولة الأموية فى الأندلس دورا واضحا فى النــاحيـتين السياسية والحضارية • وأهم دور قام به الأمويون فى الناحية السياسية هو أنهم ظهروا فى وقت هام ، وهو ظهور الامارات المسيحية فى شــــمال.

المجمل في تاريخ الأنطس: صفحة ١٧٠ ـــ ١٩٦ .

الأندلس وسعيها لاسترداد الأرض التى فتحها العرب ، وكذلك فلهسوق الاهبراطورية النربية التى أنشأها شراان ، وقيام تحالف بين الاهبراطويهة الشراسانية وبين الاهارات المسيحية فى الأندلس ، هذا التحالف الذهن كان له هدف صليبي هو طرد المسلمين من الأندلس واسترداد البلاد التي فتحوها ، وكان ظهور الدولة الأموية تأجيلا لهذا الهدف العطيبي حتى سنة ١٩٥٧ هـ وهى السنة التي سقطت فيها غرقاطة ،

كما كان للأمويين في أسبانيا دورهم في التاريخ الثقافي ، فظهرت للثقاغة الاسلامية في مدن الأندلس مثل قرطبسة وطليطلة والسبليمية وغرناطة ، وبلفت أوجا كبسيرا من التقدم ، كما ظهر الغن الاسلامي الأندلسي في عصر الامارة واستمر على طول التاريخ الأندلسي يزهف متخذا أيضًا مثل هسذا الطابع المستقل •

وبذلك اسهمت الأندلس المستقلة في خدمة العالم الاسلامي الكبين في ناهيتيها ، سواء من الناهية السياسية أو الحضارية ، وعلى الرغم من تيامها في طرف بعيد وعلى الرغم من استقلالها التام وعدم اعترافها بالخلافة المعاسية ، قانها ظلت جزءا من الوطن الاسلامي ، وظلت مفتوهة أمام التيارات الحضارية التي كافت تتدفق زاغرة في حركة أخذ وعطاء من كل أجزاء الوطن الاسلامي •

ثم ان استقلال هذه المنطقة من غير شك أدى الى التماش كبير فيها من الناحية الاقتصادية والمصرافية ، كما أدى الى استقرار أحوالها الداخلية الى حد كبير جدا .

بلاد المغرب الأفريق

ودأت شخصية المنرب الأفريقي في الظهور منذ أواخر العصر الأموعية ولكن ظهورها انتخذ شكلا والهبحا في بداية العصر العباسي ، وقد أعان على ظهور شخصيا المغرب تفهتر المعارضة اليه واتفاذه مركزا لنشاطها على ظهور شخصيا المغرب تفهتر المعارضة اليه واتفاذه مركزا لنشاطها وكان للمعارضة أطراف ثلاثة : المعارضة الأموية ، وقد رايما كيف فرت المهي الطرف البعيد من المعرب الاستلامي ، واستقرت في الابدلس وأسست لها لهيد دولة مستقلة على يد عبد الرحمن الداخل ، والمعارضة المعروضة الشيعية ، وقد توزعنا بين المشرق والمغرب ، ولكن ججالها في المعرب كان أقرى منه في المشرق .

ونلاحظ أن المارضة الخوارجية كانت تلجأ دائما الى المساطق المتبرى قف المبرى فى المعرض المان تتفق روح أهلها مع مبادى المديمة الطية ، غنراها فى المبرى فى فلاعصر العباسى تنتشر فى مناطق القبائل الغربية حيث الروح القبلية النواغة المالية والمي المعربة والى المادى الديمقراطية ، وفي الجنوب في البين وعماد (١) عوفي الجنوب في البين وعماد (١) كما تظهر فى المغرب الأهريقي هيث المقبائل البربرية التي تسودها هذه الروح القبلية و واذا كان التشار المبادى الشيعية في المعرب عن الميول المارسية ، غان انتشار مبادى الموارج فى المغرب كان تعبيرا عن الميول المارسية ، غان انتشار مبادى، المفوارج فى المغرب كان تعبيرا عن الميول المارسية التي التي العربة كالقبائل العربية ،

وسكان أفريقية من حدود مصر الغربية الى المحيط الأطلسى وهم من أطلق عليهم اسم «البربر» جنس خشن غضوب ، محارب ، شديد الغيرة على عربته ، يشعب العرب الى حد كبير ، وصفهم القائد العربي موسى بن نصير فقال « البربر أشبه المعجم بالعرب ، لقاء ونجدة وصبرا وغروسية () » ، وهم مثل معظم القبائل العربية في مبيشتها فى الجزيرة، بعد رحل يعشون في أرض محدودة ، ويشبنون الحروب على نهب طريقة المتبائل العربية ، وهم كالمرب قوم ألموا الاستقلال منذ القدم، لأن الاحتلال الروماني لبلاد الشمال الأفريقي غل مقصورا على الساحل، شم هم كانوا فيحياتهم السياسية والاجتماعية يتبعون نفس النظام الذي

⁽۱) ابن الاست. : ج ۷ ، جن ۱۳ ، ۱۳۵ ۲۷ ، ۱۷۱ ، ۱۵۱ ؛ ۱۸۱ ، ۱۹۲ ، ۱۷۰ ، ۱۷۰ ،

⁽٢) تقس المسدر : من ٢١١ ،

⁽٣) ابن عدارى : البيمان الغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

كانت تماوسه القبائل العربية وآعنى به الديمقراطية فرؤساؤهم من أنفسهم على أساس المناقب الشريفة (أ): ومن ثم وجد العرب فيهم عند فتح شمال أغريقيا ندا شديد الشكيمة ، ولم يستطيعوا التغلب عليهم الا بعد أن أشمروهم بتقديرهم لهم واحترامهم لكريائهم ولم يعاملوهم كمعلوبينية مل كاخوة على قدم المساواة ، والويل لمن كانت تحدثه نفسسه من ولاقا الدولة بعس كريائهم ، فقد هيا الفرور ليزيد بن أبى مسلم عامل أفريقية في يحدد يزيد بن عبد الملك أن يعام مم معاملة العبيد فوثبوا عليه فتتلوه (٧)

وقد اتست سياسة الدواة الأموة بالتمسب للمرب على غيرهم اس الشموب ، كما اتست سياستهم الاقتصادية بالشدة ضد الشموب المخلوبة ، هذه السياسة التي رسمها المجاج بن يوسفة الثقفي وأنفذها عمل الدولة في كل الأقاليم ، وهي ابقياء الجزية على من أسلم من الموالي ، وذلك لأن امتداد الحركة الإسلامية كان قد الشيند ، وأخذت أعداد كبيرة من أهل البلاد المفتوعة تدخل في الاسلام ، عقلت مواد يبت المبال بسب قص الجزية ، ولمبا كانت في حاجة شديدة الى المبال لتواجه المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تواجهها ، فقد حرضت يعلى ابقاء هذه الموارد ، كما اشتطت في جمع الخراج وزادت من مقاتل الجزية ، الأمر الذي أغضب أهل البلاد المقتوحة وآثارهم ضد الدولة ،

وقد وقع هذا الجورعلى البربر فشمال أفريقية ، هيث عاملهم عبيدالله ابن الحبطب عامل هشام بن عبدالله معاملة قاسية « أراد أن يخمس مسلمي البربر وزعم أقم في المسلمين ، وذلك شيء لم برتكيه أجد شيله () » واستولى على معظم قطعان أغنامهم وذبحها ليحسل منها على المحسوف الأبيض الذي أغرم بلسه أهل دمشق ، بل لم يكتف بتجرياهم

⁽۱) دوزی: تاریخ بسلامی اسبانها (ترجیه حسن حبثی) ، ع ۱ ٪ حس ۱۱۰ (۱۱ میلان) ، وانظر عن التنظیم القبلی ، احید ابراهیم الشریفا تن حکة والمدینة فی الجاهلیة وعهد الرسول ، حس ۲۲ س ۳۰ ، (۲) الطبری: ج ۲ ٪ می ۲۲۷ وظیمة دار المارفا) ،

⁽۲) الطبري علم المراك علم المراك المستري المراكب المر

هن هذه القطمان التيكانت أهم مصادر حياتهم ، وانما اغتصب الجميلانته، عن بناتهم وأرسلهن الى الشالم ليخدمن في القصور (١) •

وظل البربر يكظمون غيظهم آكثر من خسس سلنوات يجمعهونه. ولا يتصحون ، ويطوون صدورهم على سخائم لا يمنعهم عن كشفة-دفيها فير الخوف من وجود جيش كثيف () .

الا أنهم كانوا يتهيئون للثورة التي اتخذت مناهرا دينيا أكثر هفه سياسيا ، ذلك أن النسحب البربرى في بساطته متدير بطبعه ، شديد الايمان فيما يمتقد مسرف في توقيره للمتديني ، ولم يكن ينظم قبائلهم على حركة عامة الا شخصية دينية ، ولهذا لم يقدر للبربر أن يلمبوا دورا هاما على مسرح السالم الاحينما حركتهم شخصية دينية هي شخصية للرابطين ، وهم قد أسلموا فيادهم من قبل لامراة متنبئة سهي الكاهنة ساكنوا يمتقدون أن لها قوة خلاية غوق الطبيعة ، قادتهم زمنا في صراعهم. ضد العرب في أيام الفتح .

قى ذلك الوقت كان الاسسلام سائدا فى افريقية ، فقد تقيدم بعضلى سريعة فى أيام الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ، حتى ليقول المؤرخ ابن عبد الحكم انه لم يبيق فى عهد حجر بربرى واعد لم يحتنق الاسلام ، وقد يكون فى هذا المقول بعض المالفة ، وقد لا يكون كثيرون دخلوا الاسلام عن اقتناع وأن المنفعة الشخصية لعبت دورا كبيرا فى هذا الوقت ، اذ أن عمر بن عبد العزيز كان أهم غاية له فى حياته أن ينشر الاسلام فى كل بقاع الدولة التى يحكمها العرب ، غلم يدخر وسما فى المسطناع كل وسيلة تؤدى الى زيادة عدد المسلمين ، وكان يكفى عنده أن يعول المر و رأن محمدا رسول الله » لترفع عنه المرة « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » لترفع عنه المرة المسلمين ، وكان يكفى عنه أن

⁽۱) اخبسار مجمسوعة : ص ۳۱ ، ۳۲ ، ابن مذارى أرج ۱ ، ٠ س ۳۹ ،

⁽٢) دوزي : ج ١ 6 ص ١٤٤ ،

البجزية ، تاركا للزمن أن يقوى من إيمان هؤلاء المسلمين المجدد الذين
 .خطوا في الاسلام على هذه الصورة الهيئة .

ولقد أكدت الأيَّام بعد نظر الخليفة الورع ، وبخاصة فيما يتعلق بسكان الشمال الأفريقي ، اذ لم يلبثوا أن ألفوا الاسلام وتعلقوا به وأصبح أعز ما لديهم • وهم حين دخلوا الاسلام دخلوه ببساطة البدوى الساذج ، فلم يعهموا بطبيعة الحال قضاياه الدقيقة التي تطرب لها العقول المثقفة ، ولكنهم فهموا منه جانبه العاطفي القومي ، ووأغق هوى في تفوسهم ما يدعو اليه من المساواة والعدالة • فلما افتقدوا تلك المساواة موالمدالة نمي حكم عمال بني أمية بمد عمسه عمر بن عبد العزيز العازوا الى جاب اللخوارج الذين اتجهو الى المغرب بعد أن عصفت بهم الدولة غي المشرق ، فوجدوا في الشمال الأفريقي البعيــــد ملجأ يتخفون فيه ، رويرجدوا فيه تربة صالحة لزرع مبادئهم ، فصادفوا فجاحا منقطع النظير • واذا كان المشرق الاسلامي قد ضاق بشدة الغوارج وتعصيهم ، فان سكان الشمال الأفريقي تلقوا آراء الخوارج في حماسة بالغة دون بعث عِن أَفْضِل الجِماعات التي يتصلون بِها ، فلم يكن يممم أنْ تُكُونُ هذه اللغيماعة حرورية أو صغرية أو اباضية ، وانما أخذوا ميسادىء الخوارج عموما أخذا قويا لاجتضائها للالمكار الثورية الديمقراطية ، والتى تقنعهم يؤن مضعهديهم ملعونون وسيكون مأواهم النار .

ولم يكن الخلفاء جميعهم بعسه عمر بن الخطاب فى نظرهم ــ ســـوى منتصبين كفرة ، ومن ثم لم يكن من الاجرام أن يثوروا ضــــه الطاغية الذى سلبهم متاعهم ونساءهم ، بل عدوا ذلك هقا واجبا عليهم

ولما كان الدب قد نحوهم حتى ذلك العين عن السلطة ، ولم يتركوا لهم الا ماعيز, اعن ادارته من خكومة القبائل ، فقد أصبح من اليمدير عليهم أن يفهموا أن عقيدة مسيادة الشعب التي ينادى بهما الخوارج سدوهي العقيدة التي مارسها البربر من زمن بعيد في استقلالهم

القبلى ... إنما هى العقيدة الإسلامية الخالصة و ولما كان هذا الشبيب الذي أسرف عسال بني أمية فى الفسط عليه ، قد آثاره متعصب بن أنساف وعاظ وأنطاف محاربين وكانت لهم ترات قديمة مع الجساعة المساة بأهل الجماعة ، فقد كان فى طريقه الى تحطيم ذلك النير باسسم الله ورسوله ، وباسم هذا الكتاب الكريم الذي يعتمد عليه الآخزون ، افتتاتا في قيام استبدادهم الجائر (") ه

كانت النفوس ثائرة اذ ذلك ، ولم تكن تنتظر الا اللحظة المناسبة. لتمتشق الحسام ، وقد واتت هذه اللحظة هينما أرسل عبيد الله بن الحيجاب سنة ١٢٢ هـ قسما من جيشه في حملة الى صقلية • فما كادت. الحملة تبحر حتى كانبت أدنى شرارة كافية لاشعال تار الثورة ، ولقسد جاءت هذه الشرارة في صورة عمل طائش قام به عمر بن عبد الله حاكم. شمال مراكش من قبل ابن الحبجاب ، اذ أمر بربر اقليمه بدفع العصرية مضاعفة كأن لم يكونوا مسلمين ، فسرعان ما انتضوا السلاح ، وحلقوا: شمورهم ورغموا القرآن على أسنة رماحهم كما جرت سنة الحوارج (٢)٠ وتداعت البلاد بأسرها مسلمها وكافرها وعظم البلاء ، وقدم من بطنجة من البربر على أنفسهم واحدا منهم هو ميسرة السقاء المدغوري وكان. خارجيا صغريا ، وهاجموا مدينة طنجة واستولوا عليها وقتلوا حاكمها ٠ ثم بايموا ميسرة بالنخلافة وخاطبوه بأمير المؤمنين ، ولكنهم حين أحسوا منه عجزا تتلوه وولوا عليهم غيره رجلا منصنهاجة . وظهرت الخوارج ف كل أغريقية ، الأمر الذي حمل الوالي على استدعاء قواته. من صقلية ، ودارت بين العرب والبربر معارك طاحنة كان أهمها معركة الإشراف التير اتتصر فيها البربر وقتل حماة العرب وفرسانهم ﴿ وَالتَّقَصُّتِ البَّلَادُ وَخُرْجٍ أمر الناس » (٢) وغدت أفريقية كما يقول دوزي أشب بقارب منساب

⁽۱) دوزی : ج ۱ ، ص ۱۶۱ ، ۱۶۷ .

⁽٢) أخبسار مجموعة : ص ٢٢ ،

⁽٣) ابن الاثير: ج ه ، من ٧٠ .

إلميس له شراع أو ربانِ ، فقد خلع العرب طاعة عبيد الله وعنفوه ـــ يعقيف لأنه هو الذي جر عليهم كل هذه النكبات الجسام (١) •

لم يهذأ الصراع بين العرب والبربرانى أفريقية بِليلة الأيام الباقية من حلكم الدولة الأموية ، فلما قامت الدولة العباسية استمر البربر في ثورتهم. ولم يكن خروج البربر علىالأمويين والصاسبين يمثل خروجا على الدين ، وانما كان خروجا على السلطة الحاكمة ، لظلم الولاة وفرضهم الضرائب الفادحة عليهم ، ونزعة منهم الى الحكم الاستقلالي الذي كان أساس حياتهم أزمأنا طويلة ، وفي العهد العباسي المضم كثير من العرب , الساخطين على العباسيين الى البربر ، فقد خرج محمد بن الأشعت والي أقريقية على المنصور يرفولي المنصور أمر هذه البلاد الأغلب بين سالم بين عقال التمييمي وهو أبو ابراهيم بن الأغلب الذي أسس دولة الأغالبــة ، فقدم الأغلب القيروان سنة ١٤٨ هـ ، ولكن البربر ثاروا عليه بزعامة قواد من العرب وقتلوه بعد معارك طاحنة على أبواب القيروان سنة ١٥٠ هُمَّ وقبره هناك يعرف بقبر الشسهيد ، فولى المنصور أفريقية أبا جمنر عمر ابن حفص من آل المهلب ، فاستطاع أن يقر الأمن في البلاد ثلاث سنوات، ما لبث البربر من الاباضية والصفرية بمعها أن ثاروا واشتعلت الثورة في أفريقية كلهـــا (٢) • ويقول موير « ان آفريقية كادت تخرج عن طاعة العباسيين في معظم عهد المنصور ، وان البربر والعرب النازلين فيها مالوا الى مبادىء الخوارج ، وخلموا طاعة العباسيين الذين أخذوا يرمـــــــــاون اليهم الجيوش تلو الجيوش لاخضاعهم ولكن بدون جدوى ، واستمرت مدينة القيروان تستقط في أيدي الثوار حينا وفي أيدي العاسيين حينا آخر ، حتى استطاع المنصور قبيل فهاية خلافته أن يرسل اليها جيشا جرارا أَتْمِي الأَمْن في البلاد الى حين » (٢) ويقول ابن الأثير «كان بين الخوارج

الاوزى : ج إله ٤ من ١٤٩ .

⁽۲) ابن الائت : ج ه ، ص ۱۷۷ ، ۱۲۲ ، ۱۲۲ (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱) (۲۱)

والبجنود (العباسيين) من لدن فاتلوا عمر بن سقيص البي انظشاء أمرهم: ثلاثمائة وسبعون وقعة.» (') •

واستمرت قبائل البربر تناوى، سلطان العباسيين حتى سنة ١٨١ هـ حتى أدوك العباسيون أن فوزهم على البربر أمل لا سبيل إلى تعقيقه ، ضراجعوا عن المفرب الأفريقي ، مكتفين باقليم توفس الذي أقاموا فيسه دولة حاجزة ما لبثت هي الأخرى أن استجابت للحركة الاسستقلالية ، فاسستقلت بأهرها اسستقلالا يكاد يكون تاما عن الخسلافة العباسسية مع الاعتراف لها بالسيادة الأسمية ،

واقطى هذا الصراع الطويل بين السلطة المركزية وبين البلاد التى نوعت الى الحكم المستقل تحت شعار الموارج ، الى قيام ولايات من المربر على يد زعماء من سلالة العرب استقلت استقلالا تاما ، ومن هذه الويلايات : ولاية تاهرت التى أسسها عبد الرحمن بن رسستم بمساعدة الاباضية (١٣٧ ــ ٢٩٧ هـ) وولاية سجلماسة التى أسسها بنو مدرار إلا ١٦٧ ــ ٢٥٧م) وتلمسان التى أسسها أبو لمروة المنهاجى ، وبرغوانة الواقعة على ساحل المحيط الإطلسي ،

لكن الحكم في المفرب الأفريقي في الحقيقة انقسم من دولتين هما الدولة الادريسية التي أسسها ادريس بن عبد الله العلوى في بلاد المغرب الأقصى (١٧٧ - ٢٧٥ هـ) ودولة الإغالبة التي أسسها ابراهيم بن الإغلب في تونس (١٨٤ - ٢٩٦ هـ) الى أن قامت في المسرب دولة شسيمية لشمت المغرب الاسلامي كله ما عدا الأندلس ، هي الدولة المقاطميسة (٢٩٨ - ٢٥٠ هـ) وهكذا نجد المغرب الأفريقي خفسم لعاملين همسا المامان المقومي والعامل المذهبي ، وقسد تساند العاملان معا في استقلال هذا المغرب وناه شخصته الاسلامية .

⁽١) ج ٥ ، هن ٢٤٢ ، حسن ابراهيم : ج ٢ ، عن ١٧٨ .

الغرب الاتصنى

بولة الأدارسية

كما لبعات المعارضة الخوارجية الى المنرب ، كذلك لبعات البعد فلمفارضة العلوية التي فرت من وجه الفلاقة العباسية ، وكان الخوارج أسبق من العلويين في المنرب ، وقد استطاعوا ، كما أوضحنا ، أن يقنعوا فلر بر النزاعين إلى الاستقلال بعدم شرعية العكومات الأموية والعباسية ، الد أنها ورثت ملطانا لا يقوم على أساس الحق ولا على أساس المبادئ ، الاسلامية ، وأنها مختصبة تجب مقاومتها ، فلما وصل دعاة الشيعة الى المغزب دعوا الى نفس الفكرة وهي عدم شرعية سلطان المضلفة العباسية والأموية من قبلها ، وزادوا أن صاحب الحق الشرعي هم آل البيت أبناء المنابق من ابنته غاطمة وهم الذين ثاروا في وجه الظلم وقتلوا في سبيك القرارالحق ، غاكتسبت الدعوة عطف البربرالذين كانوا بطبيعتهم موقرين القرار الدين معظمين للاولياء الصالحين ، والذين يدعو لهم الشيعة هم أثمة ورثوا علم المنبوة المع أثمة ورثوا علم المنبوة عوم أنهم من نبطها ، فكان أرض المغرب قسد نعرثها الشوارج للشيعة ، وحين قدم دعاة الشيعة كان سلطان الخوارج قد زال فاتنعوا بغرسهم ، ولم يتمرضوا المعارضتهم ،

والمارضة العلوية للعباسيين نشأت مبكرة منذ تيام الدولة العباسية ، والقد كان التحالك بين العلويين والعباسيين يقويه الشعور المشترك بالكره لعدو متحكم هو الأمويون ، فلما قضى على هذا العدو لم يكن هباك غرورة لاستمرار هذا التحالف ، وبخاصة أن العلويين كافوا يعتقدون أن العباسيين يعاونونهم لتحقيق أهدافهم وتولى الخلاقة ، وفلسوا أن اللحوة للرضا من آل البيت انما تعنيهم هم باغتيارهم المطالبين بالخلافة ولائهم هم الذين فاروا في وجه بني أمية منذ خلافة بزيد بن مصاوية ، وتعملوا عب الجهاد وأصابتهم كل الكوارث ، وكانوا يرون أن الشيمة انما تلتف حولهم هم، لكن العباسين عين التصرت الثورة استولواعلى الخلافة وتشكروا للعلويين ، بل الهم ادعوا انهم أصحاب الحق الشرعي غها ، وأن حقهم في ميرات النبي أقوى من حقوق المالويين و واعتقد العلويون أن النباسيين خدعوهم واغتصبوا الخلافة منهم ، فظلوا على دعوتهم ونشاطهم، وقاموا بثورات كثيرة أولها ثورة الشقيقين : محمد الملقب بالنفس الزكية وأخيه ابراهيم ، وهما أبناء عبد الله بن الحسن بن على ، ولكن المنصور أخضم هذه الثورة في عنف شديد وقتل محمد في المدينة سنة ١٤٤ه م وقبل أخاه ابراهيم في « باخيرى » بين الكوفة وواسط سنة ١٤٥ه هـ (١) ، وقتل العلويون من العباسيين شرا مما لقوا من بني أمية ، فظل العلويون في يتبعونهم بالسحين والقتل ، حتى فروا الى شورون وظل العباسيون يتبعونهم بالسحين والقتل ، حتى فروا الى أطراف العالي الاسلامي ،

وفى سنة ١٦٩ هـ ثار الحسين بن على بن الحسن على عامل المجاسين بالدينة فى عهد الهادى العباسى ، لما الدق همذا الوالن بالملويين من أهله ، وحدثت بين الطرفين موقعة بين المدينة ومكة وعلى ستة أمبال منها تعرف بموقعة (فخ) قتل فيها الحسين وعدد كبير من أغراد البيت الملوى : وقد شابهت هذه الموقعة هادث كربلاه فى المهدا الأموى ، فقد أوشك البيت العلوى فيها على التفاعى () ()

ذر من هذه الموقعة ادريس بن عبد الله وأخوه يحيى بن عبد الله المفارخير فقد الجولة على المفرق هيت لجأ الى الديلم الذين التفوا حولة حتى اشتدت شوكته وكثرت جموعه ، وآناه الناس من كل الأمصار مما يدل على عقف الناس على الشيعة وجهم لهم ، وأصبح يعيى شجى فى حتى الدولة المباسية حتى استطاع الفضل بن يحيى البرمكى قائد الرشيد أن يصالحه باسم الرشيد ويستنزله على الأمان ، ولكن الرشسيد غدر به وسجنه (٢) ،

 ⁽۱) أنظر : الأمسفهائي : مقاتل الطالبيين ، عن ٢٦٠ سـ ٢٧٠ ٢٠ من ٣١٠ - ٣٨٠ .

⁽٢) متسائل الطساليين : ٣١ = ٢٦ . الطسيري : ج ١٠ ٪ ص ٢٤ - ٢٠ . ابن الاتخير : ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٤ . المضسري : ١٧١ . ابن كلسير : ج ١٠ ، ص ٤٠ .

⁽٣) أبن الأثير : ج ١، ٤ ص ٣٤ ــ ه٤ .

وأما ادريس غانه اتجه نحو المغرب الأقصىحيث التف حوله البربرع في اقامة أول دولة علوية وهي الدولة التي نسبت اليه «دولة الأدارسة»؛

وافق وصول ادريس الى المغرب نشاط الحركة الاستقلالية في هذه البلاد ، كما وافق أيضا ظهور القوات الساسسية على الخوارج وكسر شوكتهم ، فلما وصل ادريس استطاع أن يضم حوله البرير الذين وجدوا فيه ثائرا على الدولة التى يكرهونها : كما كان يمثل عندهم روح الاسلام التي لا تقر الظلم ، ويرضى بنسبه الشريف الى النبي عاطفتهم الدينية ، فانضوت الحركة الاستقلالية تحت لواقه ، واستطاع أن يكون له الهارة مستقلة غلت ترث النفوذ حتى سنة ٧٧٥ هـ ، وكافت من أطول الاماوات المستقلة غمرا ، اذ كانت معاصرة النفوذ الفاطمى في المغرب ، ولنفوذا الخلافة الأموية في الأفداس •

وكان الأدارسة يمبرون تعبيرا مسميها عن شعور البربر أهل البلادة الأصليين ورغبتهم العقيقية في الاستقلال ، فقد كان ادريس لا يعتمد الا على نسبه العلوى ، أما جنوده ورجاله كلهم فكانوا من أهل البلادة الإسسادة .

وأدرك هارون الرشيد أن الاحتفاظ بأفريقية بالقوة لم يسد في الاسكان ، فلجأ الى السياسة ، فأقام دولة موالية للخلاقة العباسية ، تكون حاجزة من أملاك الدولة العباسية في المغرب الاسلامي ، وبين هذه الامارة النائشة التي أخذت تبدد خطورتها وتهدد بالتهام الشمال الأفريقي كله ، كذلك عهد الى ابراهيم بن الأغلب بولأية تونس التي نجح في الاحتفاظ بها ، ليقف في وجه الأدارسة إذا أرادوا الاضارة على أملاك الدولة المباسية الواقمة في شرق دولتهم () ، كما كاد لادريس بأن دس له من قتله بالسم سنة ١٧٧ هـ () ،

⁽۱) ابن الاتهبير : ج ۲ ، ص ۲۵ ،

۲۱ الطبری : ج ۱۰ ۵ می ۲۹ .

على أن مقتل ادريس لم يقف جهود العلويين في بلاد المضرب ، ولا يقد المساويين في الحركة الاستقلالية فيها ، فقد كانت له آمة حامل ، فانتظر أشياعه حتى ولدت ذكرا أسموه ادريس والتفوا حسوله فكان ادريس التاني هذا المؤسس الحقيقي لدولة الإدارسة ، فقد اشتد أمره واتخيذ لدولته عاصمة جديدة هي مدينة فاس التي أسسها سنة ١٩٢ هـ (ا) .

وعجز ابراهيم بن الأغلب عن القضاء على الدولة الأدريسية بالقوة فى عهد ادريس الثانى . فلجأ الى اقدس لتفريق البربر عنه ، ولكن الأمر النهى بين الطربين بأن يكف كل منهما عن الآخر من فاحيته (٢) .

وقد حكم بعد ادرس الثانى تمانية من الأدارسة كان اعلمهم قوة وأعلاهم قدرا هو يحيى الرابع ابن ادريس بن ادريس بن عمر (٢٩٢ - ٣٩٠ هـ) الذى امتد ملكه على بهيع بلاد المرب الأقصى ، وكان كسا يصف السلاوى ه واسطة عقد البيت الادريسى ؛ أعلاهم قدرا ، وأبعدهم ذكرا ، وأكثرهم عدلا ، وأغررهم فضلا ، وأوسعهم ملكا ، وكان فقيها حافظا لنحديث ، د، فصاحة وبيان ، بطلا شجاعا حازما ، ذا صلاع ودين وورع(٢) » ، وفى أيامه ظهر الفاطعيون فى شمال أفريقيا ، وأخسدوا يمدون بتموذهم فحو المفرب حتى وصلوا الى بلاد الأدارسة ومدوا مسطافهم عليها ،

وقد حكم أمراء الأدارسة البلاد باسم الفاطبين ولكن ما لبت دولة الأدارسة أن وقعت بين خصمين متنازعين ، القاطميون فى أغريقية والأمويون فى الأندلس ، وقد بدأ الأمويون ينجون بنفوذهم الى المغرب الأفريقي فى عهد عبد الرحسن الناصر ، وأمام هذا الضيعط من الحاليين تقيقسر النغوذ الادريسي الى الريف ، ولكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ باستقلالهم فقد أصبحوا تحت نظر المتفلب على بلاد المغرب اما من الفاطميين أصبحاب

⁽١) ياتوت : معجم البلدان ، ج ١٤ ، ص ٢٣ (طبعة بيروت) .

⁽٢) أبن الأثير: ﴿ ٩ ، ص ٥ ٥ . (٣) الاستعما الأخبار المفرب الاتمى: ﴿ ١ ، ص ٧٩ (طبسع التباهرة ١٣١٠ - ١٣١١ه) .

أَفِرِيقِيةِ وَامَا مِنِ الأَمْوِينِ أَصْحَابِ الأَنْدَلُسِ (١) •

امتد حكم الأدارسة بيلاد المغرب من السوس الأقصى الى وجران ، وكانت حاضرتهم مدينة فأس التي بلغت حدا كبيرا من العمران والرقي وأصديمت مركزاً من مراكز الثقافة الاسلامية • وقد زال ملكهم بعد أن حَكُمُوا أَكْثَرُ مَن قَرْنَينَ (١٧٢ ـــ ٣٧٥ هـ) • وقد أسهم الأدارسة في جُدِيَّة المالم الاسمادي في ناحيتهم ، فهم الذين ثبتوا البرير على الاسمار ، ويجتبرون بحق المهدين لظهور البربر فالمجال الاسلامي ظهورا وأضحاء فان البربر لم ترسخ قدم الاسلام بينهم الا بعد أن اتخذ شكل حكومة قومية ، وأصبح مرتبطا بتولى دول البربر الحسكم ، تلك الدرل التي دخل في عهــدها كثير من البربر في حظيرة الاسلام ، وكانوا من قبسل يعدون قبول هذا الدين رمزا على صياع الاستقلال السياسي • وكان غلهورر الأدارسة وحكمهم للمغرب حكما قوميا مقدمة لظهور المرابطين الذين كان ظهورهم يمثل حركة قومية عظيمة ، جذبت عددا كبيرا من قيسائل البربر فحو الإندماج في الأمة الاسلامية . وقد قام الأدارسة بدور كبير جدا في انتشار الاسلام في غرب أفريقيا ، وينسب اليهم الفضل في القيام بحركة تبشيرية في حوض السنغال استمرت بعد ذلك في عهد المراطعين حتى شملت الهريقيا الغربية كلها (٢) • كما أن مدينة فاس عاصمة الأدارسة غلهرت غلهورا ثقافيا واضحا وأصنحت هي ومدينة القيروان تمثلان نموذجا للمدارس الإسلاميه في المغرب .

تو أس يولة الإغاليـــــة

كان مظهر الحركة الاستقلالية في تونس يتمشل في قيام امارة

الأغالبة الذين ظلوا يعكمون تونس منذ سنة ١٨٤ هـ حين ولي الخليقة هارون الرشميد ابراهيم بن الأغلب منطقمة تونس ، واعترف به أميرا مستقلا بامارته تنحت ظل الخلافة العباسية ، ثم ظل أبناء ابراهيم يتوارثون الحكم بعده معترفين بالسلطان الأسمى للخليفة العباسي • وظلت الحركة الاستقلالية واضحة في عهد الأغالبة حتى سنة ٢٩٦ هـ وهي السنة الثي هجعت فيها الدعوة الفاطمية في بلاد الغرب واكتسمحت الامارات المغربية كلها ، وقامت الخلافة الفاطمية في الشمال الأفريقي •

أقنعت الحركات الخوارجية ثم العسلوية التي قامت في الشمال الأفريقي الخليفة هارون الرشيد بأن انفصال المغرب عن الدولة العباسية وأصبح حقيقة واقعة ، فاستجاب للعرض الذي قدمه ابراهيم بن الأغلب ــــ وكان عاملا على اقليم الزاب من قبــل ابن مقاتل والى أفريقية من قبـــلا العاسيين ــ وهو أن يعهد اليه الخليفة بولاية أغريقية على أن يوهر لبيت المسال الاعاقة التي كانت ترسسلها مصر الى أفريقية ومقدارها ممائة ألف دينار ، وأن يرسل الى الخلافة غوق ذلك أربعين ألف دينار سنويا() . ﴿وَكَانَتُ مُوافَقَةُ الرَّشِيدُ عَلَى هَذَا المَرضُ تَعْنَى الاعتراف باستقلال أَفْرِيقِيةً تنحت حكم ابن الأغلب استقلالا جزئيا عن الخلافة العباسية ، ومما يؤكُّد هذا الوضع الجديد الذي وافق عليه الرشسيد لقب الامارة الذي اظلقه المؤرخون كثيرا على بني الأغلب (١) ، كما يؤكده قيام كل خليفة عبانتي هديد باقرار الأمير الأغلبي على ولاية أفريقية (٢) • وكانت السياسة التي البتدأها هارون الرشيد وسار عليها الخلفاء من بعده فيما يختص بأفريقية ، سياسة أملتها الظروف في هذا الطرف البعيد ، وكانت هي نفس السياسة التي جرت عليها الدولة العياسية في كل الأقاليم اليعيدة التي كانت تنزع الى الاستقلال أو التي كانت الدولة تعجز عن حكمها حكما مباشرا ، وهي اقامة أسر حاكمة تحكم باسم الخلافة ، وهي سياسة مرنة توفق بين مصلحة

⁽١) ابن الاثير : ج ٦ ، ص ٥٦ .

 ⁽٢) أبن الأثير: ج ٢ ، من ٧٥ ، ١٢١ ، ١٨٢ .
 (٣) أبن الخطيب: أعمال الأعلام: التسم الثالث ، من ١٦ .

المخلافة ومصلحة أهل الاقليم النواعين الى الاستقلال. • كما كانت المظروف الخاصسة بأفريقية هى التي جعلت الرشسيد يقيم هذه الامارانك المستقلة ، فقد رأينا من قبل كيف كانت ثورات أهل أفريقية على حكم المخلافة ، وعجز جيوش الدولة فى قهرها ، ثم كيف استطاع ادريس العلوى اقامة دولة له بالمغرب الأقصى أيدتها قبائل البربر ، وكيف كان يتطلع الى توحيد المغرب الاسلامى كله واقتطاعه عن الخلافة المبامسية نحى لقد راسل أهل مصر (١) ، فأقام الرشيد هذه الامارة المستقلة لتكون حاجزا بين ألماع الأدارسة وعن البلاد الواقعة شرق دولتهم •

والا تنك أن هذه السياسة من الرشيد كانت تنطوى على بعد نظر مياسى ، اذ قيام هذه الامارة يرفع عن كاهل المخلافة متطلبات الدفاع عن هذا الاقليم البعيد الذي كان عرضة دائما لهجمات الروم من ناحية البحري كما كان عرضة لمجركات المتعلمين من راغبى الاستقلال ، وكان ارسيال الهجيوش الساسية اليه من المشرق أمرا صعبا يتكلف نفقات طائلة لبعسد المسافة بين المراق مركز الدولة وبين هذه الاقاليم البعيدة ، الأمر الذي يجهل الدفاع عنه بواسسطة جيوش الخلافة قليل الفاعلية ، ومن ناحية أخرى فان هدده الأسرة الحاكمة فضلا عن ارضائها للنزعة الاستقلالية لوطل البلاد ، ستعمل بطبيعة الحال على اقرار الأمن لدوام حكمه ، ومنتكيف الخكم بما تقتضيه الظروف التي تواجهها ، وستعمل على تنمية موارد المنطقة المحلية للقيام بمتطلبات الحكم في الاقليم والدفاع عنه ، وقد رأينا كيفا عرض المراهيم بن الإغلب تنازله عن الاعانة التي تعلمها مصر لولاة هدذا الاقليم ومقدارها مائة الله دينار ، فوق المؤلخ بأربعين ألف دينار ،

ولقد أثبت ابراهيم بن الإنحلب أنه حاكم ناجح ، فقسد استطاع أن يوطد الحكم فى أسرته وأن يقضى على الثورات التى قامت فى اقليمه ، كما استطاع أن يوقف طموح الإدارسنة لوآن يعقد معهم أتفاقا على أن

⁽١) المسرب الكبي : ص ٢٧٤ .

يكف كل منهما عن الآخر في ناحيته ، ويقول عنه ابن عدارى « لم يله افريقية احسن سيرة منه ، ولا سياسة ، ولا أراف برعية ، ولا أوفى بعد ، ولا أراف برعية ، ولا أفريقية في أيامه » (¹) •

وقد اتخذ ابراهيم مدينة القيروان عاصمة لولايته ، ولكته ما نبت. أن شرع في سنة ١٨٥ هـ في بناء مدينة القصر القديم التي تقع أطلاليسا على بعد ثلاثة أميال جنوبي القيروان ومسماها العباسية تعبيرا عن ولائه للعباسين ، واقتقل اليها بأهله وعبيده (١) ، وذلك ليكون في مدينسة يتوفر له فيها جو الثقة بين أهله ومن يتن فيهم ، وهو بدلك يسمير علمي سنة المحكام الكبار، في ذلك العصر ، حيث كانوا ينشئون لدولهم عواصم ملكية غير المواصم القديمة التي كانت تفسم طبقات قد لا يتوافر فيها الاخلاص لهم ، وقد رأينا كيف ترك العباسميون الكوفة واتخذوا لهم الهاشمية مقرا ، ثم كيف أنشأوا بغداد في عهد المنصور ، ثم ساهرا في عهد المعتصم ، وكيف تركوا الفسطاط وأنشأوا العمكر في محمد ، وكيف بني محمد بن عبد الرحين الناصر مدينة الزهراء (١) ، ثم كيف بني محمد بن أبي عامر مدية الزاهرة (٤) ،

وقد استطاع بنوالأغلب من بعد ابراهيم أن يقضوا على كما الثهرة ات التي قامت في أفريقية ، وأن يوطدوا الأمن بصورة آكثر الى حسد كبير جدا عما كان عليه الحال من قبلهم ، كما استطاعوا أن ينموا موارد الاقليم لتسد النفقات الحربية الهائلة التي تطلبها التصدى لتحركات الروم شسد الساحل الأفريقي ، ولم يكتفوا باتخاذ موقف المدفاع ، بل الهم قاموا بعملات بحرية ناجعة آدت الى فتح صقلية وماللة ،

⁽۱) ابن عذاری : ج ۱ ، مس ۱۱۹ .

⁽٢) أبن الاثير في الم 5 من ٥٦ . المفرب للكبير ، من ٢٧٥ .

⁽٣) المجمل في تاريخ الانداس : ص ٣٨ -.

⁽٤) نفس الرجع : من [١٩] ،

كان الساهل الأغريقي مفتوحا أمام الأساطيل الرومية التي كانت
تتخذ قواعدها في الجرر القريبة منه ، في صقلية ومالطة ، ولقد كانت
المائك دائمة بين البحرية الاسلامية والبحرية البيزنطية منذ فتح العرب
شمال أفريقيا ، وقد وجه المسلمون حملاتهم البحرية الى صقلية منذ
ولاية مع ية بن خديج ، وفي سنة ١٨٨ أرسل موسى بن نصبر حملة
بحرية لغز، صقلية ، غهاجمت مدينة سرقوصة وغنمت منها غنائم هائلة ،
وفي سنة ٥٠ ه غزا بشر بن صفوان صقلية وأصاب منها سبيا تكيرا(١) ،
كذلك غزا عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٢٧ ه مشقلية كما رأينا من غبل
لكن الثورات التي تشسبت في أفريقية بعد ذلك جعت الولاة العباسين
ينسلمون عن غزو تلك الجزيرة ، فتجرآت سمني الروم على مهاجمة
السواحل الأغريقية ، وتحول المسلمون الى مركز الدفاع بعد أن كانوا
في النصر الأموى يأخذون دوقف المبادأة ونقل المعليات الحربية سواء
منها البرية أو البحرية ألى أرض العدو ه

فلما استقل ابراهيم بن الأغلب بأمور أفريقية آخذ يعمل على تكوين قوة بحرية كبيرة لا تستطيع أن ترد هجمات الروم أو تبادلهم أعسال المقرصسنة التي يتبادلها الطرقان هصببه، ولنما تستطيع أن تقسوم معمل حقيقي لابعاد الأمسطول الرومي نهائيا عن السلط الأفريقي، بالاستيلاء على قواعده المواجه لهذا الساحل في صقلية ومالطة وسواحل إيطاليا الجنوبية والجنوبية المؤبية ، وقد نست البحرية الاسلامية في عهد الأغالبة نموا كبيرا واستطاعت أن تحقق الفرض الذي كان يرمى اليه ابر الأغلب ،

⁽١) المغرب الكبي : ص ٣٨٥ ٠

⁽ م ۲۷ _ العصر: العباسي)

الامام مالك . وقد أراد زيادة الله أن يصبغ الحملة بصبغة الجداد الديني ، وقـــد كان أهل أفريقية في ذلك الوقت قد تفقهــوا في الدين الاسلامي ، وأصبح منهم العلماء والفقهاء ، وانتشر بينهم مذهب مالك الذى أصبح لديهم ليس مجرد مذهب ديني فحسب وانما اصبح لهم وطنية وعقيدة . وساعدت الأربطة ... وهي أماكن محصنة ينزلها المقساتلون المعدون للدفاع عن الثغور والمتطوعون الشسجان والمستشهدون التقاة الذين يرغبون في القتال في سبيل الله (١) _ على تكوين طبقة من الصالحين الذين كرسوا حياتهم للجهاد ضد الروم • ولذلك خرج مع حملة أسد ابن القرات «أشراف أغريقية من العرب ، والجند ، والبربر ، والأندلسين، وأهل العلم والبصمائر (٢) » واسمتمرت الحملة الأنحلبية على صقلية منذ سنة ٢١٢م تقوم بعزو الجزيرة ، والمتتاح مدنها الواحدة بعد الأخرى حتى تم لهم فتح الجزيرة كلها سنة ٢٦١ هـ • وفي هذا العام استولوا على جزيرة مالطة ، ثم_ا عبروا مضيق مسينا وغزوا كلابربا في جنوب شـــــبــه الجزيرة الايطالية . ومنذ ذلك التـــاريخ وجزيرة صـــقلية تحت حـــكم السلمين ، وقد تكونت بها امارة اسلامية حكمت الجزيرة في المهد الفاطمي ، وظلت تجاهد الروم حتى أسقطها النورمان سنة ١٨٥هـ () .

وهكذا نرى كيف أدى الأغالبة واجبهم نحو العالم الاسلامي ، وكيف قاموا بنصيبهم في الدلماع عنه على خير ما يكون الدلماع ، لمقد دافعوا عن الثغر الأفريقي دفاعا كاجها ، بل مدوا نفوذ العالم الاسلامي وضموا اليحوزته بقعة هامة هي جريرة صقلية التي ظل يحكمها المسلمون الثقر من قرفين من الزمان كانت فيها مصدرا من اشسعاعات الثقافة الاسلامية .

 ⁽۱) انظر : محمد عبد الهادى شمعرة : بحث عن المرابطين في الثفور البرية العربية الرومية ضمن كتاب « طه حسين بمناسبة بلوغه سسن السيمين » ك ص ١٤٧ ـ ١٦٨ .

 ⁽٣) ابن عذاری: ج ۱ ، ص ۱۳ . المغرب الكبي : ص ۳۸۷ .
 (٣) عن غزو صتليسة : انظر المغرب الكبي ، ص ۳۸۵ نس ۳۹۲ .

وفي عهد الأغالبة ازدهرت الحياة الاقتصادية في أفريقية ازدهارا كبيرا لم تشهده منذ القرن الثالث الملادي ، فقد وفر لها الأغالبة الأمن الذي افتقدته وقتا طويلا، وفي ظل هذا الأمن توفر السكان على أعبالهم، فزادت المحاصبيل الزراعية ، وعمرت بالزراعات أراض لم تكن عامرة وهي الآن تبدو منطقة شبه صحراوية ، فقد عمرت المنطقة المتدة بين قمودة والساحل بأشجار الزيتون والنخيل، وانتظمت المنطقة السـاحلية بالقرى والبساتين وبخاصة الكروم التي كان يصنع من أعنابها النبيــذ ، كما كانت المنطقة الواقعة الى الشمال من قمودة مركز انتاج للقمع • كما تقدمت الصناعة ويخاصة صناعة الآلات الحديدية اللازمة للسفن ، . والسيوف والدروع والسروج واللجم ، وصناعة التحف المصمئوعة بي الذهب والفضة ، وصناعة الزجاج وكذلك ضناعة النسيج، والى سوسة تنسب الثياب السوسية الرفيعة ذات البياض الناصم ، كما ازدهرت التجارة ومخاصة في القيروان حاضرة الأغالبة ازدهارا عظيما وكثرت في يد أهلها الأموال بسبب همذه التجارة ، ويصمف الادريسي نعو القيروان ورخاءها بقوله « أم الأمصار ، وقاعدة الأقطار ، وكانت أعظم مدن الغرب طراء وأكثرها بشراء وأيسرها أموالا ، وأوسحها أحوالا ، وأتقنهما بناء ، وأنفسها همما ، وأربحها تجارة ، وأكثرها جباية ، وأنفقها سلعة ، وانماها ربعـا (١) » •

وقد اهتم الأغالبة بالصارة في تونس اهتماما كبيرا ، وآهم آثارهم مسجد القيروان العظيم الذي اختطه عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ وزاد فيه الإغالبة زيادة عظيمة ، وكذلك جامع الزيتونة بتونس ، وهو الجامع الذي يقوم بالمهمة العلمية التي يؤديها الأزهر في مصر ، فهو جامعة علمية قديمة حفظ التراث الاسلامي وما زال حتى الآن يؤدي مهمته السامية ، وقــد علمهما ابن الحبحاب في عام ١٩١٤ه ، ولكن عظمة ترجع الى الأغالبة ،

 ⁽۱) الادریسی : صنة المفسرب والاندلس (ملخوذة من كتاب نزهة المشتاق) لیسدن ۱۸۲۳ ، ص ۱۱۰ ، وانظر عن الحسالة الانتمسادیة (المفسرب الكبیر) ، ص ۲۰۷ - ۳۱۶ ،

تبلك مسجد سوسية وسورها ورباطها المشسهور، وكذلك هم الدين أنشأوا مدية العباسية ومدينة رقادة ، واهنموا بانشاء المراجل (وهي خزائات المياء يجتمع فيها المطر للشرب منه عنسد العاجة) والخزائات والقناطر اهتماما كبيرا، وبالعملة فقد كان عهد الأغالبة عهد عمران ورخاء في تونس (أ) •

أما الناحية الثقافية : فنى عهدهم ظهرت الثفافة المفرية ذات شخصية مستقلة ، فظهرت مدارس القيروان وعيرها من المدارس الاقليمية ، وفى عهد الإغالية بدأ المفرب الاسلامي يكتسب طابعا واضحا ، هو أن مذهب الامام مالك أصبح بالنسبة للمغاربة ليس مجر د مذهب ديني ، وانعا أصبح لهم وطنية وعقيدة ، وظل يدفع المحياة في المغرب ويطبعها بطابع خاص ما زال موجودا في المبلاد حتى اليوم ،

وقد ظلت الدوله الإغلبية تؤدى دورها الذى اضطامت به مى هذا الطرف الغربي حتى نجحت الدولة الفاطمية فى المعرب وامتدت الى توانس فاسقطت هذه الدولة سنة ٣٥٦ هـ ، وخلف الفاطميون الإدارسة والإغالبة فى المغرب الإفريشي ثم امتدوا شيرةا الى مصر .

مصر والشام الطــولونيون ، والافتسيديون

أصبحت مصر والشام منذ ابتداء الدولة العباسية تقريبا على لهان وحدة خاصة ، وهذه الوحدة ادارية وسياسية وثقافية ، أمن الناحية الادارية كانت الشام ومصر تابعة اولى العهد الأول الذي كانت توكل الميه ادارة المخوب فهو الذي يولى الولاة ، واذ كانت تصرفاته انما تصدر باسسم الخيفة ، وكانت الوظائف كوظيفة المخراج قد يجمع صاحبها بين وظيفته في البسام وبينها في مصر ، والواقع أن موقع مصر والشام على المجر .

⁽١١) المغرب الكبير: صن ٢٢٤ سـ ١٤٤٠ .

المتوسط كان يحتم عليهما أن يتماونا من الناحية الادارية ، ومن الناحية الحربية أيضا ، وقد كان أسلطول مصر في المصر الأموى يدافع عن الشام ، كما أن واحدا من الأساطيل المصرية كان يدافع عن أفريقية ، وقد كان الاشتراك وثيقا بين مصر والشام في الممارك البحرية التي حدثت في عهد عبد الله بن سعد ابن إبي سرح والي مصر ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام في عهد الخليفة عمان »

والارتباط الوثيق بين مصر والثمام قديم جدا يرجع الى عصد التراعة ، فقد كانا يؤلفان وحدة سياسية وثقافية قوية ، كما كان من الطبيعي أن تؤدى وحدة المصير في المهسد الطلمي والمهد الروماني الى زيادة التفاهم وزيادة الارتباط بين هذين القطرين ، فاذا لم ننظر الا الى المساخي البيزنطي القريب لوجدنا أنهما قطران كانا يدينان بمدهب ديني واحد ، وكانا يستملان لمة ادارية واحدة هي اللمسة إليونانية ، وكانا يضضمان لدولة واحدة ، وكان التجاوب ظاهرا بين كراهة أهل المسام للسيادة البيزيطية وكراهة أهل مصر لها ، ثم أن الحسدود الجمرافية بين القطرين حدود مفتوحة بخلاف الحدود بين الشام وآسسيا الصغرى التي فصله عنها جيال شاهقة ،

لهذا كانت مصر والشام تمثلان وحدة واحدة في العصر العباسي وحين بدأت الحركات الاستقلالية تظهر في أقاليم الدولة العباسسية في المصر الثاني ظهورا واضحة ، كان مظهر هذه الحركة الاستقلالية في هذه الوحدة هو قيام الامارتين المستقلاتين في مصر ، وهما الامارة الطولونيسة والامارة الاخشيدية ، وقد مدت كلتا الامارتين سلطانها على مصر وعلى الشام ، أما الامارة الحددانية التي ظهرت في شمال الشام ، فانها كانت في المحقيقة تقوم في انطقة الفاصلة بين الشام والعراق آكثر من قيامها في منطقة شامية خالصة ،

وكان مركن الحكم الطولوني والاختسيدي في مصر ، والتسام مضاف اليها ، وذلك لأن مصر بموقعها ومواردها أقوى من التسام ، وأقدر على القيام بأعباء دولة مستقلة ، وليس هذا أمرا جديدا ، وإنما هو الوضع القديم الذي كان مسائدا على امتداد التساريخ منذ العصر النموني ، لهذا فحديثنا عن الطولونيين والأخشيديين في مسر انما هو حديث عن الشام آيضا ،

ليس منشك فى أن الطولونيين والاخشيديين كانوا يشلون عنصرا دخيلا على الحياة الاسسلامية فى مصر . انما من الواضح أن الطولونيين والاخشيديين كانو ايستجيبون أو يعبرون عنحركة مصربة فومية واضحة ٤ ويكفى أن كلاحظ أن ظهسور الطولونين كان يتمشى مع تطور عظيم فى تاريخ هذه البلاد ،

هذا التطور هو انتصار الحركة الاسلامية وانتشار الاسلام ، حتى اصبح المسلمون يمثلون أغلبية في هذه البلاد ، ولولا هسذه المحقيصة لما قدر للدولة الطولونية أن تظهر في ذلك الوقت ، ولقد نأثرت مصر بأحداث العالم الاسلامي منذ فتحها على يد عمرو بن العاص ، وشاركت لهيها مشاركة قوية ، تأثرت بما جلبه المفتح العربي للبلاد المفتوحة من حرية وأمن ، وتأثرت بما دار حول الخلافة من أحداث لم تكن مصر طرفا معزلا عنها ، كما تأثرت بالسياسة الأموية ، ثم ظهرت ظهورا وانسحافي العصر العباسي الثاني مشاركة في الحركة الاستقلالية الني شسمات كل أقاليم الدولة الاسلامية ،

ظهد دخلت مصر في دائرة النفوذ العربي منذ سنة ٢٢ ه ، وبابق عليها النظام الاسلامي الذي نوسه الخليفة عمر بن الخطاب لحكم البلاد الاسلامية و وسارت عليه طوال عصر الراشدين ، الذي كان امتدادا للمصر النبوى ، وكان عصر التطبيق العسالمي لللمحوة الى الاسلام ، والتطبيق العملي لمبادى، الاسلام في بيئات غير عربيسة و وكان هدف السياسة العمرية هو الرقابة الشسديدة على الولاة ، وعدم اعطائهم ابة فرصة للاثراء على حساب أهل البلاد المفتوهة ، وعدم تمكينهم من البقا،

طويلا حتى يتكون لهم طموح خاص في الانفصال عن الدولة • ولذلك كان اختيار هم يتم من بين أكثر الصندابة غضلا وأعمقهم ايمانا ، غهم لم يكونوا ولاة أو قوادا فحسب،وانما كانوا دعاة للاسلام يُبلبقون مبادئه النظرية في أسلوب عملي ، وفي هذا العهد نظمت أمور الحكم في مصر، فاستقرت قواعد الولاية ونظمت الشرطة وأحكام الخراج واستقرت قوأعد القضاء ، ووضحت العلافات بين مصر وبين الخلافة في عهد الراشدين(أ).

وفهي عصد الراشدين أصبحت مصر قاعدة الدفاع عن المغرب ، كما أصبحت قاعدة التوسع العربي نحو الغرب ونحو الجنوب • ولذلك ظهرت البحرية الاسسلامية في مصر فننت نبوا كبيرا وتكفلت بالدفاع عن السواحل الشرقية للبحر المتوسط نسبد غارات الروم ، واستطاعت أن تحرز نصرا كبيرا على الروم في معركة ذات الصواري سنة ٣١ هـ به كما امتد منها الفتح العربي الى المغرب والى النوبة (٢) •

وفي أيام الفتنة التي انتهت بقتل عثمان ، لم تكن مصر بمعزل عن. الإحداث بل كانت طرفا فيها كالشام والعراق (٢) ، ثم كان لها دور في الصراع الذي احتدم بين الخليفة على بن أبي طالب ووالى الشام معاوية ابن أبي سفيان • ثم كانت طرفا من أطراف النزاع الذي قام بين أبن الزبير ومروان ابن الحكم .

وفي العصر الأموى تأثرت مصر بالنقلة في شئون الحكم الى يد بني أمية ، وشاركت في أمجاد العصر الأموى ، كما تأثرت بمساوئه وأحداثه ، فقد شهد العصر الأموى تطورا هاما في ادارة الاقاليم ، دلك أن قيـــام الدولة الأموية لم يكن تطورا طبيعيا اعتمد على الأجهزة الاسلامية في الحكم ، وانما وصل الأمويون الى الخلافة عن طريق القوة والاغتصاب

⁽۱) حسن محبود : الكندى المؤرخ ، ص ۸۲ ، ۸۳ . (۲) ابن الأثير : ج ۲ ، ص ۲۸ (الطبعة الثالثة) . الكسدى :

الولاة / من ١٢ . (٣) انظر ابن الأثير: الأحداث / سنة ٣٤ / ٣٥ هـ .

معتمدين على قوة الجند ووفرة المسأل ، فصاحب قيامهم فتن وصراعات دموية في كل اقاليم الدولة بين الموالين لبنى أمية والمساخطين عليهم ، ومن ثم تمكر السلام الذي كان يسود ولايات الدولة في عهد الراشدين، ولهذا كان لزاما أن تتغير الخطوط الرئيسية للسيامنة العربية في المهسد الأموى لتستجيب لهده المظروف الجديدة ،

فالسياسة الادارية مثلا تغيرت أساسيا ، فلم تعد مركزية مطلقة في يد الخليفة الذي لم يكن في مقدوره بمفرده أن يواهه المنن والثورات في كل أقاليم الدولة ، ولذلك نبت سلطات الولاة ، حتى صاروا نوابا لِلخَلِيْمَةَ فَي أَقَالِيمِهِم : يَقُرُرُونَ الضَّرَائِبِ بِحَسَّبُ مَا تَقْتُخْسَيَّهِ طُرُوفُهُم ، فيزيدونها أو يضاعفونها ، ويجندون الجند ويقضمون على الثورات ، واستتبع ذلك أمران : ــ الأول أن البولة تختار ولاتها على أســـاس الولاء لما والاخلاص لسياستها ، ولذا كان هؤلاء الولاة اما من رجال البيت الأموى نفسه أو من مواليهم وأشياعهم • والثاني أن مدة حكم ، الولاة أخــنت تطول حتى لتزيد ولاية بعضــهم على عشرين ســنة (١) وذلك حتى تتاح لهم الفرصة لتحقيق أهداف الأمويين . وكان من نتيجة الصراع الذي احتدم في العصر الأموى ، أن تأثرت الحالة الاقتصادية للبلاد ، فإن الدولة احتاجت لقمم الثورات والفنن وكذلك لاستئناف الفتوح التي كأنت قد توقفت في أيام الفتنة الكبرى وما تلاها من صراع الى أموال جسيمة كان يوفرها عمال الدولة عن طريق سياسة مالية قاسية ، هي ريادة الخراج ، وابقاء الجــزية على من أســـلم ومضاعفتها أحيانا ، الأمر الذي أغضب أهل البلاد المفتوحة وأثار حقدهم على بني أمية ، وقد تأثرت مصر بهذه السياسة الأموية ، فان أهلها غضب وا من والي مصر وثاروا عليه في سنة ١٠٧ هـ (٣) .

حكم ، صر والمغرب: عبد العزيز بن مروان ، بن سنة ٦٥ ه الى ٨٦ ه . الكتــدى : الولاة ، ص ٨٨ » . ٨٥ . وحكم الحجاج ، المسراق والمشرق ، من سسة ٥٥ ه (ابن الأثير : ج ٤ ، ص ٣٣) ، الى وغانه سنة ٥٥ ه (ابن الأثير : ج ٤ ، ص ١٩٣) .
 (٢) الكندى : الولاة : ص ٣٧ ، ٧٤) .
 (١) الكندى : الولاة : ص ٣٧ ، ٧٤) .

كما شمهدت مصر تطورا اجتماعيا آخر بدأ يأخذ طريقه في العياة الممرية، وهو اقتشار الاسلام الذي آخذ يسير في خط صاعد منذ الفتح العربي ، وذلك الأن المصرين الذين كانوا يقاسون الظلم والاضطهاد المديني طوال المعصر الرومي ، اعتبروا المفتح منقذا لهم ، ومرد ذلك الى سماحة المبادىء الاسلامية ، والى سياسة التسامح الديني التي سار عليها العرب ، وكذلك الهجرات العربية واستقرارها في البلاد واختلاطها بالسيسكان ،

وقد بدأ دخول المصريين في الاسلام منذ وقت مبكر ، فلقد تحول كثير من القبط الى الاسلام قبل أن يتم الفتح العربي حين كانت الاسكندرية لا تزال محاصرة بتوات المسلمين ، ثم سار كثير من القبط على نهج اخواقهم بعدذلك بسنوات قليلة (١) وخير شاهدعلىذلك أنخراج مصر في عهد عثمان بلغ اثنى عشر مليونا من الدفائير ، ثم نقص في عهد معاوية الى خمسة ملايين ، ثم استمر في النقصان حتى تدخل عمال الدولة فابقوا الجزية على من أسلم لتلافي هذا النقص (١) ،

لكن هؤلاء المسلمين الجدد في مصر وفي غيرها من بلاد الدولة الاسلامية لم ينالوا حقوقهم المشروعة في عهد الدولة الأموية، فسخطوا على الأمويين وتتمنوا زوالهم، وأيدوا الدعاة العباسيين، وكانوا منوراء النجاح الذي أحرزته الثورة العباسية .

وكان طبيعيا أن يؤدى انتقال العسكم الى يـد العباسسسين الى أيجاد سياسـة جـديدة تنبع من هذه الظـروف وتسـاير هذه التطورات و ولقد واجه العباسيون فى المفرب الاسلامى وبخاصة مصر والشام ظروفا شديدة ، فقد صاحب قيام الدولة العباسية احياء المقاونة

⁽۱) انظر : ارنواد : انتشار الاسلام ، من ۹۲ ــ ۴۶ :

⁽٢) المتسريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

البيزنطية التى بدأت تسترد فعاليتها بعد ما أصبيب البيزنطيون به من هزائم كبرى ، فبدأوا ينظمون مقاومة ناجحة فى آسيا الصغرى والبحر المتوسط ، لاسترداد ما فقدوه من البلاد أو على الأقل لوقف التقدم العربي ، كما أن المقاومة الأموية تفهترت نحو المفرب وجعلت تنظم مقاومة في مصر والشام ، حتى ان ثورات العرب فى الشام لم تنقطع زمنا طويلاه هذا فوق نمو الحركة الاقليمية التى أخذت تتطور نعو حركة استقلالية شمطت العالم الاسلامي كله ،

وقد عالج العباسيون هذه الظروف بأن عملوا على ايجاد وحدة ادارية كبيرة تشمل الشام ومصر وبلاد المغرب الأفريقي ، وجعلوا لها كيانا اداريا خاصا ، فكانوا يولون على هذه البلاد نائب للخليفة يختار من أمراء البيت العباسي ، وكانمت العادة أن يكون ولى العهد الأول ، وكان نائب هذا أومن ينيه عنه يقسم وقته بين مصر والشام ، غان كان بالمسام أقام بعدينة دمشق ، وان كان بمصر أقام بعدينة المسكر التي أنشأها صالح بن على بعد دخوله مصر سنة ١٣٣ هـ ، وعندما يكون في أجما يستخلف على الأخرى ،

لكن أمر الحكم في قسمي الغالم الاسلامي (المشرق والمغرب) تطور منذ عهد المسأمون الى اقطاعية لها سلطانها وتعوذها الكبير ، وبدأ بنواب الخليفة يقيمون في بعسداد بصفة مستمرة ، ومنحوا امتيازات كبيرة ، فخطب لهم على المنابر ، وكتبت اسماؤهم على السكة وذكرت في الوثائق الرسمية (ا) وكانت الدولة تخص رجال البيت العباسي ورجال الحزب العباسي بالولايات والاقطاعات ، ثم بدأت في المصر العباسي الثاني تولى الولاة من الترك ، وكان هؤلاء سكما ذكرنا في العديث عن عصر تقوذ الإتراك سلام على ترك سامرا أو بفسداد ، وانما كانوا

ابراهیم : ج ۳ 4 ص ۱۲۷ .

⁽۱) حسن أحبسه محبسود : الكنسدى المؤرخ 6 ص ١٠٨ . حسر

يقبلون الولاية ولا ينقلون اليها بل ينيبون عنهم فيها رجالا من قبلهم • ولما كانت الخلافة مفلوبة على أمرها ومشغولة بصراعها مع هــؤلاء الأثراك الذين سيطروا عليها ، ولما كان هؤلاء مشغولين بمنافساتهم ، فقد تركوا الاقاليم لنوابها ، وكانت أقاليم الدولة تتجه نعو الاســتقلال أو الحكم الذاتي ، وتتعرض لذلك لكثير من الفتن والثورات واضطراب "الأحوال الاقتصادية" ،

ولما كانت البساعات الكينية من لماسلمين في هذه الأقاليم تواقة المي مزيد من الاستقرار والهدوء ، فقد كان الحل الحتمى لانقاذ العالم الاسلامي مما تردى فيه ، أن تظهر الإمارات المستقلة لتما الغراغ الذي تركه ضمف الخلافة ، ولتعيد الاستقراز السياسي ، وتصلح الأوضاع الاقتصادية وترعى مصالح أهل البلاد وتدافع عهم ،

وكان ظهور الطولويين في مصر صورة من تلك التطــورات التي سادت العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الثائث الهجري •

ومؤسس الدولة الطولونية _ أحمد بن طولون _ رجل تركى ،
كان أجوه أحد الأتراك الذين كان يرسلهم وبلاة ولايات الدولة الشرقية الى
المنطقاء المجاسميين ضمن هداياهم المنطقاء • وقد تربى أحمد بن طولون فى
بغداد وقال حظا من الثقافة الدينية كان لها أثر كبير فى حياته السباسية •
فلقد خالف ابن طولون ما درج عليه الأتراك من العبث والظلم ، وما طبعوا
عليه من حب المال وجمعه عن طريق الاستيلاء والمصادرة دون نظر الى
عليه من حب المال وجمعه عن طريق الاستيلاء والمصادرة دون نظر الى
المراق فى عهدهم المفراب الاقتصادى، غلما تولى أحمد بن طولون همصر
نمت ثروتها على يديه نموا كبيرا بما قام به من اصسلاحات اقتصادية
شامانة • كما كان مثلا فى التواضع والمدل وتقريم العلماء (١) •

١١) ابن خلكان : ج ١ ، ص ٨٨ ، ١٦٠ .

دخل أحمد بن طولون مصر في رمضان سنة ٢٥٨ هد نائبا عن واليها بايكباك التركى ، ولم يكن له ولاية مصر وانها كان على الصلاة وله الحاضرة ، وكان معه آخرون على حكم الجعات الأغرى ، فقد كان على الاسكندرية اسحاق بن دينار ، وعلى برقة أحمد بن عيسى الصعيدى ، وعلى القضاء بكار بن قتيبة ، وعلى الريد شقير الخادم ، وعلى خراج مصر كلها أحمد بن المدير ، فكانت سلطات أحمد بن طولون اذن محدودة في مصر و لكنا نحس من تصرفاته أنه قد جاء الى مصر وله آمال عراض لم يشأ أن يكشف عنها دفعة واحدة ، وأن غايته أن يستقل بولاية مصر كلها تحت سلطان الخلافة المباسية وبرغبتها ، ثم يتخذ من مصر قاعدة ليلمب الدور الأول في المالم الاسلامي ، ثم يجعل الامارة وراثية في المالم الاسلامي ، ثم يجعل الامارة وراثية في أبنائه ، ولتحقيق هذه الغاية بدأ يسير في خطورات متنابعة ،

كان أمام ابن طولون في مصر عقبات عليه أن يذللها ، ومشاكل يتحتم عليه حلها ، كان سلطانه في مصر محدودا لأنه تقلد قصبة البلاد دون غيرها ، وقد كان يحكمها باسم والى مصر بايكناك ، وفي اسستطاعة هذا أن يعزله اذا لم يحز رضاه ، كما كان له منافسون أغطرهم في مصر أعمد بن المدبر عامل المفراج الذي دأب على الايقاع به وتهديد مركزه في دار الخلافة ، ثم كانت المفتن والثورات مشتعلة في مصر وقد أهمد نارها الخوارج والملوبون ، وقد تأثرت حالة مصر الاقتصادية بهسده الفتن فتعطلت المرافق و تعرضت البلاد لسعلوات هـولاء الخارجين واستيلاتهم على الأموال وكان على ابن طولون النيتصدي لهذا كله ،

هاما ثباته فى مصر ، هقد أعانته الظروف عليه ، ذلك أن بايكباك قتل ، وأسندت ولاية مصر الى بارجوخ الذى كان بينة وبين ابن طولون مودة ومصاهرة فاقره على ما في يده وزاد فى سلطته بأن استخلفه على مصر كلها (!) ، وقد تحرج مركز أحمد بن المدبر حين أصبحت مصر كلها

⁽١) ابن الأثير : ج ٦ ، من ٦٦ ، الكندي : الولاة ، من ٢١٦ ،

في ولاية ابن طولوں وتوطد مركزه في دار الخلافة ، ولمـــا كان ابن المدير مكروها من أهل مصر لزيادته في الضرائب واستعماله القسوة في جبايتها، فقد غضل أن ينقل منها الى جهة أخرى ، فترك مصر وتقلد خراج دمشق وفلسطين والأردن سنة ٢٥٧ هـ . وتعتبر هذه السنة حاسمة في حياة ابن طولون ، اذ كانت بداية اطلاق يده في البلاد المصرية كلها (١) • ففـــد دانت له الاسكندرية وبرقة ، وقدم له حكام الكور (المديريات) مظاهر الطاعة والخضوع ، وعندئذ بدأ يتصرف كأنه الوالي الشرعي للبــلاد ، فبدأ في انشاء مدينة له على طراز المدن التي تنشئها الدول الجديدة كعواصم لها ، فأخذ في انشاء القطائع وتأسيس المسجد الجامع بها (٢) . وهذا يكشف لنا عن اتجاه أحمد بن طولون نحمو. اقامه دوله مستقلة الإركان . ثم سيطر على البريد فأصبح خاضعا له ، وضمن ألانتسرب أخباره الى دار الخلافة الا بالقدر الذي يريد (١) • ولما مات بارجوخ سنة ٢٥٨ ه توطدت قسدم أحمد بن طولون بمصر وأصبح يحكمها من قبل الخلافة مباشرة (١) . وفي سنة ٢٦٣ هـ كتب الخليفة المعتمد الي أجمد بن طولون يستحثه على ارسال الخراج ، فرد عليه « لست أطيق ذلك والخراج في يد غيري » فقلده الخليفة خراج مصر ، وولاء الثغور الشامية (°) . وبذلك أصبحت مصر كلهاء في يد ابن طولون ادارتها ومالسها وحربها وقضاؤها ه

أصبح ابن طولون مطلق البد حر الاصرف ، فأخذ يعمل على بساء دولة قوية تستطيع أن تتحمل أعباء الدور الذي يصبو الى القيام به في العالم الاسلامي ، فبدأ أولا بالعمل على اقرار الأمن في البلاد لينصرف

⁽۱) البسلوى : سيرة ابن طولون ، ص ٥٩ ، ٦٠ ،

⁽٢) الكتبدي : الولاة ، ص ٢١٦ .

⁽٣) حبين احبد محبود : الكندى ، ص ١٧١ .

⁽٤) ابن الأثير: ج ١ ٤ ص ١١ ٠

⁽ه) الكندى: الولاة ، ص ٢١٢ ٠

الى تنفيذ مشروعاته فى هدوء ، ولذلك تصدى للفتن الداخلية فقمعها بقوة حتى استقامت له الجبهة الداخلية واعترقت جميع القوى بزعامته ، ولما كانت المشروعات الاستقلالية تتطلب الأموال للقدرة على انجازها، فقد قام باصلاحات اقتصادية كثيرة ٠

فحين أسند اليه ديوان الخراج ملاه بالموظفين للوالين له ، وفرض عليم رقابة صارمة حتى لا يستغلوا وظائفهم في النهب وارهاق الناس ، وقد استمان بأهل البلاد فاتخذ منهم الموظفين ، بل حوص على ألا يحضر لممر موظفا من غير أهلها (١) ، ونتيجة أذلك بلغ خراج مصر في عهده نحوا من ٥٠٠٠٥٠٥ دينار (٢) ، كما عبد الى مضاعفة الدخل في ميادين الانتاج كلها : الزراعي والصاعلي والتعياري ، وعرف كيف يستغلها لمصلحة الدولة دون أن يرهق الناس بالمكوس والضرائب ، فمنى باقلمة البحسور وحفر الترع فافصلحت آحوال الزراعة ، ولما كان قسد فقى على الفتن وضر الصدل فان الفلاحين قد أقبلوا على الممل في أراضيهم آمنين حتى انتحشت الزراعة وكثرت المحاصيل وعم الرخاء بلاد الريف كلها ، كما أن جو الأمن نشط التجارة ، واستتبع فيو الزراعة والتجارة نشاط الحركة الصناعية في البلاد ويفضل هذه الاصلاحات خطاها في سبيل الاستقلال و

وليستكمل استقلاله ويقوم بدور فعال في العالم الاسلامي كان لابد أن يكون له جيش قوى يدين له بالولاء وبكون عسوله في تحقيست مشروعاته والدفاع عن الاستقلال الذي يربد تحقيقه ، فاستكثر من شراء العبيد حتى بلغت عدتهم أربعة وعشرين ألف غلام تركي ، وأربعين ألف أسود ، وسبعة آلاف مرتزق (") • وجذا أصبحت له قوات نظامية كبيرة أسود ، وسبعة آلاف مرتزق (") • وجذا أصبحت له قوات نظامية كبيرة

⁽۱) البسلوى : ص ۱۰۹ .

⁽۲) ابن سعید : المغرب ، ص ۲۳۲ .

⁽٣) المتسريزي: الخطط ، ج ١ ، ص ٩٤ .

العدد تخضع له مباشرة و ولقد أعانه نعو الموارد الاقتصادية على هــذا الاكثار من الجندوشراء الأسلحة لجيشه بحما أعانه على القيام باصلاحاته العمرانية وبناء القطائع والقسر المعروف بالميدان والمسجد الجامع ، كما مكنه من القيام بدوره فى الجهاد فى النغور الشامية التى أسندت اليه وحين اكتدنت لابن طولون ســلامة الجبهة الداخليــة تفرغ لنشـــاطه الخـارجي و

كانت المشمكلة الكبيرة التي اعترضت ابن طولون تقوم في دار المفلافة نفسها ، فقد بدأت الخلافة حركة انتعاش قام بها الموفق أخسو الخاسفة المعتمد ، لاستعادة فعالبة الخلافة ونقوية قبضتها على ولايأتها . وقد سيبطر الموفق على النب نون العامة في النخلافة ولم يبق للخليفة الا الاسم ، ولما كان الموفق يستعد للقضاء على ثورة الزنج التي هددت الخلافة تهديدا خطيرا ، فقد كتب الى أحمد بن طولون يطلب منه ارسال معونة مالية ، وعلى الرغم من أن ابن طولون أرسل مليونا وماكتي الف دينار ، فإن الموفق استقلها ، وأحس أنه يرسلها متبرعا ولا يرسلها مأمورا ، فكتب اليه كتابا ينطوى على الجفاء والشر ، ورد أحمد بن طولون عليه مكتاب شديد اللهجة ، وبذلك تصدى لأكبر قوة في الدولة العباسية ، وهي قوة الموفق الذي كان سلطان الخلافة الفعلي في يده • وقــــد كانت مفاضية الخلافة في ذلك الوقت الذي أخذت تسترد فيه فعاليتها أمرا ينطوى على خطر جسيم على ابن طولون ، ولولا أن الموفق كان مشغولا بعرب الزنج لتهدد مركز ابن طولون تهديدا حقيقيا ، ومع ذلك فقـــد **أرغم الموفق أخاء الخليفة على عزل ابن طولون عن ولاية مصر وتوليـــة** ماجور التركي بدله (١) . ولولا علو همة ابن طولون ورباطه جأشسه \$ذهبت آماله أدراج الرياح ولسقط أمام الخلافة العباسية ·

ولكن ابن طولون اتخــذ كل سلاح للدفاع عن نفســه ، ولكنه

⁽۱) عن الشَلافة بين الموفق وابن طولون ، انظر أبن الأثير : ج ٢ ٠ ص ١٠٨ -- ١٠٨ ٠

لم يشأ أن يجاهر بعداء الخلافة وانما أراد أن يظهر على أنه مطيع للخلافة خادم لها ، وحصر العداء بينه وبين الموفق على اعتبار أن الخلافة واقعة تحت نفوذ الموفق الذي حجر على الفليفة ، فطلع على العالم الاسلامي بأمر جديد كان له وقع عظيم في الأوساط المعاصرة ، ذلك أنه نصب تفسه مدافعا عن الخليفة المظلوم ، وهدد باستعمال القوة المسلحة ، فقد كتب الى المعتمد في سنة ٢٦٨ هـ كثابًا هاما يحرضه فيه على الخروج عن العراق والانحياز الى مصر ، ويشير الى أن لديه القوة الكافية لتساييد الخليفة « ••• وقد جمعت عندي مائة ألف عنان أنجاء ، وأنا أرى لسيدى أمير المؤمنين الانجذاب الى مصر ، فان أمره يرجع بعد الامتهان الى نهناية العز ، ولا يتهيئ لأخيه فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة ٥٠ » (١) وقد استجاب الخليفة لاغراء ابن طولون ، فخرج متظاهر ا بالتصيد حتى وصلل الى الرقة حيث كان في انتظاره بعض رجال ابن طولون ، لكن الموفق اكتشف المؤامرة فأعاد الخليفة الى سامرا (٢) ، ولو نجح ابن طولون في ايواء الخليفة لتحركت قواته الرابضة على حدود العراق ، ولدخلته دفاعا عن حق الخليفة . ويعطينا هذا التصرف صورة للوزن الكبير الذي أصبح لابن طولون في العالم الاسلامي •

ثم أن أبن طولون أتى بما يشعر بأنه نصب نفسه وصيا على أمور الخلافة ، فقد عقد مؤتمرا في دمشق جمع له القضاة في الشام ومصرة وأصدر قرارا بغلم الموفق عن ولاية المهد ، استنادا إلى أن الموفق تقض البيعة بعدوانه على الخليفة ، وأنه خرج على السلطات المخولة لولى المهد ، وأنه يكون بذلك غير أهل لامامة المسلمين ، ثم أتبع ذلك بأن أمر بلمن الموفق على المنابر واستقاط اسمه من الدعوة ومحموه من الطرز () ، وبذلك يكون أحمد بن طولون قد أعطى نفسه حتى خلع ولى المهد ، وهو تصرف جرىء ، فولاية المهد ، عقدا وحلا ، من

⁽۱) البلوى : سيرة ابن طولون ، ص ۲۸۱ .

⁽٢) الكندى : الولاة ، ص ٢٢٥ .

⁽٣) الكندى: ص ٢٢٦ .

اختصاص النخليفة ، وانترير ذلك انتخذ ابن طولون لنفسم لقبا جديدا ورد فى صميفة كتاب الخلع وهمو « أحسم ابن طولون مولى أمير المؤمنسين » (١) .

وبجانب هذا التصرف السياسى ، قام بعمل حربى ، فقد تصدى لقوات الموفق ، كما تصدى للعمال الذين عينهم الموفق على الشام أو على مصر ، منتهزأ انشعال الموفق بحرب الزنج ، واستطاع أن يقر سلطانه على الشام وعلى الثغور بقوة السلاح ، بل ان قواته امتدت الى العجاز وفازل قوات الموفق في مكة (٧) .

وقد رد الموفق على ابن طولون ، بأن اعتبره خارجا على الخلاقة ، وأصدر أمرا من الخليفة ومن ولى المهد الأول ومنه بلمن ابن طولون على المنسابر في كل ولايات الدولة واعتباره من المفسدين (") • ومثل هذا الأمر يصدر من الخلافة كان أقوى من فعل ابن طولون وأفصل في نفوس الناس ، وكان له رد فعل شديد ، فقد شعب الأمراء في الولايات بعد أن ضعف نفوذه الأدبى بتأثير الدعاية الواسعة التي نشرها الموفق بعد أن ضعف نفوذه الأدبى بتأثير الدعاية الواسعة التي نشرها الموفق ضده ، وكان لهذا أثره في موقفه المسكرى، فقد هزمت قواته في مكة ولعن في المسجد الحرام (") • كبا حلت به الهزيمة لأول مرة في طرسوس بعد أن قطل أهلها أبوابها في وجهه ، ومات أكثر هنده من البرد وغرقت أمتمتهم في مياه فير البردان الذي أرسله عليهم حاكم طرسوس (") •

وعلى الرغم من هذا الفنلاف الذي وقع بين أحمد بن طولون وبين دار الخلافة ، فانه أثبت جدارة كبيرة وأظهر تفوقا في السياسة والحرب،

⁽١) الباوى: ص ٢٩٥ ،

۱٤٢ من ۱٤٢ ، من ۱٤٢ .

⁽٣) الكندى: ص ٢٥٩ . (٤) الطبرى: ج ١١ ، ص ٣٢٠ .

⁽ه) الكتــدى : ص ٢٢٩ ·

٠ (م ٢٨ - العصر العباسي)

ولم يؤخذ عليه الاهذا التصرف الذي اتخده بازاء الموفق • ومع ذلك مقد اتسعت دولته وامتد ملكه من العراق شرقا الى برقة غربا ومن آسيا الصغرى الى النوبة ، وكان شديد الباس خبيرا يتميئة الجيوش وقيادتها وقد أسهم الى جانب قوات الخلافة في الدفاع عن النفور الشمالية المواجهة للموم ، حتى خشى بأسه امبراطور الروم وترضاه بأن فك له من تحت يلده من المسلمين وأهدى اليه عدة مصاحف للقرآن الكريم (١) •

مات ابن طولون فبايع الجند لابنه خمارويه ، الذي كان عليه أن يدافع عن الدولة التي أقامها أبوه في مصر وأن يحفظ بالشام ، كما كان عليه أن يستأنف النشال الذي كان قائما بين الطولونيين وبين دار الخلافة، وكان الموقق قد استراح من حرب الزنج وتفرغ لشئون مصر ، لكن خمارويه استطاع أن يحمد كل مساعيه وأن يقر السلام في الحددود الشرقية ، وقعد امتد نفوذه من الفرات الى برقة ، واصبح الطولوبيون قوة يحسب لها حساب كبير ، وأحس الموفق أنه من الأفضل مسللتها من الخير له أن يسعى للسلام مع الخلافة فبدأ بطلب الصلح ، واستجاب من الخير له أن يسعى للسلام مع الخلافة فبدأ بطلب الصلح ، واستجاب الخلافة لهذا الطلب ، فبحث الخليفة وأخوه الموفق اليه كتابا كتبوه يأيديهم تعظيما له وتكريما (٢) ، وفي هذا الكتاب أعطت الخسلافة في شمئونه ، فكان هذا أمرا جديدا في العلاقات بين مصر وبين دار في شمارويه مكم البلاد مدة ثلاثين سنة لهيه وفي أولاده لايهدد بعزل أو تدخل في شمئونه ، فكان هذا أمرا جديدا في العلاقات بين مصر وبين دار الخلافة ، وبذلك استوفت الامارة الشكل وأصبحت مصر دولة يعترف في أصحاب النقوذ الاسمى والغملي ،

وفي عهد الخليفة المعتضد تدعمت العلاقات بين الطولونيين ودار الخلافة ، حيث تمت المصاهرة بين البيتين ، فقد تزوج الخليفة قطر الندى بنت خمارويه ، وكسب بذلك البيت الطولوني مجدا وتفوذا بمصاهرته

⁽۱) حسن ابراهیم : ج ۲ ، ص ۱۲۹ ،

⁻⁽۲) الكندى : من ۲۳۸ ، النجسوم الزاهرة : ج ۳ ، ص ٥٠ ،

للخليفة ، كما كسيت الخلافةُ وقوف هذا الطرف الغربي الى جانبها يشد أَوْرِهَا مَادِياً وَعَسَكُرُياً .

على أن خدارويه ما لبث أن توفى سنة ١٨٧ هـ وبعوته المسطريت المحوال الدولة الطولونيين بسبب تدخل الجند وتنافس الأمراء الطولونيين فيما بينهم ، واشستعلت الفتن والثورات ، وأصبح من المؤكد أن أمراء الطولوني فقدوا عنصر القوة الذي كان يتمتع به احمد بن طولون وابنه خمارويه ، يحيث أصبحوا ألموية في يد الجند وتعرضسوا للمهانة والقتل ، وفي سسنة ، ٢٩٠ هـ ظهر القرامطة بالنسام ، فأنفلت الدولة المطولونية جيشا لقتالهم فهزم ، وأدى هذا الضعف الى أن تجدد الخلافة المباسية رغيتها في اعادة مصر الى سلطانها المباشر ، فأرسلت جيشا بقيادة معمد بن سليمان الكاتب الاسترجاع مصر » ولم تقو القوات الطولونية على المسود له ، فدخل الفسطاط سنة ٢٩٧ هـ وأمر باحراق الفطائع ظاهرقت ، وهكذا زالت الدولة الطولونية بعد أن حكمت البلاد شمان وثلاثين سنة (") ،

عادت مصر الى حكم الغيلافة مباشرة ، لكن الخلافة كانت قيد المتكست مرة أخرى في عهد المقتسدو (٢٩٥ – ٢٩٥) وعادت سلطة الإثراك على دار الغيلافة مرة آخرى ، وعاد مسهم استبدادهم بالخلفاء وإهمالهم لشئون اللولة ، وتأثرت مصر بهذه الظروف فاصحت مدرحا للمنافسية بين الولاة وظيال الخراج ، وقد صاحب هذا قيام الدولة الخاطبة بالمغرب واكتساحها لدولة الأغالبة في تسونس ، وبذلك تلاقت المحدود العباسية والحدود الفاطبية على حدود مصر الغربية ، وقد ظهر الامجاه الفساطيي نحو مصر منذ ذلك الوقت فأضادوا يرسيلون دعاتهم بوجيوشهم الى مصر ، ولاحقوها بالصلات المشكرة ولم يكن هناك بد

⁽۱) أثنار عن سقوط الدولة الطوابية . النجسوم الزاهرة ، ج ٢ ، من ٨٨ سـ ١٤٢ ، الكندى ، من ٢٦١ سـ ٣٦٨ ، المقسريزى : القطط ، ج ٢ ، من ٣٠١٣ وما بمسدها .

من وجود حاكم قوى في مصر يستقل بشؤونها ويقر الأمن فيها ، ويستخدم مواردها للوقوف في وجه القوة الفاطبية الزاحفة نحو الشرق، وهذا يذكر لله يعوقه الخلافة العباسية من تونس بعد أن تهددت بقيام الأدارسة ، فأقام الرشسيد ابراهيم بن الأغلب حاكما مستقلا ليكون حاجزا بينهم وبين الزحف الي مصر ، ونشهد هنا نفس المسألة تتكرر ، فنرى القوة الموالية للعباسسيين تنصر عن تونس ، ولا ترى الخلافة بدأ من أن تقيم دولة للعباسسيين تنصر عن تونس ، ولا ترى الخلافة بدأ من أن تقيم دولة للعباسسيين المجديد ، غولئ الكليفة الراضى محمد بن طفح على مصر سنة ٣٣٣ ه (١) ،

الدولة الإخشيدية

كان ظهور مصد بن طعج الاختسبيد في مصر يسب الي جد كبير ظهور احده بن طولون بها من ناحية ، ويشبه ظهور ابراهيم بن الأغلب بأهريقية من ناحية أخرى ، فقد ظهو الأختسد ليخلص مصر من الفتن الداخلية المنيفة التي قامت بها بعد عودتها الي حوزة الخلافة العباسية ، وليصلح من أحوالها التي أضدها عمال الخراج الذين عادوا الى عبثهم واقسادهم بعد زوال المحكم الطولوني ، وكما تصدى الموفق لأحمد بن طولون من قبل ، كذلك تصدى محمد بن راقي للاختشيد ، كذلك جاه الاختسيد الى مصر ليواجه التهديد المساطني الذي اخذ يتمه الى مصر ليواجه التهديد المساطني الذي اخذ يتمه الى مصر وطح عليها بالنوو ، وبعد أن اكتسح أمامه دولة الأغالبة في أفريقية ، وقان تصدى الاختسيد للنفوذ الفاطني كما تصبيى ابراهيم بن الأغلب لنفوذ المحادي المناطني الدور الذي للنهرة أحمد بن طولون من قبل ، وكذلك لسب الاختسيد نفس الدور الذي لنبه أحمد بن طولون من قبل بالسبة للخلافة الساسية ، فقد حاول المؤشيد أغراء الخليفة الساسية ، فقد حاول أمر الأمراء المتسلط في بفداد ، كما حاول ابن طولون أن يمرى المخليفة أمير الأمراء المتسلط في بفداد ، كما حاول ابن طولون أن يمرى المخليفة المسيد المنافرة الم

^{· (}۱) الكندى : الولاة ، مس ۲۸۲ .

أن يجعل من مصر مركز الثقل في العالم الاسلامي بنقل الخليفة البه حتم ولو الى حين .

ومحمد بن طلح بن جف تركى من فرغانة . وقسد قدم جده جفه الحي دار الخلافة في عهد المعتصم : وظلت أسرة جف مقيمة بدأر الخلافة تعمل ضمن الأتراك الذين كانوا يصلون في العراق. وقد بدأت حيبة محمد بن طغيج العملية تظهر حين اتصال بخدمة ابن بسلطم عامل بالاد الشام ، وباسا كانت مصر موضع نشاط للاعمال الفاطعية لغزوها . فقد وجد ابن طافح ميدانا غسيما ليظهر في مسرح الموادث . غجاء الى مصر وقاتل تحت قيادة تكين التركي وظهرت شميجاعته وبلاؤه في قنال الحملة التي وجهها الفاطميون بقيادة حياسة بن يوسف الكنامي سنة ٣٠٣ (١) • وتتوثقت الصلة بين محمد بن طفج وبين تكين غولاء عمان وجبل الشراة سنة ٣٠٩ هـ نيابة عنه ، وقد أتيحت له الفرسة ليكسب عطف الخبيفة ورضاه بعد أن كسب عطف العناصر التركية في الشاء ومصر . فعد أغار الأعراب على قافلة للصجاج المسارين ببلاد الشاء . وكان فيهمما فوء من أعيان المراق ومعهم جارية لأم الخليفة ، متصدى ابن صعح نلاعراب وهزمهم وخلص القافلة منهم ، قحمد الناس له ذلك ورسى عنه الخدعه . وكان عليه بعد ذلك أن يرضى المرتزقة أصحاب السلفان الفعلى في بغداد ، وقد نم له ما أراد حين نجح في صح الخطر الفاضي عن مصر متعاونا مع عاملها التركي ومع مؤنس الخادم الذي كان صاحب السينطة الفعلية في بغداد والذي كان يقوم بمهام أمير الأمراء، وقد جاء الى مصر ليشرف بنفس على الاستعدادات الكفيلة بعسد هذا الخطر • وعاد مَعْ نِسَ الى بِعَــداد راضيها عن تمحمد بن طفح ، فقلده ولاية الرملة في فلسطين سنة ٣١٦ هـ (٢) ، ثم ولاية دمشق سنة ٣١٩ هـ ، ولكن 'س ، معج كان يرنو الى ولاية مصر معتمدا على الجند والأموال الى استُكثر منهساً

 ⁽۱) ابن الأثير : ج ۷) من ۳۱ .
 (۲) سيدة الكاشئة ، نصر في عصر الاخشيديين ، من ۳۳ .

في بلاد الشام ، وقد واتته الفرصة حين ولي الخليفة الراضي. ، وكانت الأحوال في مصر مضطربة أشد الاضطراب بين مطامع القواد ، ومطامع صاحب الفراج محمد بن على الماذرائي الذي استبد بأموال مصر هو وأسرته من قبله نحوا من خمسين سنة جعلوا الخراج فى مصر دولة بينهم، فكأنهم دولة فيداخل الدولة(١)٠ كما تحقق لابن طعج النفوذ في حاضرة الخلافة بعد مصاهرته للفضل بن جعفر صاحب النفوذ في بغداد (٢) ١٠. ولمسا كانت الخلافة محتاجة الى رجل قوى ليقر الأمن في مصر وليجعلنا منها قاعدة لرد هجمات الفاطميين ، فقد ولى الخليفة محمد بن طمج على مصر ، واضطر هذا الى القدوم الى مصر في شبه حملة عشكرية القضاء على عامل الخراج ، فقهره واضمطره الى الفرار . وكان على ابن لمضم بعد ذلك أن يُثبت قدمه في مصر ، ولا يكون ذلك الا بأن يدافع عنهسا ويحميها ، ويظهر في العالم الاسمالامي بمظهر المدافع عن أهل السمنة وعقائدهم وتقاليدهم ، وقد نجح فعلا في التصدي لحملات الفاطميين التي استمرت من سنة ٢٣١ الي ٣٢٤ هـ ، وبذلك حاز الاعجاب ، ونال رضاء الخليفة الراضي الذي أمر بأن يزاد على اسم ابن طفح لقب الاخشىيد، وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك فرغانة ، وقد دعى له بهذا اللقب على منابر مصر والشام في شهر رمضان سنة ٣٢٧ هـ (٣) ه وفي هذا اعتراف من الخليفة بمكانة الاخشميد . كما كان هذا صدى لما أصبح للاخشيد من مكانة في العالم الاسلامي في المشرق .

وكان على الاخشيد لكى يؤمن تلك المكانة التى سا اليها ، اليعزز سياسته الداخلية والخارجية ، أن يكلون له جيش قوى . فانتسبأ البجيش على غرار ما فعل ابن طولون من قبله ، كما سنار على نفس السياسة التى سار عليها وهى تحبيه للمصريين واكتساب ود أهل البلاد ، والفوز بولاء أهل الذين كافوا لا يزالون في ذلك الوقت قوة يحسب لها حساب

 ⁽۱) سيدة الكاشفة : من ۳۷ ـــ ۵ ، حسن احبــــد محبــود .
 الكنــدى : من ۷۹ .

⁽٢) أبن سعيد المغرب : ص ١١ ...

⁽٣) الكسدى: الولاة ، ص ٢٨٨ .

واذا كان أبن طولون من قبل قد تصمدي لأكبر قوة في المشرق متمثلة في شخصية الموفق ، فإن الاخشيد قد تحدى ابن رائق أمير الأمراء الذى اتسم نفوذه فتولى امرة الجيش وخراج جميع البلاد التي كانت في حوزة الخلافة العباسية ، وخطب له على المنابر في الشرق والغرب ، وقد هدد الأخشيد ، فلم يتردد هذا في الاشتباك معه في البر والبحر ، واستطاع أن يلحق به الهزيمة . ومن ثم أصبح الاخشيد من أكبر القوى في العالم الاسلامي حتى أن الخليفة الذي عبث به الترك وأفزعه عدوان أمير الأمراء اضطر الى الاستنجاد بالاخشيد، فقابله الاخشيد بالرقة ودعاء الى القــدوم الى مصر (١) وهكذا كرر الاختــــيد ما فعـــله ابن طولون ليجعل من مصر قاعدة الخلافة العباسية ، واذا كان لم ينجح في الوصولا الى هذه الفاية كما لم ينجح ابن طولون من قبل فانه قـــد ظفر بعد ذلك بمثل المعاهدة التي ظفر بها خمارويه ، اذ أعترف الخليفة له بولاية مصر وراثية في أولاده وأقره على البلاد التي استولى عليها في الشمام ، كما دخلت مكة والمدينة في يده . وأصبح بذلك من القوة بحيث يستطيع أن يأمر عماله وقواده بالاعتراف بولاية ابنه أنوجور ، وحصل من الخليفة على موافقته على هذه البيعة ، وأصبح يدعى للخليفة وللأخشسيد وأبنه على منايز مصر والشام •

وكما كان الاختسيد يستخدم القوة مع خصصومه ، كذلك كان يستخدم السياسة ، وكان بعيد النظر يقدد طروفه وطروف العالم الإسلامي ، ويغلب المصلحة العامة اذا تعارضت مع مصلحته الخاصسة ، من ذلك أله حين قاتل محمد بن رائق وانتصر عليه في الشسام عقد معه صلحا على ما يحب ابن رائق ، وتعهد له الاختسيد بدفع مائة وأربعين ألف دينار منويا ، وكان في ذلك بعيد النظر ، فأنه كان يعرف مكنة ابن رائق و لايريد أن يتعرض معه لحرب قد يوالي فيها ابن رائق الحملات عليه من تبل الخلاغة ، هذا فوق أنه مهدد من جبهته الغربية بالفاطميين ،

⁽۱) الكندي: الولاة ، من ۲۹۲ ،

غلم يما أن يشغل نفسه بالجبهة الشرقية ، ومن ذلك أيضا أنه اصطدم بقم يقسا أن يشغل نفسه بالجبهة الشرقية ، ومن ذلك أيضا أنه اصطدم بقد الصدائين على الرغم من انتصاره على سيف الدولة الا أنه تصالح مع الصدائين على أن يترك لهم حلب وما يليها من بلاد التسام شسمالا ، كما تعهد بأن ينفع لهم جرية سوية كفاء احتفاظه بدمشق (١) ، وكان في ذلك يفلم مصلحة المالم الاسلامي على مصلحته الخاصة ، فقد ذكان الصدائيون يتصدون لمنازلة للروم الذين نشطوا في ذلك الوقت في الهجوم على الولايات الاسلامية المتاخمة لبلادهم ، فاراد الاختسيد أن يسمى المحدائيون عنم المحدائيون حصنا منيعا يصد غارات الروم ، وهم بذلك يتحملون عنم القلا هذه التبعة المالم الاسلامي بصفته واليا على الشام ،

واذا كان الاخشيد قد تصدى للحملات الفاطبية على مصر وردها ينجاح ، فانه كان مرهوب الجانب عسد الروم حتى ان امبراطور الروم رومانوس كاتبه دون الخليفة ومدحه وتودد اليه ، وقد رد عليه الاخشيد موكدا ولاء للخليفة ؛ وأجابه في اعتداد أنه يقبل منه ما عرضه من فداء الاسرى ومبادلتهم ، ويكشف هذا الكتاب الذي أورده القلقشندى عن مدى اتساع ملك الاخشيد فانه يشمل : مصر ، والبمن ، وأجناد الشام من أمر مكة والمدينة ، كما يكشف أن سياسته لهذه البلاد كانت ترمى من أمر مكة والمدينة وجمعهم على الطاعة واقرار الأمن والدعة في المعيشة (٢) ،

وهكذا ارتفع شان مصر في عهد الاخشيد ، وتوطد فيهـــا الأمن وسادها الرخاء نتيجة لسياسة الاصلاح التي انتهجها ، حتى ان المؤرخين

⁽١) ابن الأثير: ج ٧ ، ص ١٩٥ ، ١٩٠ .

⁽۲) صبح الأعثى: ج ۷ ، ص ١٠ - ١٨ ، حسن ابراهيم : ج ٣ ، ص

اليتحدثون عن الثروة الطائلة التي تركها الاخشيد (١) •

وحين مات الاختسيد سنة ٣٣٤ هـ كان ولداء صغيرين ، فتولى الموساية عليهما مريهماكافور الاختبيد الذي أصبح صاحب السسلطان المطاق في ادارة الدولة الاختبيدية (٣) ، وقد استطاع كافور أن يحافظ على الدولة وأن يدافع عنها طوال مدة وصابته من منة ١٣٣٤ الى ٢٥٥ هـ، حتى اذا ما مات ابنا الاختسيد أنوجور ثم آبو الحسن على آعلن كافور مسم واليا من قبل الخليفية (٢) ، ولكن الحملات المغربية توالت على مصر ، وكان الدعاة الشميعة قد نجحوا في الدعوة الفاطبية ، حتى ان كافور نفسه تلقاهم بالقبول ، ووعد كثيرا من رجال بلاطه وكبار الموظفين علاقب بعد موته على وجهوا حملة التي مصر الني كان الدعاة قد حرثوها من قبل ، و بعج حر الصقلي قائد المج لدين اقه الفاطبي أن يستولى عليها دون كبير علم مرسة م هد ،

وباستيلاء الفاطميين على مصر ثم تقدمهم للشمام انشسطر العمالم الاسلامي شطرين : شمطره الشرقي تحكمه الخلافة العباسمية وقاعدته العراق ، وشطره الفربي تحكمه الخلافة القاطمية وقاعدته القاهرة التي العراق ، وشطره لغربي تعدد خولهم مصر بقليل ،

⁽۱) المتريزي: الخطط: ج ١ ص ٩٩٠

 ⁽٢) ابن سميد: المغرب ، ص ٥٥ . أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ،
 (٢) م ٣ .

⁽٣) ابن سعيد : المفرب ، ص ٢١ ، ٩٠ .

الدولة الحدانية

وقد كان ظهور الحمدانين من ناحيمة أخرى يمثل انتماش المنصر المربى الذى النوى بعد تقدم المناصر التركية فى المراق ، وبعد أن أشقط المعتصم العرب من الديوان ، ثم تتبع ابنه الواثق حر كانهم بالضرب والقمع فى مناطق التركيز العربى ، فى الجزيرة العربية وفى الشام ومصر ، ثم أدى وقوع الخلافة تحت تقوذ الأثراك ثم ذلك الصراع الذى شهدناه بين الخلفاء وبين المتسلطين من قواد الأثراك الى محاولة الخلفاء انعاش هذا المنصر العربى مرة اخرى ،

وقد ظهر الحمدانيون في عهد الخليفة المتضد ثائرين على الدولة العباسية ثم عفا عنهم وأحسن اليهم بعد أن انتصر الحسين بن حمدان علي هارون الشارى وجاء به الى المعتضد أسيرا (^١) . ومن ذلك الوقت بدأت . شهرة الحمدانيين ، وقد استُثادت الخلافة من قيام بني حمدان كقوة عربية في هذه المنطقة للقضاء على المناوئين لهــا ، فقد اشـــتهر الحسين ابن حمدان في حروبه مع القرامطة ، كما تدخل في شئون الخلافة في بمداد وكان العسين من التمواد والرؤساء الذين حاولوا الوقوف في وجه الأتراك والحد من سيطرتهم على الخلفاء ، وأرادوا استناد الخلافة لابر المعتز لثنافته وقدرته على تحمل أعباء الخسلافة، ولكن الأبراك نجحوا عليهم فأسندوا الخلافة للمقتدر وقد كال طفلا . ومع غضب المقتدر على الحسين بن حمدان ، فإن سياسة الخلفاء كانت تتجه إلى احياء هذه القوة العربية ، لذلك قلد المقتدر رجال الصدانيين على الموصل وديار ربيعة ، فَقُلُّهُ \$ إِنَّا الهيجاء عبد الله بن حمدان الموصل وما يليها في سنة ٢٩٧ هـ ، وولى أخاه ابراهيم ديار ۋېيعة في سنة ٣٠٧ هـ ، كما ولي أخاه سـعيدا لهاويج سنة ٣١٢ هـ ، وقلد غيرهم من بني حمدان بعض مناصب الدولة . غير ألقُ الذين اشتهروا من بني حمدان ، وقاموا بدور هام سيوا، في شئون الخلافة أو في ميدان الجهاد ضنه الروم ، هم ابناء عبــد الله بن حَمَدُ أَلَى الذِّينِ اشْسَتُهُمْ مَنْهُمْ : أبو محمد الحسن بن عبسد الله الذي لقب « ناصر الدولة » ، وأخسوه أبو المعاسسين على بن عب الله الذي لقب « سيف الدولة » ، وقد الشميت الدولة الحيدانية الى شيميتين : ، امارة الموصل وعليها الحسن بن عبد الله ناصر الدولة وامارة حلب وعليها على بن عبد الله سيف الدولة ،

ولا يعنينا من دراسسة الدولة الحمدانية الا نواح ثلاثة: علاقتها بالخلاقة المباسية • ثم علاقتها بحكومة مصر والشمام ، ثم جهادها في الثغر الرومي •

 ١ ــ فأما علاقتها بالخلافة العباسية ، فقد رأينا كيف بدأت بالثورة على العباسيين ، ثم كيف صارت بعد ذلك الى مساعدة الخلافة . وكان

⁽۱) ابن الأثير: بع ٧ ، ص ١٧ -- ٧٠ .

أهم ما قام به الحمدانيون لصالح الخلافة هو الوقوف في وجه المتسلطين عليها من أمراء الأمراء ، وقد كان العراق في المقيقة يمثل الجبهة الخلفية **ق**ويا ، وأن تستقر أموره ، كما كان الحمدانيون يمثلون القوة التي تلجأ اليها الخلافة العباسية اذا ضاقت بها الأحوال في المراق ، وقد لجأ الخليفة المتقى الى الحمدانيين فارا من قوات البريدي التي زحفت على العراق والتي عجز أمير الأمراء ابن رائق عن الصمود لها ، فناصر الحمدانيون الخلافة ، وأعادوا الخليفة الى حاضرته بعد أن قتلوا ابن رائق وطردوا . الهريديين ، وتولى الحسن بن عبد الله المرة الأمراء في بغـــداد ، وحاول اصلاح الأحوال فيها . كما تولى أخوه على بن عبد ألله فتال. البريديين : ولذلك رضي الخليفة عن الرجلين ولقب الأول « ناصر الدولة » كما لقب الثاني « سيف الدولة » (') وهذان اللقبان لهما دلالتهما ، فانهما يدلان على اعتراف الهخلافة بالدور العظيم الذي قام به الحمـــدانيون.في خدمة الدولة العباسية ، فالحسن بن عبد الله هو الذي فصر اللولة علىالمتسلطين عليها ، كما أن أخاه على هو الذي قاتل عنها في العراق ، ثم هو الذي تولى القتال عنها طوال حياته في الجبهة الثعرية • وقد درجت الخلافة المباسية بعد ذلك على اطلاق مثل هـــذه الألقاب على من يؤدون خدمات لها وللعالم الاسلامي ، غبراهم يلقبون محمود الغزنوي «يمين الدولة» عَيَنْ كَانَ يَعْوِمُ بِالْمُهُمَّةُ التَّمْرِيةُ فَي طَرَفَ الْمُسْرِقِ الْأَيْمِنُ فِي شَعْرِ الْمُندِ • كما أطِّلقت مثل هــــذه الألقاب على بني بويه حين تطلعت اليهم لتخليصها من عبث أمراء الأمراء في بعداد ، فلقبت علق بن بويه بلقب « عمداد الدولة » ولقبت أخاه الحسين بلقب « ركن الدولة » ولقبت أخاهمـــا أهمد بن بويه بلقب « معز الدولة » (٢) •

لكن بني حمدان لم يستقروا في بعداد كثيرا ، اذ كانت أمور العراق مضطربة أشد الاضطراب وكان بنو حمدان يغملون عدم التورط

⁽۱) ابن الأثبي : ج ٨ ، من ١٣٥ . (٢) ابن الأثبر : ج ٨ ، من ١٦١ . حسن ابراهيم : ج ٢ ، من ١٠٤ .

في مشاكل المخلافة التي يصمون بمجرهم عن حلها ، ويرغبون في التغرغ لمهنتهم الثغرية التي يصمون بأن بقاءهم واكتسابهم عطف المالم الاسلامي الما هو في احساتهم القيام بها ، ومع ذلك فان علاقات الحمدانيين بدان الخلافة ظلت قائمة ، وكان أمير الأهراء في بعداد بخشي دائما اتساع قوة الصحدانيين في الموصل ، ويصل على الحد منها ، وكان الحمدانيون يتقون مفاضسية دار الخلافة بالأموال يدفعونها لأمير الأمراء في بعسداد في المصر البويهي (١) ، وان لم يتأخروا عن مصارعة البويهيين هينما أرادوا ازالتهم عن امارتهم ، وقد ظلت الامارة الحمدانية في الموصمة تواجه هذا المضعط عليها من ناحية البويهيين حتى ضعف أمرها وخصعت للنفوذ البويهي ،

٢ ـ أما علاقة العمدانين بعصر : فإن الغرع العضداني الذي اتعلت علاقته بعصر هو امارة حلب التي كان عليها سيف الدولة ، وهـ د أراد ميف الدولة ان يومسع ملكه في الشام ليستطيع أن يقوى جبعة أمام الروم ، فامتـ د بنفـوذه الى دمنسق الأمر الذي أدى الى سـدامه مع الأخشيد ، وقد قامت الحرب بين الأخشيد وسيف الدولة ، وعلى الرغم من انتصار الاخشيد، ، فإنه صالع سيف الدولة وترك له حلب وما يليها من بلاد الشام شمالا ، كما تعهد أن يدفع له جزية مسـوية على الا يتعرض لدمنسق (١) ، وحين مات الاخشيد عاد سيف الدولة الى طموحه في ضـم الشـام اليه ، ولكن «كافور» هزمه بالقرب من مرج عذراء بجوار دمنسق ، وتم الصلح بن الطرفين على شروط الصلح الأول مع سيف الدولة آكثر حكمة وتقديراً المسلم الاسلامي من البويهينية مع سيف الدولة آكثر حكمة وتقديراً المسلمة المالم الاسلامي من البويهينية ما سيف الدولة اكثر حكمة وتقديراً المسلمة المالم الاسلامي من البويهينية فان الاخشيديين قدروا الدور الذي يقوم به الحسدانيون في ميامية فان الاخشيديين قدروا الدور الذي يقوم به الحسدانيون في حياية الثمور فلم يرغبوا في ازالة هـذه الاماوة التي تقوم بدورها الجيادي

۱۸۹ -- ۱۸۳ -- ۱۸۹ -

⁽٢) نئس المسدر : ج ٨ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ،

⁽۴) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٦٤ .

أمام هجمات البيزنطيين التي أخدت تشتد على العالم الاسلامي في هذه الناحية • أما سياسة البويهيين فقد كانت أنانية قاصرة ، والحقيقة أن قضاء البويهيين على القوة الحمدانية ثم عدم قيامهم بعدهم بالجهاد في النفر الرومي بعد ورة مرضية قال من قيمتهم في العالم الاسلامي ، كما قصر عمر دولتهم التي لم تكن سوى دولة داخلية وإن حكمت باسم الخلافة نفسها •

وبعد سيف الدولة تفككت الأسرة الحمدانية ووقعت في صراعات داخلية أدت بها الى الانحراف عن مهمتها الثغرية في قتال الروم ، بل ان يعض أغرادها استمان بالروم أخفسهم على البعض الآخر والأمر الذي جمل يقاء هذه الامارة ضارا بمصلحة العالم الاسلامي ، فسقطت تحت الضغط القاطعي المتزايد في مصر (١) و

س أما جهاد الحمدانيين ضد الروم ، فهو الدور البراق الذي أظهر الحمدانيين في العالم الاسلامي كقوة لها فعاليتها واحترامها ، والهواقع أن الدولة الحمدانية أذا جردناها من هذا الدور الذي قامت به في النفور لم تكن ذات قيمة محسوسة فيحياة العالم الاسلامي الداخلية وقد كانت انظروف مواتية نظهور الحمدانيين هذا الظهرور البراق ولاحتلالهم مكانة كبيرة في نفس العالم الاسلامي ، واستحقاقهم لهذا الثناء العظيم الذي كاله الشحراء لهم وخلدوا به ذكرهم من أمثال أيي الطيب المتنبي وأبي فراس • وكان سيف الدولة هو علمهم المور في هذا الجهاد ، وصفه الثماليي في يتيمة الدهر (ج ١ ص ١١ – ١٢) فقال « • • وكان غرة الزمان وعماد الاسلام ، ومن به سداد الثمور وسداد الأمور ، وكانت وقائمة في عصاة العرب تكف بأسها وتنزع وسندا ، وتكل أنياها وتذلل صحابها ، وتكفى الرعية سوء آدابها • وغرواته تدرك من طاغية الروم المثار ، وتحسم شرهم المثار • وتحسن وغرواته تدرك من طاغية الروم المثار ، وتحسم شرهم المثار • وتحسن

⁽١) ابن النسلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، س ٣٣ ـــ ٣٩ .

عنى الإسلام الآثار > (١) •

فلقد كانت العولةالمباسية مشغولة بأحداثها الداخلية التي شهدناها خ عصر نفوذ الأتراك ثم في عهد أمراء الأمراه ، كما كانت مصر طرفا للدفاع القوى الناجح ، نتيجة للخلافات التي قامت بين دار الخلافة وبين الممد بن طولون ، ونتيجة الضغط الفاطمي على الدولة الأخشيدية من ناحية المفرب ، وان كان الطولونيون والاختسـيديون بذلوا جهودا مُشكورة للدفاع عن التَّغُور الشامية والجزرية •

وفي هذا الوقت الذي كانت فيه الجبهة الاسلامية مضعضعة . كانت البجيهة الرومية تستتعد لاتنهاز هذه الفرصة التي لم يكن لها نظير من قبل أعدائها القدماء، وتزحزح الحدود الاســــلامية الى ما وراء الخط الممتد بحذاء حِبال طوروس بعد أن ظلت ثابتة هناك زمنا طويلا .

وتولى قيادة الهجوم البيزنظي على الأملاك الاسلامية القائد الرومي المجرب تقفور فوكاس ، وبدرا الهجوم البيزنطي بحريا على جزيرة كريت التي لم تلبث أمام القسوة البيزنطية الكبيرة أن مسقطت ، ثم تلاحقت هجماتهم البرية القوية على الحدود الاسلامية •

تصدى سيف الدولة الحمداني لتحركات الروم البرية واشتبك معهم فى ممارك كثيرة ولم يلتزم معهم فى أول الأمر خطة الدفاع وانما التزم خانب الهجوم ، ويقسال أنه غزا بلادهم أربعين غزوة انتصر في بعضمها وهزم في البعض الآخر ، وقد أوغل في آسيا الصغرى حتى وصـــل الى مدينة صارخة على مسيرة سبعة أيام من القسطنطينية واستولى عليها وأقام المنابر وخطب له فيها (٣ - ولكنه ما لبث أن تعرض لهجمات رومية قوية

⁽۱) حسن ابراهیم : ج ۳ ، من ۱۲۲ . (۲) النجسوم الزاهرة : ج ۳ ، من ۳۰۳ .

الذي بناه هارون الرشيد ، ثم هاجموا ديار بكر ووصلوا الى ميافارقية الذي بناه هارون الرشيد ، ثم هاجموا ديار بكر ووصلوا الى ميافارقين وعائوا في بلاد الحمدانين والعباسين ، وما زالوا حتى حاصروا مدينة حلب تفسها قاعدة سيف الدولة ، ولم ينجها الا تجمع جيش اسلامي قوئ من سورية والجزيرة اضطر الروم الى التقبر عنها بعد أن دخلوا المدينة وغنموا منها وسبوا (١) ، وما زالت الحملات البيز نطية تنوالي على منطقة الثمور الاسلامية حتى سقطت قلاع المحدود القيليقية الكبرى وهي أضنة والمصيصة وطرسوس ، ثم تلا ذلك حملات استولت على معظم شمال مسوي وحمص واللافقية ، ثم سقطت حلب نفسها ، ولم تقاوم سسوي الجيوش البيزيلية الرها وديار بكر وميافارقين ونصيهيين ، ولم يقف في مبيلهم شيء الا صحراء المراق ، كما استولوا على مدن الساحل الشاهي مبيلهم شيء الا صحراء المراق ، كما استولوا على مدن الساحل الشاهي مثل بيروت وصيدا وجبيل ولم تقاومهم سوى طرابلس ،

وهكذا تعرضت الامارة الصدائية لأقوى هجوم شه الروم منذ المفتوح الاسلامية ، ومن غير شك كان تصدى الحمدانيين لهذه الموجة المطتية ذا أثر كبير في اضعاف حدتها ، وتكسرها على صخور هوائت ميف الدولة الحمداني ، ولو لم تتح للمالم الاسلامي المتفكك هذه القوة الحمدانية فلربما استطاع الروم احتلال الشهام كله (٢) ، ومع أن القوة الحمدانية هزمت آخر الأمر ، فانها من غير شك أدت دورها على قهدن هوتها المحدودة وأتاحت غرصة للقوى الأخرى لتجمع شتاتها ، وعوقت التقدم البيزنطي وقتا ليس بالقصير حتى انشخات الامبراطورية بمشهاكلها الداخلية وبهجوم السلاف عليها من الغرب ،

⁽١) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، من ١٨٠ .

⁽۲) انظـر: أومان: عن ۱۷۸ -- ۱۸۳ ، حسسن ابراهیم: ج ۳ ۵صن ۲۳۵ -- ۲۳۸ ،

وهكذا كان قيام الدولة الحصدانية ضرورة من ضرورات العالم الاسلامي وجاء قيامها في وقت كان العالم الاسلامي أحوج ما يكون فيه الي قوة فتية تدافع عن حدوده في هذا الثغر الخطير • ومع ذلك لم تسقط الدولة الحمدانية الا تتيجة للضغط عليها من العراق ومن مصر في الوقت الذي كانت تقوم فيه جذا الدور الحيوى •

الفضالاتيان

المسركات الاستقلالية في المشرق

اذا كان المغرب الاسلامي بيئة معارضة للخلافة العباســـية ، فان المشرق كان البيئة الصالحة التي أرتكزت عليها الدولة العباسية واستمدت منها قوتها ، فهو" المجال الذي توجهت اليه الدعوة العباسية في فتسرة التحضير للثورة ، وكانت جماهير الشرق الاسلامي هي التي التفت حول الدعوة للرضا من آل محمد وآزرتها ، والدعوة العباسية هين اتجهت الى المشرق انما كانت تتجه الى بيئة شيعية حرثها الطويون من قبل • وكان العراق مركز الشبيعة منذ كانت الكوفة عاصمة للخلافة في عهد أمسير المؤمنين على بن أبي طالب • وقد اتسم الصراع الذي قام بين على ومعاوية بمظهر الصراع الاقليمي بين العراق والشام ، واشتكلت بعد مقتل الحسين بن على . ومنذ ذلك الوقت ظل العراق ومهر ورائه المشرق بيئة غير طيعة في أيدى بني أمية ، بل كان مصدر قلق دائم للخلافة الأموية ، الأمر الذي جعل الدولة الأموية تقوى قبضــتها على المنطقــة الشرقية ، وتوكل أمرها الى أقدر قوادها وأشدهم بأسا وأكثرهم عنفا ، من أمشال زياد وابنه عبد الله والحجاج بن يوسف ، وقد ازداد النشاط الشيعي في المشرق كنتيجة لانضمام الموالي الفرس للحسزب الشبعي ، تنفيسا عن القومية الفارسسية التي بدأت تنبقظ ، وتربد أن تثبت وجودها في المجال الاسلامي • وقد أدت سياسة الضغط التي انتهجها بنو أمية على الموالي الى كرههم للدولة الأموية ، والى انضمامهم لأحرآب المعارضة والتي كَّان الحزب الشبعي أقربها الى تحقيق أهدافهم • وكان انضمام هؤلاء الموالي ذوى الملكات المعازة إلى حزب الشيعة من أكبر الوسائل في انجاح هذا الحزب ، ثم كانوا هم الذين حملوا عب، الدعوة العباسية وكانوا جندها حين أعلنت الثورة ، وبقوتهم انتصرت على الدولة الأموية •

وقد وصل الفرس في الدولة العباسية الى المكانة التي كانوا سمون اليها مفالشرق اذن كان سند الدولة العباسية ، ومن ثم ظل يعطى الضلافة المباسية ولاءه ، ويمدها بالذخيرة الحية لتثبت سلطانها وقمع كالمركات المادية لها طوال عصر قوتها • وفي العصر الذي تغلبت قبه اللامراكزية ف شئون الحكم ، نجد المشرق يختلف تماما عن المغرب ، نبينما كانت المنرب تتجه الى الاستقلال التام عن الخلافة العباسية ، وتستجيب في تطلعها القومى الىأحزاب المارضة الساعية الىالانفسال التام عن الدولة المباسية ومناوأتها ، كانت أقاليم الشرق الاسلامي في أتجاهها القومي نعو الاستقلال تحرص على البقاء متصلة بالخلافة ، معترفة بسلطانها ، عاملة في مجال التعاون معها ، بل حرست على أن يكون قيامها بتأييسة من الخلافة العباسية نفسها • ولم تكن دولة من هذه الدول التي نشأت في المشرق ترى سلطانها شرعيا الا اذا اعترف به الخليفة العباسي 2 وحتى الأمراء الذين أقاموا لهم ملكا بقوتهم حرصوا أشد الحرص على أن تصدر لهم الخلاغة براءة التقليد ولم يسموا قط ف اقامة ملكهم بعيدا عنسلطان · الخلافة الأسمى على الأقل ، وأمام هــذا الولاء العميق للخلافــة المباسية ظلت الخلافة قائمة على الرغم من فترات الضعف الشديدة التي مرت بها ، ووقــوعها تحت أيدى المســتبدين بها من الأتراك والديلم والسلاجقة ، وكان من الممكن أن تسقط الخلافة العاجزة وينقسم المشرق من دول مستقلة منفصلة ، لولا هذا الاحترام الذي كان يكنه الشرق الاسلامي للخلافة ، وكان خلفاء بني العباس في عصر ضعف الخــلافة بقفون مجردين الا من مركزهم السامي ، وهو المركز الذي أبقي الخلافة المباسية قائمة هذه المدة الطويلة ، ولم تسقط الا على يد مهاجم بربرى لا يدين بالاسلام وهم المنول .

وقد توزع المشرق الاسلامى في حركته الاستقلالية بين نوعين من الدول : دول قامت لتســد حاجة ثغرية على طرف من أطسراف المشرق الاسلامي ، فهى الى جانب الاستجابة للدافع القومى تستجيب أيضــا للضرورة الثغرية ، ودول لم تكن استجابتها الاللدافع الاقليمي ولنزعات

الطموح من جانب الراغبين فى الحكم ، وهذه الدول كانت داخلية ولم يكن لها غاعلية فى خدمة المالم الاسلامى الا بقدر حسن ادارتها المنطقة التى قامت فيها ، ومن ثم قلت أهميتها وقصرت مدمّ بقائها •

ونشير في حديثنا عن الشرق الاسلامي الى لفظ يرد كثيرا في كتب المؤرخين ، وهو لفظ والمتغلبون أو حكام الأطراف ، ومنشأ هذا اللفظ ال كل أمير أو مساحب جند أو قائد يتغلب على ناحية من النواحي يطلقون عليه اسم « المتغلب » أو « صاحب طرف » والمغرس يطلقون عليه اسم « طرفسدار » ، وولاة النواحي يحكمون : اما عن طريق التغلب ويطلبون من الخليفة تقليدا بمعنى مرسوم يصدر من الخليفة بتولية المتغلب على الناحية التي تغلب عليها ، والخليفة هنا يقر الأمسر الواقع ، ولم تكن الخلافة في العادة ثم التقليب الا اذا كانت قادرة على ارسال الجيوش الاسترداد ما تعلب عليه المتغلب ، أما اذا شسخل بثىء أو عجزت فهي تصدر التقليد ، وأما أن الخليفة يختار بنفسه رجلا أمن وجوه قواده الموثوق بهم أو المشهود لهم بالكفاءة، فيوليه ناحية من النواحي ويصدر اليه تقليدا ، فيكون « طرفدار » بالتفويض ، فولاية النواحي ويصدر اليه تقليدا ، فيكون « طرفدار » بالتفويض ، فولاية النواحي دوعان : ولاية بالتغلب بمعنى الاستيلاء ، وولاية بالتفويض .

ولفظ التغلب بمعنى الاستيلاء ، ولفظ التغويض ، من الألفاخ الاصطلاحية التى استعملها غقهاء ذلك الزمان ، ونراها في كتاب«الأحكام السلطانية» للماوردى المترفى سنة ٥٠٥هـ (١) ، فالخلافة قد فقدت كل سلطان على أقاليم الدولة الشرقية الا عن طريق المفوضين أو عن طريق المتغلبين ، ولم يكن هذا الموقف بدعا في تاريخ الخلافة ، وانما كان قاعدة من قواعد المرونة السياسية ، بحيث كان فقهاء ذلك الزمن يقسمون الولايات الاسلامية الى قسمين ؛ قسم نشأت غيه الولاية باختيار الخليفة ، وفي الغالب كان يحدث ذلك في أقاليم الشغور المواجهة

⁽۱) المساوردى : الأحكام السلطانية (طلعسة الطامي ١٩٦٠م) . هي ٣٠ سـ ٣٤ سـ ٢٠ سـ

لأرض العدو لتنمية موارد الثمر وتقويته على وظيفته في دفع الصدو ، أو مد نفوذ العالم الاسلامى و وقسم نفسأت فيه الولاية على كره من المفليفة ، وهو اذ يقر المتعلب ، انها يستجيب للأمر الواقع ، ويستجيب أيضا للمصلحة العامة التي تقفى باجتماع الكلمة على الألفة والتناصر ليكون للمسلمين يد على من سواهم ، وحتى يكون تقليد هذا المتقلب استدعاء لطاعته وحسما لمخالفته ومعاهدته ، وفي الغالب ما كان يصدث التنطب في مناطق المشرق الداخلية ، غالفلاغة قد غقدت كل سلطان على القيام فارس ، وأصبحت عاجزة عن القيام بأى شيء فيه الا عن طريق المتغلبين عليه ه

وقد بدأ الشحور القدومى في المشرق مبكرا ، ولكن العدية الاستقلالية فيه بدأت تنظير متآخرة عن ظهورها في المغرب الاسلامي ، وذلك لأن المغرب كما أوضحنا من قبل بدأ بيئة معارضة منذ قيام الدولة المباسية ، أما المشرق غانه أرضى نزعته القومية بانتصاره للدعوة المباسية واقامة المشلافة المباسية ، فقد كان احساس المشارقة بأن الدولة لهم سوركات فهم وزراؤها ومنهم جل قوادها وجندها دامناً عن القيام بعدركات استقلالية عنها حتى ولو كانت هذه الحركات تحت ظلها ، ثم بدأ المشرق يتخذ العركة الاستقلالية في أوائل القرن الثالث الهجرى ، ثم برزت هذه المركة في المصر العباسي وكان المشرق في أول حركته الاستقلالية يضم لحكم واحد ، تحت سلطان دولة أنشاتها الخلافة المباسية بارادتها هي الدولة الطاهرية المتاسية بارادتها الاستقلالية تتشمب الي شعب ثالث بحسب الظروف الثغرية والاقليمية ، هذا عدا ظهور حركة المتغلين في الأقاليم الداخلية في بلاد ايران ،

ونهن في استعراضنا للحركات الاستقلالية في المشرق نتتبع التقسيم الاقليمي ونسنير فيه يحسب سير العوادث زمنيا ٠

النول المستقلة في إيران

بدأت ابران تتطور تطورا اسلاميا بعد فتحها مباشرة ، اذ بسدات الصبغة الاسلامية والثنافة الاسلامية تنشر فيها منذ اتمام حركة النتح العربي ، وقد اشتدت الحركة الاسلامية فيها بدخول الموالي في الاسلام، ثم أخذت شخصيتها الاسلامية في الظهور معبرة عن نفسها بانضمامها الى حركات المارضه التي قامت في وجه الحكم الأموى ، وقد شهدنا كيف انضم الموالي من الفرس الى حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ثم في جيوش مصعب بن الزبير . ثم في ثورة محمد بن الأشعث ، ولكن بداية ظهور القومية الايرانية ظهورا واضحا كانت في سنة ١٩٧٣ه ، لأن الايرانيين كانوا من وراء العركات التي أدت الى نجاح العباسيين ، وشهد المصر العباسي الأول نفوذ الموالي في مجالات الدولة المختلفة ، ولكن الوطن الإيراني بدأ يعبر عن نفسه تعبيرا قوميا بظهور الأمارات المستقلة ، وهي الختلف الى حد ما عن الحركات التي ظهرت في كل قسم منها حركة المختلف أن أقسام ايران الجغرافية ظهرت في كل قسم منها حركة استقلالية منفصلة ، أي أن التعبير القومي لايران لم يكن شساملا .

(١) ألنولة الطاهرية

(007 - 707A \ 07A - 7YAq)

أسس هذه الدولة طاهر بن الحسين أحد قواد المامون الثقاة ، وقسد ولاه المسأمون خراسان سنة ٥٠٥ ه وأضاف اليه أعمال المشرق كلِها من يعداد (١) ، فاتخذ نيسابور قاعدة له في خراسان ، وقد بدت من طاهر منذ أول الأمر ميول نحو الحكم المستقل ــ ولكنه مات وشيكا سنة ٧٠٠٧ هـ هه وعلى الرغم من معرفة المسامون بميول طاهر فأنه أقسر ايغه طلحة على ولأية خراسان ، غقابل الطاهريون ثقة الأمون بالاخلاص ون جانبهم ٤ غلج يفكروا بعد ذلك في الاستقلال عن الخلافة العباسية ، في عرصوا على التعاون معها والاعتراف بسلطانها م وكان عبد الله بن قض مثلا في هذا الاخلاص ، فقد ولاه المائبون في حياة أيه مصر وكانت تعلى بالفتن ، فقضى على الخارجين بها وأصلح أحوالها ، وأقام واليا عليها وعلى الشام والجزيرة « فأصلح الدنيا ، وأمن البرىء وأخاف السقيم واستوسقت له الرعية بالطاعة » (١) مو ولمسا كان للعلوبين نشاط كبير بمصر وكان بنو طاهر يميلون الى ولد على بن أبي طالب ، فقد أراد المأمون اختبار اخلاص عبد الله بن طاهر ، غدس له من يسبر غور نفسه بأن يدعوه الى أحد العلوبين بمصر ، وكان رد ابن طاهر مثلا في الاعتراف بالجميل و قال « عُتجيء الى وأنا في هذه المال : لي هاتم في المشرق جائز ، وخاتم في المغرب جائز ، ونيما بينهما أمرى مطاع مه ثم ما التفت عن يميني ولا شمالي وورائي وأمامي الا رأيت نعبة لرجل أنسها على ، ومنة ختم بها رتبتي ، ويدا لائحة بيضاء ابتدأني بها تفضلا وكرما ، تدعوني الى أن أكفر بهذه النعم وهذا الأحسان ، وتقول أغدر بمن كأن أولا لهسدًا وآخرا ، واسع في ازالة خيط عنته وسلمك دمسه ، تراك لو دعوتني الى الجنة عيانا من حيث أعلم ، أكان الله يصعلى أن أغدر به

⁽۱) ابن الاثير ۽ ڇ ۽ ۽ ٻس ١٣٤ -

 ⁽٢) تقيس المحدر أن من ١٤٢١. - ١٤٧ . ٠٠.

وأكثر لمسانه ومنته وأفكث بيعته 11 » (*) • ومنذ ذلك الوقت لم تذهب الثقة بين المباسيين وبنى طاعر ، وقد تتبع الطاهريون الطويين يقضون على حركاتهم في كل مكان تصل أيديهم اليه ، فقد قضى عبد الله بن طاهر على النفركات العلوية في خراسان بعد أنَّ ولي عليها سنة ٣١٤ هـ (") • كما تصدى خلفاؤه للحسن بن زيد العلوى الذي ظهر في طبر مستان واجتمع اليه الديلم وأهل طبرستان في سنة ٢٥٠ هـ ، موفة ينقردهم ومرة متماونين مع قوات الخلاقة (٢) .

وكذلك تماون عبد الله بن طاهر مع العفلافة تماونا صدادتا في قسع الفارجين عليها ، عقد خرج المازيار بن قارن صاحب جيال طيرستان على المتمم بتحريض من الافشين ، فاستطاع عبد الله بن طاهر كشمة المؤامرة وأطلع المنتصم عليها ، وأرسل جيوتُه الى قتال المسازيار حتى قبض عليه وارسله الى سامرا (4) • وتعاوَّل بنو طاهر بعد ذلك مع المخلافة وشاركوا في الأعداث التي كانت تجرى في بنداد لمالح المطالقة () .

وقد قدر العباسيون خدمات الطاهريين وقربوهم ، ومالوا الى جانبهم في النزاع مم الصفاريين ، وأبقوا شرطة بعداد في أيديهم حتى ٣١٠ ه على الرغم من زوال ملكهم في خراسان .

ومما لا شك فيه أن حكم الطاهرينُ للمشرق كان حكما صالعا . فقد اهتموا بأمر رعاياهم ، وأصلحوا الأحوال الاقتصادية للبلاد وأقروا الأمن فيها : كما تعهدوا عمالهم بالنظر والمراقبة فكانوا يضربون على يد كل من يمسنف بالرعية منهم (١) ، كما تعهدوا أهسل العلم والمعرمه ، وأصبحت نيسابور في عهدهم مركزا من مراكز الثقافة الاسلامية .

⁽۱) الطبرى: ج ۱۰ مس ۲۷۷ . (۲) ابن الاكبر: ج ۲۰ مس ۱۹۲ . (۲) ابن الاكبر: ج ۷ مس ۶۰ ۷۵ مس ۸۵ ، ۷۱ . (۱) الطبرى: ج ۱ مس ۲۵۱ سـ ۲۲۲ ، ابن الاكسسير: خ ۲ ۲ ، ~ 1AY -- 1AY --

⁽ه) ابن الأثير : ج ٧ من ٥٨ ، ٩٩ .

⁽١) ابن الادير : ج ٢ ، من ١٨١ ،

وقد حافظوا على الثمر الشرقى ومدوا نفوذ الدائم الاسلامى فى بلاد التهائد ووطدوا سبلطان المسلمين بانقضاء على الخارجين من ملوك الترك الذيع كافوا قد دخلوا فى طاعة المسلمين و وحين بلت الدوله الطاهرية علجزة عن القيام بدور فعال فى حكم الثغر الشرقى تتيجة لتعرضها لمثورات المطويين ، ونتيجة لقوام الصفاريين سقطت فى سنة ٢٥٩ هـ ٥

(۲) الدولة الصفارية (۲۰۵ – ۲۸۹ه / ۸۹۷ – ۲۰۲م)

تمثل هذه الدولة امتداد الحركة الاستقلالية الى قسم من أقسام الميان الجنرافية وهو القسم الجنوبي و وتنسب الى يعقوب بن الليث الصفار ، وهو رجل مفامر انتهز فرصة ضعف الخلافة واضطراب الأحوال السيامية ، فغلب على أقاليم ايران الجنوبية وضسم اليه فارس ، وامتد الى خراسان وأسقط الدولة المطاهرية ، واعترفت به الخلافة أميرا مستقلا، ولكن طموحه امتلك الى فتح بسلداد ووضسم الخلافة تمت نفسوده ، فاصطهم بقوة الخلافة التى كانت قد بدأت حركة انتماش فى عهد المعتمد وأخيه الموفق ، وكان ذلك من أكبر الأسباب فى شصر عمر هذه الدولة وسلموطها •

بدا يعقوب بن الليت السفار وأخوه عمرو حياتهما يشتملان بصناعة اللسفر ، ويعيشان منكسب عملهما ، ثم التحقا بفرق المتطوعة التي تكونت لقتال الغارجين على الدولة العباسية في الأقاليم الشرقية وبعناصة في اقليم سجستان ، ذلك أن مركز الخلافة قد تضمضع منذ سيطر الأتراك على شيور المخلافة ، فبلمح كثير من الأمراء المعلين ومن الخارجين في اقتطاع ألملاكها ولائت الدولة الطاهرية التي كانت تعتمد عليها المخلافة في المشرقة كثيرا من شرهم ، كما أدت ثورات هؤلاء القارجين وعجز المخلافة عن قصعا الى تعرض حدود المدولة الشرقية والنمائية الى معبات جيراهما من المترك والمهترد والديلم ، الخلك تكونت جماعة من المتطوعين المجهاد من المترك والمنود والديلم ، الخلك تكونت جماعة من المتطوعين المجهاد

صيانة للوحدة ودنما لأذى الماجمين() • وبهؤلاء المتطوعين التحق يعقوب وألحوه عمرو تحت قيادة صالح بن النصر الكناني في اقليم سجستان ، وقد كان يعقوب ذا مواهب عالية فما لبث أن ظهر أمره بين اخوانه من المتطوعة جنديا باسلا ، ذا تجربة وحنكة ، الى خلق عسسكرى رفيع أساسه الخشونة والتواضع والمواساة •

وهين مات صالح بن النضر الكناني خلفه على قيادة المتطوعة درهم ابن الحسين ، ولما لم يكن يملك مواهب القيادة ، فقد تطلع الجند الى شخصية قرية تستعليم مواصلة جهود صالح ، فوقع اختيارهم على يمتوب بن الليث (٢) ، وقد درهن يمقوب منذ اللحظة الأولى في القيادة على مقدرة وكامة ، فقد صبط أمور الجند ووجهم الى أعمال فاجعه ، فعارب الخارجين على الدولة من الشراة وظفر بهم وخرب قراهم ، واشتدت شوكته فقلب على سجستان ، وأظهر التسمك بطاعة الفخليفة وكاتبه ، وأظهر أنه يمعل بأمره وأنه أمره بقتال الشراة وملك سجستان ، قطهر وأظهر أنه يمعل بأمره وأنه أمره بقتال الشراة وملك سجستان ، قطهر ألمل و وحفظها وأمر بالمروف ونهى عن المنكر ، فأطاعه الجند وكثر أتابعه ، فتقدم الى منطقة خراسان واحتل مدينتي هراة وبوشنج بعد أن المام جيش الطاهريين الذي تقدم لمنمه ، وعند ذلك هابه أمير خراسان وغيره من أمراه الأطراف (٢) ،

ولم يكتف الصفار بما وصل اليه ، وانما تقدم غاهتل كرمان مسئة 100 هـ وضمها الى سجستان (1) وسار الى اقليم فارس فدخله واهتل عاصمته شيراز ، وليظهر أنه يممل تحت طاعة الخلافة ، بادر بارسال هداياه الى الخليفة المعتر عنوانا على الطاعة(") ثم ليظهر بمظهر المدافع عن هدود الدولة ، ولى وجهه شطر اقليم بلخ وطفارستان

⁽۱) محبد إعليي بخيد ٤ ص ١١٩ ه

⁽٢) أَبُن الْأَلْمِ : ج ٧ ، من ٢٣ ، ١٥ ،

⁽٢) ابن خلكان : ج ٢ من ٣١٢ ، ابن الأثير : ج ٧ ، من ١٥ .

⁽۱) الطَّرَى : ج آ ا ، من ١٥٧ ،

⁽٥) الطبري: ج ١٦ ، ص ١٥٩ سه ١٦٠ . .

والسند فهزم من اعترضه هناك واحتل كابل، وأوقع بالهنود والأتراك، غَأَدْعَنَ لَهُ مَلِكُ المُواتِسَانَ ، وملكُ الرخسِجِ ، وملكُ الحبسين وملكُ السند (١) ثم تقدم شمالا الى طبرستان فحارب المسن بن زيد العنوى وهزمه بعد ان عجزت قوات الطاهريين عن القضاء عليه • وارسل للخليفه هداياه عنوانا على طاعته ، كما أرسل أصناما أخذها من كابل دليلا على حهاده في سبيل الاسلام . وردت عليه الخلافة بان أرسلت اليه تقليـــدا بولاية بلخ وخطار ستان الى مايلي ذلك من كرمان وسجستان والسند ونسيرها (٣) .

انى هذا الحد كان الصفار يعمل تحت دائرة طاعة الخلافة بويهرص على ارضائها ، ويسمى لتأييدها ، وقد استجابت الخلافة فمنحته التقليد عبى ما ملك • لكن كثيرا مما وضع يده عليه كان تحت نفوذ الطاهريين الذين تعطف عليهم الخسلافة ، وتعتمسد عليهم لاخلاصهم في خدمتها وطاعتهم لها . وكانت تحركات الصفار نحو هذه الجهات تهديدا خطيرا للطاهريين واضعاغا لهم في الوقت الذي كانوا يقاتلون غيب العلويين في طبرستان ومنطقة تُمزوين • وقد أدت انتصارات الصفار من ناحية وانتصارات العلويين من ناحيةٍ أخرى الى اضمحلال أمر محمد بن ظاهر والى خراسان وانتفاض كثير من الأعمال عليه ، فلم يبق في يده الا بعض غراسان وأكثر ذلك مفتون منتقض بالمتغلبين في نواحيها ، والشراة الذين يميثون هيهسا خسسادا ولا يمكنه دخعهم ، لتوزيع قواته وتعطيمها في جبهة الصفار في الجنوب وجبهة العلويين في الشمال () •

وأهس الصفار بقوته ، ووجد الفرصة مواتية ليضم المشرق ُكله تمت لوائه حين أدرك ضعف الطاهريين ، فتقدم الى نيسابور عاصسمة خراسان ، وحين أدرك بعض أهلها أن محمدًا بن ظاهر غير قادر على دفعه

⁽۱) ابن الاثي: ج ٧) من ١١٦ ،

^{- (}۲) أبن الأنسير : ج ۷ ، من ۸۸ ، الطبرى : ج ۱۱ ، من ۲۵۷ ، ٢٣٢ - ٢٣٢ ، حسن أبراهيم : ج ٣ ، ص ٢١ ،

⁽٣) ابن الاثير: ج ٧ ٤ من ١٨٨٠٠

عنها ، راسلوا الصفار واستدعوه فدخلها ، وأساء معاملة محمد بن طاهر وحبسه وأهل يته ، وليبرر فعله أرسل الى الخلافة بشرح حال خراسان وأن الشراة والمخالفين قد غلبوا عليها ، وضعف محمد بن طاهر ، وأن أهل خراسان قد كاتبوه واستعانوا به فسار اليها فدهموها اليها فدخلها() •

وأدركت الخلافة خطورة الصفار، فأرسل الموفق يقول له مع الرسل، و ان أمير المؤمنين لا يقار يعقوب على ما فعل ، وانه يقمره بالالصراف الى العمل الذي ولاه اياه ، وانه لم يكن له أن يفصل ذلك بغير أمره ، علي يجسم ، عانسه ان غصل كان من الأوليساء ، والا لهم يكن له الا ما للمخالفين (٢) » لكن الصفار تحدى الخلافة معتمدا على قوة جيشه وطاعة جنده ، فتقدم نحو فارس واحتلها وثبت سلطائه بها ، ثم أظهر على السير الى المعراق ، وتقدم الى الأهواز ، ورأت الخلافة أن ترضى الصفار رشا تعد عدتها ، فأرسلت اليه تقليدا بولأية خراسان وطهرستان وجرجان والرى وغارس ، وتعيينه أميرا على شرطة بغداد ، وبذلك حققت له جميع ما طلب (٢) ، لكن يعقوب آصر على أن يجمسع وبذلك حققة المحواج الذين آعلن عليهم عزل يعقوب وعصيانه ، لخووجه على الخلافة ، وأن يذيع فيهم كتابا آخر يمان رضاه عن يعقوب فيبطل بهسدا الكتاب الجويد الأثر السبيء الذي تركه الكتاب الأول ، ثم زاد على ذلك بأن طلب أن تضاف اليه شرطة سامرا الى شرطة بغداد ، وقد رأت الخلافة أن تجيبه الى ذلك غفعلت (٤) ،

تساهلت الخلافة هذا التساهل الكبير مع الصفار لإنها كانت واقعة بين قوتين ، ولم تشأ أن تواجههما في وقت واحد ، وكانت تنشى اتفاقهما عليها ، هاتان القوتان هما قوة الصفار التي احتلت فارس وتقدمت الى

⁽١) الطبرى: ج ١١ ، ص ٢٣٢ .

⁽۲) الطبرى : ج ۱۱ ، ص ۲۳۲ .

 ⁽۲) الطبرى: ج ۱۱ ، من ۲۳۷ - ۲۳۷ ، ابن الانسسير: ج ۷ ، من ۱۰۳ .

^{. (}٤) ابن خلكان : چ ٢ ، ص ٣١٣ .

الأهواز ، وقوة صاحب الزلج في اقليم البصرة والتي كانت قد امتدت الى الأهواز أيضًا ، ولما كان الموفق آخو الخليفة يستعد لقتال صماحب الزنج ، غانه ترضى الصفار ليكسب ولاءه ولييعده عن المركة ، وفي الوقت نفسه كانت الخلافة قسد أقامت لها حكما مواليا في المشرق وراء خراسان ، بأن جعلت من بالاد ما وراء النهر التي كانت خاضمة لولاة خراسان المليما قائما بنفسه وعهدت بولايته الى نصربن أهمد الساماني. وقد كان السامانيون يتولون أصال بلاد هذا الاقليم من قبل بني طـــاهر ولاة خراسان (١) . وبذلك جعلت الخلافة لنفسها قوة موالية وراء الصفار تستخدمها عند اللزوم •

لكن الصفار غرة تساهل الخلافة من ناحية ، وثقته في ولاء جنده له من الحيسة أخرى ، ففاته التوفيق في الناحيتين . ذلك أنه لم يدرك يتمير الأحوال في مركز الخلافة التي كانت قد بدأت تسترد غماليتها بتولية الموفق على تنيادة الجيش وسيطرته عليه وخبطه لجنوده، كما لم يدرك مرامي سياسة الموقق ، ولم يكن الصفار سياسيا بعيد النظر هين غاضب المفلالمة ، وقد كان في امكانه أن يستمين مقوات صاحب الزنج الذي طلب فعلا أن يساعده قرفض الصفار طلبه في ازدراء (٢) . كذلك كان الصفار قصير النظر حين أفرط في ثقتـــه بجنده ، حقيقة كان الصـــــفار محسنا الى رجاله مواسيا لهم ، ضابطا لأمورهم حتى أحبوه وأولوه اخلاصهم ، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا من المنطوعين الذين تجمعوا أصلا لنصرة الخلافة ، وانما الضموا تحت لواء الصــفار غضبا للخلافة لا غضبا عليها ، فكان ولاء آكثرهم للخلافة أكثر من ولائهم للصفار • فلما رأوا الصفار يقاتل جيشا على رأسه الخليفة نفسه تخاذلوا عن الصفار ، بل هاجموه في صفوف الخليفة •

لم يقنع الصفار بما ولاه الخليفة ، بل أراد أن يسير الى دار الفلافة

⁽۱) اس الأثير : ج ۷ ٤ من ۱۹ ٠ (۱) أين الأثير : ج ۷ ٤ من ۱۰۳ ٠

ليرغهها على الاذعان لقوته وليحتل منها مركز الأتراك من قبل ، لذلك لم ين الموقق بدأ من الدخــول معــه فى معركة تكسر شوكته وتكبح جماحه ، وخرج جيش الخليفة بتيادة الموقق ، وخرج الخليفة المستــد مع الجيش ليحدث وجوده التأثير الروحى على جند الصفار حين يروئه قاتل صاحبه ،

وحين التتى الجشان أحرز الصفار نصرا مبدئيا في المرقحة ، ولكن هذا النصر ما لبث أن تحول الى هزيمة ساحقة ، عين رأى جند الصفار الخليفة على رأس البجش يحارب الصفار الذي كان في أول أمره جنديا مع المتطوعة يحارب الخارجين على الخليفة ، فاقضموا للخليفة وحسلوا على الصفار ومن ثبت معه للقتال مفاضوم يمقوب في هاصنة أصحابه تاركا في الميدان غنائم كثيرة ، بالفت « الدواب والمنال فيها أكثر من عشرة آلاك ، ومن الدنائير والدراهم ما يكل عن حمله ، ومن جرب المساكح أمر عظيم (١) » وأصدرت الفلافة كتابا بلعن الصفار واعتباره هارجا على أمير المؤمنين ، منكرا للنعم ، ساعيا الى المساد (١) ،

أعادت الخلافة محمد بن ظاهر ، الذي تخلص فى المحركة من أسر الصفار ، الى منصبه رئيسا لشرطة بشداد ، وعاد يعقوب الى البلاد التى ملكها يحصنها ويقوى قبضته عليها ، ويستعد لمركة أخرى ، هاستولى على الأهواز مفتاح الدخول الى على الأهواز مفتاح الدخول الى العراق من ناحية غارس ، ولما لم يتكن الخلافة مقتلوغة المقتاله ، هقد سارت على سياسة الاستمالة كسبا للوقت ، فأرسلت الى يعقوب الصفار درسولا يترضاه ويستعيله ويقلده أعمال فارس ، فوصل الرسسول ويعقوب مريض فجلس له ، وقد جسل عنده مسيفا ورغيفا من الخبر الخير ومعه بصل ، وأحضر الرسول فادى الرسالة ، فقال له : قل

⁽۱) ابن الأثير : ج ٧ ، ص ١٠٣٠

⁽٢) الطبرى : ج ١١ ، ض ٢٣٨ .

⁽٣) الطبرى: ج ١١ ، ص ٢٤٦ . .

للخليفة الى عليل ، فان من فقسد استرحت منك واسترحت منى ، وان عوفيت فليس بينى وبينك الا السيف هذا ، حتى آخذ بسيفى ، أوتكسرنى وتنقر نى فاعود الى هذا الخبز والبصل • وعاد الرسول فلم يلبث يعقوب أن مات » (ا) •

من هذا يتبين أن يمقوب بن الليث امتد طموحه الى الاستقلال التام عن المخلافة ، و اعادة دولة الفرس بحد السيف ، وكان هذا الطموح هو علة الدولة التي أشامها وسبب قصر أجلها ، وعلى الرغم من أن ألخاه عمرا الذي اختاره المجند خلفا له ، قد أدرك هذه المشيقة وكان أبعد من أخيه نظرا وحسن سياسة ، فإن الخلافة لم تئس للصفاريين طموحهم ، وكافت ترتف الفرصة للقضاء عليهم ،

كتب عمرو الى الخلافة بطاعته ، فأرسل اليه الموفق التقليد بولاية خراسان وغارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وأرسل اليه الخلع ، وبذلك تولى عمرو ما كان بيد ألحيه ، وأناب عنه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في شرطة بغداد وسامرا ، وأرسل الى الموفق هدية عمودا من ذهب (٢) ه

اكن الخلافة ما لبنت أن تخلصت من صلحب الزنج والقضاء على حركته ، وأصبحت حرة اليد ، تستطيع أن توجه اهتباما للصفارين ، فأصدر الخليفة المعتمد قرارا بعزل عمرو بن الليث عن البلاد التي ولاه اياها ، وأعلن هذا الخلع على ملا من الحجاج الذين حضروا الى بلداد من خراسان ، ولمعنه بحضرتهم ، وأخبره أنه تلد خراسان محمد بن طاهر وأمر بلعن عمرو بن الليث على المنابر غلمن () ، ثم سير جيشا الى قتال عمرو بفارس ، غانتصر على جيوش الصفار (أ) ، أما محمد بن طاهو غقد عمرو بفارس ، غانتصر على جيوش الصفار (أ) ، أما محمد بن طاهو غقد

⁽۱) ابن الأثير : ج ٧) من ١١١١ ··

⁽٢) الطبرى: ج ١١ ، من ٥٥٠ ؛

⁽١) الطبرى: ج ١١ ، ص ٢٢١ -- ٢٣٠ ٠

⁽٤) الطبرى: ج ١١ ، من ١٣١ ·

یقی ببغداد واستخلف علی خراسان رافع بن هرثمة ، وآبقی بلاد ما وراء النهر فی ید بنی سامان (۱) ۰

ثم سار الموفق بنفسه لقتال عمرو بن الليث في فارس ، واصمطره الى المتقهد الى سجستان بعد أن ألمق بقواته الهزيمة (٢) •

وحين تولى المتضد الخلافة سينة ٢٧٨ هـ أرسل عمرو بن الليث هداياه الى الخليفة يمان ولاءه ويسأله ولاية خراسان ، هاجابه الخليفة وبعث اليه التقليد ، لكن راغما ابن هرثمة رغض الاذعان وقاتل عمرا الذي قتله سنة ٣٨٣ ، وبعث برأسه الى الخليفة وطالب بولاية بلاد ما وراء النفو ، وكانت بيد اسماعيل بن أحمد الساماني ،

وانتهز المتقد الفرصة • غازاد أن يضرب عمرا بقوة السامانيين " النامية في بلاد ما وراء النهر • قاجابه الى طلبه • وهو يقدر المنامرة التي يتمرض لها عمرو ، وقد صدق تقدير الخليفة ، فان السامانيين المعقوا بعمرو هزيمة هاسمة وأسروه وأرسلوابه الى الخليفة الذي سجنه هتى مات • وأفسدت الخلافة ترسل بدوشها متوالية حتى استطاعت القضاء على بقية الصفارين في سنة ٢٩٨ هـ •

التهت الدولة المسفارية بعد هذا العمر القصير الذى لم يتجاوز لحسا وثلاثين منة ، على الرغم من قوة جيوشها وحسن تدريبها وتسايحها، وعلى الرغم من اتساع البلاد التي وقت تحت يدها ، وامتلاه خزائنه بالأموال حتى قيلا أن يمقوب بن الليث حين مات كان في خزائنه خمصون الف الله درهم وثمانون ألف ألف دينار () ، وذلك لأن الصفاريين اتجهوا الى مجال داخلى ، واتجه طموحهم الى اتامة ملك لهم ، ولو أنهم واصلوا اتجاههم الأول الى المجال الخارجي وواصلوا جهودهم في الثمر الذي

⁽١) ابن الأثير : ج ٧ ، من ١٤٩ .

⁽٢) ابن الأثير : ج ٧ ، س ١٥٣ .

⁽٣) حسن أبراهيم : ج ٣ ، من ٦٧ .

يليهم من ناهية الهند لاكتسبوا عطف الخلافة واهترام العالم الاسلامي، ولكانت الخيلافة قدرت لهم هيذا فأعاتهم أو على الأقل لم تسع الى اسقاطهم ، ولكنهم اتجهوا الى الداخل ووسعوا ملكهم على حساب دولة كانت توالى الخلافة وتقوم بمهمة ثفرية كبيرة في المشرق ، وزادوا بأن تحدوا الهخلافة في وقت كانت قد بدأت تنتعنى فيه وتعمل على استرداد نفوذها على ولاياتها ، فتعرضوا بذلك لبخطها وسخط الموالين لها ، فلم يستطيعوا الاحتفاظ بدلكهم وسقطوا وشيكا .

(٣) الدولة السامانية (٣) - ٢٦١ (٢٦١ – ٢٦١٩)

قامت هذه الدولة في منطقة ربعا لا تدخيل في منطقة الثقافة أو الصضارة الايرانية ، وهي المنطقة التي تسمى «بلاد ما وراء النهر »، ولكنها ما لبشت أن امتدت الى المنطقة الايرانية ، فبسطت سلطانها على بلاد خراسان كما ضحمت طبرستان والري والجبل وبلاد سجستان والري والجبل وبلاد سجستان تعبيرها عن الحركة الايرانية القومية أكثر ظهورا ووضوحا مما رأيناء عند الدول أدّخرى ، ومظهر ذلك أن السامانين عملوا على احساء الله الفارسية العديثة التي تجمع بين المؤثرات العربية والمؤثرات القارسية ، وبدأت هذه اللغة في عهدهم تصبح لمة اللفكر والثقافة ، ترجمت اليها بمض الآثار العربية الاسلامية ، كما ظهر شحراء من الفرس () ، وكان طهورهم مقدمة للشاعر الفارسي المظيم « الفردوس » الذي يعبر تعبيرا صحيحا عن القومية المفارسية وعن المقاومية المدومة المعالمية المدومة عن القومية المفارسية وعن الثقافة الايرانية المحديدة ،

والسامانيون ينتصبون الى احسدى أسر الفرس العريقة ، وهم ينسبون أنفسهم الى ملوك الفرس ، شانهم فى ذلك شأن الأسر الفارسية

التى حكمت (١) . وقد ظهر أمر هذه الأسرة فى عهد الخليفة المسأمون ونالت يحظوة عنده ، فولى أولاد أسد بن سامان بلاد ما وراء النهر ورفع من شاقهم : فولى نوح بن آسد سموقند فى سنة ٢٠٠٤ هـ وأحمد بن أسد هرغانة ، ويحيى بن أسد الشاش وأشرو سنة . والياس بن أسد هراة . • ولما ولى طاهر بن الحدين بلاد خراسان اقرهم فى هذه الأعمال .

وظل السامانيون في بلاد ما وراء النهر يتماونون تماونا سادقا مع الطاهريين ويحمون هذا الثمر الشرقي ، كما شاركوا في الصراع الذي قام بين الصفاريين والطاهريين ، وكانوا يشدون آزر الطاهريين ، الأمر الذي جمل الطاهريين دائما يقرون السامانيين في بلاد ما وراء النهر ، ولما ضعف آمر الدولة الطاهرية واستولى الصفاريون على اقليم خراسان، متدت المخلافة للسامانيين اخلاسهم ، فجملت بلاد ما وراء النهر اقليما منفصللا عن خراسان وأقر تبديعليه المسامانيين (٢) ، وظل السامانيون يمملون متماولين مع الطاهريين من تاحية المرب ، كما كانوا يسدون الشفر من ناحية المرب ، كما كانوا يسدون الشفر من ناحية الشرق ، ويمدون من نفوذ العالم الاسلامي في جبهتهم ، فقد غزا اسماعلى بن أحمد الساماني بلاد الترك في سنة ١٨٥٠ هـ وأسر منهم نصو عشرة آلاف أسير (٢) ، كما صد غاراتهم في سنة ١٨٥٠ هـ وأسر منهم نصو عشرة آلاف أسير (٢) ، كما صد غاراتهم في سنة ١٨٥٠ هـ

كانت الملاقة بين السامانيين وبين الخلافة العباسية تقوم على المودة، والواقع أن السامانيين لم يتجهوا بأطماعهم الى البلاد الداخلية في العالم الإسلامي، وأنها امتدوا بنشاطهم الى المجال الخارجي، فهم يمدون نفوذ العالم الاسلامي في الثفر التركى الى أواسط آسيا، أما امتداد سلطانهم الى الداخل فلم يكن دافعه الطمع وانما كانوا في الحقيقة يسدون فراغا لمي الداخل فلم يكن دافعه الطاهرين، وكانت كل قوتهم مركزة في المتركستان

⁽۱) نسب بنو بویه انفسهم الى ملوك الفسرس الى بهرام جور الملك ابن يزدجرد ، رهو نفس النسب الذى تيل عنه للساماتيين ، (ابن الأثم : ج ۷ ، ص ۱۹ ، ج ۸ ، ص ۹۱) ،

 ⁽۲) آبن الاثبر : ج ۷ ، من ۹۹ ـ
 (۳) آبن الاثبر : ج ۷ ، من ۱۹۳ .

شرقى نهر جيحون وفى أواسط آسيا ، واستطاعوا أن ينشروا العضارة الاسلامية فى تلك البلاد الوثنية ، فدخل على أيديهم عسدد كبير فى الإسلام ، وأقاموا فى آيامهم بما وراء النهر مراكز ثقافية هامة كانت عاملا هاما فى صبغ الترك بالصبغة الاسلامية ، وقد جملوا من التركستان بيئة مؤثرة فى الترك فخفف من خطرهم على العالم الاسسلامي ، بل هيأتهم للقيام بدور فعال لصالح العالم الاسلامي فى الداخل والخارج ،

كان السامانيون يدركون مهمتهم النفرية ، ويفضلون ألا يدخلوا في الصراع الداخلي مع الدول الاسسلامية الأخسرى ، ولكنهم كانوا يدخلون الحرب مع جيرانهم من المسلمين مضطرين الما دغاعا عن أنفسهم أو دفاعا عن مصلحة الخلافة وخطا لأملاكها ، ويتبين هذا واضحا من المسلقات بين المسامانين والمسفارين ، وينتهم وبين العساويين في طب سيتان ،

قاما علاقتهم بالصفاريين ، فان عمر بن الليث الصفار بعد أن ولته المخلفة خراسان طمع فى بلاد ما وراء النهر وطلب من الخليفة ولايتها ، ولما أجابته الخلافة الى طلبه لم بشأ أن يترك السامانيين بها ، كما كان يقمل الطاهريون ، وانما سار اليها ليخذها بالقوة من يد اسسماعيل بن أصعد الساماني ، فكتب اليه هذا يقول « انك وليت ديا عريضة ، وانما في يدى ما وراء النهر ، وأنا فى ثفر ، فأقتسم بما فى يدك واتركنى فى هدذا الشفر » (١) و ولكن عمر بن الليث رفض وسار بقواته فهزمه اسماعيل وأسره ، وأرسله الى دار الخلافة حيث حبس ثم قتل سنة ١٨٩٩. ويهذا سفطت الدولة الصفارية ، وصهدت الخلافة الى اسماعيل بن أحمد الساماني بولاية ما كان فى يد الصدفار ،

وأما علاقة السامانيين بالعلويين في طبرستان غان محمد بن زيد العلوى طمع فخراسان بعد أسر عمرو بن الليث الصفار ، غنهاه اسماعيل

۱۷۱ – ۱۷۸ من ۱۷۸ – ۱۷۹ ،

وترك له جرجان على ألا يتقدم نحو خراسان ، ولما أبي الا العداء سار البيه اسماعيل وهاربه وقتله واستولى على طبرستان (١) ٠ شم ضم اليه المرى وقزوين ، وبذلك أعاد طبرستان الى أملاك الخلافة العباسية كما حمى هو حدوده من ناحية الغرب .

وكانت الخلافة العباسية تعتمد على السامانيين في اقرار سلطانهاف للاد المنسرق ، وضرب المتفلمين الخارجين على طاعة الخلافة ، فسسميروا جيوشهم لاترار سلطان الخلافة عدة مرات بحسب طلبها ، فانتزعوا الرى جيشا الى كرمان ، انتزعوها من يد محمد بن الياس ، كما أعادوا الكرة على الري وانتزعوها من يد وشمكير بن زيار ، ثم من يد ماكان ابنكالي الذي قتل ، وما زالوا يوالون انتصاراتهم على المتغلبين على البلاد غاستولوا على أبهر وتزوين وتم وهمذان ونهاوند والدينور حتى بلغوا مسدود حلوان (^(۱) •

ظل السامانيون مخلصين للبخلافة العباسية حتى كان العصر البويهي، غطمم البويهيون في التوسيع في البسلاد التي في أيدى السامانيين ، ماشتبك الطرفان في حروب من سنة ٣٥٦ الي سنة ٣٦١ هـ وانتهت بصلح بين الأمير منصور بن نوح الساماني وبين ركن الدولة وابنه عضد الدولة ، على أن يصل ركَّن الدولة وابنه الى منصور مَائَّة الله وخسين ألف دينار ، ثم تصاهر البيتان وتزوج ابن منصور بابنة عضد الدولة ، وبذلك استقر السلام بين الطرفين (") .

كانت الدولة السامانية تمينة أن تعمر طويلا ، لولا أن البيث الساماني تمرض للخلافات الداخلية بين أفسراده، منا أدى الى كثير من

۱۸۰ ابن الأثير : ج ۷ ٤ هن ۱۸۰ .

⁽٢) إِنِ الآتِي : ج ٨ ك من ، £ سـ (٤) ه ٤ ، ٩ ، ١٦) ه ٢ ، ٥٠ . (٣) إِنِ الآتِي : ج ٨ ، من ه ١٢ .

الفتن والثورات ، هذا فوق أهم اعتسلبوا في جيونسهم على الجنس التركى ، وهو جنس ثبتت خطورته على الدول المعاصرة له ، وقد تولى هؤلاء الأتراك مناصب عالية في الادارة دفى الجيش وأصبحوا خطيراً على الدولة • كما كان صغر الأمراء من بني سامان يعرض الدولة لتدخل النساء في شئون الحكم ، الأمر الذي يشجع القواد وأصحاب الأطراف على الاستثنار بالسلطة •

وقسد تعرضت الدولة السامانية لضغط مترايد من كل البهات ،

من الشمال والمغرب تعرضت لضغط الديلم والعلويين ، كما تعرضت
للضغط البويهي ، ثم تعرضت من الشرق لضغط خانات الأثراك الذى دخلوا
الاسلام على يد السامانييين ثم بدأوا يتطلعون الى الاستقلال والحلول
محطهم ، كما أن محمود الغزنوى وهو حاكم المنطقة الجنوبية الغربية ،
قد تطلع الى الحلول محل السامانيين بعد أن بدأت أمورهم تضطرب ووقد
كان الغزنويون يحكمون هذه المنطقة باسم السامانين ، ولكنهم حسين
أحسوا بضعف القوة السامانية طمعوا في الحطول محلوا ، واتهى الأمر
بأن سقطت الدولة السامانية لينقسم ملكها بين قسوتين : قوة الغزنويين
التى اتخذت من الثغر الهندى مجالا لنشاطها ، وقوة خانات الإتراك
الذين تولوا أمر الثغر الشرقى فى بلاد ما وراء الغور ،

لقسد أدى السامانيون دورهم فى الهياة الاسلامية سواء من الناهية السناسية أو من الناهية الحضارية ، كما أنهم استجابوا للنزعة القومية وللمصلحة الاقليمية •

فأما دورهم من الناحية السياسية ، فقد حفظوا النفر الاسسلامي الشرقي ومدوا النفوذ الاسلامي الى بلاد الترك البميدة ، وجعلوا من بيئة مبلاد ما وراء النهو بيئة صقل وتهذيب للعنصر المتركى الذي أسلم على يد السامانيين وبدأ يتحول إلى عنصر مفيد بالنسبة للعالم الاسلامي ، وانبتق عن التأثير السامانيذلك الدور الذي تهيأ للترك الغر في خدمة العالم الاسلامي مني العصر السلجوقي ، كما أنه انبتق عن النعوذ الساماني الدولة الغزنوية في العصر السلجوقي ، كما أنه انبتق عن النعوذ الساماني الدولة الغزنوية وهي دولة تركية اتخذت من النعر الهنسدي مركزا لها وعنك باسسم

السامانيين ، ثم حلت مجلهم وقامت بدور كبير سنتحدث عنه حديثا خاصاله وأما دورهم من الناحية الحضارية ،فإن بلاط السامانيين فى بخارى كان مثابة ألعلماء وكبة الأدباء «كانت بخارى فى الدولة السامانية مثابة المجد، وكبه الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم غضلاء الدهر (١) و وكانت مكتبة نوح بن نصر السامانى كما يقول ابن خلكان « عديمة المثل ، غيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدى الناس وغيرها مما لا يوجد فى سواها ولا سمع باسمه فضسسالا عن معرفته » (١) ه

كما استجاب الدولة السامانية للنزعة الايرانية القومية ، فهم الذين أحيوا الثقافة الفارسية ، وفي عهدهم بدأت الكتابة باللغة الفارسيية عن الكتب والشمر والتأليف الى جاف اللغة العربية ، وبدأ كثير من الكتب العربية يترجم الى الفارسية مثل كتاب الطبرى « تاريخ الأمم والملوك » وقد بدأ الروح ألفارسي يظهر في الأدب من ذلك الوقت ، وحفل بلاط الساملين بكثير من الشعراء الذي نظموا شعرهم بالعربية وبالفارسية ، والمتعرب عن شعراء الفرس ، من أمثال عمر الخيام صاحب الرباعيات ، والرئيس ابن سينا أحد غلاسفة المسلمين وقد نظم كثيرا من الفائد بالفارسية () ،

كما أن خراسان وبلاد ماوراء النهر ازدهرت ازدهارا كبيرا، وقد رحل القدس الى اقليم خراسان وماوراء النهر فى الفهد الساماني، فامتدح أهل خراسان وحبهم للخير وتمسكهم بالحق، كما شكر السامانين فحسن سيرتهم فى المحكم وعدّلهم فى الرعبة وتكريمهم الأهل العلم()، وصارت مدن ما وراء النهر مراكز التحارة والصناعة، وعم هذه المنطقة الرخساء المسادى، كما أصبحت مركزا من مراكز الاشماع العضارى .

 ⁽۱) الثمالين : يتيمة الدهر ، نج ٤ ، من ه٩ .

⁽۲) ابن خلکان : ج ۱ ، س ۲۰ ۱ س ۱۵۳ . (۲) Browne. vol. I. pp. 356, 369, 399. (۲) مس ۱۳۹۲ حسن ابراهیم ، ج ۳ ، مس

⁽٤) أحسن التقاسيم في معرفة الاقتليم ، من ٢٩٦ ــ ٢٩٦ .

الهنسد

الدولة الفسزنوية

107 - 7A04 \ 7FF - FAIIs

استطاع المسلمون أن يقتحوا شطرا من بلأد الهند ، وهسو اقليسم در البنجاب وحوض السند » في عهد العجاج بن يوصف الثقني والي المشرق في خلافة عبد الملك بن مروان في سنة ١٧٠ م ، واسستمر المسلامي يصبغ هذا الاقليم بالصبغة الاسلامية في الدبن والثقافة حتى مقدمة لللهور حركة قومية هندية تكتسب الشكل الأسلامية في هذه الفترة مقدمة لللهور حركة قومية هندية تكتسب الشكل الأسلامي والطسابع الاسلامي ، وهذه المركة الاستقلالية التي تعبر عن تراث الهند وماضيها وقوميتها تتخذ صورة دولة مستقلة هي الدولة الفرنوية التي استعرت خدو قرن من الزمان من سنة ١٥٠ سـ ١٨٥ ه ه

ويرجع ظهور الدولة الغزنوية التي سميت بماصمتها غزنة الى أحد المفامرين المسلمين المسمى « سبكتكين » فقد تولى منطقة غزنة من قبل السامانيين ، ثم مد سبكتكين سلطانه في الشرق حيث ضم اليه اقليم خراسان الذى ولاه عليه نوح بن منصور الساهاني في سنة ٨٩٤ هـ مكالهاة له على قمع الثوار في بلاد ما وراء النهر () • لكن سبكتكين اتبه بأعماله نصور المائيين الا تلبية لرغبت حين استعانوا به على قمع حركات الخارجين السامانيين الا تلبية لرغبت حين استعانوا به على قمع حركات الخارجين في قتال البورجين عليه في خراسان ، وفي قتاله البويهيين الذين رغبوا في الاستيلاء على خراسان من أمسلاك السامانيين واستطاع سبكتكين في الاستيلاء على خراسان من أمسلاك السامانيين واستطاع سبكتكين كما التصور على هؤلإء الخارجين ، كما التصورا على بني بويه وأعادوا السامانين مدينة نيسابور • وبغودة نيسابور الى السامانيين ولى نوح الشاماني مدينة نيسابور و الى العيمانيين ولى نوح الشاماني مدينة نيسابور و الى العيمانيين ولى نوح الشاماني مدينة نيسابور الى السامانيين ولى نوح الشاماني مديدة نيسابور الى السامانيين ولى نوح الشاماني مديود بن سبكتكين عليها

كما ولامعلى جيوش خراسان ، ولقب « سيف الدولة » ولقب أباه مبكتكين « ناصر الدولة » (⁽) •

ومع أن سبكتكين كان من الناحية العملية مستقلا عن السامانيين واكثر تفوذا منهم ، فائه كان يعترف لهم بالسيادة ويشن الحروب ويفتح المبلاد باسمهم (") ، حتى « اتسعت رقمة ولايته ، وعظم حجم جسريدته ، وعمرت أرض خزانته ، وأشفقت النفوس من هبيته » (") •

وقد ولى سبكتكين منذ أول الأمر وجهه شطر الأقاليم الهندية ، فاتبجه الى المواقع الجبلية الواقعة في بلاد الأفعان الآن ، واستولى على بعض المواقع فيها ، حيث مدينة كابل حاضرة بلاد الأفغان النحالية . وقد أَهْزُ عت أعمال سيكتكين أحد ملوك الهند المسمى « جيبال » الذي كانت مملكته تمتد في شمال غربي الهند، وقد رأى في استيلاء سبكتكين على أطراف بلاده تهديدا خطيرا لمملكته ، فدخل مع سبكتكين في حيــروب طاحنة ، لكن سبكتكين الحق به الهزيمة في سنة ٣٩٩ هـ وأجبره على طلب الصلح « على مال يؤديه ، وبلاد يسلمها وخبسين فيلا يحملها اليه ، فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد ، وسير معه سبكتكين من يتسلمها • فلما أبعد جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه ، فلما سمع سبكتكين بذلك • . مسار نحو الهند فأخرب كل مامر عليه من بلادهم ، وقصد « لمفان ، وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة ، وهد بيوت الأصــنام وأقام فيها شـــمائر الاسلام ٥٠ ثم عاد الى غزنة وسار خلف جيبال في مائة ألف مقاتل ، غلقيه سبكتكين وألحق به هزيمة كبيرة وأسر منهم مالايعد وغنم أموالهم وأثقالهم • وذل الهنود بعد هذه الموقعة ، ولم يكن لهم بعد راية ، ورضوا

⁽۱) ابن الانسي: ج ٩ ، ص ٣٨ ، العتبى: تأريخ اليبيني ، ج ١ ، ص ٥٠ ــ ١٥ ، ٥٥ .

Lene - Boole, Muhammadan Dynaslies, p. 266. (Y)

⁽٣) العنبي : ج ١ ، ص ١٣ . حسن ابراهيم : ج ٣ ، ص ٨٦ .

بالا يطلبوا في أقاصى بلادهم ، ولما قوى سبكتكين بعد هذه الموقعة اطاعه الإنفعـــان والمثلج (ا) •

لكن هذه الدولة التي أقامها سبكتكين ظهرت في المجال الاسلامي ظهورا قويا ، وكان تعييرها القومي واضحا في عهد محمود الغزنوى الذي اسستطاع أن يتولى السلطة من سنة ٣٨٨ هـ الى ٢٦٨ هـ (٩٩٨ - ١٩٥٨ م) ، وامتاز عهده بالجهاد الاسلامي في الخليم الهند ، ويقال ان غزواته وصلت الى حدود هضبة الدكن ، واعترفت به الخلافة سلطانا المستقلا ولقبه الخليفة بلقب « يعين الدولة » اعترافا بأله كان يرعى الركن الأيمن من المشرق الاسلامي و ويقول براون « أن قوة محمود الغزنوى التي بلا تحد خلهرت غباة ، وأنه بدأ عهده بوضع يده على مملكته الصغيرة التي ورثها عن أبيه سبكتكين ، ولكته لم يلبث أن غزا الهند التنبي عشرة مرة ، وضم الى مملكته بلاد البنجاب ، وأخضع بلاد الغورم؛ وبلاد ما وراء النهر ، ووالى لبنى بويه ضرباته التي التهت باستيلائه على أصسيبهان » (١) •

حين توفى مصود الغزنوى كان الدولة السامائية تسير الى نهايتها، تمت ضربات خانات التركستان في بلاد ما وراء النهر ، وتآمر المتعلمين في آقاليم خراسان ، وكان عليه أن يؤمن جناحه الشسمالي حتى يتعرف الى غزواته التي يزمم القيام بها في بلاد الهند ، ولكى يضيف الى قوته قوة أخرى ، المانه القدم نمو شخراسان وأهل الهزيمة بالسامائيين في مرو سنة همس هد وبذلك صفت له خراسان، وعين أخاه نصرا على جيوشها ، فاتنخذ نيسابور قاعدة له ، وخطب للخليفة القادر ، وبذلك زالت دولة السامائيين من خراسان على يد محمود كما زالت من بلاد ما وراء النهر على يد بغراخان التركى (٢) ، واتخذ محمود لنفسه لقب «سلطان » بعد

⁽۱) ابن الآثي : ج ٨ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ . ١٥ (١) . ٨٧ . م ٢٤٩ - ٢٤٩ . ص ٨٧ . ٨٧ . (٢) الميم : ج ٣ ، ص ٨٧ .

⁽٣) ابن الأثي : ج ٩ ، ص ٤٥ - ٢٥٠ .

أن كان يلقب بالأمير ، كما لقبه الخليفة القادر « يمين الدولة وآمين الملة ، وظهرت هذه الألقاب على السكة التي كانت تحمل اسمه » (() • ولقب سلطان الذي اتخذه محمود الغزنوى هو اللقب الذي سار عليه الإتراك في الدولة الاسلامية ، فهو اللقب الذي اتخذه السلاجقة من بعد كما اتخذه المثمانيون بعد ذلك ، وكان ظهور هـذا اللقب بصـفة رسمية في بلاد الاسلام على يسد محمود الغزنوى ، أما المكام من الفرس غقد اتخذول القب « ملك » كما غمل بنو بويه ، وكلا اللقبين أقل من لقب الخليفة المباسية في خداد ، في مقداد ، في مقدداد ،

ولم يكتف محمود بصا استولى عليه من بلاد ، بل عمل على مد أملاكه وتوسيع رقمة دولته ، فاستولى على سجستان سنة ٣٩٣ هـ (١) ، كما أزال سلطان البويهيين في الرى وبلاد الجبل في سنة ٤٢٥ هـ ثم ملك تزوين وقلاعها ودان له بالطاعة أمراء هذه الجهات (١) • وقد أرضي محمود الخلافة العباسية حين تنبع المخالفين لها والخارجين عليها بالقتل والنفي ، فقد قتل الرافضة والاسماعيلية والقراملة والعجمية والمشبهة ، كما تهى المعترلة الى خراسان وضيق عليهم ، وأحرق كتب القلمسيغة والمعتبرلة والنجوم ، كما رفض أن يستجيب للقاطميين الذين حاولوا اسستمالته تضفيفا من حملته على أشباعهم (٤) ،

لكن الأعمال التي خلمات اسم محمود الفزلوى هي الأعمال التي قام جا لنشر الاسلام ، وغزواته في بلاد الهند التي وسعت رقعة العالم الاسلامي الهندي ، ففي سنة ٥٠١هـ الاسلامي الهندي ، ففي سنة ٥٠١هـ حارب محمود الفور ، وكافرا لا يدينون بالاسلام ، كما كافوا يتخذون

⁽۱) أبن خلكان : ج ٢ ، ص ٨٤ ـــ ٥٥ .

⁽١) المستبى: ج ١ ، ص ٩٩ سه ١٠٤ ، ابن الاسسير: ج ٩ ٤ ص ١٤ س ١٠٠ ،

⁽٣) ابن الأثير : ج ٩ ، مس ١٣٩ .

⁽³⁾ هسن ابراهيم : ج ٣ ، من ٨٩ .

من بلادهم الجبلية الوعرة المسالك بين هراة وغزنة ملجا يقطعون منه الطييق ويخيفون السبيل ، غاوقع بهم محمود وأخصعهم السلطانه ، ونشر بينهم الاسلام ، وأرسل اليهم جماعة من المسلمين يعلمونهم أصول الدين (') .

أما حملاته في بلاد الهند فقد استمرت من سنة ٣٩٣ هـ الى سهنة ١٥ هـ وقد اصحلبفت بصبغة الجهاد الديني ، غقد كان محمود رجلا دينا ، دخمته عاطفته الدينية الى الجهاد في سبيلاالله ، كما دخمه تأثمه من قتال المسلمين هـ الذي فرضته عليه ضرورة تقوية دولته وتأمين اطرافها هال التعويض عن ذلك بقتال الكفار ونشر الاسلام في بلادهم ، فتتالت غزواته على بلاد المهند التي القسم على نفسه أن يغزوها في كل عام (١) ،

كان محمود يملك مزايا غريدة من موقعه فى غزنة القريبة من بلاد الهند الشمالية ، ومن وقوعها على قمة الهضبة التى تشرف على سهولها ، وقد مساعده ذلك على فجاح غزواته فى بلاد الهند ، كما قوى مركزه العربى استيلاؤه على بلاد ما وراه النهر من أيلك خسان (٢) ، وملك له لسجستان وبلاد الغور ، الأمر الذى قوى مركزه فى الداخل وجعله مطلق اليد فى توجيه حملاته المنظمة على بلاد الهند (١) ، ولمل كان جيبال ملك البنجاب الذى حارب سبكتهن حوره طاحتة لا يزال قويا ، فقد توجه محمود لغزو شمال الهند سنة ٩٣٧ هـ فاوقع بحيبال وأسره وغنم غسالم كثيرة ، حتى قبيل أن عدد الأسرى بلغ أكثر من خصسمائة ألف، وأحب بعد تصره أن يطلق جيبال لبراه الهنود فى شعار الذل ، فاطلقه ، ولكن هـ هـذا لم يستطع أن يعيش بعد أسره وذله غطق راسه وأهرق نفسه (٥) ، وكان من أثر ما أحرزه محمود من نصر فى هذه المسزوة أن أطلق عليه اسم « المسازى » (١) ،

⁽۱) حسن ابراهیم: ج ۳ ک س ۸۸ ۰

⁽٢) ابن خلكان : ج ٢ ، ص ٨٥ ،

 ⁽٣) ابن الأثير : ج ٩ ، من ٧١ -- ٧٧ .
 (١) حسن ابراهيم : ج ٣ ، من ٩٠ .

⁽ه) ابن الأثير : ج ٩ ، من ١٣ - ١٢ .

⁽١) حسن ابراهيم: ج ٢ > ص ٩٠ ٠

بعد اتتصار محمود على جيبال سار نعو « ويعند mad وانتصر على المهاه (١) ، ثم قصد اتنايم الملتان ، وهو مركز مشهور الحجاج من المهنود في جنوب بلاد النجاب على سمت غرتة ، فاستولى على مدينة «بهاطية» ، وانتصر على صاحبها سنة ١٩٥٥ هـ ونشر فيها الاسلام وبرك جماعة م المسلمين يعلمونه الهله (٢) و في سنة ١٩٩٦ هـ قصد مدينة الملتان نفسها ، وفي طريقه اليها انتصر على « اتتدابل » بن جيبال ، ثم فضى على مقاومة إلها الملتان والمنتحها عنوة وفرض غرامة كبيرة على أهلها ، وما زالت غزوات محمود تنتالى فى كل عام على بلاد المهند حتى استولى على منطقة البنجاب كلها ، وهزم كل من اعترضه من ملوك الهنود وراجاتهم وقضى على تحالفهم ، واستولى غى سنة ٤٠٤ هـ على ناردين ، وغم فى غزواته هذه غنائم كثيرة « فامذذ من الجواهر مالا يحد ، ومن الدراهم تسمين المف المقد ومن الأوانى الذهبيات سبعمائة آلف وأربعمائة مناه ، في صحن داره ، وكان قد اجتمع الهدوسل الملوك ، فادخلهم قراها مالم يسمعوا بمثله » (١) ،

ولم يقاوم محمودا الا قشير التى والى عليها الغزو من سنة 20.5 ه الى 20.5 ه حتى تم له غتمها بعد جهود كبيرة ، واستولى على كل قلاع منطقتها ، وما زالت غزوات محمود مستمرة على بالاد الهند حتى توج انتصاراته فى سنة ٢١٦ باسترداد نازدين وهدم الصنم الأكبر «سومنان» وأرسل الى الخليفة يملنه بما غتج الله على المسلمين فى الهند (ا) •

وقد أعجب محمود بجبال اقليم جوجرات ففكر فى اتخاذ مدينة « الهلوار » حاضرة له ، ولكن قواده تصحوا بالعدول عن هذا الرأى ، فعاد الى غزنة ، وكانت آخر غزواته فى سنة ١٨٨ ه حيث أدب الثوار،

⁽¹⁾ ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٢٪ .

⁽٢) أبن الأثبر : ج ٩ ، ص ٩٩ ·

⁽٣) أبن الأثي : ج ٩ 4 من ٧٧ .

⁽١) ابن خلكان : ج ٢ ، ص ٨٤ ... ٥٨٠ .

الذين اعترضوء فى طريق عوهته الى غزنة . وفى السنة التى توفى نيمها استولى نائبه « ينال تكين » فى هذه البلاد على « نوس » التى كانت من أعظم مدن الهند فى ذلك الوقت (ا) .

ويقول وللى هيج « يمكننا الى حد ما أن نعتبر محمودا (العزنوى) سلطانا هنديا خالصا ، فقد فتح فى خريف حياته اقليم البنجاب ، ونشر الإسلام فى ربوع الهند ، وافتتح طريقا سلكه بعده كثيرون ، وقنع خلفاؤه س بعد أن جردوا من أملاكهم فى فارس وأفغانستان وبلاد ما وراء النهسر س بحسكم اقليم البنجساب ، وكونوا أسرة هندية خالصسة » (٣) ،

واصل خلفاء مصود جهوده في فتتح بلاد الهند ، ففتح ابنه مسعود (٢٧١ – ٢٣٤ ه) قلمة سرستى الجبلية جنوبي قشمير كما استولى على قلاع هانسي وسنيبات () ، كما فتح ابنه مودود (١٣٧ – ٤٤١ ه) عدة حصون في بلاد الهند وهزم من تعرض له من الملوك حتى هابوه ودانوا له بالطاعة (أ) ، وغزا ابراهيم بن مسعود (٤١٥ – ٤٩٦ ه) بلاد الهند قحاصر قلمة « أجود » وهلى على مائة وعشرين فرسخا من لاهور ، وعدة قلاع أخرى في سنه ٢٧٤ ه ، وهكذا ترى الى أي حد الهند ملك المترنونيين في بلاد الهند م

ويقول سستانلي لمينبول ﴿ ان حملات الغزنويين في بلاد الهنسه ، واتخاذهم لاهور مقرا لهم ، يمكن اعتبارها بله حكم المسلمين العقيقي في هذه البسلاد ، فقد مهدت الدولة الغزلوية في لاهور السسبيل أمام محمد بن سام الغوري وخلفائه الذين تولوا سلطنة دلهي ، وتشروا نفوذ

١٤٨ من ١٤٨ .
 ١٤٨ من ١٤٨ .

W. Haig, Encyclopaedia of Falam. Vol, II, p. 134.

⁽٣) ابن الاثر : ج 1 ، من ١٧٠ - ١٧١ / ١٨١

⁽ع) نفس المستر ، ص ١٩٣ - ١٩١ .

المسلمين في كافة أرجاء بلاد الهند الشمالية (١) » •

وفى الوقت الذى كان فيه المزنويون يعدون سلطانهم فى الهند كان ملكهم فى الشرق يتهدد بقوتين خطيرتين هما قبائل الغز التركية والسلاجقة ، وكان هؤلاء قد وصلوا فى هجرتهم من مساكنهم فى الهضاب القريبة من بحيرة خوارزم والهضاب المحيطة بنهرى سيحول وجيحول الى اقليم خراسان ، فأما الغز فقيد أجلاهم مستعود بن محمود عن خراسان بعد حروب دامت زهاء سنتين (٤٣٩ ـ ٤٣٩) ،

. وأما السلاجقة الذين تفاقم شرهم .. في الوقت الذي اضطربت فيه الأحوال بعــد موت محمود الفزنوي تتيجة للخلاف الذي وقع بين مسعود وأخيه محمد على الحكم ــ فقد نهبوا هراة في سنة ٢٢٤ هـ ، ويدءوا منذ سنة ٤٢٥ هـ يغيرون على خراسان اغارات منظمة ، واضطر مسعود الى الاشتباك معهم وأالحق بهم هزيمة شديدة بالقرب من نسسا سنة ٤٣٦ هـ ، ولكنه كان مشغولاً بغزو الهند فاضطر الى عقد صلح معهم ، ولكن السلاجقة استقادوا من صلحهم مع مسعود، ، فدعموا مركزهم ، واستعدوا لاقامة دولة لهم ، فضاق مسعود بالمكانة الكبيرة التي نالوها وبتوطيد تفوذهم في خراســـان ، وحاول أجلاءهم فهاجمهم بالقرب من مدينة سرخس سنة ٤٢٩ هـ ، ولكنهم التُصروا على قواته التصارا باهرا . وبذلك أصبحت قوتهم أعظم قوة في خراسان ، وحملهم هذا على احتلال نيســـابور واعلان دولتهم بهـــا ، وجلس طفرليك على عرش مستعود بها وأمر بأن تقرأ الخطبة باستمه ، فأصبح بذلك أول سلطان للسلاجقة ، ويعتبر عام ٤٢٩ هـ بداية قيام دولة السلاجقة وان لم يعترف جا الخليفة العباسي الا في مسنة ٢٣٧ هـ حينما طلب السلاجقة منه أن يعترف بدولتهم وبطغرلبك سلطانا عليهم ، والواقع أن

⁽۱) هسن ابراهیم : ج ۳ ۶ ص ۹۶

اعتراف الخليفة العباسي لم يكن الا أمرًا شكليا لاعطاء الدولة صفة شرعية برضي عنها الناس (١) ٠

لم يقبل مسعود الأمر الواقع ، فعزم على قتال السلاجقة بنمسه ، ولكن جهوده باعت بالغشل فقسد هزمه السلاجقة هزيمة سلعقسة عند دندانقان سنة ٤٣١ ه واضطر الى العودة الى غزنة ، بل انه عزم على الانسحاب الى بلاد الهند ليجمع جيشا كبيرا يحارب به المسلاجقة (٢) ، وكنده فشل اذ ثار عليه رجاله وعزلوه وولوا اخاه محمدا ، وتعتبر موقعة خندانقان من المواقع الفاصلة اذ أنها ألهت الصراع بين الغزاويين والسلاجقة وبها انحسرت الدولة الغزنوية عن كل بلاد خراسان ،

وكذلك تلقت الدولة الغزنوية ضربات مماثلة من خلبتات التركستانر، خضاعت منها أملاكها في الشرق ، ولم يلبث الغوريون في بلاد الأفغان لمن قضوا على ملك الغزنويين وحلوا معلهم ، واتجعوا بقوتهم الى بلاد الهند لبحافظوا على أملاك المسلمين بها • وبذلك انتفلت رعاية الثغر للهندى من يد الدولة المغزنوية الى يد الدولة المغورية •

والواقع أن الدولة النرنوية كانت أول التصار للمنصر التركى في صراعه مع المنصر الإيرائي على السيادة النهائية في الاسلام • فني الوقت الله كانت فيه الدولة الغرنوية وهي دولة مؤسسها تركى ، تحقق التماراتها في ايران على الدولة البويهية الفارسية ، كان عنصر تركى جديد يستجد لاكمال الجولة بين المنصرين ، ذلك أن السلاجقة ، ما لبثوا أن دخلوا المحسراق بعد أن تسلموا خراسان من الغزنويين ، فقفسوا على ملك الموسين وحكموا المشرق الاسلامي •

والدولة الغزنوية من الحية أخرى تعتبر دولة هندية ، كانت تعبر عن رغبات الهنود المسلمين في الحصول على استقلالهم الغاتي أسوة

١١) عبد النعيم حسنين : سلاجةة ايران والمسراق ، ص ٢٩ .
 ٢١) حسين لهين : العسراق في المصر السلجوقي ، ص ٥٣ .

بغيرهم من الشعب الاسسلامى • وكان هؤلاء الهنود المسلمون هم عدة الدولة في الفتح والغزو ، وكان منهم أغلب الوزراء والكتاب والموظفين ، في أن الدولة بهذا كانت دولة اسسلامية ، وكان عصر الغزنومين احياء للتراث المثقافي القديم ، ولا شك أن الثقافية التى تم الهياؤها في عهسد معمود الغزنوى كانت المثقافية المفارسية ، وقسد ظهر النساعر المفردوسي صاهب النساعر المفردوسي الشسعراء عليه غيره كثير من الشسعراء المذين عظموا شعرهم "بالفارسية (ا) •

ويمكن التول بأن اللغة الأردية لف الهند والباكستان وهي مزيج من الفارسية والسنسكريتية ـ ظهرت على عهد معمود العزنوى ، وقد يدات هذه اللغة التي ستصبح لفة الهند الاسلامية تظهر في هـذا المصر وتعبر عن انسها تعبيرا أديا .

وتلت الدولة الغزنوية دولة أغرى فى هذا النفر هى الدولة المعرّبية المتي كان اتجاهها هنديا خالصا ، وما زالت تقوم بدورها فى مد خلوذ المال الاسلامى وتمكينه فى الهند ، حتىجاء المعول فاسقطوها ، ثم قاموا بأمر هذا الثغر الهندى بعد إن أسلموا ، وعلى أيديهم امتد الاسلام فى الهند وتدعم ، وكانوا أساس العالم الاسمالامى الهندى الذى تعبر عنه الآن دولة اكستان ،

⁽۱) حسن ابراهیم : ج ۳ ، ص ۳۹۸ .

طیرستاری (۱)

الدولة الطبرية -- الدولة الزيارية

يرجع ظهور الحركة الاستقلالية في اقليم طبرستان الى المارضة الشيعية التي قامت في وجه الخلافة العباسية ، وقد فرت المارضة الشيعية الى المبناطق البيدة من العالم الاسلامي واستطاعت أن تؤسس لهبا دولا في ألمراف هذا العالم ، وقد شهدا كيف قامت دولة الإدارسة في المغرب الاقتصى بعد فرار ادريس بن عبد الله المسلمي بعد مواقة فخ ، ثم كيف قامت الدولة الفاطمية في أفريقية واستطاعت أن تملك كل النصف الفرهي من العالم الاسلامي ، وفي الوقت الذي غر غيه ادريس بن عبد الله الى المغرب ، غر أخوه يحيى بن عبد الله الى المشرق ولجأ الى الديام ، ومنذ المتربخ (١٧٦ ه) بدأ الاسسلام يدخل بلاد الديام على يصد هؤلاء الشيمة على مبدأ الزيدية ،

والفرقة الزيدية من الفرق الشيمية المتازة بطابع خاص هو لطبع العجاد الذى أوجبته على نفسها (٢) ، وتكاد كل الثورات التى قامت ، فيما عدا الفاطميين وهركة الحسن الصباح الذى أسس جماعة الحشاشين، ترجع الى هذه الفرقة الزيدية ، فالزيدية هم الذين تصلوا عب، الاشطهاد

⁽۱) طبرستان احدى مناطق ايران الجغرافية ، وتقع جنوب بحسر تروين ، وتصد وصفها ياتوت في كتابه معجم البلدان (ج ۱۳ ص ۱۳ ص ۱۳ ما بلحة بيروت) ، فقال ، فهن اعيان بلدانها دهستا وجرجان ، واستراباذ ، وآخل وهي بين الروي مقاربة لهسا ، وصدة البسلاد مجاورة لجيلان وديلسان ، وهي بين الري وقوس البحر ، وبلاد الديلم والجبل وهي طول سنة وتلالاين فرسخا في عرض سنة عشر مرسخا والعبض بن الجبل الي البحر ، وكانت بلاد طبرستان بن الحصانة والمرض بن الجبل الي البحر ، وكانت بلاد طبرستان بن الحصانة منذ كالمة على ما هو مشهور من أمرها ، وقسد بدا اتصال المسلمين بهسا منذ كالمة على با هو مشهور من أمرها ، وقسد بدا اتصال المسلمين بهسا منذ كالمة على المسلمين على عليه من تبسل السامون السائيان السامون السائيان المسلمين بابت الري ولم يزل عليها حتى عمى في عهد المقتصم ، ثم آلت الى بني طاهر ، الله النصور الله النحل ، ص ۱۵۱ .

⁽م ٣١ - المصر العباسي)

فى مركز المضلافة ، فهاجروا الى أطرافها ، وكانت احدى هجراتهم الى يلاد الديلم ، وكان من نتيجة هذه الهجرة وضع بذرة الاسلام فى تلك البلاد ، وظلت البذرة تنمو حتى استكملت نموها ، حتى دخل الديلم جميعا فى الاسلام واعتنقوه على مبدأ الزيدية ، وصاروا شيعة يدافعون عن المبادىء الشيعية بعامة وعن الزيدية بخاصة .

وقد آدى مبدأ التسوية الذى نادت به الثورة العباسية ، الى تهيئة الظروف أمام التسهوب البربيئة النازلة وراء التنور الاسسلامية ، وأن تقدمج فى عداد الأمة الاسلامية ، وأنتقوم بالدورالذى تؤهلها له ملكاتها، ومعنى هـذا أن الدخول فى الاسسلام فى ذلك الوقت أصبح كالتجنس تماما ، فاذا دخل فرد أو اعتقت أمة الاسلام ، صار ذلك الفرد أو هذه الأمة من عداد الرعية الاسلامية ، وتحت ظل هذا المبدآ دخل الديام فى عداد الأمة الاسلامية وتهيأ لهم بذلك أن يقوموا بدور هام فى الساريخ الاسلامي ، بعد أن الفتع خط النفور للى تدخل فى قلب الخلافة أمم هديئة عهد بالاسسلام توحديثة عهد بالاسسلام توحديثة عهد بالاسسلام توحديثة المهم النهيامي كان شسمها فارسيا لا وأن الفرس المتحرين لم يعتبروه أجنبيا الى حد كبير ، ولهذا وجدد تعاون المؤس المتحضرين لم يعتبروه أجنبيا الى حد كبير ، ولهذا وجدد تعاون المؤس المتوضرين وبين الديلم المتبريرين ،

كان الديلم الاسلامى فى أوائل القرن الثالث وحتى منتصفه محتفظه يكثير من تماسسكه القديم ، وكان من الصسب على جماعة كالديلم سـ
وهصوما أنهم كانوا وثنين ، وكانوا خارجين عن نطاق أرض الاسلام ،
ينزلون وراء ثنووإقائمة عند قزوين وأبهر وغيرها ، وهى الثفور الممروغة
پثغور قزوين أو بثغور الديلم سـ أن ينفذوا الى داخل العالم الاسلامى ،
وكان هذا النفسوذ الى الداخل أمرا صها حتى بالنسبة للدول الكبيرة
كالروم أو بالنسبة للشسعوب الكثيرة العدد كالترك ، اذ كانت حسدود
الثغور الاسلامية معروسة حراسة قوية ، فكان لابد أن يسسلم أهسل
هذه الناحية ، وقد أخذ الديلم والجبل الاسلام على يد أهل طبرستان الذين كانوا قد دخلـــوه من قبل على يد الدعاة من الشــــيعة الزيديه . غطبرستان بذلك هى البيئة الأم بالنسبة لن أسلم ممن وراءهم ،كما كانت التركستان بالنسبة لمن وراءها من أقاليم الترك .

وقد ظلت طبرستان منذ فتحها اقليما خاضعا للخلافة الصاسبة ، يحكمه آل طاهر الذين مدوا نقوذهم على الشرق كله باسم الخلافة العباسية ، الى أن احتاجت طبرستان في مناسبة من المناسبات أن تقوم ضد الخلافة ، وذلك عندما قامت ثورة يجيى بن عبد الله العاوى بالكوفة سنة ٢٥٠ ه ١ الذي خرج على الطّليفة المستعين وخ ج معه جميع الزيدية بالكوغة(١) • وقد عهد الخليفة ألى محمد بن عبد النه بن طاهر بقمع هذه الْتُورة ، فقمعها بعــ لا حرب دمية ، ثم اراد الخليفة أن يكافئه فمنجه اقطاعا عند تغور طبرستاني في المنطقة التي تفصل بين اقليم طبرستان واقابيم الديلم • وقبض ابن طاهر القطاعه ووضع بده عليه • الا أن عامله تتجاوز الحدود المرسومة للاقطاع ، أو وقع خطأ أصلى في تحديد الاقطاع حتى أدخلت فيه أرض لم يكن ينبغي أن تدخل فيه ، فقد دخل فيه أرض كان أهل الثغر يتخذونها مرافق عامة ويستفيدون منها في الاحتطاب والرعي ، فغضب أهمل الثفر الطبرى : أولا لأن بعض أرضهم أعطى لمن علب المصنى ، عند قراره بعد موقعة فع ثم صار ملجاً القارين من الشبيعة من بعده ... وثانيا لأن هذا الرجل جار على المنافع العامة غصرمهم من أرض كانوا يرتفقون منها ، لذلك نهضوا يرهضون أن ينفذ هذا الاقطاع وعصوا واليهم ، وأصبح الأمر أمر ثورة وخلع للسلطان (") •

⁽١) ابن الأثير : ج ٧ ، ص ٢٢ – ١٤ .

[·] إن الأثير : ج ٧ ، ص ٤٤ - ٥٩ .

لأن الثغر كان هادئًا ، فلم يكن بين الشعبين عداء ولا حروب • ثم كان الظرف مواتيا لهذا التحالف ، وذلك أن بعض عمال والى طبرستان دخل بلاد الديلم ، وهم مسالمون لأهل طبرستان ، فسبى منهم وقتل ، فسساء ذلك أهل طبرستان ، ووجدوا غرصة لضم الديلم الى ثورتهم ، غراسلوهم يذكرونهم بالمهد الدى بينهم ويعتذرون غيما غمله هسذا العامل بهم من يستطيعون الاعتماد على معين لا ينضب من العبند الديلمي المعروف بالنشونة والطبع المتبربر وبالقدرة الفائقة على الحرب • ولم يبق أمامهم الا أن يختاروا أحد العلويين ليكون امامًا لهم ورئيسًا لحركتهم ، فاتصلوا بالعلومين الموجودين بالري ، فنهض لرياستهم علوى من الري هو الحسن ابن زيد الطوى ، فرأس الثورة وقامت بقبوله هـــذا دولة علوية تعرف بالدولة العلوية الطبرية الزيدية ، واستطاع الحسن بن زيدُد أن يحتلُ مدينة آمل قاعدة طبرستان ثم مدينة سارية ۽ وانضم اليه أهل الثمر من الديلم في كلار وشالوس والرويان ثم أهل جبال طبرستان وجماعة من أهل السفج، وبذلك سيطر على كل منطقة طبرسستان وما يليها من بلاد الديلم ، ولم يلبث العلويون أن خرجوا بالري واستطاعوا مع القسوات المتى أرسلها الحسن بن زيد أن يطردوا عمال ابن طاهر الى قزوين (٢) وما زال الحسن بن زيد يتوسع في امتلاك المناطق حتى ضم اليه غزويين أيضا ، ثم ضم اليه اقليم جرجان .

وقد أعانت الظروف الحسن بن زيد ، فقد كان العلويون منبثين فى كل هذه المناطق وكانوا يظهرون عندما تتقدم الجيوش الطبرية فيهددون المجهة الداخلية ، وبذلك تقم القوات الطاهرية بين نارين فتضـطر الى المتراجع ، ثم ان الدولة الطـاهرية كانت تتلقى الضربات من قـوات الصفارين التى كانت تزحف للاستيلاء على أملاك الطاهريين فى خراسان، وكانت الخلافة كذلك مشـخولة بمقاومة ثورة الزنج فى اقليم العـراق

⁽١) أين الأثير : ج ٧ ، من ه ١ .

[·] ٢٦ ابن الاثير : ج ٧ عُ ص ه ٤ ــ ٢٦ .

والأهواز ، فلم يكن فى امكان الخلافة أن ترسل قوات قوية لمساعدة الماهريين أو القضاء على الحركة الزيدية (١) •

وحين غلب الصفار على خراسان وجه قواته لقتال المسمسين بن زيد ولكن هذا كان يجد له ملجأ فى بلاد الديلم المنيعة ، فلم يستطع يعقوب ابن الليث الضفار أن يلحق بالقوات الطبرية هزيمة حاسمة ، واضطر آخر الأمر الى التراجع بعد أن فقد عددا كبيرا من قواته فى مسالك جبال عليرستان الوعرة (٢) •

وهكذا تدعت الدولة الطبرية التي كتب لها أن تعيش أكثر من نصف قرن من ٢٥٥ سال ٣١٩ هـ لم تنقطع عن حكم طبرستان الا فترة قليلة هي السرة الواقعة بين سنتي ٣٨٧ ه ، ١٥ هـ ه ، فه المقترة أستطاع السامانيون ولاة بلاد ما وراء النهسر من عاصمتهم سمرقند أن يطلبوا المجيوش الطبرية في عهد محمد بن زيد الذي تولي الامامة بعد موت أخيه الحسن سنة ٢٧٠ هـ ، وأن يستولوا على طبرستان وأن يتعالهوا مع الديلم (٣) وكان آل سامان قد ضموا الى أنسهم بموافقة المخليفة حكم المشرق كله ، وتلقوا بذلك تراث المطاهريين ، ولكي تضمن الدولة السامانية جنب الديلم وبقاء حلقهم اتفقت مع رؤسائهم أن تصرف لهم السامانية جنب الديلم وبقاء حلقهم افقت مع رؤسائهم أن تصرف لهم أحمالا سنوية ، ورضى الديلم بهذا وازموا أرضهم ، وبذلك حسرم الديلو بون من هذا النصير القوى الذي كان عماد جيوشهم ، فلم يستطيعوا القيام في وجه السامانيين طوال هدده المفترة ،

^{، (}۱) ابن الاتي: ج ٧ ، ص ٧١ - ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ،

⁽٢) الطبرى : ج ١١ ؛ ص ٢٢٢ ٠

ر ابن الاتي : ج ٧ ، من ١٧١: - ١٨٠ - ١٨٤ ·

العلويون ، فى اثناء هذه المحة التى الحقها بهم الساهانيون ، منبئين فى أرض الديلم يعلمرنهم الاسسلام ، وينشرون فيهم حضارتهم ، ولكن الإجمال الساهانية كانت تقف حجر عثرة فى سسبيل هؤلاء الدعاة ، فلما انقطمت الساهانية التهزت الدعوة الزيدية الفرصة ، وفهضت الدولة العلوية الطبرية مرة أخرى على يد الصمن الأطروش(۱) ، ثم ظلت الامامة فى أولاده وأصهاره الى أن انتهت سنة ٣١٦ ه (١) ، وآل الملك الى دول زيدية لأحرى استفنت عن الامامة الزيدية وخولت لنفسها قبول التقليد من خليفة سنى ،

*** السولة الزيارية

تفرعت عن الدولة الطبرية دول أخرى ديلمية ، ومن هذه الغروع الدولة الزيارية المسوبة الى « مرداوج بن زيار » وتفسر نشساة هـد. الدولة الزيارية المسربة الله الله الدولة الطبرية عالدولة الطبرية تشأت أولا ثم اتخذت لنفسها اماما ، غلما ساعت الملاقة بين الزيدية والديلم ، عمد الديلم الى تكوين دول خاصة بأنفسهم من دون الأثمة الزيديين ، ولم يكن الديلم كلهم من ذوى الطاعة ، غان منهم من كان يسمى الى مصالحه الخاصة أو الى مصالح من التف حوله من المبند. (١) ،

وقد كان الديلم ينقسمون الى عصبيتين : عصبية الببل المثلة فى « ماكان بن كالى » ، « أسفار ابن شيرويه » وعصيبة الديلم المثلة فى « ماكان بن كالى » ، وكانت كل طائفة من الناس تجتمع بحسب قبائلها وعصبياتها حول رئيس تتبعه ، وكان من التزامات هـذا الرئيس أن يجد لجند، مجالا للمرب يرتزقون منه ، ولذلك كان بعضهم يخرج على الدولة سعيا وراء مصالح جنده ، ومن أمثال هؤلاء « أسفار بن شيرويه » فائه ترك خدمة الويدية

⁽۱) الطبري : ح ۱۲ ، ص ۲۸ ، ابن الأثير : ج ۸ ، ص ۲۸ ـــ ۲۹ . (۲) ابن الاد ، ح ۸ ، ح ۲ ، ۱۳۰۰ اس ۱۲

 ⁽۲) ابن الأثير . ج ٨ ، ص ١٤ ـــ ٧٧ .
 (۳) انظر : ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١٤ ، ٥٠ .

وخرج الى معسكر السامانيين ثم عاد مرة أخرى الى طبرستان وأساء معاملة الأئمة العلويين ، كما أسماء الى جميع العلويين الذين كانوا موجودين بطبرستان ، ونذكر له أنه جمع العلويين في احتفال بمدينة آمل في عام ٣١٦ هـ وذبحهم • وسير ما كان لديه من بقاياهم الى اقليم ما وراء النهر ، الى الساماليين (١) ولم يلبث أذ جنى ثمرة هـــذا الغدر وبالا ، لمان انتباعه لم يقروه في أنفسهم على ما لمعل ، لهتآمر عليه وزيره مع قائد من كبار قواده هو « مرداويج بن زيار "، ونجحت المؤامرة غَقَتْلُ ، وآلت الرياسة الى مرداويج ، واستطاع هذا أن يجمع السلطة بين يديه ، وأن يخضع رؤساء الديلم لسلطانه ، وبدأ يكون دولة نسبت إليه وهي الدولة الزيارية •

واستطاع مرداويج أن يبعد عن أرضه أحد رؤساء الدبلم الأقوياة ، وهــو « ماكان بن كالي » الذي ضعف أمره ولجأ الى الســاماأيين . غلما ضعف أمر « ماكان » تغرق عنه كثير من جنده الديلم ولجأوا الى مرداويج . ومن هؤلاء جماعة كان يرأسهم « على بن بويه » (١) .

كان الدور الذي قامت به الدولة الزيارية يختلف عن الدور الذي قامت به الدولة الطبرية • فان الدولة الطبرية كانت دولة شيعية غبر معترفة بالخلاغة العباسية ، ولهذا غانها اقتطعت لنفسها بقعة من الأرص بوأرست فيها قاعدة الهجرة الديلمية في الشمال ، وأنشأت حكومة قوية تشمل طبرستان وبلاد الجبل والديلم وجرجان ،ودانمت عنها ضد قوات الخلافة أو القوات الموالية لها من الطاهريين ثم السامانيين ، فكانت لذلك علاقاتها بالدولة المباسسية علاقة عداء • أما الدولة الزيارية ، فان دورها كان عبارة عن توسيع هذه القاعدة ، همدت خط المجرة الديلمية نحو الجنوب فاستولت على أصسفهان والرى ونهاوند وهمذان ، وهذا الاقليم هسم المعروف باقليم الجبل أو الجبال ، ومع كونها دولة شيمية زيدية المذهب

 ⁽۱) أبن الأثير: ج ٨ ، من ٢٤ — ٣٦ .
 (۲) أبن الأثير: ج ٨ ، من ٢٣ .

الا أنها استنت عن الامامة الزيدية ، واتصلت بالخلافة العباسية واعترفت يهما وقبلت التقليد من الخليفة العباسى ، ثم انها فكرت فى افامة دولة فارسمية ، ولذلك أحيت التقاليد الساسانية فى بلادها ، وامتسد بهما الطموح الى اعادة ملك ينى ساسان ،

والدولة الزيارية هى التى مهدت تمهيدا صحيحا لامتداد الهجرة الديلمية الى مركز العالم الاسلامي ، هذه الهجرة التي تولاها بنو بويه ، فأن الدولة الريارية ، تقسمت بأمواج الهجرة نحو الجنوب وبلغت اقليم فارس واستقرت في ايران حيث جملت قاعدة ملكها مدينة شميراز ، ثم مدت بنفسوذها الى المسراق وحكمته باسم الخلافة العباسية ،

وقد عاشت الدوله الزيارية في الشمال مستقلة عن بني بويه أولا . ثم حليفة لهم في آخر الأمر ، ولذلك لهاننا نفضل أن نكمل الحديث عن الدولة الزيارية في خلال الحديث عن بني بويه . لارتباط هذه الأحداث وتشابكها ، ولأن كلا الطرفين « الزياريين والبويهيين » اتصلوا بالخلافة ، وكان كل منهما « طرفدار » تولى التقليد من قبل الخليفة العباسي .

البالبالثاليث العصر البويهي والعصر السلجوق

العصر البويهي - والمصر السلجوقي

هذأن العصران بتشابهان في نواح كشيرة ، وهدذا التشابه هو الذي جمانا نجمع بينهما في حديث ولحد ، ولم نجمعهما من حيث التتالي في الزمن ، مع كونهما متتاليين فعـــلا • والواقع أذ كل دولة من هاتين الدولتين حاولت أن تحكم ما نسميه في التاريخ الاسلامي القديم بالمشرقة وكلتاهما انتزعت السلطة الفعلية من يد الخلافة ، مم اضحمار الاحترام أ الشخصية الخليفة ولمركز الخلافة ، وكالتاهما قامت على أكتاف شعوب كانت الى عهد قريب جدا لا تعرف الاسلام ، ثم دخل كل شعب من هذين الشعبين في الاسلام بطريقة ما ، وأتاح له الاسلام أن يشارك في حياته العامة ، وفي حياته السياسية خاصة وفي هياته الثغرية على وجه التعيين. وكلا الشعبين بعد ذلك هاجر من أطراف الممالم الاسلامي الشمالية أو الشرقية نمو مركز الخلافة ، وحاول أن يحكم المشرق كله واستولى على السلطان الفعلى ، ولم يفكر قط أن يكون آداة طيمة في يد الخلافة كمـــا كانت حال الترك أيام أن استخدمهم الخليفتان الأخسوان: المسأمون، والمعتصم ، فهما أشبه بدولتين مندمجتين في الخلافة ، أو حاكمتين باسم الخلافة ، لهما السلطة الفعلية التي يتولاها الخليفة ، ولهما الي جانب ذلك لقب الملك أو السلطان ، ولهما العواص التي اختاروها بعيدا عن بعداد وركزوا فيها قوتهم السبياسية • ون صح الأمر ، وخير طريقة للتوضيح أن نذكر الحوادث حسب ترتيبها الزمني ــ مِع الاعتراف بأن في هذا نوعا من التكرار ــ لنبين كيف تغيرت بصنب الظروف من حال الى حال .

كانت الدولة الأموية دولة عربية . وكانت الحكومة الاسلامية في ظل هذا البيت الأموى القرش المكنى العربي مستندة الى العرب ، وكانت القوة المسكرية فيها عربية ، فكان العبش عربيا ، وكانت الأمم المغلوبة النازلة في أرض الاسلام والأمم المطافة المعروفة بأهل العهد النازلة بأطراف العالم الاسلامي لا تشارك في هذا المجهود الحربي الا تدار ، فكان وضعها في الجيوش العربية وضعا ثانويا ، وكانت بعثابة الجيوش المساعدة التي كان يستخدمها الرومان الى جانب جيوشهم الرومانية الإصلية ، ثم دعت الظروف الى أن تقوم الثورة العباسية ، وقد استخدمت هذه الثورة أهل خراسان أداة وجندتهم وغلبت بهم الجيوش العربية ، وكان من الطبيعي بعد أن انتصرت هذه الجيوش ألا تسرح ، وأن تبقى قائمة لتحافظ على النورة وأن ترعى مبادئها المتى نادت بها ، ولكى تنتفع أيضا بنتائج جهودها ، فهذا الجانب المسلحى الصرف جانب لا ينبغى اهماله في المتاريخ ، غاصبحت الجيوش الخرسانية هي الجيوش الأولى في الدولة ، وأصبح العرب أقلية يمكن أن يقضى الأمر بدونهم ، ويمكن أن تتكم الدولة , غم أنوغهم ،

فكان من نتيجة الثورة العباسية أن انتقل الحكم من يد العرب الى يد الخراسانيين • ثم دعت الظروف مرة أخرى الى الحد من غلواء الفرس، والى جند آخر من غير الجند الخراسانيين أكثر كفاءة وأكثر خشونة ، لكي يستطيعوا الدفاع عن الدولة ذات الثغور الشاسعة الممتدة • وقسد كانت الأمم القديمة تفضل الخشينين من المجند على المترفين ، وكان القائد حين يدرب جيشه يحاول أن ينسيه ترف المبدينة وأن يعوده على التقشف ، ليكون أقدر على الحرب ، لهذه الأسباب ولغيرها بدأ الخلفاء يجندون الترك ، فأرسل الخليفة المسأمون الى اقليم ما وراء النهر (التركسستان نفس الوقت الى الدخول في الجندية والانتقال الى بُعداد ، فانتقل كثير منهم على يد هؤلاء الدعاة الي بفداد ، ودخلوا في الجيش آيام المـــأمون الى أن عظم أمرهم أيام المعتصم ، حتى أصبحوا يؤلفون ما يعرف بجيس الحضرة بمعنى الجيش المركزي ، فلما بلغوا هذا الحد بني لهم المعتصم عاصمة جديدة هي « سامرا » وانما أقبل هؤلاء الترك على الجندية لأنهم في بلاد متوحشة بربرية بعيدة عن مراكز الحضارة ، وكانت بعداد يومئذ كما كما فالشرق الأدنى الحديث كله مركزاً للحضارة وللتمدن ، تنطام البه

تقوس البرابرة بشىء من الاعجاب والدهشة ، وينجذبون اليه ويتوقون لرؤيته والارتحال للميش فى كنفه .

كما أن الترك أقبلوا على الجندية لأنها تعد عليهم رزقا كثيرا ، وقد كان الداعى الذي جاءهم مصحوباً بقارض لهسم يفرض لهم عطاء في المديوان ، هؤلاء الترك دخلوا في المبتدية كما يدخل الأقواد الذين تربطهم المصيبية لا تخط يدخل الأفراد المديون أم الخاصة برغم هذه المصبية لمجنسهم كانوا من حيث المبدأ يأتمرون بأمر الخلفاء ويأمر قوادهم ، ويقومون بعممة الدفاع كما كان يقوم بها الخراسانيون والمسرب من قبلهم دون بقوق آخر ، وقوض نسلم بأن هؤلاء الأتراك بلغ بعضهم درجة كبيرة من المنفوذ ، وحاول أن يعدم من مسلطان الخليفة ، وزاد في منزلته على الوزراء ، الا أن هسدًا كله لا ينغ من أن هؤلاء الأتراك كانوا يقومون بنفس المهمة التى قام بها الخراسانيون أنصهم والعرب من قبلهم ،

وفى المصر المباسى الثانى ظهرت قوميات في العالم الامسلامي ، فكان كل شعب من الشموب المنصوبة تحت لواء العكومة الامسلامية يتلمس شخصيته القومية ، ويحاول أن ينميها أوأن يرتفع الى بمستوى الاستقلال ، بحيث لم يعتسد الزمن الا يسسيرا حتى أصبحت كل قومية تحتكم نفسسها بنفسها رضيت المفلاغة أم كرهت ، ولم يكن من المكن والمدوازجية كانت تشجع هذه الغزعات ، وكانت المسادة اذا تاومت لا تجنى من وراء المقاومة الا ظهور دولة جديدة تستقل بحكم نفسها عن طريق الاكراء لا عن طريق التقليد (الرضا ــ والاتفاق) ، في عمدا الوقت حدث هجرات ، أولها هجرة شعوب ديلمية كانت تهزل في شمال العالم صنعته الهجرات التركية أيام المأمون والمعتصم ، لا نهاهجرات حدثت في عهد الا تفصال والاستقلال ، وأنها هجرات أكبر من الهجرات ألى عليه محتفظين بنظامهم الخداص في عهد الا تفصال والاستقلال ، وأنها هجرات أكبر من الهجرات التركية أيام المأمون والمعتصم ، لا نهصمال والاستقلال ، وأنها هجرات أكبر من الهجرات التركية أيام المعتصم ، فلذلك هاجر الديلم محتفظين بنظامهم الخداص

و تطوه معهم ، وكونوا لأنفسهم سلطة في مدينة شيراز ، وصبر شأنهم كشأن غيرهم من الدول التي تظهر على آساس الشخصية القومية ، تسم عظم أمرهم تبعا لقوتهم الحريبة حتى تطلموا الى حسكم المشرف ، والى التزاع السلطان الفعلى من يد الخليفة ، بحجة التعاون معه و تقديم المساعدة له ، وايثار الصالح العالم الاسلامي .

غلما انتهت هذه الهجرة وأدت رسالتها وانقرضت دولتها أو كادت ، ظهرت هجرة أخرى آتية من الشرق هني هجرة تركية من القبائل التركية المعروغة بالغز • ومن هؤلاء الأنتراك الغز قبيلة قدر لمها أن نكوأن عظيمة الشأن ، وأن تقوم بدور هام في تاريخ العالم الاسلامي ، وأن تضـــفي اسمها على كل الهجرة ، وهي قبيلة بني سلجوق . وكانت هذه الهجرة شأنها كشأن الهجرة الديلمية تماما: فقد احتفظ الأتراك بنظمهم الخاصة ، وفعتوا لأنفسهم في داخل العالم الاسلامي دولة أرادوا بها العزة للاسلام وتوحيد المشرق ، ثم انتزعوا الأمر من يد الخليفة كما انتزعه البويهيون من قبل، وظلوا مدة طويلة يتولون الأمر ويقومون بخدمات كبيرة جدا وبُخاصة في أيام توحدهم وطاعتهم لرئيس واحد منهم فلما تفرقوا وتَقرعوا فروعا ، وأصبح كل فرع من فروع السلاجقة أو كل قائد تابع من قوادهم ممن يسمون الأتابكة ، منفردا باقليم معين ضاعت الوحدة وضعفت الدولة. فلما بلغت الأمور هذا الحد حاولت بعض الدول أن تنهض بالأمر ، وأن تحمل على أكتافها مسئولية الحكم كالدولة الخوارزمية ، الا أن الفرصة لم تتسم أمام هذه الدولة لأن العثيرة المعولية كانت طاغية فاجتاحت العالم الاسلامي الشرقي كله .

هذا عن الحالة في العراق ، أما بقية أجزاء العالم الاسلامي ، فان الدولة العباسية ــ كما ذكرنا من قبل ــ قــد عملت على المساواة بين العرب وبين الشعوب المختلفة ، وهذه السياسة إنقظت الروح القومية ، فبدأت في أطراف الدولة حركات انفصالية انتهت في هذا العصر المباسي الثاني باستقلال هذه الأطراف ، وقيام دول مستقلة ، وقد أعان على هذا

غمو النظام الثغرى القديم فى أيام بنى أمية وقد قامت هذه الدول فخلفت هذا النظام الثغرى القديم فى أيام بنى أمية ، وحملت عن الخلافة عبء الدفاع عن الحدود الاسلامية من ناحية ، ومد تهوذ العالم الاسلامي وراء هدذد المحدود من ناحية أخرى ، الى جانب إرضاء النزعة القوميسة ، والاستجابة للظروف البغرافية ، فحققت الذلك الناحيتين : مصلحة العالم الاسلامي ، وارضاء الشعور القومي •

وهذه الدول في معظيها ـ كما رأينا من قبل لم الم تستقل عن المدولة استقلالا تاما ، وأنما استقل استقلالا داخليا أو جرئيا ، بمعنى أن حكامها كانوا أحرارا في ادارة هذه الدول ، وأن مالية كل دولة كانت تصرف على شئونها الا مبلغا خاصا يرسل المي العاصمة كرمز شسكلي المتبعية ، كما كان لكل دولة جيشها الخاص بها ، أما السيادة فظلت حقا من حقوق الدولة الكبري، وكان كل وأل ، ولو أنه ولي العكم بالورائة يحوص على أن يصدر الخليفة العباسي الأمر أو التقليد بولايته ، فيقد يحوص على أن يصدر الخليفة العباسي الأمر أو التقليد بولايته ، فيقد كانت تستر بكل مظاهر الاستقلال ولكنيا كانت تعترف بالسيادة الروحية للخليفة العباسي ، ومظاهر هذه السيادة من مضرب السكة باسمه ونقش اسمه على الطواز (على أطراف ملابس مثل مضرب السكة باسمه ونقش اسمه على الطواز (على أطراف ملابس ألمنيفة ، أو الخلع التي يظلمها على غيره ، ولفظ طراز لفظ غارسي ومنه أخذ « دار طراز » بمعنى « دار نسيع ») ثم ارسال الأموال سنويا ، والصرص على استصدار التقليد بالولاية ،

كل هذا ينطبق على المشرق . أما المغرب فله شأن آخر وظروف أخرى فقد بدأت أجراء المغرب تنفصل الفصالا ناما عن الخلافة العباسية مئذ قيامها ، حتى تم الفصاله نهائيا على يد الفاطميين حين حكموا مصر والشام ، ثم عاد اسم الخلافة العباسية الى مصر والشام بعد زوال الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبى .

يعد هذا المرض الذي قصدنا به ترتيب سير الأحداث في العسائم بعد هذا المرض للحديث عن المصرين البوجي ثم العلجوتي *

الفص ل الأولّ

المصر البويهي ــ الدولة البويهية ٢٢٠ ــ ٢٢٤]بد / ٢٣٢ ــ ١٠٥٥م

بسو بويه أسرة تتكون من ثلاثة رجال ظهسو آمرهم وهم : على والصمن وأحمد أبناء بويه ، ولا يتفق المؤرخون على نسبهم ، فبعضهم ينسبهم الى بهرام جور آحد ملوك ساسان ، بينما يرفع بعضهم نسبهم الى بهرام جور آحد ملوك ساسان ، بينما يرفع بعضهم نسبهم الى الإله كما كان يقعل الرومان فى تمجيد أبطالهم ، وينحط بهم البعض الآخر الى دهماء الناس ، كما يقول البعض الهم من العرب من بخوضه (لا) ولكن الحقيقة أنهم كانوا أسرة فقيرة ببلاد الديلم ، وكان أبوهم بويه رجلا من عامة الناس يتعيش من صيد السمك ، ويعينه أولاده على الحياة بالقيام ، عمال ضيلة يتكسبون منها ، وقد كان أحسد بن بويه بعد أن ملك البلاد وتولى امرة الأمراء ببغداد بتحدث بنعمة الله تمالى عليه فيقول وكنت احتطب الحطب على رأسي » (٧) ه

اكن هذه الأمرة الفقيرة عظم امرها حتى سمى باسسمها عصر من عصور الخلافة العباسية ، وقد اشتركوا مع الخلافة في حكم العراق الى حدود الجزيرة العربية ، وبلاد المجبل أو العراق المجمى (واقليم الجبل قد يجمع فيسمى اقليم الجبال) ، كما أذ اقليم طبرسستان كان حليفا للبوجيين ، كما حكموا اقليم الأهواز المسمى أيضا باقليم خوزمستان ، وهو الاقليم الذي يقم نصا الى الشسمال من القاعدة الشهمالية للخليج الفارسى ، ويقع شرقى العراق وجنوب بلاد الجبل ، وهو المعر بين الخليج القارسى واقليم الجبل وبين العراق في المغرب واقليم فارس في المعرق ،

 ⁽۱) النفری: من ۲۶۹ ، حسن ابراهیم حسن : ج ۳ ، ص ۳۷ .
 لاوری: من ۲۶۴ ،
 (۲) ابن خلکان : ج ۱ ، ص ۵۱ .

وكان اقليم فارس مركزا لكثير من آل بويه ، وكذلك حكموا اقليما يقم شرقى فارس وهو اقليم كزمان و وهذه هى البلاد التي كانت تحد حكم بنى بويه وكانوا يتولون أمرها مباشرة ، أما ما وراء ذلك من البلاد في كل المجهات فلم يكن لهم فيها كلمة ولا شسبب سيادة ولا حتى معجد اعتراف اسمى و ونريد منذ البدء أن نيرز حقيقة هامة وهى آن بنى بويه حكموا جزءا محسدودا من العالم الاسلامي و فلا يعب أن نخلط بن حكمه بنى بويه ومالك تاريخهم وبين تاريخ بنى حصدان في المصريرة و أو الأخشسيديين والفاطميين في مصر والشام ، ولا أن فخلط بين حكم بنى بويه ومالك الديلم وطبرستان وجرجان في النمال ، ولا بينهم وبين الدول الى كانت تشولى أمر المشرق البعيد ، ونشير هنسا الى الدولة السامانية والدول النربوية و واين هذه الدول .

جاءت هذه الأسرة من الشمال ، من بلاد الديلم ، وكان ارتفاع أمرها على يد الأخ الأكبر من الاخوة البويهيين الثلاثة ، وهو على بن بويه ، فانه كان جنديا استطاع بفسجاعته أن يكون قائد جماعة مهاجرة من الديلم ، وكان الديلم بعد أن انقتح خط الشمر الطبرى يهاجرون عنى هيئة أجباد ، فكانوا يتخذون لأنفسهم قائدا يتبعونه ، وكان هذا القائد ينتقل من خدمة ملك الى خدمة ملك تخرحسب مصالح جماعته ، وحسب مريحتاج لخدمته ومن يدفع له ولأصحابه اكبر بحطاء ممكن ، ونريد أن نعسرف بعد هذا خطوات على بن بويه ، وخطوات أثماله لكى فستطيع أن نقارل يبغه وبين أمثاله من الأجاد المهاجرين ،

وخطوات على بن بويه جزء من الهجرة المسامة التى ابتدات من الشمال من جنوبى بحر قزوين واتهت الى غمسر كل القسم المركزى للخلافة ، والى اتتفار الديلم فى أنحاء المشرق والمرب ، لكن هـنـه الهجرة الشاملة لم تكن قوية الا فى المناطق التى نسميها بالمجال البويهى المحتميةى الذى أشرنا اليه آنفا ، فهم فى مجالهم المركزى حول المسراق الحقيقي الذى أشرنا اليه آنفا ، فهم فى مجالهم المركزى حول المسراق

يُؤلفون أغلبية الجيش وبيدهم السلطة الكاملة ، أما فيما وراء ذلك لهي المشرق والمغرب فقد كان عددهم قليلا ، فانهم لم يكوفوا في هذه الإماكن البعيدة الاكاثار تبعثرت عند اندفاع الهجرة من الشمال الى الجنوب •

الخطـوط المسامة للهجرة الديامية :

اذا نظرنا الى خط سير الهجرة ، وجدناه خطا بدأ من الشمال ونهذ الى المجنوب ، ففصل بين المشرق البعيد وبين العراق ، والواقع أن وضع هذا المخط على هذا النحو انما نشأ لأن فراغا كان موجودا فى الموضع الذى سارت فيه الهجرة ، فإن الدول التى كانت تحكم المشرق بعيدة كل البعد عن العراق ، بحيث لم يكن في مقدورها أن تتماون معه تعاونا ناجحا يعود بالنائدة على المشرق كله ، فإنه حين انتهت الدولة الطاهرية التى كانت تحكم الممرق من نيسا بور آل أمر المشرق الى دولتين : الدولة السامانية من ناحية والدولة الصفارية من ناحية أخرى ،

أما الدولة السامانية فكانت تقوم في مجال بعيد هو القليم كما وراء النبي ، وأما الدولة السامانية فكانت في أول الأمر دولة ثمرية ، قامت في أقمى أرض المسلمين من ناحية ثمر الهند في اقليم سجستان ، وهسو اقليم بعيد أيضا عن العراق ، وقد حاولت الدولة المسفارية أن تتلقى تراث الظاهريين وأن رتتماون مع الخلافة في حكم المشرق ، الا أن ظروف هذه الدولة حالت دون قيام هذه الدولة وانما لصطلامت وارادة الخلافة وفي طاعتها كما نثباً آل سامان ، وإنما اصطلامت بارادة الخلافة وقت سلطانها ، وحاولت ارغامها ، وبذلك انحرفت عن مهمتها الشعرية ، فان غانتهي أمرها الى الزوال ، وأصبح المشرق كله بيد آل سامان ، وكان مقر الخلافة ضحيفا لا يستطيع أن يقوم وحده بعرونة المشرق ، فان الادارة تحتاج الى أهوال ، والأموال لا تجتمع كلها في المراق ، وإنما تصرف كل ناحية من أموالها ، ولا تستطيع أن ترسل الى الخلافة الا قدرا ضئيلا ، فكان الحد الفاصل بين الاقليم الذي تديره الخلافة مباشرة ، وبغره الذي يديره الخلافة مباشرة ،

هدينة الرى نحو الجنوب شرقى بلاد فارس • عند هــــذا العط نهـــاية حولتين ، هنا تبلغ قوة الخلافة أضعف حد ممكن ، وتبلغ قوة السامانيين أضعف حد ممكن •

وعلى هذا الخط الضعيف سارت الهجرة الدبلمية ، فوجدت أهامها ظروفا مواتية ، وخطا ضميفا تستطيع أن تنفذ منه بسهولة ، وأن يكون قرة وسطا بين آل سامان وبين الجلافة ، ثم تطور أمر الهجرة بعد ذلك وخطت الدولة الديلمية خطوة جديدة تقلقها من دولة وسطى بين قوتين الى دولة تتماون مع الخلافة وتدبر باسمها أمر العالم الاسلامى .

ولم تقف الخلافة مكتوفة اليدين آمام التقدم الديلى ، فقد حاولت مكل وسيلة آن تمنع الهجرة الديلمية وأن تصد تيارها ، ولكن هذا المتيار كان قويا بحيث اجتاح أمانه كل شيء و أول محاولة قامت جا الخلافة لايقاف هـ ذا التيار هي تفويض آل سامان آمر المنطقة التي تخرج منها الهجرة ، فضمت هذه المنطقة مع اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر الي السامائيين ، وقد أفادت هذه الطريقة بعض الشيء وآدت الى تساقع مؤقتة ، فقد نجح السامانيون في تقويض أركان الدولة الطبوية الملوية الموية المؤين ابتداء من عام ٢٧ هـ الى أن قام الحسن الأطروش سنة ٢٠هم، ولجا زعماء المسلوبين في أثناء هـ ذه المجتزة الى داخل بلاد الديلم وظلوا يو اصلون الديوة وفي أثناء هـ ذه المجتزة الى داخل بلاد الديلم وظلوا مع زعماء الديلم ، فوقت الهجرة مقابل أجمال دفعها السامانيون لهم وتلك طريقة اتبعها كل ممالك المصور الوسطى مع المتبربرين ، الا أنها طريقة اتبعها كل ممالك المصور الوسطى مع المتبربرين ، الا أنها طريقة لا تزيد الديلرين الاجشعا ، ولا تحل الموقف الا بصغة مؤقتة () ، طريقة لا تزيد الديلرة أن استؤنفت في أوائل القرن الرابع المجرى علم عليث المجرة الديلوبة أن استؤنفت في أوائل القرن الرابع المجرى علم عليث المجرة الديلوبة أن استؤنفت في أوائل القرن الرابع المجرى

٠ ١٧١ ابن الإثبي " ع ٢ ٤ ص ١٧٩

۲۹ – ۲۸ می ۲۸ – ۲۹ ۰

مرة أخرى ، وقوى تيارها تنيجة لكثرة دخول الديلم في الاسلام ، حتى ظهرت دولة ديلسية أخرى أخدت مكان اللدولة السلوية ، وهى دولة الزيارية ، ونحتت لها مجالا جديدا في الليم الجبلال ، وهندا أيضا حاولت الخلافة بطريقة أخرى أن توقف تيار المجبرة، المتفقت مهمرداويج ابن زيار على أن تقره على ما في يده ، وعلى أن تمنحه التقليد بحكم هذه مداويج وبين الخسلالة ، غلا يتحدى أحد الطرفين على الآخر ، وتقف مداويج وبين الخسلالة ، غلا يتحدى أحد الطرفين على الآخر ، وتقف بذلك الهجرة الديلمية ، ولكن الظروف لم تساعد الخلافة على تتفيذ خوالى خلتها ، وذلك لأن تيارا جديدا قويا من تيارات الهجرة بدداً هوالى سنة ١٨٣ ب ٣٠٠ هـ ، فإن مرداويج ما كاد يستقر في اقليمه وينال اعتراف الخلافة ، حتى قصده الديلم من كل تاحية ، وكثروا حتى ضافت الرض جم ، وحتى كان يتدخل لتوزيمهم على النواحي المختلفة ، الى أن بقرجت عليه طائفة ، الى أن بدويه ،

فاذا ابتدأت الهجرة على يد على بن بويه ، اتجهت نحو المبنوب واستقرت فى اقليم فارس ، وبهذا غمر العنصر الديلمى كل المنطقة التى تقسم بين بحر الخزر وخليج العجم ، وتتبع هذه المرحلة الأخيرة من مراحل المهجرة ، ولنسمها بالمرحلة البويهية على أسساس أن المرحلة الأولى كانت مرحلة طبرية علوية زيسدية ، وأن المرحلة الثانيسة كانت مرحلة زيارية ،

كان على بن بويه قائدا صغيرا من قواد زعيم ديلمى هو « ماكان بن كالى » وكان « ماكان » هــو ومرداويج وغيرهمــا من القــواد الذين استخدمتهم الدولة الطبرية ومن يتبعونهم من الرجال ، فتبعية المجتد فى هذا النظــام لم تمكن للدولة ولا لشــخص الامام ، ولكن للقائد الذي يضمن لهم أرزاقهم • وكانت المــادة أن ينتفل هؤلاء الأجناد من خدمة

⁽٢) رأبن الأثير: ج ٨، مس٧.

⁽١) أبن الآثير : ج ٨ ، من ٧٨ .

رئيس الى خدمة آخر بحسب الظروف الاقتصادية وبحسب كثرة العنائم وقلتها ، غلما ضمف « ما كان » أمام مرداويج وعجز نوعا ما عن ضمان الأرزاق للجند تفرق عنه كثير من أصحابه ، وكان مين تفرق عنه « على اين بويه » بجماعته ، ولجأ الى مرداويج برغم العداء الذي كان بين هذا وبين « ما كان » فكان على بن بويه كان كالسستأمن لمرداويج ، فولام مرداويج ولاية الكرج() مرداويج ولاية الكرج() الجنوب من معتلكاته هي ولاية الكرج() الواقعة بين همدان وأصبهان ، ومن هذه النقطة ابتدات الهجرة البويهية،

الظروف التي ابتدات فيها الهجرة البويهية :

كان مرداويج حريصا على أن يوزع الماجرين توزيعا يضمن به طاعتهم ، فكان اذاً ولاهم لم يبقسهم في ولاياتهم مدة طسويلة ، وكان اذا رأى لديهم مالا كثيرا خصص بعض هذا الدخل لجنـــد جدد ، وكان لا يولى واليسا الا بعد أن يدير الأمر في فكره مرات ومرأت ، فلما ولي عليا بن بويه الكرج عاد فوقع تحت وطأة التردد ، فأمر بأن يحال بينـــه ومِين الوصول الى الكرج ، لولا مصادفة وقعت هالت دون تنفيذ هـــذا الأمر ، تلك المصادفة هي أن عليا حين مر بمدينة الرى أتيح له أن يكرم الوزير أبا عبد الله المحسين بن محمد الملقب بابن العميد والَّد أبي الغضل. ابن العميد الذي صار غيما بعد وزيرا لركن الدُّولة بن بويه ـــ غسمل له هذا الوصول الى ولايته (١) • ثم حاول مرداويج بعد هذا أن يضعف والى الكرج بعض الشيء ، فأرسل اليه جنسدا من المساجرين يتقاضون أرز أقهم من دخل الولاية ، لكن عليا استفاد من هذا ، غانه لم يكن طالب مال وانما كان طالب رجال ، ولما كان قد تُّعود أن يعطى كل ما يغنمه للأجناد ، لهانه أكرم الوالهدين عليه حتى صاروا نتبعا له (٢) • وهنا حاول مرداويج أن يستقدمهم جميعا اليسه ويحولهم الى مكان آخر ، مُخلف هؤلاء الأجناد على أنفسهم ، وأيقنوا أن الأمور قد تحرجت بينهم وبين

۱۱) ابن الأثير: ج ٨ ٤ من ۱۲ ٠

⁽Y) , midely : 3 1 3 an VAL.

⁽٣) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١٢ .

مرذاويج • ثم ان مثل،هؤلاء الأجناد لم يكونوا لميعملوا عملا الا اذا اتنقى مع صوالحهم ، ولم يكن ثبائهم شأن الرعية المستقرة التي تطبع اذا أمرت، وهنا يدا النزاع بين الزيارية وبين أتباع على بن بويه •

وكانت خطة على أن يفر الى مكان لا تصل فيه اليه يد مرداويج ، وأن يدخل في طاعة الخلافة ليكون منخدامها بدلا من أنيخدم مرداويج٠ فالهجرة اذن هجرة جند ينتقلون من خدمة سيد الى خدمة سيد آخر ٠ لكن مثل مــذا التنقل لم يكن ينظر اليه بعين الارتياح دائما من الولاة والملوك والخلفاء • غلما علم أن مرداويج يقصده استعد وخرج من الكرج الى أضفهان ، وأراد واليهما وهو محمد بن ياقوت المظفر أن يمنعه ، فوقعت بين الطرفين وقعة بظاهر أصفهان عام ٣٢١ هـ التصر فيها على بين بويه على والى أصفهان ، وكان سبب النصر أن جماعة من الديلم يبلغون غيما يقول ابن الأثير ستمائة ... انضموا أثناء المركة الى بنى جنسهم أتباع على بن بويه ، ووقعت المدينة في يد هؤلاء المهاجرين (١) • وأخذُ مرداويج يستمد لاخراجهم ، ولم أيكن على ليبقى في أصفهان ؟ لأن بقاءه غيها يجعله قريبا من مرداويج من ناحية ويسخط الخلافة منناحية اخرى، لأنها كانت حريصة على موقع اصفهان . فبا كاد على يعلم باستعداد مرداويج حتى سار نحو الجنوب حتى بَلَّغ مدينة « أرجان » التي تفع في منتصف المسافة بين أصفهان وشيراز ، فاستولى عليها بغير قتال لأن صاحبها لم يألس من نفسه قوة للوقوف أمام جيش هزم والى أصفهان ، فانسحب لعو الجنوب ليستطيع الانفسمام الي غيره وليستطيع بعد ذلك محاربة يني بويه .

بقى على بن بويه فى أرجان مدة كما بقى من قبل فى أصفهان ، ويقصد بذلك اراحة جنده وجمع بعض المال من الناس ، حتى اذا اشتد عليه الطلب منقبل مرداويج استمر فى انسحابه مع جماعته نحوالجنوب، ووصل الى مدية « النوبندجان » وسى مدية كبيرة تقع فى منتصف

⁽۱) ابن الاثي : بد ٨ من ٩٣ ،

المسافة بين أرجان وشيراز و وكأن على بن بويه في كل مرة يقطع نصف المسافة بينه وبين هدفه و ولم يأنس صاحب النوبندجان قوة من نفسه لمقاومة على ، وكان أيضا مناضبا لآل يلقوت ملاك هذه المدينة والذين يملكون فارس أيضا ، قلم يتحمس المقتال ، ولما قدمت من شيراز طلائع جيش من جيوش آل ياقوت المظفر لصحد بني بويه لم يتعاون والي النوبندجان مع هذه الطلائع فانهزمت ، ودخل على بن بويه «النوبندجان» دون قتال كبير ، هكانه قد وصل من الكرج الى النوبندجان دون أن يحارب الا مرة واحدة في معركة كبيرة ، هقد كان على يقتصد في غوض المارك ما أمكن ، وهذا يعطينا صورة عن رجل سياسي يستميل الحكمة أكثر مما يستعمل السيف ، فمع كونه قائدا نم يكن يتعجل القتال، وكان يفضل التريث والسياسة ،

 على بين البقاء بممه أو اللحوق بياقوت • وهكذا حقق على بن بويه هدفه الأخير ، وفى نفس الوقت كثرت جموعه وزادت قوته (') •

غنص أمام هجرة استمرت سسنتين ، وأمام شحب جديد كان فى الشمال فنزح الى الجنوب ، ولم يفتح البلاد التى أمامه فتحا وأنما مر بها مرورا دون أن يترك بها حامية ، ودون أن يخضعها لنفسه خضوعا تاما ، حتى بلغ الماجرون مكانا أحصوا غيه بالأمن وهو مدينة شيراز ، غاستقروا غيه واتخذوه قاعدة ، وكان اختيارهم لهذه القاعدة الحتيارا ينم عن نظرة سياسية وحربية سليمة ،

لم يحاول بعد ذلك أن يتوسع بمنرعة ، وهو لم يحاول طول حياته أن توصف أعماله بالتسرع ، بل كان دائما ' يؤثر التؤدة ، ولا يخطسو خطوة الا بعد أن تمهد لها الظروف والملابسات ، فقد استقر بشيزاز بعد أن استولى عليها سنة ٣٣٢ هـ ، ولم يتجه نظمره الى ما وراءها الا عام ٣٧٤ م اذ اتجه الى بلد بعيد عن الخلافة ، وعن السامانيين حكام المشرق ، وعن الزياريين ، وهــو اقليم كرمان الواقع وراء اقليم فارس من ناحية الشرق • ثم تهيسأت له طروف لكي يتدخل في أمر الأهسواز عام ٣٢٦م، غوجه اليها جيوشه وملكها ، ثم اتجهت جهوده نحو الشمال لعو أملاك الدولة الزيارية فأرسسل أخاه الحسن لكمي يحتل البلاد التي كانت تحت يد مرداويج بن زيار ، ولم تتعجل جيوش المسن الحوادث بل ظلت تنتهز الفرص الى أن أخذت أقاليم الجبل شيئًا فشيئًا ، والى أن وضمت أملاك الزياريين تحت سلطانها على أساس العطف ُ بين الطرفين • أما العراق غلم يحاول على بن بويه أن يوجه اليه أحدا الاحين اقتنم أهل العراق أن لاخلاص لهم الا على يد بني بويه ، معلى بنبويه قد أطل على العراق منذ استولى على الأهواز بَينة ٣٣٦ هـ ، ولكنه مع ذلك لم يضع قدمه في العراق الا عام ٣٣٤ هـ ، بعد استقراره في الأهواز بثمساني

 ⁽۱) عن تحركات على بن بويه السابقة ، انظر : ابن الأثير : ج ٨ ،
 من ١٩١٥ ، مسكويه ، ج ١ ، من ٢٧٨ ، ٢٩٧٨ .

سنوات ، وهمي نترة طويلة بالنسية لدولة غتية تدلك كثيرا من الجند ، ولو كان على بن بويه شخصية متعجلة كشخصسية بجكم أو كابن رائق أو كشخصية توزون ؛ لأعجله طمعه فأقحمه في أمور العراق قبل أن تتهيأ ا المطروف ، مُقد كانت أمرة الأمراء هي المنصب الكبير الذي يلي منصب الدخلاقة مباشرة من حيث القواعد الرسمية ، ولكن شخصية أمير الأمراء هي الأولى من حيث الواقع ، وكان المنصب يعمل اغراء شــديدا لكل شخصية طموحة ، ولكن طيا بن بويه كان يغلب الأناة العكيمة على تهور، الطموح • قالفترة من وقعة شيزاز عام ٣٢٣ هـ الى دخول البوجيين في المراق عام ٢٣٤ يمكن أن نقسمها الى قسمين : ــ القسم الأول : من غام ٣٢٣ هـ الى استيلاء على بن بويه على الأهواز عام ٣٣٦ هـ ، وكانت مهمة على في هذه إلفترة.، كما يبدؤ من تصرفاته ومن سمياق الأخبار أن يدعم فأعدته في شيراز ويكون له ولأسرته ملكا موطدا . والقسم الثاني ويشمل الثماني سنوات الباقية ، وقد ظلت فيه عين بنويويه ترتب أمور المراق ، وظل أهل المراق أنفسهم يتطلمون الى هذه القوة الفتية لكى تنقذهم من أطماع الشخصيات الطنطانة التاغهة والتيعقمت جهودها جميعا ، الأنها كانت تتحرك بدافع من الطمع ومن المصلحة الشخصية .

تدعيم الملك البويهي:

فى أول هذه الفترة ، حاول على بن بويه أن ينظم الأمور المالية ، فاستطاع بحزمه أن يستولى على كنوز آل ياقوت الذين كانوا يحكمون شيراز ، و نجح فى تدبير الأمور المالية تدبيرا حسنا ، وهنا تتكرر التقصة التى تروى عقب قيام الأمراء الحازمين عادة ، وهى أن عليا بن بويه . وجد مالا مخبوءا وقع عليه مدخة ، فكان هذا سببا لانتظام أحواله المالية ، ويقال أنه لولا هذا المال المخفى الذى وجده لوقع فى أزمة شيمة الأن الجند الديلمي لا يصبر على قلة المال (") •

م() ابن الأثي : ج ٨ ٤ من ٩٥ ٠

ثم اخــ د على بعد ذلك يعمل على أن يأمن جانب جيراته ، فكان عليه أن يأمن جانب مرداويج الذي كان يلاحقه منذ خرج من الكرج الى أن استقر في شيراز • وكان عليه أن يأمن جانب المخلامة لأنه تغلب على ما تغلب عليـــه برغم ارادتها . واذا كان قد تغلب على طرف من الأطراف فان أول واجب عليه أن ينال من الفخلافة تقليدًا يقر الأمر الواقع ، ولذلك سارع على بن بويه فطلب من الخلافة التقليد على أن يدفع ألف ألف درهم، ولماً كانت ظروف الخلافة سميئة وحاجتها الى الممال شديدة ، فقد أرسلت اليه التقليد بسمولة ، وخرج من بغداد رسول يحمل التقليد والخلع واللواء ، فتسملم.على من الرسمول ما معه ولم يعطه الممال ، وقالوا انه احتال على الرسول حتى آخذ منه التقليد والخلع واللواء قبل أن يعطيه المسال ، واستبقاء حتى مات عنده (١) • والمهم أن عليا أصبح بهذا التقليد واليا شرعيا ، وأمن بذلك جانب الخليفة ، وأمن من ناهية أخرى آل ياقوت الذين كانوا يتحفزون للوثوب على ما اغتصبه منهم • وفى نفس الوقت اتفق مع مرداويج بن زيار ، غان مرداويج قد حشد قواته لتتبعه ، غلما وصلت الى أصفهان دون أن تدرك بني بويه أمرها برداويج بعمد أن أمدها بمدد جديد ، أن تتجه صوب الجنوب وراء بني بويه ، واتجهت تلك القوات نحو الجنوب فعلا بعد أن قسمت نفسها قسمين لتحصر بينها عليا بن بويه ، لكن مرداويج كان صاحب تقليد من الخليفة ، وكان هذا التقليد يتضمن تحديدا لممتلكاته ، فهو عندما بعث جيوشه نحو الجنوب كان متجاوزا لهحدود التقليد ، وكان معرضا نفسسه لأن يتحول من الولاة المتقلدين الى المصاة الذين يريدون التغلب ، ولهذا بعث اليه الخليفة بمجرد سيرجنوده نحو الجنوب يطلب اليه الرجوع الي الحدود المرسومة في التقليد ، وسير إليه جيشا عليه ياقوت ليرده ، هكان مرداويج معرضا اذن لسخط الخليفة والوقوع في حروب مع جنده ، لهانتهز على بن بويه هسذه الثغرصة وعرض عليه مرونة سياسية أن يدخك في طاعت وأن يكون ما بيده بلادا تابعة لمرداويج يخطب له فيهـــا .

⁽١) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ه٠ ،

ولم يكن على بهذا العرض متنازلا عن حقيقة سلطانه ، إذه يملك من القوات ما يستطيع به أن ينازل مرداويج ، ثم انه كان يطم أن مرداويج ، ثم انه كان يطم أن مرداويج والمحادث الى حدود تقليده أصبح مقصولا عنه بأقاليم تخصّ للخلافة ، واسسبح محتاجا من ناحية أخرى الى أن يتكلف تقضات أخرى لتجريد جيش آخر معفره مرداويج بهذا العرض واسترهن عليا بن بويه أخاه المحسن فسلمه الليه على ليكون رهينة عنده على الوفاه (أ) ، وبهذين المهدين : المهدد الذي اعطاه الخليفية ، والمهد الذي ربط بين على ومرداويج ، أمن على على حدوده وأصبح مركزه قويا ، وقصده الرجال من كل ناحية ، ويشير ابن الأثير الى تتابع هذه الأحداث في فترة وجيزة من كل ناحية ، ويشير ابن الأثير الى تتابع هذه الأحداث في فترة وجيزة لا نتجاوز سبعين يوما وبعدها من الاتفاقات العجبية التي أغادت عليا ابن بويه (٢) ،

ف هذه الفترة خلع الفليفة القاهر وتولى بعده الفليفة الراضي و وشغل آل ياقوت باحداث الخلافة عن ملاحقة على بن بويه الذي اغتصب منهم أقاليمهم ، ثم أن مرداويج بعد أن اتفق مع على بن بويه عاد فأخلى أصبهان لأن الخلافة طلبت منه ذلك ، ثم لم يلبث أن تمثل في سنة ٣٣٣ على يد بعض الاتراك الذين تآمروا عليه وقد كان في جيشه الديلمي بعض الزك ، والترك والفرس أعداء يتمصب بعضهم على بعض في كل مناسسبة ، وفي مرة من المرات أهان مرداويج الترك وأراد اذلالهم ، فتآمروا عليه فقتسلوه ، وكان بين المتآمرين توزون وبجكم اللذان ذكرة أمرهما في المصديث عن امرة الأهراء وكان من نتيجة ذلك أن هوب الحصن بن بويه الذي كان رهينة عند مرداويج () وكان من نتيجة ذلك أن هوب الضم فريق منهم ألى بني بويه •

⁽۱) مسكويه: ج ۱ ، مس ۳۰۰ ابن الاثمر: ج ۸ ، مس ۱۹ . (۳) ابن الاثمر: ج ۸ ، مس ۱۹ . (۱) ابن الاثمر: ج ۸ ، مس ۱۰۳ ـ ما ۱۰ ابن خلكان: ج ۱ ، ، مس ۳۱۲ .

شغل وشمكير أخو مرداويج الذي تولى بعده ، وشغلت الخلافة كُلُّ منهما بأمر نفسه عن على بن بويه • ووجد غراغ بين ملك مرداويج وبين ملك بني بويه ، هـــذا الفراغ هو اقليم الأهواز واقليم الجبل . غلما أغاق رجال الخلافة وقوادها وأرادوا الاستيلاء على الأهواز ، تولى أمر ذلك من قبل المخلافة ياقوت تفسه ، وهو المذى أضاع هدا الاقليم وانهـــزم أمام على بن بويه ، 'فلما قدم جيش ياقوت نحو الأهواز خشى على مِن بويه أن يغتر باقوت بمن معه من القوات ، وأن يدفعه طمعه الى التقدم نحو غارس ، فجند جيشا وأرسله للاقاة ياقوت ، والتقى الجيشان عند أرجان سنة ٣٢٣ ، وفي هذه الموقعة انهزم ياقوت هزيمة حاسسمة أضاعت اسمه وقضت على مستقبله الحربي . وانمأ انهزم يأقوت هنا لأن كاتبه وهو الذي كان يلي ضمان الأهواز في نفس الوقت (وهــو عبد الله البريدي الذي ذكرناه في غصل امرة الأمراء) لم يتعاون ممه ، وكان في الواقع يعمـــل للتخلص منه والوثوب على ولايته ، فكان ذلك فى مسالح على بن بويه (١) • ولكن عليا لم يرد أن يتمجل ويستولى على الأهواز . بل اكتفى بتحطيم قوة ياقوت وعاد ثانية الى شيراز ، وبذلك دعم ملكه في اقليم فارس مونريد أن نحدد بعد هذا موقف على ابن بويه ، وموقف اقليم غارس من باقى الأقاليم الاسلامية المجاورة له.

أصبح على بويه « طرفدار » مستوليا على هذا الاقليم بالتفلس ، وهو وان كان زيدى المذهب ، هانه لا يتصل بالاهامة الزيدية التى كان مذهبه يفرض عليه أن يتبعها ، لأن المهاجرين من الديلم حين بعدوا عن بلادهم الأولى ، وحين بعدوا عن أثمتهم الزيديين الذين ضعف أمرهم ، تحرروا من فكرة الاهامة وتصرفوا كيف استطاعوا ، وأبلحوا لأنفسهم أشياء لم يكن الذهب يبيدها ، أهمها الاستغناء عن امامه تسيعية أياكانت، والاعتراف بالخلافة العباسية ، ولم يكن على بنبويه هو الذى استحدث هذا الوضع الجديد ، وإنما سبقه إلى السير على هذا مولام مرداويج

⁽۱) ابن الاثير: ج A ، عس ٩٩ د

ابن زيار ، وسار على ذلك قبل مرداويج « أسفار بن شيرويه » • وعلى هذا تكون الملاقة بين على بن بويه وبين الزيدية علاقة روحية ليس غير، وهى علاقة روحية قوية الأن أنصار الزيدية فى الشمال من نفس أجناد على بن بويه ، ولم يكن من المنتظر أن يوجد عداء بين الطرفين •

أما موقف الخليم غارس من الزياريين غقد حدده الاتفاق الذي أشرنا الله بين على ومرداويج ، الا أنه كان اتفاقا لايمكن تنفيذه لأن «الطرغدار» المجديد لم يكن أقل قوة من الطرفدار القديم ، وقد كانت بينها مسافة خاضمة المخالفة تفصل بين أراضى السيد والتابع و وقد قتل مرداويج وكان أخوه وشمكير أقل منه قدرة ، وكان على أى حال بي واجمه صحوبات سياسية تحول بينه وبين جمال التبية المتنق عليها حقيقه عملية (۱) و ولو أراد فعلا تنفيذ التبعية لما استطاع بسبب قوة على بن بويه ، غالفريقان متساويان فى كل شيء ، وليس لدى ابن بويه ما بيجمله يلين فى معاملة الزياريين كما كان يمكن أن يلين لو كان تعامله مع أثمة الزيدية ، غالزياريون فى نظر على بن بويه ينقصون عن الامامة الزيدية . شيئا هاما هو الهيبة الروحية و

أما علاقة على بن بويه والخلافة فقد تصديبية على التقليد الذي أرسله الخليفة ، وهو تقليد قضت به الظروف ، وقد حاولت الخلافة أن تسترجع هيبتها غتطاولت جيوشها على مشارف غارس ، غكانت واقمة أرجان سنة ٣٣٣ ه ، وغيها ردت جيوش الخلافة وتأكد قيام على أبن بويه بحسق التغلب أو حق الاستيلاء ، وسنرى أن أمور الخلافة كانت الى نزول واضطراب ، بحيث لم يجدد الناس في العراق وسيلة للاصلاح الا باستدعاء بنى بويه والترحيب بهم ، ليكونوا أصحاب الأمر في هدذا الاقليم الذي هو اتليم الخلافة الأول ه

أما علاقة على بنبويه بجيرانه الشرقيين وهم السامان وعاصمتهم

⁽۱) ابن الأثير: ج ٨٤ من ١٠٥ ١١٤٠٠

بخارى أو سمرقند بحسب العصور ، فان السامانيين كانوا طرفا بعيدا وكابمت دولتهم تقوم بدور خاص في حياة العالم الاستلامي وهو دور الدفاع عن التَّمُور ، وكان قيامها بهذا الدور يجعل لها مكانة خاصة . ويدرُّ عليها أسباب العمران والرواج الاقتصادى ، كما يدر عليها عطف كل السلمين ، لقيامها عن هذا العالم كله بواجب مقدس ، ولذلك لم تكن الدولة السامانية تستطيع أن تنحرف المحرافا كبيرا عن مهمتها النفرية ، ولم تكن تتدخل في أمور المنطقة الوسطى من العالم الاسلامي ، فان مشاكل هذه المنطقة معقدة مستمرة بحيث كان واجب السمامانيين أن يتحاشىوا الدخول غيها ، وحسبهم أن يقوموا بأمور ثغرهم لينالوا ثناء المالم الاسلامي بدوله المختلفة ، وكانت لهارس التي استقر لهيها على ابن بويه في ناحية أخرى خارجة عن المنطقة التابعة لآل سامان ، وكانت آخر منطقة من المناطق الخاضعة للخلافة في الشرق ، فكانت الخلافة هي صاهبة الشكلة ، وكان في وسع الخلالهة أن تستعين بالسامانيين ، الا أنها انها تطلب من أمتــال هؤلاء الولاة الشيء المكن والشيء الذي تتحقق به مصالح العالم الاسلامي • ولهدذا لم يتدخل السامانيون وتركوا الأمور على ما هي عليه وأصبحوا مقرين للأمر الواقم .

والنتيجة من كل ما سبق أن عليا بن بويه صار متمكنا من اقليمه ممترط به من الجميع غير متوقع لهجوم عليه ، وقد اختار مكانا ممسازا بميدا عن مراكز القوى الاسلامية المفتلفة ، وأصبح في امكانه أن يوسع قاعدته وأن يجل من اقليم, فارس مركزا لدولة أكبر ، تجمع الى اقليم فارس كل الأقاليم ذات المصبية الإيرائية التي يمكن أن تنضم الى هذا المركز المجديد .

وأول بلد أراد على بن بويه ضمه هو اقليم كرمان ، فأرسل السه جيشا بقيادة أخيه الأصغر أحمد ظهرت شجاعته فى موقعة القنطر تراً ، ، وفتح هذا الاقليم كان نا أهمية كبيرة بالنمسة لفارس ، فاقليم فارس

⁽۱) ابن الأثير: ج ٨ ص ه٩ .

محدود من الشمال باقليم الأهواز ، ومن الغرب والجنوب بالبحر ، أما من الشرق فهو محدود بكرمان في قسمه الجنوبي وبالصحراء في قسمه الشمالي ، فهو بطبيعة هذه الحدود يتعرض للغزو من ناحية كرمان أو من فاحية الإهواز، فلا شك آن نية البويهيين عندما بعثوا الجيوش الى كرمان كانت تهدف الى تأمين ظهر اقليم فارس • وكان اقليم كرمان اقليما سهل الفتح ، وأن كان تابيما للدولة السامانية ، فهو أولا بعيـــد بحنها شيئا ما ، وهو غير متصل بها الا بممر من السهلحراسته عند مدينتي اسيرجان ويم، ثم ان هذا الاقليم محدودامن الشمال بالصحراء ، ومن الشمال الشرقي بالممر المذكور ، ومن الشرق بجبال وعرة ينزلها شعب ايراني متبربر هو شمب القفص والبلوص ، والحد الجنوبي هو البحر ، أما الحد الغربي لهو القليم غارس (١) + ومدخل كرمان من ناهية غارس مدخل سسمل ، اذا دخلت منه جيوش نحازية ضيقت على العبيوش الموجودة فيه وأخمسذت عليها مسالكها ، واذا آوت هذه الجيوش الدالهعة غانما تأوى اما الى الحبال ، واما الى الممر للإلتجاء الى أملاك الدولة السامانية . وهذا ما وقع غملا عندما دخلت جيوش أحمد بن بويه سنة ٢٢٤ م ، غلم تجد عناء كبيرا في الاستيلاء على البلاد ، وخرج والى كرمان قارا بجنده من المر٠ ونزل رؤساء القفص والبلوص ليؤدوا الى المتغلب المجديد ما اعتادوا من لا يتعرض له ولاة كرمان ولا يتعرضون هم لهم ، واستعروا على ذلك أجبالا طويلة • فلما دخل أحمد بن بويه ، وكان شابا متهورا ، غدر بالقفص والبلوص وأراد اقتنحام بلادهم بالقوة فدخل العبال معتزا بقوة جسيده ، ولكن أهل الجبال عادة ذوو حرص وحذر غملموا بمسيره ووضعوا له كمينا فاجأوه به على حين غرة ، فقتل معظم رجاله وأصيب هو بضربه قطعت يده اليسرى من الساعد وبعض أصابع يده اليمني ، وأشفى على الموت لولا أن عالجه زعيم المقفص والبلوص وأوصله مأمنه واعتذر لأخيه • الا أن أحمد عاد بعد شفائه الى هذه البلاد ، ونكل بأهلها غشكوا الى ألهيه

⁽١) أنظر ياتوت : معجم البلدان : ج ١٦ ، ص ٥٥٤ (طبعة بيروت) .

الذى راى أن الأمر قد يحرج فاستدعى أخاه ، وولى غيره من اتباعه من يستطيع أن يجرى فى سياسة هذا الاقليم على الوضع التقليدى (١) • وفى هذه العملة برزت صفات أحمد بن بويه : فهو فارس معتد بقوته ، أحمق يتعبل فى الالتجاء الى القوة ، غير يصير بفضل السياسة لمن يملك فى نفس الوقت المقوة ، وسنراه يسلك نفس هذا السلوك فى كل مكان يعسسل اليه ،

بعد أن أمن على بن بويه ظهره من ناحية الشرق بالاستيلاء على كرمان ، كان عليه أن يؤمن جبهته من الناحية الشمالية ، من ناحية الأهواز والأهواز اقليم هام جدا بالنسبة للمسراق وبالنسبة لفارس ، ولم تكن أهميته تنفى على بنى بويه ، غان الذى يملك الأهواز ويستكمل قوته يستخطيع أن يسد كل طريق على القوات المقيمة بفارس ، هوجود سلطة قوية بالأهواز كان ممناه سد الطريق على بنى بويه وحصرهم في مجسال ضيق ، وقصر شاطهم بالتالى على هذا المجال الاقليمي وحده ، فان كان ليني بويه طموح فالأهواز هي باب هذا الطموح ، فهي التي تصلهم فلشمال ببلادهم الأولى ، وهي التي تصلهم أيضا بالمراق ، وهي من الناحية الاستيلاء على هسذا الماقي ما هي دهليز قارس ، ومن أجل الناشاجة الاستيلاء على هسذا الاقليم السام ،

وقد واتتهم الفرصة حين لجأ اليهم البريدى غارا من وجه قوات الخلافة بمصد أن خان سيده ياقوت حكما أوضحنا ذلك في حديثنا في غصصا امرة الأمراء عفائراهم بامداده ببعض الجند لاعادته الى الأهواز ،وحينقرر البويهيون امداد البريدى بالجند كانوا يخفون نواياهم المعتبقية ، وكانوا يطمعون في الاستيلاء على الأهواز استيلاء تاما ولحا لم يكونوا ينقون في البريدى غقد استرهنوه اثنين من أبنائه ، وتقدم جيش بويهى يقوده أحمد بن بويه ذلك الفارس العنيف ، واستطاع هذا الجيش متاونا مع قوات البريدى فتح الأهسواز دون عناء كبير .

۱۱۶ – ۱۱۲ – ۱۱۶ – ۱۱۶ ، من ۱۱۳ – ۱۱۶ .

لكن أحمد بن بويه والتريدى لم يتفقا ، وذلك لأن البريدى كان يتوهم أن بنى بويه يساعدونه ثم يرجعون مكتفين بأن يخطب البريدى باسمهم ، وبالتبهية الاسمية لهم ، اكنه رأى جنود أحمد مستقرة فى البلاد لا تريد المخروج عنها ، والسبب الثاني هو أن جنود أحمد كانوا من الديلم وجنود البريدى كانوا من الترك وكانوا أقالية ، والشمبان متباغضان ، فوقع التساحن بين الطرفين ، والتهزت العولة فى بغداد فرصة هذا التشاحن فأرسلت قواتها بقيادة « بجكم » لاسترداد الأهواز ، ووقف هذا عند حدود الأهواز القرية من العراق منتهزا الفرصة للتدخل ، وأحس أحمد ابن بويه بتحرج الموقف فأرسل الى أخيه ، فأمده بجيش تمكن به من طحرد المبريدى من الأهواز فتراجع الي البحرة ، كما اضطرت قوات الخلافة الى النراجع ، وأصبحت الأهواز بهذا في يد بنى بوية (أ) •

وقست الأهمواز في يد بنى بويه وقوعا سهلا ، لانهم انما دخلسوها بارشاد رجل عاش فيها وعرف أهمها وأطنعهم في كثير من المنانم اذا عاد علمان دخولهم الأهمواز أهرا سهلا ، وبهذا تم لبنى بويه توسيع قاعضهم نتوسيما ملائما لما يضطرب في نفوسهم من آمال ، غهم قد ملكوا قطمة من الأرض كبيرة ، وملكوا مفتاح التوسع نحو الشمال ونحو العراق ، وأسبحت حدودهم ترتكز من ناحية على الجبال الواقعة شرق كرمان ، وعلى الصحراء التي تتوسط بلاد ايران ، وعلى الصدود الحصينة بطبيعها التي تفصل بين اقليم الأهمواز والجبل ، وأصبح نرولهم من الأهمواز اللي المراق أمرا ميسورا ، ولم يكن على بن بويه يتعجل النزول الى العراق ، وانها ظل البويهيون يرقبون أحداث العراق حتى استدعوا الله فدخلوه ،

كانت الحالة في العرأق مضطربة اشد الاضطراب في الوقت الذي أخذت فيه الهجرة البوبهية تتجه الى الجنوب ، وكانت الخلافة واقعسة

۱۲۰ — ۱۲۹ ص ۱۲۹ — ۱۳۰ - ۱۳۰

تمت تفوذ القواد الأتراك، وكانت الأمور المالية مختلة أشد الاختلال ، وخزائن المخلافة خالية ، والخلفاء يقمون في ضائقات كبيرة تتيجة لتحكم الإثبراك وجشعهم ، كما كان الجند يلتفون حول قوادهم الذين يحققون لهم المصالح المادية ، وليس للخلافة في واقع الأمر سلطة على هؤلاء الأجناده ونتيجة لهذه الظروف الاقتصادية والمسكرية استدعى الخليفة الرائمي وأفي واصط معمد بن رائق وقلده منصبا جديدا هو منصب أهير الأمراءه وكان الخليفة برمى من وراء ذلك الى حل مشكلة الخلافة المستعصية في البراق ، والتخلص من ربقة التسلط على شخصيات الخلفاء لماشرتهم المسلطة بانفسهم وتعرضهم المطالبها مع عجرهم المالي لاستقلال معظم الأطراف ، وعجرهم المسكرى لعدم خضوع الجيش للخملافة ، همذا المجيش الذي أصبح ولاؤه لقواده ولمصالحه .

لكل امرة الأمراء عجزت عن اقرار الأمور في الصراق ، وعجزت عن حل المشكلة التي كانت تواجه الخلافة تتيجة لوقوعها في نفس الموقف الذي كان تبلها ، وهو تنازع القواد ، وتحزبات الأجناد ، كما رأينا ذلك تفصيلا في فصل امرة الأمراء ،

وفقامت الأسرة الوقت كانت الهجرة البوهية قد اسستقرت في فارس ، وأقامت الأسرة البوهية لها ملكا موحدا ... كما رأينا ... واصسبحت من موقعها تطل على العراق وترقب ظروفه ، وكان الناس فى العراق ، وقد أحسوا بفشل أمراء الأمراء ، يتطلعون الى هذه القوة الجددة التيظهرت قريبا منهم ، وأثبت كفايتها وجدارتها ، فكاتب القواد في بغداد أحمد بن بويه الذي كان يحكم اقليم الأهواز منذ فتحها سنة ٣٣٦ هـ ، وطابوا اليه المسير اليهم والاستيلاء على هذه المدينة ، ونلاحظ أن حزب الديلم في بغداد هو الذي كان بيده الأمر بعد أن تغلب توزون على امرة الأمراء ، ثم خاته ابن شير زاد ،

وتقدم أحمد بن بويه الى بغداد ، فخرج الأتراك عنها ، وأسر تتقيله

الخليفة المستكفى واحتفى به ، وخلع عليه ، ولقبه « معز الدولة » ولقب أخاه علياً « عماد الدولة » وأخاه الحسن « ركن الدولة » وأمر أن تضرب المابهم وكناهم على الدنانير والدراهم (١) • وبدخول أحمد بن بويه وتوليه امرة الأمراء في بفداد سنة ٣٣٤ ه ابتدا العصر البويمي الذي استمر حتى سئة ١٤٧ هـ .

المسالقة بين بني بويه والخسالقة :

خلفاء العصر البويهي هم : المستكفي وقد خلم في نفس السنة الانعدام الثقة. بينه وبين أحمد بن بويه (٢) • والمطيع وقد حكم ٢٩ سنة ﴿ عِهِمْ _ عِهِمْ هِ ﴾ والطائع وقد عكم ١٨ سنة (٣٢٣ _ ٣٨١ هـ) • والقادر وحكم ٤١ سنة (٣٨١ ــ ٤٣٠هـ) . ثيم القادر وقد عضر نهاية العصر البويهي وابتداء العصر السلجوقي •

لم يتغير الخلفاء في هذا العصر بسرعة كما كانوا يغيرون وينخلعون بعد بضع سنين في العصور السابقة ، ومعنى هذا أن الخلافة تعرضت مرات اقل لمهزلة الانتخاب الذي كان شكليا ، والذي لم يكن يشرف أي خليفة يقم عليه الانتخاب . وتلاحظ في المصر البوجي شيئًا من الاستقرار، فالخلفاء ، يحكمون عشرات السنين دون أن يتعرض لهم أحد من ذوى السلطان . ومرد ذلك الى أن امرة الأمراء فىالعصر البَويعي كانت تتحمل كل المسئولية ، على حين بقى الخليفة رمزا لا يتولى من حقيقة الســـلطان شيئًا قابلاً لأن ينازعه أحد عليه ، فالبخليفة لم يكن مسئولًا قط عن الخزانة، ولا عن الادارة المسالية ، ولا عن الجند ولا عن السياسة ، وانما هو الذي يستطيع أن يعطى كل تصرفات البويهيين المــالية والعسكرية والسياسية صفتها الشرعية ، فالاستقرار اذن كان فاشنًا عن وقوف الخلافة موقف سلبيا ، مع أن الناس تعودوا أن يجدوا شخصية الخليفة ايجابية لمالة. وهذا التحول الذي صارت اليه الخلافة هو الذي أحزن كثيرا من الناس

⁽۱) الافين: ج ٨ ، من ١٦١ ٠

⁽٢) انظر نفس المدر والصفحة في سبب غلع الستكثى .

مدفوعين الى ذلك بدالمعين ? الأول دينى ، وهو النظر الى شخص الخليفة باعتباره من آل البيت الذين يحملون تراث النبوة ، والثانى قانونى فتهيى ، وهو أن الخليفة رأس الدولة وصاحب العق فى كل التصرف ، وفى الجماعات دائما طوائف من الناس تميل الى تأييد الوجهة الشرعية ، وهم الذين برون أن تسير الأمور وفقا للتقاليد والقواعد المقررة القديمة ولكن مسئولية هذا الوضع المجديد لاتقع اطلاقا على ملوك بنى بويه ، فهم لم يستحدثوا شيئا من النظم ، وانما صاروا على مسئة انشئت من قبناهم ، وحلوا محل أمراء الأمراء أمشال ابن رائق وبجكم وتوزون وغيرهم ، وكل الذى استجد انصب على التفقيب ، هقسد أصبح أمراء بنى بويه يلقبون بالملك (ا) ،

والواقع أن تلقيب أمراء بنى بويه بلقب «الملك» أوهشاهتشاه»() كان فى محله ، لأن أمراء الأمراء من البيت البويهى كانوا أقدر وأقوى من أمراء الأمراء السابقين الذين كانوا لا يمتمدون الا على أجناد متقلب ين فى أهوائهم ، بعكس آجناد بنى بويه الذين كافوا يحسسون بقوميتهم الفارسية ، وبنوع من احياء التراث الفارسي القديم ، فكان لهم شمور قوى يهديهم الى المصوالح العامة ، ويردهم عن الانطلاق وراء أهوائهم فى كل وقت ،

وأكثر المؤرخين يسيل الى القول بأن بنى بويه أذلوا العلقاء بسبب مذهبهم المختلف ، وأنهم سلبوهم سلطانهم وجعلوا منهم العوبة فى أيديهم (٢) والمقتيقة أن بنويويه ورثوا وخسما قام من قبلهم ، ولم يكن لهم يد فى هذا التطور الذى صارت اليه أمور المخلافة فى بقداد ،

⁽۱) ابن العبيد : ناريخ المسلمين 6 ص ٣٣٦ ــ ٣٣٧ . ابن تُطَكَّلُن يُخ ج ١ ٤ ص ٢١٦ .

⁽۲) آبن الميد: من ۲۹۱ ، ابن خلكان : ج ۴ من ۱۹۱ ، ابن الأسسي : ج ۲ ٢ ، ١٩٧ ، حسن ابراهيم : ج ۳ ٢ . (۲) ابسن الأسسي : ج ۷ ، من ۱۹۲ ، حسن ابراهيم : ج ۳ ٢ . من ۲۹۲ ، ۲۹ ، ۲۹

وقد بدأ هذا التطور من أيام الخليفة الراضي الذي الجأته الممرورة إلى انشاء منصب أمير الأمراء ، ويقول ابن الأثير « لما رأى الراضي وقوُّف الحال عنده ألجأته الضرورة الى أن راسل أبا بكر معمد بن رائق وهـــو بواسط ، يعرض عليه اجابته الى ما كان بذله من القيام بالنفقات وأرزاق الجند ببغداد ، فلما أتاه الرسول بذلك فرح به وشرع يتجهز للمسير الى بغداد ، فأنفذ له الراضي الساجية وقلده امارة الجيش وجعسله أمير الأمراء ، وولاه المخراج والمعادن في جميع البلاد ، والدواوين ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنسابرية ٥٠٠ وبطلت الدواوين في ذلك الوقت، وبطلت الوزارة غلم يكن الوزير يغظر في شيء من الأمور ، وانما كان أبن رائسة وكاتب ينظران في الأمور جميعها • وكذلك كل من تولي امرة الأمراء بعدم ، وصارت الأموال تَعْمَل الى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ، ويطلقون للخليفة ما يرون ، وبطلت بيوت الأموال » (١) : وهكذا نرى أن ينيُّ بويه لم يستنحدثوا هذا المنصب ، وهم حين تولوا هذا المنصب ثم يغيروا شئيتًا اطلاقا ، ولم يستحدثوا قليلا ولاكثيرا ، غقد كانوا يسمون أمراء الأمراء غزادوا على ذلك لقب «الملك» وليس اللقب بشيء • ثم أن معاملة بني بويه الخلفاء جرت على نسق السنن السابقة ، بل لعلهم كانوا أكثر مجاملة من غيرهم لأنهم كانوا أكثر قوة • ومع ذلك فهناك تعبير طفيف هو جعل امرة الأمراء وراثية في بيت معين ، فأصبحت المناصب تورث ، ولكن مبدأ الوراثة لم يحرم الخلفاء شيئًا ، لأن أمراء الإمراء كالموا ـــ كما رأينا ــ يتولون برغم الله الخليفة لأنهم يتصرفون في جند قوى غالب ، فلم يكن الخليفة يختار أمراء الأمراء ، فاذا جاء أمسير الأمراء القوى واستطاع أن يجعل هذا المنصب وراثيا كان ذلك مدعــاة للاستقرار ، وكان في ذلك رفع للمنصب عن مستوى النزعات العصبية بين النترك والديلم وغيرهم • ثم ان الأسرة التي تتولى هذا المنصب بصفة وراثية لابد أن تحس بما يلقى عليها من المسئولية ، ولابد أن تحس في أغلب الأحيان بأن سلطانها مستقر متوطد ، على حين كان أمير الأمراء

⁽۱) ابن الانبي: ج A 6 من ۱۱۲ ه

قبل بني بويه لا يثق بغيره اطلاقا . ولا يثق بقواده الذين لا يخلون قط من الطمع ، بل رأينا الجند يتبعون هذا الفائد أو ذاك حسب تفـــديرهم لأمكانيات ذلك القيائد ، أولاقبال حظه ، أو لتوقعهم أن يظفر بذلك المنصب الكبير ، بحيث كان من المستطاع أن نعرف شخصية القائد بعدد من يلتف حوله من الأتباع • فانتقال هــذا المنصب الى الأسرة البويهية كان في ذاته خيرا لا شرا ، ولم يكن في نفس الوقت تجـــديدا بل كان استمرارا في نظام بدأ من قبل ، ونحب أن ننظر في المسألة من وجهسة أخرى غنتساءل : هل فقد الخلفاء شبيئا ؟ • لانظن أن الخلفاء فقدوا شبيئا ، فحق التعبينُ في المناصب كان حقا صوريًا لا يمارسه الخليفة ، فالظروف هي التي كانت تملى عليم الوزراء ، والأزمة المالية هي التي كانت تضمره أن يعزل الوزير ليصادر ماله ، وفي سنة ٣١٧ ه عزل الوزير، ابن المفرات وسجن وعين واحد غيره ، غلما علم ابن المفرات باسم من بخلفه قال « الخليفة هو الذي نكب لا أنا » (١) فالخليفة في الواقع لا يختار رجالا وانما هي الظروف تملى عليه الأشخاص • فالوزير حامد ابن العباس لم يكن من المؤهلين للوزارة ومع ذلك تولى هذا المنصب لأنه غنى (٢) . أما بالنسبة للقضاء فكان العرف الجارى هو أن يدفع ﴿ القــاضي قبل أن يولي مبلفًا من المــال كنوع من الواجب ، فلما تولي معز الدولة امرة الأمراء فرض على قاضى القضاة مالا سنويا ، فكان لهذا الأمر صدى أدى الى ثورة على هذه المسألة ، وقالوا انه يبيم مناصب القضاء ويقرر على القاضى وعلى المتقاضين() وظنوا أن العدل لايتحقق بهذه الطريقة ، ومم ذلك غالفرق يسير جدا بين أن نأخذ المال مرة واحدة وبين أن نأخذ كل سنة ، لأنه من المستطاع آخذ المسال مرة واحدة ثم عزل القاضي كل سنة أو كل ستة أشهر ، وقد كان العزل يحدث كثيرا بسبب حاجة الخزانة الى المال .

⁽۱) أبن الأثير: ج ٨ ، من ١ ه .

^{. (}٢) حسن أبراهيم : ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

 ⁽۲) ابن آلائــــر : ج ۸ ، ص ۱۹۳ ، الســـيوطى : ناريخ الخلفاء :
 ص ۲۲۵ ـــ ۲۲۲ ، الصولى : ص ۱۶۲ ،

أما القواد الذين أصيحوا رجال الدولة ، فقسد كانوا قبل المصر البديهي رجال الدولة أيضا ، فقد قال الراضي « ملكوا الأمر دوني » (أ) « أما حق التصرف في الأموال الدامة ، فقد كان حقا مقروا للخليفة صوريا ، أما فعلا فان هسذا الحتى كان ملفيا لا بعارس لأن الأزمة المسالية كانت شسديدة ، بحيث لا يستطيع الخليفة ولا غيره أذ يدبر الأمور تدبيرا اراديا تاما ، وقد كانت الأموال قبل المصر البوجي عندما أنشئت امرة الأمراء تحمل لا الى خزائن الخافاء ، والما الى خزائن أمير الأمراء ، فالبوجيون هنا لم يستحدثوا شبئا كذلك ،

أما فيما يغتص بنفقات الغليفة ، فإن أمراء الأمراء كانوا قد جعلوا لتك النفقات ضياعا خاصة تسمى الضياع المستخلصة (١) • أما بنو بويمة فيحملوا للخليفة ضياعا خصوا الخدة يسمى « مياومة » ولحسا وجدوا أن أن ذلك غير عملى لأن الأموال قد نتأخر ، أضاغوا الى المياومة مسياعا كالمسياع المستخلصة (١) • ومع ذلك فقد كان الخليفة في بعض الأحيان عيصادر فنسلب داره ويؤخذ ما فيهسا من نفائس (١) • وقسد يحسده هذا نعو ثلاث مرات طوال العصر البوجى ، لكنه قسد حدث كذلك من فبل وقد يكون هذا شرا ، ولكنه شر لم يوجده البوجيون ، وانما وجد قبل عهدهم ، بل أن المصادرة في عهدهم كانت أقل ، فقد فهب الراضى ، واضطر الى أن يدفع لأمير الأمراء مبائح من المال مع أنه غير مسسئول عن الانفاق ، بل أنه لم دفع آنية الذهب والفضة ليصوغوها نقودا (٥) ، وكنك أنهب الخليفة أذا خرج الى عملة عبد الخيم المنافرة في المروب ، وكنان الخليفة أذا خرج الى عملة ، بعيشه وانتهى ما بيده من المال لا يستعليم الاستمرار في الحروب ،

⁽۱) المسولي : ص ۹٦ ،

⁽Y) الصولى: ص 141 -- 180 ·

⁽٣) ابن الآثير: ج ٨ ، ص ١٦١ ،

⁽⁽⁾⁾ نفس المسخر ،

⁽a) الصولى : ص ١٠١ ، ١٣١ ، ١٣١ ،

١١) الصولى: ص ٢٨٧ -- ٢٨١ .

أما تصرف الخليفة في الجيوش فكان حقا صدوريا أيضا ، فاذا أصببحت الجيوش في يد بني بويه فلم يكن ذلك احداثا لسنة جديدة ، فقد كان الخليفة الراضي يقدول « ليس لي جيش كجيش الأخشاد » و وقد قال مرة أخرى « لو كان مثله عندى وكان جيشه مكان هدذا الجيش : غانه أشبه بجيش آبائي » (() ، غلم يكن للخليفة جيش قبل العصر البويهي ، حتى نقول مع القائلين أن البويهيين اغتصبوا من الخليفة شدينًا ،

أما الخطبة والسكة ، فان القاعدة كانت أن يخطب للخلفاء ولأمير الأمراء معهم على جميع منابرهم ، ونظن أن العبارة كما هي تدل على أن المضلية تكون لأمير الأمراء مع المضليفة على جميع المغابر حتى في بعداد نفسها ، لأن اللفظ ورد هكذا « على جميع المنابر (٣) » ، ومع ذلك فانا نلاحظ من سياق النصوص بعد ذلك أن بعداد كانت مستثناة ، حيث كان لايخطب الا للخليفة وحده ، غلما تولى بنو بويه خطب لهم في بعداد مع المضليفة (٣) ، والمسألة لا تعدو أن تكون حقوقا ، أما كتابة اسسم أمير الأمراء البويهي على السكة فقد كان أمرا جرت به السنة من قبل ،

اذا صح ما ندهب اليه من أن بني بويه لم يمتصبوا الطفاء الذين عاشوا في عهدهم شيئا ، فلماذا نجد في كثير من الأخبار التاريخية اقوالا تتردد بأن المفلاغة قد ذهبت بهجتها والممحل أمرها ؟ • ونجد تثيرا من المؤرخين يحملون بني بويه مستولية هذا الاضمحلال ، • كل هـذا في نظرنا أقوال غير صحيحة ، وقع أصحابها في تيار المبالغة من ناحية ، وفي تيار الأسي على مصير الخلافة من ناحية أخرى • على حين نلاحظ أن بني بويه انسا خدموا الخلافة ، وجملوا منصب أمير الأمراء أكثر استقرارا ، وجعلوا اتجاء دفة السياسة اتجاها واحدا مستمرا في بد

⁽۱) نفس المسجر : س ع: ١

⁽۲) أبن الأثير : ج ٨ ، من ١١٢ .

^{· (}٣) ابن الاثير : ج A ، من ٢٤٩ .

واحدة قوية آمنة على نفسها • ثم ان أسلوب المجاملة الذي كان يسعه البويهيون اذا مثلوا في حضرة النخلفاء كان يدل على عظيم توقيرهم لهم ، وبقول بعض المؤرخين « أظهر عضد الدولة من تعظيم المخلافة ما كان دارسا ، وجدد دار الخلافة حتى صار كل محل منها آنسا » (ا) فالفخلافة في الجملة لم تفقد هيبتها في العصر البويهي بل كان بو بويه خبر خدام للخليفة على النحو الذي صورناه •

وللعصر البويهي ميزة أخرى ، وهي أن الخلافة في العصر البويهي الهنحت صدرها للمذاهب ، فصار الخليفة خليفة للسنة ولاشسيمة على حد سواء و وهذا الوضع جديد لم يحدث مثله من قبله ، فلم يان أهل السنة أو المباسسيون يجيزون للشديمة أن يجيروا بدهيم ، ولا أن يدعوا له ، ولم يكونوا يعترفون به الحلاقا ، وكان أذا ظهر من العلويين رئيس روقب ووضعت عليه الجراسيس ، فاذا ثار من جراء هدف المضايقات أو اذا ثار مطالبا بالخلافة حورب بجيوش الخلافة ، أما في العصر البويهي فان الشيعة والسنة اصطلعوا على أن يتمتع كل فريق منهم بالحرية المذهبية ، ونستطيع أن نطاق على العصر البويهي لذلك عصر العربة المذهبية ،

ومع أن البويسين كانوا شسيعة الا أنهم لم يعاملوا أهل السنة معاملة سببة ، بل أن صدرهم اتسع للحرية المذهبية اتساعا كبيرا ، وقد أظهروا من سعة الأفق ما كان الصاحب بن عباد خير مثال عليه ، فهسو يقول في رسائله « وقد كتبت في ذلك كتابا أرجوه يجمع على الأافحة ، وييمرس من المفرقة ، وينظم على ترك المنازعة ، والجنوح الى الموادعة ، فأن المهادنة تجمل بين الملتين ، والله نسال توفيقا لأنفسنا ولهم (٣) » وكانوا يرون في التدابر المذهبي ما يفرق بنن الناس

⁽¹⁾ أبن كثير، : البداية والنهاية ، ج 11 ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٩ . (٢) رسائل الصاحب بن عباد : الرسسالة الخابسة من البساب السادس ، ص 11 (تصحيح عبد الوهاب عزام الطبعة الأولى)، وأنظر: كذلك الرسالة السادسة ، ص ٩٢ – ٩٤ .

يدون وجه حق ، فيتكدر الأمن العام ، وتذهب مصالح الناس ومعايشهم ، ويرون أن الاسلام وقد اتسع أفقه لمايشة الأديان الأخيرى، غان التباغض والعداوة بين أهله أنفسهم أمر منكر لا يصسح أن يضره مسلم .

والبويهيون شيعة على مذهب الزيدية ، وهو مذهب تطور وتعددت غرقه ومقالات أصحابه ، وأقرب غرق الزيدية الى بنى بويه هى غرقسة السليمانية ، وهم الذين ساروا بالذهب الزيدى نحو التسامح ، ونهو اتساع الذهب لكل مقالة ولكل ميل : فإن سليمان بن جرير صاحب هذه الفرقة كان يقول « ان الامامة شورى فيما بين الخلق » ولا نميل اليجملا هذه المبارة ذات معنى مطلق ، غالشورى هنا هي نوع من الاختيار في بيت معين ، وهو اختيار يحدث من تلقاء نفسه لخروج رجل من آل البيت والتفاف الناس حوله ، والالتفاف هو الذي يأخذ مظهر الشوري ، بدليل قول الشهرستاني . « ويصح أ زنتنجقد (الشورى) بعقد رجلين مع خيار المسلمين » والسليمانية هم أول من قال بالمقالة التي طبقها البويهيون في القرن الرابع: قالوا « الامامة من مصالح الدين ، ليس يحتاج اليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده ، فإن ذلك حاصل بالعقل ، لكنها يحتاج اليهــــا لاقامة الحدود، والقضاء بين المتحاكمين وولاية اليتامي والأيامي، وحفظ البيضة ، واعلاء الكلمة ، ونصب القتال مع أعداء الدين ، وحتى بكور يكون الامام أفضل الأمة علما ، وأقدمهم عهدا ، وأسدهم رأيا وحكمة ، غان الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الغاضل والأغضل (١) » •

هذه المقالة السليمانية تلقى ضدوا تشيرا على موقف البويهيين من الخلفاء العباسين ، فالخليفة العباسى مفضول لكن ولايته جائزة ، وهو ليس أفضل الناس علما ، والسليمانية تقول لا يشترط أن يكون الامام أفضل الناس علما ، ومبدأ صحة امامة المفضول مع وجود الأفضل يعجيز

⁽۱) الشهرستاني : الملل والفحل ، ج ۱ ، ص ١٥٩ سـ ١٦٠ « طبعة الحلبي » .

من غير شك أن تخرج الامامة عن البيت العلوى الى بيت آخر مفضول م ثم ان الامامة مصلحة من مصالح الدين وليست ركنا ، فلا نعجب اذا قال الشهرستائي « ومالت جماعة من السنة الى ذلك » ، والسليمانية لم تقفه عند هذا الحد بل قالت اله يجوز أن يكون الأمام غير مجتهد و لاخبير بمواقع الاجتهاد ، ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل الاجتهاد غيراجمسه فى الأحكام ، ويستفتى منه فى المحلال والحرام ، ويجب أن يكون فى الجملة ذا رأى متين وبصر فى الحوادث نافذ ،

وبقعن اذا أردنا أن نستفيد عن طريق الغرق الزيدية في فهم المبادى.
الزيدية كما اعتنقها بنو بويه ، وجب علينا أن ننتهج نهجا لهاها ، فنهن لا تهم مبدأ بنى بويه على أساس ما كتبه الشهرستانى ، بل على أساس الوستنارة فقط بما كتبه الشهرستانى ، وهذا الواقع أولا ثم على أساس الاستنارة فقط بما كتبه الشهرستانى ، وهذا هو النهج الذى لريد أن نحد به مبادى، البوجيين الريدية ،

الملاحظ آن الممالك الزيدية كالمماكة الزوارية والمملكة البوجية قبل أن تتدخل في أمور بغداد ، وبعد ذلك ، انتهت كلما بأن اعترفت بالمخلفة وكانت قبل ذلك قد استقلت بالملك ، ولم تتبع اماما معينا من ألمسة الزيدية فهى في الحالتين لم تتبع اماما زيديا ، فهل كانت خارجة على ميادى ، الزيدية ؟ ، الواقع يدل على أنها لم تعتبر نفسها خارجة ، فلقت خلف قبل وبعد اتصالها بالخلافة تعتبر نفسها دولا زيدية ، وتدين بتبعيل أهل البيت وبلحترام البيت الفاطمي العلوي (١) ، وقد عرصت تلك الدول على تنمية العلوم الشيعية ، فليس من المدل أن تتهمهم كما المحمم بعض المؤرخين أنهم خانوا مبدأهم ، واتبعوا الخليفة السنى جريا وراء مصالحهم الخاصة (٢) ، وهؤلاء المؤرخون كانوا يتوقعون منهم أن يعزلوا المخليفة السنى يولوا المخليفة السنى ليولوا على أنفسهم إماما من آل البيت ، الا أن بني بويه هين السنى ليولوا على أنفسهم إماما من آل البيت ، الا أن بني بويه هين

 ⁽۱) کانوا بزورون مشهد الحسین حفاة ، انظر ابن کلی : ج ۱۲ ،
 ص ۷ ،
 (۲) ابن الاثیر : ج ۸ ، عض ۱۹۲ .

اتتصروا ، انتصروا وهم لا يدينون بالــولاء لامام زيدى ، بل كانـــوا مستقلين عن آل البيت يدبرون ملكهم بأنفسهم ، مكتفين بوجود مجتهدين فيما بينهم تنسد بهم الحاجة الدينية ، ويكونون الوسيلة التي يفهم الناس الدين عن طريقها عنان الله يعرف بالعقل كما قالت بعص الفرق الزيدية • وكان في امكانهم أن يلغوا الخلافة السنية حقيقة ، ليضعوا معلها خلافة شيعية • الا أن مثل هذا كان يعرض العالم الاسلامي لمزات عنيفة ، فان مثل هذا التغيير كان أمرا لا يقبله المشرق كله: لا يقبله السامانيون، ولا الغزنويون ، ولا يقبله كثير من السنة الذين كانوا أغلبية في العراق وفى الليم الجبل ، وفي شيراز ، غلو أن الدولة البويهية العت الخلافة العباسية لعرضت العالم الاسلامي الشرقي لحروب أهلية ، ولعرضت نقسها لهجمات من جانب السامانيين والفرنويين ، فكانت الحكمة السياسية تقضى عليهم بأن يبقوا القديم على قدمه • وكانت المكمـة السياسية تملى عليهم أن يتبعوا البدأ الذي يقول بجواز امامة المفضول مع وجود الأفضل ، فأجازوا على هذا الأساس الذي أقره المبدأ الزيدي، وعلى أساس المصلحة السياسية أن يدينوا بالولاء لخليفة سني ، واكتفوا بوجود المجتهدين من بينهم كالمساحب بن عباد باعتبساره مجتهدا ، والقاضى عبد الجبار باعتباره قاضيا غقيها من قضاة الزيدية .

ملوك بني بويه

ذكر ملوك بنى بويه فى هذا العصر أهم من ذكر الخلفاء ، فانه لم يكن للخلفاء شأن كسير فى تصريف أمور الدولة البسو هية ، وان كان نفوذهم الروحى ظل محترما فى المشرق خاصة ، فقد كان المغرب يسمد الفاطمين ، وكان بنو أمية فى الأندلس لا يدينون بالولاء للخليفة المباسى بل انهم نادوا لهم بخلافة أموية ، ولم يكن لهم غير السامانيين والغرنويين وهؤلاء كانوا منصرفين لمهمتهم الشغرية فى المشرق .

وأول شيء نلاحظه عندما نذكر بني بويه ، هو أنهم كانوا أقل ثقافة من الغرس المستقرين في البلاد التني تغلبوا عليها ، ذلك لإنهم كانوا في طرف من الأطراف التي كانت خارجة عن العالم الاسلامي ، وعن نطاق الحضارة حتى منتصف القرن الثالث الهجرى ، فهم قوم قريو عهد بالمدنسة ، فلما تم لهم العلب لم ينسسوا تقاليدهم القديمة ، فاعتبروا البلاد التي تعلبوا عليها ملكا خاصا لهم برثم الأبنساء ، وينقسم هذا الملك بمقدار عدد الأبنساء ، وهذه الفكرة غير اسلامية ، لم يعلبقها العرب على بداوتهم ، ولم يعتنقها العالم الإسلامي الا تحت ضفط الغارات البويهية ، والسلجوقية فيما بعد ، ولهذا لم يلبث وصسار صاحب كل قسم يحاول أن يتغلب على القسم الآخرة ، وهن الاتصاف أن نذكر للبويهين وهم حين كانوا متأثرين بتقايدهم الأحمية غير الاسلامية ، أنهم عاولوا أن يتعسكوا بفكرة التوحيد المسياسي غير الاسلامية ، أنهم عاولوا أن يتعموا أملاك البيت البويهي كلم قسمها الميراث ، ودادلك تعرضت المدولة البويهية لهزات عنيفة بسسب قسمها الميراث ، ولذلك تعرضت المدولة البويهية لهزات عنيفة بسسب

و فلاحظ كذلك أن مركز الدولة البوجية نعير مرات كثيرة ، فقسه كان مركزها في شعيراز طوال حياة « عساد الدولة البوجي، » مؤسس الأسرة الي أن مات منة ١٩٣٨ هـ ، ثم انتقلت رياسة البيت وانتقل معها مركز الدولة الى الرى ، حيث كان « ركن الدولة » الأخ الذي يلمي «عاد الدولة » في السّن ، وظل مركزها بالرى الى أن توفى « ركن الدولة » عام ١٩٣٩ هـ ، ثم انتقل مركز القوة مرة أخرى الى بقداد عندما الدولة » ، وظلت بفداد عندما للمالم البوجي من سنة ١٩٣٧ هـ الى «عفد الدولة » ، وظلت بفداد مركزا للمالم البوجي من سنة ١٩٣٧ هـ الى عهد ابنه الثالث « بهاء المدولة » اليي مدا مركز الدولة الى شيراز مرة أخرى في سنة ١٩٨٩ هـ و ومن هذه الأمثلة نستطيع أن تتصدور أن الدولة كان تتأرجع ، وأن هـ فا التأرجح كان يعرضها لهزات عنية ويجهله الحيائ قلقة في هذا المصر من الناسة المياسية على الأقل »

أول أمراء بني بجريه هو «عماد الدولة » الذي كان بالنسبة لالحويه كالأب ، وهو الذي قاد الهجرة الديامية نحو الجنوب ، وكان الموته كالقواد بالنسبة له • فلما استقر الديلم في شبراز كان عماد الدولة هـــو الذي ينشىء لاخوته الممالك ، فيرسلهم الى نواح يقتحبونهـا ويملكهم عليها ، وكان لذلك يتحمل مسئولية الاخفاق اذا حدث ، فهو الذي أصلح أخطاء أخيه معز الدولة في كرمان (١) ، وهــــو الذي انقذه من حبائل البريدي بالأهواز (٢) ووجهه آخر الأمر الي بغداد ، فكان هو المتصرف **غی ا**مور ملکه ، وکذلك كان أخوه الذي جاء بعده وهو ركن الدولة يطاع من بقية أغراد البيت البويمي الأنه كان من نفس الجيل ، وكانت تقاليده هي التقاليسد الأولى .

فلما آل الأمر بعد ذلك الى طبقة عضـــد الدولة وهو الجيل الثاني تغييت الحال بعض الشيء ، الا أنعضد الدولة استطاع بالقوة أن يفرض على كل أغراد البيت البويمي الولاء للدولة والحربس على الصالح العام، الا أن الالتجاء الى القوة صـــار سابقة يتبعها كل من راوده الطموج ، الخلاف ، وقدر بعده على أفراد هذا البيت أن يفترقوا أبدا .

وجاء بعد جيل عضد الدولة جيل أبنائه الثلاثة : صمصام الدولة ، وشرف الدولة ، وبهاء الدولة ، وتولوا رئاسة الدولة واحدا بعد واحد ، وتنسازعوا على الملك نزاعا طويلا ، حتى آل الأمر الى الأخ الأصـــغر جاء الدولة ، فاستقرت الأمور في أيامه .

ثم كان بعد هذه الأجيال الثلاثة جيل رابع هو جيل أبناء بهاء الدولة لهانه قد كان من تمكن بهاء الدولة وعلو أمره ما مهد الأمر لأولاده فكانت · الرياسة في أولاده دون غيره من الموته ، لهتولي الملك من بعده أولاده ،

^{- (}۱) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ١١٣ - ١١٤٠ . (٢) نفس الصنيدر ، ص ١٢٠ .

سلطان الدولة ، ومشرف الدولة ، وجلال الدولة ، ملما آل الأمر الى هذا الجيل الرابع غلب الانقسام فأصبح كل واحد منهم مستقلا بناهيته ، يحيث لا يدع للأكبر أو لمن يجب أن يتولى الرياسة رسميا مجالا للندخل. وهذا الانقسام كان سعبا في ضعف الأسرة ، فان العراق بلد مضطرب يأكل كل حكامه ، فاذا كان صاحب العراق مستقلا كان المجند وكانكار. الولاة أقدر على التحكم فيه ، فكافرا يشرون وهم آمنون من أن يأتى مدد من شيراز أو من بلاد الجبل ،

وفي هذا الجو المصطرف القلق اتجت النفوس الى شيراز ، وكان فيها أحد أبنائه سلطان الدولة وهو « أبو كاليجار » فانضوى الجميع تحت لوائه ، وقد دخمهم الى هذا التضامن احساسهم بالضعف وبقرب المنهاية ، ثم ان أبا كاليجار لم يحكم وحده الاخمس سنين ثم آل الحكم من بعده الى ابنه الملك الرحيم ، وهو آخر ملوك بنى بويه ، وفى عهده دخل طغرابك السلجوقى بعداد سنة ٤٤٧ه وأزال ملك البويهين ،

بعد هذا الاجمال نعود الى شيء من التفصيل :

عمساد الدولة 🖟

كان عماد الدولة يتلقب بلقب الملك ، وليس هذا اللقب غريبا على العالم الاسمسلامى ، فقد اعترف به الخلفاء منذ آيام بنى أمية لرؤساء العجم فهم قد اعترفوا بملوك الترك في بلاد ما وراء النهر ، وكانت منزلة الملك بن غير شك أقل من منزلة الخلفاء ، وهناك لقب آخر من ألقاب الرياسة هو لقب سلطان ، وهو لقب لم يتلقب به البويهيون ، وانما تلقب به رؤساء الدولة العزنوية ، فهم أول من تلقب بلقب السلاماين ، ثم نراه بعد ذلك لقبا لرؤساء السلاجلة ،

كان على بن بويه عماد الدولة رئيسا للدولة البويهية ، وكان أخوه معز الدولة ممثلا له فى بعسداد وكان يتلقب هو وصاحب المجبل (وكن الدولة) المقيم بالرى بلقب الإمير • وظل العال على هذا في التلقيب الى

آخر أيام الدولة البويهية ، ونلمس هذا واضحا في رسائل الصاحب ابن عباد غانه في رسائله يذكر أميره مؤيد الدولة أو غضر الدولة مقرونا باسم الامارة ، غاذا ذكر لفظ اللك غانما كان يشير في المقيقة دائما الى عضد الدولة ملك بني بويه ورئيس البيت البويهي (١) ٠

كانت الأمور مستقرة أيام عماد الدولة مؤسس الأسرة ، ولكن من سوء حظ هذه الأسرة أن عناد الدولة لم يعسر أكثر من أربع سنوات بعد الاستيلاء على بعداد ، فلم يتح لبني بويه الوقت الكافي لتنظيم الوضع الجديد تنظيما تاما ، ونعرف من سيرة عماد الدولة قبل ذلك أنه لم يكن يتعجل التطورات التاريخية ، بل كان دائمنــا يميل الى تثبيت كل خطوة يخطوها قبل أن يفكر في خطوة جِدْيدة ، وتلك الأناة هي التي أفادت الدولة في عصرها الأول وثبتت دعانُّمها ، غلمسا توفي عماد الدولة عام ٨٣٣٨ (٢) جرت الأمور على طريقة غير متوقعة لرجل يعيش في العسالم الاسلامي ، بل جرت على سنة قبلية بربرية ، غلم يرث الأخ الأوسط ركن الدولة الا الرياسة '، وظل حيث هو:

ركن الدولة:

لم ينتقل ركن الدولة الى شيرار عاصمة الدولة ، وإنها أنتقلت الدولة اليه ، وتحولت العاصمة من شيراز الى الرى (٢) . ثم ان ركن الدولة لم يكن في قوة عماد الدولة ولا في سطوته ، بحث يقطع على كل مشاغب ميله الى الشهف ، بل كان منبع الشهب ابنا له هو عضه عمه لم يرزق ولدا ، فاختاره لهذا المنصب (1) ، وكان من واجب عضد الدولة أن يستشير أباه ركن الدولة في كل شيء ، وأن تكون سياستهما

⁽¹⁾ رسائل الصاحب بن عباد : على سبيل المشال : ص ٣ ، ٤ ٤ ، ٨ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ١ ، ٢ ، ٢ ، ٢٤ وغيرها .

⁽٢) أبن كثير : ج 11 ، ص ٢٧١ .

⁽۱) ابن النبي : ج ۸ ، من ۱۷۶ . (۱) ابن النبي : ۱۰ ، من ۱۷۲ .

واحميدة ، الا أن الذي حدث كان غير ذلك ، فان عضم الدولة اتحه بأطماعه الى بغداد وأراد أن يجمع لنفسه السلطة في اقليم فارس في العراق في وقت واحد ، فدس لابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة الذي كان قائمًا بعدابيه في بفداد ، ولم يكن هذا الدهن الا فرصة اختلفها عضد الدولة لكي يبرر أطماعه ، ولكي يسمير الي بعداد ويستولى على السملطان في حاضرة الذلافة (١) ، وحدث كل همذا الاعتدا، من قبل الأمر لجأ ركن الدولة الى التهــديد بجمع الجيوش والســير لحربه ، وعندئذ فقط رجع عضد الدولة ونرك ابن عمه بختيار كما هو في بغداد وعاد الى شيراز (٢) . وهذه الحادثة تكشف أن السياسة البويهية لم تكن واحمدة ، وأن عز الدولة بختيار كان يسير في اتجاه وابن عمه عضد الدولة كان يسير في اتجاه ، وأن ركن الدولة بالري كان يسير في اتجاه آخر ، وكان هو الوحيد الذي يمثل تقاليد الأسرة ، الا أنه كان عرض هذه التقاليد فرضا يحتاج منه الى شيء من المناء ، فلم يكن اذن من ألسمل على ركن الدولة أن يدبر هذا الملك الواحد الذي كان يدبره أخوه الأكبر عماد الدولة من قبل •

ونستطيع أن تقول بناء على هذا أن الدولة مات منذ اللعظة الأولى الى استقلال أجزائها بعضها عن بعض ، فكان كل جزء من أجزاء الدولة البويهية الثلاثة يعيل الى الاستقلال بأمر نفسه ، فكان من المنتظر عند موت ركن الدولة أن تعرض الدولة لأزمة شديدة ، وفعلا وقعت الأزمة .

عضيد الدولة:

⁽۱) مسكوبه: تجارب الأمم ، ج ٢ ، من ١١٤٣ .

⁽ع) ابن الله : ح A ، عن ١٣٤ سـ ٢٣٥ . (م ٢٤ سـ العصر العباس :

وحارب ابن عمه بختيار وقتله سنة ٣٦٧هـ (١) ، فحقق عضد الدولة ما كان أبوه من قبل منعه من تحقيقه و وبقتله بختيار ضمن أن يكون الوارث الوحيد لملك بنى بويه الثلاثة ، واجتمعت لذلك رياسمة البيت البويهى لمضد الدولة واستقرت في بغداد ، وأسبحت عاصمهة الخلافة عاصمة أيضا لبنى بويه ، فالعاصمة تتبع الرئيس وتكون حيث كان ، ولا تكون في مركز مختار لصفاته الاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية،

فلما دخل عضد الدولة بغداد كان ذلك وضعا جديدا ، فان بغداد من قبل كانت تتلقى دائما نائبًا عن البيت اليويهي ، أما في هسذه المرة فهي تتلقى ملك بني بويه ، ولهذا استحدثت بعض مراسبيم ملوكية لم نكن متبعة أيام معز الدولة ولا عز الدولة بختيار ، فألقيت الخطبــة وذكر فيها عضد الدولة ، وضربت الطبول نوبا ثلاثا على بأبه (١) • وكان طبيعيا أن يحيط عضد الدولة نفسه بهذه المراسيم لأنها نفس المراسيم التي كان يتبعها في شيراز ، ولأن معز الدولة أو عز الدولة كانا اذا زارا ملك بني بويه في شيراز أو الري يقدمان له من مراسيم الاحترام ما يقسدمه الرجل المادي أمام ملكه ، كانوا يقفون بحضرته ولا يجلسون برغم * الالحاح ، وكانوا يقب لون الأرض بين يديم (*) . وها هو الذي تقب ل الأرض بين يديه يحضر ألى بعداد ، فكان من الطبيعي أن يقتضي الوضع بعض مراسيم جديدة لم تكن متبعة من قبال ، فعضه الدولة في الحقيقة لم يكن حين احتفظ بوضعه كملك يريد الاعتداء على الدلافة كما قد يفهم من سرد خبر الخطبة والطبل مجردا من كل شرح في النصوص التاريخية ، ونعن نعرف أن عضد الدولة كان شديد الاحترام للخلفاء (¹) ، فلم يكن اذن أمر الخطبة والطبل يتناقض قط مع احترام الخلفاء .

⁽۱) مسکویه : ج ۲ ، ص ۳۸۰ -- ۳۸۳ .

⁽۲) ابن الاثي : ج ٨ ، ص ٢٤٩ .

⁽٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

⁽٤) أنظر مسكويه : ج ٧ ٤ مُ ص ١٤٥ (وصفّ مُعلَهُ عَسَم المهد الى عضد الدولة سنة ٣٩٩ هـ) .

كانت الدولة قوية جدا في عهد عضد الدولة لأنه استطاع أن يجمع السلطة كلها في يده بحيث لم يشاركه أحد في السلطان ، ولهذا يمكن أن يقرن حكمه بحكم سابقيه ، أبيه وعمه من قبل ، وجده الطريقة سارت الدولة قسدما لم تتسأخر في شيء ، وأوتيت مدة طويلة من الثبات من سنة ٢٣٤ ــ ٢٣٧ هـ أي ثمانية وكالاتين عاما الى أن مات عضد الدولة ، الا أن هذا الازدهار كان يصل في طياته بذرة فاسدة هي التي ابتدعها عضد الدولة وهي سنة اعتــدا، بعض أفراد البيت البويهي على بعض . وقد يعتذر له عن هــذا بأنه انبا أراد الوحدة ، متأثرًا في ذلك بالنقاليد الاسلامية القديمة من ناحية • ومستجيبا المريزة الأثرة من ناحية آخرى • وعلى أي حال قان جيل عضد الدولة وأبنائه من بعده لم يكن كجيل آبائه ، واقما كان جيلا يطمع أفراده جميعا في الرياسة .

ابنساء عضد الدولة : صبصام النولة ، شرف الدولة ، بهساء النولة :

لم يعمر عضد الدولة بعد دخوله بعداد سوى خمس سنين ثم مات في سنة ٢٧٢ هـ (١) ، ثم آل الأمر من بعده الى أولاده الثلاثة : صمصام ، وشرف ، وجهاء ، تداولوا الرياسة واحدا بمد واحد ، وأقاموا في بغداد جميعاً ما عدا المثالث وهو بهاء الدولة : فانه لم ينتقل عن بفداد الا بعد أن تغلب على كل المعارضات الناجمة ضــده ، ثم تعول بعد عشر سنين من ولايته الى شميراز (٣) ، وهو موقن أن لا حياة للدولة اذا استمر مركزها في بغداد ، وكان يدرك من غير شك أن قوة الدولة ومركزها يجب أن يعود الى شيراز ، وهذا يذكرنا بأن اختيار مؤسس البويهية لشيراز كان التنقل كانت تستنفد جزءًا من قوة الدولة •

كان أول من تولى بعد عضـ د الدولة من أبنــائه ، أبنه صمصام الدولة • وظل في بغداد زمنا ثم غلبه عليها أخوه شرف الدولة وأرســــله

 ⁽۱) ابن الأثير : ج ٩ ٤ من ٧ :«
 (۲) ابن الأثير : ج ٩ ٤ من ٧٥ .

الى شيراز حيث اعتقله وسمله(') • الا أنهذا المطرود المعمول أوتى ن طول الممر ما لم يؤته أحوه المتغلب علمه المستعر فى بعداد ، الا أن أخام شرف الدولة حين مات قام مقامه فى بعداد أخ ثالث هو بهاء الدولة (') •

وعلى أى حال فمنذ أن غلب صمصام الدولة الى أذ قتل فى آيام بهاء الدولة ، كانت الدولة منقسمة إلى ثلاثة أقسام : حسم فيه صمصسام اللولة وقاعدته شيراز ، وقسم فيه شرف الدولة ثم بهاء الدولة ومركزه في بغداد ، وقسم قالت هو القسم الشمالى : قسم البجال ، وهو قسسم محايد يعيل أحيانا الى هذا الغيق وإحيانا إلى الغرق الأخر ، وظل هذا الاضطراب قائما منذ أن غلب صمصام الدولة فى بغداد عام ٣٧٧ ه الى عام ٣٨٨ هد حين انتصر بهاء الدولة على خصصه وأخيه صمصام ، فكانت الحروب نمزق جسم الدولة على خصصه وأخيه صمصام ، لم يأت لأن بهاء الدولة كان أقوى بكثير من أخه ، بل أن النصر جاء دون أن يسمى له بهاء الدولة ، وذلك بسبب ثورة قامت فى شسيراز ضد مصصام الدولة ، وكانت ثورة قام بها الجند الديلم وقام بها أولاد عن الدولة بفتيار الذي قتله عضد الدولة ، فانهم اشتركوا فيها وقتلوا صمصام الدولة وقالوا وهم يقتلونه « هذه سنة سنها أبوك » (أ) • ولحسن حظ الدولة عاد السلام من سنة ٨٣٨ هـ الى أن توفى بهاء الدولة عام ٣٠٤ هـ •

استطاع جاء الدولة أن ينفرد وحده بالسلطان وأن ينهض بالدولة وأن يموض ما خربته الحرب ، وبخاصة في الأهواز التي كافت الميدان الذي تلتقى فيه الجيوش عندما تحشد اما في شيراز واماً في بشداده وكانت الدولة منذ نشأت تسير الى الأمام دائما ماعدا الحسوداث الثلاثة التي ذكرنا : الحادث الأول هو مسير عضد الدولة ضد ابن عمه بختيار أيام ركن

⁽۱) أبن الأثير : ج ١ ، ص ١٧ — ١٨ ، ٢٢ ،

⁽٢) تفس المسدر ، ص ٢٣ .

 ⁽٣) انظر ابن الأثير: ج ٩ ٤ مس ٩ = ٣٥ .

⁽٤) ابن الأثير: ج ٩ ٤ من ٩٥ .

الدولة ، والثانى هو مسيره بعد وفاة أبيه وتنله بغتيار عام ٣٩٧ هـ . والثالث هو فترة الاضطرأب التي استمرت اثنتي عشرة سنة بين صمصام الدولة واخوته وعلى الأخص بهاء الدولة ، والى هنا نستطيع أن نقول ان سفينة الدولة سارت بسلام ، وان الحكام استطاعوا أن يبرئوا الدولة من الجروح القليلة التي كاب بصيبها ، اما بعد هذا التاريخ فان النزاع يزداد ، فكان كل جيل أشد من سمايقه ميلا الى التنازع والى الانائية والاثرة ،

ولقد تبين لأمراء الريت البويهى فى أثناء هذا النزاع الذى كان قائما بوجه خاص بين شيراق وبغداد أن من يملك شيراز لا يكاد يغلب ، وأن من يملكها ويملك إلى جانها الأهواز يستطيع أني يتحكم فى المنطقة المراقبة وفي منطقة الجبل على المسواء ، ولهذا السبب حرص البويهونُ على أن يكون مركز قوتهم فى شيراز ، أو على الأقل أن تكون شيراز فى متناول يدهم .

ابناء بهساء الدولة : سلطان الدولة - مشرف الدولة - علال الدولة :

اضطربت الأمور بعد جاء الدولة لأن أبناءه الثلاثة استأثر كل واحد منهم بناحيته ، فأن أولهم وهو سلطان الدولة الذي ولي من ٤٠٠ من والى أهل بيته النواحي ، فولى أخاه مشرف واعد الدولة امرة الأمراء ببغداد ، وولى أشاء مسلال الدولة منطقة البصرة ، وإشاء أيا الفوارس كرمان (١) فعال كل واحد منهم الى الاستقلال ، أمير الأمراء فانه أواد أن يعتبر نفسه رئيس البيت البوجي ، فقط الخطبة أيم ال جلال الدولة في النصف الأخير من ملك أخيه عام ١١١ ه. (١) ، ثم ان جلال الدولة بالبصرة حاول من فاحيته أيضا أن يكون كما كان البريدى من قبل ، وإذا تتبعنا أخبار جلال الدولة وجوه شب البريدى من قبل ، وإذا تتبعنا أخبار جلال الدولة وجوه شب كثيرة بينه وبين صاحب البصرة القديم الذي استطاع أن يقف على بسيه

⁽١) ابن الأثير: ج ٩ ، ص ٩٠٠

[·] ١١٨ من الصدر : ص ١١٨ ·

مدة ملوبلة (أ) واهام أزمة عدم التضامن هـنه كان أهام أمراه البيت البيهى حلان: اما أن يلحاوا الى العنف فيستنفدوا قوات أنفسهم ، واها أن يلجاوا الى العنف فيستنفدوا قوات أنفسهم ، واها أن يلجاوا الى العنف فيستنفدوا قوات أنفسهم ، واها أن يلجاوا الى السياسة فى آخر الأمر واتفقوا على النهائيا سنة 10 م هم حل موت سلطان الدولة الموقف المحلا نهائيا سنة 10 ه ها أن الياسة الى مشرف الدولة مسلحب المرة الإمراء بغداد ، واتقلت الرياسة معه اليها ، ولكنه لم يعمر بعد آخيه الاعام اوحد: (آ) ، فتوحد الملك البوجى من جديد لجلال الدولة ، فحكم مدة طويلة تملغ تسعة عشر عاما أنج له فيها أن يستعيد حيوية البيت كان في شيراز ابن لسلطان الدولة هو أبو كاليجار واليه انتقلت الرياسة بعد جلال الدولة ، وظل أبو كاليجار خمس سنين ، ثم خلفه آخر ملوك بعد جلال الدولة ، وظل أبو كاليجار خمس سنين ، ثم خلفه آخر ملوك عهده دخل السلاجةة المراق مسئة وي وقول منة وي ع

* * *

مما سبق نرى أن البيت البوجهي لم يوجمد قاعدة ثابتة رئاسة الدولة ، فاختلف أفراده فيما بينهم اختلافات كثيرة أضاعوا فيها جزءا من حيويتهم ومن نشاطهم • وكانوا في أثناء هذا النزاع الأسرى انما يستجبون لطبيعتهم البدوية المتبربرة ، تلك الطبيعة التي تعتبر الملك ملكا خاصا للملك ، له أن يقسمه كيف شاء لا كما تشاء ظروف استقرار الشعوب ، فالأرض هنا غير ثابتة ، وليست لها حدود معينة ، وانما يعتد الملك بقدر قوة المالك وسيوفه وجيشه •

فالسبب الأول فى ضعف البيت البويهى كما نرى ، هو أن بنى بويه لم يحتفظوا بتضامنهم فكان كل من يؤول اليه جزء من هذا الملك ينزع الى الاستقلال ، ويعتبر ما بيده ملكا خاصا موروثا ، وكان بذلك يهدد

⁽٢) نفس المسدره: ص ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٩ .

⁽١) نفس الممدر : من ١٢٥ ، ١٢٩ ،

الصالح العام ، ويهدد مبدأ التضامن وهو المبدأ الذي قام عليه كيان البيت الووجى في عهد على بين بويه وأخويه ، وظل هذا الانقسام يزدام الى أن أحسوا آخر الأمر بالخطر فلم ينن عنهم تضامنهم في اللحظة الأخيرة شسيئا ،

والسبب الثاني هو أن ملوك بني بويه ضيقوا على أنفسهم أفقهم ، فلم يلتفت ملوكهم الى الحوادث الكبيرة التي كانت تقـع مي العــالم الاسلامي في البلاد المجاورة لهم : لم يلتفتوا غربا الى فهضة بيزنطة في . أيام الدولة المقدونية ، والى ُغاراتها على الشام وانتصارها انتصارا حاسما على الدولة المصدانية • فلم يشاركوا الأمم الاسلامية المجاورة في الذود عن العدود ، مع أن الملاحظ بالتجربة أن الدول انما تكبر وتندعم بمقدار ما تتحمل من أعباء عامة ، فلما قصرت هذه الدولة في تحمل الأعباء العامة النصرت عنها الأنظار وضعف اسمها . ولم تزد مشاركة بني بويه للأمم الاسلامية الغربية في دفع الخطر عن التفكير ولكنهم لم ينفذوا شيئًا • ولعلهم شغلوا عن الجبهة الرومية وعن التعاون مع المبالك الغربية ساكان بينهم من خلافات • ثم ان بنى بويه من ناحية أخسرى لم يشسباركوا في الدفاع عن الجبعة الشرقية التي كان يحمل أعباءهاالسامانيونوالغزنويون وهم حين قصروا في هاتين الجبهتين رضوا لأنفسهم بأن يكونوا مملك اقليمية ، ولم يحرص وا على أن ربكون لهم دور الصـــدارة في العـــالم الاسلامي . ويذلك لم ينالوا حب العالم الاسلامي وعطفه ، ولعل ذلك هو الذي حدا بالمؤرخين الى ذم بنى بويه واتهامهم باذلال الخلافة ، ثم كان ذلك سببا في قصر عمر دولتهم فلم تعمر أكثر من ١١٣ سنة •

الفضال الشائي العصر السلجوتي

السلاجةة مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم « الغر » كانت تسكن الهضاب القريبة من بحيرة خوارزم (بحر آرال) فتنزل بالقسرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين وفي الهضاب المحيطة بنهرى سيحون وجيجون و وقد أطاق على هدذه القبائل التركيبة اسم السلاجقة نسبة الى رجل منها تزعمها هو « سلجوق بن دقاق » » ولم يكن الهدذه القبائل اسم خاص تعرف به قبل تولى سلجوق هدذا رئاستها ، ويبدو أنه هو الذي جمع شملها ووحدها تحت زعامته ، ثم قادها ونزل بها أرض الاسلام ، فأسلمت معه فنسبت الله وخضمت لحكم أبناته وأحفاده من بصده () ، وقدد قاد أبناء سلجوق الهجرة التركية الى غوم العالم الاسلامي ،

والهجرة التركية من الهجرات الصالمة الكعية التى اثرت فى التاريخ الاسلامى ، بل أثرت فى التاريخ الصام تأثيرا كبيرا ، ونقطة التحدول فى حياة هـولا ، الترك ، بل نقطة الانطلاق ، كانت حين اعتنقوا الاسلام حين وصل الى بلادهم ، وباعتناتهم الاسلام أنهار الحاجز الذى كان يفصل بينهم وبين الأمة الاسلامية ، بل بينهم وبين التاريخ العالمي ، فأخذوا يتسربون الى ممالك المسلمين يدخلون فى خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها ، ويمـدون العالم الاسلامي بقـوة عبيرة ، ثم واتتهم الظـروف بعد أن دخلوا فى جديدة ويعطونه حيوية كبيرة ، ثم واتتهم الظـروف بعد أن دخلوا فى المبال الاسلامي فكونوا لأنفسهم دولا وجلسوا عنى كراسي الملك ،

وهكذا رغع الاسلام من قدر الترك ، فأدخلهم في نطاق التاريخ

⁽۱) ابن الأثير: ج ٩ ، ص ١٦٧ ، عبد المنعم حسنين: سلاجقة ايران والعسراق: ص ١٧ ،

المالمى . ثم ميدوا هم لأنفسهم غيه مكانا عليا ، حين جعلوا من الاسلام الرابه التي ياتفون حولها ، فأنعشوا قسوة الاسلام في دار الاسلام ، ثم مندوا بهسا قدما يردزونها في معالم الطريق ألذي ساروا غيه في البر والبحر . حتى قدر لهم أن يزيلوا آخر الأمر أكبر دولة غربيسة كانت . . . ازل المالم الاسلامي وهي الدولة البيزنطيسة ، وأن يبلغوا بماك الاسلام حتى وسط أوربا (() ،

و الهجرة التركية التى تولى زعامتها بنو مسلجوق تشبه الهجرة الديا. له التى ترعمها بنو بويه فى نواح وتخالفها فى نواح آخرى ، فأما هجه النبيه بين الهجرتين نفذت على مسراحل ، ومنت مى دل مرحلة منها حتى تثبت اقدامها فى المكان الذى وصلت اليه ، ثم أن ذلا من البه بهبين والسلاجقة تطلموا الى الوصول الى مركز الخلافة ، المهاسبية والسيطة وعليه وحكمه باسم الخلافة ، وكلاهما وصل الى غايته وكلاهما عاول حكم العالم الاسلامى الشرقى كله ، فأما البويهيون فلم بستطيعوا نحقيق هذه العالمة ، وكلاهما فقد نجحوا ، بن المتنعل بالمامهم الى كارتر في فلم بستطيعوا الحقيق هذه العالمة ، وكلا الطرفين شل يد الخلافة وقام بالحكم المابشر روانها مع انسار الطاعة لها واظهار الاحترام لخلفائها ،

و آما وجه الخلاف بين الهجرتين ، فإن الهجرة البونجية سارت في مراغ بين قو بين هما قوة الخلافة في العراق وقوة السامانيين في الشرق ، وكان مرورها في الخط الضعيف هيئا سهلا ، فلم تتعرض لحروب كبيرة، وأما الهجرة السلجوقية فقد اقتحمت مجالا قويا كانت تسيط عليه قوتان، هما الدولة السامانية ، ثم الدولة الغزنوية من بصدها ، وقد اسستطاع السلاجقة أن بحظوا بعطف الدولة الأولى ويتعاونوا معها ، أما الثانية فقد حسار عوها ، راعا شديدا حتى استطاعوا أن يحلوا محلها ، ويردوها الى الركن المربى من المشرق الاسلامي الذي يتأت منه ، ثم أن الهجسرة

⁽۱) عبد النميم حسنين : انظر المقدمة بقلم الدكتور احمد عزت عبد النكريم : ص ح .

البويهية كانت في تقدمها تسير الى غاية تسعى للأمن فيها ، فكان توقفها في أثناء سيرها توقفا بقسد الراحة فصب ، فلم تكن تستولى على البلاد التي تمر بها ، لأنها كانت مطادرة من ورائها بقوة أكبر ولا ترغب هي. في قتالها ، فكأنها من هذه الناحية تعتبر فارة من وجه أعدائها ، ولم تتوسع الا بعد أن أمنت ، ثم كان توسعها بعد ذلك في مجال ضعيف . ولكن الهجرة السلجوقية كانت في تقدمها تملك ما تمســـل اليه يدها من البلاد ملكا تأمًّا ، وكَان توقفها في مراحل تقدمها لكمي تثبت قدمها فيما ملكت يداها ، ولكي ترسم السياسة التي تنتهجها في المرحلة التالية ، غلم يكن تقدمها فرارا من وجه خصومها وانما كان غلبة على هؤلاء الخصوم. والهجرة البويهية امتدت الى مجال محدود. وركزت جهودها فيه ، أمــا الهجرة السلجوقية فقد امتدت الى مجال واسع وتطلعت الى غاية كبيرة . وقد رضى البويهيون أن يُجعلوا مِن أنفسهم دُولة اقليمية ، ولم يشاركوا ' في أحداث العالم الاعلامي المعارجية ، ومن ثم لم يظفروا باحترام العالم الاسلامي، وظل الســــالاجقة بعد ذلك يوالبون نشاطهم في الثفر الشرقي أول أمرهم الحي المجال الخارجي ، فشاركوا العالم الاسلامي في أهدافه العامة في المشرق والمغرب على السواء • روقد بدأت مشاركتهم للعسالم الاسلامي في المشرق منذ دخلوا في الاسلام ، فان «سِلجوق» نفسه نشط بعد اسلامه الى قتال من وراءِه من الترك الكفار وأبعد شرهم عن العالم الاسلامي ، وظل السلاحقة بعد ذلك يوالون نشاطهم في الثغر الشرقي حين اجتمع المشرق كله في أيديهم ، أما في الغرب فقد توعجموا منذ وصلوا الى الثغر الغربي الى قتال الروم ، وصبغوا اعمالهم في هسده الناحيسة بصبغة الجهاد الديني ، وحملوا عن العالم الاسلامي في هذا الثغر الهام عب، الجهاد ، فاقتطعوا من الروم الأناضول وحولوها الى أرض تركيسة اسلامية ، فمهدوا بذلك السبيل للترك العثمانيين للقضاء على دولة الروم والاندفاع في الأراضى والبحار الأوروبية ، فكأنهم بذلك حملوا رسالة العرب وحققوا ما كان يصبو البه خلفاء الأمويين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ﴿ وعلى الرغم من تسلط البويهيين والسلاجقة على الخلافة ، فالها لم جمتد بطعوحها في العصر البوهي الى استعادة مبلطانها على المسربه الاسلامي ، بل انها كانت تحس بتعديد هذا المغرب لها تحس سسلطان القاطمين ، وقد بلغ هذا التهديد ملماء عن وصل النفوذ الفاطمي الي بغداد نفسها وخطب فيها للخليفة القاطمي المستنصر بالشعاما في العصر السلجوقي فان الخلافة طمحت الى استعادة سلطانها على المغرب ، فقد قلد الخطيفة طغراب السلجوقي « جميع ما ولاء الله من بلاده ، وخاطبه بلقب « ملك المشرق والمغرب » (() وبدل هذا على أن الخليفة اعترف لطغرلبك بما صار تحت يده من بلاد المشرق وآذن له فيأن يستخلص المغرب من يد الفاطميين، وحكذا اتسمت آمال المخلافة بقدوم السلاجقة ، كما اتسمت آمال المسلاجقة أقسهم المي أن يعتد سلطانهم من بلاد ما وراء النهر الى مصر الغربية ، واذا كان هذا لم يتحقق على يد صلاح واذا كان هذا لم يتحقق على يد صلاح واذا كان هذا لم يتحقق على يد السلاجقة انصهم قانه تحقق على يد صلاح محمود الذي كان آتابكا من آتابكة السلاجقة امتدادا للاثر السلجوقي ، محمود الذي كان آتابكا من آتابكة السلاجقة امتدادا للاثر السلجوقي ، فقد آسقط صلاح الدين الخلافة الفاطمية بمصر وخطب فيها للخليفة الماسية ولو بصورة المحبة ،

الحتطوط العامة للهجرة التركية

بدأت الهجرة التركية الغزية بانحدار هذه القبائل من مساكنها تحت زعامة سلجوق بن دقاق الى بلاد ما وراء النهر في عام ٢٧٥ هـ (٩٨٥ م) وأقاموا بهما متماونين مع الدولة السمامانية ، يجاهدون من وراهم من الترك الترك الكفار ، ويساعدون السمامانين في حروبهم مع خانات الترك ، وفي نواعهم مع الغزنويين ، حتى اذا ما انهارت الدولة السامانية عام ١٩٨٩ دخلت حياة السلاجقة في طور جديد ، فقد خنسيهم الخانيون في بلاد ما وراء النهر ، فأغروا السلطان محمودا الغزنوى بهم ، فدير مؤامرة قبض فيها على زعيمهم اسرائيل بن سلجوق ووجوه قومه وزج بهم في أعماق السجون ، لكنه بعد ذلك أذن لهم في العبور الى خراسان ،

⁽۱) ابن الأثي: ج ٩ ٤ ص ٢٣٧٠

وبعبور السلاجقة الى خراسان تبدأ العطوة الثانية من خطوات الهجرة السلجوقية ، وفى هذه المرحلة اصطدم السلاجقة بالدولة الغزنوية اصطداما مباشرا ، واستطاعوا التعلب على مسعود بن محمود الغزنوى فاستولوا على كل اقليم خراسان ، وأعلنوا قيام دولة السلاجقة ، وطلبوا من الغلافة الاعتراف بدولتهم وبطغرلبك سلطانا عليهم سسنة ٣٣٤ هـ ، وفي هذه المرحلة امتدوا بنفوذهم على كل أقاليم إيران وأزالوا عنها الملك البويهي كما أزالوا عنها الغزنويين ، وبرزوا بقوتهم في ثفر الروم ، وأطلوا على العراق ه.

وكانت المرحلة الثالثة من مراحل الهجرة هي وصول السلاجقة الى المراق ودخول طغرلبك بعداد وازالة ملك البويهيين سنة ٤١٧ هـ ، ومن المرآق امتد السلاجقة بنفوذهم الى كثير من بلاد الشام ، وبذلك كملت الهجرة وامتد السلاجقة من بلاد ما وراء النهسر الى سواحل البحر المتوسط فوجد العالم الاسلامي الشرقي تحت سلطانهم ، كما تطلعوا الى ضم المغرب اليه ،

كان السلاجقة عنصرا غريبا على البلاد التي دخلوها وغابوا على العكم فيها ، فهم شعب متبرير بالقياس الى الشحب الإرائي المتحضر الذي مارس حياة الاستقرار ازمانا طويلة ، وألف السفسارة وكان له تراثه الحضارى العظيم • أما السلاجقة و ونعنى بهم العنصر التركى الذي غلب اسحمهم عليه و فاتم لهم بالقوا حياة المدن والاستقرار في مواطنهم الأولى ، بل عاشوا حياة قبلية مطبوعة بطابع البداوة من ميل الى التنقل والارتحال ، طلبا للرزق واتتجاعا الى مواطن الكلا • فلما هاجروا الى العالم الاسلامي المتحضر كانت جدور الحياة القبلية راسخة في اعماق تقوسهم ، الأمر الذي صبغ دولتهم بهذه الصبغة ، وكان له أثر كبير في حاضرهم ومستقبلهم • فقد اعتمد سلاطين السلاجقة على القبائل التركية عامدادا كبيرا ، وكونوا من رجالها جيوشهم ولذلك شجعوا هذه القبائل

على الوفود الى ايران وغيرها من الأقطار الاسلامية (١)

وكان المظهر القبلى يغلب على سلاطين السلاجقة وبخاصة الاولين منهم ، فالسلطنة عندهم كانت مقترنة دائما بقيادة الهجيوش ، الأنها استمرار للاسلطنة عندهم كانت مقترنة دائما بقيلة وقيادة قواتها المقاتلة ، شأفهم في ذلك شأن شيوخ القبائل عند العرب (٢) ، ولذا نجد كل سلطان من سلاطين السلاجقة يقود الجيوش بنفسه إو يعهد بذلك لأحد من أولاده أو أقربائه أو أحد الأشخاص المقترنة أساؤهم بأحد أفراد البيت السلجوقي (٢) ،

ونفلية الحياة البدوية على السلاجقة لم يكن سلاطينهم على درجة من الثقافة ، مما جعلهم في حاجة ماسة الى كثير من الموظفين لاستحالهم في المهام المختلفة ، والذلك برزت في عهدهم طبقة الموظفين ، وازداد نفوذ أفرادها تبعا لأهمية المناصب التي يتولونها ، أو لصلتهم بالسسلطان السياحية قيءومن أبرز أفراد هيذه الطبقة الوزراء والعجاب ، الذين المستطاعوا أن يلمبوا دورا موجها في كثير من الأحداث السياسية وغير المسيامية ، ويوجهوهم وفق ارادتهم (1) .

كما أن النظام القبلى كان واضح الأثر فى حياة الدولة السلجوقية ، فقد غلبت على سلاطينهم الصشيفة المسكرية ، وساعد على ذلك وجود كثير من القبائل السلجوقية فى المدن الرئيسية فى ايران والعراق ، وقد أدت قوة النظام القبلى الى اثارة الفتن والقلاقل فى كثير من مراحل تاريخ السلاجقة ، وهذا يذكرنا باشتمال الفتن بين القبائل العربية فى أمصسار

⁽۱) عبد المنعم حسنين : ص ۱۹ -

⁽١/ انظر احمد ابراهيم الثمريف : حكة والمدينة ، المصل الضاص يالنظام التبلي ،

معلم المبنى . (٣) حسين أمين : المسراق في البعمر السلجوتي : ص ١٨٢ .

⁽٤) عبد المتعم حسنين : ص ١٩٠٠

الدولة الاسلامية في المعهد الأموى • فقد كانت القبائل تشمل ليران الفتن في العصر السلجوقي اذا حرم السلاطين أفرادها من المرتبات التي يؤدونها لهم ، فتزيد الحالة سوءا واضطرابا •

كما أثرت بداوة السلاجقة في حالتهم الدينية ، فافهم حين دخلوا في الاسلام تمصبوا له تمصبا شديدا ، ومالوا ميلا مفرطا لأهل السسنة والمصاعة حين دخلوا الاسلام على المذهب السنى ، وقد انعكس ذلك في تهرفاتهم فيحملهم يظهرون الولاء للخليفة العباسي في بغداد ، ويسمون لازالة خصصومه الفاطميين الشسيعة ، كما كانوا يعترمون رجال الدين اعتراما شديدا ، وقد حظى شيوخ الصوفية منهم بالاجلال والتعظيم ، الأمر ألذي أدى الى انتشار التصوف في عهدهم وظفرت طوائف الصوفية باحرام الناس والحكام ، فارتفع شأن رجالها ، وعظم تأثيرهم في حياة الناس (ا) ،

وثمة ظاهرة أخرى برزت عند سلاطين السلاجقة وهي اعتقادهم بأن حكمهم مستهد من الله ، فهم يقولون بنظرية الجق الالهى في المحكرة ، ويبدو هذا غريبا على قوم الطبعت حياتهم بالنظام القبلى ، ولهل الفكرة جاءتهم عن طريق وزرائهم الفرس وبخاصة نظام الملك ، ويبدو هسدا واضحا من كلام نظام الملك قصسه في كتابه «سياسة نامة » اذ يقول « اختار الله السلطان وميزه على عباده ، وجعلهم جميعا خاضعين له ، ومنه يستمدون تفوذهم ودرجاتهم ، أما هو فيستمد قوته سن ربه الذي جعله أمينا على عباده ، وكفاه أن يتحلى بطيب الخلق وحميد الخصال (") ، » كما يتضح كذلك من المرسوم الذي أصدره السلطان ألب أرسسلان في تفويض ولده الأعز ملكشاه الى (الضواحا) نظام الملك « وأن نعسد و وفيئه لنعمة الملوكية المقوضة من الله تعالى ، والتي حصلها بواسطة بريتنا

⁽۱) عبد المنم حسنين : ص ۲۱ . (۲) سياســـة نامة : ص ۲۲ ــ ۲۳ ، حســـين امين : ص ۱۸۰ ---(۱۸) ۲۰۱۰ .

له (١) ، ومعنى هذا أن السلاجقة صبيوا حكمهم بصبحة إلهية دينية ، ليكسبوا حكمهم صفة القداسة وليفرضوا على الناس احترامهم وطاعتهم ، وشاركو النظيفة العباسى فى نفس الصفة التى يدعيها لنفسه و والأمر فى كتا الناحيتين غريب على طبيعة السلاجقة الأولى ، كما هو غريب على التفكير الاسلامى الأول و فإن السلطان و طغرلك » أول سلاطين على التفكير الاسلامى الأول و فإن السلطان و طغرلك » أول سلاطين المخلال الكريمة التى من شائها أن تخدم مصالح المجماعة والتى منها المتخدرة وقوة الشخصية والشجاعة ، كما أن أبا بكر أول خليفة للمسلمين المتخب على أساس خلاله الكريمة وليس على أساس حق إلهى ، وقسد حرص هو على إبراز ذلك في أول خطبة له في مسجد المدينة في قوله حرايها الثان : فإنى قد وليت عليكم ولست بغيركم ، فإن أحسسنت خاعينوني ، وإن أسأت نقوموني ه و » وإنما جاءت فكرة الحق الالهى فنعني شعله المعنى العالى ونعني هنا الغرس ومنه العالى ونعني هنا الغرس ومنه المعتا العالى ونعني هنا الغرس ومنه المعتا المغرس ومنه المعتا المغرس على المعال العلى ونعني هنا الغرس وسعة المعتا الالهى ونعني هنا الغرس وسعة المعتا العالم المعالم المعتا المعتا المعتارة المعتارة المهتا المعتارة المعت

ومع كل هذا فقد ظلت التقاليد القبلية بارزة في حكم السلاجقة ، ولم يخضعوا لزعيم واجه للا في عصورهم الأولى حيث كان اللروف بمخضعوا لزعيم واجهد ، ثم لم يلبئوا أن استقل كل واحد منهم بما ملكت يلماه ، ودبت الشحناء والمنافسات بينهم حتى كان ذلك سببا في ضياع ملكهم آخر الأمر م

وثريد بعد هـــذا التقديم أن تتبع خطوات الهجرة الســــلجوقية ، ثم تساير المحكم السلجوقى حتى لهايته ه

السلاجقة في بلاد ما وراء النهر:

بدأت هجرة القبائل التركية الغرية من مساكنها في أقصى التركستان هى خلال القرون الثانى والثالث والرابع الهجرية ، تمت ضفط ظروف

^{. (}١) المسدر السابق .

قاهرة ، ابا لضيق اقتصادى وعجز الموارد الطبيعية عن اقامة هذه القبائل التى تزايد عددها ، واما تحت ظروف ضسخط قبائل أقوى منها اضطرتها. الى التخلى عن مساكنها • وقد اتجهت هذه القبائل المهاجرة نحو الغرب، نحو اقليم ما وراء النهر وخراسان •

لكن التاريخ لم يذكر اسم السلاجقة الا منذ أواخر القرن الرابع الهجرى ، حيث بدأ اتصالهم بالعالم الاسلامي ، على يد زعيمهم. « سلجوق بن دقلق » الذي يبدو أنه نشب خلاف بينه وبين زعيم تركى آخر ، ففارقه والنجأ اليُ أرض الاسلام بجماعته ، حيث أملاك السامانيين نمي بلاد ما وراء النهر • ولما أم يكن دخول القبائل التركية الوثنية الى بلاد الاســــلام أمرا ميسورا فقد أعلن سلجوق وجماعته الاسلام + وكان دخولهم الاسلام على المذهب السنى الذي يرعاه الخليفة العباسي ٠ وهو أن الديلم اعتنقوا الاسلام قبل أن تبدأ هجرتهم للعالم الاسلامي على يد دعاة الشيعة الزيديين فلبخلوا الاسلام على المذهب الشيعلى الزيدى ، أما السلاجقة فالهم لم يسلموا الا بعد أن لجأوا الى أرض الاسلام فعلا ، ولما كان السامانيون والخانيون وهم من نزل الترك الغز في أملاكهم ، من المبيلمين السنبين ، فقد دخل سلجوق وجماعته الاسلام على الذهب السني٠٠ ثم لم يلبثوا أن تحمسوا للاسلام تحمسا شديدا حتى أخـــذ سلجوق يفير على من وراءه من الترك الكفار الذين كانوا يهددون أرض الاسلام . واستطاع القضاء على شرهم .

استطاع سلجوق آن يرضى المسلمين في بلاد ما وراء النهر بما قام به من أعمال ضد الترك الكفار فيما وراء أرض الاسلام ، ثم أنسبت له فرصة لارضاء ملوك السامانين حين استنجدوا به في قتالهم مم العنازين

ابن الأثير : - ٩ ٤ ص ١٧٩ ..

الطامعين في أملاكهم ، فأرسل لهم النجدات تعت قيادة ولده آرسلان() ، وكان لجدة المساعدة أثرها الطيب في تعوس السامانين : فاذنوا استلجوق وجماعته بالمرور في أراضيهم ، والاستقرار بطوائف السسلاجقة بالقرب من شاطى، نهر جيدون ، حيث التخذ مدينة (جند» قاعدة له ، ثم أخذت القبال التركية تتوالى على بلاد ما وراء النهسر ، حتى اكتبلت هجرتهم الى هذه الناحية في أواخر القرن الرابع الهجرى ،

وبدأ القرن الخامس والسلاجة يسمنترون في بلاد ما وراء النهر
بعد أن تمت هجرتهم من بلاد المتركستان و وكانت الدولة السامانية قد
انهـــارت في عام ۱۹۸۸ هـ ، وتوزعت أملاكها بين الخانين والغزنوبين •
وأخذ السلاجة وقد كثرت أعدادهم يتنقلون في الغانين والغزنوبين ،
شبه رحلتين ، فيتجمعون في الشتاء حول « نور بغارى » وفي الصيف
حول « سعرقند » () ، واستقرت حياتهم وطاب لهم الميش في مقامهم
المجديد ، ونعت ثروتهم وزاد عدهم ، فبدأوا يستعدون للقيام بدور
جديد ، بعد أن جهزوا أنفسهم بالمال والعناد ، وبعد أن أحسوا بفسيق
الخانين بهم ، ومحاولاتهم المتكررة للقضاء عليهم واضعافهم () ،

بلاً مركز السلاجةة يتوطد في بلاد ما وراه النهر ، وأحبهم الناس لما أظهروه من التمسك بأهداب الدين ، والغيرة على الاسلام والتقرب من علماء المسلمين ، حتى لقد أحس المفانيون بخطورتهم عليهم ، ولما كان هؤلاء يدركون أنهم لا يقوون على طرد السلاجقة من المبلاد ، فقد راسلوا المسلطان معمود الغزنوى الذي كان التوة الوحيدة البارزة في المشيرق الاسلامي ، وكانت تجمعه بالخانيين في ذلك الوقت روابط المسداقة والمصادرة ، فأظهروه على قوة البلاجقة وصوروا له مقدار الخطورة الكبرة التي تكبن وراه وجود هذه القوة خلف ظهره ، في الوقت الذي

⁽۱) ابن الأكبر: ج ١ ٤ ص ١٧١ ٠

⁽٢) الراوندي : راحة الصدور : ص ١٤٥ .

⁽٢) أبن الاثير : ج 1 ، من ١٧١ العصر العباسي)

يتغرغ هو فيه الى غزواته فى الهند و ولما كان السلاجقة قد أخذوا فعلا يسعون لتوسيع ممتلكاتهم بالاغارة على المناطق المجاورة لهم ، فقد أحس السلطان محمود بخطورتهم ، وكان يدرك بتجاربه الخاصة كيف تتجمع القبائل ، ثم تكون الجيوش ، ثم تقيم الدول ، لذلك استمم الى نمسائح الخانين ، وأخذ يفكر في أنجع الوسائل للقضاء على قوة السلاحة ،

وبتدخل السلطان محمود بدأت صفحة جديدة في مسير الهجرة السلجوقية ، فقد انتقلوا من بلاد ما وراء النهر الى الإقاليم الايرانية ، واستطاعوا أن يقيموا لهم دولة ، ما لبثت أن امتدت على كل أقاليم ايران ، وذاك اعتراف المخلفة العباسية بها ٠

السلامة في خراسان :

مات سلجوق بمدينة « جنسه » وترك اولادا اربعة : اسرائيل (يغو أرسسلان) وموسى بيغو ، ويولس ، وميكائيسل () • والت قيادة السلاجقة الى اسرائيل • ولكن أمر السلاجقة علا من بعده على يد ابنى أخيه ميكائيل ، وهما : جغرى بك أبو سليمان داود ، وطفر لبك أبوطالب محمد وهو الذى الت اليه رياسة السلاجقة المامة وقاد نهضتهم الكمرى •

كان السلطان محمود بالقرب من لهر جيجون سنة ١٤٥ هـ حين الستكلي اليه الخانيون من وجود السلاجقة وحذروه من خطرهم • وحين استكلي اليه الخانيون من وجود السلاجقة وحذروه من خطرهم • وحين شوكتهم ، وائما فضل آن يأخذ الأمر بالحيلة والمدهاء • فأرسل الى السلاجقة رسالة يمتدحهم فيها ، ويعجب منهم لله محسن تدبيرهم وقوة عظهم لكيف لا يتصلون به ولا يطلبون منه شيئا • ثم يعرض عليهم عقد ميثاق يؤكد الصداقة والود بينهم ، فهو شديد الرغبة في مصادفتهم ،

⁽۱) أبن الأثير : ج 4 ، ص ١٧٦ ، حسين أبين : ص . ٤ .

لا يستغني عن معونتهم . وهو لذلك يرغب في أن يقــدم عليــه جميع الاخوة السلاجقة ، فان لم يستطيعوا الحضور جبيعا ، فليختاروا واحدا منهم يقد اليه . وحدد مكانا للقاء بالقرب من نهر جيحون (١) •

اختار السلاجقة لمقابلة السلطان زعيمهم اسرائيل ، وسار هذا الى هو القبض على زعيم السلاجقة ومن معه من الوجوه والقواد • لذلك أرسل الى اسرائيل رسولا يستقبله ، ويقول له : ﴿ لَسَنَا الآنَ فَي حَاجَةً الى الاستعداد بجيشك ، وانما جملة مقصودنا أننعمبرؤيتك والاستظهار بك ، هاترك الجيش في مكانه ، وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك » (") • وغارق اسرائيك حذره وانخدع بملاطفة السلطان ، فترك الجيش وسار في خاصة قواده ، وآتاح بذلك للسلطان فرصة القبض عليه وعلى قواده والقائهم في غياهب السجون ، ثم أمر السلطان بحملًا اسرائيل بعيدا حيث حبسه في احدى قبلاع الهند حتى مات سنة ۲۲ هـ / ۱۰۳۰ م (۱) ٠

كان لفعل معمود أثره الكبير علمي السلاجقة وعلى الدولة الغزنوية نفسها . فأما أثره على السلاجقة ، فإن هذا الممل الذي يتنافى مع تقاليد الشهامة ومع التقاليد الاسلامية ، أحفظهم وجعلهم يصمعون على الشأو لزعيمهم ورجاله ، ولكن في أناة ودهاء ، فقد علمهم هذا الحادث الحذر والحيطة ، وعدم الأمان لجيرالهم ، فرسموا خطتهم على مصافعة السلطان والمكر به حتى يسسمح لهم بالانتقال الى خرامسان ليبعدوا عن دسائس الخانيين ، ثم أذا وصلوا الى هذا الاقليم وثبتوا أقدامهم ، وســـموا الى ذلك تكوين دولة قوية لَّهم تخلف الفرنوين في اقليمي خراسان وما وراء

⁽۱) الراوندى : ص ۱٤٧ - ۱٤٨ .

⁽٢) نفس المحر ٤ ص ١٤٨ •

 ⁽٣) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٧٧ . الراوندي : ص ١٥٠ - ١٥١. «

النهر ، وتضم اليها ما تستطيع ضمه من كل أجزاء ايران ، وأما أثر هذا الممل على السلطان فائه اعتقد أنه كسر شوكة السلاجقة وفل حدهم ، ولذلك فارقته العبيطة والمعذر ، فوقع في كيد السسلاجقة الذين أوقعهم من قبل في كيده ،

وأى السلاجقة أن الاشتباك في حروب مع السلطان قد يعصف بالبقية الباقية من قوة السلاجقة ، نظرا لقوة السلطان محبود ومكاته في العالم الاسلامي ، ولأنهم في مواقعهم ببلاد ما وراء النهر يتعرضون كذكك لقوة الغايين ، وبذلك يضربون من ناحيين م فاتروا المحبلة حتى ينصفوا الى قلب الدولة الغزنوية تصسها ، فراسلوا المسلطان معمود يتخطفونه ويلتمسون منه الاذن بالمرور بالأراضي التي تخضع لسلطانه ، والرحيل الى اقليم خراسان ، والاقامة في المنطقسة الواقعة بين مدينتي والرحيل الى القليم خراسان ، والاقامة في المنطقسة الواقعة بين مدينتي وتصيره بالخطورة التي تهدد دولته باقامة السلاجقة في خراسان ، فان السلطان لم يأبه بهذا التحذير ، اعتقادا منه يأنه أضمة قوة المسلاجقة حين قبض على اسرائيل وقواده ، فسمح لهم بعبور جيحون ، وفرقهم عن نواحي خراسان واعترهم من رعاياه ووضع عليهم الخراج (() ،

كان اتتقال السلاجة الى خراسان بداية لمرحلة جديدة من مراحل الهجرة السلجوقية ، وتعتبر في الحقيقة أهم مراحل الكفاح السلجوقي للقيام بدور بارز في تاريخ المالم الاسلامي ، كما كان لهذا الاتقال اثر موجه لمستقبل ايران وما جاورها ، فقهد آخذ السلاجقة يدعمسون قويهم ، وينتشرون في الأرجاء المجاورة لهم ، وهسم بذلك يتصيفون المفسرس للانقضاض على الدولة الغزنوية واقتلاع جدورها من بلاه خراسان وما وراء النهر ،

قاد السلاجقة فيمرحلتهم البجديدة ابنا ميكائيل بن سلجوق : جغرى

⁽٥) لكن الأكبي : بيم أ ٤ من ١٧٧ ، الراوندي: من ١٥٣ ،

بك أبو سليمان داود ، وطغرلك أبو طالب محمد ، وكانا يتمتمان بنفوذ كبير بين الجند ورجال القبائل ، لما كانا يتعليان به من صفات الفروسية والشمجاعة ومسعة الرأى وقوة التدبير ، وهما اللذان واجهسا القوات المنزنوية ، وقادل صراع السلاجقة في خراسان ، وذلك أن أهل « نسا » و « باورد » اشتكوا الى السلطان محمود في أواخر عام ١٨٤ هـ ، عالم والى طوس باجلائهم ، وكان الوالى نفسه بمين الشاله ، واستطاعوا أن السلاجقة ، نهاجم معمكراتهم ، ولكنهم هبوا لقتاله ، واستطاعوا أن يحققوا عليه نصرا كبيرا الى أن تدخل محمود الغزنرى بنفسه وهو الذي استطاع بقواته الكبيرة أن يلعي الهزيمة بهم (١) ، لكن السلطان محمود لم يستظاع طردهم من خراسان ، بل انهم استطاعوا أن يجمعوا شعلهم مرة أخرى ويستعدو لجولة جديدة ،

وواتهم القرصة في سنة ٢٩١ هـ عندما مات السلطان محمود ، فأخذوا يوسعون أملاكهم وينشرون تفوذهم على الجهات المجاورة لهم ، حتى شمل بفوذهم آكثر جهات خراسان ، وادى توسع السسلاجقة الى الاصطدام بوالى نيسابور وهي قاعدة الغزنوين في خراسان ، فلدخلوا ممه في حروب طلحنة اضطر غيها الى الاستمانة بقوات السلطان مسعود الذى تولى بعد أبيه محمود ، غير أن السلاجقة حقوا نصرا كبيرا على قوات والى نيسابور ، ثم على مسمود نفسه بعد ذلك ، وإضطروه الى عقد صلح معهم () ،

أبدى السلاجقة بعد نظر وحكمة ، فبعد انتصارهم على السباطان مسمود ، لم يتحجلوا الأموز قبل أن تتمكن اقسدامهم في العجات التي حصلو أعليها ، واننا رأوا أن جادنوا السلطان وأن يحصسلوا على كل ما توصله اليهم المهادنة من كسب 4 فارسسلوا الله يتتذرون عنا حدث منهم ، وباقهم اننا كانوا يدافعون عن أنصسهم وعن منازلهم وأبنائهم ٤

⁽۱) مسين لين : س ٢٤] ٠

[·] ١٧٨ م ٢٩ ع س ١٧٨ ٠

ُولُولاً ذَلكَ مَا قَاتَلُوا وَلاَ رَفَعُوا حَسَـاماً فَى وَجِهُ السَّلْطَانَ ، ثَمْ يَحَاوَلُوْ فَهُ تَخْفَيْفُ وَثَمَّ الهَزِينَةَ بَأَنْ جَيْشُ السَّلْطَانَ ﴿ أَسَابِتُهُ عَيْنَ حَاسَدَةً ﴾ فهسـرْمُ على الرّغم منهم ، وهم لذّلك يطلبون علقه السَّلْطَانُ وعَفُوهُ (أ) ،

كان المسلاجة يبنون من وراء طلب الصلح أن ينالوا وقتا من الراحة والاستقرار ، وليكسبوا شبيئا من البلاد يعترف السلطان بعقهم في ولايتها ، وفعلا تعتق لهم ما أرادوا ، فتم الصلح بينهم وبين المسلطان على أن تعطى الى بيفو وطغرل وداود ولايات « فبسا » و « فراوة .» و « دهستان » و وهلى لكل واحد منهم خلمة ومنشورا ولوا » وأن يقوم ، القاضى بتسليمهم النخلع بنفسه ، ويأخذ عليهم الميثاق بالوفاء للسلطان ، على أن يقتصروا على والرياتهم هذه ، وأن يأتي أحدهم بلاط المسلطان في الخدمة () ،

استراح السلاجقة بعد هذا الصلح وأتيحت لهم القرصة لتقوية مركزهم بعد أن اعترفت بهم الدولة ولاة من قبلها ، فأخذوا في توسيع رقمة أراضيهم التي ضاقت بهم نظرا لتوارد القبائل التركية عليهم ، وتواردت أخبار تقسدهم على عاصسمة الدولة في غزنة ، فأحض رجال الدولة بخطورة تقدمهم في خراسان ، فاجتمعوا الى السلطان الذي كان قد ركن الى الصلح مع السلاجقة ، فأعرض عن خراسان والسلجوقية وتفرغ لأمور بلاد الهند ، وأخذوا يحذرونه منية اهمال أمر خراسان ، وقالوا له كما يروى ابن الأثير « إن قلة المالاة بخراسان من أعظم سمادة

⁽١) انظر رسالة السلاجقة في تاريخ البيهتي ، من ٢٥٥ ــ ٢٦٥ .

⁽٢) حسين لين : من ٥٠ ـــ ٥١ .

⁽٣) البيهتي : ص ٨١ه ، حسين أمين : ص ٥١ .

السلجوتية ، وجما يملكون البلاد ويستقيم لهم الملك ، وليحن نعلم وكلًّا عاقل أنهم اذا تركوا على هذه الحالة استولوا على خراسان سريعا نم ساروا، منها الى غزنة ، وحينتذ لا ينغمنا حركاتنا » (١) .

عندائد نقض السلطان الصلح وامر والى خراسان بضرب السلاجقة وطردهم، ولكن هذا آجاب بان « امر السلاجقة قد علا بعيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن نقاومهم » (أ) • فسير مسعود قوات لحرب السلاجقة ، ولكن هؤلاء راوغوها ، وما زالوا يستدرجونها حتى اذا ما وجلوا فرصة هاجموها ، فألحقوا بها هزيمة فادحة على باب مدينة سرخس سنة ١٤٦٨ ، ثم تقدم طغرلك الى مدينة نيسابور فلخلها وجلس على عرش الملك مسمود ، وأعلن قيام دولة السلاجقة ، ونادى بنفسه سلطانا باسسم « طغرلبك السلطان المظم ، ركن الدنيا والدين أبو طالب » () ثم فرق عماله في النواحى ، وسار آخوه داود الى مدينة هراة فاستولى عليها •

تعتبر سنة ٢٩٩ هـ ١٥٣٧ م بدء قيام دولة السلاجقة ، لأن طفرل باشر مهامه كسملطان فعلى لهم مند ذلك التساريخ ، وبذلك أصسيح للسلاجقة كيان سياسى ، ورقعة قسيحة من الأرض ، وحاكم له الزعامة التى منحها اياه رعاياه ، فقد اجتمع رجال البيت السلجوقى فوجسدوا صفوفهم ، واتخبوا طغرلبك رئيما لهم وسلطانا عليهم ، وبذلك استكملت الدولة الشسكل ولم يبق الا استكمال الصفة الشرعية بالمحسول على مواققة الخليفة المباسى ، والواقع أن اعتراف الخطيفة لم يكن فى ذلك الوقت الا أمرا شكليا لاعطاء المدولة صفة شرعة يرضى عنها الناس ، ولم يلبت الخليفة حين طلب منه السلاجقة الاعتراف أن أصدر لهم التنفيذ،

ولم يمر اعلان دولة السلاجقة في سهولة ، فان السلطان مسعودا ما كاد يسمع باعتلاء طفرلبك عرشه في نيسابور وتلقبه بالسلطان « طغرل

۱۷۸ أبن الأثير: ج ٩ ٤ من ١٧٨ .

⁽٢) الرواندي : من ١٥٧ -

⁽٣) ابن الأثير : ج ٦ ٤ من ١٧١ ، حسين أبين : ص ١٥٠ ،

الأول» حتى خرج بنفسه على رأسقواته لتأديب السلاجقة ، لكن هؤلاء الحقوا به هزيمة حاسمة عند « دندانقان » في عام ٣١٩ هـ • انقلب يعدها مدحورا الى غزنة ، وغنم السلاجقة من معسكره « ما لا يعدّمُ له تحت الاحصاء ، وقسمه داود على أصحابه وآثرهم على نفسه » ورجع طغرل الى نيسابور عزيزا منصحورا (() • فلما دخل ظفرل البلد كف الميارون الذين كانوا ميثون في البلاد فسادا ، فسكن الناس واطمأنوا ، واستولى السلجوقية حيثه على جميع البلاد ، فسار بيفو الى هراة فدخلها ، وسار داود الى بلغة فملكها •

كانت موقعة « دندانقان » موقعة حاسمة في تاريخ السلاجقة والمغزنويين على السواء ، غانها أنهت الصراع بين هاين القوتين ، غلم يعد الغزنويون بعد يفكرون في مهاجعة السلاجقة أو مناواتهم ، ولم يعاول أحد من حكام الإقاليم في ذلك الوقت التصدى لهم ، فقوى أمرهم وتوافد الجند اليهم من جميع أطراف خراسان ، فقويت دولتهم ، وخافها جيرانها ، حتى لقد فكر المسلمون في ايران والعراق وغيرها من بلاد جيرانها ، حتى لقد فكر المسلمون في ايران والعراق وغيرها من بلاد المشرق الاسلامي في الانضمام تحت لوائها ، وجرصوا على اظهار الولاء لها ، كما أنها ظفرت برضاء الخليفة المباسى عنها واعترافه بها ، وبذلك انصرت الدولة الغزنوية عن ايران وبلاد ما وراء النهر ، وبدأ الفيسال بلاعب طفرلك في تكوين دولة عظمى تسيطر على جميع أنحاء العسالم بداعب طفرلك في تكوين دولة عظمى تسيطر على جميع أنحاء العسالم واتعه طموحه الى العمل على أن يجمل من هذا الغيال حقيقة واتعة ، فبذأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل كفاح السلاجقة (٢) .

*

سيطرة السلاجقة على ايران :

رأى السلاجقة سد نصرهم المؤور في « دندانقان » أن عليهم أن يوحدوا صفوفهم ، ويرسعوالأنفسهم خطة المستقبل ، لذلك عقد طفرل

⁽۱) ابن الأثير : ج ٩ ٤ ص ١٨٠ ، البيهتي : ص ١٩٥ .

⁽٢) عبد المنعم حسنين - س ٣٠ .

اجتماعا ضم أخاه جبرى ، وعمه موسى يبعو ، وأبناء عمه ، كما ضم غيرهم، من رجالات السلاجقة ، وتدارسوا الخطوات التي ينبغى أن تتلو قيام دولتهم • فتماهدوا جميعا على أن يظلوا متحدين متاسكين ، وألا يدعوا للتفرق والتنازع سبيلا الى قلوبهم حتى يظلوا أقوياء ظافرين (() • كما آكدوا اتفاقهم على تمين « طفرله الأول »قائدا أعلى لجيوشهم وسلطانا على دولتهم ، وتماهدوا على أن يدينوا له بالولاء دائما • ومم أن طغرل كان أصد من سنا من أخيه جغرى الا أنه كان قوى الشخصية ، متوفسه لذكاء ، فائق الشجاعة ، عظيم التدين ، وهي صفات حببت فيه الجند ورجال القبائل فالتفوا حوله وأسلموا قيادتهم له •

ورأى طغرل أن تحقيق أهداف السلاجقة يقتفى جمع الكلمة ، وتكتيل القهى و ولكى يبذل كل واحد من رجال البيت السلجوقى جهده فى تحقيق الهدف الأكبر ، ولكى يبعد عهم التنافس والخصومة ، عين واحد منهم على ولاية من الولايات ، وسيره البها ، وسسمح له أن يفتح ما يستطيع فتحه من الجهات المجاورة لها ، على أن يضم ما يفتحه الجي منطقة نفوذه دون منازع ، فاختص جمرى بك باكثر خراسان على أن يتخذ مدينة مرو دارا لملكه ، وتنصب موسى على ولاية بست وهرات قاورد وهو أكبر أولاد جفسرى على ولاية الطبسين ونواحى كرمان ، قاورد وهم أكبر أولاد جفسرى على ولاية الطبسين ونواحى كرمان ، قاورد وهي ولاية مالمين بن موسى هراة وبوشسنج وسجستان وبلاد وجرجان ، ولأمي الحسن بن موسى هراة وبوشسنج وسجستان وبلاد مدينة الى دارا لملكه وقرر أن يتجه بنفسه لقسم العراق والولايات المغور وهي ولاية الملكه وقرر أن يتجه بنفسه لقسم العراق والولايات المقرية منه (٢) ،

بعد أن حدد المنلاجقة أهثافهم ورببوا أمرهم ، وكان عليهم أن

⁽١) الراوندي : من ١٧٥

⁽۲) الراوندي: من ۱۲۷ -- ۱۷۷ مسين لين : من ٥٥ •

يستكملوا الصفة الشرعية لدولتهم ، فيحصلوا على موافقة الخليفة السامو يقيامها ، واعترافه بسيطرتها على الأقاليم التي تحت يدها والمناطق التي قد تسسيطر عليها بعد ذلك ، فكتبوا للخليفة في عام ٢٣٢ هـ سـ ١٠٣٠ م رسالة حرصوا فيها على اظهار ولائهم للخلافة وحبهم للجهاد في سسبيل الله ولبتغاء مرضاته ، ثم يروا فيها قتلهم للغزنويين بأن السلطان محمودا غدر بهم وقبض على عمهم اسرائيل ين سلجوق وسجنه في قلعة «كالنجر» بالهنسد حتىمات ، كما سجن كثيرا من اقاربهم ورجالانهم ، ثم شرحوا للخليفة كيف أن ابنه مسعودا اهمل مصالح الرعية واشستغل باللهسو ، والطرب ، حتى أن أهل خراسان طلبوا منهم أن يقوموا على حمليتهم ورعاية مصالحهم ، ولكن مسجودا وجه اليهم الجبوش فاضطروا لقتاله حتى أظفرهم الله به ، فنشروا المدل وأصلحوا أحوال الناس ، ثم طلبوا في آخر رسالتهم أن يعترف الخليفة بقيام دولتهم وبطغرل سلطانا عليهم ، في آخر رسالتهم أن يعترف الخليفة بقيام دولتهم وبطغرل سلطانا عليهم ، في آخر رسالتهم أن يعترف الخليفة بقيام دولتهم وبطغرل سلطانا عليهم ،

حين وصلت رسالة السلاجقة الى الخليفة القائم بأمر الله ، كان الملك البويهي يتداعى في العراق ، فقصد التشرت الفتن بين الجند ، ومخاصمة العبنود الأتراك الدين كافوا في ثورات دائمة ، من أن الأمن آصبح مفقودا للسمف الدولة وقيام البحدو والميارين بمهاجمة المسدن والأسواق ، والفرق المذهبية يضرب بمضها بمضا (٢) و وكان الخليفة يصب بهذا التفكك والانحلال ، ويرى الدولة البويهية عاجزة عن اقرار الأمور في العراق ، كما يراها عاجزة عن المسسود في الإقاليم الأخرى أمام القوة الجديدة النامية التي اندفعت من خراسان تسييط على كل أقاليم ابران ، لذلك فانه حين وصلته رسالة السلاجقة ، بادر بارسال رسسول الى طعرليك في الرى ، وأمره بأن يتقرب منه ويدعوه للحضور الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره (٢) ،

⁽١) الراوندي : ص ١٦٦ - ١٦٧ ، عبد المنعم خسين : ص ٢٣ .

⁽٣) أنظر ابن الأثير : ج ٩ ٤ ص ١٨٧ وما بعدها ."

⁽٣) الراوندى : ص ١٦٧ .

لم يتوقف السلاجقة حتى يصل رد الخلافة ، وانما أخذوا فى تنفيذ خطتهم فى السيطرة على إيران كلها ، فاتجه كل واحد الى ولايته ليستولى على ما يقدر عليه من أقاليم ايران ، وحين وصل رسول الخليفة لم يكن طفرلبك موجودا بمدينة الرى ، فاضطر للبقاء بها ثلاث سنين ، فى أثنائها خاص طغرلب حروبا كثيرة لاتمام سيطرة السلاجقة على ايران والعراق ، اذ كان عليه أن يقضى على البقية الإلقية من نفوذ الديالة فى كل من ايران والعراق ، وقد ساعدته الحالة السيئة فى المشرق الاسلامى فاتتصر فى حروبه جميعها ،

وقد بدأ طغرلبك تنفيذ خطته فى عام ۴۹٪ هـ ، فولى وجهه شطر جرجان وطبرستان فاستولى عليها من يد « آنوشيروان » الزيارى الذى قبل أن يكون واليا عليها من قبل طغرلبك ، فكان هذا ايذانا بستوط الدولة الزيارية من ايران (") •

ثم توجه في عام ٤٣٤ه الى خوارزم ، غنمكن من ضمها الى أملاك السلاجة هي وما جاورها ، ثم رحل بعد ذلك الى مدينة الرى التى كانت قد وصلتها قوات السلاجة بقيادة ابراهيم إينال ، فتسلمها وأصلح عمارتها واتخذها مقرا لحكومت (١) ، وفي الرى قابله رسول الخليفة ، فأكد له طغرل عزمه على زيارة بغداد في الوقت الناسير (١) ،

وفي المدة من سنة ٤٣٤ هـ الى سنة ٤٤٦ هـ استطاع طغرابك أن يضع يده على كل أجزاء ايران الفربية ، فاستولى على قزوين وأبعر وزنجان وهمذان ، واقليم آذربيجان ، فخضع له بذلك أمراء الديلم ، كما أرسسل طائفة من الجند لفتح كرمان التى قاومت كثيرا حتى توجه اليها بنفسه ، وفي سسنة ٤٤٢ هـ توجه لفتح اصفهان والأجزاء الجنوبية من ايران ، فاستولى عليها وعلى اقليم فارس ، وبذلك أسـقط الدولة

⁽۱) ابن الاثير: ج ٩ ، ص ١٨٥ ٠

⁽٢) نفس المسدر ، ص ١٩٠٠ .

⁽٣) عبد المنعم حسنين : ص ٣٥٠٠

البويهية فى همده المنطقة ، وفى عام ٤٤٦ ه توجه بنفسه الى القليم آذرييجان ليؤكد سيطرة السمالجقة عليه ، فلدخل تبريز ، ومد بحدوده الى بلاد الروم ، حتى حاصر « ملاذ كرد » وضيق عليها ونهب ماجلودها من البلاد وأخربها ، وما زال فى غزوته حتى بلغ أرزن الروم (١) .

وبداوا يصبفون حركتهم بصبغة البجاد الدينى، فوجهوا القبائل الغرية وبدأوا يصبفون حركتهم بصبغة البجاد الدينى، فوجهوا القبائل الغرية التى وفدت عليهم فى البجاب الغربية من إيران إلى قتال الروم والتوسع فى بلادهم منذ سنة 60، هم، على ابراهيم ايناله() و ومنذ ذلك المتاريخ السسلامة السسلاجة بالروم، وتولوا عن العالم الاسسلامي آمر الثفر الرومي، ولم تكن حروبهم حروب بغريب وتدمير ثم عودة الى خسط الثفور كما كانت المقال من قبل على طول المصر العباسي، وانسا كان التجاه فتح وامتلاك ، فقد اقتطفوا جزءا من آسيا الصغرى وأقام به فرع من السسلاجة عرف باسم سلاجة الروم و وبدخول السسلاجةة آسيا المعفرى على هذا النحو مهدوا لقيام الأمارة الشانية التي قامت على يد الهياة غرية تركية ، فامندت وكونت دولة كتب لها آن تقضى بعد ذلك على بيزنطة وتتوغل في أوروبا ه

في سنة ٢٤١ هـ كان طغرلبك قد فرغ من فتح ايران وبسمط نفوذ السلاجقة عليها وعلى بعض البلاد المجاورة لها • وبذلك اطل على العراق، فأخذ يستمد لدخول بغداد واتمام بسمط سيطرة السلاجقة على المشرق الاسلامي كله •

السلاجقة في المسراق:

فى الوقت الذى كانت فيــه الدولة الســلجوقية تتبوآ مقعدها فى خراســـان ، وتقهر العــزنويين وتردهم البى الركن الجنوبى الشرقى من

 ⁽۱) انظر ابن الاثیر : ج ۹ فی حوادث هسده السنوات حتی ص ۲۲۳
 (۲) ابن الاثیر : ج ۹ ۵ ص ۲۰۳ .

العالم الاسملامي ؛ ثم تتجه غربًا لتضم كل أقاليم ايران ، كانت الدولة البويهية تتهاوى أمام ضربات معاول الهدم التي تتوالى على بنيافه المتداعى ، والخلافات بين رجال البيت البويهي تعزق الدولة وتبدد قوتها في صراعات أسرية ، وفروع البويهيين في آقاليمهم يعمل كل وأحد منهم. منفصلا عن الآخر ، بل يسعى بعضهم لقهر بعض والاستيلاء على ما بيده ، وحتى في الوقت الذي دهمتهم فيه القــوات الســلجوقية الزاحفـــــة ٤ لم يتكنلوا أمام الخطر الذي يهددهم جميعا بل تراهم سادرين فيخلافاتهم يقلم بعضهم أظفار بعض ، ويتيحون بذلك للمسلاجقة فرصــة أخذ ما بأيديهم غنيمة هنية (١) ، فلم تلبث أقاليم الجبال وما ورأءها غربا أف سقطت أمام رحم طفرلبك ، كما سقطت الأقاليم العنوبية والوسطى من ایران ظی ید قواته . ولم ببق فی ید بنی بویه غیراقلیم العراق ، وهـــو بذاته يموج بالفتن بين الطوائف المختلفة من الجند ، كان يعمه الاضطراب بسبب النزاع المذهبي بين الشيمة والسنة (٢) •

وكانت آفسة البويهيين الأخرى الى جانب خلافاتهم الأسرية ، هى استنكثارهم من الاتراك في جيوشهم ، وهؤلاء جباعة قد تخدم الدولة في حالة قوتوا وحرم ملوكها ، ولكنها تكون من أشد الأخطار على كيافهـــا اذا ما دب النه نمه فيها ، أو اذا ما تنازع رجال البيت الحاكم فيما بينهم • وقد رأينا مثلا لذلك في حالة الخلافة العباسية قبل عصر بني بويه ، فقد خدم الأتراك الدولة في عصر قوتها إيام الخليفة المعتصم وابنه الوائق ، سيطروا على الثسنون العامة في دار الخلافة وأهانوا الخلفاء واستبدوا بهم ، وأربكوا الدولة بجشمهم وتسلطهم • ولولا ما كان للخلافة من قدسية واحترام في نظر الناس لزالت الخلافة العباسية من الوجود • ولقد

 ⁽¹⁾ انظر ابن الأثي : ج ٩ ٤ من ٢٠٣ وما بعدها .
 (٢) نفس المصدر : من ٢٢١ وقيرها .

تكررت المأساة في أواخر العصر البويهي ، ولم يؤت المستأخرون من ملوك بني بويه من نفاذ البصيرة وبعد النظر ما يتحاشون به ما وفعت فيه الخلافة من قبلهم ، فاستكثروا من الأتراك في جيوشــهم ، وكان أخطر ما في الأمر أن الجنسد البويهيين كانوا من الديلم ، وبين الديلم والترك عداء تقليدي ، لذلك دب الشقاق بين الفريقين ، ولم يتخذ البويهيون سياسة حكيمة لازالة الجفوة بين الطرفين ، وانما لجأوا الى السياســة الهـــدامة ، وهي محاولة ضرب كل فريق منهما بالآخر ، والوقوف في موقف التوازن بينهما فيقربون هـــذا الفريق حتى اذا أحسوا منه تغلبا ، قربوا القــريق الآخر • وقد كان البويهيون يتوخون من تطبيق هــــذه السياسة عدم افساح المجال للطرفين ليتفقا ضدهم ، الا أن النتيجة كانت خطرا جسيما على الدولة ، وعلى الأمراء البويهيين أنفسهم • فقد أدى التنازع بين طوائف الجند الى اضعاف الجيش البويهي بوجه عام والى احداث انشقاق خطير بين صفوفه ، كما أدى الأمر الى أن الجنـــد من الديالمة ومن الأنتراك فقه دوا الثقة بالأمير ، ولم يعهد لأمراء بني بويه المتأخرين تلك الثقة وذلك الاحترام الذي كان في نفوس الجند لأمرائهم السابقين • وتبعا لذلك لم يصبح ازالة النزاع القائم بين الديلم والأتراك أمرا ممكنا . وحين أحس الأتراك من ملوك بني بويه ضعفا ورأوا ماوقع فيه رجال البيت البويهي من خلاف ، وكانوا قـــد أصبحوا هم الجــــد الغالب في الجيش ، سيطروا على الدولة ووضعوها تحت تفوذهم ، حتى لقد اخذوا يوجهون سير الأمور ، وبتدخلون في تولية ملوك بني بويه وعزلهم ، ويحمـــلونهم على أن يطفوا لهم على الطاعة والوفاء . ولما كانت الخلافة مجردة من كل قوة فعلية فانه لم يكن أمام الخليفة الا أن يجيبهم الى ما يرغبون (١) •

⁽۱) على سبيل الثال : انظر ابن الاثير : ج ٩ ، ص ١٣٥ ـــ ١٣٧. وما بعــــدها .

ولم يكن الخليفة ، أو الملك البويمي « الملك الرحيم » يملكان شيئا أمام قوةٌ هذا القائد وجنوده (١) • وكانت الأحوال تنذر بالخطر على الدولة البوصية وعلى الخلافة العباسية تفسها . فأما الدولة البويهية ، فكانت كل أملاكها في ايران قد ضاعت منها وسقطت في يد السلاجةة ، وأصبحت مهددة في العراق نفسه ، ولم يكن الرحيم على وفاق مع قائد جنده وهو البساسيري ولذلك كان التعاون بينهما منعدما ، وأما الخلافة العباسية فقد كانت مهددة بالنفوذ الفاطمي الذي وصل الى أعالى المسام وأطل على مشمارف العراق حين اسمتولت القوات الفاطمية على حلب سنة ٤٤١ هـ (١) ، كما وصُــلت دعوتهم الى العراق تفســـه • ولم يكن الوضع في العراق مطمئنا للخليفة العباسي ، اذ أن القوة المسيطرة فيسه قوة شيعية ، فبنو بويه شيعة وان كانوا يحكمون باسم الخلافة العباسية ، والقائد الساسيري متشسيع وقد يجد مصلحته في جانب الفاطميين ، وسنراه بعد ذلك يتخذ جانبهم صراحة .

قى مثل هــذا الجو المضطرب تختل الأمور ويسعى كل لمصاحته · فأما الخليفة فلم تعد له ثقة فيمن حوله • وكانت مصلحته تحتم عليه الانصال بالقوة الغالبة وبخاصة اذا كانت هذه القوة سنية تحترم الخلافة إلىباسية وتدين لها بالولاء · والملك البويهي مرتبك لا يجد له مخرجا· من الإزمة التي هو واقع فيها ، والوزير « ابن المسلمة » الذي كان في ذلك الوقت يلقب « رئيس الرؤساء » يرى أن يتصيد لنفســــــه في هذا المجال ، فهو يسعى الى اكتساب رضاء من يرى فيه صاحب القوة الغالبة. والقوة الغالبة تظهرواضحة فييد السلاجقة والقائد البساسيرىوهموصاحب القوة المسكرية فيالبلاد كان يرىأن قدومالسلاجقة الىالعراق معناء زوال نفوذه وذهاب سيطرته ، ولذلك كان يناويء كل اتصال بهم • ومن أجل ذلك كان الصراع بينه وبين الوزير شديدا ، كل يوجه التهم الى صاحبه ، فالبساسيري يقول ﴿ مَا أَشَكُو الا مِن رئيس الرؤساء الذي خرب البلاد

 ⁽۱) ابن الأثير: ج ٩ ٤ ص ٢٠٧ وما بعدها .
 (۲) ابن الأثير: ج ٩ ٤ ص ٢٠٩ .

وأطمع الغز وكاتبهم (١) • والوزير يطلق لسانه في البساسيري ويذمه ويتهمه بمكاتبة المستنصر باقه صاحب مصر (٢) ، وقد نجح الوزير بدعايته هذه في المساد الملاقات بين الخليفة والقائد ، الأمر الذي جمل الخليفة يطلب من الملك ابعاد البساسيري ومنابذته .

وواضح الأمر في الخلاف الذي نشب بين الوزير وقائد الجند أن الأزمة في العراق كانت مستحكمة . وكان في تقدير الرجلين أن المخرج لجهة من هاتين الجهتين ، غير أنُ الوضع الاستراتيجي للعراق يجعله دائما تحت رحمة من يملك اقليم الجبال الشمالية ، وكان هذا الوضع في يد السلاجقة (١) .

وفى المحرم من سنة ١٠٥٥/٨٤٤٧م كانت جيوش السلاجقة على أتم استعداد لدخول العراق ، فقد فرغ طغرلبك من أعماله في ضمم كل أقاليم ايران ، واطمأن الى أحرال دولته بها ، ورأى أن يزيل كل وجود البويهيين ، فان أحسد قواد الديلم هاجم شيراز واستولى عليهما وقطع الخطبة فيها للسلطان طغرلبك وخطب باسم الملك الرحيم (¹) ، فحفز هذا العمل طَعْرَلْبِكَ عَلَى ازالة كل خطر يأتي من قبل البويهيين ، وذلك بازالتهم نهائيا من فارس ومن العراق يم وسواء أوقع هذا الحادث آم لم يقع فان السلاجقة كان لابد لهم من الاستيلاء على العراق ليستطيعوا اكمال خطتهم في توحيد المشرق الاسمالامي كله تحت حكمهم ، بل السمى لتوحيد العالم الإسلامي كله وحكمه باسم الخلافة العباسية . لذلك أمر طغرلبك قواده بالاستعداد ، وأظهر أنه يريد التوجه الى مكة بقصد العج لَم وأصلاح طريق مكة ، والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر

⁽١) ابن الأثير : ج ٩ ، من ٢٢٥ .

⁽٢) نفس الصدر ، ض ٢٢٧٠ . (۲) حسين أمين : ص ۲۲ .

⁽٤) ابن الاثير : ج ٩ 6 ص ٢٢٦ .

العلوى صاحبها(١) ، ثم نقدم بقواته عنطريق حلوان ، وهوالطريق السهل الذي يوصل بشكل سريع الى قلبُ العراق .

لم يجد الملك الرحيم سبيلا الى المقاومة بعد أن فارقه قائد جنده ، وكان هو قى واسط فعاد سريعا الى بغداد محتميا بدار الخلافة وبنفوذها الأدبى ، فأمر الخليفة بأن يذكر اسم طغرلبك في الخطبة ، وأن يكون لقبه « السلطان وكن الدولة أبو طالب طفرليك مصدد بن ميكائيل يدين أمير المؤمنين » على أن يذكر بعد اسم الملك الرحيم أبي نصر بن أبي كاليجار سلطان الدولة البوص ، ثم دخسل طفرل بعداد فاستقبل بسا أروع استقبال ، واعترف به الخليفة سلطانا على جسيم المساطق التي تحت يده (١) ٠

ومع أن الملك البويعي قبل أن يكون تابعا للســــلطان السلجوقي ، فان هذا لم يشأ أن يبقى الى جانبه أحدا ينافسه أو تخشى منبة وجوده ، فقبض على الملك الرحيم وسيره الى الرى حيث سجن في احدى قلاعها حتى مات سنة ٥٥٠ هـ ٠

وبدخول طَعْرَلِكَ مِعْداد وقبضه على الملك الرحيم ، أسدل الستار على الدولة البوجية التي سيطرت على الخلاقة الساسية وحكمت باسمها ١١٣ سنة ، وحلت محلها في السيطرة وفي الضكم باسم الخلافة الدولة" السلجوقية ، ولكن هذه كانت أوســع رقعة وأعظم قوة وأبعد من أن تكون دولة اقليمية •

وأقام طغرل ببغسداد ثلاثة عشر شهرا عمل في أثنائهما على تدعيم مركز السلاجَّة في العراق وتوثيق صلاتهم بالمخليفة العباسي ، كما عملت الخلافة من جانبها على تقوية الروابط بينها وبين هذه القوة الجديدة •

⁽۱) ابن الاثير: ج ٩ ٤ ص ٢٢٧ ٠ (۲) الراوندي : ص ۱۹۹ ، ابن الأثي : ج ۷ ، ص ۲۲۸ ،

⁽م ٢٦ - العصر العباسي)

فتووج الخليفة القائم بأمر الله من « أرسلان خاتون خديجة » ابنة جفرى بك أخى طفرل فى سنة ٤٤٨ هـ • فتم بذلك التقرب بين البيتين العباسى والسلجوقى (ا) • واستقر لذلك نفوذ السلاجقة فى بغداد •

وفى غمرة هـذه الانتصارات التي حققها طغرلبك ، وبخاصة فى توطيد الملاقة بين البيت الملجوقي وبيت الخلافة ، جاءت الأثباء تترى عن حركات عسكرية كبيرة يقوم بها القائد التركي البساسيري ، الذي جاهر بالمصيان وأعلن انضمامه الى الفاطميين ، وأخذ يعد المدة للاستيلاء على الموصل ، فالتحم مع قوات السلاجقة بالقرب من سنجار ، وأوقع بها هريمة ساحقة في شوال سنة ١٤٨ هـ ، وواصل سيره حتى دخل الموصل واعلن فيها الخطبة للخليفة الفاطمي الذي ارسل اليه والى القواد الذين النصوا له الغلم (٢) ،

وفي الوقت الذي كانت فيه قوات السلاجقة تنهزم أمام البساسيرى ، كان المامة في بنداد يضجون بالشكوى من الجند السلجقة بنفس الروح التي بهم و والواقع أن أهل بنداد لم يستقبلوا السلاجقة بنفس الروح التي استقبلتهم بها دار الخلافة ، بل كان موققهم منها موقف العبداء ، وذلك لمن كانوا يلقونه دائما عند دخول جيوش جديدة الى مدينتهم ، فوقع الاشتباك بينهم وبين الجند ، ولما التصارة ، حتى اضطر الخليف المنتزرون حين يدخلون مدينة زاخرة الحضارة ، حتى اضطر الخليف للى تنبيه طفرابك الى ما يقع من جنوده ، والى اظهر استيائه ، وكان طغرل فيكر في اخراج جنده عن بغداد في الوقت الذي بلغته فيه أخبار التصار البساسيرى ، كما أن الخليفة اضطرب من هذه الأنباء ، واحتمى بعداد قاصدا الموسل طغرل الى المسير عن بغداد قاصدا الموصل وبلاد الجزيرة ، فاضطر طغرل الى المسير عن بغداد قاصدا الموصل ، صيث تمكن بهن اضداد عركة البساسيرى في

⁽۱) ابن الأثير: ج ٩ ، مس ٢٣١ . البندارى: تاريخ دولة السلجوق، مس ١٠ -- ١١ . (٢) ابن الأثير: ج ٩ ، مس ٣٣٤ .

عام ١٤٤٩ هـ ، وبسط تفوذه على ديار بكر ، وعين أخاه ابراهيم إينال واليا على الموصل والجزيرة ، وقعل راجعا الى بعداد بعد أن وطد نفوذ للسلاجقة في هذه البلاد ، فأحسن الخليفة استقباله ، وجلس له مجلسا عاما قصد به اعلاء شأن السلاجقة وانساف شيان البساسيرى والدعاية الفاطمية ، فلقب طفرليك بلقب « ملك المشرق والمنزب (١) » وبدل هذا المتلقب على أن الخليفة اعترف الطفرليك بما صار تحت يده من البسلاد في المشرق ، وأذن له باستفلاص المغرب من يد الفاطمين ، وبذلك أنشسح الأمل آمام الدولة الجديدة لتمد سقطانها على المشرق من بلاد ما وراء النهر الى المشرب من يحدود مصر الغربة ،

لكن مشكلة جديدة ما لبثت أن أطلت برأسها هددت وحدة البيت السلجوقي كما هددت الفلاقة الساسية وقد جاءت هذه المشكلة من قبل رجل من رجال السلاجقة أقسهم ذلك هو ابراهيم إينال آخو طربك لأمه و فأنه لم يلبث بعد أن عاد طغرل الى بغداد حتى ترك ابراهيم الموصل ورحل الى بلاد العجل ، فخلت الموصل من قوة كافية للدفاع عنها فلدخلها البساسيرى مرة آخرى و وكان رحيل ابراهيم على هذه المصورة أمرا مريبا ، فإنه ترك ولايته في الموصل دون اذن من السلطان وبدون حصاية ، في الوقت الذي كانت فيه قوات البساسيرى تؤيدها الخلافة الفاطية لا ترال سليمة متربعة ، وهذا أمر يوحى بالاتفاق بين الخلوفين ، وقد أشارت المصادر الى مراسلة بين البراهيم وبين القساطمين والبساسيرى الذين استمالوه وأطعموه في السلطة والبلاد () و

وكتب المسلطان الى ابراهيم يستدعيه من بلاد الجبل وأرسل اليه خلمة الخليفة التى خلمها على طفرل ، ليبين له مقسدار تقدير الخسلافة

⁽۱) ابن الانسي: ج ٩ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، تاريخ أبو الفسيداء:

ج ۲ ، ص ۱۸٤ – ۱۸۵ · (۲) ابن الانسي : ج ۹ ، ص ۲۳۹ ، ابن الجوزى : النتظم : ج ۸ ، ص ص ۱۱۰ ·

للسلاجقة ومقدار تفوق النفوذ السلجوقي ، كما كتب له الخليفة بنفس هذا المنى ، فعاد ابراهيم الى بغداد ، ولكن عودته الى جانب السلطان كات الى حين ، فان السلطان نترج الى الموصل في جيش كبير واصطحب معه إخاه ابراهيم فعا لبث هذا أن التهز فرصة غادر فيها السلطان واتجه الى همذان ، ميث انضم اليه عدد كبير من الترك ، وهنا آدرك السلطان الى همذان ، وقدر الخطورة التي تنجم عن استقرار آخيه في منطقة العجال ، فصمم على جسم الداء قبل استفحاله ، فان وجود أى تفكك في البيت السلجوقي على هذه الصورة بهدد وضمهم في المراق تهسديدا في البيت السلجوقي على هذه الصورة بهدد وضمهم في المراق تهسديدا يشع فيه السلاجقة في حروب آسرية ، وتضيع الخلافة العياسية في وقت الذي الشغال السلاجقة ، وبذلك يقف السلاجةة الما القوة الغاطمية من غير صند شرعى من خلافة قائمة ،

لذلك توجه طغرل الى سحق حركة أخيه ابراهيم قبل استفحالها ، تاركا أمر الموصل والعراق الى حين ، واستطاع أن يوقع الهزيمة به فى مغركة حاسمة بقرب مدينة الرى وأن ياسره ويقتله (ا) .

لكن السلطان وقد أهمه خروج أخيه ابراهيم على هذا النصو و وفى غمرة خوفه من افتسام البيت السلجوقى ، لم ينظم الأمور بشمسكل يوفر للمراق الأمن، وكان عليه أن يقدر خطر مفارقة دار الخلافة بدون قوة كافية للدفاع عنها ، ولكن يبدو أن السلطان لم يكن يقدر خروج ابراهيم من ناحية ، ولم تكن لديه القوات الكافية من ناحية أخرى ، فان ابراهيم خين خرج الى همذان انفسمت اليه معظم القوات التركية التى كانت متبرمة من طفرل لطول مقامه بالعراق ، وإتفلة ما يصل الى أيديهم من الفنائم بسبب هذا المقامه ، وبسبب ضرب طفرلبك على أيديهم بعد أن عسفوا بالعامة وأغضبوا الخليفة فى بغداد ، وعلى أى حال فان السلطان

⁽۱) أبن الآثير : ج ٩ ، من ٢٤١ - ٢٤٢ ، الرأوندي : من ١٧١ ،

فضل أن يتفرغ للقضاء على حركة ابراهيم التي كانت تهدد البيت السلجوقي في المقام الأول .

وانتهز البساسيرى فرصة انتمال طفرل وخلو العراق من قوة كافية للدفاع عنه ، فهاجم بمداد واستولى عليها ، وأمر الخليفة ، وأعلن الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، وبذلك حقق حلم الفاطمين الذى راود العلويين ازمانا طويلة (١) ، ثم مالث أن استولى على البصرة وواسط ، وحاول الامستيلاء على الأهواز ولكنه اضطر لمصالحة حاكمها اذ كان السلطان طغرل يمدها بالجنود ،

ويبدو أن الخلافة الفاطعية في مصر لم تكن تملك القوة الكافيسة لامداد البساسيري حتى تحتفظ بما وصلت اليه ، كما يبدو أن فتها في البساسيري لم تكن كبيرة ، ولذلك لم تنحرك للقيام بعمل جدى ، وتركته يواجه المرقف منفردا أمام قوة السلطان ، الذي مالبث أن عاد إلى العراق بعد أن فرغ من اخماد حركة أخيه ، واضطر البساسيري الى الخروج عن بغداد متجها الى الشام ، ولكن القوات السلجوقية التحست به قرب الكوفة وأوقمت به هزيمة حاسمة حيث قتل ، وحملت رأسه الى الخليفة المباسي الذي كان قد عاد من أسره الى بغداد ، وبذلك عادت الخلافة المباسية وقضى على الحكم الفاطمي نهائيا بعد أن ظل يخطب لهم في بغداد اكثر من عام (٢) ، وعاد مركز السلاجقة فيدعم وعلت مكاتهم في دار الخلافة مناس الخيلة المباسية عن الحك الخليفة الى الخلولة الكرون كن الدين » (٢)

أصبح طفرل سيد الموقف بعد هذه الانتصارات المتلاحقة ، فاستب له كل شيء ، وبسط نفوذ السلاجقة في العراق كما بسطه في ايران ، وبانم من القوة حدا جعله يفكر في مصاهرة الخليفة العباسي بالزواج من ابنته.

من ۱۹۳ . (۲) ابن الاثير: ج ۹ ، من ۲۶۳ ، النظم: ج ۸ ، من ۲۱۲ ،

⁽٣) الراوندى: مَن ١٧٥٠

وبذلك سا السلاجقة الى حد لم يبلغه احد من قبلهم ، وبلغت المخلافة حدا من الضعف لم تبلغ مثله من قبل ، ويمكن تقدير هذا من المقاربة بين موقف ابي جعفر المنصور الذي جعل من اسباب غضبه على أبي مسلم المفراساني أنه أراد أن يبخذ المفسه جارية كانت لعبدالله بن على العباسي، وبين طلب طفرل الزواج من ابنة النظيقة السباسي نفسه ، وفزع المخليفة من فكرة مصاهرة السلاجقة ، ولكته هدد وخسوف ، فارغمته طسروف المفعف والخوف على القبول مضطرا ، وزفت ابنة الخليفة الى السلطان المعجوز الذي يلغ السبعين من عمره ، والذي أظهر أنه لم يكن يبغي من الرواج غير اظهار سمو الهمة الى الاتصال جذه الجهة النبوية والشرف بمصاهرتها ، ولم ينهم بهذا طويلا فانه ما لبث أن مرض ومات في رمضان من عام ٥٥٥ هـ (١) ،

مات طغرلبك بعد آن وضع أساسا متينا لدولة السلاجقة ، يسمط يفوذها على ايران والمسراق ، وعلى هذا الأساس استطاع خلفاؤها أن يرضوا من البناء ، وان يقيموا مجدا شامخا ، وانتهى بعوته دور التأسيس للدولة ، وبدأت بعد ذلك تبرز في التاريخ بروزا مرموقا ، فوقفت على سواحل البحر المترسط وأشرفت بذلك على بلاد الروم ، وحملت في هذه الناحية عب، الدفاع عن هذا النمر الاسلامي من ناحية الغرب ، كما وقفت على حدود الصين والهند وحملت عب، الدفاع عن الثمر الشرقي ، وبذلك ارتبطت بالتاريخ العالمي ارتباطا قويا ، وحققت للعالم الاسلامي خدمة كبيرة ، كان يقوم بها من قبلها مجموعة من الدول الاسلامية التي ظهرت في كلا المجالين ،

كما برز مركز الوزارة بروزا واضحا في عهد طغرلبك ، فقد أسهم الوزير أبو نصر منصور بن محمد السكندري (٢) ، الذي كان يلقب بعميد

⁽۱) أبن الآثير : ج ١٠ ، ص ٧ - ٠ ، الراوندى : ١٧٧ - ١٧٨ . (٢) راجع عن سميرته ابن الآثير : ج ١٠ ، ص ١١ - ١٢ وغيرها من الأخبار المنبورة من قبل في ج ١٠ ،

الملك بنصيب وافر في اقامة دولة السلاجةة وتدعيم أركانها ، وكان لكفاءته أثر كبير في ازدهارها ، فضلا عن أنه كان من الكتاب المجيدين بالقارسية والمربية ، فاكتسب منصب الوزارة بفضله أهمية كبرة جعلته هدفا تتطلع اليه النفوس وتقوم بسببه المنازعات والمنافسات التي حفل بها العصر السلجوقي ولعبت دورا مهما في توجيب مسير الأصداث في دولة السلجة (١) ،

⁽۱) عبد النعيم حسنين : من ٥٥ - ٢٦ .

المظاهر العامة للحكم السلجوقى

أستطاع السلاجقة في مدى عشرين سنة من ٢٦١ ــ ١٠٣٧هـ/١٠٣٠ ١٠٥٧ م، أن ينقلوا دولتهم من دولة اقليمية الى قوة اسلامية كبيرة تسيطر على مشرق العالم الاسلامي ، وتحاول ان تستـــد بنفوذها الى المغـــرب الاسلامي ، وتحظى باعتراف الخلافة العباسية وبتاييدها على ما تملك وعلى ما يمكن أن يقع تحت يدها ء ففي سنة ٤٣٩ هـ دخل طفرلبك مدينة ` ليسا يور وجلس على عرش الغزلاريين بها ونادى بنفسه سلطانا ، وبــدا. بذلك قبيام الدولة السلجوقية التي مالبثت أن نالت اعتراف الخلافة ، ثم أخذت في التوسم حتى ضبت الى حوزتها كل أقاليم ايران ، بل امتدت حتى تاخمت حدود الدولة البيزنطية ، بل اخترقت هذه المحدود وافتطعت من أملاك الروم أجزاء أقرت سلطانها فيها . وفي سسنة ١٤٧ هـ دخسل طغرلبك بغداد وأنهى الحسكم الهويهي ، ولقبه الخليفة « يمين أمسين المؤمنين .» (١) ، ثم استنب له الأمر في العراق في سنة ٤٤٩ هـ بعد أن قضي على خصوم السلاجقة وخصوم الخلافة بالقضاء على حركة البساسيري ، ولقبه الخليفة « ملك المشرق والمغرب » (٣) ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ العصر السلجوقي في حياة الدولة العباسية • والدارس لتاريخ السلاجقة تبدو له مظاهر وجهت الحكم السلجوقي وأثرت في مستقبل الدولة السلجوقية ، بل أثرت في مستقبل العالم الاسلامي .

وأول هذه المظاهر أن السلاجقة كانت تغلب عليهم حياة البداوة التي المهوها في موطنهم الأول ، وقسد أثر ذلك في سساوكهم وفي توجيههم لسياسة الدولة التي شادوها ، فالمدولة السلجوقية منذ أول آمرها كان طابعها واتجاهها عسكريا معضا ، وذلك بسبب أصالتها البدوية وتربيتها الخشيئة ، وجوارها لجماعات قوية كثيرا ما تحاول القضاء على السلاجقة واستتصال شافتهم ، وقد اعتمادا في أول تكوينهم على القبائل التركية

⁽١) الراوندي : من ١٦٩ .

⁽٢) ابن الأثير : ج ٩ ٤ من ٢١٧ -

فى الجيش وفى الغزو ، وهى قبائل رعوية كثيرة.العسدد ، فكانت كثرةً عددهم وضيق مراعيهم وقلة مواردهم مع طبيعتهم الغشنة ، تجعل منهم قوة خطيرة اذا انتحدوا وظهر فيهم زسيم قوى قادر على توجيههم •

وقد أثرت طبيعتهم البدوية مى فكرتهم عن معنى الوطن ، ففكرة الموطن عند السلاجقة تبدو بمكرة عامة ، لهم وقد اعتنقوا الاسلام على المذهب السنى يرون أن العالم الاسلامي هو الوطن ، ولكوفهم جناعات بدوية في الأصل تنتقل من مكان الى آخر ، فافهم يفضلون الاستقرار في الأماكن الأكثر خصوبة والأوفر ماء والأعظم خيرات ، ولذلك تراهم يستهدفون تكوين دولة تشمل العالم الاسلامي كله معترفا بها من قبل الخليفة العباسي ، ويسعون لاضعاف جميع انقوى المناهشة لدولتهم ()) .

وتحقيقاً لذلك فان سياستهم تجاه الأقاليم المجاورة لهم اتمست بسمة الفتح والملب واعتبروا استيلاءهم على المناطق التى استولواً عليها من البلاد الاسلامية فتحا ، ويتضح هذا من رسالتهم الى الخليفة العباسى بعد استيلائهم على كثير من الملدن الايرائية جاء فيها « وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر » (٢) • كلما يتضح كذلك من معاملتهم للملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه ، فقد أعطى طغرلبك المهود بعد التعرض له وتمهدت الخلافة له بالأمان ع ولكن طغرل قبض عليه وآرسله الى الرى حيث سجنه حتى مات ، وهذه المعاملة تكشف عن سياسة السسلاجقة العسكرية التى ترمى الى تعطيم مراكز العدو والقضاء عليه ، وعدم أفساح المجال لأية قوة يعتمل أن تكون مصلوا لعرقلة التدلير العسكرية و

واذا كافت هذه سياسة السلاجقة تجاه الأطراف الاسلامية ، فأنها من باب أولى تكون تجاه الأطراف المعادية للعالم الاسسلامي ، وقد أقام السسلاجقة علاقاتهم مع جيران العالم الاسسلامي على العداء الصريح ،

⁽۱) حسين ابين : ص ۱۲۷ ٠

⁽٢) الراوندي : ص ١٦٧ ·

والتجورا بقرتهم الى فتح البلاد التى تجاور العالم الاسلامى فى الغرب والشرق على السواء ، وهد وسموا اعمالهم فى الجه الرومية بسمسمة الجهاد الديني، وفى عصر قوتهم استطاعوا أن يحققوا على البيزنطيين التصارات رائمة وأن يقتطعوا أجزاء هامة من أهلاك الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وكان من المكن أن يزحزحوا البيزنطيين عن كثير من أراضيهم لو أهم استمروا في حالة اتحاد وقوة ، لكنهم ما لبثوا أن اختلفوا ونشاوا بمنازعاتهم الخاصة ، وأداروا ظهرهم الى للجبها الرومية سي المستجدت بأوروبا ، فعرضوا العالم الاسلامي الى هجوم غربي كسبيد لم المسلحة الاسلام في الجبهة البروية المحلحة الاسلام في الجبهة البرقية كان واضحا في دخولهم في خطيرة الاسلام ،

والظاهرة الثانية _ وقد تكون مرتبطة بالظاهرة الأولى سهى نميلهم الى الانفصال واعتبار الملك ميراثا يقسم بين الأبناء ، وعلى الرغم من توحدهم في أول الأمر والتفاهم حول زعيم واحد ، فان ميلهم الى الانفصال منذ أول الأمر واضع ، وأنما كان يجمع كلمتهم في أول أمرهم هدف واحد يسمون لتحقيقه ، ووجود زعماء أقوياء يوجهونه من أول قيام دولتهم ، فقد أخذ السلاحقة يتكتلون في بداية تكوينهم من أول قيام دولتهم ، فقد أخذ السلاحقة يتكتلون في بداية تكوينهم وينتون حول زعيم واحد ، وذلك لأن القوى التي كافت تناهضهم كانت قوية ، وكانت تسمى لقهرهم ، فتماهد الزعماء الكبار ، بعد انتصارهم على مسعود النرنوى واعلان قيام دولتهم ، على أن يحفظوا هذه الدولة، وأن يدنيوا بالطاعة لزعيمهم « طفرلبك » الذي ارتضاء ومم سلطانا ، وأن يدنيوا بالطاعة لزعيمهم « طفرلبك » الذي ارتضاء وم سلطانا ، وأن يضم ك في استقلال كل واحد بولايته ، واتخاذه لقب الملك ، وفي حرية تصرفه فقد أصبح « جعرى بك » كبير اخوة طغرل حاكما على مدينة تصرفه فقد أصبح « جعرى بك » كبير اخوة طغرل حاكما على مدينة تصرفه فقد أصبح « جعرى بك » كبير اخوة طغرل حاكما على مدينة تصرفه فقد أصبح « وخرى المان وكان يعمل لقب ملك ، وأصبح

«موسى» حاكما على ولاية « بست وهراة وسجستان» وله لقب ملك أيضاه كما أصبح « قاورد .» وهسو أكبر أولاد جنرى بك حاكما على ولاية « الطبسسين وكرمان » وله لقب ملك كذلك • وكان « ابراهيم إينال .» حاكما على « قهستان وجرجان » (() • وكان كل ملك من هؤلاء الذين أقرهم السلطان « طغرلبك » يتمتع باستقلال ذاتي في تصريف شسسون ولايته الداخلية ، كما كان له الحق في التوسع أن وجهد ذلك ضروريا لملكته •

وقد كان ملوك السلاجقة يجدون متنفسا لميلهم الى التوسس فى الوقت الذى كانت توجد فيه أجزاء من البلاد تحت يد غيرهم ، فلما اكتسلت سيطرتهم على كل المناطق الايرائية ، لم يكن هذا المتنفس موجودا الا فى محاولة الاستيلاء على ما فى يد بعضهم ، ثم لم يلبث الخلاف أن شب ينهم فزالت وحدتهم تماما بعد انتهاء عصر سلاطينهم العظام ، وأدى هذا الى ضمفهم جميما والى زوال الملك السلجوقى كله آخر الأمر ،

والظاهرة الثالثة ، أن السلاجةة لم يتخذوا لهم عاصمة ثابتة تكون من كرا لدولتهم ، ومقرا للسلطان السلجوقي ، شاهم شأن البويهيين من قبلمم ، الأأن البويهيين جعلوا من بعداد أحد مراكزهم ، بينما السلاجقة لم يتخذوا مركزا لهم ، واختلفت المواصم السلجوقية ، فعفر لبك اتخذ همرو » وحكم « ملكشاه » ومعصود بركياري في « أصفهان » كما اتخذ السلطان معجد بن محمود مدينة « همذان » عاصمة له () ، فالسلطان لا ينتقل الى الماصعة الثابتة التي اختيرت لموقعها الاستراتيجي أو لسهولة مواصلاتها أو لتوصطها ، والما تنتقل الدولة الى السلطان حيث يكون ، وهذا التأرجح يكلف الدولة ويقلل من قوتها ويضعف جويتها ،

⁽۱) تلمس غارقا بين اخسوة طغرل وبين ابراهيم لينسال وهو اخوه لايه ، غانه لم يلقب بطك ، الراوندى : ص ١٦٧ ، الحسينى : اخسسار الدولة السلجوقيسة ١٧ ،

⁽۲) حسین ابین : ص ۱۸۲ -- ۱۸۳

وظاهرة أخرى وضحت في العصر السلجوقي ولم تكن موجودة في العصر اليويهي وهي ظهور شأن الوزارة وعلو مركز الوزراء وفعاليتهم في الدارة الدولة م وقد كانت الوزارة أقل شأنا في العهود التي سبقت السلاجقة • ففي العصر العباسي الأول كان الخليفة هو الشخصية القوية، والوزير الى جانبه منفخ لارادته ، وكأن اقوى الوزراء يخشسون بأس الخليفة ويتحاشون غضبه • وفي العصر الثاني ، تضامل شأن الوزراء أمام قوة نفوذ القواد من الأتراك ، حتى اذا ما ظهر منصب أمير الأمراء ازداد مركز الوزير ضمعه احتى لم يصبح الا مجرد كاتب للخليفة ، ولم نشهد في العصر البويهي بروزا لشخصية الوزراء ، أما في العصر السلجوقي فقد برزت شخصية الوزير بروزا كبيرا حتى لنرى نظام الملك يكاد يكون هو صاحب الفاعلية في حكم السلاجقة في عهد اثنين من أعظم سملاطين السملاجقة وهما الب آرسمان وملكشاه • وظهر في العصر السلجوقي أسر بعينها تلي الوزارة وتتحكم في هذا المنصب الخطير • وتبعا لعلو مركز الوزارة أصبحت مثارا للتنساغس والتصارع عليها ، وفي الوقت الذي كان يشهد فيه العصر السلجوقي تنازع رجال السلاجقة.. على تولى السلطة ، كان يشهد تنازع الرجال الأغذاذ على تولى الوزارة . وقد كان هذا الصراع من كلا وجهيه من أسباب تمزق وحدة السملاجفة وضياع ملكهم •

ومرد ظهور الوزارة هذا الظهور الكبير الى أن السلاجقة ، وقسد كانوا غليلي حظ من النقافة ، وقد حكموا علما متحضرا عربقا ، رأوا أنه من الضرورى أن يعتمدوا على المناصر المثقفة ويتناصة تلك التي كانت في ايران ، من أمثال أبي نصر الكندى ونظام الملك وأبنائه من بعسده وغيرهم من التخصيات الفارسية المثقفة والتي تولت المناصب الرفيعة : الوزارة والمحجابة والكتابة ، وسيطرت بثقافتها على الادارة السلجوقية،

وفى الوقت الذى كان للسلطان السلجوقى فيه وزير كان للخليفة العباسى وزير ، لكن الوزير السلجوقى كان أكثر فحوذا ومطوة ، وذلك

لأنه كان يستمد قوته ونفوذه من قوة الدولة السلجوقية التي كانت ساحبة النفوذ العقيقي ، وكان كثيرا ما يتدخل في أمور وزير الغليفة ، بل كان يسستطيم أن يعزله ، كما يستطيع أن يوسى بتعبين وزير يعينه للخليفة فيجاب الى طليه(١) • وبدأت في العصر الساجوقي تظهر للوزراء القاب لم تكن ممروفة من قبل تقرن بأسمائهم ، فقد تلقب وزراء السلاجقة بالقاب « عميد الملك ، نظام الملك ، مؤيد الملك ، معين الدين ، شسهاب الى وزرائهم القيابا مثل « فخر الدولة ، أبغر المسالى ، جلال الدين ٰ ، سيد الوزراء ، صدر الشرق والغرب ، عون الدين » (٢) • وفلي العهد السلجوقي زاد راتب الوزير زيادة كبيرة ، فقد كان راتب ابن هبيرة وزير الخليفة المقتفى مائة ألف دينار سنويا (") • أما الوزير السلجوقي عكان يغصص له راتب مقداره عشر ما تحصل عليمه الدولة من واردات الا قطاعات (٤) ·

وقد كان النظام الاقطاعي هو الأساس الذي قامت،عليه الملكية في عهد السلاجقة ، فزعماء السلاجقة _ بحسب طبيعتهم البدوية _ كانوا يعتبرون أقفس مم زعماء أقوامهم ، ويرون أن حكمهم يمتد حيث ينتشر قومهم ، فهو لا يرتبط أو يعدد بسياحة ممينة من الأرض ، وكان لكلُّ قبيلة نصيبها من المراعي ، وزعيم القبيسلة هو الذي يتولى توزيع هـــذا النصيب على بطون القبيلة بحسب ما تجرى عليه تقاليد العادة والعرف • ولما أصبحت أيران قاعدة السلاجقة تأثر هؤلاء بما عرف عند الفرس الساسانيين من نظام الحكم الاستبدادي ، فاعتبر السلاجقة المملكة ضيعة السلطان يمتلكها نيابة عن قومه ، وتبعا لذلك أخذ يقطع أراضي تلك المملكة على أقربائه ومؤيديه ، والى جانب هذا النوع من الاقطاع وجد

⁽۱) المنتظم: ج ٩ ، ص ٥٦ ، النظرى: ص ٢١٨ ٠

⁽٢) انتظر ألفضري: ص ١١٨ - ٢٣٠ . حسين لمين: ص ١٩٢٠ .

⁽٣) الفخسري : ص ۲۷۸ ۰ Lambton Landlord and Peasant in, p. 44. (1)

اقطاع آخر حربي ، وهو اقطاع الجنود اقطاعات تكون بديلا عن الرواتب التى كان يتسلمها الجند في العصور السابقة ، وقد قصد السلاجقة بذلك الى الاحتفاظ بجند ثابت قرى ، لأنهم كانوا يستمدون على القبائل التركية التي كان من طبيعتها التنقسل ، كما أنهم رأوا أن الإموال قسد لا تتوفر المغزانة لسبب من الأسباب ، فغرقوا الاقطاعات على الجند ، لتتوافر لهم دواعى عمارتها واصلاحها ، وان كانوا قد تحوطوا فقسموا الاقطاع الواحد على يلاد متباعدة ، فربما قرراواحد من الجند ألف دينار في السبنة ، فوجه نصسفه على بلد من الروم ونصفه على وجه في أقصى خراسان ، وصاحب القرار راض (١) ،

وقد أدى هذا النظام الاتطاعى الى الغرض المطلوب منه هينما كانت الدولة قوية ، الا أنه لم يلبث أن أدى الى تتيجة عكسية ، فأن الذين تملكوا الأراضى صاروا يبيلون الى الاستقلال واعتبار الاقطاع ماكا وراثيا ، وآخذوا فى الاساقد الى الاستقلال واعتبار الاقطاع ماكا المستشراء الفقل طمع فى الاستيلاء على أملاك الآخرين مما أدى الى انتشار الفتن واستشراء الفظم والنساد ، والوزير الذى كان هو الشخص المستول عن مراقبة الاقطاعات وتنظيمها أخذ يمض النظر فى بعض الحالات التى يظهر فيها الجشع الاقطاعات ، كان فيها الجشع الاقطاعات ، كان له عشر واردات الاقطاعات اليزداد راتبة ، وقد أدى هذا بالطبع الى الفوضى والى ظهور الاستياء والنقور بين الفلاجين ، كما أدى الى اضعاف الروح المنسوية الأمر الذى أدى الى ضسمف المجتمع السلجوقى بوجه عام (٢) ،

ونتيجة لهذا النظام الاقطاعي ظهر نظام الأتابكة ، والأتأبكة هي امارة يقطعها المسلطان السلجوقي لأحد المقربين ، وقد كان للسلاجقة مماليك قربوهم وأقطعوهم اقطاعات كبيرة أقاموا بصا أتابيكيات لهم ،

⁽۱) العماد الأصفهائي : ال سلجوق ، من ٥٥ .

⁽٢) انظر بصمين أمين : ص ٢٠٥ - ٢٠٩ .

ومن أشهر هذه الأتابكيات أتابكية الموصل، ومؤسس هذه الأتابكية هو « عماد الدين زنكي بن آقسنقر » وهو من المماليك الأتراك ، تربي برعاية السلطان ملكشاه ، وقد أقطعه حلب واللاذقية وحياة ومنبج ، ثم أضاف اليها عماد الدين مدينة تكريت بعد وفاة السلطان ملكشاء (١) . وقد كان لهذه الأتابكية أثر كبير في مناهضة الصليبيين ، كما أنه انقذ الكثير من المدن الاسلامية من أيديهم ، واستطاع أن يستولي على هلب وينقذها من. اللوقوع قحت الحكم الصليبي سنة ٢٢٥ هـ/١١٢٩ م (٢) ..كما أن لابنه فور الدين محبود الفضل في حركة التجبيع الاسلامي ضد القوى الصليبية ، هذا التجميم الذي حقق غايته من بعد على يد صلاح الدين الأيوبي . ومن الأتابكيات المهمة أتابكية دمشق التي أسسها « طَفْتَكُين » مملوك السلطان « تتش بن ألب أرسلان » وكذلك أتابكية « سنجار » التي أسسها « عمساد الدين زنكني بن قطب الدين مودود » والمعسروف بمساد الدين زنكي الشاني ، وكذلك أتابكية آذربيجان التي أسمها « أيلدكن مملوك السلطان مسعود السلجوقي، وغير ذلك من الأتابكيات الكثيرة (أتابكية لورستان مائابكية اربل ، أنابكية دبار بكر ، أنابكية أرمينية ، أتابكية الجزيرة ، أتابكية فارس ، أتابكية كرمان) •

وكان الفرض من انشاء هذه الأتابكيات هواشراك الأقاليم في حكم الدولة السلجوقية: أى أن الولايات تحكم نفسها بنفسها مع ارتباطها بالمركز في الشؤون المهمة والخطيرة، على أن تسير تلك الأتابكيات وفق مصلحة السلجوقية وفي خدمة السلطان الكبير ، والذي عمم النظام الاقطاعي بشكل كامل هو « نظام الملك » وزير السلطان ألب آرسلان ، وكان يستهدف بذلك أن يخفف الأعباء الادارية والحربية عن الحكومة المركزية ، اذ أن الإتابكيات أصبحت مستقلة بتنظيم أحوالها وصهد أي اعتداء يقع عليها ، كما تستطيع التوسع اذا اقتضت مصلحة الدولة ذلك،

 ⁽۱) ابن الاثير: تاريخ الدولة الانلېكية ، من ۱۱ – ۱۸ . حسسين امين ، من ۲۱ .
 (۲) ابن الاثير: ج .۱ ، من ۲۶۷ – ۲۶۸ .

كما أنه وقد رأى معظم الجيش السلجوقى يتكون من القبائل المختلفسة المناصر ، أراد أن يجعل تلك الجماعات تعيش في أراض تقطع لها لتربط بالأرض ونشعر بشعور المواطنة ، وباستقرارها في أراض مصددة يمكن السيطرة عليها ، ومن ثم تخف حدة حركاتها في الغزو والمسازعات غيما بينها ، ثم انها بعسكناها في تلك الأراضي الزراعية تجدد نفسها مدفوعة الى اصلاح الأرض التي تستفيد من خيراتها ، وبذلك تزدهر المياة الزراعية التي كانت في ذلك المصر قوام المالمة الاقتصادية ،

ولقد كان لهذه السياسة أثرها الطيب في بداية نشوء الدولة ، حيث كان السلاجقة متحدين ، وكان السلاطين أقوياء وفي مكنتهم مراقبة أصحاب الاقطاعات مراقبة مستمرة ، وطالما كانت السياسة التي رسمها تظهام الملك قائمة ، وهي بمثرة اقطاعات الأمراء حتى لا يقوى الاقطاع فيكُون خطرا في المستقبل ، لكن هـــذه السياسة بمرور الزمن أدت الى عكس ماكانيرجوه نظام الملك والسلاجقة المطصون منها ، فان السلاجقة ما لبثوا بعد عهد السلاطين العظام أن انتحلت وحدتهم ودخلوا فيصر اعات على تولى السلطنة ، كما سمى بعضهم الى التوسع على حساب البعض الآخر حين توزعت الدولة بين فروعهم • فقد أصبحت الأتابكيات تتقوى وتتوسع بسبب المساركة في المنازعات والخصومات بين السلاطين السلاجقة ، وصنار الأتابكة يتخذون الألقاب لأنفسهم ، وبمرور السرمن السلجوقية المركزية ، بل ان تفوذ بعضهم قوى حتى تحكموا في السلاطين · أنفسهم ، كما تشجع بعضهم واستقل نهائيا عن الدولة السلجوقية · وما زال التنافس بين الاقطاعات يزداد والمطامع تقوى حتى أدى ذلك الى خنق الدولة المركزية وأعان على انهيارها آخر الأمر (١) .

⁽۱) عن الاقطاع في المصر السلجوقي : انظلسسر حسسين أمين : من ٢٠٥ – ٢١٣ ، الراهيم طرخان : الاقطاع الاسلامي (بحث من المجلد السلاس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) ، ص ٣٧ – ٧١ ،

أما الظاهر في علاقة السلاجقة بالخلافة ، فانها بدآت طيبة في أول الأمر ، وكانت الظروف المحيطة بالخلافة وبالسلاجقة على هــد سواء تحتم أن تبدأ هذه العلاقة طيبة ، فأما الخلافة فقد كانت الظروف المحيطة بها سيئة ومعقدة ، غالدولة البويهية التي تسيطر على شئون الدولة في المراق أخذت في الانهيار ، وفقدت قدرتها على ضبط الأمور ، ووقع آخر، ملوكها « اللك الحيم » تحت نفوذ القائد التركي البساسيري ، الذي وضعم انتصاله بأعداء الخلافة « الفاطميين » والذي استولى على الموصل وخطب فيها للفاطميين وانضم اليه ولاة هذه المنطقة وقوادها ، ثم ما لبث بعد ذلك أن استطاع أن يدخل مِعْداد ويغطب فيها للفاطميين . الأمر الذي جعل الخليفة يلجأ الى طغرلبك وبطلب منه القضاء على حركة الساسري وحماية الخلافة العباسية • والخلافة العباسية تخشى القوة الفاطمية في مصر، وفي الوقت الذي كانت فيه الخلافة المباسية في حالة شديدة من النسعف ، كانت الخلافة الفاطمية في مصر في أوج قوتها وعظمتها وقد اتسمت رقعتها من المحيط الأطلنطي غربا الى نهر الفرات شرقا واعترف الصليحي الشبعي بسلطان المستنصر بالله الفاطمي باليمن مسئة ٥٥٥ هـ ، وما زال النفوذ الفاطمي يمتد حتى وصل الى بغداد نفسها • وفي بغسداد كانت الأمور مضطربة أشد الاضطراب بين الطوائف المختلفة من سنة وشبيعة ، وبين الحنابلة والشافعية • والخليفة العباسي يتلفت حوله فلايجد الا هذه القوة السلجوقية التي برزت على مسرح العالم الاسلامي والتي تدين بالمذهب السني ، وهي تتلاقي بمذهبها مع آمال الخلافة العباســية في مقاومة النفوذ الشيعي الذي أخذ يهدد الخلافة تهديدا خطيرا: لذلك رحبت الخلافة العباسية بالسلاجقة ورأت فيهم القوة الفتية التي تستطيم أن تدعم الخلافة وتدافع عنها ، لذلك نجد الخليفة القائم العباسي يتفاضى عن أعمال طعرلبك وجنوده في بعداد ، غانه هين عسف الجند السلجوقي بالإهالي لم يطلب من السلطان أكثر من منع جنوده وعتابه على أعمالهم ، كما يكبح غضبه حين نكث طغرل بوعده بتأمين الملك الرحيم وقبض عليه، (م ۲۷ ـ العصر العباسي)

فاستسلم للامر الواقع ، بل أخذ يتقرب من البيت السلجوقي وتزوج من « أرسلان خاتون » ابنة داود أخى طفرابك (') •

أما السلاجقة فقد كانوا من السنة الحنفية ، وقد صـــاروا يفتحون المدن والبلدان ويتوسعون على حساب الدويلات الضعيفة ، وسسيطروا على أملاك البويهيين في ايران حتى أصبحوا على أبواب العراق ، وكان لابد لهم لكي يصبغوا عملهم بالصبغة الشرعية آن ينالوا اعتراف الخلافة وتأييدها ، وقد انتهزوا الظروف السيئة المحيطة بالخلافة لكي يلبوا دعوه الخليفة الذي أرسل يستنُجِد بطغرلبك ويدعوه للقدوم الى دار الخلافة ، فأظهر السلطان حين قدم الى بغداد غاية الاحترام للخليفة العباسي الذي استقبل السلطان بدوره أروع اسستقبال ولقبه ملك المشرق والمغرب ه غانهم كانوا يعلمون أن مهمتهم لم تنته بعد ، وأنهم سيصطدمون حتما بدول أجنبية من أجل توسم دولتهم ، كما أن السلاحقة وهم سمنيون متحمسون كانوا من أشد المناهسين والمعارضين للمذهب الشيعي ، وكانت مصلحتهم في هذا الصراع المرتقب أن تبقى الخلافة العباسية بأية صورة من الصور ، ليستفيد السلطان السلجوقي من الاعتراف الذي يمنحه له الخليفة ، اذ بذلك الاعتراف يحصل على التاييد الشعبي من العالم الاسلامي السنبي كله . ولكنهم لكي يسييطروا على شئون البخلافة نفسها رأوا أن يرتبطوا بها برباط وثيق من شأنه أن يرفع من مقامهم ، بل امتد بهم الطموح الى خلط البيت العباسي بألبيت السلجوقي خلطا غير مباشر ، وذلك بأن يتزوجوا هم من بيت البخلافة ، وهذا مطمح لم يسم اليه أحد من قبلهم ، وقد تم لهم ذلك حين خطب طعر لبك ابنة الخليفة العباسي لنفسه واضطر الظيفة الى قبول طلبه وتزويجه ، وفي هذا رهم لكانة السلطان السلجوقي الذي أصبح صهر الخليفة ، ومن المحتمل إن تلد ابنة الخليفة تن النملطان ولدا يرث العرش العباسي اذ فيه يجرى دم الخلفاء ، كما أنهم

۱۱۰ – ۱۹۹ – ۱۷۰ – ۱۷۰ النتظم : ج ۸ ، ص ۱۹۹ – ۱۷۰ .

من ناحية آخرى أصهروا الى البيت الخلافى بتزويج بناتهم من الخلفاء ، وحين ولمدت ابنة السلطان من الخليفة ولدا ، آجبز السلطان ملكشاه الخليفة على أن يجمل هذا الولد وليا لمهده ، ولمسا رغض الخليفة هدده السلطان باخراجه من بغداد (ا) .

لكتنا نلاحظ أن العلاقات الودية من الخلافة والدولة السلجوقية لم تستمر طيبة على طول المدى ، فان البيت السلجوقي لم يستمر في قوته واتحاده اذ ما لبث الخلاف أن نشب بين أفراده ، واتخلت الخلافة موقف المتفرج ، وكانت تتأرجح باعترافها بين مراكز القوة فهي تمنح الاعتراف للغالب ، ولا يمنع لدها من أن تمنح الاعتراف بالسلطة لأكثر من واحد في وقت واحد (1) ، ثم وجدت الخلافة غرصتها حين أصبح الصراع يهدد البيت السلجوقي كله ، فنشطت لاستمادة سلطانها وفعاليتها ، ووجدت في قيام الدولة الخوارزمية في المشرق وانتصارها على سلاجقة ايران خير ممن لها على اكمال المقضاء على القوة السلجوقية ،

ونلاحظ أن السلاجةة لم يتخذوا من بعداد مركزا من مراكزهم ، ولم يتقوا فيها أميرا ملحوقيا يتولى امرة الأمراء كما كان الحال فى المصر البويهى ، وانمسا استحدثوا منصين للاشراف على الأمور المسكرية والمدنية ، هما: وظيفة (الشحنة» وهى أشبه ما تكون بوظيفة المتصرف أو محلفظ المدينة ، ويتمتم شاغلها بسلطات بوليسية وادارية وهو مسئول عن ادارة المدينة والمحافظة على أمنها واسستقرارها ، وملاحقة الخارجين على النظام ، ومعاقبة المسيئن ، ثم وظيفة « العبيد » وتعاون السحفة وظيفة الشحنة ، اذ هو يشرف على العراق بأجمع ، ويتعاون المسحفة والعميد في ادارة المولاية والوقوف جنبا الى جنب على رأس قوات هربية اذا ما حدث ما يعكو الأمن () ، ولم يكن قدوم السلاطين أو المسئولين

⁽۱) الفخرى : ص ٢١٧ . (٢) انظر ابن الآثير في حوادث سنة ٢٩٦ ، ٣٩٣) ١٩٤ هـ .

⁽۲) انظر این الاتی ی شوست (۳) حسین آمین : ص ۲۰۱ -- ۲۰۲ ۰

السملاجقة الى بعداد الا بقصل التعرف على الأحوال أو التمتع بترف المدينة و واتخذوا دائما من ايران مقرا لهم لانهم لم يرغبوا غيما يبدو فى وجود زعامة منافسة لهم فى مقر الحكم و يحلاً كان الخليفة فى بعداد لمانهم لم يرغبوا فى جواره ، واكتفوا بنيابة أحد موظفيهم فى العراق يدبير شئوته ويرتب أموره و وقد أدى هدا فيما بعد الى آن تنشط الخلافة فى جو بعيد عن الوجود المباشر للسلطان السلجوقى و حتى تمكنت آخر الأمر من استرداد منطانها وضاليتها و

هذه هي المظهاهي العابة العصر السلجوقي آحظنا بها في إيجاز ، أما العصر السلجوقي أحظنا بها في إيجاز ، أما العصر السلجوقي فيمكن تقسيمه الى قسمين : عصر وحدة السلاجةة ، ثم عصر انقسسام السلاجةة ، والعصر الأول يشمل حكم السلاطان العظام : طغرلبك ، وألب آرسلان ، وملكشاه ، وينتهي بموت السلطان بركيارق سنة ١٩٩٨ م ، أما العصر الثاني نهيدة من سنة ١٩٩٨ م ، أما العصر التاني نهيدة من سنة ١٩٩٨ م ، أما العصر السلجوقي سنة ١٩٥٠ ه ، وسنلم باهم الأحداث في كان من هذين العصرين ،

عصر وحدة السلاجقة

يشعل محذا المصر حكم السلاطين العظام من آل سلجوق ، وهم : طغرليك ، وألب آرسلان ، وملكشاه ، وبركيارق ، وقد استطاع هؤلاء السلاطين أن يحتفظوا بوحدة السلاجقة برغم ما قام حدول المعرض من خلافات وحروب ، ويرغم ما أثير حول منصب الوزارة من منافسات ، غانهم بقوة شخصياتهم استطاعوا أن يقدروا الوحدة ، كما استطاعوا أن يتجهوا الى المجال الثغرى في المشرق والمغرب ، وأن يظهروا بأس العالم الاسلامي في الجبهة التوومية بصفة خاصة ،

لكن الخلافات التي ثارت حول تولى عرش السلطنة ، والمنازعات التي نشبت حول تولى الوزارة ، كانت عميقة متأصلة بحيث استطاعت أن تفرض نفسها على الوحدة السلجوقية وأن تؤدى آخر الأمر الى تفكك وحدة السلاجقة ، ثم تقضى على ملكهم •

كما أن أعمال السلاجقة فى الجبهة الرومية ، وانتصاراتهم على الدولة البيزنطية وتهديدهم لمتاكاتها تهديدا غطيرا ، أدى الى أن تستنبد بيزنطية والهدور الأوروبية ، وحين استجابت هنده القوى الى استنجاد الامبراطور البيزنطى فى حركة صليبية متحصسة ، غاتجهت المحملات الأوربية الى العالم الاسلامى كانت عوامل الفرقة قد سيطرت على المسلوقية وانشط بها السلاجقة ، فحقق الصليبيون انتصارات على المسلمين ، وانتزعوا منهم معظم بلاد الشام وهددوا مصر تهديدا خطيرا ، ولولا حيوية العالم الاسلامى وقيام قوى فى الموصل وفى مصر تهديدا خطيرا ، ولولا حيوية العالم الاسلامى وقيام قوى فى

أما علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية ، فقد بدأت طبية في هذا المحصر ، وزادها قوة ودعما المصاهرات التي تعت بين السلاجقة وببيت المخلافة ، لكن هـذه الملاقات ما لبئت أن شابتها الأكدار في الفترة الأخبرة ، حين بدا للسلاجقة طموح خرج عن مستوى مجرد التماون مع المحلافة ووصل الى هـد فرض القوة على المخليفة وتهديده باخراجه

من بغداد ، الأمر الذى أرخى عقدة الرباط بين البيتين ، مما جعسلا .
الخليفة فيما بعد يقف موقف المتفرج من الصراع السلجوقى ويتحين ،
الفرص لاعادة قدة الفلافة و فعاليتها ، حتى اذا ما سنحت
للخلافة هذه الفرصة فى عهد تمزق الوحدة السلجوقية وانهيار توتها
فى المشرق والمغرب ، ضربت الخلافة ضربتها غاكمات اسقاط السلاجقة
وأعادت نفوذها متعاونة مع قوى جديدة ظهرت فى مشرق المالم

طفىرابىك :

يمتر طغرلبك رأس السلاجقة من الوجهة العملية ، غهو الذي تولى السلطنة بعد انتصار السلاجقة على مسعود الغزنوى في سنة ٢٩٤ هـ ، وتحت زعامته أتمام السلاجقسة دولتهم التي شملت المشرق الاسلامي والعراق وأطلت على المصرب الاسلامي والعراق وأطلت على المصرب الاسلامي وعلى حدود الدولة المبيز طية ، وهدو الذي وضع الأساس المتن لهدده الدولة ، هأقام خلفاؤه البناء شامها من بعده ، هدوره في الحقيقة يمتبر دور التأسيس للدولة السلجوقية وقد عرضنا لاعمال طغرلبك هيما سبق حتى اذا ما مات فهسنة ٥٥٥ه ، تولى عرض السلاجقة ابن أخيه البارسلان،

الب آرسالان:

حين مات طغرلبك ، لم يكن له ابن يرث العرش ، غبرزت مشكلة ولاية السلطنة بعد وغاته ، وأصبحت مثار التناغس بين أغراد البيت السلجوةي ،

وكان أخوه جفرى قسد توفى من قبله فى عام 60 هـ، تاركا عددا من الأبناء كان أكبرهم ألب آرسلان الذى خلف أباه فى حكم خراسان وما وراء النهر (') ، وكان على حكمها حين مات عمه سنة 60 هـ، وكان طبيعيا أن يعتبر ألب آرسلان نفسه أحق أغراد البيت السلجوقى بعرش السلطنة ، كما كان له وزير قوى النفوذ عظيم الكفاية هسو أبو على

⁽۱) ابن الاثیر: ج ۱۰ ۵ من ۳ ۰

حسن بن على بن اسحاق الطوسى الملقب بنظام الملك ، وكان هذا الوزير واسع الطموح ، يرغب فى أن يكون وزيراً لسلطان السلاجقة ، مجمع ألب آرسلان على طموحه وزكي رغبته فى عرش السلطنة . وكان مناء تسد تزوج بأرملة أخيه جفرى بعد موته ، ولها ابن منه يسمى سليمان ، غاستطاعت أن تؤثر على السلطان حتى اختار ابنها وليا للمهد برغم صمر سنه ، ونفذ وزير طغرلبك أبو نصر الكندرى وصية مولاه غاجلس سليمان على عرش السلطنة بمدينة الرى وأهر أن الخطبة باسمه ،

لم يقبل ألب آرسلان سلطنة أخيه الأصفر ، غصمم على السير الى الرى ، ولقى تصميمه هسغا هوى فى نغوس كثير من أغراد البيت السلجوقى فاختاروا جانبه ، بل ان بعضهم نادى به سلطانا وخطبوا له فى قزوين باسم عضد الدولة ألب آرسلان محمد بن داود جعرى بك ، وخشى الكندرى معبة الأمر ، فانضم الى ألب آرسلان وأمر بأن تقرأ الخطبة باسمه فى الرى وبأن يكون سليمان وليا لمهده (١) ، وبذلك استنب الأمر السلطان ألب آرسلان فى ذى الحجة سنة ٤٥٥ هـ واعترف به رئيسا للبيت السلجوقى وسلطانا على السلاجقة ،

لكن أميرا سلجوقيا آخسر رأى الله أحق بالنبلطنة هو « قتامش ابن اسرائيل » بن عم جغرى بك وسار الى الرى بقسواته واستولى عليها وأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة • فأسرع ألب آرسلان ومعه وزيره نظام الملك الى الرى على رأس، جيش كبير ، والتحم مع قتامش في معركة طاحنة بالقرب من مدينة الرى انتهت بانتصار ألب آرسلان وقتل قتامش ، ودخل ألب آرسسلان الرى فى عام ٢٥٦ ه ، وبذلك انتهت مشكلة السلطنة واستنب الأمر الألب آرسلان ون منازع (٢) •

وفى الوقت الذي كان الصراع يجسري نيسه بين أغسراد البيت

⁽۱) ابن الأثي : ج ١٠ عن ١١ . الراوندي : ص ١٨٥ .

⁽٢) ابن الأكير : ج ١٠ ع ص ١٣ -- ١٤ ٠

السلجوقى على تولى عرش السلطنة ، كان صراع آخبر يحتدم على الوزارة ، بين نظام الملك الذي لم يشأ أن يبقى الى جانبه من ينالهسه ، وبين الكندرى وزير حلفرلبك الذي أراد أن يحتفظ بمركزه ، وعلى الرغم من أن الكندرى تقرب الى نظام الملك وأكد ولاء للسلطان المجدد ، فان نظام الملك خوف السلطان من الكندرى حتى حمله على القبض عليه وسجنه في مدينة نسا (۱) ، ثم ما زال يغرى السلطان به حتى أمر بقتله ،

وقد نجح نظام الملك في المتخلص من منافسه ، ولكنه استن بذلك سنة سيئة في عصر السلاجقة ، أدى العمل بها الى قتل عدد من وزراء السلاجقة ، وقد اكتوى بها نظام الملك نفسه ، وتحقق ما قاله الكندري لقاتله منبها لخطر هذه السابقة « قل لنظام الملك: بئسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ، ومن حفر قليبا وقم فيه » (٢) ،

وعلى أى حال غان مشكلتى العرش والوزارة حلتا بعد أن استنفدتا أكثر من عام من عصر ألب آرسالان ، ثم أخذت أوضاع السلاجة تستقر فى بداية عام ١٤٥٧ ه ، وبدأ ألب آرسلان يسير فى بناء الدولة قدما على الأساس ألذى أرساه طغرلبك فى ايران والعراق ، ويرسم الأهداف التى يسعى الى تحقيقها •

كان ألب آرسلان قائدا ماهرا ، كما كان وزيره نظام الملك سياسيا محنكا بعيد النظر ، غرسما خطة العمل على الاسلام العسكرى والسياسي معما ، وذلك بأن يدعما سيطرة السلاجقة على العالم الاسلامي بالاتجاه الى التوسع في البلاد المسادية للاسلام ، وهي الإقاليم المسيحية المجاورة لايران كللاد الأرمن وبلاد الروم ، ولأن

 ⁽۱) عبد المنعم حسنين : ص ٥٠ . يقــول ابن الاثير انه سسجنه في مدينــة مرو الروذ ٤ ج ١٠ ، م ١١ ،
 (۲) ابن الاثير : ج ١٠ ، م ١٧ .

هــذا سوف يطبع أعمالهم بطابع الجهـاد الدينى مما يكسبهم عطف المسالم الاسلامى ورضاءه ، وبهـذا يستقر حكم السلاجقة فى البلاد الاسلامية وتتسنع فى نفس الوقت أرجاء دولتهم •

وبينما كان ألب آرسلان يستمد لتحويل نشاطه نحو هذا الاتجاه ، موجى عما جمله يعدل خطته ويؤجل أعماله الخارجية الى حين ، بوذلك ان ختنة جديدة أطلت برأسها يقودها عمه « بيغو » الذى كان حاكما على هراة ، والذى عز عليه أن يكون تابعا لابن أخيه ، فأعلن المصيان وحاول الاستقلال بالمناطق الخاضعة لحكمه ، فأدرك ألب آرسلان أن عليه أولا أن يثبت أركان حكمه في جميع أجسزاء دولته ، بتأديب أهدافه الخارجية وهو مطمئن الى جبهته الداخلية ، وعلى هذا الأساس أحدافه الخارجية وهو مطمئن الى جبهته الداخلية ، وعلى هذا الأساس تشبح له أهداف قريبة وأهداف بعيدة ، فأما أهدافه القريبة فهي تتبيت أركان حكمه في كل البلاد المخاضعة لنفوذ السلاجقة ، وأما أهدافه البعيدة ، فهي هتح البلاد المسيحية المجاورة لدولته ، ثم العمل على استقاط الحكلافة الفاطمية في مصر ، وتوحيد المائم الاسلامي تحت راية المخلافة المساسية السنية ، وحكمه بواسطة السلاجقة ،

ولتحقيق أهدافه الأولى ، ولى وجهب شطر هراة نقاتل عصه «بيغو » وألحق به هزيهة فى سنة ٤٥٧ ه ، جملته يتعهد بعدها باطاعة السلطان ، وانتهز ألب آرسلان فرصة وجوده فى هذه البلاد ، فقام بتأديب كل من تخشى ثورتهم من أمراء هذه النواحى ، وأعاد الأمن الى نصابه فى جميع أنحاء خراسان وما وراء النهر ، ثم رجع الى مدينة نيسابور(١) • ثم أخذ بعد ذلك يتفقد أجزاء تولته المتراهية الأطراف ، وقد داستفرقت هذه الجولة نحو خمس سنوات ، أقر غيها الأمن فى كل البلاد السلجوقية ، وحتى لا يتجول ظهره معرضا الطعنة تأتى من

⁽۱) ابن الانسير ، ج ، ار ، الله ما ، عبد النعيم حسنين : ص ٥٣ ،

الخلف في أثناء تحركه غربا نحو البلاد المسيحية ، رأى أن يؤمن جانبه من ناحية الدولتين الشرقيتين اللتين لا ترال غيهما بقية من القوة على حسدوده الشرقية ، وهما الدولة الغزنوية في غزنة والهند ، والدولة الخانية في ما وراء النهر ، ورأى نظام الملك أن السياسة أنفع في معاملة ماتين الدولتين ، وخير وسيلة لذلك هي ربطهما برباط الماهرة مع البيت السلجوقي ، غزوج السلطان ابنيه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر ، وزوج ابنه آرسلان شاه بابنة صاحب غزنة ، وبذلك ارتبطت الدول الثلاث برباط المصاهرة ، و اتنفت الكلمة (١) ، وهذا بالسلاجقة غانصرف السلطان الى تحقيق أهدافه الكبرى ، وقرر أن يبدأ السلاجقة غانصرف السلطان الى تحقيق أهدافه الكبرى ، وقرر أن يبدأ بغتج الإقاليم المسيحية المجاورة لدولته وهي بلاد الأرمن وجورجيا على معتلكات الدولة البيزنطية ،

وفى مدة قصيرة تمكن ألب آرسلان ــ بعد أن تجاوز آذربيجان ــ من الاستيلاء على الجــزء الأكبر من البلاد الواقعة بين بحيرتى وان وأورومية ، كمــا فتح جورجيا وبلاد الأرمن ، وبسقوط مدينــة « آن Anl » عاصمة أرمينية القديمة وهى الحصن الذى وقى الامبراطورية البيزنطية ثمر الغزوات الشرقية ، انفتح المجال أهام القوات السلجوقية لتكيل الضربات السريعة للروم فى الولايات الأرمينية والأنافسولية والكبادوكية ، وتتوسع فى حركاتها فى آسيا الصغرى حتى وصلت الى عمورية فى مقاطمة فريجيا ـ بعد أن ضربت كبادوكيا كلها () ،

وأغضبت هتوحات ألب آرسالان امبراطور الروم « رومانوس ديوجينس Romanos Diogénes » الذي قاد في حماس بالغ الى ميدان القتال كل رجل استطاع أن يجنده من الولايات الأوروبيسة والآسيوية ، وظل ثلاث سنوات متواليسة يروح ويجيء في أرمينيا

⁽١) ابن الأثير : ج ١٠ ٤ من ٢٥ .

⁽٢) أومان : الامبراطورية البيزنطية : ص ١٩٦ - ١٩٧ .

وكبادوكيا محاولا ضرب القوات السلجوقية بدون جدوى ، ثم قصد سورية لضرب القوات الاسلامية ، وفعملا ألحق الهزيمة بقوات أمير حلب الذي كان يدين بالولاء للفاطميين ، ولكنه لم يستطع تحقيق نصر دأئم واضطر الى التراجع (١) ٠

وأتاحت أعمال امبراطور الروم فى الشام للسلطان ألب آرسلان الفرصة التحقيق هدف آخر من أهداف السلاجقة وهـو القضاء على الخلافة الفاطمية في الشام تمهيدا للقضاء عليها في مصر ، فأرسل جيشا بقيادة ابنيه ملكشاه لفتح بلاد الشام ، وحين أحس أمير حلب بقدوم الجيش السلجوةي خلع طاعة الفاطميين وانفسم للسلاجقة وخطب للخليفة العباسي ، وبذلك اتقى خطر الغزو السلجوقي لبلاده . كما تمكن ملكشاه من الاستيلاء على جزء كبير من بلاد الشام ، ووضع يده على بيت المقدس عام ٤٦٣ ه / ١٠٧٠ م ثم حاصر دمشق ، غير أنه لم يتمكن من منتحها في ذلك الوقت (١) • وبهذه الأعمال في بلاد الشام نجح السلاجقة في تأمين الجيش السلجوقي الرئيسي الزاحف الى بلاد الروم وتمهيد سبيله ٠

وأدرك الامبراطور ما يرمى اليه السلاجقة غقام بحركة مضادة ، لهقد جمع جيشا جرارا يضم أخلاطا من الشعوب السيحية ، تمثل المروم والمفرنسيين والبلغار واليونانيين والجورجيين ، وذرع به آسيا الصغرى ، وتوغل شرقا حتى عسكر عند « ملاذكرد Mansikert الواقعة على الحد الأرمني بالقرب من مدينة « خلاط » • وبعد مناوشات مع مقسدمة الجبيش الرومي أدرك السلطان أن من الصعب عليه أن يقاتل مثل هــذا الجيش ، وبخاصـة أنه لم يستطع أن يجمع قواته المتى كانت مبعثرة ، نفضل أن يطلب الصلح ، وأن يؤجل ما عزم عليه من غـــزو بلاد الروم حتى يكمل استعداده • ولكن امبرالطور ألروم

 ⁽۱) ابن الأثير : ج ۱۰ ع من ، اوبان : من ۱۹۷ .
 (۲) ابن الأثير : ج ۲۰ ع من ۲۳ – ۲۰ .

وكان معتدا بقوته ومتلهف على ضرب السلاجقة ، رد على رسكول السلطان بأن الصلح لا يتم الا في الري عاصمة السلاجقة •

أزعج السلطان هسذا الرد المتكبر من الامبراطور ، وألهب فى الوقت نفسه حماسه الدينى ، غأعلن لجنوده أن الاسسلام فى خطر ، واستثار عواطفهم الدينية بما أبداه من تضرع لله حتى لقسد نزل عن جواده ومرغ وجهه فى التراب خضوغا لله واستمطارا لنصره • وبذلك صبغ عمله بصبغة الجهاد الدينى •

وفي حماسة بالمنة من كلا الطرفين التحم الجيشان في معركة عاصفة انتهت بسحق الجيش الرومي سحقا تاما ، حتى فرشت ساحة القتال بجثث رجاله ، ووقع رومانوس نفسه أسيرا في أيدي السلاجة ، وحمل الى السلطان في ذلة ، ولكن هذا عامل عدوه المهزوم بكرم ، وقبل أن يفتدي نفسه بعد أن عقد ممه مماهدة مدتها خصون عاما ، تمهد غيها أمبراطور الروم بدفع الجزية السلاجقة ، وبأن يرسل للى السلطان عساكر الروم حين يطلبها ، وبأن يطلق له كل أسير من المسلمين في بلاد الروم ،

وهين عاد الامبراطور الى بلاده لقي مصيرا مؤلما ، فقد وثب « جون دوكاس » على السلطة ، وقبض على الامبراطور المهزوم وعذبه وسمله فمات بعد أيام قليلة ، ولكن خلفه لم يستطع الا أن يقر الماهدة التى وقعها مع ألب آرسلان ، وبذلك صرف الروم نظرهم نهائيا عن آسيا الصغرى (ا) ،

كانت موقعة ملاذكرد سنة ٤٦٣ ه / ١٠٧١ م نقطة تحسول في التاريخ الاسلامي بصفة عامة ، وتاريخ منطقة غربي آسيا بصفة خاصة ، غاما في التاريخ الاسلامي ، غان السلامة ــة قسد واصلوا

⁽۱) ابن الاتي: ج ۱۰ ، ص ۲۶ ــ ۲۵ ، الراوندى: ص ۱۸۹ .اوبان: ص ۱۹۷ ــ ۱۹۹ .

كفاح العرب ضد الروم ، واستطاعوا بهذا النصر أن يزيلوا الروم كمدو ظل يصارعهم منذ خروج العرب من الجزيرة العربية الى المجال المخارجي في الفتوح الكبرى ، وقد كان الروم يحرصون على وضع أيديهم على بلاد الأرمن وما جاورها ويعتبرونها القنطرة بين المسرب والروم تبل الاسلام ، ثم حاول المسلمون وضع أيديهم عليها وبسط نفوذهم فيها الاسلام ، ثم حاول المسلمون وضع أيديهم عليها وبسط نفوذهم فيها بكل السبل ، لكن النفوذ الرومي بقى قويا طاغيا ، حتى كانت موقعة ملاذكرد هدذه فلصد النفوذ الرومي ينصر شيئا خشيئا حتى زال تعاما ، ثم ان انصار الروم عن هدذه المنطقة أدى الى تدخل قوى مع قوى أوروبا المسيحية فيما عرف بالحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين ، ثم ان انحسار الروم عن هدذه المنطقة أدى من الناهية نحو قرنين ، ثم ان انحسار الروم عن هدذه المنطقة أدى من الناهية الصارية الى انتشار الحضارة الإسلامية في هدذه المبلاء بعقائدها ونظمها وكدابها وجعيم مظاهرها ،

وأما من ناحية تاريخ منطقة غربي آسيا ، غان موقعة ملاذكرد يسرت القضاء على النفوذ الروجي في أكثر أجزاء آسميا الصغري مما ساعد على القضاء على الدولة البيزنطية نفسها بعد ذلك على أيدى الأتراك المثمانين و وبذلك شمل الاسمالام كل منطقة غربي آسيا بل قفز منها مع التقدم المثماني الى شرق أوريا و

أما السلطان ألب آرسالان غانه لم يمش طويلا بعد انتصاره فى ملاذكرد ، غقد قتل بعد عام وبضعة أشهر من هذا القوز العظيم ، على يسد أهد الثائرين فى المشرق ، وذلك أنه بعد أن غرغ من قتال الروم توجه الى المشرق لقمع فتنة قام بها الخانيون ، وجبر نهو: جيمون فى أوائل عام ٢٥٥ ه / ١٠٧٢ م وهاجم الحدى القالاع والثائرة واستولى عليها ، ولما قبض على قائدها وكان يسفى يوسفة الخوارزمى أراد السلطان أن يقتله بنفسسه لشدة عناده وشتهه

السلطان ، ولكن هـذا هاهمه بسكين كان يخفيها وطعنه طعنة نافذة مات منها بعد أيام ، ودنهن بمدينة مرو بعد حكم دام تسعة أعسوام ونصف تقريبا (١) •

ماكشاه :

كان ملكشاه مع والده في حملته على المشرق • غلمـــا تمثل والده جلس على العرش بوصية منه ، وكتب السلطان ملكشاه الى الخليفة فى بعداد ليصدر له التفويض بالسلطنة وليأمر بذكر أسمه فى الخطبة فأجيب الى ما طلب (٢) • عير أن عمه « قاورد » الذي أوصى له ألب آربسلان بكرمان وفارس ، لم يطب نفسا بتولى ابن أخيب السلطنة ، فضوح بقواته من كرمان قاصدا الرى معلنا أنه أحق بالسلطنة ، ولكن ملكشاه ووزيره نظام الملك سبقاه اليها ، ثم سار اليه غالتتيا به بالقرب من همذان ، وتمكنا بمساعدة أمراء المسرب والأكراد من الأنتصار عليه ، حيث أمر ملكشاه بقتله تخلصا من شرَّه ، ولكنه أقر كرمان بيسد أولاده ، فتوارثوا حكمها زمنا طويلا الى علم كرمان » • وكذلك كافأ السلطان العسرب والأكراد باقطاعات كثيرة لما أبدوا في الحرب من بسالة وبلاء ، أما نظام الملك مقد علا شأنه ، غرد السلطان الأمور كلها اليه وأقطمه اقطاعا واغرا وخلع عليه ولقبه القابا من جملتها لقب « أتابك » ومعناه الأمير الوالد ، وذلك ألل الطهر من كفاية وشجاعة وحسن سيرة (١) •

فتوهات ملكشاه :

ما كاد الأمر يستقر الكشاه حتى انصرف الى اكمال « البرنامج » الذي رسمه أبوه ، وهو بسط نفوذ دولة السلامِقة حتى تشمل جميع

⁽۱) ابن الأثير : ج ۱۰ ؟ ص ۲۷ ٠٠.

⁽٢) نفس المندر : من ٢٨ . (٢) نفس المنسدر : من ٢٩ سـ ٣٠ .

أنداء المالم الاسلامى ، وبدأ غولى وجهه شطر الشام وكان هو قد حخلها من قبل فى حياة أبيه حتى وصل الى بيت المقدس عام ٣٠٤ ه غلما ولمي المعرش اتجه الى اتمام ما بدأه فى عهد أبيه ، فتوغلت جيوشه حتى استولت على معظم بلاد الشام ، ثم أرسل جيشا دخل الأراضى المصرية وتوغل حتى وصل القاهرة وحاصرها ، ولكنه لم يستطع فتمها لاستحالتة الفاطميين فى الدفاع عنها (أ) ، فاضطر جيش السلاجقة الى الارتداد الى الشام ، ولم يفكر بعد ذلك فى غزو مصر مرة أخرى ، غير أن المسلاجقة حرصوا على تأمين بلاد الشام وانتزاعها نهائيا من الماطميين ، واذلك أسند السلطان ملكشاه أمر بلاد الشام الى أغيه متاجع الديين تتش فى عام ٧٠٥ ه ، وسمح له بفتح ما يستطيع فتحه من تأخاليم المجاورة وضمه الى حوزة السلاجقة ،

وفى سنة ٧٠١ م اتجه « تتش » الى حلب ليميدها الى حوزته ، واكنه علم بحصار جيش الفاطمين لدينة دمشق ، هفف بغواته للمحدقة المناسب ، فانسحب الجيش الفاطمى دون قتال ودخل تتش مدينة حمشق واتخذها قاعدة لحكمه ، وأسس هيها دولة « سلاحقة الشام » (٧) •

وفى نفس الوقت الذى عين غيه ملكشاه أخاه تتش على الشسام عين سليمان بن قتامش واليا على البلاد التى غتمها السلاجقة فى آسيا المسفرى ، غوضع سليمان يده على ولايتى قونية وآق سرا ، ويحسد سليمان هذا هو المؤسس الحقيقى لمولة « مىلاجقة الروم » التى كتب لما أن تكون الحول دول السلاجقة عمرا ، غقد ظلت تحكم هذه البلاد اللى عام ٧٠٠ ه / ١٣٠٠ م ، وقسد تمكن سليمان من توطيد نفسوذ السلاجقة فى آسيا الصفرى ، ثم حاول التوسع بفتح أقاليم جديدة ، همتاح أنطاكية عام ٧٠٧ ه / ١٠٥٨ م ، وكانت أنطاكية من بلاد الشام

۱۱) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٧ – ٢٩ ٠

⁽٢) نفس المستدر : من ٤١ •

غير أنها كانت قحت حكم الروم مند عام ٣٥٨ (١) • ولذلك فان. ختمها كان بالنم الأهمية لأنه أوصل نفوذ السلاجقة الى سواحل البحر المتوسط ،

لكن غتج سليمان لمدينة أ: الكية أوقسع الفرقة بين أغراد البيت السلجوةي ، اذ بدأ التنازع بين سليمان وتتش ، فقد هاول كل منهما أن يوسم منطقة نفوذه ، ففكر ف الاستيلاء على جسز، لهن الأقاليم الخاصُعة للآخر • وقد بدأ سليمان بالعدوان ، اذ أنه بعد أن متح أنطاكية اتجه الى حلب ليضمها لحكمه ، وهاصرها حصارا شديدا حتى استنجد حاكمها بتتش ، وصادف هذا هوى فى نفس تتش فتقدم بقواته لصد سليمان عنها • ودارت بين الطرغين معركة هامية قتل غيها سليمان عام ٤٧٩ ه / ١٠٨٦ م ودخل تتش علب ه

غير أن السلطان ملكشاه أحس بخطورة الخالف بين فروع السلاجقة ، فتقدم بنفسه الى بلاد الجزيرة والشام ، وأخضع في طريقه ما صادغه من قلاع كانت لا تزال تحت حكم الروم مثل الرها . غلما اقترب من حلب رحل عنها تتش الى دمشق ، قدخلها السلطان وطمأن أهلها (٢) ، وفصل بين الطرغين المتنازيمين ، فأقر تتش على بلاد الشام ، كما أقر أبناء سليمان على بلاد الروم .

وحين غرغ ملكشاه من القرار الأمور في الجزء الغربي من دولته رحسل الى بغداد حيث توطدت بينه وبين الفسلافة أواصر الصلة . أذ زوج ابنته الى الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله أوائل عام مه م / ١٠٨٧ م (T) ، غازداد نفسوذ السلاجقة بذلك استقرارا في جميع المناطق التي تحت أيديهم وأصبحت قوتهم أكبر قوة في المشرق الاسلامي ، وآن للكشاه وقد وطد دولته في المغرب أن يتجه الى

⁽۱) ابن الأثير: ج ١٠) من (١) ،

⁽٢) نفس المستدر : من ٥٥ . ٢١) ندر الدر در : البرر

المشرق لبخضع التليم ما وراء النهر ، حتى يثأر لمقتل والده في هـــذه الديار ، وقد واتته الفرصة حين شكا اليه علماء ما وراء النهر من ظلم أميرها أحمد خان وكان صبيا قبيح السيرة في الناس ، حتى استغاثوا بالسلطان وسألوه القسدوم عليهم ليملك بالادهم و ولهسذا دلالته غان المسلمين في تلك المقاع كانوا ينظرون المي السسلاجقة على انهم حمسلة الاسسلام والسلمين ، ولم يفوت السلطان هذه الفرصة مِل تقسدم بقواته الى بلاد ما ورا، النهر ، غهزم أحمد خان واستولى على بلاد ما وراء النهر كلها ، ثم تجاوزها الى اقليم كاشغر حيث خضع له واليها (١) ، وبذلك بلغ ملك السلاجقة أقصى اتساعه شرقا وغربا ، فقد شمم المناطق الواقعة بين كاشفر في الشرق وأنطاكية في الغرب، أى من هدود الهند شرقا الى البصر المتوسط غربا ، وضم تحت لوائه ألاليم ما وراء النهر وايران وآسيا الصغرى والمسراق والشسام . وليؤكد نظام اللك مدي قوة السلاجقة أمام خصومهم ، أمر رسول ملك الروم الذي جاء بالجزية المفروضة على بلاده ، منسذ موقعسة ملا ذكرد ، أن يحملها الى السلطان وهو في كاشفر ، كما أمر الملاحين الذين يعملون في نهر جيجون بأن يحملوا الرسوم المقسررة عليهم الي عامل السلطان في أنطاكيــة .

بعد أن نجح ملكشاه فى اقرار هبيته فى جميع أجزاء دولته المترامية الأطراف عاء الى أصفهان ، غير أن الأحسدات لم تلبث أن تطسورت تطورا آخسر ، نقد أطلت برأسها على مسرح الأحداث فى ايران تسوة رهبيسة ، أخذت تفشل دورا موجها فى تاريخ الدولة السلجوقية كان له آثار واضحة فيما بعد ، ونعنى بهدة القسوة طائفة الاسماعيلية ،

الاسماعطية:

الاسماعيلية احدى غرق الشيعة ، ويقولون باثبات الامامة الى

١١ - ١٢ - ١٢ من ١٣ - ١٢ .

⁽٢) نفس المندر : ص ١٣. ، عبد النميم حسنين : ص ١٩ ، ; [م ٣٨ ــ العصر العبدي)

اسماعيل بن جعفر المسادق ، ويرون أنه أحق بالامامة من أخيسه موسى الكاظم ، ومن أهم مبادئهم ايمانهم بالامامة ، لأن العقل وحسده يقصر عن الوصول الى معرفة اللسه معرفة حقة ، ولذلك يرون أنه لابد أن يعرف النساس امامهم وأن يبايعوه ، ومن أجل ذلك قالوا « ان من مات ولم يكن أن يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية » (*) ،

ومن أهم الأسس التى يقوم عليها مذهبهم ايمانهم بأن المعيدة ظاهرا وبالمئنا ، والمتنزيل معان ظاهرة يعرشها النساس وأخرى ماطنسة "يعرفها الامام ولذلك سموا بالباطنية ،

وقد انتشر دعاة الاسماعيلية في جميع الأقطار الاسلامية سترويج ندعونهم وقد تمكنوا من اقتساع بعض الأمراء والقبائل والأفراد باتباع مذهبهم و وأتيح لهم أن يقيموا لهم دولاً: منها دولة القراملة في عام ٢٨٨ هر ١٨ هم أن يقيموا القراملة من بهيط لطانهم على كثير من مدن الشام والعراق وعمان والبحرين ٤ كمسا استولوا على مكة ، وظلوا يهعثون الرعب في تلك النواحي ٥ كمسا استطاعت طائفة من الاسماعيلية أن تصل الى شمال أفريقية وأن تتجع في عام ٢٠٩ هر ١٩٠٩ م في اقامة الدولة الفاطمية التي امتسدت على الشمال الأفريقي وأخذت مصر والشام وبلغ نفوذها بغداد نفسها ١٠

اما في ايران فقد انتشر النفوذ الاسماعيلي في بعض أجزائها ، وازداد هذا النفوذ في العصر الساماني في عهد نصر بن أحمد ، وكذلك في أثناء حكم الزياريين .

ولكن همذا النفوذ ضعف بعد غلبة الغزنويين ، وتلاشى تقريبا مى بداية العهمد السلجوقى لشدة تحمس السملجقة للمذهب السنى وتعقبهم للاسماعيلية ،

⁽۱) الشهرستاني : الملل والنحل : ج (۱) من ۱۹۲ - ۱۹۲ هـ

غير أن النفسوذ الاسماعيلي عاد الى الظهور في عصر ملكشاه ، وأصبح قويا مرعبا على يد الحسن بن محمد بن الصباح ، الذي طوف في البلاد حتى وحسل الى مصر وأقام فيها عاما ونصف عام ، انضم في خلال هذه المدة الى أنصار نزار بن المستنصر .

وذلك أنه حسدت نزاع حول ولاية العهد بين ابنى المستنصر: نزار ، والمستعلى ، فانقسم الاسماعيلية بينهما ، ولم يتمكن نزار من الوصول الع العرش ، فقد هزم وأسر ومات فى الأسر ، ولكن أثباعه (نتشروا يروجون للمذهب النزارى ،

وقد استطاع الحسن الصباح أن يكون قوة كبيرة من الاتباع في ايران وبهذه القوة استولى على قلمة (ألموت) في عام ١٨٩ ه / ١٩٠٨ م وكون له دولة وكثر مريدوه • وقد ربى أتباعه على المدائية ، واستطاعوا تكوين مصاقل قوية حصينة لهم في أتاليم المجال • اتخذ الاسماعيلية طريق اغتيال أعدائهم من القواد والأمراء والخلفاء والسلاملين ، وسيلة لازالة كل معترضيهم ، الأمر الذي أثار قلقا شديدا في جميع أنحاء الدولة السلجوقية غماش الناس في خوف واضطراب يتوجسون خيفة من هؤلاء الفدائيين •

وكان أبرز عمل ينسب الى الاسماعيلية فى عهد السلطان ملكساه هو قتلهم لوزيره نظام الملك فى شهر رمضان من عام ٤٨٥ ه / ١٠٩٢ م ويقال ان السلطان كان قد ضاق بقوة نفوذ نظام الملك ، غدبر مؤامرة للقضاء عليه ، غتم قتله على يد غتى من غتيان الاسماعيلية الفدائيين()،

والواقح أن مكانة نظمام الملك كانت قسمد تزعزعت فى أيامه الأخيرة ، وذلك لأق أهله وأتباعه استغلوا مركزه ونفوذه نمسيطروا على حيراكز الدولة ، ولم يحسنوا السيرة معتمدين على قوة شخصية نظام

⁽¹⁾ این الاثیر : ج ۱۰ ، ص ۷۱ ،

الملك وسوابق خدمته ، ولما كان نظسام الملك قسد تقدمت به السن وأصبح شيخا كبيرا محطما غانه كان فى حاجة الى الاستمانة بأهله وأتباعه ، ولم يكن فى مكنته السيطرة عليهم وتقويم معوجهم ، الأمرر الذى جمل السلطان ملكشاه ينفر من نظام الملك ويحاول التخلص منه عضمة التحرمة التاسم سنذا الشعور من السلطان لمنافسي نظام الملك وحساده منصة الدس بينه وبين السلطان حتى يزيدوا من حدة الخلاف بينهما وكما أن نظام الملك قسد وقع فى خلاف مع « تركان خاتون » روجة السلطان التى كانت ترغب فى أن يكون ابنها محمود وليا للمهد ، بينما كان نظام الملك يريد تولية « بركيارق » الابن الأكبر اذ أن محمود كان طفلا لا يتجاوز الرابعة ، ولذلك انضمت تركان خاتون الى أعداء نظام الملك ، ولما كانت ذات نفوذ قوى على السلطان وكانت تتدخله فى السياسية وفى تصريف شئون الدولة ، غانها تمكنت من التأثير على السلطان حتى ساء ظنه بنظام الملك وخكر فى عزله ،

وجاء حادث أتم صورة الخلاف بين الرجلين ، وأعلن الوحشة بينهما ذلك أن حفيدا لنظام الملك كان جسده قسد ولاه رئاسة مدينة مرو غثار نزاع بينه وبين متولى الشسحنة من قبل السلطان ، هحملت «عثمان » حفيد نظام الملك حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على أن يقبض على متولى الشحنة ويهينه ، ثم أطلقه فقصد السلطان مستنينا شاكسا ه

ولما كان السلطان قهد أبعض نظام الملك وأحب القضاء على نفوذه ونفوذ أبنائه وأتباعه ، غانه هم بخلع وزيره ، غير أنه خشى إن غمل أن تنتشر الفوضى والإضطرابات فى أنحاء الدولة ، نظرا لكثرة أتباع نظام الملك ، ولأن كثيرا من رجال الجيش كانوا يصونه ويؤيدونه ويمونه موءوأتباعه وأبناؤه ، غائر السلطان أن يلجأ الى التهديد بالعزل لعله برهب نظام الملك غيضف من سيطرة أتباعه ، غأرسل له برسلة شديدة اللهجة ، وأحس فى اغاظة الوزير واغضابه ، غأرسل به رسالة شديدة اللهجة ، وأحس فى اغاظة الوزير واغضابه ، غأرسل

الرسالة مع جماعة من أرباب دولته منهم شخصان من ألد أعداء نظام اللك ۽ هما تاج الملك الشيرازى ومجد الملك القمى • وقد وجه السلطان الكلام الى الوزير قائلا « ان كنت شريكى فى الملك ، ويدك مع يدى فى السلطنة فلذلك حكم • وان كنت نائبى وبحكمى فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة • وهؤلاء أولادك قدد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة . وولى ولاية كبيرة . ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمن السياسة ، وطمعوا الى أن فعلوا كذا وكذا ، وأطال القول » (ا) •

ولمسا وصلت رسالة السلطان الى نظام الملك كان رده منبئًا عن اعتدائه واستمساكه بمركزه ، وكان يحمل من التهديد للسلطان أكثر-مما كانت تحمل رسالة السلطان له ، فقسد قال أبلغي رسالة السلطان « قسولوا للسلطان : اذا كنت ما علمت أنى شريكك فى الملك غاعلم ، غانك ما نلت هـذا الأمر الا بتدبيري ورأيي ، أما يذكر حينمعا قتل أبوه ، فقمت بتدبير أمره ، وقمعت الخسوارج عليه من أهله وغيرهم منهم غلان وغلان ــ وذكر جماعة من خــرج عليه ــ وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزمني ولا يخالفني ، غلما قدت الأمور اليه ، وجمعت الكلمة عليه ، وفتحت الأمصار القريبسة والبعيدة ، وأطاعه القساصي والداني ، أقبل يتجنى لي الذنوب ، ويسمع في السعايات » ، قولوا له عنى « أن ثبات هــذه القلنسوة معذوق بهــذه الدواة ، وأن اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ، ومتى أطبقت هـذه زالت تلك . هان عزم على تعيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه ، وليأخذ الصدر، من الحادث أمام طروقه » • ثم وجه الكلام اليهم قامدا اشعارهم مِقوته فقال لهم « قولوا للسلطان عنى مهما أردتم ، فقد أهمني ما لحقني من توبيخه ، وفت في عضدي » (١) •

وهين أحيط السلطان علما بقول نظام الملك لم يجرؤ على عزله

⁽۱) أبن الأثير: ج ١٠ ٤ من ٧١ ·

⁽٢) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٧١ .

مع شدة حفيظته عليه ، وانما سلك طريق المؤاهرة للايقاع به دون أن تثور من وراء ذلك منن وغلاقل ، حتى تم قتل نظام الملك على يد هتى. من متيان الاسماعيلية ،

ولم يعمر السلطان طويلا بعد نظام الملك ، فقد توفى بعد ذلك بخمسة وثلاثين يوما ، وبموت نظام الملك والسلطان انفرط عقد السلاجقة وتعزةت وعدتهم وحكم السيف بينهم ، وقدد صدقت نظرة نظام الملك وتقديره كما أرسل الى السلطان ،

والواقع أن الدارس لتاريخ الدولة السلجوقية لا يجد مقرا من الموقوف وقفة طويلة عند الدور الذى قام به نظام الملك على مسرح الدولة السلجوقية ، فقد قام نظام الملك بدور كبير الأثر من جميع النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية .

فأما من الناحية السياسية : فان نظام الملك بقى وزيرا السلطان السلجوقى ثلاثين سنة شملت عهد الب آرسلان ومكشاه سوى ما وزور الله آرسلان أيام أن كان على خراسان في عهد عمه طغرلبك ، وهي مددة طويلة شهدت معظم بناء الدولة السلجوقية • وكان نظام الملك في خسلال هدذه المدة الطويلة بعد الأستاذ الأعظم وسيد الوزراء ، هكان في يده زمام الأمور في دولة السلاجقة المترامية الأطراف ، وكان في يده زمام الأمور في دولة السلاجقة المترامية الأطراف ، وكان ثم تمرس بالأعمال السلطانية المقتلفة حتى وصل الى الوزارة ما وقد استخدم علمه وخبرته ، فأشرف بنفسه على رسم سياسة الدولة في الداخل والخارج ، وحدد أهدافها ورسم الطرق التي توصل الى هذه الأهداف ، واستطاع بحسن سياسته ودقة تدبيره أن يجملة من اللاجوة أكبر قوة في المسالم الاستطاع أن يجملة من السلاجة أكبر قوة في المسالم الاسسلامي ، وكان لتوجيهه سياسة السلاجة أكبر قوة في المسالم الاسسلامي ، وكان لتوجيهه سياسة

السلاجة نحو الثنور الاسلاحية أكبر الأثر في اكتساب السلاجة المترام المسلمين وتقديرهم ، وبث رهبتهم وخشية باسهم في نفوس غير المسلمين ، حتى تجمع المسالم المسيحى للقصاء عليهم ، غتوالت المملات المبليبية على المالم الاسلامي ونشب ذلك الصراع المرير بين أوربا المسلمية وبين المسلمين نحو قرنين خرج منه المسلمون ظافرين آخر الأهر على يد صلاح الدين •

وكان توجيه نظام الملك لقوى السلاجقة نحو الدولة البيزنطيسة أول معاول الهدم الحقيقي لهده الدولة التي صمدت للمسلمين نصو خمسة قرون تحافظ رغم هزائمها على خط الصدود بينها وبين العسالم الاسلامي ، حتى نفذ السلاجقة الى أرضها غمهدوا لسقوطها بعد ذلك على يد المشانيين و ولم يكتف نظام الملك بتوجيه السياسة توجيها علي في حياته ، وانعا وضسح سفرا جليلا ضمنه آراه في السياسة ونظم المحكم ، وهو كتابه المسهور «سياستنامة » ويعتبر من السمه المحكم ، وهو كتابه المسكم ، وكيفية ادارة المبلاد وكسب رضاه المحكمين ، و الواقع أن ما تضمنه كتاب «سياستنامه » من آراه المحكمين ، و الواقع أن ما تضمنه كتاب «سياستنامه » من آراه المحكمين به والواقع أن ما تضمنه كتاب «سياستنامه » من آراه من المحكمين به وطوقيا يصلح لأن يكون أساسا لفن الحكم ، الأمر الذي جعل هدذا الكتاب يحظي بشهرة واسمعة ويترجم من الفارسية الى عدة لفسات متطفية .

وأما من الناحية الاجتماعية ، نقد شجع نظام الملك على تعصير المدن واصلاح البلاد ، وشيد كتسيرا من الساجد والدارس ، وخلف كثيرا من الأبنية والآثار العظيمة في مختلف البلاد وبخاصة في بعسداد وأصفهان ، كما كان نظام الملك خسيرا عادلا أقسر الأمن والنظام في يعميع أرجاء ملك السلاجقة غانته المائمة ، واتحد أغراده وتماسكوا والتجهوا المي تحقيق أحداف الدولة التي اصبعت بصبعة الجهاد في سبيكا الله لنشر الاسلام واعلاء كلمته ، وبذلك نشطت قوى المجتمع واحتفظ المهينة السلجوقي بوحدته »

أما من الناحية الثقافية ، عان نظام الملك بنفسه كان عالما أديها ، فشجع على نشر العلم والثقافة ، وأنشأ كثيرا من المدارس التي أخذت طابعا خاصا في الدراسة وحملت اسمه فعسرفت بالدارس النظامية ، وكانت نشأة هدده المدارس في المقيقة مرتبطة بالدعوة المصادة المدعوة الشيعية ، وقد انتشرت هدده المدارس في بعسداد ونيسابور وطوس وهراة وأصفهان وغيرها من البلاد ، وكان أشسهرها المدرسة النظامية في بعداد ، وقد شسمل العلماء والكتاب والشعراء برعايته وتشجيعه ، فاجتمع حوله الكثيرون منهم ، وألفسوا الكتب وقدموها له ، ونظمسوا الأشمار في مدعه والاشادة بذكسره ، فراجت سوق المسلم وازدهرت الثقافة في دولة السلاجقة (١) ،

وقد وضحت مكانة نظام الملك بعد مقتله ، فقد زازلت الدولة السلجوقية بعد مدة زازالا شديدا ، وانتكست انتكاسا عنيفا ، فانتهى بموته عصر التماسك والقوة ، وبدأ عهد التفكك والضعف ثم الانهيار ، كما أن مكانة أسرته وهوذها لم يزل بزواله ، بل ظل الشعب يحبها ويلان حولها ، وقد تمتع كثير من أبنائه وأهفاده بكثير من النفسوذ » وولوا الوزارة في أحيان كثيرة في أثناء حكم أبناء ملكشاه وغيرهم من سلاطين السلاجقة ، وكان لأسرة نظام الملك وزن كبير في التنافسين نظام الملك فرن كبير في التنافسين نظام الملك لفرد من الهراد البيت السلجوقي ، فكثيرا ما كان يكفي تأييد أسرة نظام الملك لفرد من الهراد البيت السلجوقي ليتفوق على منافسيه ، كما كان يكفي الشعب عنه ويلقي كان يكفي تدخلها عن حاكم من السلاجقة للتخلي الشعب عنه ويلقي المزيمة ، وما ذلك الا لحب الشعب لهدده الأسرة وثقته بها ه

بركيسارق:

يعتبر عهد بركيارق بن ملكشاه وسطًا بنين عصرين : عصر وحــدة السلاجقــة وعصر انقسامهم ، وعلى الرغم من أن بركيارق استطاع

⁽۱) ابن الانسي : ج ۱۰ ، ص ۷۷ ــ ۸۷ ، عبد النميم حسستين : ص ۷۷ ــ ۸۱ ،

نأن يكون سلطانا على السلاجقة ، الا أن عهده كان عهد المطراب وحروب بين أغراد البيت السلجوتي ، انتهى بانتسام الدولة السلجونية اللي التسام تكاد تكون منفصلة بعضها عن بعض ، ومنذ نهساية عهسد مركيارق لم تتوجد الدولة الا غترة قليلة تحت حكم أخيه سنجر • غلقد كان هتمل نظام الملك وموت ملكشاه بعده بقليل من أهم الأهداث التي وهمت في تاريخ السلاجقة ، أذ انتهى باختفاء السلطان ووزيره من المسرح السياسي عهد القدوة والاتصاد ، وبدأ عهد جديد من الشعف والانقسام ، وكان أهم مظهر من مظاهر هذا العهد الجديد هو أن الظفر بمنصب السلطنة أصبح غاية في ذاته ، فكثر النزاع بين أغراد البيت السلجوقي ، ولم تعد الدولة في هـذا العهد تخضع لسلطان واحد ، بل كان يتنازعها أكثر من سلطان في وقت واحد ، ولم يعد هم أمراء السلاجقة نصرة الاسلام وتوسيع أملاك الدولة السلجوقية كما كان الحسال في عهد طغرل وألب آرسلان وملكشاه ، وانما كان همهم القضاء على بعضهم البعض حتى يخلو الجو للمنتصر منهم ، ومن ثم وقعوا فى حروب أسرية أنت الى اضعاغهم جميعـــا والى اسقاط دولة السلاجقة آخر الأمر •

وكانت أولى الشاكل التى وأجهت الدولة السلجوقية بعد موت ملكشاه هى مشكلة المتيار السلطان الذى يخلفه ، ولقد برزت هدف الشكلة قبل موت السلطان وكانت سببا من أسباب الجفوة بين السلطان ووزيره ، وقد مات الرجلان قبل الوصول الى رأى هاسم في هدف المائلة •

كان التنافس على العـرش محصـورا بين بركيارق الابن الأكبر . الكتساه يؤيده أتباع نظام الملك ، وبين أخيه الطفل محمود الذي تمال أمه تركان خاتون باسـمه ويناصرها تاج الملك الشيرازي الوزير الذي لحتل مكان نظام الملك ، وبذلك انقسم السلاجقة الى معسكرين متنازعين حياهر، كل منهما بعدائه الاخر، ، وكانت الظروف في أول الأمر تبدو في

صالح تركان خاتون ، نقد مات ملكشاه فى بفداد مقر الخليفة العباسي. الذى يرجع الى رأيه فى تعيين السلطان ، بينما كان بركيارق فى أصفهان ها ولذلك استطاعت تركان خاتون أن تجمل الخليفة يعترف بابنها محموط سلطانا ، وخطب له فى ٢٢ شوال من عام ١٠٩٥/١٩٥٩م ، ثم أمرت بالقبض على بركيارق ، نقبض أتباعها عليه وسجنوه فى أحسفهان ،

لكن أتباع نظام الملك هبوا لنصرة بركيارق ، واستطاعوا اخراجه من السجن ونادوا به سلطانا ، وبذلك أصبح للسلاجة سلطانان في وقت واحسد : محمود في بعداد وبركيارق في أصفهان ، وأصبح لا مقر من الإجتكاك بين الطرفين ، وقسد بدأت تركان بالهجوم ، ولكن قوات بركيارق تؤيدها النظامية ألحقت الهزيمة بها ، كما قبض النظامية على الوزير تاج الملك وقتلوه انتقاما لمرع نظام الملك ، فقد كان الوزيم متهما بالتآمر على نظام الملك وولى النظامية « عز الملك » بن نظام الملك والوزارة ، وقسد كان مقيما بأصفهان عند حصار بركيارق لها (١) .

وفى الوقت الذى كان الصراع قائما غيه بين بركيارق وتركان خاتون، ولم يوصل غيه الى نتيجة حاسمة ، ظهر فى الأفق مناغس آخر لبركيارق ولم يورها من هو عصب تاج الدولة تتثن الذى كان واليا على دمشنق وما جاورها من بلاد الشام من قبل أخيه ملكشاه ، غلما رأى الفلاف بين أولاد ملكشاه، غلن الفرصة سانحة للوصول الى عرش السلطنة ، واستحداد الذلك سام الى حلب وبسط سلطانه عليها ، ثم دانت له أنطاكية والرها وحسران والرحبة ونصيين بالولاه ، ثم ما لبث أن ضم الموصل وديار بكن وآذربيجان ، وأحص بركيارق بالفطر يتهدده من ناحية عمه تتش ، فتقدم بقواته الى آذربيجان ، غلما أحس تتش بقوته وبميل أمراه الإقاليم اليه ، عاد الى الشام تاركا البلاد التى غتمها لمركيارق الذئ استقامت له البلاد في عام ٤٨٦ ه (١) ، وكذلك استظاع بركيارق حسم استقامت له البلاد في عام ٤٨٦ ه (١) ، وكذلك استطاع بركيارق حسم

 ⁽۱) انظر تفصيل هذه الاحداث في ابن الاثي : ج ۱۰ ، ص ۱۸-۸۱ ه.
 (۲) ابن الاثي : ج ۱۰ ، ، ص ۸۱ - ۸۳ .

هتنة أخرى قام بها خاله اسماعيل بن ياقوت بتحريض من تركان خاتون التي منته بالزواج منها ، وقــد كان أميرا على آذربيجان خجمع جيشا قويا واتجه لقتال بركيارق ولكن هــذا أوقع به الهزيمة قــرب الكرج حيث فسر الى أصفهان للقساء تركان خاتون التي أكرمت وفادته، ولكن لم تستقم له الأحوال لمارضة الأمراء له • غلجاً الى أختــه أم بركيارق وهناك أحس أتباع بركيارق منه العدر فقتاوه ، وبذلك المنتهت لهتنته • وصفا الجو لبركيارق لهتوجه الى بعداد حيث اعترف به الخليفة المقتدر بالله سلطانا على السلاجقة وخطب له في ١٤ من المعرم سنة ٤٨٧ه /١٠٤٩م ، غير أن الخليفة مات غجاة في اليوم التالي وبويع لابنــه المستنصر بالله ، غأتر هــذا « بركيارق » على السلطنة وأرسَل اليه الخلع والتقليد (١) •

ولكن نتش لم يقب ل الأمر الواقع بل أخذ منذ تراجعه يجمح القوات ويستعد لانتزاع السلطنة من ابن أخيه ، واستطاع أن يمود ويستولى على حلب وديار بكر وأذربيجان وهمدذان وأن يقتل الأمراء الموالين لبركيارق و وقد لاحظ أن الناس يميلون الى أسرة نظام الملك ، غلما وجد أحد أبناء نظام الملك في همذان وهو « غفر الملك » اتضـذه وزيرا استجلابا لميل الناس اليه ، ثم طلب من الخليفة الاعتراف به سلطانا ، ولمـــا كان بركيارق قـــد هزم أمام عمـــه ورجع الى أصفهان · حيث قبض عليه رجال محمود ، غان الخليفة اعترف بنتش سلطانا (°) · .

غير أن الظـروف تحولت الى مــالح بركيارق ، وذلك أن تركان خاتون كانت قد ماتت ، ثم ما لبث محمود أن مات ، غانحاز أنصاره اليه وبايعوا بركيارق ، ثم انضم اليه « مؤيد اللك » أكف أبنا نظام الملك ، فأسند اليه الوزارة ، فاستطاع أن يعيد الاستقرار الى

⁽۱) ابن الآثي : ج ١٠ ٤ من ٥٨ . (٢) ابن الآثي : ج ١٠ ٤ من ٨١ ــ ٨٧ .

دولة بركيارق المفتسلة وأن يضسم الى سلطانه الأمراء العراقيسين والخراسانيين ، هعظم شأن بركيارق وكثر جنده حتى استطاع الانتصار على عصه نتش فى معركة بالقرب من مدينة الرى عام ١٩٥٨هه١٩٥٥ما انتهت بمصرع تتش (١) •

لم تكد الأمور تهسدا وتستقيم السلطة لبركيسارق حتى اشتعلت المنازعات بين الوزراء ، هتناهس ابنا نظام الملك على الوزارة ، هلمما عزل السلطان « مؤيد الملك » ،ن نظام الملك وولى أخاه « غذر الملك » لم يستطع هـ ذا أن ينهض بالأمر لتفسوق « مجد الملك القمي » الذي كأن وزيراً لزبيدة خاتون أم السلطان ، ونلاحظ في أيام دولة السلاجقة أن النساء من زوجات السلاطين كن يتدخلن في شئون الحكم والسياسة وكان لهن نفوذ كبير على أزواجهن ، كما كن يتذذن الأنفسهن وزراء يحملون لهن ويتمتعون بما لهؤلاء النسوة من نفوذ على السسلاطين ، واستطاع مجد الملك القمى بنفوذ سيدته ومهارته أن يسيطر على كل مراغق الدولة ويتصرف فى كل مهامها حتى استحالت وزارة غخر الملك الى مجرد جسم لا حياة نميه • ووقع الصراع بين هذين الرجلين نعزل السلطان بركيارق غض الملك وعين مجد الملك ألقمى وزيرا بصغة رسمية، غانزوى هضر الملك فى نيسابور ، ولكن انزواءه لم يدم طويلا هقد عينه سنجر أخو بركيارق وحاكم خراسان وزيرا له وظل وزيرا له الى عام ••• / ١١٠٦م هين قتله الاسماعيلية • وأما مؤيد الملك غانه أخــذ يتصل بأعداء السلطان ومنافسيه حتى استقر به الأمر عند محمد ابن ملكشاه أخى بركيارق وحاكم اقليم آذربيجان .

كان تخلى بركيارق عن أسرة نظام الملك خطأ كبيرا ، اذ كانت هذه الأسرة تتمتع بحب السواد الأعظم من الناس ومن أمراء الجيش وكباره رجال الدولة ، غبدأ هؤلاء يتخلون عن بوكيارق ، وبذلك اشتملت الفتن والثورات فى كل أجزاء الدولة المترامية الأطراف .

 ⁽۱) البغدادي : من ه٨ ، أبن الأثير : ج ١٠ ٤ من ١١ .

وكان أخطر ما واجه بركيارق هو المراع الذي احتدم بينه وبين أخويه محمد وسنجر ، وقد استمرت المارك بينهم نحو خمس سنوات من عام ١٩٥٦ه ـ ١٩٧٩ تداولوا فيها النصر والهزيمة ، وذهبت في غمرة الصراع زبيدة خاتون أم بركيارق ، فقد وقعت في يد مؤيد الملك غامر، بقتلها وكذلك قتل وزير السلطان وصنيعة أمه « مجد الملك القمى » والخلافة في كل ذلك لا تتحرك لشيء الا أن تستجيب للغالب ، فتعترف بهدذا سلطانا وبذاك سلطانا وتخطب لهدذا أو لذاك ، فهي لا ترد طلب من بدا غالبا (ا) •

وقسد أدت هدده الصراعات الى انتشار الفساد والاضطراب فى الدولة ، وقسد أصبحت وحدة السلاجقة وقد كتب عليها التفرق أبدا ، وفى عام ١٩٧٩ه سئم بركيارق كثرة الحروب ورأى ضعف السلاجقة وتفككهم ، هكاتب أخاه محمدا فى طلب الصلح ، هانفق الطرفان على أن يحمل كل منهما لقب سلطان ، وأن تكون الأقاليم الشمالية لمحمد ، وأن تكون الأقاليم الجنوبية لبركيارق ، وأن تبقى خراسان وما جاورها تحت حكم سنجر ، واستمر هدذا الاتفاق قائما حتى توفى بركيارق عام ١٩٠٤ / ١١٠٤م ، وقسد جعل ولده المطفل ملكشاه وليسا لعهده على أن يكون الأمير لياز أتابكا عليه (١) ،

امتاز عهد بركيارق بالشقاقات المنيفة بين أهر اد البيت السلجوقي، ولم يستطع خلالها أن يقر الوحدة السلجوقية كما كانت في عهود من سبقه على الرغم من الجهود الشاقة التي بذلها ، وحين مات كان كل جزء من أجزاء الدولة يتبم واليا يكاد يكون مستقلا ، فالأجزاء الشرقية تخضع لحكم سنجر ، بينما تخضع الأجزاء الشمالية لحكم محمد ، وبلاد الشام في قبضة أبناء تتس وآسيا الصغرى تحت حكم أبناء مليمان بن قتلمش ، وكان كل يسيطر على ما تحت يده سيطرة تامة ،

⁽¹⁾ انظر أن الأثير عن هـــذه الأحداث ٤ ج ١٠٠ ص ١٠٤ - ١٣٨ .

۱٤٢ ص ۱٤٢ ٠١٤٢ ص ١٤٢ ٠

ختقسمت بذلك الدولة انسلجوقية العظيمة ، ولم تعد تلك الوحدة الرائعة التي رأيناها فى عهد طغرل وألب آرسلان وملكشاه ، ولم يكتب لها أن تتوحد بعد ذلك الا غترة غليلة من عهد سنجر .

وكان لهدذا النزاع السلجوقى آثاره الخطيرة كذلك على العسالم الاسلامى ، غان الاسماعيلية نشطوا فى تلك الفترة فوسعوا منطقهة نفوذهم ووصلت دعوتهم وأعمالهم الى أصفهان احدى عواصم الدولة السلجوقية ، وبثوا الرعب فى قلوب النساس بما كانوا يقومون به من الخطف والقتل ، وأمعنوا فى قتل كل مخالفيهم • وعلى الرغم مما قام به السلطان محمد حد الذى ضم الليه ابن أخيه واسترضى اياز حتى مالأه فأصبح سلطانا دون منازع حد من جهود للحد من قوة الاسماعيلية، فانه عجز عن القضاء عليهم ، ولم يستطع الجيش السلجوقى الاستيلاء على قلمتهم الكبرى « ألموت » وظلوا هم يهددون المناطق المجاورة كلها بل امتد نشاطهم الى جهات بعيدة من المسالم الاسلامى •

وكذلك أدى انقسام السلاجقة وانشخالهم بصراعهم الداخلى الى التخالهم عن الخطر الخارجي ، الذي أخذت تتجمع نذره في الجبهة العربية ، غان السلاجقة في وقت توصدهم وقوتهم الحقوا هزائم كبيرة بالدولة البيزنطية واقتطعوا جزءا كبيرا من أملاكها في اسسيا الصغرى ، وما زالوا يكتسحون هدفه البسلاد حتى بحر مرمرة حتى هددوا القسطنطينية نفسها ، الأمر الذي جمل الامبراطور الكسيوس كومنين يستنفر اللبابا أوريان الثاني في عام ٤٨٧ ه/ ١٠٩٤ م ، غوجه هذا الفرصة سانحة لارجاع الكنيسة اليونانية (كنيسة القسطنطينية) الى حظيرة روما ، ثم ازجاع بيت المقسدس ، واعادة مجد البابويية ، غالسلوك الطريق الى كنيسة القيامة وانتزاعها من أيدى المسلمين ، على سلوك الطريق الى كنيسة القيامة وانتزاعها من أيدى المسلمين ، على سلوك الطريق الى كنيسة القيامة وانتزاعها من أيدى المسلمين ، وقاعد وجد نداء البابا أذنا صاغية لدى غرسان الاقطاع في أوربا الذين وقصات أوربا بطعوحهم ، كما وجد غيه الناس غرصة للخروج من البؤس

الاقتصادى الذى يعانونه ، وكذلك وجد غيه اللوك فرصة لتحقيق مغانم كبيرة من كنوز الشرق ، وليستطيع الأمراء تحقيق مطامعهم بتكوين المارات وممالك لهم ، وهكذا كان يجرى كل منهم وراء غرض خلص ، ولكن الجميح حملوا شعار الصليب غكان هــذا الشعار هو العــــلامة الوحيدة على وحدتهم التى لم تكن موجودة في حقيقة الأمر، ،

وبدأت الحملات الصليبية على العالم الاسسلامي في الوقت الذي كان غيه السلاجقة يز اولون هسذا النشاط الفطير في القضاء بعضهم على بعض والقضاء بذلك على قوتهم : وهم بععلهم الأحمسق هسذا يديرون ظهورهم للجبهة التي وجهسوا نشاطهم اليها من قبل والتي اكتسبوا بعملهم غيها رضاء المالم الاسلامي واعترامه ،

واذا كان المشرق الاسلامي يموج بدراع السلامة الداخلي عالى المغرب الاسلامي كان يمكمه الفاطميون ، ولما كان هؤلاء في عداء مذهبي مع السلامة فان الطرفين كانا في صراع دائم في الشام ، وهو الهدف الرئيسي المحملات الصليبية ، فكانت المنطقة في المقيقة منطقة مصفف ، وكان الفاطميون أنفسهم يسيرون نحو المضعف غلم يستطيعوا المصود على الرغم من قوة أسطولهم الذي حاول التصدي للمسزو الصليبي بالاستيلاء على جميع مدن الساحل الشامي و ولكن المسزو الصليبي بالاستيلاء على جميع مدن الساحل الشامي و ولكن المسزو المسليبي بنجح في الاستيلاء على بلاد الشام وكون الصليبيون بهسائمارات لانتينية لهم هي امارة الرها سنة ١٩٧٩/١٨م وامارة أنطاكية الولايات اللاتينية مرتبة ، ثم استطاع الصليبيون الاستيلاء على مدن السلطل بمساعدة السفن الايطالية ، وهي سفن البندقية وجنوه وبيزا المثلي أحداد السفائمهم ، وهدذا سيطر الصليبيون على سسواحا جديدة وهواني كثير من بلاد الشرق الاسلامية يفتح أسسوا اغظم خطره ومعواني كثير من بلاد الشرق الاسلامي وأصبحوا أغظم خطره المليبيون على سسواحا فلم خطره المليبيون على مدرة المناهم المشرق الاسلامي وأصبحوا أعظم خطره المليبيون على سسواحا فلم خطره المليبيون على سسواحا المناهم المستوا المؤلمة المسرور المناهم خطره المسلوب المسلوب المناهم خطره المسلوب المسرور المناهم خطره المسلوب المسلوب المناهم خطره المسلوب المسلوب المناهم خطره المسلوب المسلو

يتهدد العالم الاسلامى فى ذلك الوقت (١) • وما زالت الحمالات الصليبية تتوالى على الشرق الاسلامى والمسلمون يصارعونها مدة قرقه: انتهى الأمر هيها بفوز المسلمين على يد صسلاح الدين الأيوبى شم التنماء عليهم على يد الماليك بمصر •

وفى تل هذا الصراع المحتدم فى الشام كان السلاجةة مشغوليد بمروبهم الداخلية ، وبالتطاحن الظفر بالمرش ، عن التنبيه للخطوب العظيم ، أو كانوا غير مقدرين خطورته تقديرا صحيحا ، كما كانت الخذاهة العباسية من الضعف بحيث لم يكن فى مكنتها المساهمة الفعلية لمجد هدذا الخطر ، ولذلك ترك الصليبيون يغزون سوريا وفلسطين حدور أيجابي ذي بال مدور أيجابي ذي بال م

وبهذا التصول من التماسك الى الفرقة ، ومن الجهاد فى سبيلة حماية العالم الاسلامى ومد نفسهده ، الى الانصراف الى الصراع الداخلى ، خرجت الدولة السلجوقية من دور القوة الى دور الضعفة ودخلت فى عصر الانقسام ،

⁽۱) أنظر أبن الأثير : ج ۱۰ ، ص ۱۰۱ ــ ۱۰۳ ، ۱۰۰ ــ ۱۰۰ ع ۲۰ : ج ۲ من ۱۰۱ ــ ۲۰۳ ، ۱۲۰ ــ ۲۲ من ۱۲۱ ، ۲۳۱ ، ۲۲۱ ، ۲۳۱ ، ۲۰۲ من تاريخ المرب : ج ۲ من ۲۰۷ ــ ۲۰۷ . أس القلانسي : ذيل تاريخ نهشق (طبع بحروت ۱۱۰۸) ۲۲ ... ۱۲۲ ... ۱۲۲ ... ۲۲۱ ...

عصر انقسام السلاجقة

انتهى عهد بركيارق بانقسام دولة السلاجة وتفكك وحدتهم ، نتيجة المنزاع الذى قام محول العرش السلجوتى ، ونتيجة للخصومات التى وقعت بين الوزراء والأمراء ، يضاف الى ذلك الأخطار التى هددت كيان الدولة من خارجها وأهمها ، قدوم الصليبين وسيطرتهم على معظم بلاد الشام وتهديدهم للدولة السلجوقية من هسدة الناحية ، شسم الاسماعيلية الذين كانوا يكمنون في داخل الدولة ويسيطرون على القلاح الحصينة ، وعجز الجيوش السلجوقية عن القضاء على قوتهم أو الحد من نشاطهم ، ولقد ظلت هدد الموامل كلها تنخر في جسم الدولة حتى أتت عليها آخر الأمر ،

وقد حاول السلطان محمد الذي اعتلى المرش بعد موت بركيارق ال يقضى على الفتن المختلفة التي تهدد دولة السلاجقة ، هلم يستطع على الرغم مما قام به من جهود صادقة ، هان النزعة الانفصالية لدى المراء السلاجقة كانت أقرى من أن تتعلب عليها جهود السلاطين ، لأنهم هم بذاتهم كانوا يشعلون نارها ليصلوا الى العرش ، ولم يكن للوصولة الى العرش عاعدة ثابتة يمكن السير عليها ، هكان كل من يأنس فى نفسه القدرة يسعى لفرض سلطانه ، ومن ثم كانت تظهر المطامع بعد موت كل سلطان وتشتمل الحروب الموصول الى العرش مرة أخرى ، مامات هذا الأقرى اشتعلت الحروب للوصول الى العرش مرة أخرى ، مادة المحبوش بين الأمراء المتصارعين ، همجزت عن التصدى للأخطار التي تواجهها ، وأذلك استفحل أمر البلطنية ، كما انتصر الصليبيون ، كما برزت على الصدود الشرقية دول غشية استطاعت أن تقهر السلاجقة في المرق ، كما أن الضيلاغة أخذت تسترد قوتها وغماليتها في المراق، على المدلت على القضاء على السلاجةة في العراق ،

(م ٣٩ _ العصر التعباسي)

وفى هــذا المصر الذى تلا موت بركيارق لا نستطيع أن نتحدث عن السلاجة كوحدة : وانما نتحدث عن أقسام الدولة السلجوقية ، وأهم هــذه الأقسام سلاجة خراسان ، وسلاجة المراق ،

* * *

سلاجقة خراسان:

أهم حكام سلاجقة خراسان هو السلطان سنجر • ويعد سسنجر من السلاطين المظام ، فقد اعترف به السلاجقة سلطانا وزعيما عليهم ، كما اعترف له الخليفة العالمي بهده المنزلة ، فعد لذلك تخر سلاطن السلاجقة المظلم الذين اعترف لهم جميع حكام السلاجقية بالزعامة والسلطنية •

وكان سنجر واليا على خراسان وما وراء النهر في عهد كل من أخويه بركيارق ومحمد ، وكان يسمى ملك المشرق ، وقسد ظل سنجر في المشرق بمد توليه عرش السلطنة غاطلق على السلاجقة الذين يمثلهم السم « سلاجقة مراسان » تمييزا لهم عن « سلاجقة العراق » وقسد الستطاع سنجر به قبل توليه عرش السلطنة بان يوطد نفسوذه ، وأن يقوم بفتوحات بسطت هذا النفوذ على جهات أخرى ، نفذ تبكن من نفت ح « ترمذ » و « طخارستان » في عام ١٩٨١ وضمهما الى ملكه () ، كما استطاع أن يبسط نفوذه على اقليم ما وراء النهر في عام ٥٩٥ ه () ، وبلغت قوته حسدا جمله يتقدم نحو مدينة « غزنة » وستولى عليها بعد هريمة ملكها آرسلانشاه الغزنوى سنة ١٥٥ه()،

وقسد ازدادت قوة سنجر بعد توليه عرش السلطنسة ، وتجلت خده القسوة في انتصاره على ابن أخيه محمد ود الذي تولى السلطنة بعد أبيسه محمد ، فبسط سنجر نفوذه على أكثر أجزاء ايران والعراق،

⁽۱) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ١٠٤ .

 ⁽٢) أبن الأثير: ج ١٠ ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

۱۹۱ – ۱۹۰ من ۱۹۰ – ۱۹۱ ،

وصارت له الكلمة العليا فى أقاليم ما وراء النهر وخراسان وطبرستان وكرمان وسجستان وأمينية وكرمان وسجستان وأمسنهان وهمذان والرى وآذربيجان وأرمينية ومغداد والعراقين والموصل وديار بكر وديار ربيعة والشام والحرمين، وصارت تضرب له السكة فى كل همذه الأقاليم ويطأ بمساطه كل ملوك هسدة الجهسات (أ) ،

أصبح سنجر سلطان السلاجة وزعيمهم ، ولكنب أناب عنبه معمود ابن أخيسه في العراق وسمح له بالتلقب ملقب سلطان فأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية تابما اسلطنة سنجر ، كما أصبحت ملطنة العراق في عهد سنجر ، الذي امتد حكمه أربعين سنة ، لا يرتقى عرشها الا من ارتضاه هـذا السلطان ، وقـد كان سلاطين العراق يدفعون الجزية لسنجر ويذكرون اسسمه في الخطبة قبل أسمائهم (١) م

غير أن الحروب لم تنقطع في عهد سسنجر ، وكان مثار المسروب التى واجهها سنجر والمطرحا هي المسروب بينه وبين دولتين جديدتين ظهرتا على مسرح الأحداث في الشرق ، وكان لهما دور موجه في تاريخ السلاجقة بصفة خاصة وفي توجيه سير الأحداث بصفة عامة ، وهما الدولة « القسرة خطائية » والدولة « الخوارزمية » ، وهدذه الأخيرة هي التي أنبت حكم السلاجقة في الشرق كما أعانت على القضاء عليهم في المراق ،

الدولة القره خطاتية:

تنسب جسده الدولة الى مجموعة من القبائل التركية تعرف بقبائل المنطاعت المفطا كانت تسكن شمال شرقي ايران فيعهد السلاجقة ، وقد استطاعت حسده القبائل أن تثبت أقدامها في حسده المنطقة وأن تؤسس لها دولة. في حوالي عام ١٩٥٨ه / ١٦٧٤م ، عرفت بالدولة « القر مخطائية » وكان

⁽۱) ابن الأثير : ج ۱۰ ، ص ۲۰۷ - ۲۰۹ ، الراوندی : من ۲۰۹ وبا بمسدها ، عبد النسم حسنين : من ۱۱۹ . (۲) حسين أبين : من ۹۵ .

يطلق على ملوكها لقب « كرخان » وقد اتذذت لها عاصمة هي مدينة « بلاغستون » •

وقد عظم نفوذ هده الدولة حتى أخضمت القبائل التركية التى كانت تمرف بأسم « فرفيز » ثم هلجمت « كانست » ، « خنن » ، ثم آخذت فى الإغارة على البلاد الاسلامية فى عام ٥٢١ه / ١١٢٦م ، وقامت بأعمال مدمرة حتى أصيب الناس بذعر تسديد ، واستنجدوا بالسلطان سنجر ، «

ولم يجد سنجر بدا من قتال هده القبائل فتوجه بقواته الى ما وراء النهر في عام ٥٠٥ ه ، ولما أحس هؤلاء بقوة سنجر أرسلوا اليه يعتذرون ويتعهدون بالطاعة والخضوع له ، ولكنه حسسمم على استثمالهم ، فنازلوه مستميتين واستطاعوا أن يلحقوا به هزيمة منكرة في سنة ٣٩٥ه / ١١٤١م في موقعة عند « قطوان » بالقرب من سمرقنده حيث غر تاركا زوجته أسيرة في يد « القرمخطائيين » (١) ،

وقد كانت معركة « قطوان » حدا غاصلا بين عهدين من سلطنة سنجر : _ عهد القسوة وسعة النفوذ ، وعهد الضعف والانهيار • كما كانت ذات آثار خط بيحة في تاريخ السلاجقة ، غفد قوى أمر الخطائيين ، وأخذوا يمدون نفوذهم على اقليم ما وراء النهر وكاسمون ووقعت في أيديهم سمرقند وبخارى ، وتعهد الفانيون بدغم الفواج لهم ، وبذلك صاروا خطرا حسيما يه المتمرت دولتهم حتى عام ١٣٠٨م/١٩٥١م ، حينما قضى عليها السلطان علاء الدين محمد الخوارزمى •

ولقد كان من نتيجة انهزام سنجر فى موقعة قطوان أن تجرأ عليه حكام الدولة الخوارزمية ، غتمردوا عليه ، ومنذ ذلك الوقت أخصد

⁽¹⁾ أبن الأثير: ج 11 ، ض ٣٢ .

نجم السلاجقة يأنل تدريجيا حتى ثم سقوطهم على يسد الضوارزهية •

الدولة الفوارزمية :

يرجم نسب ملوك هذه الدولة الى عبد تركى كان يسسمى « أنوشتكن » اشتراه أحد أمراء السلاجة فى « غرجستان » ، وقد الخلو هذا العبد من اللياقة والكفاءة ما غتح أمامه باب الترقى فى عهد السلطان ملكشاه ، غمينه واليا على خوارزم ، وقد ظل فى منصبه بحدذا حتى سنة ٤٩٥٠ عين توفى ، وخلفه ابنه قطب الدين محمد الذى أمللق على نفسه لقب « خوارزمشاه » أى « ملك خوارزم » وقد وأسس دولة عرفت فى التاريخ باسم « الدولة الموارزمية » (ا) ، وقد أخذت هدده الدولة تظهر على مسرح التاريخ تدريجيا ولو أن ملوكها تظاهروا بالخشهوع والطاعة للسلاجقة ، غاعتبروا أنفسهم معينين من قبلهم ،

وقد أسند سنجر ولاية غدوارزم الى «علاء الدين أتسر » بعد وغاة أبيه قطب الدين محمد • وظل أتسز على وغاق مع السلطان سنجر ، الذى وثق به وصحبه معنه فى أسفاره وحروبه غملا أمره وظهرت كفايته • غلما اطمأن الى قوته حاول أن يجعل دولته مستقلة استقلالا تاما عن السلاجقة ، غنار على السلطان سنجر فى سنة ٥٣٠ ه واستطاع أن يضم الهضاب الواقعة فى أسفل نهر جيمون الى ملكه • وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراهال النزاع بين السلاجقة والضوارزميين •

وفى هذه المرحلة التحم السلطان سنجر بقوات أتسر عدة مرات منذ سنة ٥٣٣ ما الى سنة ٣٤٥ ه ، وكانت كفة سنجر هى الراجحة فى المالب ، ولكن أتسر أظهر كثيرا من الدهاء والبراعة كما أظهر سنجر،

⁽۱) ابن الأثير: ج ١٠) ص ١٩ -- ١٠٠٠ -

كثيرا من السذاجة ، عنى كل مرة كان يتعلب غيها سنجر على خصمه ، كان هـذا يعتذر له ويلتمس عفسوه ، غيجاب الى ذلك ، وبهده الطريقة الماكرة ، طريقة الضرب ثم الاعتذار عند الشعور بالغلب ، مع السعى للتوسع ، استطاع أتسز آخر الأمر أن يحظى بالاستقرار ف خوارزم ، غرسخت أقدام الدولة الخوارزمية ، وأخذت تظهر بقوة على مسرح التاريخ ، بينما أخدت قوة سنجر تنهار وتسير نحو النهاية بخطى سريمـة ،

ان كثرة المحروب التى خاضها سنجر للدفاع عن حدود دولته ، ولصون نفوذه واقرار هيبة السلاجقة هدت قوته وفلت من شوكته ه حقيقة انه انتصر في أكثر هدذه المحروب التى تعددت ميادينها ، ولكن انكساره أمام المطائيين وضياع اقليم ما وراء النهر من يده كان ضربة قوية وجهت الى الدولة السلجوقية وحربة نافذة في ظهرها ه

ونتيجة لهذا كله مقدت دولة السلاجقة السيطرة على أطرافها ، هَكْرَت الدول والامارات المستقلة حولها ، وأضدت تتوسع على حسابها ، وأهم هدده الدول التي أحاطت بدولة السلاجقة بالمشرق واشتكت معها في حروب هي الدولة القره خطائية والدولة الموارزمية حدوقد عرضنا للنزاع بينهما وبين السلاجقة حثم الدولة المورية ،

وكانت الدولة المصورية تسيطر على جسال العصور ومديسة « غيروزكوه » بالقرب من غزنة ، ثم امتد نفوذها الى هراة وجامر ملكها علاء الدين حسين العصورى مدينة بلخ ، واضطر سنجر الى الاشتباك مصه في معركة انتهت بانتصار سنجر وأسر علاء الدين ، ولكن سنجر عفا عنه وأطلقه ، غازدادت قوته وزحف نحو غزنة واستولى عليها ، وعين عليها أخاه سيف الدين ، وحين ثار أهل غزنة بسيف الدين وقتلوه عاد علاء الدين اليها ونكل بأهلها سنة ٥٠٠ ه / ١١٥٥ م ، وبذلك أخسدت الدولة العورية تظهر على المسرح السياسي وتشترك

في توجيه الأحداث في ايران والهند منذ ذلِك الحين (١) •

كل هــذه الأحـداث سارت بالسلاجقة في الشرق الى الانهيار لكن الحادث الذي عجل بالخاتمة هو تلك الفتنة التي قامت بها قباتًل الغز . وقد أشعل الغز هذه الفتنة في مستهل عام ٤٥٨ هـ / ١١٥٣ م . وكان الفر من القبائل التركية المسلمة التي تشكن في اقليم ما وراء النهر ، غلما استولى الخطائيون على هذا الاقليم هاجرت طوائف الغز وسكنت بالقمرب من بلخ ، وهين أراد هاكم بلخ ابعادهم استرضوه بالمال والهدايا ، نسمح لهم بالبقاء ، وأقاموا في هذه النواحي في حالة حسنة ، لكن هـذا الحاكم عاود مطالبتهم بالانتقال عن بلده ، المستعطفوه فأصر على طردهم ، فلما فشلوا في ارجاعه عن عزمه ، جمعوا شملهم وقاتلوه فألحقوا به هزيمة كبيرة اضطرته الى الفرار الى مرو حيث كان السلطان سنجر • وهــــنين أعلمه حاكم بلخ بواقع الحال ، كتب الى الغز يأمرهم بمعادرة بلاده ، وهددهم لماعتذروا اليه وحاولوا استرضاه ، ولكنه جمع حيوشم وسار اليهم غقائله الممز ببسالة عظيمة واستطاعوا أن ينزلوا بجيشه هزيمة سلحقة ، ووقع هو بنفسه أسيرا في أيديهم (٢) • وقسد ظل سنجر أسيرا في أيدى الفسر ثلاث سنوات استطاع بعدها الهرب والوصول الى عرشه في مرو (٢) •

وحين وصل سنجر الى عرشه كان قد صار شيفا مهدما نالت منه السنون وحطم نفسه ما رأى من خراب بلاده على يد هؤلاء الغز النذين عاثوا في الأرض فسادا فخربوا البلاد ونهوها وقتلوا النساس رجالا ونساء شيوخا وأطفالا ، فام يحتمل سنجر الصدمة فمات كمدا في ٥٥٧ هر (1) .

⁽١) أبن الأثير : ج ٥١١ من ١٠٩ ، عبد النعيم حسنين : ص ١٣٣ ،

⁽٢) الرواندي : ص ٢٧١ .

⁽٣) الرواندي : ص ٢٧٧٠

⁽۱) انظر ابن الاثمر : ج ۱۱ ک ص ۷۱ ... ۹ . الرواندی ک ص ۲۷۸ •

وبموت سنجر انتهى عهد السلاطين المظسام ، وأخذت دولة السلاجة ف الانهسار ، غلم يلبث حكام خوارزم أن استولوا على ممتلكات السلاجقة فى خراسان ، غسقطت بذلك دولة خراسان أو دولة سلاحقة المشرق العظام ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

أما سلاجقة العراق غانهم أخذوا يسيرون نحو الضعف والانهيار. حتى سقطت دولتهم فى عام ٩٥٥ ه على أيدى حكام الدولة الخوارزمية أنضب ٥٠

سلإجقة العراق

فى الوقت الذى كانت الإضطرابات غيه تعم الأجزاء الشرقية من دولة السلاجقة ، كانت أجزاؤها الغربية تموج باضطرابات أشد • وكان مرد هذه الاضطرابات الى عدة أمور أهمها : النزاع الذى كان يعتدم دائما حول تولى عرش السلطنة • ثم الخلاف الذى نشب بين المخلافة المباسية وبين السلاجقة واستفحل حتى أخذ مظهر الحرب بين الطرفين • ثم بروز نفيذ الإتابكة •

النزاع حول العــرش:

لم يكد السلطان محمد بن ملكشاه يتوفى عام ٥١١ ه / ١١١٧ م حتى قام نزاع حسول العسرش ، وانقسم السلاجقسة على أنفسيم في الوقت الذي كان فيه أعداؤهم يحدقون بهم من كل جانب ، ذلك أن السلطان محمدةبيل وهاته أمر باسناد السلطانة الى ابنه محمود ، وحين وليها هسذا وكان صغيرا لم يجاوز الرابعة عشرة من عمره ، أنف عمه سنجر سوالي خراسان وما وراء النهر سأن يكون تابعا لابن أخيه ، هاعمن نفسه سلطانا على السلاجقة ، وبذلك أصبح للسلاجقة سلطانان المقسمة بينهما الدولة الى قسميز القسم الشرقى وعليسه سنجر ، والقسم الغربي وعليه محمود ، واستعلت الحرب بين الطرفير . مانتصر سنجر واعترف له المطليفة العباسي بالسلطنة على السلاجةة (١) .

⁽۱) ابن الاثير : ج ١٠ ، من ٢٠٧ ... ٢٠٩ ،

ولكن سنجر بعد انتصاره عطف على ابن أخيه « محمود » غصالحه وعينه وليا لبهده ، وكتب بذلك الى الولايات ، كما أهاط به المخليفة العباسى علما ، وأعاد اليه جميع البلاد التى كانت تحت هوزته ما عددا مدينة الرى التى اتخذها سنجر قاعدة يراقب منها أعمال محمود خشية أن تحدثه نفسه بالخروج مرة أخرى () ،

انتهى بانتصار سنجر التنازع على العرش ، ولكنه لم يط المشكلة ، غان الدولة انقسمت الى قسمين رئيسيين ، واذا كان سنجر قد استطاع أن يفرض شخصمه في القسم الشرقي ، غان القسم الغربي ظل مجالا التنافس عند خلو عرشيه دائميا ، كما أن أجزاءه المفتلفة في ايران والعراق وآسيا الصغرى والشام يكاد كل جزء منها يكون مستقلا بصرف شئونه حكامه دون اتصال أو تعاون بين هؤلاء الحكام ، وكانت خلافاتهم الداخلية تشعلهم عن أى هدف آخر ، وكان سنجر برغم انشغاله بقتال الخطائيين والخوارزميين يضطر أحيانا لنتدخل لقمع المفتن واقرار الأوضاع ، لكن كل غرد من أغراد البيت السلجوقي كان يعد نفسه في الجـزء الذي يحكم غيـه ، ويحاول أن يوسع منطقة شقوذه ، ويسعى للوصول الى السلطنة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، الأمر الذي أدى الى كثرة الصروب وتعدد ميادينها . وشملت الضلاغات الأسرية معظم هذا العهد من حكم سلاجقة العراق : فقد خرج مسعود هاكم الموصل وآذربيجان على أغيه محمود وقاتله (۲) ، وبعد وفاة محمود سنة ٥٢٥ ﻫ تنازع ابنه داود مع عمـــه مسعود وبدأت الحرب بين الطرفين ، كما تقاتل مسعود بعد أستقرار، السلطنة له مع أخسيه سلجوقشاه (٢) ثم تدخل سنجر فدارت الحرب بينه وبين مسعود ، وكذلك بين مسعود وبين أخيه طغرل ، ولم يستقرا . الأمر السعود الا بعد صراع طويل (٤) •

⁽۱) ابن الأثي: ج ۱۰ ، ص ۲۰۹ ، (۲) ابن الأثي: ج ۱۰ ، ص ۲۲۱ ،

⁽٣) ننس المدر" ص ٢٥٧٠

⁽١٤ ابن الائم : ج ١٠ ع ص ٢٥٧ - ٢٦٢ ٠

ولقد كان لهذا المراع الأسرى الذى حفل به هـذا العصر أنره البالغ على البلاد الاسلامية وعلى السلامقية أنفسهم • فقـد أدى السلاماء المسلواب الحالة الى تجرؤ أعـداء الذولة على الهجـوم على البلاد الاسلامية ، فقد أغار حكام جورجيا على بلاد المسلمين فى آذربيجان فى عام ١٩٣٠ ه ، وتصدى لهم حلم ل أخو السلطان محمود ولكنه ه م ، وأخمـذ الكرج يعيون على البلاد الاسـلامية حتى حاصروا تغليس وأضطروا أهلها الى التسليم ، وأضطر السلطان محمود الى الخروج لقتالهم ، ولم ينتصر على الكرج الا بعد أن وقع الخلاف بين صفوفهم خجلوا عن بلاد السلمين فى عام ١٥٥ ه (أ) ،

أما الحالة في سورية وفلسطين هانها بلغت حدا كبيرا من الضعف والفاوضي ، وقند كان جزء منها تحت الحكم الفاطمي ، والفاطميون في مصر كانوا في حالة من الضعف جملت خلفاءهم دمية في يد الوزراء وقواد الجيش ، وهؤلاء كانوا مشعولين بتدبير المؤامرات فيما بينهم بخرض الظفر بالنفوذ والسلطان ، هاذا انضاف همذا الى انشسخال السلاجقة والى ضعف الخليفة العباسي الواقع تحت نفوذهم ، تسبب كل ذلك في ضعف الصالم الاسلامي في الغرب أمام الهجوم الصليبي كل ذلك في ضعف المسالم الاسلامي في الغرب أمام الهجوم الصليبي الموجه اليه ، وقسد تمكن الصليبيون نتيجة اذلك من شق طريقهم الى بيت المقسدس ، وتثبيت أقدامهم في كثير من أجزاء الشسام وآسيا الصفري ، وأخذوا في توسيع رقعة الأراضي التي تحت أيديهم غلطتلوا مدينة هسور سنة ١٨٥ ه وكانت أمنع حصون المسلمين ، وبذلك ازدادوا قوة وأصبحوا شوكة في جنب السلمين (١) ،

كما أن ضعف السلاجقة وتفسرقهم أدى الى أن عظم أمرا الاسماعيلية حتى لقد ملكوا قلعة « بانياس » بالشام فى سنة ٢٠٥ هـ وقتلوا « قسيم الدولة آقسنقر البرسقى » صاحب الموصل (٢) •

⁽١) انظر ابن الأثير في حوادث بين سنتي ١٤ه ــ ١٧ه .

⁽٢) ابن الاثير : ج . ١ ، ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ .

⁽٢) نفس الصدر : ص ٢٤١ .

التزاع بين الخلامة العباسية والسلاجقة :

بدأت العلاقات بين السلاجقة والخلافة طبية كما رأينا من قبل ، وكان كل من الطرفين يرى مصلحته في مصائمة الآخر والاحتفاظ بوده ٠ ولتدعيم هــــذه العـــلاقة قامت المساهرات بين البيتين : العباسي والسلَّجوةي • ولكن هــذه العلاقات كانت تفرضها المطعة المستركة ولم بتكن طبيعية ، فالخلافة كانت تحيط بها ظروف قاسية تهدد كيانها ، وقد وجدت في الدولة السلجوقية السنية قوة تستند اليها لتدعيم مركزها أندى تهدد أمام الزحف الفاطمي و والسلاجقة وقسد كانوا يقيمون دولتهم كانوا في حاجة الى سند شرعى من اعتراف الفالفة بهم وتأييدها لسلطانهم • لكن قـوة السلاجقة ما لبثت أن طعت على الخلافة ، وأصبح الخليفة العباسي تحت بنفس النفوذ الذي كان للبويهيين من قبل • حقيقة أن السلاجقة جاملوا الخلافة المباسية فى أول الأمرُ وأظهروا الاحترام والطاعة للخليفة العباسي ، لكن الطموح دغمهم الى التسامي لما لم يسم اليه أهد من تبلهم وهو الاصهار للخلافة بأن يتزوج سلطانهم من ابنة الخليفة نفسه • ثم سموا الى القدرار، الخلافة لابن بنتهم من الخليفة المقتدر العباسي ، وتدخل ملكشاه تدخلا ساغرا وهدد الخليفة بترك بغداد والانصراف عنها الى أي البلاد شاه ، الأمر الذي أزعج الفليفة أيما ازعاج وجعله يتوسل الى السلطان أن يمهله شهرا حتى يعد نفسه ، ولكن السلطان رخض أن يؤخره ساعة ، وبلغ الاذلال حد التوسط بوزير السلطان غامهل الخليفة عشرة أيام ، ولم ينج الخليفة من هــذه المعنة الا موت السلطان قبل نهاية المدة (١)

ومنذ ذلك التاريخ بدأت النفوس تتغير بين الخلافة والسلاجة ، واتخدت الخلافة موقف المتفرج من الصراعات السلجوقية ، وكانت تستجيب لكل غالب منهم فتصدر له الاعتراف بالسلطنة وتخطب له ،

⁽۱) النخرى: ص ۲۱۷ ، المنتظم: ص ۲۲ ، الراوندى: ص ۲۱۰ ،

وقد تمترف بأكثر من واحد فى وقت واحد • وهى بذلك ترقب الفرصة لاستعادة سلطانهم • وقد بدأت الخلافة كفاحها منذ عهد السترشد بالله بن المستظهر الذى بويع سنة ١٩٥ ه / ١١١٨ م وقسد رأى انقيهام السلاجقة ، ووجد الفرصة سانحة لاسترداد قدوة الخلافة ونهؤذها ، غيداً بأعمال اصلاحية فى المجتمع حببته الى الفقهاء ورجال الدين ، وذلك بتتبعه لبيوت الفسق وحوانيت الخمور يملقها ويهريق خمورها ، ثم أخد فى تتبع المفسدين وعمل على نشر العدل ، وهسو بذلك يريد تقوية المجتمع وصيانته استعدادا لما يسعى اليه من اظهار عقوة الصلاحةة •

كما أن الخليفة المسترشد أراد أن بيرز غمالية الخلافة وقوتها ، فضرب على يد رجل كان دائما مصدر القلق والخطر في الدولة وهو دبيس بن مسدقة » الأزدى صاحب الحسلة ، وكان كثيرا ما يثير المقلاق المعاسية كما كان مصدرا المفتنة ، وفي سنة ١٧٥ هـ أطلق « عفيفا » خادم الخليفة وكان مأسورا عنده ، وحمله رسسالة غيها تهديد الخليفة بارسال المبند لقتاله وتخريب بغداد ، غانتهزها الخليفة غرصة لاظهار بأس الخلافة ، غجيز الجيوش وسار على رأسها لحرب دبيس ، واستطاع انزال المهزيمة به والجاءه الى الغرار حتى استقر به الأمر عند الملك مغول بن السلطان محمد (٢) ،

وليجعل الخليفة بغداد مستعدة للحرب قادرة على الصمود أمرا ببناء سور بنداد ، ويعد هذا من الأعمال الجليلة للمسترشد • وسيحمى هذا السور بغداد من الغارات والاعتداءات •

ثم ما لبثت الجفوة أن وقعت بين الخليفة وبين السلطان مسعود ، وقامت الحروب بينهما ، حتى أجبر الخليفة السلطان على طلب الصلح

⁽۱) ابن الأثير: ج ۱۰ ، ص ۲۳۱ ـ ۲۳۲ ، المنظم : ج ۹ ، ص ۲۴۱ ـ ۲۲۳ .

سنة ٢٠٥ ه (١) ، ثم خرج الخليفة لحربه مرة أخرى ، ولكن الخيانة وقعت فى جيشه الذى كان يضم عددا من أمراء السلاجقة ورجالهم ، فوقع الخليفة فى الأسر ، ثم اغتاله الباطنية وهو فى خيمة وضعه بها السلطان (٢) وبويم لولده الراشد بالخلافة .

وهكذا سقط السترشد شهيدا كأول غليفة عاسى خرج مجاهدا منذ العهد البويهى من أجل استقلال الفلاغة واعادة هيبتها ، غكان خير مثال يحتذيه الظفاء على نعجه في مقاومة السلاجقة واضعاف نفوذهم ه

وقد كانت خلافة الراشد امتدادا للصراع الذي بدأه أبوه ، وقد لقى نفس المسير ، بعد أن ألحق الهزيمة بتوات السلطان مسعود () •

وقد أثارت صور هذا الاستثنهاد نفوس الناس في العراق وألهبت صدورهم لنصرة الخلافة والوقوف في جانبها ، الأمر الذي أدى الى تدعيم قوة الخلافة واضعاف السلاجقة وانهيارهم ٠

وبويع للخليفة المقتفى الذي أغذ بدوره برقب الموادث ويتدين الفرص لضرب السلاجقة و وكانت الأمور بعامة تسير في غير مصلحة السلاجقة ، غالسلطان سنجر ينهزم أمام الخطائيين في سنة ٣٥٠ هـ ، والمخلافات تنشب بين أغراد البيت السلجوقي في ايران والعراق ، والحالة الاقتصادية تزداد سوءا مما أدى الى تبرم الناس • والمفليفة المقتفى يحكم أستعداده بتقوية الجيش وتدريبه ، ويأمر العامة بجمع السلاح ، ويوعفر الخنادق حول بغداد ، ويصلح السور • والمسامة تاتف حول الخلافة وتتعلون معها • والسلطان مسعود تنهكه المروب المنازعات وتتقدم به السن • وحين توفي في سنة ٧٤٥ ه فقدت الدولة

۱۱) ابن الأثي : ح ۱۰ عص ۲۶۲ -- ۲۶۳ ٠

۱۱ – ۱۰ من ۱۱ – ۱۱ ،
 ۲) ابن الاثی : ج ۱۱ ، من ۱۰ – ۱۱ ،

⁽٣) المنتظم : ج - ١ ، ص ٧٧

ركنا كبيرا واخدات تتداعى وتعوج بالفتن والمنازعات ، بيدم قوى جانب الظيفة وأصبح هدو السيد المطاع وصاحب الكلمة العليا في دولته ، وأخد يسترد امتيازاته ، بل ويسيطر على الاقطاعات السلجوقية ويضعف قوة الأمراء ، وقد برز الى جانب الظيفة وزير قوى هو « عون الدين ابن هبيرة » وكان شخصية غدة عاونت الخلافة معاونة مادقة ، وأخدت الخسلافة بسياسة مزدوجة ، فهى تضرب السلاجقية بعضهم ببعض وتشجع بذلك قيام الخلافات بينهم ، ثم تصارب ان وجدت غرصة للعرب وتنتصر غيطو قدرها ويضعف شأن خصومها (") ، وحين ضعف سلاطين السلاجقة برز على حسابهم قوة أتباعهم غيمن عرفوا بالاتابكة ،

نفسوذ الإتابكة:

كان أمراء الجيش والأتابكة ذوى نفوذ كبير في دولة السلاجة المماة وسلاجة المراق بخاصة و كان هذا النفوذ يظهر بين الحين والمين غيما كان منهم من تحريض أغراد البيت السلجوتي بعضهم على بعض وفي بث روح المدر وعدم الثقة بينهم وفي بن هذا النفوذ كان يتستر وراء السلاطين في وقت قوتهم و غلما ضحف السلاجة بعد موت السلطان مسمود ظهر حؤلاء الاتابكة على المسرح وبرزت شخصياتهم وأسماؤهم وأخسذوا يتومون بالدور الرئيسي ، وحسان السلاطين أدوات في أيديهم يأتعرون بأمرهم وينفذون رغباتهم دون أن يكون لهم نفوذ أو شخصية وأضحة و

وقسد تميز العصر الأخير من حكم السلاجقة بأسماء عسدد من الأتابكة أشهرهم « أيلدكر » أتابك آذربيجان الذي سيطر على أمور السلطنة السلجوقية في العراق وصسار هو الحاكم الفطي حتى توفي سسنة ٥٠٨ ه ، هاهتل ابنه « جهان بهلوان » مكانه وظل يسبر أمور السلطنة هاجبا السلطان « آرسيلان » ثم ابنه السلطان « مأمرل »

⁽١) انظر : حسين ابين : ص ١٥٠ وما بعدها ،

الذى تولى السلطنة وهو طغل ، وما زال الاتابكة يسيطرون على الدولة حتى كانت نهايتها ،

وقـــد جاحت هذه النهاية على يـــد حكام خوارزم ٣ الذين أخذوا يتدخلون في المنازعات بين أمراء البيت السلجوقي ، وقسد وجسدوا ف ذلك غرصة لمد ملكهم على بلاد السلاءة ، كما وجمدت المفلافة غرصتها للاستعانة بهم على انهاء الحكم السلجوتي • غفي سنة ٨٨٥ ه استعان « قتلوغ اينانج بن جهان بهلوان » بعلاء الدين تكش هاكم خوارزم على السلطان طغرل ، خامده بحيش استولى على مدينة الرى ، ولكن طَعْرَل هزمه و وفي سنَّة ٥٩٠ ه أعاد قتلوغ استنجاده بعساكم خوارزم ، كما كتب الخليفة الناصر لدين الله آليه يشكو من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومع الرسول منشور من الخليفة باقطاعه البلاد ، نسار « خوارزمشاه » من نيسابور الى الرى حيث انفسم اليه قتلوغ بقواته ، وأسرع لمغرل القائه ، ولكنه هزم وقتل وحملت رأسه الى الخليفة العباسي الذي كان قد سير نجدات الى خوارزمشاه ، وبقتل طغرل الثالث زالت دولة السلاجقة في ايران والعراق على يسد الخوارزميين وأقرت الخلافة العباسية هــذا الوضع ، وخلف الدولة الخوارزمية دولة السلاجقة لكنها لم تسيطر على الخلافة العباسية كما سيطر عليها السلاجقة ومن قبلهم البويهيون •

⁽۱) الراوندي : ه.ه ... ٥٠٦ .

تطور الاحداث خارج الدولة السلجوقية

في الوقت الذي كانت غيه الدولة السلجوقية تسير نحونهايتها عكانب الأحداث خارج الدولة تتطور أي صالح السلمين بعامة عواهل السنة بخاصة و غان أتابك عماد الدين زنكي و حكم الموصيل عمد خلفة من بعده أبنية نور الدين محمود الذي وهب نفسه لحركة تجميع اسلامية لمواجهة الغزو الصليبني والجهأد ضد الصليبين الذين رسخت أقدامهم في الشام و ولم يكن غضيل نور الدين في جهاده في الشام وحده ، وإنما غضلة الإكبر في ارساله حملة شيركوه وأبن ألحية صلح الدين الى مصر ، غقد ردت هذه الحملة الامتداد الصليبي عنها ، كميا خاصتها من الفوضي التي أحدثها الوزراء الفاطميون عنها ، كميا خاصتها من الفوضي التي الحديث الأيوبي أن يسقط الدولة بتنافسهم و عم استطاع مسالاح الدين الأيوبي أن يسقط الدولة الفاطمية بمصر في عام ٧٢٥ ه ، وبذلك أعاد الوحدة الذهبية للعيالم الاستامي و

ثم تولى مهمة التجميع الاسلامي بعد وغاة نور الدين ، واستطاع ان يجعل من مصر والشام وحدة في وجده الصليبين ، ولم يلبث الخليفة المباسى في عام ١٧١ ه أن أقره على حكم مصر والمغرب والنوبة وغربى الجزيرة العربيدة وغلسطين وسوريا الوسطى ، وبذلك تغرد بالسلطنة (١) ، وفي سنة ١٨١ تمكن من اخضاع الموصل وادخال أمراء العدراق تحت نفوذه ، وبذلك أحاط بالصليبين وحصرهم بين شقى رحى : أحدهما العراق وسورية ، والآخر مصر (١) ،

وبهــذه الوهدة الاسلامية واجه صلاح الدين القوة الصليبية ، غاستولى على طبرية في عام ٥٨٣ ه / ١١٨٨ م ، ثم تلتهــا موقعـــة

⁽۱) أبو الفردا: ج ٣ ، ص ٣٠ . (٢) أنظـــر عن أعبال صـــــلاح الدين : ابن الأثير : ج ١١ ، ص ١٦٨ ــ ٢١٥ .

حطين التى انتصر غيها انتصارا حاسما تلاء سقوط بيت المقدس وكثير: غيرها من المدن الساحلية : عكا وياغا وصيدا وجبيل وبيروت وعسقلان وما يجاورها (١) ه

ولم تأت سنة ٥٨٥ ه الا وقسد سقطت أخطر معاقل الصليبين و وكادت هزيمة الصليبين تؤدى الى طردهم من الشام نعائيا ، لولا أن تممس ملوك أوروبا غجامت الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ملك انجلترا ويتشارد قلب الأسد ، وامبراطور ألمانيا غريدريك بربروسا ، وملك فرنسا غليب أغسطس ه

وتمكن الصليبيون من الاستيلاء على عكا سنة ٨٥٥ه / ١٩٩٧م • ولم يؤت مسلاح الدين فسسحة من العمر فمات بعد قليل • ولكن انتصاراته فلت حسد الصليبين فأخذت كفة السلمين ترجح منذ ذلك الحين • حتى تم طردهم بعد ذلك على يد الماليك في مصر •

هـذا فى المغرب الاسبلامى ، أما فى المشرق خان الخوارزمينية ورثوا ملك السلاجقة ، واستطاعوا القضاء على دولة المخطائيين الوثنية واستردوا نفور ما وراء المنهر ، وواجهوا الماصفة الماتية التى هبت من شرق آسيا على عالم المضارة بظهور المفول .

وأما الخلافة العباسية فقد استردت استقلالها ، وانصرف الخلفاء الى الإعمال الحضارية والعمرانية • وعادت الخطبة للخليفة العباسي تتلى على منابر المسلمين من حدود المدين حتى الأندلس مرة أخرى() •

وفى هذا الوقت الذي كان العالم الاسلامي يموج فيه بهذه الأحداث كانت هناك في الشرق البعيد من وراء العالم الاسلامي سيول

⁽۱) ابن الاثم : ج ۱۱ ص ۲۱۷ -- ۲۲۷ ٠

⁽٢) السيوطي : تاريخ الخُلفاء ٥٠ .

⁽م . ٤ _ العصر المباسئ)

من قوى بشرية تتجمع في الهضبة المعروفة باسم هضبة منعوليا شمال صحراء جوبي وهي ممتدة في أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال ألتبت وغربي منشوريا وشرقى التركستان ، بين جبال ألتاى غربا وجبال خنجان شرقا • حتى اذا ما تجمع فيضمها والتحم خضمها اندفعت في موجة عاتية كسرت الخط الفاصل بينها وبين عالم الحضارة ، وما زال يهدر هديرها ، تدفعها قوة باطشة نشيطة لرجل قوى الأسر ، مديد العقب والقلب ، عرفه التاريخ باسم « جنكيز خان » حتى اقتحمت كل سد وتخطت كل عقبة ، وما زالت في تدفقها ، والقسوى الاسلامية بقيادة ملوك خوارزم: محمد خوارزمشاه ثم ابنه من بعده جلال الدين منكبرتي تصدها حينا ، وتتراجع أمامها أحيانا ، وهي في كل مرة تعاول أن تكسر من حدثها ، حتى عجزت تماما عن الصمود لتيارها الداغق ، غانسابت في منطقة ايران كلها ، ثم ابتلعت العراق وأغرقت بغسداد في سمنة ٢٥٦ ه ، وتدفقت سيولها على المفسرب الاسلامي ، ولكن بعد أن نقدت كثيرا من هدتهـــا • وهين وصلت الى غلسطين في عين جالوت اشتطاعت مصر أن تقيم سدا أمامها كسرها وجطم موجتها لأول مرة من يوم أن تدفقك من وسط آسيا . غدمي مغرب العالم الاسلامي وحمى الحضارة •

ومنذ ذلك التاريخ تغير وجه العالم الاسلامي الذي شهدناه في عصر الدولة العباسية و ودخل في طور جديد من التاريخ •

* * *

تلك هي أحداث المالم الاسلامي أحطنا بها على قدر ما سمح المجهد في كتاب ، وان كانت لجديرة بأن تدرس في أسفار ، ومهما يكن المتلاف وجهات بأى المؤرخين في تكييف هدذه الأحداث ، ومهما يكن المتلاف وجهات النظر بينهم بالنسبة للعالم الاسلامي في هدذا المصر من ناحية القوة

أو الضعف م غانه لا خلاف على أن الوطن الاسلامي على الرغم من تعدد القوى السياسية غيه واختلافها وتصارعها ، ظل وطنا اسلاميا لجميع المسلمين ، وفي الوقت الذي تشعبت غيه الأحداث السياسية ، وبدأ الخط السياسي متكسراً أو مستقيما غان الخط الصفاري غيه مفى صاعدا مستقيما لا عوج غيه ، وأن الأمة الاسلامية في هذا الوطن المربى الاسلامي المتزامي الأطراف ظلت تنقعل بحضارة واحدة تصعد في معارج الرقي والتقدم ، تسهم في انمائها كل المقول والملكات في المشرق والمغرب وتضم في طياتها كل تراث الأمم من قبلها وفي وقتها في حركة .

والجانب الحضارى من حياة الأمة الاسلامية جسدير بدراسسة مستفيضة عميقة تأمل أن نجعلها موضوع الجسز، التالى من هسذا الكتاب ان شساء اللسه ٠

(تــم بعــد الله)

ثبت المصادر والمراجع

ابن الاثم : الكامل في التاريخ ١٣ جزءا - بولاق ١٣٤٧ .

الحمد ابراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهليةوعهد الرسول . دار الفكر؛ العربي ١٩٦٦ .

المسد ابين : بسحى الاسلام .. القاهرة ١٩٣٦ وطبعة دار المعارفة . خلير الاسسلام : طبعة دار المعارف .

الحد زكى صفوت : جمهرة رساتل العرب ــ ٣ اجزاء ــ التاهرة ١٩٣٧، • المدرية ابوريده) ما المدرية الوريدة) ما

المبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها ... مدريد ١٨٦٧ م .

الادريسي : نزمة المستلق في اختراق الأملق ... ليدن ١٨٦٦ .

ارتولد: سير . ت . و : الدموة الى الاسلام . (ترجمة هسن أبراهيم).

الاصطفرى : المسالك والمالك ، ليسدن ١٩٢٧ ، الاصفهائي : كتاب الاغاني ، التاهرة ١٩٨٥ هـ

مِتَاتُلُ الطَّالِبِينَ _ التَّاهِرةَ ١٩٤٩ م .

التساهرة ١٩٥٧ .

ابن ابي اصيبعة: عيون الأنبساء في طبقات. الأطبساء ، القاهرة ١٢٩٩ --

أومان : الامبراطورية البيزنطية . دار الفكر العربي بالتاهرة .

الباز المريني: الدولة البيزنطية ، التاهرة ١٩٦٠ ،

جارتولد: تاريخ الترك في السعيد الوسطى (ترجمــة احمــد السعيد) . القساهرة ١٩٥٨ .

Barthold h Hist. of Central Asia. Leiden 1956.

```
الغدادي ( محمد بن حديد ) : المحبر ، حيدر أباد ، ١٩٤٢ ،
                البلاذري : متوح البلدان ، القاهرة ١٩٠١ ، ١٩٥٩ ،
                    البلخي : كتاب البحدء والناريخ ، جاريس ١٩٠٧ ،
            البلوى : سيرة احمد بن طولون ، الكتبة العربية بدبشق ،
Buckler : Harunul - Rashid and Charles the greet.
                                                         . كات
Poul - Roux : L'Islam en Asie Paris, 1958,
                                                        يول رو:
      البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، مطبعة المرسوعات ١٩٠٠ ،
البيهتي : تاريخ البيهتي ( ترجمة يحيى الخشاب ) مطبعة الانجلو ١٩٥٦ -
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مدر والقساهرة سدار الكتب
التنوخي : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة . القاهرة ١٩١٨-١٩٢١ .
         تيبور ( أحبد بأثما ) : التصوير عند العرب ... القاهرة ١٩٤٢ ،
تظرة تاريخيـة في حسدوث المذاهب الأربمـة وانتشارها ..
                                  التبساهرة ١٣٥١ه ،
      الشعالبي : يتيمة الدهر ــ ؛ اجزاء ــ القاهرة ١٣٥٣ه / ١٩٣٤م ٠
```

الجاحظ: رسائل الجاحظ ــ القاهرة ١٣٤٤م ،

: التاج في أخبار الملوك ـ القاهرة ١٩١٤م ،

: كتاب الحيوان - القاهرة ١٩٠٧م .

 البيان والتبيين --- } أجزاء --- القاهرة ١٩٢٨ . Gabineau : Histoire des Perses. Paris. 1869. جوبيثو

جورجي زيدان : التبدن الاسلامي ... القاهرة ١٩٠٢ - ١٩٠٦ .

جورج مضلو حوراني: المرب والملاحة في المعيط الهندي - التاهرة A 190 .

ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ــ طبع الهند ١٣٥٨ .

: مناتب عمر بن عبد العزيز _ ليبزج ١٨٩٩ م .

الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ... القاهرة ١٩٣٨ .

هسستى : تاريخ العرب ــ الجزء الثاني ــ بيروت ١٩٥٠ م .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - القاهرة ١٩٥٥١٩٥٣م-: النظم الاسلامية - التاهرة ١٩٣٨م ·

حسن أحيد محبود : حضارة مصر في العصر الطولوني ــ القاهرة ١٩٦٠م، : الكندى المؤرخ -- القاهرة ١٩٦٦ م ،

حسن البائسا محبود : الألقاب الأسلامية ،

ابن حوتل : المسالك والمالك - لبدن ١٨٩٩م .

الحسيني : اخبار الدولة السلجوتية ... لاهسور ١٩٣٣م .

ابن خردانبة : السالك والمالك ـ لندن ١٨٩١م ،

الخضرى : محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) ---التاهرة ١٩٣٠م .

الخطيب البغدادي * تاريخ بغداد او مدينة السلام ... ١٤ جزءا ... التاهرة ١٤٠٠

ابن خلدون : المقدمة - بولاق ١٣٢٠

: العبر وديوان المبتدأ والخبر ... القاهرة ١٢٨٤ه .

ابن خلكان : ونيات الأعيسان ــ المطبعة اليمنية ــ مصر ١٣١٠

ابن الخياط : كتاب الانتصار الرد على ابن الراوندى الملحد ــ القاهرة ١٩٩٥ز

التباغ: معالم الايمان في معرفة أهل القيروان سـ تونس ١٩٣٠هـ ابن دقياق: الانتصار لواسطة عقد الايصار ــ القاهرة ١٨٩٣ .

Dozy : Essoir sur L'Histoire de L'Islamisme 1819.

درن تاريخ مسلمي اسبانيا (رترجمة حسن حبشي) نشر وزارة الثقائمة

الديار بكرى : تاريخ الخبيس ـــ القاهرة ١٩٦٦ .

الدينورى : الاخبار الطوال ــ ليدن ١٨٨٨. .

الراوندى : راحــة المـــدور وآية السرور (ترجمة ابراهيم الشواربي وزملاؤه) .

ابن رستة : الاعلاق النفسية ــ ليــدن ١٨٩١ .

رانسيمان:

Runciman: Charleimagne and Palestine, English Historical review. vol. 1. 1935.

زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي -

زكى محملًا حسن : اطلس الفنون الزخرنية .

: مُنسون الاسلام ... القاهرة ١٩٤٨ م .

الرحالة السلمون في العصور الوسطى ما القاهرة ١٩٤٥ .

Sykes : History of Persia, London 1921. : سایکس

سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان - شيكاغو ١٩٠٧ .

لى سترينج:

Le Strange : Baghded During the Abbasid Caliphate. Oxford, 1924.

سعد زغلول عبد الصيد: تاريخ المغرب العربي ... القاهرة ١٩٦٠ . مسعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى - جزءان .

السلاءي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاتمى ... القسساهرة ١٣١٢ ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير سـ القاهرة ١٩٦٦ .

السيوطي : تاريخ الخلفاء لمراء المؤمنين سـ القاهرة ١٣٥١ .

الشهرستاني : الملل والنجل ... القاهرة ١٩٤٨ ، ١٩٦١ •

أبو شاية : الروضتين _ بطيعة وادى النيل ١٢٨٧ه .

ابو شجاع : فيل تاريخ مسكويه ... اكسنورد ١٩٢١ ... مطبعة التبدن١٩١٦ الصابي : رسموم دار الخطائمة مريضداد ١٩٦٤ ،

المساحب بن عباد : رسائل المساحب بن عباد ، تصحيح عبد الوهاب عزام وشبوقي شيف ،

المسولى: اخبار الراضي والمتنى من كتاب الأوراق - مطبعة الصاوى . الصياد (مؤاد عبد المعطى) : المعول في التاريخ ... نشر دار التلم بالتاهرة. ضياء الدين الريس : الخراج ،

ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية بـ القاهرة ١٩٢٣ وبيروت . 117.

الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ... القاهرة ١٩٢٦ ،

الطرطوشي : سراج الملوك .

ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمفرب - القاهرة ١٩٦١ ،

: سيرة سيدنا عبر بن عبد العزيز ... القاهرة ١٩٢٧ .

عبد العزيز الدورى : علم التاريخ عند العرب .

 دراسات في المصور العباسية المتأخرة - بقداد ١٩٤٥ . ابن عبد ربه ... العقد القريد ... القاهرة ١٩٤٨ .

العتبى : تاريخ اليبن ... القاهرة ١٢٨٦ه .

ابن عداري : البيان المغرب في اخبار المفسرب ــ ليدن ١٩٤٨ ، ١٨٥١ -

عزيب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ـ ليسدن ١٨٩٧ ـ القاهرة ١٣٢٠ه.

```
الفسزالي : نيصل النفرقة بين الاسلام والزندقة . القاهرة ١٩٠١ .
         العرب والروم ( ترجمة محمد عبد الهادي شمعيرة ) •
ابو النسدا : المختصر في أخبسار البشر ـ التسطنطينية ٢٨٦ه.
                                        التساهرة ١٣٢٥ ه .
                        ابن المبيسد : تاريخ المسلمين ــ ليدن ١٦٢٥ م .
       مُلهـــوزن : الدولة العربية ( ترجبة أبو ريده ) الشاهرة ١٩٥٨ •
                        قابری : تاریخ بفساری سه التساهرة ۱۹۹۵ .
                                                       ئنسمای :
Finaly: Hist. of the Byzantine Empire. London 1856.
                 عبد النميم حسنين : سلاجتة المراق ... التاهرة ١٩٥٩ •
                        أبن تتيبة : كتاب المعارف ... التاهرة ١٩٣٤ .
                         : ميون الأخبار ... القاهرة ١٣٤٨ه .
                      : الأمامة والسياسة _ التاهرة ١٣٢٥ه .
                         قدامة بن جعفر: الخسراج - ليدن ١٨٨٩ ٠
               التسرماني: أخبار الأول وآثار الدول ... بغداد ١٢٨٢هـ ٠
            التزويني : آثار البسلاد واخبار العباد ــ جوتنجن ١٨٤٨ .
                    ابن القلانسي: فيل تاريخ دمشق ــ بيروت ١٩٠٨ .
                        الكتين: فوات الوقيات _ القياهرة ١٢٩٩ .
```

لویس ، برنارد :

السمار :

Lewis; Bernard : The Origins of Ismailism. Combridge. 1940. النبول ٤ مستقلي:

الكندى : الولا في والقضاة _ طبعة رفن جست ١٩١٢ _ بيروت ١٩٠٨ .

Levy : The Social structure of Islame

Combridge. 1965.

Lane - Poole; Stanley: The Muhammaden Dynsties. Paris, 1925.

المالكي : رياض النفوس _ القاهرة ١٩٥١ .

ابن كثير : البداية والنهاية ــ المقاهرة ١٣٤٨ . الكريلي : النقود العربية وعلم النهيات ــ القاهرة ١٩٣٩

```
- ١٣٢ - الماطانية - التاهرة ١٢٩٧ م و ١٩٦٠م ، محمد توفيق اهبد محند غفاجى : اثر الاتراك السحياسى والاجتماعى في العزق قل التربين الثالث والرابع المجرى ( رسالة ماجستير بجلمعة للقاهرة لم تشر ) ، محمد جمسال الدين سرور : تاريخ الحضسارة الاسلامية في الشرق - نشر دار المكر المربى ، التصام الدولة الاسلامية الى دول مستقلة بالشرق - التاهرة ، محمد حلمى محمد أم المسالامية الى دول مستقلة بالشرق - التاهرة ، محمد علمى محمد أن المسالامية الله والدولة في المصر المباسى - مكتبة نهضة مصر بالقساهرة 1971 ، محمد عبد المسادى شميرة : المرابطون في التفور البرية المربية الروميسة ( بحث ضمن كتاب « طه حسين » بغاسبة بلوغه السبمين ) ، الماليك الطيفة ) او : ممالك ما وراء النهر والدولة الاسسالامية الى ايام المنتسر ( بحث بوطلة كلية الإداب - جلمة غلوق الاول سالمبلد
```

: منطفرات بجامعة مين شمس عن العصر البويهي .

المسراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب سد ليسدن ١٨٨١ .

المسمودي : بروج الذهب ــ التاهرة ١٢٧٠ه و ١٩٤٨م .

الرابع سنة ١٩٤٨) ،

: التنبيه والاشراف ــ ليــدن ١٩١٤ .

تجارب الاسم وتعاشب الهمم ـ ليدن ١٩٠٦ ـ القسماهرة
 ١٩١٥ ، ١٩١٥ . .

لابيتيون

Lambton : Landlord and Peasant in Persia (Oxford, 1953).

مصطفى الشكعة : فنسون الشعر في مجتمع الحمدانيين سـ القاهرة ١٩٥٨ .

للتسريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار سالقاهرة ١٢٧٠ .

Muir, Sir William : The Caliphate. Edinburge. 1925 ابن النبيم : الفهرست ــ القاهرة ١٣٤٨

النوبختى : كتاب قرق الشيعة ــ استاببول ١٩٣١ .

1

Heyd: Histoire du Commerce de Levant au Moyenage. 2. vol. Leipzig 1885 - 1886.

> البعتوبى: تاريخ البعتوبى .. النجف ١٣٥٨ه . ابويوسف: كتاب الخراج .. القاهرة ١٣٠٢ه .

فهرسس

٣	دير			
	المقبيسم ,الأول			
	العصر العبساسي الأول			
	البساب الأول			
	قيسام النولة العباسية			
11	الشورة المهامسية ٠٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠			
11	الثورة والتنظيم المتائدي			
	١٢ ـــ زعامة النورة ١٥ ــ الدعاة والنتبساء ١٦ شــ دعاة			
	العراق ١٧ ـ دعاة خراسان ٢٠ ـ النتباء ٢١ ـ شمارات			
	الدعاية للثورة المساواة ٢٤ الامامة للرضا من آل محمد			
	٢٦ - الدعوة الى الاصلاح .			
٨٢	انتشار الاسملام في ايران ٠٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠			
14	مساوىء الصكم الأموى			
	ه٤ ــ النطورات الاجتماعية .			
۱۷	احداث الثورة المباسسية (۱۲۹ ــ ۹۲۲هـ)			
٤٧	ابو مسلم يتزعم الدعوة العباسية في الشرق			
	٩] _ عمليات ابي مسلم في خراسان وظفارستان وما وراء			
	النهر ٥٩ ــ مرحلة تحطبة بن شبيب ٦٠ ــ عملية تحملبة			
	ابن شبيب ٦٤ ــ مرحلة الخليفة أبي العباس السفاح .			
٦٨	اهمية نجاح اللبسورة العباسية في تاريخ الاســـــــــــــــــــــــــــــــــــ			
الباب الثاني				
	المصر المبساسي الثاني			
۸۳	الفصل الاول: تقدم العناصر الايرانية في العصر العباسي الاول			
	٨٦ ــ التيار المنافر ١٤ ــ التيار الموافق ١٠٥ ــ البرامكة			
	١٠٩ ــ الصراع بين الأمين والمسلمون ١١٦ ــ بنو سمهلي .			

سنحة	•
113	الفصل الثاني: الخالفة ونظم الدولة
	١١٩ — (١) الخلافة ١٤٢ — (٢) نظم الدولة ١٤٧ وزارة
	التنفيذ وزارة التفويض .
171	3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3 3
	١٩٢ تطاع الثسلم وآسيا المسغرى والبحر الأبيض المتوسيط
	١٧٦ _ تطاع التركستان ووسط آسيا ١٨٠ ــ العباسيون
	وانتشمار الاسمالم في وطين الاتراك ١٨٤ ــ تطاع الهند
	١٨٥ ـــ العباسيون وجنوب شرق آسيا .
111	القصل الرابع: الحيساة الانتصادية والاجتماعية
	٢٢٥ (٢) الحياة الاجتماعية ،
	الفصل المفامس : أهمم الاتجاهات الثقافيسة والفكرية في العصر
137	المباسى الأول المباسى الأول
	القسسم الثانى
	المصير العباسي الثاني
440	تظرة علية على العالم الاسلامي في العصر العباسي الثاني
	٢٨٦ ــ المـــالم الاســـلامي بين المركسزية واللامركزية
	٣٠١ ــ مركسز الخلامة ،
	الباب الأول
	ظهـور الاتراك في الدولة الاسلامية
	الفصل الأول: حالة الفيالية المباسية في بفيداد في الممسر
411	المباسى الثاني ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
414	الفصل الثاني: ظهور العنصر التركي في العالم الاسلامي
411	القصل الثالث : عصر نفسوذ الأتراك في المسراق
	٣٣٢ عهد تفوق الأتراك ٧٤٧ المتعاش الجلامة .
۳٦۸	الفصل الرابع : عصر أمرة الأمراء
	١٣٦٨ منصب ايم الأمراء ٢٦٩ استباب ظهدور أمرة
	الأمراء ٣٧٢ ــ نظرة على الحالة في المسراق في ظل منصب
	امرةُ الأمراءُ ٣٧٧ ـ بجكم أمير الأمراء ٣٧٨ ـ البريدي في بغداد ٣٨١ ـ ابن رائق أمير الأمراء مرة اخرى ٣٨٢ ـ أمرة
	بقداد ۱۸۱ ــ ابن رائق امير الامراء مر" اخرى ۱۸۱ ــ افر"

الباب الثاني

	الحركات الاستقلالية في المالم الاسلامي					
777	الفصل الأول : الحركات الاستقلالية في المفرب الاسلامي					
T17	ـــ الاشــدلس ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
1.3	ــ بلاد المضرب الافريقي ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
1.1	سالمغرب الاقصى (دولة الأدارسة)					
113	سـ تونس (دولة الأغالبة) ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
64.	مصر والشـــام (الطولونيون والأخشديون) ··· ···					
1773	النولة الاخشينية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
133	ـــ الدولة الحبدانية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
ţ.	الفصل الثاني: الحركات الاستقلالية في المشرق سي					
\$0\$	ب الدول المستقلة في ايسران : ··· ··· ··· ··· ···					
100	ا الدولة الطباهرية					
¥•Y	٧ ــ العولة المسفارية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
6/3	٧ ــ الدولة السامانيــة ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
173	ــ الهنــد: الدولة الغــزنوية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠					
£A1	ــ طبرستان : الدولة الطبرية					
7A3	الدولة الزيارية					
	البلب المثلث					
	المصر البويهي والمصر السلجوقي					
113	الغصل الأول: العصر البويهي الدولة البويهية					
	٩٨) الخطوط العامة للهجرة الديلية ٥٠١ الظـروف					
	السي ابتدات نميها الهجرة البويهية ٥٠٥ ــ تدعيم الملك البويهي					
	١٥ مـــ العلاقة بين بنيبويه والخلانة ٢٤ مـــ ملوك بنيبويه					
	٢٧ه _ عماد الدولة ٢٨ه _ ركن الدولة ٢٩ _ عمسد					
	الدولة ٥٣١ ـ اتباء عقب الدولة : صبحمام الدولة ،					
	شرف الدولة ، بهاء الدولة ٣٣٥ ما بناء مهاء الدولة :					
	سلطان الدولة ــ مشرف الدولة جلال الدولة .					
441	الغصل الثاني : العصسر السلجوتي					
041	المُطوط العامة للهجرة التركيسة					
	٣}ه ـــ السلاعِنة في بلاد ما وراء النهر ٢٦٥ ــ السلاحِنة					

مسفحة	
	فى خراسان ٥٥٢ سيسيطرة السسلاجنة على ايسران ٥٥٦ السلاجنة في العراق .
AFO	المظاهر العسامة للحكم السلجوتي
۱۸ه	س عصر وحدة السالجقة ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	٨٢٥ _ طغرلبك ٨٨٥ _ الب ارسالان ٩٩٠ _ ملكشاه
	٥٩٠ - غات وحات ملكثاباه ٥٩٠ - الاسماعيلية
	۲۰۰۰ برائيسارق ،،
1.1	- عصر انقسام السالجقة ١٠٠ ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	٦١٠ - سسلاجقة خراسان ٦١١ - الدولة الترمخطائية
	٦١٣ ــ الدولة الخوارزمية .
312	ــ سالجتة العراق ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	٦١٦ - النزاع حول الفرس ٦١٩ ن النزاع بين الضائفة
	العباسية والسلاجتة ٢٢٢ ــ تفوذ الاتابكة .
375	- تطورات الأحداث خارج الدولة السلجوتية ··· ·
777	ثبت المسادر والراجع به
750	محتويات الكتـــاب ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

للمسؤلف "

- عد اسات في الحضارة الاسلامية ،
- * دور الحجاز في الحياة السياسية .
- 🗱 المسالم الاسلامي في العصر العباسي .
- په مكة والمدنة في عصر الجاهلية وعصر الرسيول (مسلى الله عليمه وسيلم)

تطلب جبيمها من ملتزم طبعها ونشرها وتوزيمها داخل جمهورية مصر العربية وخارجها دار الفكر العسربي ۱۱ ش جواد حسنى ــ بالقاهرة ص.ب ۱۳۰ ــ ت ۲۷۰۱۲۷